المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
عمادة البحث العلمي

الموسوعة الجغرافية للعالم الإسلامي

المجلد الخامس عشر

الملامح العامة لجغرافية العالم الإسلامي

١٤١٩هـ - ١٩٩٩م

طبع بمناسبة الاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية

أشرفت على طباعته ونشره الإدارة العامة للثقافة والنشر بالجامعة

الموسوعة الجغرافية للعالم الإسلامي
الملامح العامة لجغرافية العالم الإسلامي

ح جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ١٤١٩هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر.
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. عمادة البحث العلمي
الموسوعة الجغرافية للعالم الإسلامي .- الرياض
٩٤٤ ص ؛ ١٧ X ٢٤ سم .
ردمك ٣ - ٢٧٢- ٠٤- ٩٩٦٠ (مجموعة)
٢ ـ ٢٨١ ـ ٠٤ ـ ٩٩٦٠ (ج١٥).
المجلد الخامس عشر: الملامح العامة لجغرافية العالم الإسلامي
١ ـ العالم العربي ـ جغرافيا ـ موسوعات ٢ ـ العالم العربي ـ موسوعات
أ ـ العنوان.
ديوي ٣,٩١٠ ١٩/٣٠٦٣
رقم الإيداع : ١٩/٣٠٦٣
ردمك ٣ - ٢٧٢- ٠٤- ٩٩٦٠ (مجموعة)
٢ ـ ٢٨١ ـ ٠٤ ـ ٩٩٦٠ (ج١٥).

الطبعة الأولى
١٤١٩هـ / ١٩٩٩م

بسم الله الرحمن الرحيم

المحتوى

الموسوعة الجغرافية للعالم الإسلامي

الملامح العامة لجغرافية العالم الإسلامي

المملكة العربية السعودية وجهودها في العالم الإسلامي

معالي أ.د عبدالله بن عبدالمحسن التركي

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين، أما بعد:

فمن الأرض التي قام فيها أول بيت وضع للناس في مكة المكرمة، استمدت الجزيرة العربية مكانتها في التاريخ الإنساني، ومنذ أن أشرق فيها الإسلام بنوره من مكة المكرمة، ارتبط تاريخ الأمة الإسلامية في نشأتها وقيام دولتها الأولى بأرض هذه البلاد، المملكة العربية السعودية.

وبعد أن قامت الدولة الإسلامية التي أنشأها الرسول صلوات الله وسلامه عليه في المدينة المنورة، أصبح للجزيرة العربية كلها دولة قادرة، بسطت نفوذها، ومدت سلطانها عليها لأول مرة في تاريخها، وكانت الدول والإمارات تقوم في أطراف الجزيرة، وتخضع في غالب الأحيان لممالك كبرى، كالفرس والروم، ولم يكن في وسط الجزيرة سلطان موحد، ولا حياة حضرية لها معالمها، بل إنه من الصعب معرفة جغرافية الجزيرة العربية، لا سيما نجد، لأنه لا يوجد تقسيم بحسب الولايات أو المناطق، بل كانت نجد تعرف بنواحيها الشمالية والغربية والشرقية وناحيتها الجنوبية، التي من أشهر بلادها الرياض، فلم تكن هناك سلطة سياسية واحدة، بل قبائل متناحرة ومتفرقة، ويرجع الفضل في نشأة الدولة والسلطة الموحدة والمجتمع المتميز حضارياً إلى الإسلام وحده، لأنه بعد قيام دولته حملت هذه الدولة رسالة مقدسة وحضارة إنسانية رائدة، واستطاعت في عشرات من السنين أن تنشر الإسلام في أرجاء واسعة من العالم القديم، وأن تقضي على ما تبقى من حضارة ذاهبة للفرس والرومان.

وفي القرن الهجري الثاني وعلى امتداد عدة قرون، ساد النظام الإسلامي في العالم «في القرون الوسطى» خلفاً للنظام الروماني الذي كان مسيطراً على العالم القديم.

كانت النصرانية قد ظهرت فيها الفرق العقائدية المتعددة، بعد تحريف الوحدانية التي دعا إليها المسيح عليه السلام، كما أن اليهودية تحولت منذ زمن بعيد إلى عزلة دينية واجتماعية اختص بها اليهود أنفسهم.

وفي نفس الوقت لم تكن هناك حضارة إنسانية تقف بجوار الحضارة الإسلامية البازغة، التي أقام الإسلام أصولها وقيمها، وحدد مقاصدها وغاياتها، لتكون مثلاً ونموذجاً لحضارة الإنسان على امتداد الزمان والمكان، واستطاع المد الإسلامي في أقل من قرن من الزمان أن يقضي على الوثنية والشرك، وأن يخلف بجدارة واستحقاق، بشريعته الإلهية كل الأنظمة السائدة وقتذاك.

من أرض المملكة العربية السعودية، انبعث نور الإسلام، فبدد ظلمات الجاهلية التي سادت في العصر القديم، وقضى على الوثنية والشرك بأرض الجزيرة العربية كلها، فقد كان بعثه صلى الله عليه وسلم قضاء على الجاهلية (العامة والعالمية) لبني الإنسان، والتي كانت تعم جنبات الأرض، وبعد رسالة الإسلام - كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: تكون الجاهلية في أمة من الأمم، أو في بعض الناس، دون أن تسود العالم كله، كما كان الحال قبل الإسلام، إذ الجاهلية في حقيقتها، مجموعة من القيم الخلقية والاجتماعية التي يظهر فيها البعد عن الحقيقة الدينية الكبرى، والتخلف الحضاري والإنساني،وقد قضى الإسلام بعقيدته على الوثنية والشرك، وأبطل بشريعته كل القيم الجاهلية التي تمثل تخلفاً حضارياً وإنسانياً، ولقد كانت المملكة الأرض التي عاشت عليها أول أمة تحررت من

الجاهلية الأولى، ونشرت علمها في أقطار الأرض، وهذا التاريخ في جانبه الديني والإنساني، يحدد لنا مكانة المملكة بين أمم العالم وشعوبه، ومن الخصوصية الحضارية للمملكة القائمة على أسس راسخة من الإسلام، تحدد مكانتها بين دول العالم الإسلامي.

فالمملكة، تهوى إليها أفئدة المؤمنين في أنحاء الأرض، تحقيقاً لدعوة إبراهيم عليه السلام: (واجعل أفئدةً من الناس تهوي إليهم) في الحج، وفي زيارة البيت الحرام ومسجد الرسول صلوات الله عليه وسلامه، وهي التي تقوم على خدمة الحرمين الشريفين وحجاج بيت الله وعماره، وهي النموذج الإسلامي الظاهر أمام دول العالم وشعوبه، وقد كان هذا النموذج في عهد النبوة مثلاً أعلى، وظلت الجزيرة العربية تقدم هذا النموذج الإسلامي، وإن كانت الدولة التي يظهر فيها، قد انتقلت خلال تاريخ الإسلام من المدينة المنورة إلى العواصم الكبرى، بدءاً من الكوفة وحتى دمشق وبغداد والقاهرة واسطنبول.

ولكن منذ نشأة الدولة الشعودية في العصر الحديث، أصبحت هي النموذج الظاهر للدولة الإسلامية على المستوى العالمي، وهذه الخصوصية يمتزج فيها التشرف بالتكليف، ويظهر ذلك واضحاً في أن لقب ملك المملكة العربية السعودية، هو خادم الحرمين الشريفين، وأن النظام في المملكة يقوم على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

ومن ناحية أخرى، فإن نموذج الدولة الإسلامية المعاصرة، والذي تنتهجه المملكة، يلقي عليها مسؤلية كبرى تجاه العالم العربي والإسلامي، وتجاه أمم الأرض كلها على الأساس الإنساني، الذي هو من مقومات الإسلام ومبادئه في العلاقات بين البشر، ويبدو هذا النموذج واضحاً وظاهراً في نصوص نظام الحكم الأساسي للمملكة، والذي صدر بتاريخ ١٤١٢/٨/٢٧هـ.

فالمملكة العربية السعودية، دولة عربية إسلامية، دينها الإسلام، ودستورها كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، ولغتها اللغة العربية.

وفي هذا النص، تحددت هوية المملكة على نحو قاطع، وهي الهوية الإسلامية الأصيلة لأمة الإسلام الأولى بخصائصها ومميزاتها وتفردها.

وطبقاً لنصوص نظام الحكم الأساسي للملكة فإن الدولة، تحمي عقيدة الإسلام، وتطبق شريعته، وتأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر، وتقوم بواجب الدعوة إلى الله، كما أن الدولة تقوم بإعمار الحرمين الشريفين وخدمتهما، وتوفر الأمن والرعاية لقاصديهما، بما يمكن من أداء الحج والعمرة والزيارة بيسر وطمأنينة.

وبهذه النصوص في نظام الحكم الأساسي، تتحدد هوية الدولة، وتتبين مصادر تشريعها وينابيع ثقافتها، وأهم مقاصدها، وأعظم خدماتها، وتظهر عنايتها بشعائر الإسلام ومناسكه، ورعايتها لأبناء الأمة الإسلامية كلها، والوافدين إليها لأداء فريضة الإسلام وشعائره.

ولا تكاد تتوافر في دولة من الدول الإسلامية المعاصرة، تلك العناصر مجتمعة ومترابطة، تشمل جوانب العقيدة والنظام الاجتماعي والسياسي كلها.

والحقيقة أن نظام الحكم الأساسي في المملكة، أعطى صياغة تشريعية لواقع ديني واجتماعي ظل سائداً قروناً منذ رسالة الإسلام، التي أراد الله أن تكون مكة المكرمة مطلع فجرها وأرض شروقها، وجاءت الدولة السعودية الحديثة لتضع هذا الواقع الديني والاجتماعي في مكانه، باعتباره أهم مقاصدها وأعظمها، تحقيقاً لرسالة الدين، واهتداء بشريعته وقيمه في إصلاح المجتمع وتطويره.

المملكة العربية السعودية

النشأة ـ التوحيد ـ الخصائص ـ النهضة

تقع المملكة العربية السعودية في شبه الجزيرة العربية، وهي تشغل المساحة الكبرى من شبه الجزيرة، إذ تمثل المملكة التي تبلغ مساحتها ٢,٢٤ مليوني كم تقريباً، أربعة أخماس شبه الجزيرة العربية، وبسبب موقع المملكة من شبه الجزيرة العربية، ظلت على الدوام المركز الديني الأول والظاهر فيها، لوجود أول بيت وضع للناس على أرض مكة المكرمة، بعد أن أقامه إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، وحتى قبل ظهور الإسلام، كانت مكة المكرمة مركزاً دينياً في شبه الجزيرة العربية، وما حولها، وبدأ منها تحرير شبه الجزيرة من الوثنية والشرك في عصر النبوة، وكذلك حمايتها من التفتت والانقسام في عصر الخلفاء الراشدين، فقد كانت حروب الردة ،في عهد الخليفة أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - دفاعاً عن الدين وعن وحدة الدولة الإسلامية الوليدة، التي يجب أن ينبسط سلطانها على الجزيرة العربية كلها، ولعل حروب الردة، والتي ارتأى الخليفة الأول أبو بكر الصديق - رضي الله عنه -ضرورتها، هي أول قتال للدفاع عن الكيان السياسي لدولة الإسلام الأولى ووحدتها السياسية، إذ كان السبب الأول فيها، هو رفض المرتدين الانصياع لسلطان الخليفة الأول السياسي، والتمرد على أحكام الشريعة في شأن الزكاة، وقد رأى بعض كبار الصحابة في أول الأمر عدم ضروتها، ولكنهم عدلوا عن ذلك إلى رأي الخليفة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وكان القضاء على الردة في عهده حماية للدولة من التمزق السياسي، وللأمة من الفتنة في الدين.

وفي بداية القرن الأول الهجري، كانت بقيــة البلاد التي تقع علي حدود شبه الجزيرة العربية وفي أطرفهــا، مجرد قبائل مختلفة تأثرت بثـقافات عديدة، ودخلها الإسلام باعـتبارها من بلاد العــرب، والتي تشكل أرض المملكة العربية السـعودية، أهم أجزائها وأكبرها، وقامت فيها أهم المدن التي اشتهرت حتى قبل الإسلام، مثل مكة ويثـرب (المدينة المنورة) والطائف، وعلى أطراف المملكة في الشـمال والـشرق والجنوب كانت تقع ممالك ومناطق خضعت سيـاسياً للفرس أو الروم، وفي الفترات القديمة من تاريخ الجـزيرة العربية، تأثرت مـدنها بثقافـات عديدة، أشهرها البـابلية والفارسيــة والرومانية، وحين ظهر الإسلام استـطاع في أقل من مائة سنة أن يوحد ثقافة شبــه الجزيرة، ويستوعب ما لا يتعـارض مع عقيدتها وشريعـتها، وكان ذلك راجعاً في المقام الأول إلى وحدة اللغة وبقـائها حية بفضل القرآن الكريم، فلم تندثر اللغة العربية، كـما حدث مع لغات عديدة انتشرت قـديماً في المنطقة، ثم انحسرت واندثرت، كالآرامية والعبرية.

وكان انطلاق الإسلام إلى البلاد التي تقع على أطراف شـبه الجزيرة العربية، من مكة المكرمة أو المديـنة المنورة، باعتبـار هذه البلاد داخلة في نطاق شبــه الجزيرة العربية التي انطلق فـيها نور الإسلام، وبعث فيها ومنهــا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وامتد الإسلام من مكة المكرمة إلى الجزيرة العربية كلها وأطرافها جميعاً.

فأرض المملكة، كـانت على مر التاريخ الإسـلامي، هي مركز شبــه الجزيرة العربيــة ومدنها، أهم المدن فـيها، وكانت المركـز الديني والحضاري، ومـقر الدولة الموحـدة على أساس الإسـلام في شبـه الجزيرة، وهــي منذ ذلك الوقت ومكانتهــا تتعــاظم، لما تتمتع به مــن كيان جغـرافي وبشري، وخلفـية تاريخيــة في الإسلام، تشغل صـفحات مضـيئة من هذا التاريخ، يكفــي أنه من أرض مكة المكرمة والمدينة المنورة، انطلقت دعوة الإسلام، وقامت دولته، وظهرت أمته، وفي عصر النبوة وما

تلاه في عصر الصحابة والتابعين وتابعيهم، تأسس الفهم الصحيح لقيدة الإسلام، وشريعته، وقيمه، ونظامه الاجتماعي، وتحددت رسالته في إخراج الناس من الظلمات إلى النور، وعن الفهم الصحيح والتطبيق السليم في عهد النبوة وفي عصر الصحابة، أخذ المسلمون في أنحاء الأرض علمهم وثقافتهم، ونشأت علوم الإسلام كلها، وقام الفقه الإسلامي في عصر نشأته وازدهاره (٨٠-٢٤٠هـ) بخدمة شريعة الإسلام، وفي نهاية القرن الثاني الهجري تقريباً، كان الفقه الإسلامي بأصوله وفروعه، أعظم تراث فقهي عرفته الشرائع السماوية السابقة، ولا يوجد في التراث الديني والثقافي لأمة من الأمم ما يطاول هذا التراث الذي نشأ على أرض المملكة، وفي التاريخ الإسلامي كله، لا يوجد ما هو أعظم قيمة، ولا أشد تأثيراً في حياة المسلمين على امتداد الزمان والمكان من ذلك العصر الذي شهدته أرض الجزيرة العربية التي تقوم عليها هذه المملكة.

إن أعظم تراث للإسلام، وأشده اتصالاً بالوحي وتأثراً بعهد النبوة، تكون في عصر الصحابة والتابعين، وكان علمهم مقدمة لازمة لعلوم الإسلام الكبرى التي نشأت بعد ذلك، لا سيما في علوم الشريعة.

فقد عاش معظم الصحابة وأكبر التابعين في أرض المملكة في مكة المكرمة وفي المدينة المنورة، وقد كان الخلفاء الراشدون - رضي الله عنهم -حريصين على بقاء نخبة علماء الصحابة فيهما وزراء للخلافة وعلماء وهداة للمسلمين.

وهذا الكيان الجغرافي والديني والثقافي، يبشر بمستقبل زاهر لشعب هذه المملكة، ومستقبل زاخر بالعمل من أجل الإسلام، ومن أجل الجزيرة العربية كلها، بل من أجل العالم كله، والتاريخ يؤكد لنا أن توحيد الجزيرة حدث لأول مرة بعد الإسلام، وكانت بدايته من أرض هذه المملكة في عصر النبوة، وهو التوحيد الذي

ذكرنا أن الخليفة الأول أبوبكر الصديق - رضي الله عنه - صانه من التمزق والانقسام عندما قضى على حركة الردة في أول خلافته، وهذ التوحيد السياسي، يبقى حتى في عصرنا هذا، أمراً لازماً لأمن شبه الجزيرة كلها على اختلاف ممالكها وإماراتها، إذ هي تكون منطقة واحدة جغرافيا وبشرياً تشغل المملكة العربية السعودية أكبر أجزائها وأهمها.

ولقد قامت الدولة العثمانية، وسيطرت على البلاد الإسلامية بعد قرون من الضعف، تلت زوال الخلافة العباسية من بغداد عام (٦٥٦هـ) وقد بدأ ظهور قوة الأتراك في عصر الدولة العباسية، وفي عهد الخليفة المعتصم بالذات (٢١٨-٢٢٧هـ/ ٢٣٣-٢٨٨م) حتى امتلكوا الدولة، وتصاعدت قوة الدولة العثمانية التي استطاعت في الخامس عشر الميلادي، أن تفتح القسطنطينية على يد محمد الفاتح، وأن تهدد بعد ذلك أسوار فينا في قلب أوربا.

وفي القرن الثاني عشر الهجري، ساءت حالة العمران في أرض الحجاز، وغشيه التخلف الحضاري، وأثر ذلك على علوم الدين وقواعد الشريعة، وانتشر الجهل، وظهرت البدع في الدين والخرافات في تفكير الناس، حتى لقد عمت الرذائل، وكان ذلك في أرض الحرمين الشريفين التي ظهر فيها الدين وبعث منها رسول الإسلام.

وفي نجد قلب الجزيرة العربية، ساد الجهل، وانتشرت البدع والخرافات، وفشت بين الناس، وعلا شأن المنكر، وخفت صوت المعروف، ولم تكن هناك سلطة واحدة تعيد الأمور إلى نصابها، وتحقق للناس سلامة دينهم ومصالح دنياهم، فكان التناحر بين القبائل وبين الإمارات الدويلات الصغيرة.

وجملة القـول، أنه لم تكن هناك سلطة سياسيـة تضبط أمور البلاد والـعباد وفي ذلك الوقت، كـانت الأمم في أنحاء الأرض، لا سـيمـا بلاد غيـر المسلمين، تتقدم خطوات هامة في الرقي الحضاري.

والحـقيـقة التي ينبـغي ذكـرها، أنه في هذا القـرن، ظهر ضـعف المسلمين واضحاً، وتكالبت عليهم دول الأرض ذات الحضارة البازغة، والأطماع الظاهرة في أرض المسلمين، والأهداف الخفـية نحو ديـنهم وعقيـدتهم، وكانت الجزيرة العـربية كلها، تمثل التخلف الذي ران على حياة المسلمين، والذي كان أهم مظاهره، انعدام السلطة السياسيـة، أو تفرقها وتمزقها واختلافهـا، وشيوع الجهل بين الناس في علم الدين والدنيا، وضيـاع الأمن حتى على القاصدين لأداء فـريضة الإسلام، في حج البيت الحرام، إذ كانت رحلة الحج محفوفة بالمخاطر بسبب انعدام السلطة التي تقوى على ضبط الأمن، وكـان تأمين الحجاج، يتم عن طريق اتفـاقات تعقـد بين الأمراء المتفرقين في مختلف المناطق، وكثيراً ما كـانت تنقض العقود والعهود بينهم، فيصير أداء فريضة الحج من أكبر المشقات أو حتى من المـستحيلات، وظلت الجزيرة العربية في جملتها قروناً طويلة منقسمة إلى دول وإمارات وقبائل عديدة متنافسة ومتناحرة، وقام الحكام الذين بسطوا نفوذهم، ومنهم العـثمانيون، ، بإخضاع الأقـاليم الشرقية والغربية في شبـه الجزيرة، ولكن المنطقة الوسطى، نظراً لطبيعتهـا القاسية، ، وعدم وجود مصالح ظاهرة فيها وقتذاك، لم تخضع لحكم أجنبي.

ولقد سـاد شبـه الجزيرة العـربية كلهـا منذ القرن الثـامن الهجـري، تخلف حضاري، وجمود في الحياة الفكرية والعلمـية، فقد كان باب الاجتهاد الذي تتطور به وفي نطاقه أحكام الفقه مـغلقاً منذ قرون، كما أن انعزال شبـه الجزيرة عن التقدم الحضاري الذي شـمل كثيراً من بلاد العـالم، زاد من عزلتها الحـضارية، ولم تكن هناك محاولة جادة لتوحـيد شبه الجزيرة العربية، أو إقامـة دولة فيها تضم دويلاتها

وقبائلها المتفرقة والمتنـاحرة، فكان لذلك أثره على أهلها، وعلى الوافدين إليها لأداء شعائر الحج والعمرة، فضلاً عن انعدام الأمن الداخلي، والافتقار إلى سلطة مركزية تحدد للمجتمع أسس تقدمه ونموه، وتقود جهوده، وتوحد طاقا.

ولابد من الإشارة هنا إلى عبرة التاريخ في هذه المنطقة بالذات، إن توحيدها وأسس تقدمها، كـانا في الإسلام وحده، فلإسلام وحدها لأول مـرة في تاريخها، ووضع لها منهج حيـاتها وتقدمها الحضاري وهو منهـج إلهي، وقد وجدت الدعوة أولاً ثم الدولة الإسلامية التي قامت على منهج الدعوة بعد ذلك في المدينة المنورة، وحين ران الضعف والـتخلف الديني على شـبه الجزيرة العـربية، وسادهـا التفكك الاجتماعي والسياسي عدة قرون، لم يكـن لها مخرج منه إلا استنفار قوى الإسلام منهجاً وطريقاً للتجديد الديني، وللتخلص من الجاهلية التي تفشت في شبه الجزيرة العربية وأخرت تقدمها ونموها.

وفي الدعوة إلى التجـديد الديني، كان الخلاص من جاهلية العـصر الحديث في شبـه الجزيرة، وفي الدولة التي قامت عـلى المنهج الإلهي قوية وموحـدة، كان الخلاص من الـتخلف الحضـاري، وانفتـاح الطريق أمام التـقدم والنمـو في الدولة السعودية.

لقد عمل الداعية المجدد الإمام محمد بن عبدالوهاب -رحمه الله- (١١١٥/ ١٢٠٦هـ - ١٧٠٣/ ١٧٩٢م) في تجديـد الدعوة إلى الله سـبحانه وتعـالى، على بصيـرة، بعد أن ساءت الأحوال في شـبه الجزيرة، وفي نجد بالذات سـاد الانحلال والخروج على أحكام الشريعة، وضعف العلماء أمام سطوة الشر وقوة الباطل وكثرة أعوانه.

وقد نشأ الشيخ في بيت علم وفضل، وأورثه ذلك رغبة صادقة في إقامة أحكام الدين، وتطبيق فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد لقى في بداية أمره مشقات عديدة.

وليس هذا مجالاً لتفصيل حياة الشيخ وجهاده في مجتمع تسوده الضلالة، وتنتشر فيه البدع، ويعم فيه الخروج علي أحكام الشريعة، ولا يقوم فيه أمير مطاع.

وكانت تلك الحال دافعاً للشيخ على أن يستعين بأمير قوي، يساند دعوته، فلجأ إلى أمير العيينة عام ١١٥٧هـ/ ١٧٤٤م فعاونه في أول الأمر، ولكنه لم يستقم على منهج الدعوة، فترك الشيخ بلدة العيينة إلى الدرعية، وهيأ الله له أميرها الإمام محمد بن سعود - رحمه الله - الذي كان معروفاً باستقامة الدين ونبل الأخلاق، والرغبة في الإصلاح.

وتعاون الشيخ المجدد مع الأمير الذي منح دعوة الشيخ كل تأييد وعون، فاتسعت الدعوة، وامتدت إلى نواحي نجد كلها، ثم إلى خارج حدود نجد، ولم يكن ذلك هيناً ولا ميسراً، بل كانت دونه المشقات والحروب والغزوات، وفي عام (١٢٠٦هـ) توفي الشيخ المجدد الإمام محمد بن عبدالوهاب، رحمه الله، بعد أن انتشرت دعوته في شبه الجزيرة، وقامت فيها الدولة السعودية بجهد الأمير الإمام محمد بن سعود وخلفائه، وهي تجربة فريدة ووحيدة في العالم الإسلامي كله في العصر الحديث.

لقد قامت دولة الدعوة، وتحقق علي نحو كامل وظاهر أن الإسلام دين ودولة، وهي حقيقته منذ ظهوره، وتأسس في هذه المملكة الارتباط الوثيق بين الدعوة والدولة وهو الارتباط الذي يميز المملكة بين دول العالم الإسلامي في هذا العصر.

وفي كلمة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز -حفظه الله- بمناسبة صدور النظام الأساسي للحكم سنة (١٤١٢هـ): أن المملكة العربية السعودية التزمت في مختلف مراحلها منهج الإسلام، حكماً وقضاءً ودعوة وتعليماً، وأمراً بالمعروف، ونهيا عن المنكر، ونهياً عن المنكر، وأداءً لشعائر الله.

وفي نصوص النظام: أن الحكم في المملكة العربية السعودية، يستمد سلطته من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وهما الحاكمان على النظام وجميع أنظمة الدولة.

وفي المادة الثالثة والعشرين من النظام: تحمي الدولة عقيدة الإسلام، وتطبق شريعته، وتأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر، وتقوم بواجب الدعوة إلى الله.

ولقد قام الأساس الراسخ لهذه الدولة بالتعاون والتناصر والتآزر بين دعوة التجديد للدين على يد الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب، وبين إقامة حكم الشريعة على يد الأمير الإمام محمد بن سعود، رحمهما الله، ونشأت الدولة السعودية في العصر الحديث على أقوم المناهج، وجمعت بين هدي القرآن الكريم، وقوة السلطان، وكانت تلك النشأة القويمة للملكة، فاتحة لما تلاها بعد ذلك من توحيد المملكة تحت راية الإسلام، وبداية لنهضة حضارية بدأ ظهورها على يد الملك المؤسس عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود رحمه الله.

لقد توحيد المملكة في عهده، لتعود قلب الجزيرة وأكبر ممالكها ودولها، وموئل الحرمين الشريفين، وقبلة المسلمين جميعاً.

وفي عهد خلفائه العظام، استمرت النهضة العمرانية في أرجاء المملكة، وتوطدت مكانتها بين دول العالم، وتوجه النظر إليها باعتبارها تطبيقاً معاصراً للنموذج الإسلامي في الحكم والتشريع والاجتماع والسياسة الشرعية في تحقيق مصالح الناس بما يجعل المجتمع أقرب إلى الصلاح وأبعد عن الفساد، وهو جوهر السياسة الشرعية، كما يقول ابن عقيل الفقيه الحنبلي.

ومن أهم الخصائص السكانية في المملكة العربية السعودية، تجانس شعب المملكة عرقاً وديناً، ولغةً وثقافة، بما لا يتوافر لغيره من شعوب، المنطقة، وهو تجانس كامل يوفر وحدة الأهداف والغايات والجهود، ويستبعد مخاطر الفرقة والانقسام.

وثمة خصائص دينية، تميز المملكة العربية السعودية بين البلاد الإسلامية كلها في مشارق الأرض ومغاربها، وهي في حقيقتها نعمة إليهة، اختص الله بها أرض المملكة منذ فجر التاريخ الإنساني وإلى أبد الدهر، وهي أن أرض المملكة قام فيها أول بيت وضع للناس، يقول الله تعالى:

«إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدى للعالمين».

فأرض المملكة، تضم أول بيت لعبادة الله وحده لا شريك له، رفع قواعده، كما ورد في القرآن الكريم، إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام:

«و إذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل».

وإبراهيم عليه السلام، يبدأ به تاريخ الشرائع السماويةالكبرى في مسيرتة البشرية والتي كان رسولها الأعظم خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم.

ومن وجود أول بيت لعبادة الله في أرض المملكة، ووجود مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم بها، استمدت المملكة على طول التاريخ الإسلامي موقعها المتميز بين البلاد الإسلامية، وقدرها في نفوس المسلمين في العالم كله، قال الله سبحانه وتعالى على لسان إبراهيم عليه السلام في دعائه:

«واجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم».

ولقد كان لهذه الخصيصة، أكبر الأثر في أن تظل أرض المملكة مقصداً لمئات الملايين من المسلمين على امتداد تاريخ الإسلام، للحج والعمرة وزيارة مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم، فيبقى اتصال المسلمين بها دائماً، وتواصلها معهم باقياً على امتداد القرون، وظل البيت وما حوله آمناً، تحقيقاً لقول الله تعالى:

«وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا».

وتذكيراً بنعمة الله علي أهل هذه المملكة بالأمن يقول الله تعالى:

«أولم يروا أنا جعلنا حرماً آمناً ويتخطف الناس من حولهم».

ومن قبيل التذكير بنعمة الله وعرفان الفضل لأهله، ينبغي القول بأن ما تنعم به المملكة من أمن وسلام في العصر الحديث، يرجع إلى جهد الدولة السعودية التي وضع أساسها الإمام محمد بن سعود -رحمه الله- عام (١١٧٩هـ/ ١٧٦٥م) وجهود خلفائه من بعده، والذين بذلوا أعظم الجهد في تأمين أداء فريضة الحج، ثم جاء عهد مؤسس المملكة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود -رحمه الله- والذي بدأ باسترداد مدينة الرياض سنة (١٣١٩هـ/ ١٩٠٢م) وفي عهده -رحمه الله- تمت نعمة الأمن على أهل المملكة والقاصدين إليها لأداء ركن الإسلام في الحج وأداء العمرة وزيارة مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم،وقبل عهده المبارك -رحمه الله- كان أداء فريضة الحج مغامرة ومجازفة كبرى، وكان الناس يحذرون الحجاج من خطر الطريق بقولهم: (الذاهب للحج مفقود والعائد منه مولود) كما ذكر خير الدين الزركلي في كتابه (حالة الأمن في عهد الملك عبدالعزيز) فلما توحدت المملكة تحت حكمه -رحمه الله- انبسط الأمن في ربوع المملكة كلها، وكان ذلك أهم مقاصد الملك المؤسس، كما يبدو في خطابه إلى المواطنين سنة (١٣٤٤هـ) وقد جاء فيه:

«إن البـلاد لا يصلحهـا غيـر الأمن والسكون، لذلك أطلب من الجمـيع أن يخلدوا للسلامة والطمـأنينة، وإني أحذر الجميع من نزغات الشيـاطين والاسترسال وراء الآراء التي ينتج عنها إفساد الأمن في هذا الديار، فإني لا أراعي في هذا الباب صغيراً ولا كبيراً، وليحذر كل إنسان أن تكون العبرة فيه لغيره».

ولقد كـانت مهمـة الأمن في المملكة الواسعـة الأرجاء والمترامـية الأطراف، مهمة شـاقة، نهض بها الملك المؤسس عبدالعزيز -رحمـه الله- وتابعها بكل العناية والرعيـاة أبناؤه من بعده، وهذا النجـاح ظاهر للجمـيع داخل المملكة وخارجـها، ونشير إلى الندوة العلمية لدراسة تطبيق التشريع الجنائي الإسلامي وأثره في مكافحة الجريمة، والتي عقدت بالرياض سنة ١٣٩٦هـ) يقول -دي جانيرو- رئيس لجنة الأمم المتحدة لمكافحة الجريمة:

«إن المملكة العربية السعودية قد أوضحت لنا، ونجحت في ذلك، أن الشريعة الإسلامية قادرة بدرجة كبيرة جداً علي مكافحة الجريمة، أو على الأقل توسيع مدى الأمن، وأن هذه المهمـة يمكن أن تلخص في كلمـة واحدة، هي أن المملكة العـربية السعـودية، قد نجـحت في كفاحـها هذا، لكي تحـصل على الأمن بطريقة إيجـابية وقانونية في بلادها».

وفي هذا العالم الذي يبدو فيه تحـقيق الأمن للناس والقضاء على الجريمة في كثيـر من البلاد المتمدينة، مطلبـاً عسيراً، حـتى مع سعة العيش وانتشـار التعليم، استطـاعت المملكة أن تحقق ذلك على أسـاس المنهج الذي يضمـن النجاح وتحـقيق الهدف، وهو المنهج الذي يجمع بين هدي الـقرآن وقوة السلطان، وهو منهج ظاهر فيما أشرنا إليه من كلمات الملك عبدالعزيز رحمه الله.

ومن الخصائص التي تتميز بها المملكة في هذا العصر، أنها تجعل الدعوة إلى الله هدفاً رئيساً وغاية دينيه ودنيوية لها.

إن الدعوة إلى الله عـز وجل، ليست مجـرد عمل تقوم به الدولة السـعودية إلى جانب الأعمال العديدة التي تتولاها الدولة في العالم المعاصر، ولكنها تبدو في نظام الحكم الأساسي رسالة أمة ودعوة دولة. لقد قـامت الدولة السعودية منذ نشأتها لحـماية الدعـوة إلى الله، مما ران عليـهـا من جمـود ومـادخل عليـها من ضـلال وانحراف، بسبب الابتعاد عن أحكام الشريعة الإسـلامية وبسبب التخلف الحضاري في شبـه الجزيرة العربيـة عامة في مطلع القـرن الثاني عشـر الهجري، وكـان نجاح الدولة منذ نشأتها مقترناً بنشـر الدعوة إلى الله على بصيرة في ربوع المملكة، وكان لتلك النشأة، أثرها في اعـتبار الدعوة إلى الله على بصيـرة من أعظم الغايات التي تسعى الدولة إلى تحـقيقـها، وذلك في العصر الحـديث الذي ابتعدت فـيه الدول، ونظم الحكم عامة عن الدين منـهجاً وطريقاً للتقدم، وعلـى الرغم من انتشار الفكر السياسي الوضعي، والذي يحاول جاهداً إبعاد الدين عن مجالات حياة الإنسان في المجتمع، فإن المـملكة -نظراً للنشأة الفريدة التي قامت على أساسـها، وهي اقتران هدي القـرآن الإلهي بالسلطان السـيـاسي، وكذلك بـسبب مـحـافظة حكام الدولة السعودية وولاة الأمور فيها على هذه الميزة التي تنفرد بها المملكة في العالم المعاصر -اتخذت الشريعة الإسـلامية مصدراً وحيداً للتـشريع، ولسياستهـا العامة في جمع المجالات.

إن الشـريعة تمثل المنهج التـشريعي الأصـيل والوحيـد في كل ما يصـدر في المملكة من أنظمة في شؤون الحـياة المختلفة، وكذلك يقـوم القضاء في المملكة على تطبيق أحكام الشريعة فروعاً وأصولاً وقواعـد كلية، والسياسة العامة للملكة داخلياً وخارجياً تستلهم المنهج الإسلامي في قيمه الأساسية ومبادئه الكلية.

ومن ناحية أخرى فقد أراد الله أن تتـجنب المملكة في العصر الحديث حركة التغريب الثقافي والاجتماعي التي انتـشرت في البلاد العربية شرقاً وغرباً، وشملت أنحاء العالم الإسلامي كله في آسـيا وأفريقيا، فقد ترتب على خـضوع معظم البلاد

العبرية للنفوذ الغربي في القرن التاسع عشر، أن سادت ثقافة الغرب وأسلوبه في الحياة الاجتماعية لأن الغالب يفرض ثقافته، ولأن المغلوب يلجأ إلى تقليد الغالب، كما ذكر ابن خلدون في مقدمته الشهيرة، لظنه أن ذلك يخلصه من ضعفه وتخلفه، وقد أفلتت المملكة من هذا التحول الثقافي والاجتماعي البعيد عن جوهر الإسلام في غاياته وأساليبه ومظاهره، ولم تخضع أرض المملكة لسلطان غير إسلامي يفرض عليها هذا التحول أو يزينه لها، وقد أدرك الملك المؤسس عبدالعزيز -رحمه الله- أهمية التمسك بالمنهج الإسلامي عقيدة وقيماً اجتماعية ودينية، ونبه إلى ذلك في العديد من أقواله، ففي خطاب ألقاه أمام كبار الحجاج في مكة المكرمة سنة (١٣٥٤هـ) قال - رحمه الله -:

«يقول كثير من الناس: يجب أن نتقدم في مضمار المدنية والحضارة، وأن تأخرنا ناشيء عن عدم سيرنا في هذا الطريق،وهذا ادعاء باطل، فالإسلام قد أمرنا بأخذ ما يفيدنا على شرط ألا يفسد علينا عقيدتنا وشيمنا، فإذا أردنا التقدم فيجب أن نتبع الإسلام، وإلا كان الشر كل الشر في اتباع غيره».

وعلى هذا النهج، سار أبناؤه،وفي الوقت الذي انخدعت فيه بعض الأنظمة في كثير من الدول العربية والإسلامية بالمذاهب الباطلة، كالشيوعية الماركسية والاشتراكية والعلمانية، وظنت أنه طريق التقدم والنمو لشعوبها، نجد الملك فيصل - رحمه الله- يجيب على سؤال وجه إليه من صحيفة إنجليزية شهيرة هي (التايمز) عن سبب مقاومته للشيوعية ولم ينل المملكة منها ضرر، فيقول -رحمه الله-:

«وهل ما أصاب إخواني المسلمين منها قليل، وهل الشرط لأن أحمل السلاح وأخوض المعركة أن يكون قد أصابني بعض الشيء في حين أن أبناء الأمة الإسلامية الواقعين تحت سطوة البطش الأحمر، قد أصابهم كل شيء، وهم جميعاً إخواني وأهلي، والمسلم للمسلم كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً».

وبذلك استقر المنهج الإسلامي كله في المملكة لا يزاحمه غيره، وكانت قوته وتمسك ولاة الأمور به، كـافية لطرد كل مذهب باطل، ومنعـه من التسلل إلى فكر الناس وحياتهم، وقد رفضت المملكة كل دعوى للتعصب لمذهب فقهي، أو عنصرية عرقيـة، أو حزبية، وفي خطاب للملك فيصل -رحـمه الله- في موسم الحج سنة (١٣٨٨هـ) يبدو هذا المعنى واضحاً وقاطعاً، يقول -رحمه الله-:

«نريدها غضـبة ونهضة إسـلامية إلى الجهـاد في سبيل الله، في سـبيل ديننا وعقيدتنا دفاعاً عن مقـدساتنا وحرماتنا، وهذا هو الطريق الحق لكل من يرجو لأمة العرب والإسلام التقدم في الحياة».

ونأتي إلى أواخر القرن العشرين الميلادي، فنجد أن منهج المملكة، يبدو أمام غالب المسلمين في العالم أجـمع، هو الطريق الأقوم والأرشد، ذلك أنه في الوقت الذي خسرت فيه شعوب كثـيرة في العالم الإسلامي من جراء اتباع المذاهب الباطلة والجري وراء دعـاوي القوميـة العنصرية والحزبيـة، فإن المملكة أصابت من التـقدم الحضاري والاستقرار السياسي والاجتماعي والنمو الاقتصادي مالم يتوفر أقله لدول إسلامية عديدة جربت المذاهب البـالطلة، وتقلبت في ضلالها، وباءت بالخسران في اقتصـادها، واضطربت مجتمـعاتها سياسـياً واقتصادياً، ولم يخـلصها من الأوهام والتخبط الفكري والسياسي سوى ما قضى به الله عز وجل من اندحار هذه المذاهب على أيدي أصحابها ودعاتها في السنوات الأخيرة من هذا القرن.

لقد ترتب على استـمساك المملكة منذ نشأة الدولة السعـودية بالكتاب العزيز والسنة النبوية المطهرة، منهجاً لحياتها، وطريقـاً وحيداً للتقدم والنمو، أن تحقق وعد الله تعالى للمؤمنين:

«الذين إن مكناهم في الأرض أقـاموا الصـلاة وآتوا الزكاة وأمروا بـالمعروف ونهوا عن المنكر».

فإذا بالمملكة بعد توحيـدها على يد الملك المؤسس عبدالعزيز - رحمه الله - ابتداء من عام ١٣١٩هـ (١٩٠٢م) تسرع الخطى في النمو الاقتـصادي والاجتماعي، لا سيما بعد أن آفاء الله عليها من الثروات في باطن الأرض وظاهرها.

لقد بدأت نهـضة المملكة على آثر توحيدها، لتكون الدولة الكـبرى والمركزية في شبـه الجزيرة العربيـة، وكانت خدمـة الحرمين الشريفين من أهم المقـاصد لدى حكام الدولة السعوديـة، فقد وضع مشروع الملك عـبدالعزيز لتوسعـة الحرم النبوي الشـريف، وكذلك توسـعة الحـرم المكي، وبوشـر العمل بجـد ونشاط حـتى تمت التـوسعة واسـتمـر التحـسين والتطوير في الخـدمات التي تقـدم لحجـاج بيت الله والمعتمرين، حتى كان عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز -حفظه الله- فـوضعت خطة لأكـبـر توسعـة في تاريخ الحرمـين الشريفين، وفي التـاريخ الإسلامي كله، وبدأ التنفيذ عام ١٤٠٩هـ.

لقد اتسع الحرمان الشريفان اتسـاعا هائلاً للقائمين والطائفين والركع السجود من مسلمي الأرض، فضـلاً عن اليسر في أداء الشعائر ومـناسك الحج بما لم يعهده السابقون الأولون في أداء الفريضة، وتمت التوسـعة للحرمين الشريفين على أحدث ما استجد من منجزات العصر، ولم تدخر المملكة جهداً ولا نفقة في خدمة الحرمين الشريفين، وتعظيم شـعائر الله على أرضهـا،وهذا أول ما يذكر كعنوان لنهـضة بلد إسلامي شرفـه الله بأول بيت وضع للناس في مكة المكرمة وبمسجـد الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة المنورة.

أما مظاهر النهضة في حـياة المملكة وشعبها، فهي واقع يعيـشه الناس، فقد خصصت أموال طائلة لتعـمير البلاد وإقامة العمران في أرجـائها، واستغلت عوائد الثروات التي أنعم الله بهـا على المملكة في إقامة بنيـة أساسية قوية تلـبي حاجات الحاضر وآمال المستقبل.

لقد أنشئت وعبدت طرق واسعة تتجاوز أطوالها عشرات آلالاف من الأميال داخل المملكة، وأعطى حكام المملكة العربية السعودية للأمن أهمية كبرى منذ أقام أركانه الملك المؤسس، فأظل المملكة وأهلها أمن شامل طوال العام، تمتع به المقيمون على أرضها وحجاج بيت الله، وامتدت خدمات الماء والكهرباء والهاتف، وتقدمت وسائل الاتصال والانتقال في ربوع المملكة، بما يضارع أرقى الأمم في هذا المجال، وكان للإنسان السعودي نصيبه الكبير من خدمات التعليم والتثقيف والرعاية الصحية والاجتماعية بصورها وأساليبها المختلفة.

إن تعداد مظاهر الرقي والتقدم الحضاري والتنمية البشرية في المملكة، يحتاج إلى جهد كبير في تفصيله في شتى نواحي الحياة، وليس هذا مجال التعداد والتفصيل الذي يظهر في خطط الدولة التي يتم تنفيذها كل خمس سنوات، والتي تنشر تأصيلاً وتفصيلاً بأهدافها ووسائلها على المواطنين، ولكن ثمة علامات مضيئة في خطط التنمية التي تتبعها المملكة، يمكن أن نوجزها في ارتباط هذه الخطط بمنهج إسلامي واضح، وتوجهها إلي خدمة الإسلام والمسلمين من شعب المملكة، وحتى خارج حدودها.

ويمكن الإشارة إلى إنجازات لها قيمتها الإسلامية والحضارية، وتمثل طفرة في بناء الإنسان السعودي على هدي الدين، لقد عمرت مدن المملكة بالجامعات التي تقوم على خدمة علوم القرآن والسنة، والجامعات التي تنمي معرفة الإنسان في مجالات الحياة كلها، وتخدم أهداف التنمية والتربية معاً، إن نظرة واحدة إلى الأعداد والأرقام التي تظهر في خطط التنمية في مجالات التعليم والتربية، وفي الإنتاج والخدمات الاجتماعية، تكشف عن توجه إسلامي وحضاري يحقق نتائجه عاماً بعد عام، ويحمي البلاد من التقلبات الاقتصادية والاجتماعية التي تصيب كثيراً من دول العالم الإسلامي التي فقدت أو فرطت في هويتها الإسلامية، واختل منهجها في التنمية التي يعتبر الإنسان غايتها ووسيلتها أيضاً.

ومن بين أهم الإنجازات التي تحققت في عهد خادم الحرمين الشريفين، خدمة لكتاب الله العزيز، ونشراً للدعوة في العالم كله، إنشاء مجمّع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف في المدينة المنورة، ولم يسبق في التاريخ الإسلامي -ومنذ عهد الطباعة الحديثة- أن توفرت مؤسسة للطباعة والنشر بمثل هذه الإمكانيات والقدرات لخدمة كتاب الله، طباعة ونشراً في بلاد العالم كله على اختلاف اللغات.

وكتاب الله، هو أساس التقدم الحضاري في المملكة، ومنهجه القائم والدائم إن شاء الله.

ولقد صدر نظام الحكم في المملكة في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز -حفظه الله- بتاريخ ١٤١٢/٨/٢٧هـ وحفلت مواده ونصوصه بإيضاح المنهج والدستور الذي تقوم عليه المملكة.

فهو بحسب المادة الأولى من نظام الحكم: «كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم». ومبايعة ولي الأمر للحكم كما تنص المادة الخامسة: «على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم».

ومقومات المجتمع السعودي الواردة في الباب الثالث من النظام، مستمدة من الإسلام وشريعته، والدولة تحمي عقيدة الإسلام، وتطبق شريعته، وتحمي حقوق الإنسان وفق الشريعة الإسلامية، وتأمر بالمعروف، وتنتهى عن المنكر، كما ورد في نصوص نظام الحكم في المملكة.

وبذلك التوجه في نظام الحكم، فإن المملكة تتبع كتاب الله تعالي وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، تأصيلاً وتطبيقاً في كل جهودها، وتقيم سياستها داخلياً وخارجياً بحسب هذا التأصيل، وباختبار أفضل السبل لتطبيقه في شتى نواحي الحياة، والتنمية في المملكة توصف بحق بأنها تنمية للإنسان على هدى الإسلام.

وليس من السهل، أن نذكر مظاهر خطط التنمية ونتـائجها، التي تمثل نهضة المملكة ونقلتهـا الحضارية الكبيرة منذ عـهد الملك المؤسس عبدالعـزيز -رحمه الله- حتى عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز -حفظه الله- ويكفي في ذلك مجرد الإطلال على هذه الخطـط، وبها بيان المنشآت التي قامت لخـدمة شعب المملكة في مـجالات حـياته المخـتلفة، سـواء في الإنتاج أو الخـدمات التي تـقدم للمواطنين، وصور الرعاية في التعليم والصحة والتنـمية الاجتماعية، وكل ذلك يتم وفق منهج واضح أشد الوضوح، يبدو في السطور الأولى من خطط التنمية، ليست تنمية مادية فحسب كما تتجه معظم دول العالم، ومنها دول إسلامية، ولكنها تنمية للبشـر وقدراته وطاقاته في إطار الإسـلام وأصوله ومبـادئه، تنمية تجـمع بين النمو الاقـتصـادي والرقي الإنسـاني في جمـيع صـوره، نمو العـقل والنفس على هدى الإسلام، ولذلك تجنـبت المملكة، إلى أعظم حد، السلبـيات التي تصـاحب النمو الاقتـصادي، في غالب دول العالم، لا سـيما إذا كـان مثل هذا النمو الاقتـصادي طفرة كبرى بمقاييس الحساب والاقتصاد وحدهما، فلم يصاحب نمو المملكة وتقدمها وارتفاع مستوى المعـيشة فيها، فساد كبـير، ولا خروج على المنهج الإسلامي الأقوم والأرشد، والطريق الذي اختاره الله تعالى للمؤمنين فـي حياتهم أفراداً وجماعات، وتعي حكومة المملكة هذه الحقيقة، فهي لاتدخـر وسعًا ولا نفقة فى تنمية البلاد في مجـالات الصناعة والتـجارة والخدمـات، مع المحافظة على أصالة شـعب المملكة، وصيانة قيمـة الدينية والاجتماعية الرفيعة، حـتى تتجنب المملكة الآثار السلبية لكل تنمية في مظاهر الحياة المادية، تهمل أو تتغـافل عن القيمة الكبرى في الحياة، وهي للإنسان الذي كرمه الله عز وجل.

المملكة العربية السعودية

والعالم الإسلامي المعاصر

فرضت الظروف التـاريخية والسياسـية الدولية في القرن الميـلادي العشرين، واقعاً قاسياً على الأمة الإسلامية كلها

كان الاسـتعمار العـالمي الذي قادته في المنقطة العربيـة إنجلترا وفرنسـا اللتان تقاسمتا دول المنطقة تقريباً في احتلال الأراضي، أو بسط النفوذ واستغلال الموارد.

ولـم تكن الدول الأفريقية الإسلاميـة بمنأى عن الاستعمار الأوروبي، بل كان فيها أشد وأنكى، لما كان يسود هذه الدول مـن تخلف حضاري مضى عليه عشرات السنين تحت وطأة الاستعمار الغربي.

وفي بلاد آسيا، كانت الدول الإسلاميـة تعاني من تسلط الغرب، ومحاولة نزع الهوية الإسـلامية، والنزاعات الطائفيـة بين السكان مختلفي الأعـراق والعقائد واللغات، كما كان الحال في شبه القارة الهندية.

ولم تكن الأمة الإسلامية الواحدة، تملك من أمر نفـسها شيئاً، فهي إما دول ترزح تحت نير الاسـتعـمار، أو يسودها نـفوذه السيـاسي والاقتـصادي، ولم تكن الأقليـات المسلمة في بالد الغـرب، ذات وزن سيـاسي أو اقتصـادي في أوائل هذا القرن، ولا تكاد توجد رابطة بين هذه الأقليـات وبين الدول الإسلامية التي لم تكن في حال يسـمح لها بالاهتـمام بغـيرها، أو أداء واجب التناصـر والتكافل مع هذه الأقليات، إزاء ما تعانيه من شقاء في بلاد لا تعـترف لها بهويتها، ولا تحرص على قيام علاقات سوية مع دول العالم الإسلامي الواقعة تحت النفوذ السياسي لها.

ومن فضل الله تعالى على المملكة العربية السعودية، أنها منذ بداية القرن الميلادي العشرين بدأت أولى خطوات تقدمها، ففي بداية القرن، وفي سنة ١٩٠٢م استرد الملك المؤسس عبدالعزيز -رحمه الله- عاصمة ملكه الرياض، وخلال سنوات من الكفاح والجهاد والتوحيد، قامت على يديه المملكة الموحدة سياسياً، وهو وضع لم يكن قائماً في شبه الجزيرة العربية منذ مئات السنين، ولم تسقط المملكة في يد الاستعمار الغربي الذي ران على غالب البلاد في المشرق والمغرب عشرات السنين، واحتفظت المملكة بهويتها الإسلامية ظاهرة واضحة، منذُ نشأتها الأولى، وبعد توحيدها على يد الملك عبدالعزيز، رحمه الله، إذ كان يدرك كل الإدراك، أن الحفاظ على هذه الهوية سياسياً واجتماعياً واقتصادياً، هو السبيل الوحيد لنجاتها مما أصاب العديد من البلاد العربية التي دخلها الاستعمار بجيوشه، وترك فيها بعد جلائه عنها عناصر التغريب الثقافي والاجتماعي، التي تهدد هويتها الإسلامية، وتقوى نوازع التعصب القومي والإقليمي بينها، وقد عملت هذه العناصر على إضعاف الأمة الإسلامية الواحدة.

وبعد زوال الخلافة العثمانية في بداية القرن العشرين (١٩٢٤م) قامت البلاد العربية على الأساس القومي كرابطة سياسية، وشجع الغرب ذلك الاتجاه، وحاول تنميته بكل السبل، وبإيجاز انتهت الرابطة السياسية الإسلامية في المشرق والمغرب العربي، وإن ظل بعض المسلمين يكافحون في بلادهم من أجل بقاء تلك الرابطة والحفاظ على الهوية الإسلامية، بل إنه من الثابت تاريخياً أن حركات التحرر ومقاومة التسلط الاستعماري الغربي، كانت تقوم في غالب الأحيان على استنهاض قوى الإسلام في شعوب المشرق والمغرب، ظهر ذلك في مقاومة الاستعمار الإيطالي في ليبيا على يد السنوسية، ومقاومة الاستعمار الفرنسي في المغرب العربي على يد الأمير عبدالكريم وجماعة علماء المسلمين في المغرب، وفي السودان على يد المهدية، وفي مصر على يد مؤسسة إسلامية عريقة، هي الأزهر في العقود الأولى من القرن العشرين.

وفي ذلك الوقت، كانت تقوم في شبه الجزيرة العربية، مملكة موحدة على يد الملك عبدالعزيز -رحمه الله- تتخذ الكتاب والسنة النبوية أساساً لكيانها السياسي، والإسلام ·عقيدة وشريعة- منهجاً اجتماعياً وحيداً لشعبها، وتقيم علاقاتها مع دول العالم الإسلامي على أساس الأخوة الإسلامية، بحسب قول الله تعالى:

«إنما المؤمنون إخوة».

وعلى هدي من وحدة الأمة التي جاءت في القرآن الكريم:

«إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون».

كما أقامت علاقاتها السياسية مع دول العالم على قواعد مستمدة من أصول الشرع وتوجيهاته، فهي تعتز بالإسلام انتماء، وتنشره دعوة عالمية، وتقيم التكافل بين المسلمين، الدول والأقليات الإسلامية، وتدافع عن قضاياهم،وتسهم مع دول العالم والمنظمات الدولية في حفظ السلام العالمي.

ويلخص جوهر السياسة الخارجية بالنسبة للمسلمين في العالم، والتي تعتبر مسلمي العالم أمة واحدة، عبارة يمتزج فيها حكم الشرع مع حكمة السياسة في خطبة ألقاها الملك عبدالعزيز -رحمه الله- بمدينة جدة، قال فيها:

«إن علينا للدول الأجنبية المحترمة حقوقاً، ولنا عليهم حقوق، لهم أن نفي بجميع ما يكون بيننا وبينهم من العهود: «إن العهد كان مسؤولا».

وأما حقوقنا على الدول، ففيما يتعلق بهذه الديار، نطلب منهم أن يسهلوا السبل إلى هذه الديار المقدسة للحجاج والزوار والتجار والوافدين، ثم إن لنا عليهم حقاً فوق هذه كله، وهو أهم شيء تهمنا مراعاته، ذلك أن لنا في الديار النائية والقاصية إخواناً من المسلمين والعرب نطلب مراعاتهم وحفظ حقوقهم».

وأضاف - رحمه الله -:

«لي الأمل في الحكومات المحترمة ذات العلاقة بالبلاد الإسلامية والعربية، ألا تدخر وسعاً في أداء ما للعرب والمسلمين من الحقوق المشروعة في بلادهم».

وبهذه الكلمات الصادقة والصادرة من قلب ملك مسلم، وضع أساس عتيد من أسس العلاقات الدولية بين المملكة وبين دول العالم، لا تزال المملكة تسير عليه حتى الآن.

وقبل أن نذكر جهود المملكة العربية السعودية في العالم الإسلامي، يهمنا أن نشير إلى أن ذلك يرتبط ارتباطاً وثيقاً بمركز المملكة الدولي، والذي تطور بخطوات سريعة منذ بداية حكم الملك المؤسس عبدالعزيز -رحمه الله- وتابعه أبناؤه بكل الالتزام والاهتمام.

إن المملكة، عضو هام في منظمة الأمم المتحدة منذ نصف قرن تقريباً، وتسهم بقدر كبير من الجهد والمال في وكالات الأمم المتحدة المتخصصة، لا سيما الوكالات التي تعنى بشؤون التنمية البشرية والاقتصاد العالمي -وكمثال على ذلك- يمكن أن نورد جانباً من إسهامات المملكة على المستوى الدولي في مؤسسات التنمية الدولية:

يبلغ إسهام المملكة في البنك الدولي ١,٠٣٢,٧٦٤,٠٠٠ دولار أمريكي بنسبة ٣,٣٢٪ من رأس مال البنك.

وفي هيئة التنمية الدولية ١,٦٦٥,٧٠٠,٠٠٠ دولار أمريكي بنسبة ٣,٥٪.

وفي موسسه التمويل الدولية ١٧,٦١١,٠٠٠ دولار أمريكي بنسبة ١,٣٧٪.

وفي صندوق النقد الدولي ١,١٦٣,١٢٠,٠٠٠ دولار أمريكي بنسبة ٣,٦٪.

وتسهم المملكة في الصندوق الدولي للتنمية الزراعية بملغ ٣٣٣,٧٧٨,٠٠٠ دولار أمريكي بنسبة ١٤,٢٦٪ من رأس المال.

وهي نسب عالية بالمقارنة إلى ما تسهم به الدول الأخرى.

فالمملكة باعتبارها عضواً هاماً في المنظمة الدولية، تقدم مساعدات للتنمية الزراعية والصناعية في بلاد العالم، التي تحتاج إليها في إطار التعاون الولي، وتخص المملكة الدول الإسلامية الفقيرة في إفريقيا وآسيا بمساعدات أخرى عن طريق المنظمات الإقليمية والإسلامية، وتزيد هذه المساعدات بالنسبة للبلاد العربية بالذات.

إذ المملكة دولة محورية ومركزية في العالم العربي والإسلامي فهناك الصندوق العربي للإنماء الاقتصادي والاجتماعي، وتبلغ نسبة إسهام المملكة في رأس ماله ٢٢,٩٪، وصندوق النقد العربي، ونسبة إسهام المملكة في رأس ماله ١٤,٥٪، والمصرف العربي للتنمية الاقتصادية في إفريقيا، تبلغ نسبة إسهام المملكة فيه ٢٤,٤٪، وهناك الصندوق العربي للمعونة الفنية للدول الإسلامية والإفريقية ونسبة إسهام المملكة فيه ٢٢,٦٪.

إن هذه الأرقام تكشف عن جهد المملكة الكبير في تنمية الاقتصادالعالمي، ومد يد العون للدول النامية على المستوى الإسلامي والعربي والدولي، وهو عمل يقاس بنسبة مشاركة المملكة في مؤسسات التنمية والمساعدة للدول النامية، وأكثر من ذلك، يقاس بالباعث النبيل الذي يدفع إلى هذه المشاركة القوية، وهو باعث إسلامي وعربي وإنساني.

إذ المملكة لا تقصد من وراء إسهاماتها الفعالة الضغط على دولة من الدول، أو اكتساب نفوذ سياسي فيها، بقدر ما تستهدف تنمية المجتماعات العربية والإسلامية التي تحتاج إلى مزيد من التنمية لشعوبها.

وعلى المستوى الإسلامي، فإن المملكة من مؤسسي منظمة المؤتمر الإسلامي، بل هي الدولة الأقوى تأثيراً في قيام المنظمة بعملها وخدمتها للمسلمين، ومن خلال مؤتمرات القمة الإسلامية، والقرارات التي أصدرها المؤتمر، تمت إنجازات كبيرة في التعاون الإسلامي مع الدول الإسلامية في بلاد العالم.

ومثال ذلك البرنامج السعودي لحفر الآبار والتنمية في إفريقيا الذي استفادت منه دول الساحل الأفريقي التي تضررت من الجفاف: (غينيا- جامبيا- مالي- موريتانيا- السنغال- النيجر- تشاد- وغيرها من الدول الإسلامية) وقد رصد لهذا البرنامج ٣٨٢ مليون ريال، ازدادت مع اشتداد حالة الجفاف في اثنتين وعشرين دولة أفريقية، إلى ١٣٧٣ مليون ريال.

كما أسهمت المملكة في علاج مشكلة اللاجئين في إفريقيا خاصة في بلاد إسلامية كالسودان والصومال وتشاد بأكثر من مائة وسبعين مليون ريال، إضافة إلى ما تسهم به المملكة لهذه الأغراض من خلال المنظمات الدولية، وأسهمت المملكة في الإغاثة من الكوارث الطبيعية التي تلم بالدول الإسلامية، مثل الزلزال الذي ضرب مدينة الشليف بالجزائر، والأعاصير التي تعرضت لها مدغشقر وجزر القمر.

واستفاد من المبالغ التي تقدمها المملكة لهذا الغرض الإنساني، ثلاث وثلاثون دولة، منها الجزائر وتونس والسودان والصومال ونيجيريا والسنغال وتشاد، واليمن وباكستان وإندونيسيا وأفغانستان وبنجلادش والمغرب والعراق وإرتيريا وفلسطين وماليزيا وإيران وسوريا، وغيرها من البلاد.

وفي هذه المساعدات، شاركت اللجان التي شكلت في المملكة لجمع المعونات الإنسانية في توفير الأموال لهذا الهدف الإنساني والإسلامي، وأسهم مواطنوا المملكة في إظهار روح التعاون والتكافل الإسلامي نحو إخوانهم في الدين بتقديم المساعدات المالية والعينية.

وكان لنداء خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز، وسبقه إلى تقديم المعونة أثر كبير في حث المواطنين على فعل الخير، لا سيما فيما أصاب السودان في أواخر عام ١٤٠٨هـ من فيضان جارف أضر بالبلاد والعباد.

وفضلاً عن الاسهامات الكبيرة التي تقدمها المملكة للدول العربية أو الإسلامية من خلال العلاقات الثنائية، أو المنظمات الإقليمية، فإن المملكة تشترك في برامج للمساعدة ذات صفة دولية عامة، مثل برنامج الغذاء العالمي، وبرنامج الخليج العربي لدعم منظمات الأمم المتحدة، والبرنامج الدولي لمكافحة مرض العمى النهري، وفي أعمال المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين، وفي وكالة غوث اللاجئين الفلسطينيين، وفي اللجنة الدولية للصليب الأحمر.

جهود المملكة العظيمة في الدعوة إلى الإسلام

يحتاج جهد المملكة في الدعوة إلى الإسلام، إلى تفصيل لا تفي به صفحات قليلة، فالدعـوة إلى الله من أهم مقـاصد الدولة السعـودية منذ نشأتها في العـصر الحديث ولذلك سوف نكتفي ببيان أهمـية الدعوة إلي الله تعالى في النظام السياسي السعـودي منذ نشأته وحتى الآن، ونشـير إلى أهم إنجازات المملكة في هذا السـبيل على المستوى الدولي، وعلى المستوى الإسلامي والعربي.

إن الدعوة إلى الله، هي من أهم الركائز التي قامت عليها المملكة، وقد جاء ذلك واضـحاً أشـد الوضـوح في كلمـة خـادم الحرمين الشـريفين الملك فـهـد بن عبدالعزيز بمناسبة صدور الأنظمة الجديدة، ومنها نظام الحكم:

إن حمل الدعـوة الإسلامـية ونشرهـا، من أعظم وظائف الدولة الإسلامـية وأهمها.

وفي المادة الثانية والعشرين من النظام الأساسي للحكم ما نصه:

(تحمي الدولة عقيدة الإسلام، وتطبق شـريعته، وتأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر، وتقوم بواجب الدعوة إلى الله)

فالدعوة إلي الله تعالى، ركيزة من الركائز التي قامت عليها المملكة،وهي في نصوص نظام الحكم، كما تقدم ذكره، واجب من أهم واجبات الدولة.

ولقد أوفت المـملكة منذ قيـامها بهـذا الواجب على كل المستـويات، وعلى المستوى الدولي، أقامت المملكة عشرات المساجـد والمراكز الإسلامية لخدمة المسلمين الذين يعيـشون في دول وبلاد غـير إسلامـية، ومدت يد العـون إلى المسلمين بكل صوره وأساليبه، وبحسب احتـياجات المسلمين في بلادهم، وفي البلاد التي يقيمون فيها.

لقد قـامت المآذن في أكبـر العواصم والمدن الأوروبيـة والأمريكيـة، وأنشأت المملكة عشرات المساجد الكبـرى والتي تسع آلاف المصلين، وأنشأت المعاهد لدراسة علوم الشريـعة واللغة العـربية خـدمة للدعوة الإسـلامية، وامـتد ذلك في جـميع القارات، في أكبر المدن بأوربا، وأمريكا، وكندا، واستراليا، وآسيا، وأفريقيا.

والمقام لا يتسع للتفـصيل في ذكر أعدادها، وارتفاع مستـوى إعدادها والنفقة التي أسهمت بها المملكة في هذا السبيل.

وأما على مستوى العالم الإسلامي، فـإن خدمة الدعوة تبدو من أهم مقاصد المملكة في عـلاقاتها مع الـدول الإسلاميـة، وفي القارة الإفـريقية مـولت المملكة بالكامل مساجد ومـراكز إسلامية في تشاد: (مسجد الملك فـيصل)، وفي كوناكري في غينـيا: (مسـجد ومـركز الملك فيـصل)، وفي جامـبيا، وفي الـكامرون، وفي جمهورية مالي، وفي الصومال والسنغال.

كما أسهـمت المملكة بالمال في إنشاء المراكز الإسلامية والمـساجد الكبرى في نيجيريا، وفي السودان والجزائر.

ولا يمكن حصر المعونة الثقافية المتمثلة في الكتب الإسلامية، وأولها وأعظمها قدراً في نفـوس المسلمين، كتاب الله العزيز الذي يقـوم بطبعه ونشره مـجمّع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

لقـد تلقت الدول الإسلامـية شـرقاً وغـرباً وفي قـارات العالم كله مـلايين المصاحف، كما تلقت ترجـمة معاني القرآن الكريم بلغاتهـا، فضلاً عن كتب السنة النبوية والكتب الإسلامية العامة وكتب الدعوة خاصة.

وهناك معـاهد لتعليم العلوم العـربية والإسلامـية، منه ما أنشيء على نفـقة المملكة كلياً في إفريقـيا وآسيا، خدمة للدعوة في البـلاد الإسلامية وبين المسلمين،

كالمعاهد التي تتبع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في رأس الخيمة، وفي إندونيسيا، وفي موريتانيا، وفي جمهورية جيبوتي، وفي اليابان، وفي أمريكا ومنها ما أسهمت المملكة بالنصيب الأكبر في إنشائه، كالمعاهد المقامة في السنغال وجمهورية مالي وأوغندا، وغيرها.

كما أسهمت المملكة بالنصيب الكبير في إنشاء جامعات كاملة التجهيز والاستعداد في ماليزيا والنيجر وأوغندا وباكستان والسودان، وقد أسهمت المملكة في نفقات الجامعة الإسلامية بفلسطين -بقطاع غزة- وفي دار الحديث في المغرب، وفي جامعة قسطنطينة بالجزائر - وكلية الزاهرة في سيرلانكا، والجامعة الإسلامية في بنجلاديش.

والعمل العظيم الذي يوضح حرص المملكة على نشر الدعوة والعلوم الإسلامية يظهر في الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، والتي تتيح بحسب نظام إنشائها أوسع الفرص للطلبة المسلمين للدراسة فيها على نفقة المملكة.

وقد بلغت المنح الدراسية داخل المملكة وخارجها عشرات الآلاف من مختلف مناطق العالم مما يخدم أبناء الأمة الإسلامية أينما كانوا.

المملكة والتضامن الإسلامي

إن أثر المملكة العربية السعودية في المجتمع الدولي، مستمد إلى حد كبير من مسؤليتـها الإسلامية والعربية، وهي الهوية الأصـيلة للملكة، وعلاقات المملكة مع دول العالم وسـياستها الخـارجية، تهتم اهتـمامًا واضحـاً وظاهراً بتحقيق مـصالح المسلمين والعرب، مـن خلال علاقـات متميـزة مع المجتـمع الدولي، الذي يعرف بوضوح مسؤولية المملكة إسلامياً وعربياً، ويتعامل معها في نطاق هذه المسؤولية منذ عهد الملك المؤسس عبدالعزيز - رحمه الله -.

فالمملكة عـضو مؤثر في المنظمـات والهيئـات التي تأسست لخدمـة الإسلام والمسلمين والعرب، فهي عـضو مؤسس في جامعة الدول العربيـة التي أنشئت عام ١٩٤٥م، وعضـو مركزي ومؤسس فـي مجلس التعاون الخـليجي الذي يضم ست دول عربية وإسـلامية، وهي كذلك عضو مـؤسس في منظمة المؤتمر الإسلامي التي أنشئت في شهر محرم ١٣٩٢هـ منظمة دولية إسلامية، هدفها التضامن الإسلامي، والتعاون المشترك بين أعضاء المنظمة، كما تصرح المادة الأولى من ميثاق إنشائها.

وتسهم المملكة من خلال منظمة المؤتمر الإسلامي في هيئتها التنفيذية، ويعتبر إسهام المملكة في ميـزانية الأمانة العامة للمنظمة أعلى إسـهام بين الدول الأعضاء، كما أن المملكة تشـارك في صندوق التضامن الإسلامي، بهدف تحقـيق ما من شأنه رفع المستوى الفكري والأخلاقي للمـسلمين في العالم، والتضامن والتكافل مع من يتعرضون منهم للأزمات والكوارث الاجتماعية القاسية، وقد أنشيء هذا الصندوق عام ١٣٩٤هـ وبعـده بعامين أنـشيء صندوق القدس، ومـركـز الأبحاث للتـاريخ والفنون والثقـافة الإسلاميـة، كما أنشيء مـركز البحوث الإحـصائية والاقتـصادية والاجتـماعـية عـام ١٣٩٧هـ، والمؤسـسة الإسـلاميـة للعلوم والتكنولوجـيا عـام ١٣٩٨هـ، وكذلك المركز الفني للتدريب الفني والمهني والبحوث.

وفي عام ١٤٠١هـ أنشيء مجمع الفقه الإسلامي من أجل دراسة مشكلات الحياة المعاصرة، والاجتهاد فيها اجتهاداً أصيلاً بحسب أحكام الشريعة الإسلامية.

وفي نطاق منظمة المؤتمر الإسلامي، أنشئت هيئات واتحادات ومنظمات فرعية تشمل معظم نواحي الحياة في البلاد الإسلامية، كالمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ومنظمة العواصم الإسلامية، والاتحاد الرياضي للتضامن الإسلامي، ومنظمة الإذاعات الإسلامية، والبنك الإسلامي للتنمية، وغير ذلك من المنظمات التي تعمل في نطاق التضامن الإسلامي، الذي قامت من أجله منظمة المؤتمر الإسلامي.

وتسهم المملكة بنصيب وافر في موارد هذه الهيئات والمنظمات، كما تدخل بفعالية كبيرة في جميع آليات مناشطها ومجالات هذه المناشط.

ولا يمكن أن نفصل جهد المملكة وجهادها في سبيل خدمة التضامن الإسلامي عن الجهود السياسية التي تضطلع بها المملكة، من خلال علاقاتها الثنائية مع الدول صاحبة الشأن، أو من خلال مواقفها في المنظمات الدولية والمنظمات الإقليمية، مثل جامعة الدول العربة، ومجلس التعاون الخليجي، والمنظمات الإسلامية، مثل منظمة المؤتمر الإسلامي.

إن علاقات المملكة مع العالم الخارجي،من خلال القنوات السياسية التي ذكرناها سابقاً، تتجه بوضوح إلى خدمة الإسلام والمسلمين في جميع أنحاء العالم، ونصرة قضايا الدول الإسلامية في المحافل الدولية، وتأييد جهادهم وكفاحهم للتصدي للعدوان الذي يقع عليهم، والعمل على مساعدتهم في مواجهة ما يقع عليهم من عدوان أو اضطهاد ديني أو عنصرى في بلاد العالم، ويبدو هذا الجهد من أهم مجالات العمل السياسي الخارجي للمملكة، وهو نابع أساساً من أداء واجب الأخوة نحو دول وشعوب وأقليات تجمعها كلها الأمة الواحدة، يقول الله تعالى: «وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون».

بدأ اهتمام المملكة وجـهادها في سبيل قضيـة العرب والمسلمين في فلسطين، منذ عـهد الملك المؤسس عـبدالعـزيز، رحمه اللـه، وفي عام ١٣٥٧هـ اعترض - رحمه الله - على هجرة اليهود الأوروبيين غير الشرعية إلى فلسطين، وكتب بذلك إلى رئيس الولايات المتـحدة الأمـريكية، وشـاركت المملكة في القـتال إلي جـانب الجيوش العـربية عام ١٩٤٨م، وتوالى الجهاد من أجـل الشعب الفلسطيني من أبناء الملك عبـدالعزيز رحـمه الله، واستـمر الدعم السـياسي والاقتـصادي ضـد الغزو الماركسي الروسي لأفغانستان، منذ عام ١٩٧٩م، واعترفت المملكة بحكومة الجهاد الأفغاني، وجمعت التبرعات الهائلة لتأييد كفاحها ضد الغزو الروسي، ثم أسهمت المملكة بكل ثلقها في رأب الصدع، ولم الشمل بين الفـرقاء المتنازعين في أفغانستان حتى اليوم.

ونالت قـضيـة البوسنة والهـرسك أعظم اهتـمام من جـانب خادم الحـرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيـز، حفظه الله، وسمو ولي عهده الأمين، ووقفت المملكة موقفاً جازماً في تأييد حق شعب البوسنة والهرسك في الاستقلال.

وفي التصدي للجرائم البشعـة التي ارتكبها الصرب في حق أبناء هذا الشعب المسلم، دعـمت المملكة جهـادهم سيـاسياً، وأمـدتهم بالمعونات المـالية والعيـنية، وشكلت لجنة عـليـا لجمع الـتبـرعـات لمنكـوبي هذه الحـرب الظالمة من المشـردين والمصابين، وأصدرت المملكة بياناً سـياسياً هاماً في ١٩٩٢/٥/٢٥م طلبت فيه من دول العالم الإسلامي والدول الصديقة، قطع علاقاتها السـياسية بجمهورية صربيا، وعدم قبولها في الأمم المتحدة، ولا يزال شـعب البوسنة والهرسك، يتمتع بالتقدير الكبير لجهاده وصموده، وبالمساعدة السـياسية، والاقتصادية التي تمكنه -إن شاء الله تعالي- من تحقيق حريته وأمنه في بلاده.

وفي جمهورية الصومال التي ابتليت بالتفرق والتحزب والانقسام، سعت المملكة سياسياً إلى توحيد المسلمين هناك، وإلى نبذ الفرقة والاختلاف، وأسهمت في نطاق المنظمة الدولية -هيئة الأمم المتحدة- في حفظ السلام في هذا البلد المسلم الذي ما زال يكتوي بنار الفرقة والاختلاف بين أبنائه.

وقفت المملكة العربية السعودية في كافة قضايا المسلمين، في كشمير، وفي الفلبين وفي غيرهما من قضايا المسلمين، مدافعاً ومؤازراً بكل الجهد السياسي، والعون المادي للمسلمين، سواء من خلال العلاقات الثنائية بين الدول صاحبة الشأن في هذه القضايا، أم من خلال المنظمات الدولية والإقليمية.

ويحتاج تقرير عمل المملكة، وجهدها في خدمة الإسلام والمسلمين، دولاً وشعوباً وأقليات تعيش خارج الوطن الإسلامي، إلي صفحات لا يتسع لها هذا المقام، وجهد المملكة في هذا السبيل أوردته أبحاث وإحصاءات، وبيانات، صدرت من المنظمات الدولية والإقليمية، ومن المملكة العربية السعودية.

إن المملكة العربية السعودية، دولة دستورها القرآن الكريم والسنة المطهرة.

وفي كتاب الله، ما يفرض عليها المسؤولية تجاه المسلمين في أنحاء العالم، يقول الله تعالى:

«إنما المؤمنون إخوة».

ويقول تعالى:

«إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون».

وما قدمناه فيما سبق، يؤكد أمانة المملكة، وحرصها على الوفاء بهذه المسؤولية.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الملامح العامة للجغرافيا الطبيعية للعالم الإسلامي

الأستاذ الدكتور: عادل عبدالسلام

فهرس الموضوعات

مدخل

تواجه دراسة الجغرافية الطبيعة للعالم الإسلامي مسألة اتساعه وامتداده على عدد من البلدان الواقعة خارج دارة الإسلام، ومسألة عدم ثبات دول العالم الإسلامي من الناحية العددية ونسب المسلمين المئوية غير المؤكدة دوماً، والتي اتخذت في الغالب أساساً لتعريف الدول الإسلامية. فقبل عام ١٤١٤هـ/١٩٩٣م كان عدد دالدول الإسلامية ٤٩ دولة، وأصبح ٥٦ دولة بعده، بإضافة سبع دول مَنّ الله عليها بالتحرر من نير الحكم الأجنبي واستعماره. كما يمكن لهذا العدد أن يزداد بتحرر تشيشانيا وجمهوريات القفقاس الشمالي وحوض الفولغا. كذلك تتباين نسب المسلمين المئوية بحسب المصادر الإحصائية مما يجعل أمر الأخذ بها مشكوكاً فيه، ولاسيما في البلدان ذات النسبة العالية للسكان المسلمين التي لا تصل إلى ٥٠٪. كما أن التزايد السنوي للمسلمين بوتائر أعلى من غيرهم يرفع من نسبتهم مع الزمن، مما يجعل بلداناً جديدة تقع ضمن ما يسمى بالعالم الإسلامي.

ومع ذلك فإن الدراسة الجغرافية الطبيعية هذه لا تلتزم بكل هذا ، بل تعتمد استمرارية الظواهر الجغرافية الطبيعية وامتدادها خارج حدود العالم الإسلامي ، إذا اقتضت ضرورة الدراسة ذلك .

دار الإسلام ومفهوم العالم الإسلامي :

تعد الدول التي تكون فيها نسبة السكان المسلمين ٥٠٪ فأكثر ، بلداناً إسلامية. وعليه فإن غالبية الدول الإسلامية تقع في قارتي آسيا وإفريقيا وأجزاء من أوروبا. لكن هناك مساحات من بلدان غير إسلامية ، نسبة سكانها المسلمين عالية تجعل منها امتداداً طبيعياً للعالم الإسلامي، كما في مقاطعات وأقاليم شمال غربي الصين و ولايات هندية عديدة وفي جزر جنوبي الفيليبين، مما يبرر تجاوز الحدود السياسية في الدراسات الجغرافية الطبيعية الشاملة للعالم الإسلامي.

الموقع والحدود والأبعاد في العالم الإسلامي :

يقع العالم الإسلامي بين دائرة العرض ٥٥ درجة و ٣٠ دقيقة شمالاً ، المارة بالحدود الشمالية لجمهورية كازاخستان ودائرة العرض ١٣ درجة جنوباً ، المارة بجنوبي جمهورية جز القمر. أما بالنسبة لخطوط الطول فإنها تمتد بين ١٧ درجة و ٤٠ دقيقة غرباً قرب داكار على ساحل المحيط الأطلسي و ١٤١ درجة ونيف شرقاً عند الحدوي السياسية بين إندونيسيا وبابوا - غينيا الجديدة. وبذا يمتد العالمي الإسلامي على أكثر من ٦٨ درجة عرض، أو ما يعادل ٣٧,٧ ٪ من مجموع العروض الجغرافية، ٣٠,٥٪ منها شمال خط الاستواء و ٧,٢٪ منها جنوبه. كما يمتد على أكثر من ١٥٨ درجة طول، أو ما يعادل ٤٣,٨٪ من مجموع أطوال الكرة الأرضية، منها ٤٠,٣٪ شرق غرينتش، و ٣,٦٪ منها غربه، وهذا يعني أن الكتلة الأساسية للعالم الإسلامي تقع في النصف الشمالي من الكرة الأرضية ويابستها قارتي آسيا وإفريقيا وأجزاء من أوروبا (شكل رقم ١) .

أما الحدود الجغرافية للعالم الإسلامي وحدود الانتشار الفعلي للمسلمين فلا تتفق مع الحدود السياسة للعالم الإسلامي المعمول بها بحسب نسبة ٥٠٪ لأنها ، أي الحدود الجغرافية تشتمل على مناطق ذات كتل إسلامية كبيرة العدد أو أن أكثرية سكانها من المسلمين ، كما هو الحال في الصين والهند وشرقي إفريقيا ووسطها وغربيها وفي البلقان . وفي ضوء ذلك تحد العالم الإسلامي من ناحية الغرب مياه المحيط الأطلسي بين مضيق جبل طارق وسواحل الجابون قبيل مصب نهر الكونغو. ومن جهة الشمال يحده البحر المتوسط وأوروبا الشرقية والبحر الأسود وروسيا وشمال القفقاس واستمرارها في سيبيريا ثم منغوليا فالصين في الشمال والشمال الشرقي. وتكمل أراضي الصين مياه المحيط الهادي وأرخبيل الفلبين وبلدان شبه جزيرة الهند الصينية الحدود الشرقية للعالم الإسلامي. أما من ناحية الجنوب فتحده مياه الميحط الهندي بما فيها شبه جزيرة الهند، على اعتبار أن الهند دولة تضم أكبر كتلة إسلامية

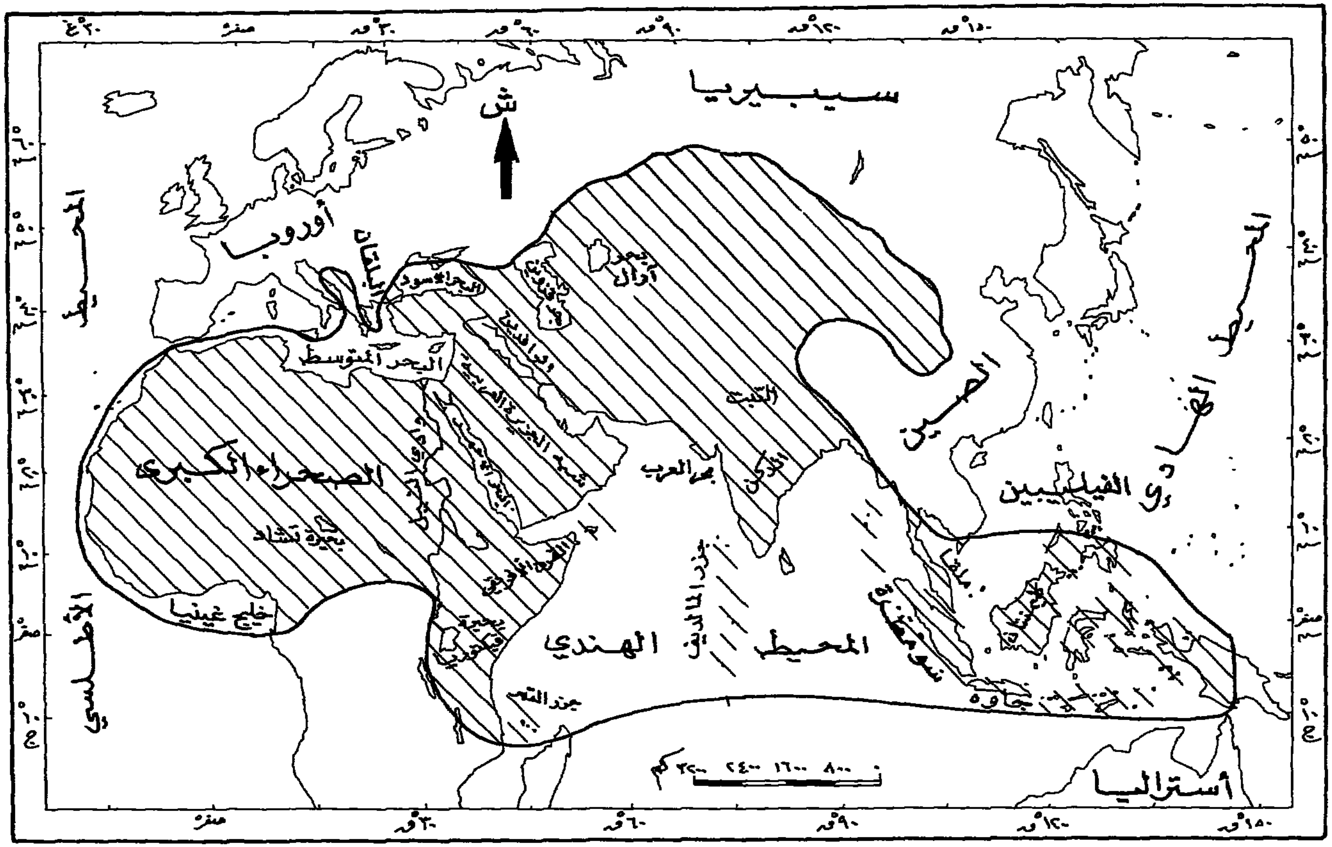
في دولة غير إسلامية، حيث تبلغ نسبة المسلمين فيها نحو ١٠٪ من مسلمي العالم. وتستمر الحدود الجنوبية في إفريقيا من شمالي مدغشقر وممر موزمبيق فموزمبيق، التي تبلغ نسبة المسلمين فيها أكثر من ٣٠٪ فزائير وجنوبي الجابون .

تقدر مساحة العالم الإسلامي بحدوده السياسية نحو ٣٣,٦٤٧,١٥٧ كيلو متر مربع ، أي ما يعادل ٦,٦٪ من مساحة الكرة الأرضية، يابسها ومائها، أو ٢٢,٧٪ من مساحة اليابسة وحدها ، منها أكثر من ١٤,٠٠٠,٠٠٠ كيلو متر مربع في آسيا وأكثر من ١٩,٥٠٠,٠٠٠ كيلو متر مربع في إفريقيا والباقي في أوروبا . وتزيد المساحة على ذلك إذا أخذنا بالحدود الجغرافية. وعليه فإن العالم الإسلامي عبارة عن قارة كبيرة لا تفوقها سوى قارة آسيا مساحة واتساعاً. أما من حيث الأبعاد فإن العالم الإسلامي يمتد من الشرق إلى الغرب مسافة تزيد على ١٥٧٣٠ كم ، ومن الشمال إلى الجنوب مسافة ٧٥٤٨ كم .

إن الأرقام الكبيرة هذه تبقى مجردة ، لكنها تكتسب أهميتها إذا تم تحليلها من خلال خصائص الموقع الجغرافي للعالم الإسلامي وأهميته من حيث وجوده في قلب العالم التقديم بحضاراته وإنسانه القديم ومجتمعاته ومؤسساته وثرواته المادية والروحية والفكرية . وتزداد أهمية الموقع الجغرافي بتنوع بيئاته الجغرافية الطبيعية على امتداد عروض جغرافية ونطاقات مناخية - بيئة متعاقبة من النطاقات الاستوائية حتى نطاقات المناخات المعتدلة والمعتدلة الباردة، وما يقابل ذلك من نطاقات نباتية وحيوانية. إضافة إلى ذلك تتنوع تضاريس العالم الإسلامي وجيومورفولوجيته وتربه بحيث يشتمل على جميع البيئات التصاريسية تقريباً مثل البيئات الجبلية والسهلية والهضبية والنهرية والصحراورية والساحلية وغير ذلك من جوانب تبرز أهمية الموقع الجغرافي الذي وهبه الله عز وجل للعالم الإسلامي . كذلك منح كل من الموقع والإتساع الكبير ، العالم الإسلامي خاصية التوجه البحري المفتوح بإطلالته على محيطات العالم الكبرى وبحارها ، بدءاً من مضيق جبل طارق وانتهاءً بممرات البحر

الأندونيسي . ولهـذا التوجه أهـمية كبـيرى في علاقـات العالم الإسـلامي بالعوالم المجاورة عبر ميـاه بحار لا تتعرض للتجمد طوال أيام السنة ، وانتـقال التجار وحملة الدعوة الإسلامية على طول طرقها إلى أنحاء العالم .

كذلك يتمتع العالم الإسلامي من خلال موقعه واتساعه بتوجهات برية تربطه باليابسة الآسيوية والإفريقية والأوروبية مما يزيد في قيـمة اتصال بيئاته الطبعية والبشرية والاقتصـادية مع البيئات الأخرى براً ، وانعكاس ذلك علـى تنوع أنماط الحياة وغناها وعلى تعدد المجـتمعات والأجناس البشـرية التي لا يجمعهـا على أرض دار الإسلام سوى الإسـلام وتعاليـمه الحنيفـة السمحـة ، التي تقرِّب بين أبنائه وتوحِّـد بينهم في مجتمعات ذات سلوك وأسلوب عيش وتعامل واحد أو متقارب إلى حدٍ بعيد .



شكل (١) الحدود العامة للعالم الإسلامي

الحدود العامة للعالم الإسلامي

البنية الجيولوجية

يضم العالم الإسلامي بين جنباته أغلب التكوينات الجيولوجية المعروفة في العالم، ويشتمل على شتى أنواع الصخور العائدة إلى أعمار جيولوجية مختلفة، كما عاشت أرضه أحداث شتى الحركات التكوينية أو البنائية Tectonic Movements التي تولدت عنها القارات والجبال والأحواض البحرية، ونتج عنها عدد من نماذج البنى الأرضية والتصاريسية مثل البنية الهرسنية والكاليونية والألبية - الهيمالائية، والبنية الانتقالية بين هذه البنى وبين الركائز (المصاطب Platforms والمجنات (الدروع) Shislds ، وكذلك البنى الانهدامية - الصدعية وأشكال البركنة والهزات والزلازل وما شابهها . ويمكن تفصيل ذلك على النحو التالي :

أولاً : الحركات التكتونية البنائية في العالم الإسلامي :

سخر الخالق عز وجل قوى الطبيعة المتمثلة بالحركات البنائية لرسم معالم العالم الإسلامي وتضاريسيه ابتداء من الحركات البطيئة المولدة للقارات (Epirogensis) وللجبال (Orogensis)، وانتهاء بالحركات السريعة المكونة للبراكين والتشققات الأرضية والمسببة للزلازل والهزات الأرضية. ليس هذا فحسب بل إن موضع العالم الإسلامي يجعل منه أكثر بقاع الكرة الأرضية اضطراباً وعدم استقرار بنائي (تكتوني)، ولاسيما في حزامه الأوسط المكوَّن من نطاق السلاسل الجبلية الالتوائية الحديثة ذات البنية الألبية - القفقاسية - الهيمالائية ، وعلى امتداد الشرخ الانهدامي الكبير الذي يقطع العالم الإسلامي من الشمال إلى الجنوب ويتألف من الأخدود الأفريقي العظيم.

وتشتمل الحركات البنائية في العالم الإسلامي على :

(١) حركات الصفائح البنائية والوحدات الأرضية الكبرى :

تعد نظرية الصفائح التكتونية (Plate Tectonics) التي أخذت تتبلور منذ عام ١٩٦٠م ، وريثة نظرية زحزحة القارات (Continental Drift) وبحسب نطرية الصفائح يرتكز العالم الإسلامي على أكثر من صفيحة بنائية واحدة وعلى أجزاء من صفائح أكبر . وهذه الصفائح هي : الصفيحة الإفريقية (على أجزائها الشمالية والوسطى) وصفيحة الصومال والصفيحة العربية وتؤلفان وسط العالم الإسلامي ، ثم الصفيحة الأوراسية (لأوروبية - الآسيوية) في شمال العالم الإسلامي الذي يرتكز على أجزائها الجنوبية والجنوبية الشرقية . ثم الصفيحة الهندية - الأسترالية التي يؤلف المحيط الهندي وقارة استراليا أغلبها .

تتألف الصفائح من مواد صخرية صلبة تكوِّن الغلاف الصخري (Lithosphere) الذي تتراوح سماكته في العالم الإسلامي بين ٧ و ١٠ كم في قيعان البحار والمحيطات ، وبين ١٠٠ و ٣٠٠ كم في القارات وتتحرك هذه الصفائح حركة بطيئة جداً لا تزيد على عدة سنتيمترات سنويا في أرجاء العالم الإسلامي . إذا قدرت سرعة تقارب الصفيحة الهندية - الأسترالية وارتطامها بالصفيحة الأوراسية بنحو ٣,٧ - ٥,٤ سم سنوياً . لكنها تزيد على ١٠ سم سنوياً في أقصى شرقي العالم الإسلامي (في إندونيسيا الشرقية) على امتداد نطاق ارتطام الصفيحة الهندية الأسترالية بالصفيحة الباسفيكية .

إن حركة الصفائح في العالم الإسلامي ليست حركة تقارب وارتطام فقط، وهي الحركة الأعم فيه ، بل فيه حركة تباعدية أيضاً ، كما هو الحال في جنوبي الجزيرة العربية (في البحر العربي والمحيط الهندي) ، حيث تبتعد الصفيحة الهندية - الأسترالية عن الصفيحة الإفريقية بسرعة تراوح بين ٢ و ٢,٥ سم / سنة . كما تبتعد

الصفيحة العربية المؤلفة للجزيرة العربيـة وبلاد الشام والرافدين عن الصفيحة الإفريقية بسرعة تصل إلى حوالي ٢,٥ سم سنوياً . والحركة هنا ليست حركة تباعدية فقط ، بل هي حركة تباعـد وانزياح أيضاً إذ تتحرك الصفيحتـان على امتداد خطوط الأخدود الأفريقي العظيم ولا سيما في نطاق أغوار بلاد الشام ، باتجاهين انزلاقيين متعاكسين . ولا تقتصـر الحركة الانزياحيـة على هذا النطاق بل تجدها في أجزاء متـفرقة من نطاق السلاسل الجـبلية الحديثة التـي نهضت نتيجـة تقارب الصفـيحة الهندية - الأستـرالية والصفيحة الإفريقية - العربية والصفيحة الباسفيكية في الشرق ، وأكثرها بروزاً الحركة الانزياحية على امتداد أرخبيل أندامان ونيوكبار وعلي طول جزيرة سومطرة .

وكان للعالم الإسلامي نصيب واف من التأثر بهذه الحركات والتغييرات، حتى وصلت هيئته وخطوط سـواحله وخريطة جغرافيته القائمـة إلى شكلها الحاضر. وهو في وضعه البنائـي - الجيولوجي - الجغرافي الراهن يرتكز علـى ثلاث وحدات بنائية كبيرة اثنتان منهما قد يمتان والثالثة حديثة نسبياً ، هي:

أ - وحدة قارة جندوانا القديمة :

التي وحدت في زمن ما قبل الكمبـري (قبل ٥٧٠ مليون سنة مضت). وقد تجزأت جندوانا إلى صفائح و (ركائز) في أثناء الزمن الجـيولوجي الثاني لتؤلف أجزاء من أمريكا الجنوبية وإفريقيا كلها إلا قليـلاً والجزيرة العربية وشبه القارة الهندية وغربي أستراليا وقارة القطب الجنوبي، وبالتالي فإن إفريقـيا الإسلامية والجزيرة العربية والهند وأغلب الأصـقاع الجنوبيـة من العالم الإسـلامي ينتمي في جـذوره البنائية إلـى قارة جندوانا القديمة وأرضـه ترتكز عليهـا. وذلك في نطاق الصفائح الإفـريقية والعـربية والصومالية والهندية - الأسترالية، وريثة (الصفيحة الجندواني) .

ب – وحدة قارة أنجارا وتوابعها :

توأم جندوانا في الشمال وهي قارة قديمة من زمن ما قبل الكمبري أيضاً، مثلها مثل الكتل القديمة لكازاخستان وتاريم وفرغانة والصين الجنوبية وجزر الصوند وغيرها من كتل قارية قديمة تشملها الصفيحة الأوروبية – الآسيوية في الزمن الحاضر، وتؤلف اليوم قاعدة أجزاء متفرقة من أرض العالم الإسلامي في آسيا وإلى الشمال من حزام الجبال الالتوائية والهضاب العالية الحديثة.

جـ – وحدة المقعر الأرضي (Geosyncline) :

الذي كان مغموراً بمياه بحر تيثيس (Tethys) . وكانت هذه الوحدة البنائية تفصل بين القارتين المذكورتين وأجزائهما التي انفصلت عنهما فيما بعد. وكان المحور العام لها شرقياً – غربياً مع انحرافات وأذرع خارجة عن البحر. وقد امتلأ المقعر الأرضي بالرسوبيات التي زادت سماكتها على بضعة آلاف الأمتار منذ نشأته ، وحتى زوال بحر تثيس بنهوض أرضه ورفعها بحركات بنائية متأخرة ناشئة عن زحف الصفائح الجنوبية باتجاه الشمال ، واندساس حوافها تحت أطراف الصفائح الشمالية ، وضغطها على رسوبيات المقعر الأرضي ورفعها إياها مكونة حزام السلاسل الجبلية الالتوائية والمرتفعات الحديثة نسبياً ، التي يمتد عمرها من ٢٤٠ مليون سنة وحتى اليوم . ولم يبق من بحر تيثيس اليوم سوى البحر المتوسط والبحر الأسود في الغرب والأحواض البحرية الإندونيسية في الشرق الإسلامي .

(٢) الحركات الالتوائية والالتواءات في العالم الإسلامي :

تعد الحركات الالتوائية من أهم الحركات البنائية التي سببت نشوء التضاريس الالتوائية في العالم الإسلامي. وهي تضاريس جبلية عالية نسبياً أو جبلية – حوضية (Basin - Range Relief) وهي الأعم. ويغلب على التواءات العالم الإسلامي، ولاسيما الحديثة منها، أنها نشأت في طبقات صخرية رسوبية تعرضت للتجعد والطي

مكونة المحدبات أو (السنامات) Anticline والمقعرات Synclines . ولكن هذا لم يمنع حدوث حـركات التوائية قـديمة من زمن ما قبل الكمـبري، ومطلع الزمن الأول ضربت صـخوراً قاسـية غيـر مرنة مـثل الجرانيت والجرانوديوريت والـبابرو والدياباز وصخـوراً نارية وباطنية أخرى كمـا هو الحال في جبـال الهوامش القاسيـة من العالم الإسلامي، مثل سلسـلة جبال ألطاي Altai في آسيا الوسطى، لكـن البنى الالتوائية في الصخور القاسية تبقى أقل انتظاماً ونموذجـية قياساً على البنى المماثلة في الصخور الرسوبية الأكثر مرونة وتجاوباً ونموذجية .

وبغض النظر عن الحـركـات الالتـوائية القـديمة جـداً ، فـإن أهم الحركـات الالتوائية في العالم الإسلايم هي الحركة الكاليدونية والحـركة الهرسينية والحركة الألبية - القفقاسية - الهيمالائية .

نشأت الحـركة الكاليدونية المولدة للـجبال في عصـري السلّوري والديفوني، ومن أبرز التضاريس الـتي كونتها هي سلاسل جـبال كازاخستـان الوسطى والسلاسل الشمالية لجبـال تيان - شان وكون - لون ولاسيما في سلسلة جبـال ألطاي وتفرعاتها في آسيا المسلمة . أما الحركة الهرسينية فجاءت متأخرة وحصلت في عصور الديفوني والفحمي والبرمي من الزمن الأول أيضاً ، ويمكن عدّها استمراراً للحركات السابقة ، وكان نطاق نشاطها في كازاخستان وجـبال تيان - شان وكون - لون أيضاً إضافة إلى السلسلة الجنوبية من جبال ألطاي ، وهضبة بامير وأذرعها من السلاسل الجبلية المتجهة نحو الغرب والشمـال الغربي إلى حوض طوران وتعود الالتواءات الهرسـينية للظهور في أقصى الغرب الإسلامي في بعض سلاسل جبال الأطلس ، وفي الصحراء الكبرى الغربيـة (في الجزائر) ، وفي إفـريقيـا الغربية حـيث تساير مـحاور الالتـواءات قوس سواحل المغرب وموريتانيا (الكتلة الموريتانيـة) .

أما الحركات الالتوائية الألبية - القفقاسية - الهيمالائية فهي حركات بنائية حديثة حصلت في الزمن الثالث الجيولوجي وولّدت أعلى السلاسل الجبلية الالتوائية في العالم الإسلامي بل والعالم كله . وتمتد آلاف الكيلومترات أبتداء من جبال البيرنيه (البرانس) في أوروبا مروراً بجبال الألب وجبال القفقاس فجبال الهيمالايا حتى جنوب شرقي آسيا . وقد نشأ هذا الحزام الالتوائي من الجبال والهضاب والأحواض مكان المقعر الأرضي لبحر تيثيس المذكور سابقاً ، ومن صخوره وطبقاته الرسوبية التي تكونت منها أضخم المحدبات (السنامات) والمقعرات والأحواض الالتوائية . لكن هذا لم يمنع اندساس صخور أقدم بينها وخرقها الصخور الرسوبية الحديثة (الثنائية والثلاثية) .

تتفرع الالتواءات الحديثة الثلاثية بعد خروجها من أوروبا إلى حزمتين ، الأولى شمالية وتضم جبال القرم والقفقاس الأم وجبال تركستان وإيران الشمالية وسفيد - كوه في أفغانستان ثم هضبة بامير ومرتفعاتها وغيسار وجبال آلاي Alai ، واستمرارها خارج العالم الإسلامي في الصين . أما الحزمة الثانية فتتبع المحور الغربي - الشرقي فالجنوب الشرقي أيضاً ، لكنها تمتد جنوب الحزمة الأولى ، وتشمل جبال آسيا الصغرى الالتوتائية والأناضول الشرقي وما وراء القفقاس ، ثم سلاسل جبال زاغروس ومكران وسليمان وجبال هندوكوش ثم جبال الهيمالايا . وتستمر التواءات الحزمة الجنوبية باتجاه الجنوب الشرقي في بورما (مينمار) وأرخبيلات إندونيسيا وماليزيا (ملقة) .

إن هذا النموذج من الحركات الالتوائية ، وإن كان هو الطاغي في نطاق الجبال والمرتفعات الالتوائية في العالم الإسلامي ، فإنه في الجنوب الشرقي ، في أرخبيلات ماليزيا وإندونيسيا يتجاور مع حركات بنائية التوائية أقدم نسبياً ، وتعود إلي الزمن الثاني الجيولوجي ، تظهر محاورها في التواءات شبه جزيرة الملايو وشمال شرق سومطره وغربي بورنيو والجزر الفاصلة بينهما . كما تظهر التواءات من أعمار

أحدث في معظم باقي الجزر حتى جزيرة غينيا الجديدة . وعلي العموم فإن هذا الجزء من العالم الإسلامي يعد من الناحية البنائية ، منطقة انتقالية بين نماذج الحركات الالتوائية من جهة ونظام مقعر أرضي حديث لم تكتمل فيه عمليات البناء من جهة ثانية كما هو الحال في التواءات بورنيو (كليمنتان) ، وسولاويسي (سيليبس) والملوك ، وجزر الصوند ، وجزر الأرخبيلات الواقعة بين المحيطين الهادي والهندي التي مازالت في طور البناء والتكوين وخاضعة لحركة دائمة تدل عليها الزلازل والنشاطات البركانية الحالية . ومع ذلك وغيره تبقى النشاطات البركانية والتضاريس المرافقة لها ، المظاهر المؤثرة في البيئة الجغرافية في أقصى الشرق الإسلامي .

(٣) الحركات الصدعية - الانهدامية والانهدامات في العالم الإسلامي :

أسهمت الصدوع أو الانكسارات أو الفوالق والحركات الانهدامية المرافقة لها اسهاماً واضحاً في رسم جغرافية وتضاريس أرض العالم الإسلامي وقيعان بحاره . والصدوع منتشرة في أغلب أرجاء العالم الإسلامي ، لكنها تتكاثر وتزدحم وبأبعاد واضحة ، امتداداً ورميةً (Throw) ، وبأنواعها المختلفة ، العادية والمتدرجة ، والأفقية - الانزياحية ، والعمودية المخلعة والمشوشة للطبقات الصخرية . . . على امتداد شقوق الضعف في القشرة الأرضية ، ولاسيما على طول حدود تماس الصفائح البنائية ، وبمسايرة الأحزمة الالتوائية وطيات السلاسل الجبلية وبصورة خاصة الحديثة منها .

ومن أبرز الحركات الصدعية- الانهدامية في العالم الإسلامي الأخدود الأفريقي العظيم ومنظومة الصدوع والانهدامات التي ترافقه. ويعد هذا الأخدود أطول شرخ في العالم حيث يبدأ من جبال طوروس في الشمال وينتهي عند المجرى الأدنى لنهر الزامبيزي في الجنوب على امتداد نحو ٦٤٠٠ كم. وهو أهم نظام بنائي انهدامي في العالم الإسلامي، أثر في تضاريسه وجغرافيته تأثيراً كبيراً في الزمن الجيولوجي الثالث وحتى اليوم لما خلفته الحركات البنائية التي رافقته من تخلعات ومرتفعات على

شكل نجود وخسوف غورية وشقوق وأخاديد على امـتداها في تضاريس شرقي إفريقيا وغربي آسيا ، ولاسيما تكوينها لأخدود البحر الأحمر، وخليج عدن، وقيامها بفصل قارة آسيـا عن قارة إفريقيـا، تفصل بينهما سلسلة من الأغـوار البنائية (Grabens)، تطل عليها نجود (Hprsts) ودرجات تضاريسية وكتل مرفوعة وأخرى خاسفة شكلت أغلب جبال وتضاريس سواحل البحر الأحمر ، والجبال المشرفة على أغوار بلاد الشام وأغوار وبحيرات شرقي إفريقيا (شكل رقم ٢) ، وتجدر الإشارة إلى أن رمية الأخدود الأفريقية العظيـم كبيرة تصل في خليج عدن إلى ٥٠٠٠م ، كما أن الحـركات البنائية على طوله ليـست عمـودية فحـسب، بل وانزياحيـة - أفقـية أيضـاً ، سببـت تحرك الصفيحة العربية باتجاه الشمال مع ابتـعادها باتجاه الشرق منذ أواخر عصر الأليجوسين ومطلع عصر البـلايوسين. وقد ساعد على ذلك نشوء صـدع فرعي هو صدع خليج عدن بين القـرن الإفريقي وجنوبي الجزيرة العـربية. وقد مر نطاق الأخـدود الأفريقي العظيم بسلسلة من الأحداث البنائية المتتابعة أوالمتزامنة غيرت في المظاهر الجغرافية على امتداده، منها تحول البحر الأحمر مثلاً من خليج تابع للبحر المتوسط إلى بحيرة داخلية مالحة ثم إلى خليج تابع للمـحيط الهندي نتيجة حـركات صدعية- انهدامـية. كذلك نشوء الأغـوار الخاسفة والأخـاديد الغائرة في هضاب ومرتفـعات شرقي إفريقـيا على شكل قوسين يطوقان منطقة بحيرة فيكتوريا، امـتلأ أغلبها بمياه البحيرات. أو سلكت مياه الأنهار والأودية محاورها البنائية.

أما أكـثر الصدوع والانهـدامات انتشـاراً في العالم الإسلامي فـهي الصدوع العادية التي يندر أن تؤلف غوراً أو وادياً أخدودياً بأبعاد ضخمـة شبيهة بما تقدم، كما أنها تكون ذات رمـية متـواضعة نسـبياً ، لـكن بعضهـا ولاسيمـا الصدوع المصاحـبة للحركـات الالتوائية ، يكون ذا أهمـية في تطور تضاريس التـوائية - صدعيـة، تمتد مئات بل آلاف الكيلومتـرات بمحاذاة محاور السلاسل الجبلية الالتـوائية، مثل الصدع الرئيسي لجبال الأطلس والصدع الشمالي لآسيـا الصغرى المساير لسلاسل جبال البحر الأسود، وصدع جبال القفقـاس الأم وصدوع السلاسل الجبلية الإيرانية الواصلة حتى

بحر العرب ، وكـذلك صدع وسط إيران وشرقيـها وصدوع جبال سلـيمان. ويغلب على هذه الصدوع أنهـا مزدوجة الحركـة، رأسية وانزياحيـة - أفقية. وتشـترك بكون محاورها، أي محاور الحركة الانزياحـية ، باتجاه الجنوب الشرقي والشرق في الجانب الشمالي، وباتجاه الغرب والشـمالي الغربي في الجانب الجنوبي من خطوط الصدوع . وهناك صدع مهم ينتمي إلى هذه المجـموعة وهو صدع تركستان وتشـعباته الذي يبدأ من جنوبي جبال الأورال وينتـهي في جبال الهيمالايا ويمتد مـسافة تزيد على ٣٠٠٠ كم وأسهم في هبوط حوض طوران وتوابعه. كما توجد صدوع مشابهة أقل أهمية في جنوب شرقي العالم الإسلامي في الملايو وبورنيو ذات الحركات الالتوائية- الصدعية.

أما في الجناح الغربي من العـالم الإسلامي فيقل تأثير الحركـات الصدعية إلا ما تقـدم ذكره على الجـانب الإفريقي من الأخدود الأفـريقي العظيم ، وأقدام جـبال الأطلس المحاذية للصحراء الكبرى . وكذلك الصدوع والانهدامات التي ضربت جبال تيبيستي ومنطقة الكمرون فيـما يعرف بـ (وهدة بينوه) ذات المحور الشمالي الشرقي - الجنوبي الغربي ، والصدع المار بمصب نهر النيجر الموازي لانهدام وهدة بينوه - بطول يقرب من ١٠٠٠ كم لكليهما .

(٤) البراكين والزلازل في العالم الإسلامي :

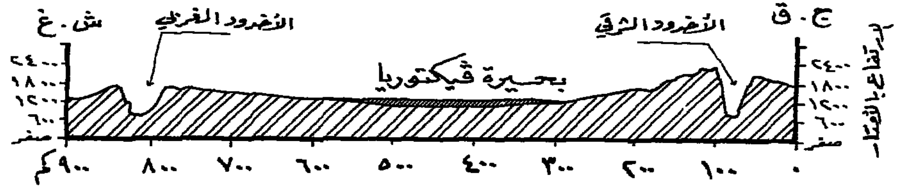
للحركات البنائية الأثر الأكبـر والأساسي في رسم تضاريس العالم الإسلامي وحدوده الطبـيعة . ولها دور مـباشر أو غيـر مباشر في توليـد حركات بنائية سـريعة النشوء تظهر على شكل براكين وزلازل معروفة في أغلب أنحاء العالم الإسلامي .

يعـد العالم الإسـلامي واحداً من أهم بقـاع الكرة الأرضـية غنى بالبـراكين وتعرضاً للزلازل والهزات الأرضية، قديماً وحتى اليـوم. فبالإضافة إلى مئات البراكين الخامدة والهادئة نسبياً، يوجد فيه أكثر من ١٦٥ بركاناً من أصل نحو ٥٥٠ بركاناً ثائراً وناشطاً في العالم. أغلبهـا (نحو ١٣٠ بركاناً) في أرخبيل إندونيسـيـا، ويعتقـد أن هوامـش الأرصفـة القارية المحيطة بـالأرخبيل والجبال الإندونيسية هي أنشط منطقة

بركانية في العالم. كـما ينتشر أكثر من ٢٠ بركاناً في الشرقي الإفـريقي ولاسيما في منخفـض الدناكـا الانهدامي ، إضافة إلى أعـداد محـدودة من براكـين تتبعـثر في إفريقيا وآسيا المسلمتين وبصورة خاصة في تركيـا.

هذا عن النشـاط البركـاني المعاصـر حيـث تثور البـراكين أو تطلق غازاتهـا باستمرار أو بشكل متقطع. وقد يتـوقف البركان عن النشاط مدة قد تصل إلى خمس سنوات كما في بركان ميرابي Merap قرب مدينة جوغ جـاكارتا، أو يثور دورياً كل ١٥ سنة مثل بركان كيلود Kelud في جاوة. أمـا عن النشاط البركـاني القديم الذي حـدث في عـصـور وأزمنة سـابقـة فهـو أعم وأوسـع انتـشـاراً في أرجـاء العـالم الإسلامي، ويتـرافق في محاوره مع مـحاور النشاط البـركاني المعاصـر، ولكن خارج نطاق انتشاره أيضـاً. ومع ذلك يبقى النشاط البركاني في الزمنين الثـالث والرابع أكبر أهمية وأثراً في العالم الإسلامي وجغرافيته، من مظاهر نشاط أقدم.

ويميز في العالم الإسلامي بين زمرتين من النشاطات البـركانية - الاندفاعية. الزمرة الأولى هي الـنشاط الاندفاعي المسـاير للشقـوق وخطوط الضعف في القـشرة الأرضية. حيث تدفقت الحمم واللابات من الشـقوق بهدوء وعلى شكل طفوح سائلة أو مائعة - لزجة انساحت على مساحات واسعـة مكوِّنة الأغشية والصبات الاندفاعية التي يغلب الصخر البازلتي ومشتقاته وتفرعاته عليها. وتؤلف الكثير من الهضاب مثل حرات بلاد الشـام والسعودية (عويرض وخـيبر وكـشب وغيرها). وكذلك الهـضاب البازلتـية في شبـه جزيرة الهند ، وعلى امتـداد الأخدود الإفريقي الـعظيم في شرقي إفريقيا وفي وسط بورنيو وأجزاء من ليبيا وتشاد وغيرها. ويتميز النشاط الاندفاعي في هذه الزمرة بـالهدوء النسبـي وقلة الانفجارات والـثورات البركـانية وانخـفاض نسـبة الغازات المرافـقة . والغالـب عليها أنهـا قديمة النشأة (ثلاثـية أو من الرابع الأدنى) ، لكنها قد تكون حديثة ومعاصرة أيضاً .



شكل (٢) مقطع تضاريسي في هضبة وبحيرة ڤيكتوريا

المصدر: معدل عن A. Bloom ١٩٧٨م، ص ٤٥
نقلاً عن Holmes وآخرين ١٩٦٥م

أما الزمرة الثانية فتمثلها البراكين وثوراتها التي تقذف بالحمم والأحجار الخث والرماد والغازات ، وتؤلف الجبال والمخاريط البركانية . وهي نموذج من النشاط البنائي (التكتوني) الحديث والمعاصر ينتشر في جنوب شرقي العالم الإسلامي وفي شرقي إفريقيا ، ويتقلص أثره في باقي الأنحاء .

إن التمييز بين الزمرتين لا يعني اختفاء البراكين الثائرة أو الهادئة حالياً من بقاع الهضاب الاندفاعية ، كما لا يعني انعدام هذه الهضاب والأغشية الاندفاعية من مناطق غلبة البراكين ومخاريطها ، ومن أعمار مختلفة ، يمكن ملاحظتها من دراسة درجات تطورها من مراحل الأشكال التضاريسية البنيوية إلى أشكال التضاريس المتأثرة بعمليات الحت والتعرية .

وتعد البراكين في العالم الإسلامي من الظواهر البنائية (التكتونية) المؤثرة في البيئة الجغرافية الطبيعية تأثيراً سلبياً ومدمراً في كثير من الحالات التي حدثت سابقاً ومازالت تحدث. ففي سنة ١٢٥٦م (٦٥٤هـ) حدث انفجار بركاني قذف بحممه باتجاه المدينة المنورة وكاد يصلها ، يقول عنه شهاب الدين بن إسماعيل المعروف بأبي شامة الدمشقي (ظهر بالمدينة دوي عظيم ثم زلزلة عظيمة. . . ثم ظهرت نار عظيمة في الحرة قريباً من قريظة نبصرها من دورنا بداخل المدينة كأنها عندنا. وهي نار عظيمة إشعالها أكثر من ثلاث منائر. وقد سالت أودية منها بالنار إلى وادي شظا سيل الماء. . .) أما في عام ١٨٨٣م (١٣٠١هـ) . فقد انفجر بركان كراكاتاو في إندونيسيا، فأطاح بنصف جزيرته ومساحتها ٢٣ كيلو متراً مربعاً، وقد سبب الانفجار موجة بحرية ضربت السواحل المجاورة قتلت نحو ٢٥٠٠٠ نسمة، كما ولَّد غيوماً من الغبار والرماد البركانيين دارت حول الكرة الأرضية مما قلل من وصول الأشعة الشمسية مدة من الزمن وكثيراً ما تسبب الانفجارات البركانية المتكررة حالياً تدفق السيلانات الوحلية المعروفة بـ (لاهار) في إندونيسا، على الأراضي الزراعية والمنشآت الاقتصادية والقرى والمدن فتدمرها .

كذلك تحتوي أرض العالم الإسلامي على كثير من المظاهر البركانية الخاصة، هي الكالديرات (Caldera) التي سببتها حركات بنائية ضربت مخاريط بركانية ضخمة. ففي سومطرة توجد أضخم كالديرات العالم، هي كالديرا توبا Toba البالغة أبعادها ٣٠ x ١٠٠ كم التي هبطت أرضها نحو ٢٠٠٠م فتشكلت فيها بحيرة مساحتها ١١٣١ كيلو متر مربع نهض قاعها فيما بعد فتكونت جزيرة مساحتها ٦٤٠ كيلو متر مربع هي جزيرة ساموسير. كذلك توجد في جارة كالديرا تينغر Tengger وقطرها ٢١ كم، وفي جبال تيبستي عدد من الكالديرات الكبيرة أهمها كالديرا بركان تارسو فون Tarso Voon وقطرها ٢٠ كم.

وفي العالم الإسلامي أشكال تضاريسية ومظاهر طبيعية أقل أهمية من الأغشية والبراكين والكالديرات، سببتها الحركات والعمليات البنائية، وهي شواهد عليها، منها البراكين المجهضة (المار) والنافورات المائية والغارية الحارة والبراكين الطينية.

أما الزلازل الأرضية كنموذج على الحركات البنائية السريعة جداً في العالم الإسلامي، فهي أعم وأكثر حدوثاً وانتشاراً من غيرها من الحركات البنائية. وهي حركات حدثت سابقاً ومازالت تحدث بدرجات متفاوتة من الشدة قد تصل إلي مرحلة التدمير الشامل كما في زلزال أغادير سنة ١٩٦٠م (١٣٨٠هـ)، وكثير من زلازل جنوب شرقي آسيا وإيران وتركيا وجبال وهضاب آسيا الوسطى.

وتنتشر الزلازل في أرجاء العالم الإسلامي على امتداد نطاقات الحركات البنائية، لكنها تتركز على محور شرقي - غربي يتفق مع نطاق السلاسل الجبلية الالتوائية الحديثة في النظام الأوروبي - القفقاسي - الهيمالائي، وعلى محور أقواس جبال وجزر وبراكين جنوب شرقي العالم الإسلامي حيث تزدحم المنطقة بأشكال الحركات الزلزالية مع النشاط البركاني وتتداخل فيها.

وكثيراً ما سببت الزلازل تشققات وانهيارات ذات أبعاد محدودة ، لكنها قد تصبح مهمة في بعض الزلازل القوية، فتغير في التضاريس، أو تحرك أرضية في الأودية فتسدها وتشكل بحيرات فيها ، كما في بعض أودية جبال تركستان وآسيا الوسطى، حيث تكثر الانزلاقات والانهيارات الأرضية التي تنشط الزلالزل حركتها. ويبقى الأثر المدمر للزلازل قائماً بالنسبة للتجمعات السكانية والمنشآت الاقتصادية على الرغم من التقدم في بناء المساكن والأبنية والسدود المقاومة للزلازل في بقاع مختلفة من العالم الإسلامي، إذا مازال أغلب مساكن ومنشآت القرى والأحياء الشعبية والفقيرة من مدن العالم الإسلامي عرضة للتدمير جراء الزلازل المتوسطة والعالية الشدة، وزلزال القاهرة سنة ١٩٩٤م أحدث مثال على ذلك. ومن أعظم زلازل العالم الإسلامي: زلازل إيران (١٣٩٩هـ/ ١٩٧٨م) و (١٤١٢هـ/ ١٩٩١م)، وتيان سان (١٣٩٧هـ/ ١٩٧٦م)، وآسيا الوسطي (١٣٦٩هـ/ ١٩٤٩م)، وإيران وتركيا (١٣٧٨هـ/ ١٩٤٨م) والباكستان (١٣٥٤هـ/ ١٩٣٥م) وحارة (١٣٠١هـ/ ١٨٨٣م) وسوريا (١٢٣٨هـ/ ١٨٨٢م و ١١٦٦هـ/ ١٧٥٢م) ولبنان (١١٧٣هـ/ ١٧٥٩م) والقاهرة (١١٦٨هـ/ ١٧٥٤م) وإيران (١١٤٠هـ/ ١٧٢٧م) والقفقاس (١٠٧٨هـ/ ١٦٦٧م) وشينسي (٩٦٤هـ/ ١٥٥٦م) وغيرها من زلازل مدمرة تعد ضحاياها بعشرات الآلاف .

ثانياً : الأزمنة الجيولوجية وتطور العالم الإسلامي :

مر تكوين أرض العالم الإسلامي وتضاريسه في اليابسة والبحر بمراحل امتدت على تاريخه الجيولوجي الطويل منذ ما قبل الكمبري حتى ارتسمت معالمه وجغرافيته الحاضرة اليوم . وفيما يلي استعراض للأوضاع التي مر بها العالم الإسلامي في الأزمنة والعصور المختلفة .

١ - زمن ما قبل الكمبري :

وهو الزمن السـابق للزمن الأول ، والذي دام منذ تكوين الـقشـرة الأرضيـة وتصلبهـا حتى قبل ٥٧٠ - ٦٠٠ مليـون سنة مضت. ففـي هذا الزمن القديم الذي أخذت فيه الصـفائح والركائز بالهدوء النسبي قبل نحو مـلياري سنة، تكوَّنت القواعد الصفائحية الصلبة والقاسية التي تغلب عليها الصخور النارية - الباطنية والبِّلورية مثل الجرانيت والجـرانوديوريت والسينيت والغابرو البـيريدوتيت، كما هو الحـال في ركائز غربي إفريقيا في موريتانيا ومـالي وغينيا وليبريا وساحل العاج وغانا ، وفي تكوينات جبـال الأحجار وجبـال تيبستي وأجـزاء من مصر والسـودان في الجناح الإفريقي من العـالم الإسلامي . وكـذلك في الثلث الغربي من شـبه الجـزيرة العربي التي كـانت متصلة مع إفريقيا عندما كان البحر الأحمر وخليج عدن غير موجودين . وكذلك في مساحـات واسعة من شبه جزيرة الدكن وأشـرطة مسايرة لجبال الهيـمالايا وكوَّن لون وهضية بامير . أمـا ما يعرف بالصفيحة الصينيـة التي تؤلف أساس أجزاء واسعة من شمالي العالم الإسلامي ، فيبدو أنها أخذت بالتجزؤ إلى أربع قطع صفائحية أو ركائز هي الركيزة الصينيـة الشمالية والصينية الجنوبية وتاريم والتـبت ، وذلك أواخر ما قبل الكمبري ، وبداية الزمن الأول . وقد تكوَّنت بين هذه الركائز مقعرات أرضية امتلأت بالرسوبيـات في أزمنة جيولوجـية متأخـرة ، ثم خضعت لحـركات بنائية التـوائية في سـلاسل جبـال كـون - لون Kun - Lun وتسين لينغ Tsinling ، على الهوامش الشمالية من العالم الإسلامي في الزمنين الأول والثاني . أما في الجناح الإفريقي فقد امتلأت المقـعرات الأرضية مـثل المقعر الأرضي الليبي - المصـري ، تندوف ، وتشاد والسنغال برسوبيات أحدث ، لكنها لم تخضع لحركات بنائية مشابهة .

وعلى الرغم من انعدام مظاهر الحياة الأولى في صخور ما قبل الكمبري البلورية ذات الأصول الباطنية والتي يرجع عمرها إلى أكثر من ثلاث مليارات من السنين ، فإنه عُثر علي بدايات الحياة النباتية وإلى حد ما الحيوانية ، علي هيئة طحالب في صخور المقعرات الأرضية الكبرى لتيان شان وألطاي والصين وجنوبي سيبيريا وفي إيران ، أما في الغرب الإسلامي فقد عُثر على طحالب التين في إفريقيا الشرقية ، كما اتصفت المراحل المتأخرة من زمن ما قبل الكمبري بتشكل تكوينات الحجر الرملي والدولوميت والصخر الكلسي، وكذلك الشيست، ولاسيما في المقعرات الأرضية الإفريقية المذكورة .

٢ - الزمن الأول (الباليوزي) :

تعرض العالم الإسلامي لحوادث طغيان مياه البحار والمحيطات وغمرها لأجزاء من يابسته، رافقتها أو أعقبتها حوادث تراجع المياه وانحسارها في عصور هذا الزمن. كذلك تأثرت أجزاء متفرقة منه بحركات بنائية واسعة يغلب عليها التقبب والانحناء مع النهوض والرفع . كونت القارات ، وبحركات أخرى ذات مدى أضيق ولدت الجبال والهضاب والمرتفعات إضافة إلى أحواض تنتشر بينها . ففي أواسط العصر الكمبري (أقدم عصور الزمن الأول) غُمرت الأجزاء الشمالية من شبه الجزيرة العربية وشمالي الهند بمياه المحيطات . وبعد انحسار محدود عادت المياه للغمر في العصر الأوردوفيشي المبكر . وكان الغالب على الرسوبيات البحرية ، الصخور الكلسية والصخور الصلصالية العُضارية والرملية ، إضافة إلى الصخور الملحية في الأجزاء الجنوبية من أراضي العالم الإسلامي . كذلك تشكلت تكوينات رسوبية من أصول بحرية وجليدية في المغرب وغربي إفريقيا ، في حين غطت الصخور الرملية شمالي إفريقيا والصحراء الكبرى وأنحاء واسعة من الغرب الإفريقي في العصر الأوردوفيشي .

ومن أحداث هذين العصرين نشوء حركات بنائية مولدة للجبال، هي الحركات الكاليدونية التي رافقها حركات بناء القارات في وسط وغربي إفريقيا وفي أجزاء العالم الإسلامي الشمالية في آسيا أما في العصر السيلوري والديفوني فقد تغيّرت خصائص الترسيب في الأحواض الكبرى والمقعرات الشيستية المتحوّلة على نطاق إقليمي واسع، ولاسيما في شبه الجزيرة العربية وشمال غربي إفريقيا، والصخور الكلسية والكلسية - الرملية - الصلصالية البحرية الأصل في أغلب أنحاء القسم الآسيوي من العالم الإسلامي ، وذلك إضافة إلى الصخور الاندفاعية - البركانية من الطف واللايات البازلتية . وقد رافق ذلك نهوض مساحات واسعة من قيعان البحار تحولت إلى يابسة تكونت عليها التواءات جبال كون لون وألطاي وتفرعاتها ومرتفعات كازاخستان .

لم يطرأ في العصر الفحمي (الكربوني) تغير كبير على أوضاع الأجزاء المنفصلة عن الصفيحة البنائية الشمالية (الأوراسية) والصفحية البنائية الجنوبية (جندوانا) . كذلك استمر ترسب شتى المواد الرسوبية والحطامية والنقضية وفتات الصخور الاندفاعية - البركانية في قيعان البحار التي كانت تملأ المقعرات الأرضية بين أجزاء الصفائح البنائية . وكانت الصخور الرسوبية البحرية الغالبة عليها هي الصخور الكلسية ، ولاسيما فيما هو اليوم إيران وتركيا وأجزاء من سيبريا .

ومع ذلك كانت مساحات البحار والمقعرات الأرضية آخذة بالتقلص في العصور الثلاثة الأخيرة من هذا الزمن (الديقوني والفحمي والبرمي) نتيجة النهوض البطيء الذي رافق الحركات الهرسينية . كما بدأت معالم الحياة البحرية بالظهور وبصورة خاصة في شمالي إفريقيا ومصر والصحراء الكبرى . ونمت بشكل واضح في العصر الفحمي (الكربوني) ومابعده ، وأخذت المساحات المكونة من ضخور رسوبية ومتحولة تتسع ، وتغطي الصخور النارية تدريجياً ، باستثناء المجنات أو الدروع .

٣ – الزمن الثاني (الميسوزي) :

بدأت معالم القارات بالظهور في بداية هذا الزمن ، إذ شكلت الصفائح والركائز مع سلاسل الجبال القديمة في الأجزاء الشمالية قارة واسعة تؤلف أكثر من ٧٥٪ من أوراسيا (أوروبا – آسيا) الراهنة . وبالمقابل تباعدت أجزاء قارة جندوانا في الجنوب تباعداً بيناً ، وتكونت بين أقسامها أحواض ، تحوّل أحدها إلى المحيط الهندي، كذلك بقيت أوراسيا منفصلة عن جندوانا وأقسامها بمقعر بحر تثيس الذي ظل موئلاً لتكدس الرسوبيات البحرية الهائلة زمناً طويلاً في تاريخ الأرض .

لكنه وفي أواخر الزمن الثاني وبدايات الزمن الثالث أخذ بحر تثيس بالتراجع السريع وارتفعت الالتواءات الحديثة مكانه وعلى هوامشه تدريجياً ، مما أدى في نهاية المطاف إلى التحام أجزاء قارة جندوانا بصفائح الشمال مشكلة قارة أوراسيا . ونتيجة لهذه الحوادث البنائية – الجيولوجية حصلت تغيرات جغرافية مهمة زحفت فيها مياه البحار على أجزاء من اليابسة ، كما انحسرت عن مساحات منها خضعت لحركات نهوض وبروز اليابسة فوق مستوى البحار . وقد حصل في أواسط هذا الزمن وفي العصر الجوراسي منه غمر كبير لليابسة في العالم الإسلامي ، من جراء توسع حوض المحيط الهندي ، شمال أراضي الصومال وأثيوبيا حتى آرتيريا ، كما وصل الغمر إلى أجزاء متفرقة من جنوبي وشرقي آسيا .

تتألف صخور هذا الزمن من رسوبيات بحرية تشكلت في أحواض بحرية عميقة يعود عمر أهمها إلي العصرين الجوراسي والكريتاسي (الطباشيري)، وهي صخور غنية بمستحدثات (أحافير) تؤكد انتشار أشكال الحياة الحيوانية والنباتية في البر والبحر، مع غلبة البحرية الأصل منها . وأكثر هذه الرسوبيات انتشاراً هي الصخور الكلسية والرملية والحوارية والصلصالية العُضارية والدولوميتية والملحية ، إضافة إلى صخور متحوّلة أغلبها من أصل رسوبي مثل الشيست وغيره .

تغطي صخور هذا الزمن مساحات واسعة من العالم الإسلامي ، جبله وسهله ، في أغلب أنحاء إفريقيا شمال خط الاستواء ، وأنحاء متفرقة من آسيا الإسلامية ، في آسيا الصغري وبلاد الشام وشرقي الجزيرة العربية وجنوبيها ، وجبال إيران وأفغانستان ، وكثيرٌ من جبال وهضاب اسيا الوسطى وغيرها. وقد دام هذا الزمن مدة تقرب من ١٦٠ مليون نسمة (٦٥- ٢٢٥ مليون سنة مضت) .

٤ - الزمن الثالث (الكينوزي) :

ساد هذا الزمن وأحداثه منذ ٦٥ مليون وحتى قبل أكثر من ٢,٥ مليوني سنة مضت. وقد تميز بكثير من الأحداث الجيولوجية والتغيرات الجغرافية الطبيعية، ولكن أبرزها وأهمها بالنسبة للعالم الإسلامي هو النشاط الملحوظ والزائد للحركات البنائية الكبيرة، إضافة إلى أعمال النشاط البركاني - الاندفاعي وتدفق نتاجه من الحمم واللابات، ولاسيما على امتداد مناطق الصدوع والالتواءات ونطاقات تماس الصفائح البنائية (التكتونية) .

أما جغرافياً فقد قامت الحركات البنائية المختلفة بتكوين أهم السلاسل الجبلية الالتوائية في العالم الإسلامي مثل جبال الأطلس وآسيا الصغرى والقفقاس وإيران وأفغانستان والباكستان والهيمالايا وتوابعها وامتداداتها نحو الجنوب الشرقي من آسيا، وكذلك الجبال الالتوائية المتفرعة من عقدة بامير في وسط آسيا الإسلامية. ولم يقتصر الأمر على نشوء هذه التضاريس الجبلية الضخمة فحسب، بل أدت عمليات الرفع والنهوض البنائية إلى تجديد شباب السلاسل الجبلية والمرتفعات القدمية مثل جبال تيان شان وألطاي وغيرها، وعرضها لعمليات حت وتعرية عنيفتين.

اتصفت الحركات البنائيـة في الزمـن الثالث بالشدة، فنتج عنها غلبة نموذج البنية الالتوائيـة الألبية - القفقاسيـة - الهيمالاتية، ذي الطيات الضـيقة (المصـرورة) الغنية بالسـلاسل الجبلية العالية والأوديـة العميقة الواطئـة والضيقة، كـذلك انتشرت الصدوع في أنحاء العالم الإسلامي ذي الصخور الصلبة القليلـة المرونـة .

ومن أهم أحـداث هذا الزمن أثـراً في العـالم الإسـلامي، نشـوء الأخـدود الأفـريقي العظيم وتشكل البـحر الأحـمر والأغـوار السورية والأفـريقيـة على طوله ولاسيـما في إطار الفـصل بين جناحي العالم الإسلامـي الإفريقي والآسيـوي. وقد حدث ذلك نتيجـة انفصال الصفيحة العربـية عن الصفيحة الإفريقيـة في آواخر عصر الأليجوسين ومطلع عصر المايوسين، وما أعـقب ذلك من نشوء أخدود البحر الأحمر الكبير ودخـول مياه البحر المتـوسط إليه، مما كوَّن خليجـاً ضيقاً تابعاً للبـحر المتوسط يصل حتى برزخ أرضي كـان يربط عدن بجيبـوتي في البداية. لكنه وفي آخر عـصر المايوسين تشكل برزخ السويس فتحول الخلية إلى بحـيرة مالحة. لكن الحركات البنائية الصدعيـة ضربت برزخ عدن - جيبوتي في عـصر البلايوسين فانفتح البـحر الأحمر وأصبح دراعاً بحرياً مـتصلاً بالمحيط الهندي، ثم أخذ شكله الراهن بعـد قيام الإنسان بشق قناة السويس.

وعلى العمـوم فإن الشكل الجـغرافي الطبـيعي للعالم الإسـلامي ، ومظاهره وبيئاته التضاريسية أخذت تقترب من أوضاعها وأشكالها الراهنة في نهاية هذا الزمن، يتضافر العمليات الجيولوجية والجيومورفولوجية والمناخية .

٥ - الزمن الرابع (الحديث) :

يقسم إلى عصر البلايستوسين (٢,٥ مليون حتى ١٠٠٠٠ سنة مضت) وعصر الهولوسين (منذ ١٠٠٠٠ سنة وحتى اليوم). وفيه استمر النشاط الاندفاعي - البركاني في جميع المناطق البركانية في العالم الإسلامي، وبلغ أشده في الجنوب الشرقي في أرخبيلات إندونيسيا وماليزيا وفي نطاق الأخدود الأفريقي العظيم، حيث غطت الأغشية البازلية والحرّات مساحات واسعة من بلاد الشام والجزيرة العربية وشرقي إفريقيا. كما ارتفعت المخاريط والجبال البركانية الرباعية فوق بقاع كثيرة من العالم الإسلامي تتوزع على نطاقات الصدوع والالتواءات ومناطق الضعف في القشرة الأرضية.

تؤلف المخاريط البركانية بنوعيها الخامدة والناشطة - الثائرة ، أعلى القمم في كثير من البقاع الإسلامية كما في إندونيسيا وإيران والقفقاس وتركيا وكينيا وليبيا وتشاد والجزائر وغيرها . كما أنها ولاسيما الناشطة والثائرة منها ، إضافة إلى الزلازل والهزات الأرضية ، تؤكد عدم استقرار أرض العالم الإسلام في البقاع التي تتعرض للانفجارات البركانية والزلازل ، وتؤلف شواهد على استمرار تكوين أرضه وبحره من دون توقف . ومما يدعم هذا الواقع أيضاً حقيقة حركة الصفائح التكتونية البطيئة جداً (٢ - ١٠ سم سنوياً) في أنحاء العالم وصفائحه .

إن دراسة الزمن الرابع الجيولوجي في العالم الإسلامي وحوادثه ، لا يمكن لها أن تكون متكاملة إذا لم تتطرق إلى معالجة العصور الجليدية ومقابلاتها المطيرة ، وما بينها من فترات دافئة . وتأتي أهمية ذلك من الدور الملموس للتغيرات المناخية في عصر البلايستويين وأثرها في تضاريس العالم الإسلامي وبيئاته الجغرافية الطبيعية والعمليات الجيومورفولوجية التي أثرت في أشكال الأرض حتى نهاية البلايستوسين وبداية الهولوسين ، ولعل أبرز نتائج تلك التغيرات ذات الطابع المناخي الشامل ، هو تغير مستوى البحار وارتفاع مياهها (٩٠ متراً) من جراء ذوبان جليد القطبين بعد

العصـر الجليدي المتأخر ، مما أدى إلى تحـول جنوب شرقي العالم الإسلامي مـن شبه جزيرة كانت تتصل بقارة آسيا إلى أرخبـيل كبير آلاف الجزر المنفصلة عن آسيا . ومن النتائج ذات الأهمية الجـغرافية والبيئية تغـير حدود النطاقات النباتية والتُربيـة والبيئات الطبيعيـة ، وتراجعها بالاتجاه الذي سمح بانتـشار الصحراء ، وأشباههـا وغلبتها في العالم الإسلامي .

إن الزمن الرابع هو الزمن الذي أخـذت فيـه وفي نهايتـه معـالم التضـاريس وخطوطها والبيـئات الجغرافيـة وسواحل القارات وحدود اليـابسة ، صورتها وهيئـتها الراهنة التي تعالجها الفصول التالية وفقراتها .

التضاريس

تضاريس العالم الإسلامي انعكاس صادق للأوضاع الجيولوجية وتاريخ التطور الجيولوجي والبنائي (التكتوني) الذي عاشه، وسبق الحديث عنه في الفصل السابق. لكنها نتيجة طبيعية أيضاً لمجموع الأعمال الجيومورفولجية وتضافرها مع العناصر الجيولوجية في رسم الصورة الراهنة للتضاريس. فالبقاع السهلية والهضبية الواطئة تتفق في توزعها مع أراضي الكتل الصفائحية والمجنات البنائية القديمة، وتغلب على قواعدها وسطحها الصخور الصلبة والقاسية. أما الجبال العالية والشاهقة فتمتد مؤلفة سلاسل ذات بنى جيولوجية حديثة. كذلك تنتشر الهضاب والكتل الجبلية المتفرقة والمنعزلة بين التضاريس القديمة والحديثة. مثلها في ذلك مثل الأحواض الواسعة والأودية الحوضية المندسة بين سلاسل الجبال وبين الجبال والسهول والهضاب. أما السهول الساحلية فهي اللمسات الأخيرة في عمليات رسم حدود اليابسة مع البحار.

يحوم الارتفاع المتوسط للعالم الإسلامي حول ١٠٠٠ - ١١٠٠ متر، فوق مستوى سطح البحر، وفيه أكبر مجموعة من القمم الجبلية الشاهقة التي يزيد ارتفاعها على ٧٠٠٠ متر. أي أن العالم الإسلامي هو أعلى كتلة (قارية) على اليابسة (مقابل ٩٦٠ متر) لآسيا ذات أعلى متوسط بين القارات). كذلك يشتمل العالم الإسلامي على أكبر شبه جزيرة في العالم هي شبه الجزيرة العربية (٢٧٣٠٠٠٠ كيلو متر مربع) وأكبر بحر داخلي هو قزوين (٣٧١٨٠٠ كيلو متر مربع)، وعلى أخفض نقطة دون مستوى البحر على سطح الأرض (البحر الميت - ٤٠٣ متراً). ويمكن تفصيل ذلك على النحو التالي:

أولاً : السلاسل الجبليـة :

يغلب على السلاسل الجبلية الأصـل الالتوائي والالتوائي - الصدعي وتؤلف حزاماً شـبه مستمـر يمتد من جبال الأطلس الداخلي (مـا وراء الأطلس) على المحيط الأطلسي في أقصى الغرب وحتـى شبه جزيرة ملقة وجبالهـا ، ثم في جبال سومطرة وجاوة وبقية الجزر الإندونيسية حـتى القسم الغربي من جزيرة غينيا الجديدة في أقصى الشرق . ويتخلل هـذا الحزام انقاطعان هما الانقطاع الواقع بين جـبال الأطلس التلي والساحلي والأوراس في المغرب وجبال آسيا الصغـري في تركيا ، حيث يفصل بينهما حوض البحر المتوسط الشرقي ومياهه ، وزحف الهضاب والأراضي السهليـة في ليبيا ومصـر حتى سواحلهما على البحر المتوسط .

أما الانقطاع الثاني للحزام الجبلي في العالم الإسلامي فهو في أقصى الجنوب الشرقي والشرق حـيث فصلت مياه البحـار والمحيطات المتوغلة في أرخبيل إندونيـسيا وماليزيا، بين جبـال جزرهما. ويتصف هذا الحزام الجبلي بخـصائص عديدة منها أن سلاسله قـد تكون منفردة واحـدة، وقد تكون أكـثر من سلسلة تتقـارب وتتبـاعد ، تتلاقي وتفترق ، تعرض وتضييق، ترسم أقواسـاً وتعرجات واسعة وطويلة. كثيراً ما تحيط بأحـواض داخلية وتطوقـها فلا تصـل مياههـا الجارية إلى بحـار العالم. وهذه السلاسل وإن طغى عليها الاتجاه الشرقي - الغربي ، فإنها تتجه نحو الجنوب فالجنوب الشرقي في بورما وماليزيا وإندونيسا ، حيث يعود المحور شرقياً غربياً مع رسم أقواس ذات انحناءات متعددة الاتجاهات .

ومما يلفت النظر في هذا الحزام الجبلي الإسلامي الذي يمتد آلاف الكيلومترات وجود عـدد من العقد التـضاريسـية التي تؤلف ملتقى لسـلاسل عديدة، كـما تؤلف منطلقاً لسلاسل تنبثق منها ، وهي عقدة طوبقال وعقدة الحضنة - أوراس في المغرب، ثم عقدة الأناضول الشرقي - كردستان بين جبال آسيا الصغري والقفقاس وإيران ، ثم عقدة بامير وهضبـتها التي تعد أضخم عقدة في العالم تلتقي فيـها وتتفرع عنها أعلى جبال العالم الإسلامي وسلاسلها ، وتفصل بين المرتفعات الإيرانية - الأفغانية وجبال وهضاب وأحواض تركستان والتبت والهيمالايا (شكل رقم ٣) .

تتألف السلاسل الجبلية في العالم الإسلامي من السلاسل التالية :

(١) جبال الأطلس :

وهي سلاسل جبلية تشغل الشريط الشمالي الغربي من العالم الإسلامي في بلاد المغرب العربي ، تمتد من المحيط الأطلسي نحو الشرق ، الشمال الشرقي مسايرة لسواحل البحر المتوسط والصحراء الكبرى . وتتألف من طيات التوائية تعرف بالأطلس الساحلي أو التلي وهي السلسلة الشمالية المحاذية للبحر المتوسط بين خليج تونس في الشرق وحتى وادي نهر الملوية حيث تتصل بسلسلة الأطلس الأوسط في الجنوب الغربي . بينما تتممها سلسلة الأطلس الريفي في الشمال وعلى امتداد سواحل المغرب على البحر المتوسط حتى مضيق جبل طارق، ويعد ممر تازة أهم المعابر الجبلية بين الأطلس الريفي والأوسط ويربط المغرب بالجزائر .

وإلى الجنوب من الأطلس الساحلي تبرز سلسلة التوائية ثانية هي الأطلس الصحراوي الذي يلتحم في الجنوب الغربي بالأطلس الأعلى (أو الكبير) الذي يرتبط بالأطلس الأوسط من جهة الشمال وبالأطلس الداخلي في الجنوب الغربي. وجبال الأطلس عالية تكثر فيها القمم التي يزيد ارتفاعها على ٢٥٠٠ متر ، وأعلى قممها جبل طوبقال (١٦٥ متر) وجبل إيغيل مغون (٤٠٧١ متر) . تكون عالية في الجنوب الغربي وفي منطقة تقارب وتلاقي الأطلس الأوسط مع الأطلس الأعلى والأخير مع الأطلس الداخلي . . . لكن الارتفاعات تأخذ في التناقض باتجاه الشمال الشرقي والشرق ويكون الأطلس الصحراوي أقل ارتفاعاً من الأطلس الساحلي . أما في الشرق فتؤلف كتلة أوراس عقدة تعلو لأكثر من ٢٣٠٠ متر ، تربط بين الأطلس الصحراوي والساحلي وجبال تونس حيث تنخفض الجبال لأقل من ١٥٠٠ متر ، ثم تنتهي في السهول التونسية .

تتألف جبال الأطلس من سلاسل عديدة وأودية طويلة تسايرها ، وتفصل بينها فروق ارتفاعات كبيرة (١٠٠٠ - ٢٠٠٠ متر وسطياً) وتكثر فيها الجروف القاسية والسفوح الشديدة الانحدار ، كما توجد فيها الخوانق في أعالي الأودية السيلية والأنهار التي عمقت مجاريها متعامدة مع محاور الالتواءات ، مما أوجد العديد من الممرات الواصلة بين أنحاء الأطلس والبحر المتوسط في الشمال، والصحراء الكبرى في الجنوب ، وتربط الممرات الشرقية - الغربية الأساسية بشبكة من المعابر العرضية .

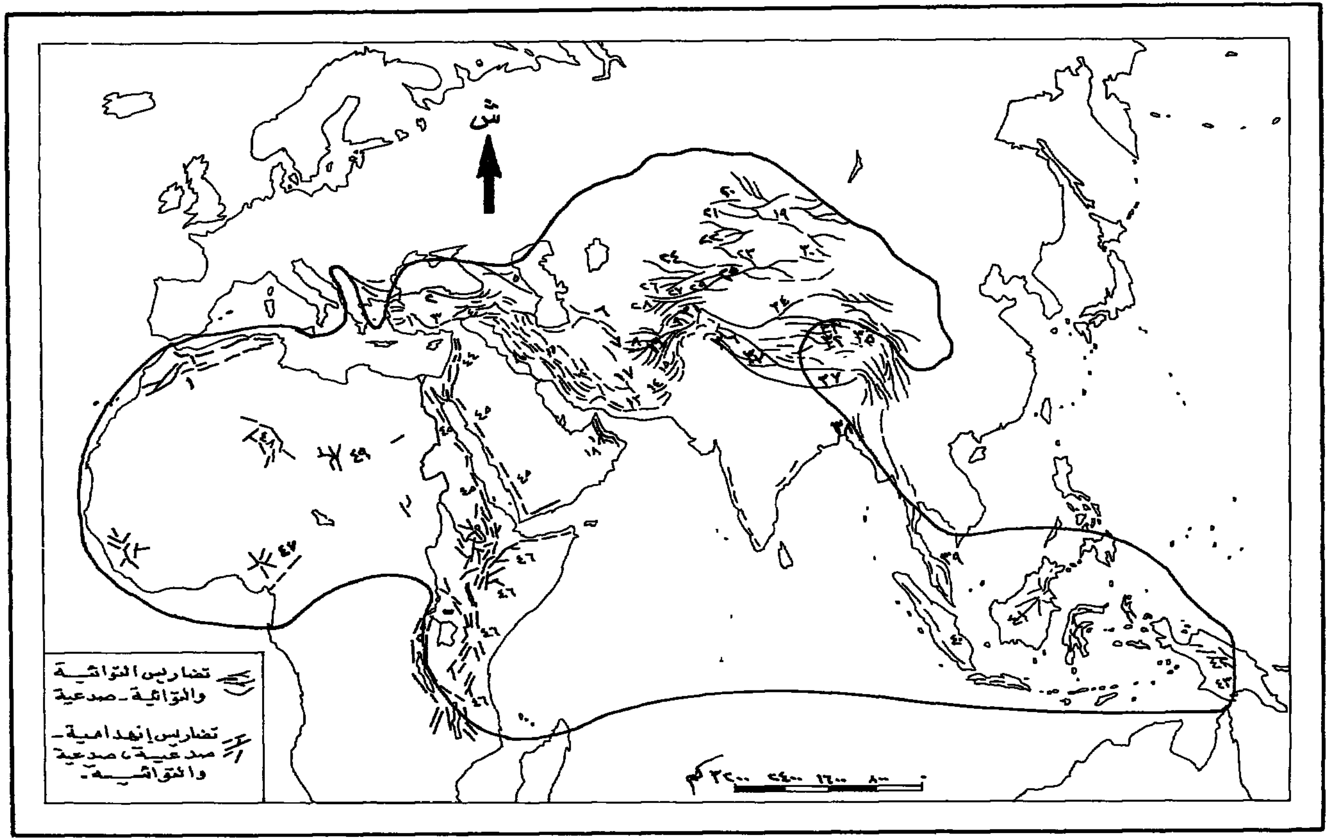
تسود جبال الأطلس أشكال التضاريس البنيوية والكارستية (الطباشيرية) في المناخ المتوسطي. كما تنشط فيها أعمال الحت والتعرية المائية بالأنهار والسيول التي خلقت الأخاديد والجروف والنواشز. وتعاني الجبال العالية من نسبة تعرية قدرت بنحو ٤٤,٩ سم في ١٠٠٠ سنة، وقد أدى تغير المناخ في العصر الجليدي المتأخر (القرم) إلى نشوء مصاطب الأنهار والأودية. كما عثر على آثار جليدية وأشكال شبه جليدية (Periglacial) في المرتفعات. وتشير شواهد كثيرة إلى دورة حتية بدأت منذ خمسة قرون، أعقبت دورة ترسيب سابقة دامت ١٠٠٠ سنة. وهذا الأمر ينسحب على أشكال تضاريس حوض البحر المتوسط. ومع ذلك تبقى التضاريس البنيوية الالتوائية الأصل هي الراسمة لصورة البيئة الجغرافية .

(٢) جبال آسيا الصغري :

تنعدم السلاسل الجبلية الالتوائية المهمة على طول السواحل الإسلامية المتوسطية الإفريقية ، إلى الشرق من جبال الأطلس ، إذ لا يظهر فيها سوى كتل جبلية منخفضة مثل جبل نفوسة (٧١٦ متراً) والجبل الأخضر (٨٧٨ متراً) . لكنها وبالمقابل تعود فتظهر في الشمال في شبه جزيرة آسيا الصغرى ، في تركيا، على هيئة سلسلتين جبليتين التوائتين متوازيتين لهما محور شرقي - غربي عام . السلسلة الأولى منهما هي سلسلة جبال البحر الأسود (البونتية)، وهي استمرار لجبال رودوب وجبال بلغاريا .وهي سلسلة ضيقة وتتألف من عدد من السلاسل المتجاورة تفصل بينها أودية

١- جبال الأطلس
٢- جبال البحر الأسود(بنطس)
٣- طوروس
٤- طوروس الداخلية
٥- جبال القفقاس(القوقاز)
٦- كويت دا غ
٧- جبال خراسان
٨- سفيد-كوه
٩- هندوكوش
١٠-كردستان
١١- زاغروس
١٢-كرمان
١٣-مكران
١٤- بلوخستان
١٥- جبال سليمان
١٦- بابا – كوه
١٧- صرخد
١٨- عمان
١٩- الطاي
٢٠- بلوخا
٢١- تريغتاي
٢٢- الاتاو الجونغارية
٢٣- بورخور
٢٤- طلاس(طلس)
٢٥- تيان شان
٢٦- تركستان
٢٧- زرفشان
٢٨- غيسار
٢٩- ألاي
٣٠ - قارلق طاغ
٣١- بامير
٣٢- التبت
٣٣- كون لون
٣٤- التون شان
٣٥- بورخان بوداي
٣٦- قره كوروم
٣٧- هيمالايا(القراجيل)
٣٨- أراكان
٣٩- بيلاوكتاونغ
٤٠- باريسان
٤١- مولر
٤٢-ماوكه
٤٣- بسمارك
٤٤- جبال بلاد الشام
٤٥- جبال البحر الأحمر
٤٦- جبال شرقي افريقيا
٤٧- مرتفعات الكمرون
٤٨- جبال الأحجار(الهوقار)
٤٩- جبال تيبستي

مفتاح شكل (٣)



شكل (٣) التضاريس الجبلية وتوزعها بحسب بنيتها في العالم الاسلامي

عميقـة،تساير سواحل البحر الأسود وترسم أقواساً منطبقة على تعرجات السواحل ، تصل ارتفاعـاتها لأكثر من ٣٥٠٠ متـر (٣٩٣٧ متر في جبل كـاتشكار في الشرق) بينما تقع بطون الأودية التي تفـصل بينها على ارتفاعات مـتوسطة تراوح بين ٥٠٠ و ٧٠٠ متر ، مما يعكس الفروق التضاريسية الكبيرة وأثرها على الجريان المائي ، وعنف العمليات الجيومورفولوجية ، ولاسيـما أن المسافات إلى البحر الأسود قصيرة مما يزيد في سرعة الجريان المائي للأنهار الساحلية .

أما السلسلة الثانية فتتضح معالمها ابتداء من جنوب غرب تركيا ، وتظهر على هيئة قوس تنطبق على مسار سواحلها الجنوبية ، مؤلفة جبال طوروس التي تتجه نحو الشـمال الـشرقي وامـتـدادها في سلسلة جنوب شـرق الأناضـول (أنتي طوروس - طوروس الداخلية) . وتصل الارتفاعات في السـلاسل الجنوبية إلى ٣٠٠٠ متر (وفي قمة أرجياس البـركاني ٣٩١٦ متر) . ومع غلبة المحاور الشرقيـة الغربية على سلاسل تركيا الالتوائيـة على ساحلي البحر الأسود والبحر المتـوسط ، وعلى جبال إيجة التي تتألف أقسام منها من صـخور بلورية قاسية قديمة ، انتشرت في جبـال آسيا الصغرى الأودية العميقة والتي تشغلها أنهار تساير المحاور الجبلية حتى تجد لها منفذاً إلى البحر الأسود أو المتوسط ، أما أودية الغرب فأقل عمقاً وذات قاع أعرض وقصيرة تنتهي في بحر إيجة مباشرة (غديز ومندرس وغيرهـما) .

تقترب السلسلتان من بعضهما في الشرق حيث تظهر هضبة الأناضول الشرقية (١٤٠٠ - ١٨٠٠ متـر) . وعقـدتها التي تعلوها جـبال منفـردة وسلاسل جـبلية . وتغلب على صخور الهضبة الصخور البلورية والشيسـتية كما تغطي الصخور البازلتية والصبـات الاندفاعية مـساحات من سطحـها . كما أن أعلى قـممها هي عـبارة عن براكين حديثـة العمر خـامدة مثل سـيحان داغ (٤١٧٥ مـتر) وألاغوز (٤٩٩٥ مـتر) وأرارات (٥١٥٦ متر) ، تغطي أعاليهـا ثلوج دائمة . ومما يدل على حداثتها الزلازل التي تضرب شرقي الأناضول والينابيع الكثيرة ذات المياه الدافئة والحارة .

أما جيومورفولوجياً فإن تضاريس آسيا الصغرى ولاسيما الواقعة على ساحل البحر المتوسط ، شبيهة بمثيلاتها في منطقة الأطلس . أما جبال البحر الأسود فالغالب عليها تعاقب الأودية البنيوية مع الطيات السنامية ، كما في حوض يشيل إرماق وقيزيل إرماق وتشوروخ ، وتتصف السفوح الموجهة نحو البحر الأسود بعنف عمليات الحت والتعرية فيها لفرق الارتفاع بين البحر والجبال وشدة الانحدار وغزارة التساقط مما ساعد الأنهار على تكوين دالات بحرية . وتكثر في آسيا الصغري الداخلية الأشكال المورفولوجية البركانية الحديثة والقديمة .

(٣) جبال القفقاس :

تلامس أطراف العالم الإسلامي أوروبا في إقليم القفقاس . وتؤلف جباله سلسلة التوائية حديثة طولها ١٢٠٠ كم بعرض يراوح بين ٦٠ و ١٢٠ كم وأعلى قممها في جبل أوشحة مافة (إلبروز) (٥٦٣٣ متراً) وكازبك (٥٠٤٧ متراً) . ويتألف نواة هذه الجبال من صخور بلورية ، كما أدت الحركات البنائية إلى ارتفاع المخاريط البركانية مؤلفة أعلى القمم فيها ، وإلى حدوث صدوع أظهرت مجموعة كبيرة من الينابيع المائية الحارة والمعدنية في بلاد الشركس، ويسير محور جبال القفقاس من الشمال الغربي نحو الجنوب الشرقي ، ككتلة متماسكة تؤلف جداراً طبيعياً منيعاً بين السهول الشمالية والقفقاس الشمالي ، وما وراء القفقاس الجنوبي، تربط بينهما ممرات وخوانق وعرة على ارتفاعات تترواح بين ٢٥٠٠ و ٣٥٠٠ متر.

وتتصف السفوح الشمالية للقفقاس باتساعها وتتابع سلاسلها من النواة البركانية إلى النطاق الشيستي (الصخور المتحولة) إلى الهوامش الرسوبية . أما سفوحها الجنوبية فقصيرة وأشد انحداراً . وخلافاً لما عليه الأوضاع في سلاسل الأطلس وآسيا الصغري ، فإن الأودية العميقة القفقاسية تتعامد مع محور الجبال وتقطعها بخوانق كثيرة تعيق الاتصال إلا على امتداد أقدام الجبال .

وللقفقاس تتمة في شبه جزيرة القرم في شمال البحر الأسود ، وكان سكانها كلهم مسلمين قضت عليهم القيصرية الروسية وأبادتهم الشيوعية وأحلت محلهم غير المسلمين من الروس والأوكرانيين ، فلم تترك للمسلمين من تتار القرم أثراً يعتد به اليوم . أما في الجنوب الشرقي فتتم جبال شمال إيران ولاسيما كوبت داغ ، ويلخان (في تركمنستان) استمرار التواءات القفقاس ، بعد انقطاع قصير سببه منخفض بحر (قزوين) . كذلك تتصل جبال القفقاس بسلسلة القفقاس الصغيرة التي تلتحم بعقدة الأناضول الشرقية وبجبال إيران عن طريق ألسنة جبلية تلتقي عند تفليس .

القفقاس غني بالأشكال التضاريسية ذات الأصول البنيوية والبنائية ، فإلى جانب التضاريس الالتوائية العادية ، تظهر حافات من نوع (الكويستا) والسنامات المفرغة ، والأودية العميقة والخوانق الحتية النهرية ، كما تظهر فيه التضاريس البركانية، وتكثر فيه التضاريس الكارستية أي الطباشيرية وجوبات Dolineds . لكن أشكال التضاريس المميزة للقفقاس العالي ، هي التضاريس الجليدية والأودية المعلقية والحلبات والأودية المعلقة التي تتغذى شلالاتها من ألسنة جليدية حالية . وتنشط عمليات الترسيب النهري والسيلي عند أقدام الجبال وفي أحواض الأنهار ومجاريها الدنيا بالذات ، حيث تشاهد المصاطب النهرية دليل تعاقب الحت والترسيب في لحقيات الأنهار ، كما تنتهي أغلب أنهار القفقاس بدالات ناشطة على سواحل بحر آزوف والخزر خاصة .

(٤) جبال إيران – أفغانستان :

وتتألف من مجموعة من السلاسل والكتل الجبلية ذات البنية الالتوائية الحديثة. وهي عبارة عن أقواس جبيلة تحيط بهضبة إيران من جميع أطرافها . تبدأ في الغرب والشمال الغربي بجبال البورز ، وأعلى قممها ، جبل ديماوند (٥٦٧١ متر)، وتطوق بحر قزوين من الجنوب ، وتتصل بسلسلة كوبت – داغ (٣١٤٧ متر) فسلاسل جبال خراسان (٣٤١٦ متر) ثم تتصل في الشرق بسلسلة سفيد – كوه فجبال كوهي بابا ثم جبال هندوكوش الشاهقة الارتفاع التي تندمج بهضبة بامير .

تتصف هذه الجبال بتعدد سلاسلها وبكثرة الأودية البنائية الفاصلة بينها ، والتي تسلكها الأنهار والسيول ، مسايرة لمحاور التضاريس ، وتقطعها عمودياً في مجاريها الدنيا مشكلة خوانق تؤدي إلى بحر قزوين أو إلى أحواض داخلية مغلقة مؤلفة من سباخ أو خبرات (تاكير في تركستان) أو تنتهي إلى رمال تركستان أو صحراء (دشت) كفير ونامك في إيران . وتعد جبال هندوكوش التي تتزايد ارتفاعاتها باتجاه الشرق إلى ٦٠٠ - ٧٠٠ متر ، وأعلى قممها جبل تيريش مير (٧٦٩٠ متر) ، العمود الفقري لجبال أفغانستان .

أما في الغرب فتتفرع عن عقدة الأناضول الشرقية سلسلة جبال عالية تبرز بينها كتل بركانية ، مثل جبل سبلان (٤٨١١ متر) ، وساهاند (٣٧١٠ متر)، تليها سلاسل جبلية تتجه نحو الجنوب الشرقي أغلبها قصير ينتهي في حوض طهران - قم . باستثناء سلاسل كردستان وزاغروي ، التي تعد واحدة من أكثر السلاسل الالتوائية الحديثة نموذجية في العالم ، ولا سيما جبال زاغروس . ففي زاغروس تتجاور الطيات الالتوائية الرشيقة التي يراوح عددها بين ١ - ٥ وحتى ١٥ - ١٦ طية ، تتقارب وتتباعد ، تفصل بينها أودية بنائية (مقعرات) سارت فيها مئات الأودية والأنهار راسمة شبكة تصريف مياه تميز البنية الجبلية الالتوائية . وتعد قمة زرد - كوه (٤٥٤٨ متر) أعلى قمم زاغروس . ومحور كردستان وزاغروس شمالي غربي - جنوبي شرقي ، يرسم قوساً طولها نحو ٢٠٠٠ كم تنحرف شرقاً على سواحل الخليج العربي . وتستمر هذه الجبال في سلاسل كرمان ولارستان وهرمز ، على امتداد ساحل البحر العربي ، حيث تظهر سلسلتان بينهما حوضة جازموريان المغلقة ، تتحدان في الشرق في سلسلة مكران . بعدها تنحرف محاور الجبال نجو الشمال الشرقي فالشمال في سلاسل بلوجستان والسلاسل السندية التي ترتفع إلى ١٥٠٠ - ٢٥٠٠ متر ، وسطياً . لكنها ترقى إلى ٣٥٩٣ متر في جبل زارغون المطل على مدينة كيتا . ويخترق هذه الجبال ممر بولان . وتلتحم هذه الجبال بجال سليمان (٣٤٤١ متر) في الشمال وبجبال

أفغانستان الشرقية التي يمر فيها ممر خيبر التاريخي . وأخيراً تندمج في جبال أفغانستان المركزية المؤلفة من سلاسل تتفرع كالأصابع المنفـرجة أو كالمروحة المفتوحة نحو الغرب والجنوب الغربي ، مـعصـمها عـقدة جبـال بابا - هندوكوش ، تخـددها أودية أنهار وسيول تنتهي في صحاري راجستان ومارغو وسيستان .

تتكرر هنا صورة آسيـا الصغرى التضاريسـية ، على مقياس أكـبر ، إذ تحيط السلاسل الجبليـة بهضاب وأحواض داخليـة مغلقة ارتفاعهـا (٥٠٠ - ٧٠٠ متر) . والفارق بينهـما أن الهضـبة الإيرانية - الأفـغانيـة مفصولـة في الداخل إلى حوضين بوساطة حـزام جبلي يمتـد من جبال خـراسان في الشـمال حتى جـبال صـرخد في الجنوب، لكن هذا العارض الجبلي لا يؤلـف حاجزاً تضاريسياً لغناه بالمفـاوز والفجاج الواسعة . والعائق الحقيقي في هذه البقاع ليس التضاريس بل الأوضاع المناخية والمائية القاسية في أنحائها الصحرواية فتسمية (دشت مارغو) تعني صحراء الموت .

وتحتل جـبال عمـان في العالم الإسلامي مكانة مميـزة ، فهي سلسلة قوسـية تساير خليج عـمان تعلو حتى ٣٠١٨ متـر في الجبل الأخضر ، لكنهـا ليست سلسلة التوائية بالمفهوم الدقـيق ، بل هي جبال كتلية ذات صخور اندفاعـية خضراء تحف بها صخـور رُفعت على امـتداد صدوع ضـربت خلية عـمان وتمتد إلى جـبال لارسـتان وزاغروس ، ويرجح نسـبة جبال عـمان إلى الجبال الالتـوائية الإيرانية بنائيـاً ، لغلبة الطابع الالتوائي عليها .

تلتحم مجموعة جبال إيران وأفغانسـتان في أقصى شماليها الشرقي وبوساطة جبال هنـدوكوش بهضبة بامـير التي تحتل مركـزاً متوسطاً بين السلاسل الالتـوائية في قلب العالم الإسلامي .

تسود في زاغـروس وامتداداتـها أشكال تضاريس التـوائية نموذجـية من أودية بنيوية تسلكها المجاري المائية ، وطيات سنامية تقطعهـا أودية منطبعة ، كما تنتشر فيها

الحافات والأعراف السنامية والسنامات المفرغة . وتتكرر هذه المظاهر التضاريسية في الجبال الإيرانية - الأفغانية بدرجات متفاوتة بحسب الأوضاع المناخية والعوامل الحتية الأخرى ، ولاسيما ازدياد الشروط القارية والصحراوية باتجاه الداخل الإيراني والشمال الشرقي . ونتيجة ضعف عامل النقل ، فإن نتاج عمليات التجوية والحطام الصخري والأنقاض السفحية ، يتكدس في حضيض الجبال بحيث أخذ هذا النتاج يغرق الجبال ويدفنها باستمرار . وعلى العموم فإن سفوح الجبال الموجهة نحو اليابسة غنية بالمؤثرات الجيومورفولجية الصحراوية بينما تتلقى السفوح المواجهة للبحر العربي بعض الرطوبة مما يعطيها بعض مظاهر التضاريس المتوسطية .

(٥) جبال آسيا الوسطي :

وتتألف من مجموعة من السلاسل الالتوائية العالية حتى الشاهقة الارتفاع ، تغلب عليها المحاور الشرقية الغربية القوسية ، تحيط بها هضاب ومنخفضات وصحاري طوران وتركستان في الغرب والشمال الغربي ، وتضاريس الصين الشرقية ومنغوليا وغوبي في الشرق والجنوب الشرقي . أما جنوباً فتؤلف أقدام جبال الهيمالايا (القراجيل) حدود هذه المجموعة الجبلية مع شبه جزيرة الهند وسهول الغانج والسند . كذلك تصل التضاريس الجبلية في الشمال حتى هضاب كازاخستان وجنوب سيبيريا الغربية .

وتجدر الإشارة إلى أن سلاسل جبال آسيا الوسطي (أو المركزية أو الداخلية أيضاً) تضم مجموعتين من الالتواءات ، الأولى منها حديثة من النموذج الألبي - القفقاسي - الهيمالاتي في الجنوب ، والثانية قديمة من النموذج الهرسيني - الكاليوني في الشمال ، والفاصل بينهما هو كتلة بامير وهضبة التبت وسلاسلها الشمالية (كون - لون) وامتدادها شرقاً وجنوباً شرقياً . لذا تغلب على السلاسل الشمالية المظاهر الصدعية والالتوائية الصدعية التي تجدد نشاط الحركات الأرضية فيها . أما السلاسل الجنوبية فهي تضاريس التوائية .

تبدأ جبال هذه المجموعة في الشمال بسلسلة ألطاي (ألطاي المنغولية) على امتداد حدود العالم الإسلامي الشمالية مع منغوليا . وارتفاعاتها المتوسطة بحدود ٣٠٠٠ متر. وأعلى قممها جبل بلوخا BELUKA (٤٥٠٦ متر) ومحورها شمالي غربي – جنوبي شرقي تشرف على منخفض جونغارية من الشمال الشرقي . تليها سلاسل قصيرة ترتفع بين حوض جونغارية في الشرق وحوض بحيرة بلخاش في الغرب هي سلسلة تربغتاي وسلسلة ألاتاو الجونغارية التي تخترقها البوابة الجونغارية (ألاتاو شان كول) أحد الممرات العالمية المشهورة. ثم سلسلة بورخور فسلسلة كتمن KETMEN . واستمرارها غرباً في سلسلة زايل ألاتاو المشرفة على مدينة ألماآتا في الشمال . وسلسلة طلاس (طلس) . وإلى الجنوب من هذه السلاسل التي تكثر فيها القمم الواقعة على ارتفاع ٤٠٠٠ - ٤٥٠٠ متر وسطياً . تمتد سلسلة جبلية ضخمة هي سلسلة تيان شان التي تظهر بدايتها الغربية إلى الشرق من سمرقند ممثلة بثلاث سلاسل متوازية هي جبال تركستان (وهنا تسمية محلية للسلسلة) ثم جبال زرفشان فجبال غيسار، تلتقي في الشرق مع سلسلة ألاي (شمال بامير) حيث تزيد الارتفاعات على ٥٠٠٠ متر . ومن هنا تبدأ السلسلة الأم لتيان شان التي يتجه محورها من الجنوب الغربي نحو الشمال الشرقي حيث تشرف على حوض تاريم وتكلاماكان من ارتفاعات تزيد على ٦٠٠٠ متر (أعلى قمة فيها قمة تامور فنغ TAMUR - FENG (٧٤٣٩ متر) ، وتستمر شرقاً بعد مدينة أورومتشي في جبال بوغدا (٥٤٤٥ متر) وقارلق طاغ (٤٩٢٥ متر) . وتلتحم بسلسلة تيان شان سلاسل صغيرة أو تتفرع من جوانبها ألسنة جبلية كثيرة ذات اتجاهات تسود عليها المحصلة الغربية الشرقية مع انحرافات بسيطة . وتمتد تيان شان على مسافة نحو ٢٠٠٠ كم وتؤلف عارضاً تضاريسياً مهماً بين أحواض شمالي العالم الإسلامي وجنوبيه تصل بينها ممرات جبلية كثيرة ، وبين ما يعرف بتركستان الصينية (سينكيانغ) وتركستان الطورانية وسهوب كازاخستان وظهراتها إلى الشرق من عقدة بامير وجنوب حوض تاريم - تكلاما كان

تأخذ مجموعة أخرى من الحزم الجبلية الالتوائية بالظهور ، لتؤلف سلاسل قوسية طويلة تحيط بها أكبر هضبة في العالم هي هضبة التبت . وتتمثل بسلسلة جبال كون لون (كون لون شان) التي ترتفع جنوب حوض تاريم - تكلاماكان على امتداد الأطراف الشمالية للتبت وترتفع إلى ٥٠٠٠ - ٦٠٠٠ متر وسطياً ، وأعلى قممها في جبل موزتاغ ٧٧٢٣ متر .

وتتفرع عن كون لون الشرقية سلسلة ضيقة نسبياً هي آلتون شان (أو آستين طاغ) واستمرارها باتجاه الشمال الشرقي فالشرق لتحيط بمنخفض تسايدام (قايدام) من الشمال ، وكذلك سلسلة بوكاليك طاغ وبورخان بودّاي شان المطوقة للمنخفض من الجنوب ، وتعود هاتان السلسلتان فتلتقيان شرق المنخفض لتؤلف سلسلة داتونغ شان، وتنتهي في دابان شان شمال مدينة لانجو (لانشو) في مقاطعة كانسو GANSU المسلمة في وسط الصين .

وأخيراً وليس آخراً تتفرع من عقدة بامير ومن خاصرتها الجنوبية الشرقية أضخم وأعلى سلسلتين جبليتين التوائيتين في العالم هما سلاسل كراكوروم والهيمالايا، التي تلتقي مع جبال هندوكوش في منطقة واخان والهونزا . وتؤلف هذه السلاسل أقواساً جبلية ضخمة تمتد من الشمال الغربي نحو الجنوب الشرقي فالشرق والشمال الشرقي ، تحيط بهضبة التبت وهوامشها الجنوبية ، تتصف بالارتفاعات الشاهقة التي تتراوح بين ٦٠٠٠ - ٦٥٠٠ متر ، وتنتشر فيها أكثر من ٣٠ قمة جبلية ترقى لأعلى من ٧٠٠٠ متر ، أعلاها قمة جبل تشومولانغما CHOMOLANGMA (افرست أو ساغارامتا) (٨٨٤٨ متر) أعلى قمة في العالم . كذلك تكثر في هذه السلاسل الجليديات أو الثلاجات الجليدية GACIERS التي تغذي مئات الأنهار والروافد بالمياه التي ترسم شبكة أودية من النموذج الجبلي الالتوائي ، حيث تساير الأودية محاور الجبال لمسافات طويلة حتى تجد لها مخرجاً إلى أحواض داخلية في هضبة التبت والشمال ، أو تنتهي إلى شبكة أنهار المحيط الهندي

في الجنوب (الجانج والسند) .

قامت الحركات البنائية بدور كبير في رسم معالم جيومورفولوجية جبال آسيا الوسطى . فعمليات رفع التضاريس أدت إلى تجدد شباب الدورة الحتية فنشطت أعمال تعمق الأودية وتوغلت في الجبال . لكن أعمال النقل المائي في شروف المناخ القاري وشبه الجاف حدَّت من تحرك المجروفات والحطام ، إلا في الجنوب حيث الأنهار الكبرى والألسنة الجليدية في الجبال الشاهقة . وتظهر في الشمال مستويات جيومورفولوجية متعددة نتيجة تكرار النهوض والحت وتعرض التضاريس للترسيب مما عقَّد الأشكال التضاريسية .

وتنتشر في الجبال العالية مظاهر التضاريس الجليدية ولاسيما في الجنوب والجنوب الغربي . كما تظهر على السفوح المطلة على الأحواض الداخلية أشكال تضاريسية قارية صحراوية قاسية . أما في مخارج الجبال فإن الأودية ترسم دالات جافة تحمل أنهارها وسيولها مواد تترسب عند أقدامها ، يقوم الريح بنقل المواد الناعمة فيها إلى داخل الأحواض المغلقة مؤلفة صحاري رملية . أما على السطوح البنيوية فتتحول بقايا التجوية وشظاياها إلى صحاري حجرية . كما تتكرر هنا ظاهرة تغريق أو دفن الجبال بالحطام والأنقاض المتكدسة عند حضضها.

(٦) جبال الجنوب الشرقي :

وتشتمل على جبال شبه جزيرة الهند الصينية وشبه جزيرة مالقة واستمرارها في جزر إندونيسيا وماليزيا . فشرق الثنية الرئيسة لنهر براهما بوترا في نهاية سلسلة جبال الهيمالايا الشرقية تبدأ سلاسل جيلية التوائية تتجه من الشمال نحو الجنوب مع تقوس عام نحو الغرب . وهي جبال التوائية يتراجع ارتقاعها باتجاه الجنوب وتتألف من عدد من السلاسل المتجاورة تفصل بينها أنهار كثيرة تجري في أدوية عميقة في بورما (مينمار) أشهرها سلاسل تلال ناغا Naga وجبال أراكان (قمة فيكتوريا ٣٠٥٣

متـراً) في سلسلة رونغ كلانغ ، ثم سلاسل نون شـان وامتدادها جنوباً حيث تتـفرع وتتشعب إلى سلاسل عديدة في شمالي شبه جزيرة الهند الصينية ، تفصل بينها أودية نهرية عـميقة تنتـهي في سهول وأحواض واسـعة مثل وادي نهر الايراوادي وحـوضه ونهر تشـاو فرايا ونهـر الميكونغ . وتستـمر هذه السـلاسل الالتوائية فـي الغرب في أرخبـيل جزر أنداماان ونيكوبار ، وفي الـوسط في شبه جـزيرة ملقة تقع ارتفاعـاتها بحدود (١٠٠٠ - ١٥٠٠ متـر) مثل سلسلة بيلاوكتاونغ وسلسلة كـربا (٢١٨١ متر) وسلسلة الساحل الشرقي (٢١٩٠ متر في جبل تاهان) .

أما في جزر إندونيسيا فتظهر سلاسل التوائية حديثة تعتورها عشرات المخاريط البركانيـة الخامدة والناشطة . أبرزها سلسلة سـومطرة أو (سلسلة باريسان Barisan) (جبل كيرنيكي ٣٨٠٥ متر) وسلسلة مولر في بورنيو (كليمنتان) وغيرها من سلاسل أخرى في جـاوة والجزر الأخرى ولاسيـما في جزيرة سـولاويسي. أما جزيرة عـينيا الجديدة فتتوسطها سلسلة جبلية عـالية تمتد من أقصاها إلى أقصاها في سلسلة ماوكـة في الغـرب (قمة جايا ٥٠٣٠ متراً) وسلسلـة بسمارك وأوريـن ستانلي في الشرق ، وتعكـس تضاريـسها التـعقيد البـنائي - البنيوي الناجم عن تداخل الوحـدات البنائية الحديثة بالوحدات القديمة في مقعر أرضي كبير .

تحتوي جبال هذه المجموعة على أشكال تضـاريسية تتأثر بالأوضاع الاستوائية والمدارية وبالعوامل البنائية ، فـالحت النهري يرسم أشكالاً حتية عنيفة لقـصر مجاري الأنهار وشدة فرق الارتفـاع وغزارة الأمطار ، كما تقوم المياه بـرسم دالات ومصبات وحلية لغناها بالمجروفات والغرين . إضافة إلى دورها في نشوء تضاريس ساحلية من نموذج الأخوار والقرم (بتـدخل النبات) . وتنتشر في الأنحاء الغنية بالصـخور القابلة للتـحلل مظاهر تضاريس الكارست ولاسيـما الكارست البرجي (كـارست الأبراج) والموغوت (الكارست القبابي) ، وكلاهما من التضاريس المميزة للكارست المداري - الاستوائي . وللارتفاع فوق سطح البحر أثره في وجود بقايا تضاريس جليدية شاهدة

على جليديات رباعية بلايستوسينيــة عندما كان حد الثلج الدائم أخفض بنحو ١٠٠٠ متر .

ثانياً : الجبال الكتلية :

تختلف هذه الزمرة عن الســلاسل الجبلية بغلبة الطابع الكتلي المشــوش عليها وندرة ظهورها على شكل وحـدات تضريسية خطية شـبيهة بالسلاســل الالتوائية التي سبق الحديث عنها . كذلك تختلف عنهــا بصخورها التي تغلب عليها الأنواع الصلبة والبلورية دون غــياب الأنواع الرســوبية المتطبــقة ، وبنيتــها التي رســمتــها الحــركات الصدعيــة، فأبرزتها على شكل تضاريس كتلية انهــدامية مخلعة ومــشوشة ذات أغوار ونجود وحروف صدعــية ، قد تكون متصلة ومســتمرة أو تؤلف كتلاً تضريســية عالية مستــقلة منعزلة . لكنه وخلافــاً لهذا كله ففي العالم الإســلامي مجموعــة من الجبال الكتلية التي ترسم سلاسل واضحة ، أصلها التــوائي تعرض لحركات صدعية انهدامية متأخرة . وتتكون تلك الجبال من الآتي :

(١) جبال الأخدود الأفريقي العظيم :

تشكلت على امتدا الصدوع الانهدامية وعلى جانبيها مجموعة من التضاريس الجبلية المرتفعة في بلاد الشام وسواحل خليجي العقبة والسويس ، وعلى جانبي البحر الأحمر وخليج عدن وكذلك على امتداد الأخدود الأفريقي العظيم وتشعباته وتفرعاته في شرقي إفريقيا (شكل رقم ٤) وتشمل هذه المجموعة :

أ - جبال بلاد الشام الكتلية :

وتتألف من شريطين جــبليين يسايران الساحل الشرقي للبحــر المتوسط . تبدأ في الشمــال على شكل فرع التوائي يخــرج من جبال طوروس يتجــه نحو الجنوب ، شطره الانهدام إلى شريط جــبلي غربي وآخر شرقي داخلي تفصل بــينهما سلسلة من الأغوار في سهول العمق والغاب والبقــاع فالأغوار الأردنية والبحر الميت ووادي عربة

. ويكثـر تداخل الصدوع مع الالـتواءات في الشـمال ، لتـصـبح الكتل المصدوعـة والانهدامية غـالبة باتجاه الجنوب على جانبي خليج العقبة. وتتـصف جبال بلاد الشام بشدة انحـدار سفـوحها المطلة على الأغـوار . وبدورها الحاجـز للتواصل بين البـحر والداخل عن طريق عـدد من الممرات مـثل ممر طرابلس - حـمص وغيـره . وتصل الارتفاعات الـعامة فيهـا إلى ١٥٠٠ - ٢٠٠٠ متر ، وإلى ٣٠٨٧ متـر ، في القرنة السوداء و٢٨١٦ متر في جبل الشـيخ . وتتفرع من هذا الجناح الشرقي الداخلي أذرع جبلية تغلب عليها البنية الالتوائية المصدوعـة تتجه نحو الشمال الشرقي والشرق تضيع في الهضـاب الداخلية . أبرزها الجـبال التدمـرية (١٠٠٠ - ١٣٠٠ متـر) . أما في الأغوار فقسم كبير منها يقع دون مستوى سطح البحر ، وفيها أخفض نقطة في العالم (البحر الميت ٤٠٣ متر تحت سطح البحر) .

ب - جبال البحر الأحمر وأذرعه :

يحصر خليجا العقبـة والسويس مثلث سيناء الذي يرتفع جنوبيها إلى ٢٦٦٧ متر في جـبل كاترينا ، كما ترتفع جـبال مدين في الشرق والجـلالتين في الغرب إلى مستويات ١٠٠٠ - ٢٠٠٠ متـر . وتستمر الجبال الكتلية على جانـبي البحر الأحمر في جبال الحجاز واليمن مجزأة في الشمال ومتلاحمة جنوب مكة المكرمة والطائف ، فتصل أعلى مستويات لها في جبـال اليمن حول صنعاء (أعلى من ٣٠٠٠ متر) . أما على الجانب الغربي فتـرتفع جبال مصر والسودان وأريتريا على هيئـة كتل تفصل بينها أودية سيليـة جافـة تنتهي في البـحر الأحمـر ، أو باتجاه الغرب إلـى النيل ، وتحوم الارتفاعـات حول ١٠٠٠ - ٢٠٠٠ متـر. ولأعلى من ٢٧٠٠ في جبـال أريتريا . وهنا يتفـرع انهدام البـحر الأحمـر إلى شعبـة جنوبية غربيـة تشمل مـثلث أريتريا - جيبـوتي - أثيوبيا ، وهو مثلث خاسف انـهدامي (يعرف أحياناً بمثلث عـفار) تشرف عليه مرتفعات أثيوبيا،وهضابها من الغرب وجبال هرر من الجنوب .

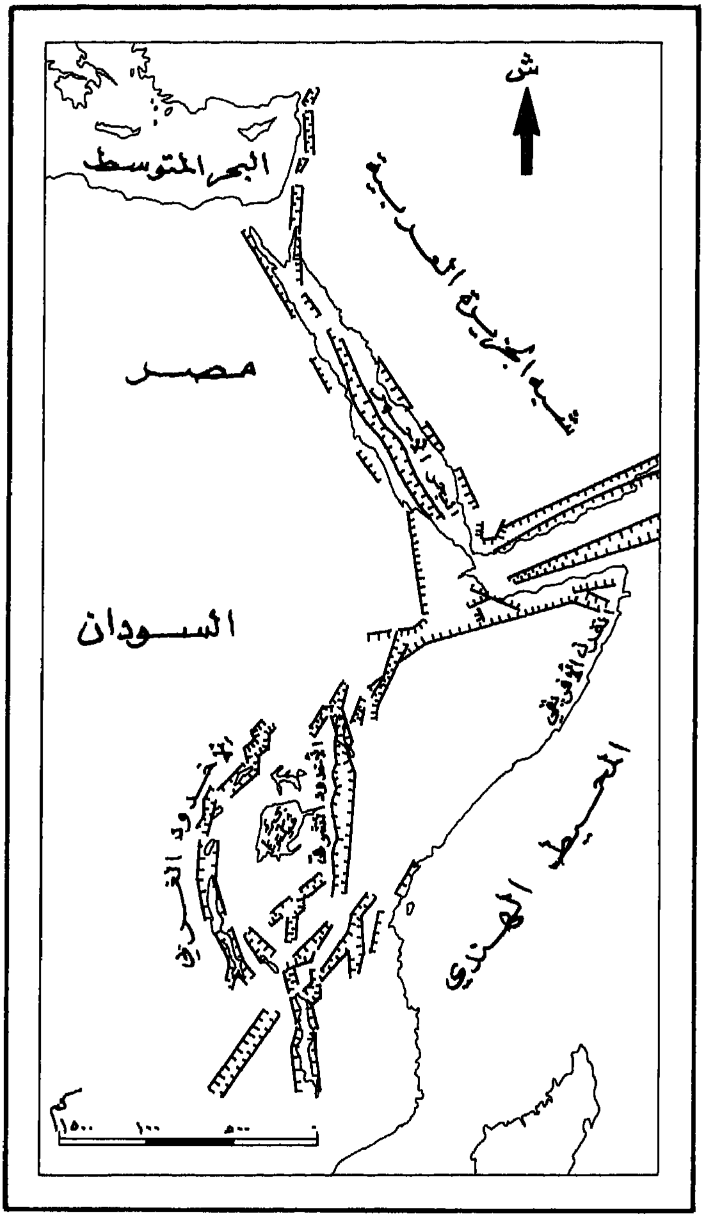
ولجبال البـحر الأحمر حافات وسـفوح شديدة الانحدار باتجاه البحـر ولطيفة

الانحدار (نسبياً) باتجاه الداخل والقارة ، ويغلب عليها التدرج السلمي من جراء تعدد خطوط الصدوع التي ضربتهـا رفعاً وخفضاً ، في صخور قـديمة صلبة بلورية غالبة . ونتيجة لذلك تكثر الحـروف الصدعية على امتداد سفوح الجـبال ذات المحور الشمالي الغربي - الجنوبي الشرقي . كذلك تكثر التضـاريس البركانية - الاندفاعية على طول الأخدود الإفريقي العظيم ، مما يزيد في قـسوة تضاريس الجبال الكتلية وتعـقيداتها . وهي تضاريس مازالت في طور التكوين كما سبق ذكره .

وتزداد التضـاريس تعقيداً وتشـويشاً باتجاه باب المندب ، حـيث تتفرع شعـبة انهدامية باتجاه الشرق تؤلف خليج عدن والجبـال المشرفة عليه في (اليمن وحضر موت وجبال الصومال والقرن الإفريقي الشـمالية حيث تصل الارتفاعات لأعلى من ٢٠٠٠ متر) . وتشـبه جبال خليج عدن سابقـاتها من حيث اتجاه السفـوح الشديدة الانحدار والجروف نحو البحر، واللطيفة الانحدار نحو البر ، مع وجود التدرج .

جـ - جبال شرقي إفريقيا ومرتفعاتها :

تستمر أغوار الأخدود الإفريقي العظيم بـعد مثلث عفار المذكور أعلاه باتجـاه الجنوب الغربي فالجنـوب لترسم خطـوط تضاريس الشرق الإفريقي المسلم ومحـاورها في كامل الإقليم الواقـع بين أعالي النيـل وبحيرات الـبرت وأدوارد وكيفو ونياسا في الغرب والمحيط الهندي في الشرق وجنوبا حتى الزامبيزي ، وتتراوح معدلات الارتفاع بين (١٠٠٠ - ١٥٠٠ متر) لكنها تزيد على ٢٠٠٠ متر وسطيـاً في مرتفعات أثيوبيا وهضابها (أعلى قمة فيها ٤٦٢٠ متر في رأس داشان) ، التي تسقط سفوحها الشرقية على منخفض الداناكل ومـثلث عفار بحـروف حادة حتى قائمـة بارتفاعات كبـيرة ، مثلها في ذلك مثل سفوحها الغربية المطلة على السودان ، مما يبرز صفتها الانهدامية - الكتليلة ، لاسـيما وأنهـا هي ومعظم مرتفـعات شرقي إفـريقيا ذات صـخور بلورية تنكشف على السطح ، أو أنها مغطاة بغـشاء من الصخور البازلتية (الثـلاثية) بسمك يصل إلى نحو ٢٠٠٠ متر أحياناً ، تدفقت مـن شقوق الصدوع ومن البراكين الكثيرة المتناثرة على طول خطوط الصدوع .



شكل (٤) الأخدود الأفريقي العظيم وخطوط الصدوع

المصـــدر : Das Gesicht d.Erde Brockhaus 1965

وعلى الرغم من التشويه الكبير وتعقيد تضاريس هذا الإقليم فإن محاور الأغوار ترسم خطوط التضاريس وتوزع كتلها . فعلى جانبي الغور القاطع لأراضي أثيوبيا ومحوره شمالي شرقي - جنوبي غربي المساير لوادي أواش ، ترتفع جبال وهضاب أثيوبيا في الغرب وجبال دلو وباتو (٤٣٠٧ متر) وغوغو وهرر في الشرق .

وبعد هذا الغور المعروف بغور فونجي (Wonji) ونحو الجنوب ، ينقسم الغور إلى شعبتين ترسمان قوسين من الأغوار العميقة يحيطان بهضبة بحيرة فيكتوريا من الشرق ومن الغرب . ظهرت على جوانبهما وبينهما جبال انهدامية ونجود كاملة ونجود ناقصة ، قطعتها صدوع وأودية انهدامية لا تحصى . تشملها كتل نجود إفريقيا الشرقية وجبالها الانهدامية في الشرق ، مثل جبال كينيا وابرادر وتنزانيا التي تتداخل مع براكين ضخمة مثل إيلغون (٤٣٢١ متر) وكيرنيغايا أو كينيا (٥٢٠٠ متر) وكليمنجارو (٥٨٩٥ متر) ، وكذلك نجود إفريقيا المركزية على جانبي الغور الإفريقي المركزي في الغرب ، منها جبال غربي أوغندا وروينزوري (٥١١٠ متر) وجبال فيرونغا Virunga (٤٥٠٧ متر) ورواندا وبوروندي وجبال غربي تنزانيا وغيرها على الجانب الشرقي من القوس الغوري الغربي ، الذي تشغله سلسلة من بحيرات طولانية مقوسة هي : ألبرت وأدوراد وكيفو وتنجانيقا . وتقابل هذه الجبال الكتلية الانهدامية سلسلة من الكتل المشابهة على الجانب الغربي من القوس المذكور تقع في أراضي زائير مثل جبال ميتومبا وموغيلا . وهنا ومرة أخرى تكون سفوح الجبال غير متناظرة ، إذ تكون جرفية شديدة الانحدار وعالية باتجاه الأغوار . وأقل انحداراً على السفوح المقابلة . وعلى العموم فإن جبال نجود إفريقيا الشرقية تشرف على الأغوار بحروف عنيفة أو قائمة من ارتفاعات تزيد على ١٠٠٠ - ١٥٠٠ متر .

أما التضاريس المحصورة بين القوسين الغوريين وجبالهما الهامشية فتتألف في

أغلبها من هضـبة وسطوح مائدية تعلو ١٠٠٠ - ١٥٠٠ متر ، تـتناثر على سطحها جبال صغيـرة متفرقة من نموذج الفرائـد (أي الجبـال الانعزاليـة أو المنعزلة) ،وتحتـل أخفض أجزائها بحيرة فكتوريا (١١٣٣ متر) ثالث أكبر بحيرة في العالم .

وفي أقـصى الجنوب الإفريقي الشـرقي من العـالم الإسلامي تسـتمـر الكتل الجبلية الانهدامية على جانبي الغور الذي تكوَّن من اتحاد النهايات الجنوبية للقوسين ، وتحتله بحيـرة نياسا (ملاوي) ، في جبـال جنوب غربي تنزانيا وجبـال ملاوي وكتلة جبل جسي Jesi في موزمبيق (١٨٢٠ متر) .

إن جبـال شرقي إفريقـيا ومرتفعـاتها وإن كانت خـاضعة في خطوط سـيرها ومحاورها ومظاهرها التضـاريسية العامة والشاملة للأغوار والانهدامـات الرئيسة فإنها تضاريس معقدة ومشوشـة جداً بآلاف الصدوع والانكسارات والشقـوق الأرضية التي تؤلف شبكة كثيـفة من خطوط الضعف في الكتل الصخرية الصلبـة، مما سبب انتشار النجود والأغوار الكاملة والناقصة ، وكذلك الحـافات الصدعية والجروف البنائية ذات الرمـية العـاليـة التي تصل إلى ١٠٠٠ - ١٥٠٠ مـتر. وأكـثـر من ذلك في بعض المناطق. كما تكثر في شتى الانحاء ولاسيمـا بجوار الأغوار الكبيرة تضاريس متدرجة سلميـة وأودية انهداميـة على امتداد صـدوع متوازية متـتالية، سـببت رفع الأرض أو خفضها ، إضافة إلى البراكين .

ومع هذا لا تشكل جبال هذا الإقليم عقبات طبـيعية أمام المواصلات ، إذ إن كثرة التـنوع في التضاريس وفروق الارتفـاع المتجاورة على مسـافات قصيـرة سمحت بوجود منافذ وممرات تربط الساحل بالداخل والشمال بالجنوب ، مما ساعد على انتشار الدين الإسلامي الحنيف في العمق الإفريقي حتى حوض الكونغو في الغرب .

(٢) مرتفعات الكمرون :

توجد في أراضي الكمرون وجـارتها الغربية نيجيـريا المسلمتين ، سلسلة من

الكتل الجبلية المتعاقبة على محور يبدأ في الجنوب الغربي في خليج بيافرا (في زاوية خليج غينيا) في جزيرة بيوكو البركانية ثم في بركان الكمرون (٤٠٩٥ متر) فجبال أداماوا في الشمال الشرقي ، وتمتد مسافة ٨٥٠ كم . وقد ظهرت هذه الجبال على جسم الركيزة الإفريقية الوسطي المؤلفة من الصخور البلورية القديمة التي تعرضت لصدوع ضربتها في الزمن الثاني نتج عنها خسف غور البينوِه الذي يسير فيه نهر البينوه وامتلأت نهايته الجنوبية الغربية بلحقيات ، أي رسوبيات ، دلتا نهر النيجر . لكن صدوعاً مسايرة للغور أدت إلى ظهور البراكين ثلاثية العمر فانساحت حممها على جوانب الجبال مما زاد في تعقيدها . ونظراً لقدم صخور الركيزة فقد تعرضت السفوح المطلة على الغور لعمليات حت وتعرية وترسيب قللت من عنف الانحدارات المرافقة للصدوع والأغوار الحديثة النشأة عادة . وعلى الرغم من أن النجود التي نشأت عن عمليات الرفع نهضت حتى :١٥٠ - ٢٠٠٠ متر ، فإن الأودية في هذه الكتل وجوانبها مازالت شديدة الانحدار حتى قائمة . كما تنتشر على السطوح العالية المائدية أعداد من الفرائد (الجبال الانعزالية أو المنعزلة) . ومما يلفت النظر انطباق محور مرتفعات الكمرون وغور البينوه وصدوعه على محور صدوع كتلة جبال تيبستي في وسط الصحراء الكبرى ، مع أن الشقة بينهما كبيرة (نحو ١٣٠٠ كم) .

ثالثاً : الجبال المنعزلة (الفرائد) :

تكثر في العالم الإسلامي وحدات جبلية صغيرة نسبياً منعزلة وتقف منفردة خارج نطاق جبال المجموعات التي تقدم ذكرها. أغلبها عبارة عن مخاريط بركانية ترتفع فوق الهضاب والسهول والمنبسطات أو السطوح المائدية والأحواض الداخلية مثل جبل السودة والهروج الأسود في الصحراء الليبية، أو أنها عبارة عن بقيا صخرية من نموذج الفرائد الذي ينتشر في بقاع متفرقة من سطوح الركائز القارية القديمة ولاسيما في إفريقيا الإسلامية وشبه الجزيرة العربية.

لكن أبرز الجبال المنعزلة في العالم الإسلامي وتضاريسه هي جبال الأحجار

وتيبستي .

(١) جبال الأحجار :

وتعرف بـ (الُجار والهُقار والحُجار) أيضـاً . هي كتلة جبلية تبرز منعزلة فوق سطح الصـحراء الكـبرى ذي الارتفـاع المتوسـط (٤٠٠ - ٥٠٠ متـر) . وتعلو إلى ٣٠٠٣ متر في جبل تاحات ، أما ارتفاعهـا المتوسط فيزيد على ١٠٠٠ متر. وتتألف هذه الكتلة الضخـمة التي تغطي مساحة قـدرها ١٥٠٠٠٠ كيلو متر مـربع من ركيزة ترجع إلى ما قبل عصـر الكمبري المكونة للصفيحة الإفـريقية الظاهرة علي السطح . وهي مؤلفة من صخور بلورية وباطنية يغلب عليها الجرانيت تغطيها صخور بركانية - اندفاعية على شكل جـزر متفرقة في قلب الجبال ، يتـفق توزعها مع خطوط الصدوع الشمالية الجنوبية ، وتؤلف هذه الصخور قممها الحادة البارزة علي هيئة مسلات قائمة الجوانب فوق بحر من التضاريس الوعرة التي جزأتها الأودية العـميقة والضيقة الجرفية الحافات . ويغلب علـي شبكة الأودية النموذج الشعاعي الذي تنـطلق فيه الأودية من مركز الكتلة نـحو جميع الأطراف إلى هضاب الصـحراء وأحواضها المـغلقة . وتحيط بجبال الأحجار هضاب تحف بها من جمـيع أطرافها وتعرف بـ (تاسيلي) وهي هضبة بلغة الطوارق الأماريغ سكان الإقليم . أهمها تاسيلي عاجر في الشمال .

(٢) جبال تيبستي :

تشغل مـساحـة تقدر بنحو ١٠٠٠٠٠ كـيلو متـر مربع من وسط الصـحراء الكبرى أيضاً ، وهي كتـلة مثلثية الشكل ، ارتفاعها المتـوسط يزيد على ١٧٠٠ متر، تكثر فيها القمم التي تحوم حول ٣٠٠٠ مـتر، وتشمخ على شكل مخاريط ضخمة أو مسلات عـالية من أصول بركانـية. كما في قمـة توسيده (٣٢٦٥ متـر) وإيمي كوسي (٣٤١٥ متر) وغيرها. ويتكرر وضع جـبال الأحجار هنا أيضاً ، إذ تغطي المسكوبات

والحمم البازلتية الاندافاعية الحديثة القاعدة البلورية القديمة من الركيزة الإفريقية المكشوفة. كذلك تخدد الأودية العميقة والفجوج الخانقة أنحاء جبال تيبستي وهوامشها وتفصلها إلى سطوح وعرة تعرف محلياً بـ (تارسو) . ومن مظاهر تضاريس تيبستي المميزة، الفوهات البركانية المعروفة بـ (الكالديرات). وأكبرها كالديراتارسو وون بقطر يزيد على ٢٠ كم ، أما كالديرا ترو نطرون فهي أكثرها نموذجية وروعة على الرغم من صغر أبعادها .

رابعاً : الهضاب :

تحتل الهضاب مساحات واسعة من العالم الإسلامي ولاسيما في إفريقيا وفي شبه الجزيرة العربية وتركستان وكاراخستان . ومن الهضاب ماهو عالٍ ومرتفع مثل هضبة بامير والتبت ، وأجزاء واسعة من مرتفعات أثيوبيا ، ومنها ماهو متوسط الارتفاع كالداخل الأناضولي والإيراني - الأفغاني ونجد وغيرها ، أو منخفض كما في هضاب الصحراء الكبرى وكاراخستان وبلاد الشام ووسط شبه الجزيرة العربية . وعلى العموم فإن الهضاب المنخفضة التي تقع بين ٢٥٠ - ٣٠٠ متر و ٥٠٠ - ٦٠٠ متر فوق سطح البحر أوسع انتشاراً من الهضاب الأعلى . وتشتمل مجموعة الهضاب على الآتي :

(١) هضاب شمالي إفريقيا والصحراء الكبرى :

تساير الأقدام الغربية لجبال الأطلس سطوح هضابية على شكل نطاق يقع بين سهول المغرب الساحلية والجبال، تخترقها الأنهار الهابطة من الجبال. وقد تتوغل الألسنة الهضابية بين السلاسل الجبلية كما هو الحال في منطقة تدلا في حوض نهر أم الربيع. وكذلك في مطنقة الحوض في وادي تنسفت، كما توجد هضاب محدودة الأبعاد في الأحواض الوسطي لأنهار أخرى في الشمال مثل وادي الملوية، ثم هضبة النجود العليا أو هضبة الشطوط بين سلاسل الأطلس الساحلي - التلي والأطلس

الصحراوي، على علو ١٠٠٠ - ١٥٠٠متر.

ويتسع نطاق الـهضاب وتكبـر أبعادها جنوب جبـال الأطلس ، ومن أبرزها هضبـة الدرعة وهضـاب الحمـادات والمزاب ثم هضاب تاديمايت وتنغـرت وتنزروفت وإيفوراس وأدرار وأوكـر ، وكلها تقع شمـال وغرب جبـال الأحجار . أمـا جنوبها وشرقها وشمالهـا الشرقي فتوجد هضاب حمادة الحمراء ، ثم هـضبة مرزوق وهضبة جاد وتينيوي وعاير (أزبين) وتاسيلي أحجار وتاسيلي عاجر . كما تظهر هضاب تحف بجبال تيبستي من أطرافها المختلفة مثل هضبة يردي وإينيدي وبوركو ووداي .

نشأت غالبيـة الهضاب المذكورة على قواعد من صخور مـا قبل الكمبري في الصفـيحة الإفـريقية ، على ارتفـاعات تتراوح بين ٤٠٠ - ٥٠٠ - ١٠٠٠ مـتر . وتشترك في معظم الحالات بانبساط السطح وتموجه الرتيب وبإحاطة هوامشها بجروف صخرية قاسية تعلو بين ١٠ - ٥٠ مـتراً وسطياً ، وتشكل درجة بين سطوحها وأرض السهول . كذلـك تنطمر مساحات شاسعـة من الهضاب وأطرافها بأغشـية من الرمال والكثبان أو الحمادات في الأصقاع الصحراوية .

(٢) هضاب إقليم غربي إفريقيا :

تفتقر هضاب هذا الإقليـم إلى المظهر المنبسط الرتيب ، إذ يحل محله سطوح متـموجة غنيـة بالأودية ، وهذه الهضـاب هي أجزاء من الصفـيحـة الإفريقيـة أيضاً خضعت لعمليـة رفع كوّنت الركيزة السيراليونية والـغينيـة. فنشأت أعلى هضاب هذا الإقليم وهي هضبة فوتا جالون في الغرب ذات الارتفاع المتوسط البالغ ١٢٠٠ متر ، ثم هضبـة غينيا الشـرقية وساحل الـعاج . وتستمـر هذه الهضاب باتجـاه الشرق في هضاب مـا يعرف بغينيـا العليا حتى هـضبة باوتشي (جـوس) في نيجيـريا . ويقسم

مـجرى نهـر النيجـر هضـاب هذا الإقليم إلى ثلاث ظهـرات هضابيـة ، الأولى في الغرب، والثانية في الشرق في هضبة باوتش ، أمـا الثالثة ففي الوسط وبين الهضبتين وجنوب ثنية النهر وهي أكـثر انخفاضاً ، نحو (٤٠٠ - ٥٠٠ مـتر) وهي أقرب إلى السهول منها إلى الهضاب .

وتستمـر المظاهر الهضابية باتجـاه الشرق بعد جبال الكمـرون وأداماوا لتؤلف ظهرة أسانده الفاصلة بين حوض نهر الكونغو وحوض النيل وأعالي نهر شاري، وتبرز على سطحها الجبـال المنفردة من نموذج الفرائد والتلال الشاهدة على مسـتويات سابقة أعلى ، أزالها الحت .

(٣) هضاب حوض النيل وشرقي إفريقيا :

تعد هضـبة دارفور ، وأعلى نقطة فـيها جبل مـرة (٣٠٧٠ متر) ، الهضـبة الرئيسة في غربي إقليم حوض النيل . وهي استمـرار شمالي لهضاب ظهرة أسانده ، وامتدادها شمـالاً في كتلة بونغوس (١٤٠٠ متر) ، ودار - رونغا ، كـما أنها تتصل في الغرب بهـضاب وداي وإينيدي وفي الشرق بكردفـان . وتستمر سلسلة الـهضاب هذه باتجاه الشمال حـتى هضبة الجلف الكبير (١٠٦٠ متـراً) وما يحيط به من سطوح متـموجة منبـسطة تعلو بين ٥٠٠ - ١١٠٠ متـر (في جبل العوينات ١٨٩٣مـتراً) . بعدها ينخفـض السطح ليؤلف هضاباً منخفضـة حول الواحات والمنخفـضات المصرية غرب وادي النيل ، تشـرف علي المنخفضات بجـروف قاسية مـدرجة ، ويتكرر بروز التلال الشاهدة والفرائد والجروف على امتداد حافات الهضاب والأودية التي تخددها، في هضاب حوض النيل غرب النهر وواديه في شتى أنواع الصخور القديمة والأحدث. كما أن أغلب السطوح تكون مغطاة ببحار من الرمال .

أما إلى الشـرق من وادي النيل ، فتظهر هضاب مـسايرة لأقدام جبـال البحر الأحمر ، أهمها هضـبة المعزة وهضاب الصحراء الشرقيـة وصحراء النوبة والقضارف

وما حولها . وتنتهي هذه الهضاب بحافات جرفية تطل على وادي النيل ، كما تكثر فيها الأودية الضيقة ذات الجوانب الجرفية . وتتناثر هنا أيضا الفرائد والتلال الشاهدة على السطح ولاسيما في الجنوب في النوبة والقضارف حتى أقدام هضاب ومرتفعات أثيوبيا ، حيث تبدأ هضاب إقليم شرقي إفريقيا .

وخلافاً للهضاب المنخفضة أو المتوسطة الارتفاع التي سبق ذكرها ، فإن الغالب على هضاب شرقي إفريقيا ، الارتفاع الكبير لمستوياتها مثل مرتفعات أثيوبيا وهضابها ، أو في مرتفعات الأراضي الانهدامية والغورية . إذ يندر أن يقل ارتفاعها المتوسط عن ١٠٠٠ متر فوق سطح البحر . اللهم إلا في هضاب القرن الإفريقي . وتأتي هضبة أثيوبيا في مقدمة التضاريس التي تتألف من عدة هضاب ، تعلو فوقها أو تفصل بينها كتلة جبلية إنهدامية أو أودية ضيقة سحيقة، فتتجزأ الهضبة على الهوامش المطلة على السودان غرباً والدناكل وأرتيريا شرقاً . ومن أبرزها هضاب تانا وأعالي النيل الأزرق (١٨٠٠ - ٢٠٠٠متر) وهضاب شيوا وأرسي التي تتصل مع هضاب سيدامو (١٠٠٠ متر) في الجنوب .

أما في الشرق وباتجاه القرن الإفريقي فإن أوسع هضبة فيه هي هضاب الصومال وأوغادين وهضبة الحوض ، التي تأخذ بالانخفاض لأقل من ١٠٠٠ متر . ليصبح ارتفاعها بحدود ٥٠٠ - ٦٠٠ متر في الهوامش الشرقية ، وكثيراً ما تتماس الهضاب بسهول القرن الإفريقي وأودية الأنهار التي تخترقها ، بجروف وحافات صخرية شديدة الانحدار . ويغلب على هضاب القرن الإفريقي الانبساط ، وازدياد التجزؤ باتجاه السواحل . يليها وباتجاه الجنوب ، مجموعة هضاب البحيرات التي تتوسطها أكبر هضبة عالية هي هضبة أوغندا وفكتوريا واونياماساي على ارتفاع ١١٠٠- ١٥٠٠ متر . تحيط بها هضاب أصغر مجزأة بالصدوع والانهدامات ، على مستويات تعلو حتى ٢٠٠٠ - ٢٥٠٠ متر . ويبرز الطابع الهضابي في الأجزاء الشرقية فيما يعرف بـ (الظهرة الإفريقية الشرقية) الممتدة إلى الشرق من هضاب

أوغندا وفكتـوريا - اونيامـاساي، ابتداءً مـن هضبة وبـحيرة توركـانا (رودولف) في الشمال حتى هضاب جنوبي تنزانيا وشرق بحيرة نياسا في الجنوب .

إن هضاب حـوض النيل وشرقي إفريقـيا في العالم الإسلامي هي إمـا أجزاء من ركائز الصفيحة الإفريقية والصومالية ذات الصخور البلورية القديمة الصلبة المكشوفة إلا من غشاء رقـيق من الرسوبيات ، أو أنها هضـاب غطتها أغشـية اندفاعيـة بركانية قديمة نسبـياً (من الزمن الثاني) أو أحدث (من الزمنين الثالث والرابع) كـما هو الحال في أغلب أنحاء هضاب أثيوبيا وفي الهضـاب القائمة على جانبي الغور الانهدامي في القوس الشرقي . وهذه الـهضاب هي التي تكثر فيـها المخاريط البركـانية البارزة على سطوحها .

وهناك زمرة ثـالثة من هضاب هـذا الإقليم هي ذات البنية الرسـوبية الحـديثة نسبيـاً (من الزمنين الثاني والثالث) هي هضـاب القرن الإفريقي (الصومـال وأوغادين والحوض) .

(٤) هضاب الهلال الخصيب وشبه الجزيرة العربية :

تمتد هضاب بلاد الـشام وشبه الجزيرة العـربية على مساحـات واسعة تقع بين جبـال البحر الأحمـر والبحر المتوسط في الـغرب ، وحتى سهـول الرافدين والخليج العربي في الشرق ، وتتراوح ارتفاعاتها بين ٥٠٠ - ١٠٠٠ متر بصورة عامة . لكن بعضهـا يعلو لأكثر من ذلك كما في نجـد واليمن ، وتبدأ هذه الهضـاب في الشمال بهضبـة الجزيرة العليا ، فالشامـية الشمالية ، ثم هضـبة الحماد، فالصـحراء السورية (بادية الشام) . ثم هضاب حسمى والحجرة شـمال النفود والدهناء وهوامشهما ، ثم هضبـة نجد التي توجد فـيها حافـة طويق ويحدها الدهناء في الشـرق ونطاق هضاب الحرات البـركانية (عـويرض وخيبـر ورهاط والبقوم) في الغـرب . وهنا تعود ظاهرة انتشـار الجبال المنعـزلة من نموذج الفرائد للبروز على سطح هضـبة نجد . إضـافة إلى

تغطية أغلب السطح بأغشية رملية رقيقة ، تزداد سماكة باتجاه صحراء الربع الخالي والدهناء والنفود . وباستثناء هذه الجبيلات والتلال وحافات (كويستات) طويق والبادية السورية ، فإن الانبساط المتموج الرتيب هو الظاهرة الغالبة على هضاب هذا الإقليم . وتصل هضاب هذا الإقليم في الجنوب حتى سواحل خليج عدن وبحر العرب في حضر موت وظفار .

ويتكرر ظهور دور البنية المتعددة مثل الركيزة الصخرية القديمة البلورية (نجد وتوابعها) والغشاء البركاني الاندفاعي (الحرات واليمن) والصخور الرسوبية (بلاد الشام وشرقي شبه الجزيرة العربية) في تكوين هضاب هذا الإقليم . كما هو الحال في هضاب شرقي إفريقيا . مما يبين القرابة الجغرافية الطبيعية التضاريسية ذات القاعدة البنيوية والبنائية الجيولوجية بين أجزاء العالم الإسلامي في جناحيه الآسيوي والإفريقي.

(٥) هضاب النطاق الجبلي لغربي آسيا وشبه القارة الهندية :

يكاد الحديث هنا يقتصر على الهضاب الحوضية والعالية التي تقع على مستويات أعلى من ١٠٠٠ متر إلا ما ندر ، وتضم في الغرب هضبة الأناضول الداخلية التي تتجزأ إلى هضاب أصغر مثل هضاب أوبروك وجيهان بيلي وهايمانه وبوزوك ، التي تحيط بالبحيرة المالحة (توز غول) في وسط الأناضول الداخلي . وتحوم ارتفاعات هذه الهضاب حول ١٣٠٠ - ١٥٠٠ متر وسطياً ، تحيط بها السلاسل الجبلية من الأطراف المختلفة مما يعطيها شكل هضاب حوضية . وتتصل في الشرق بهضبة أعلى مستوى (٢٠٠٠ متر) وأقسى تضاريس هي هضبة الأناضول الشرقية التي تكثر فيها وحولها الجبال التي تتفرع عنها ، وتشغل بعض أجزائها بحيرة وان وغيرها من بحيرات أصغر . كما تشمل بحيرة أورمية، لكن المظهر الهضابي ينقلب هنا إلى تضاريس جبلية متداخلة .

يلي ذلك وفي الشرق والجنوب الشرقي هضبة حوضية واسعة هي الهضبة الإيرانية بقسميها الغربي في إيران (٦٠٠ - ١٢٠٠ متر) الذي يتألف من دشت كفير ودشت لوط ، وهضاب هوامش الجبال المحيطة بالهضبة وقسمها الشرقي في (أفغانستان) ويشمل سيستان ودشت مارغو رجستان ، وكذلك هضاب هوامش جبال أفغانستان وتلحق بهذه الهضبة هضاب بلوخستان في الجنوب .

إن الميزة الرئيسة لهضاب هذا الجزء من العالم الإسلامي أنها تضاريس لا منفذ لها إلى البحار المفتوحة ، فهي هضاب داخلية محاطة بالجبال من جميع أطرافها . كما تقوم جبال داخلية بتقسيمها إلى هضاب أصغر وأصغر ولاسميا في القسم الإيراني - الأفغاني - البلوجي ، فهي هضاب حوضية .

أما خارج هذه الهضاب وإلى الشرق من السلاسل الجبلية والسلاسل السندية فتقتصر الهضاب على هوامشها الضيقة المتصلة بسهول السند ، تتسع في الشمال في هضبة بوتوار Potwar (٤٠٠ - ٥٠٠ متر) وأقدام جبال الهيملايا باتجاه دلهي وأمريتسار . وتتصل بهضاب شبه جزيرة الهند الواسعة عن طريق هضبة مالفا Malva وعشرات الهضاب الصغيرة التي تنضوي كلها تقريباً تحت اسم هضبة الدكن تحف بها جبال الغات المنخفضة من الغرب . وتحوم ارتفاعات هضاب الهند حول ٥٠٠ - ٧٠٠ متر بصورة عامة .

(٦) هضاب آسيا الوسطى والعالية :

وهي هضاب منخفضة وأخرى عالية جداً . فالهضاب المنخفضة هي مظاهر تضاريسية تمتد في فيافي الشمال الإسلامي في كازاخستان وأطراف حوض طوران على هوامش الجبال التي تحف بها من الجنوب والشرق . وتقع على ارتفاعات متوسطة بين ٣٠٠ - ٦٠٠ متر ، وقد تنخفض أحياناً إلى أقل من ذلك لتؤلف سطوحاً مائدية لها مظهر الهضاب كما هو الحال في تلك التضاريس المتناثرة على السواحل الشرقية لبحر

قـزوين وتسمى تجـاوزاً (هضاباً) . مـثل هضـبة أوست يورت وهضـبة مـانغشـلاك والأراضي المحيطة بخليج قـره - بوغاز . ولأغلب هذه الهضـاب المنخفضة حـافات جرفية على الأحـواض المغلقة وعلى سواحل بحر قزوين الشرقـية وسواحل بحر آرال الغربية .

وتنتشر الهـضاب المنخفضـة في شمال كازاخسـتان على مساحـات واسعة ، وتتألف من هضبة تورغاي وتضاريسها المائدية ثم هضـبة الظهرة الكازاخية وهضبة قره غانده ، وتتصل بها هضبة بيت باك دالا . بعدها تلتـصق الهضاب المنخفضة بهوامش جبال تيان شان وتفرعاتها على جانبي المجرى الأوسط لنهر سيحون (سيرداريا) وقيزيل قوم (كـيزيل كـوم) . ثم هضبـة كارشين وبخارى ، فـهضـبة كارابيل وبـدخز على الهوامش الشمالية لجبال أفغانستان الشمالية .

تتصف الهضاب المنخفضـة المذكورة والمحيطة بحوض طوران وآرال بأنها ذات سطوح منبسطة تعـلوها بعض الجبيلات ، وتـغطيها الرمال في هوامـشها القـريبة من الصحاري .

أما الهـضاب العالية في آسـيا الوسطى فتوجـد بين الجبال ، وأعلاها هضـبة بامير الواقعة في طاجكستان الإسلامية، وتعرف بسقف العالم لعولها (٥٠٠٠ متر) . وترتفع في الشرق لأكثر من ٦٠٠٠ مـتر حيث تعلوها جبال وتخترقهـا أودية عمقها بين ٢٠٠٠ - ٢٥٠٠ متر ، وفي الـغرب لأعلى من ٧٠٠٠ متر في سلاسـل جبلية فيـها قمة درواز (كـومونسم) (٧٤٩٥ متـر) التي تضم جليدية فيـدتشكنو وجليديات كثريـة زخرى في جبال وهضـاب آسيا الوسطي . وتقوم بامـير بدور الموزع البنائي - التـضاريسي ، تنبـثق منه جبـال هندوكوش وألاي والهـيمـلايا وكون لـون وغيـسار وغيرها.

تليهـا هضية التـبت الواقعة بين سـلاسل كون لون والهيـملايا . وترتفع إلى ٥٠٠٠ متر ، وسطياً ، تكثر على سطحها البحيرات التي تـتجمد مياهها شتاءً ، كما يغطيها غشاء من الحطام والشظايا الحجرية الـهابطة من الجبال التي تعلو سطح الهضبة وحافاتها . ويغلب علي بنيتها الصخور الرسوبية الكريتاسية (الطباشيرية)، بينما تعود جبـالها الشماليـة إلى الزمن الأول وجبالها الجنـوبية إلى الزمن ما قبل الكمـبري مع اندفاعات بركانية أحدث .

ويوجد على الهـامش الشمـالي للتبت حوض تـسايدام وهضبـته (٢٠٠٠ - ٢٣٠٠ متر) ، كما توجـد هضاب مع أحواض مغلقة في أنحاء متفـرقة في تركستان الصينيـة . تقل أهمية الهضـاب في ملقة وإندونيسيـا ، بحيث يقتصـر وجودها على هضاب مادي وسيراواك في جزيرة بورنيو .

تتصف هضاب العالم الإسـلامي بمظاهر جيومورفولوجيـة مزدوجة . فعلى سطوحهـا المنبسطة والمتموجـة تسود الأشكال الرسوبية الموضـعية أو المنقولة إليـها من الجبال من جهة ، وتكثـر على هوامشها الأشكال الحتية الغنيـة بالأودية العميقة ، إذا كانت الهضاب مشرفة على سهول منخفضة من جهة ثانية . وتنتهي الهضاب الأخيرة عادة بحافة جرفية صخرية تكثر أمامها النواشز الصخرية والتلال الشاهدة .

أمـا على السطوح المنبـسطة فـتظهـر بعض الأشكال الحـتـية مـثل النواشـز والصخيرات والفرائد في بحر الغشاء الرسوبي السـائد ولاسيما في البقاع الجافة وشبه الجافة التي يتكون على سطوح هضـابها صحاري حجرية (حمـادة) وحصوية (سرير) ورملية . وقد تغطي السطح أغشية من الحمم البركـانية تؤلف الحرَّات البازلتية ، كما في حرَّات شبه الجزيرة العربية وبلاد الشام وغيرها .

خامساً : السهول والأحواض :

تشغل السـهول والأحواض الداخلـية والنهرية مـساحات واسـعة من أراضي

العالم الإسلامي الواقعة دون مستوى ٢٥٠ - ٣٠٠ متر ، فوق سطح البحر . ولاسيما في الجناح الغربي من العالم الإسلامي . وترتبط غالبية السهول الداخلية بأحواض ومنخفضات مغلقة ، تقابلها سهول الأحواض النهرية والسهول الساحلية المفتوحة التصريف على محيطات العالم وبحاره . وتشتمل تلك السهول والأحواض على الآتي:

(١) السهول الساحلية والنهرية :

تختلف السهول الساحلية في العالم الإسلامي اتساعاً وامتداداً واستمراراً، كما تختلف من حيث ظهيرها التضاريسي ، إذ قد يكون هضبياً أو تلياً أو جبلياً صخرياً ، أو يكون سهلياً منبسطاً يؤلف استمراراً لها في الداخل في البر ، لكنها تتفق من حيث مظاهر سطحها المنبسطة الضعيفة الانحدارات والمنخفضة ، بغض النظر عن تكوينها وبنية المواد المؤلفة لها . وسهول العالم الإسلامي تمتد على سواحل المحيطات والبحار كما يلي :

أ - سهول سواحل المحيط الأطلسي :

وتبدأ من مضيق جبل طارق حتى قبيل مصب نهر الكونغو ، لكنها لا تستمر بعرض واحد كما أنها لا تكون متصلة .

فمن رأس اسبارطل (مارتل) وجنوباً يبدأ سهل أصيلة - الرباط الساحلي الذي يأخذ شكل مثلث ، في سهل الغرب والحوض الأدنى لنهر السبو ، يضيق بعدها ليعود فيتسع في سهول تادلا الساحلية (نحو ٧٠ - ٨٠ كم) التي تضيق باتجاه الجنوب الغربي حتى تنقطع لتقدم نهايات جبال الأطلس الأعلى باتجاه رأس غير ، يلي ذلك سهل السوس . وبعد انقطاع يبدأ في منطقة السهل الساحلي في طرفاية بالاتساع في الصحراء الغربية وولاية العيون وباتجاه الجنوب الغربي بعرض متوسط يزيد على

١٧٥ كم ، لينفتح باتجاه الجنوب ويتسع اتساعاً كبيراً متوسطه ٤٠٠ - ٤٥٠ - ٥٠٠ كم . ثم يمتد مسافات تصل إلى نحو ١٠٠٠ كم في سهول السنغال الساحلية وحوض وادي السنغال . وتعرف هذه المنطقة التي يقل ارتفاع أغلبها عن ١٠٠ متر ، بمنخفض سنغامبيا (أي السنغال - غامبيا) . ويغلب على هذه السهول ولاسيما شمال نهر السنغال الأغشية والكثبان الرملية التي تزحف عليها .

تعود هذه السهول فتضيق إلى حدود ١٠ - ١٥ كم في منطقة كوناكري، نتيجة تقدم نهايات هضبة ومرتفعات فوتاجالون ، لكنها تتسع مرة أخرى في سيراليون التي يتألف ثلثاها من السهول الساحلية تليها سهول ساحلية منخفضة عرضها ٧٥ - ١٥٠ كم تمتد حتى دلتا نهر النيجر . ويتصل بهذه السهول سهل نهري يؤلف حوض نهر الفولتا في غانا ، تحتل معظمه مياه بحيرة سد اكوسومبو .

تؤلف دلتا نهر النيجر سهلاً ساحلياً - نهرياً مثلثياً قاعدته بطول ٤٥٠ - ٥٠٠ كم وامتداده ٢٠٠ كم . ولهذا السهل امتداد في الداخل لمسافات طويلة في مجرى نهر النيجر وتعرجاته . وتعود الصورة التضريسية بعد سهل مصب النيجر فتتكرر اتساعاً وضيقاً باتجاه الجنوب حتى مصب الكونغو الذي يختلف عن مصب النيجر بافتقاره إلى الدلتا السهلية .

إن السهول الساحلية - النهرية على المحيط الأطلسي إلى الجنوب من حوض نهر السنغال ، مغايرة لتلك الواقعة شماله (حتى رأس غير) . إذ تخلو من الأغشية الرملية والكثبان ، اللهم إلا الكثبان الساحلية ، وتكثر مكانها المساحات المستنقعية والأخوار والبحيرات الساحلية المالحة ولاسيما على الأجزاء المحاذية للساحل وعند مصاب الأنهار .

ب - سهول سواحل المحيط الهندي :

تتقدم نهايات مرتفعات إفريقيا الشرقية شرقاً إلى المحيط الهندي بحيث لا

تترك سوى شريط ضيق من السهول الساحلية لا يزيد عرضه على ١٠ - ٤٠كم، وأقل من ذلك في بعض الأجزاء . وذلك على طول الساحل الممتد من حدود تنزانيا الجنوبية مع موزمبيق حتى ممباسة وملندي . والاستثناء الوحيد هو السهل الساحلي لدار السلام ومجرى نهر روفيجي الأدنى ومصبه ، حيث يقرب عرضه من ١٥٠ كم . ومن ملندي وباتجاه الشمال الشرقي تأخذ سهول الصومال الساحلية بالاتساع حتى يصبح عرضها بين ١٥٠ - ٤٠٠ كم ، لتعود فتضيق باتجاه الشمال الشرقي حتى تنعدم عند رأس غوردافوي .

وبعد انقطاع للسهول المهمة على ساحل البحر الأحمر تظهر على سواحل أريتريا وعند ساحل طوكر وسواكن . كما يتسع السهل على ساحل حلايب إلى نحو ٣٠ كم ، ولأقل من ذلك باتجاه الشمال السرقي ، ثم بعرض ٣٠ - ٤٠ كم مقابل مدخل خليج السويس حتى منطقة سهل الزعفرانة ، أما على الساحل الشرقي لخليج السويس فيسير شريط سهلي عرضه ٣٠ - ٣٥ كم منقطع عريض في الشمال ، وفي سهل القاع في الجنوب .

وتتكرر ظاهرة ضيق السهل الساحلي أو انعدامه حتى ينبع البحر ، وفي سهول تهامة بأقسامها (تهامة الحجاز والشام وعسير واليمن) حيث يراوح العرض بين ٣٠ - ٥٠ كم . بعدها وعلى طول سواحل الجزيرة العربية ترسم السهول شريطاً ضيقاً في منطقة عدن والمهرة وخليج القمر . يتسع بين شرقي ظفار حتى رأس الحد . حيث يتصل السهل الساحلي المنخفض بأراضي جدة الحراسيس فالربع الخالي التي تقع أرضها دون ٢٠٠ متر .

أما في ذراع خليج عمان والخليج العربي : فيظهر سهل الباطنة الساحلي بين مسقط وخورفكان . فالسهول الساحلية الواسعة العريضة على الجانب الغربي من الخليج العربي ، التي تغطيها الأغشية والكثبان الرملية في صحراء الربع الخالي والسباخ والأراضي الصحراوية الأخرى في الأحساء وحتى الكويت وصدر الخليج .

ويتصل السهل الساحلي لمنطقة البصرة وشط العرب بسهول نهرية واسعة منخفضة في حوضي نهري الفرات ودجلة ، تؤلف سهول بلاد الرافدين بين جبال زاغروس وكردستان وهضاب بادية الشام بعرض متوسط قدره ٥٠٠ - ٧٠٠ كم وامتدادها نحو الشمال الغربي حتى الجزيرة العليا يزيد على ١٠٠٠ كم وارتفاعاتها بحدود ٥٠ - ١٠٠ متر تزداد باتجاه الهوامش ، وتغلب عليه اللحقيات (الروسبيات) والأهواز والمستنقعات في الجنوب .

أما على الجانب الشرقي والشمالي للخليج العربي فتظهر سهول ساحلية شريطية عريضة نسبياً في الشمال ، وضيقة جداً ومتقطعة في الجنوب ، تتسع قليلاً حول مضيق هرمز لكنها تبقى بحدود عرض متوسط قدره ١٠ - ٢٥ كم ، على سواحل بحر العربي حتى كراتشي .

تتابع السهول الساحلية على المحيط الهندي سيرها على الوتيرة ذاتها حتى كراتشي . حيث يبدأ سهل ساحلي - نهري آخر هو سهل السند (الهندوس) وحوض نهره الذي يتوغل بعيداً حتى أقدام جبال الهيملايا وكاراكوروم . بعرض متوسط قدره ٥٠٠ كم وطول يزيد على ١٠٠٠ كم ، وارتفاع متوسط يحوم حوالي ٢٠٠ متر ، ودون ١٠٠ متر في الجنوب وفي سهل كوجرات والسهل لحقي (رسوبي) نهري أصلاً لكن رمال صحراء ثار تغطيه في أجزائه الشرقية ، والمستنقعات الواسعة في الجنوب .

إلى الجنوب من كوجرات يمتد سهل ساحلي يساير السواحل الغربية لشبه جزيرة الهند عرضه المتوسط بحدود ٣٥ - ٤٠ كم ، يتسع عند مصب نهري كويشتنا وغودافاري ، وكذلك في منطقة دالتا نهر ماهانادي وسهله الساحلي الذي يلتحم في الشمال الشرقي بسهول مصب نهر الجانج وشبكة دلتاه المتشعبة والواسعة في صدر خليج البنغال والمعروف بـ (سوندربانSunerban) . وتتصل سهول البنغال هذه بسهل

الجانج - البراهمابوترا في الشمال وشعبتيه : الشرقية على امتدا البراهمابوترا والغربية - الشمالية الغربية في حوض نهر الجانج وهي الأوسع ويقع سطح هذا المركّب السهلي الساحلي - النهري الضخم دون مستوى ٢٠٠ متر فوق سطح البحر . ويتصل بسهل السند الداخلي - النهري عن طريق منطقة دلهي التي تعلو نحو ٢٠٠ - ٢٥٠ متراً ليؤلفا معاً سهول السند - الجانج التي ترسم فاصلاً تضاريسياً له شكل الميزاب بين شبه جزيرة الهند (الدكن) في الجنوب وسلاسل الهيملايا الالتوائية في الشمال .

إن بقية السهول الساحلية على المحيط الهندي المسايرة لسواحل مينمار (بورما) وتايلاند الغربية وشبه جزيرة ملقة ضيقة تكثر فيها المستنقعات والأهوار وتتطاول من الشمال نحو الجنوب ، وتتصل بها بسهول نهرية ضيقة لها المحاور ذاتها . أبرزها سهول حوض الإيراوادي وحوض الميكونغ ودلتاه الواسعة .

جـ- سهول جنوب شرقي آسيا الساحلية :

وهي سهول جزر الأرخبيل الإندونيسي ، ولاسيما جزره الكبيرة لأن أغلب الجزر الصغيرة صخرية أو بركانية وخالية من مساحات سهلية تستحق الذكر . وتعد جزيرة سومطرة وكليمنتان (بورنيو) وغينيا الجديدة أغنى الأماكن بالسهول السالحية . ففي جزيرة سومطرة المتطاولة (نحو ١٧٥٠ كم) تظهر على جانبي السلسلة الجبلية الممتدة على طول الجزيرة سهول منخفضة على شكل شريط ضيق في الجنوب الغربي من الجزيرة ، وعلى هيئة سهل عريض (٢٠٠ - ٢٥٠ كم) على الجانب الشمالي الشرقي وهو غني بالمستنقعات والأهوار ونبات القرم وتقطعه عشرات الأنهار والجداول الصغيرة .

أما في كليمنتان فتحيط السهول الساحلية بالجهات الشرقية والجنوبية الشرقية وتشبه سهول سومطرة بصورة عامة .

كذلك فإن سهول غينيا الجديدة شديدة الشبه بسهول سومطرة من حيث امتداد السهـول على جانبي السلسلة الجبليـة (جبال ماوكـه) ، فإلى الجنوب منها يمتـد سهل مستنقعي منخفض جداً تكثر فيه الأهوار والنباتات المستنقعية وغيرها .

أما في الشمال فالسهل ضـيق ، تسايره جبال نان ريس التي تفصله عن سهل نهري تاريتاتو ، وتاريكو رافدا نهر مامبيرامو .

د - سهول سواحل البحر المتوسط :

تصنف السهول الساحلية على امتـداد القسم الإسلامي من البحر المتوسط في زمرتين الأولى زمرة السهول الضيقة والمتقطعة التي تتناوب مع أجزاء صخرية جبلية أو هضبيـة . وتمتد من مضيق جبل طارق وحـتى بنزرت في تونس ، أبرزها سهل عكار وجبلة واسـكندرونـه ثم سهل أضنه (تشـوكورأوفا) المتـصل بسهلي نهـري سيـحان وجيحان . كما تنتمي إليها سـواحل آسيا الصغرى التي تؤلف الجبال أغلب سواحلها باستثناء سـهل أنطالية وسهول أنهار ساحـل بحر ايجة ، وبحر مرمرة ومنطقـة تراكية وممر البوسـفور . أما على البحـر الأسود فتنحصر السـهول الساحلية بمـصاب الأنهار المهمة والدالات التي كونتـها في سهل بافرا ودلتا نهر قيزيل إرمـاق ، وسهل دلتا نهر يشـيل إرماق . ثم بعـد انقطاع يظهـر سهل كـولخيـدية والمجرى الأدنى لنهـر ريوني (ريون) في جورجيا وأبجازيا تختفي بعده السهول على الساحل الشرقي للبحر الأسود - لتعود وتمتـد من سواحل بحر آزوف وباتجاه القـفقاس الشمـالي وحوض وادي نهر يشيز (الكوبان) .

أما الزمـرة الثانية من سهـول سواحل البحر المتـوسط فهي السهول الـواسعة والعـريضة المنخـفضة والمـمتدة بعـيداً في البـر . وأبرزها سهـول تونس ثم الجـفارة

وطرابلس ، تليها سهـول خليج سرت حيث تنقطع بكتلة الجبل الأخضـر في ليبيا ثم تسمر حتى فلسطين . وأبرز مظهر تضريسي سهلي في هذا القطاع هو دلتا النيل الذي يتصل بها سهل النيل على طول النهر حتى أسوان . وتمتد هذه السهول على مساحات كبيرة باتجاه البر الصحراوي الليبي والمصـري ، وتغطيه أغشية من الرمال والكثبان التي تتصل حتى البحر .

(٢) الأحـواض :

في العالم الإسـلامي الكثير من الأحواض الـداخلية البعيـدة عن السواحل، ويغلب على الأحـواض أنها مـغلقـة . وتقع على ارتفاعـات مـختلفـة ، عاليـة في الأحواض الجبليـة والهضابية ومنخـفضة في البقـاع السهلية والمنبسطات المنخـفضة . كذلك فإن الكثير من الأحواض يؤلف بحيرة أو سبخة أو خبرة أو شطاً أو مستنقعاً في أخفض أجـزائه بعضهـا دائم والآخر مؤقت موسـمي . وتتفق الأحواض الكبـيرة مع وحدات بنائية مطابقة لبنيـتها الحوضية أيضاً مثل المـقعرات الأرضية (Geosyncline) والخسوف والأغوار الصدعية .

وتفتـرق الأحواض العـالية من الأحـواض المنبسطة - المنخـفضـة ، بإحاطة الأولى من أغلب أطرافها أو جميـعها بجبال أو مرتفعات تطوقها . لكنهـا تتفق معها في كثير من الحالات باحـتواء أخفض أجزائها على مستنقعـات أو خبرات أو بحيرات تؤلف مستوى أساس، أي مـستوى قاعدي ، (Base - level) جميع شبكات الأنهار والأودية السيلية فيها . ويمكن التمييز بين النوعين كالآتي :

أ - الأحواض المنخفضة :

وهي أحواض كبيـرة تضم أحواضاً أصغر ، أهمها حـوض الصحراء الكبرى

الغربية وحوض العرق الشرقي - الجـريد وحوض تشاد وأحواض غرب النيل وحوض طوران - قزوين .

يتألف حـوض الصحراء الكبرى الغـربية من أحواض غات والجـوف والخانق وكارت وعـرق الأحمر وتيديكلت والخناشـيش ، تفصل بينها سطح منبـسطة ، وقد تحيط بها جروف أو تتـصل بالسهول عن طريق منبسطات مغطاة بأغشية رمـلية وكثبان متنقلة . وتحيط بهـذا الحوض الواسع مرتفعات الأطلس وحمـادات الدرعة وغيرها ، وجبال الأحجـار وهضابها ، كما تطل عليه من الجنوب والغـرب هضاب تفصله عن حوض نهر النيجر وسهول الصحراء الغربية. وتقع أخفض أجزاء هذا الحوض وتوابعه على ارتفاعات تراوح بين ١٣٠ - ١٥٠ مـتراً ، وتكثر فيها سـباخ كبيرة مثل سـبخة مكرغان (تيديكلت) وسبخة أم الضروس ، وسباخ كثيرة وقيعان جافة .

أما حـوض العرق الشرقي - الجـريد فيقع بين مرتـفعات وهضاب الصـحراء الكبرى الغـربية إلى الشمـال من كتلة جبـال الأحجار . وهو امـتداد طبيـعي لحوض الصحراء الكبرى الغربية السابق ، تفصل بـينهما هضبة تادمايت ويتصل حوض العرق الشرقي في شماله الشرقي بحوض الجريد والملغير الذي يقع دون مستوى سطح البحر (-٣١ متراً) . ولا يفصله عن البحر المتوسط في خليج قابس سوى ظهرة منخفضة مما يشيـر إلى اتصال سابق بينـهما . وتتـألف أرض حوض العرق الشـرقي - الجريد من منبسطات تغطيها الرمال والكثبان الضخمة ، كـما تحزز الأودية الجافة حافاته الشمالية والغربية .

ويقع حوض تشاد في وسط الصحراء الكبرى جنوب جـبال تيبستي ، وتحيط به من بقية الأطراف هضاب متوسطة الارتفاعات تقدم الحديث عنها . والحوض عبارة عن فيافي واسعة جداً تحتل بحيرة تشاد المنخفض الجنوبي منه (٢٨٠ متراً) بينما يشغل منخفض بوديله الجاف أخفض أجزاء الحوض (١٥٥ مـتراً) . وتنتهي إلى بحيرة تشاد أودية سيلية تأتيه من الجهات المختلفة لكن أهما هي أودية شبكة نهر شاري في الجنوب

والجنوب الشرقي .

تتألف أحواض غرب النيل من عدة منخفضات مغلقة تقع دون سطح البحر هي في الشمال منخفض القطارة (١٣٣ متراً) ومنخفض سيوه الملحق به . وهما مستنقعان محليان وغنيان بالسباخ . وبالقرب من النيل يوجد منخفض وادي النطرون (٢٤ متراً) ثم منخفض الفيوم (٤٥ متراً) الذي تحتل قاعه بحيرة (بركة) قارون ، تليها باتجاه الجنوب منخفضات الواحات المصرية (الفرافرة والداخلة والخارجة) .

أما أهم أحواض آسيا المسلمة ، وأوسعها فهو حوض طوران - قزوين ، الذي تحيط به الجبال الآسيوية الوسطى من الجنوب والشرق ، وسهوب سيبيريا وهضاب كازاخستان من الشمال وبحر قزوين والقفقاس من الغرب .

تكوّن حوض طوران نتيجة صدوع كبيرة سببت خسف الأرض ، وكان عبارة عن بحر داخلي كبير تراجع في الزمن الثالث ، ووصل إلى الوضع الراهن في الزمن الرابع المتأخر . وتقدر مساحة الحوض بنحو ثلاثة ملايين كيلو متر مربع ، وترتفع أرضه نحو ١٠٠ متر ، وسطياً فوق سطح البحر . تغطيها المجروفات المحمولة من الجبال المحيطة بها بوساطة السيول والأنهار التي يغيب أغلبها في هوامش الحوض وفي أنقاض أقدام الجبال ، وترسم نهايات كثير منها دالات (مخاريط أنقاض وانصباب) جافة . وتكثر في طوران المنخفضات المغلقة من نموذج السباخ وتعرف بـ (شور) والخبرات وتسمى (تاكير) ، كما تغطي القشرات الصحراوية والترب الصحراوية (اللومية) وأغشية اللوس سطح مساحات مهمة من طوران . لكن التكوينات الريحية الأصل هي الأكثر انتشاراً في صحاريها الرملية في قيزيل قوم (الصحراء الحمراء) وقره قوم (الصحراء السوداء) وغيرهما .

تخترق الحوض مياه نهري أموداريا (جيحون) وسرداريا (سيحون) القادمة من جبال آسيا العالية وتنتهي في بحر آرال الآخذ بالزوال والاندثار . أما الأنهار الأخرى

الهابطة مـن الجبال الجنوبيـة مثل تهـيرات كوبت - داغ ونهـر مرغـاب (مرغ آب) ، وكذلك القادمة من الجبال الشرقية مثل نهر زرفـشان ونهر تشو ، فتنتهي متشعبة على أطراف الحوض أو في منخـفضات مـغلقة صغـيرة مثل أشـيكول . وتكثر في طوران أمثال هذه الأحواض ، مثل منخفضـات كاركاتا ومينولاق ومولال وآريس في الشرق . ثم منخفضات ساري - قاميش (-٣٨ مـتراً) وقره شور (-٢٨متراً) وقاراخلي شور (-٢٨ متراً) وسورباساكليمس (٦٢ متـراً) وكارنجار (-٧٠ متراً) ، وغيرها في الغرب وبين بحري آرال وقـزوين .

ومما يميـز تضـاريس طوران تناثر الـتلال الشـاهدة والجـبـيـلات الصــخـرية واليارادانغات (الخرافيش) والحافات الجرفـية لسطوح مائدية فيها ، مما يدل على أعمال حت وتعرية سابقـة وراهنة ، للعمل الريحي بينها الغلبة الواضـحة . في أحوال مناخ صحراوي قاري جداً .

ب - الأحواض المرتفعة :

تغلب على هذه الأحواض الطبـيعة الجبلية أو الهـضبة الواضحة . كـما أنها تكون عالية ذات سطح منبسط تعتوره أراض وعرة وجبيلات بل وهضاب ومنخفضات قد تشغل قياعانها بحيرات أو مستنقعات أو سباخ وغيرها . وأهم هذه الأحواض :

حوض تاريم :

حوض مغزلي الشكل طوله نحو ١٥٠٠ كم وأقصى عرض له نحو ٦٥٠ كم تحيط به جبال تيان شان من الشمال وكون لون في الجنوب ، ومن ناحية الغرب هضبة ومرتفـعات باميـر . أما في الشرق فـيقل الارتفاع حـيث توجد بوابة يومن Yumen المفارة التاريخية لطريق الحرير . أما الارتفاع المتوسط فيقع بين ٧٠٠ - ١٣٠٠ متر ، فـوق سطح البحـر . وترجع نشأته إلـى الخسف الذي حـصل بين الجبـال الالتوائيـة المحيطة به والتي ترافقت مع صدوع سـببت هبوطاً في أرض الحوض . وقد رافق هذه

الصدوع صدوع جانبية أدت إلى نشوء حوض طرفان وأحواض أخرى صغيرة على الهامش الشمالي الشرقي لحوض تاريم ، ويتميز حوض طرفان عن أحواض العالم الإسلامي العالية بوقوع أرضه دون مستوى سطح البحر (- ١٥٤ متراً) .

تتصف أرض حوض تاريم بانتشار أشرطة من المجروفات والأنقاض الصخرية عند أقدام الجبال يليها نطاق من التربة الناعمة مع اللوس ، ثم الأغشية والكثبان الرملية التي تؤلف صحراء تكلاماكان التي تقدر مساحتها بنحو ٤٠٠ر٠٠٠ كيلو متر مربع كما تكثر في الحوض ولاسيما في أجزائه الشمالية والشرقية السباخ والأراضي المالحة إضافة إلى الأراضي اللحقية (الرسوبية) والمستنقعات التي ترافق وادي نهر تاريم (ياركنداريا) الذي يتزود بالمياه من جبال تيان شان وهضبة بامير ، ويغير مجراه ومنتهاه أكثر من قره بوران إلى بحيرة لوب نور ومستنقعاتها .

حوض جونغارية :

أبعد الأحواض موقعاً على الهامش الشمالي للعالم الإسلامي وهو مثلثي الشكل تحيط به هضاب منغوليا في الشرق وجبال تيان شان من الجنوب وألطاي من الشمال والشمال الشرقي وسلاسل تربغتاي وجونغارية - ألطاي في الغرب، تفصل بينها مفازات طبيعية كانت ممراً لطرق تجارية وهجرات شعوب في التاريخ، أشهرها بوابة جونغارية المؤدية إلى كازاخستان وتركستان الغربية . ويقع الحوض على ارتفاع ٢٥٠ - ٣٠٠ - ٧٥٠ متراً وسطياً . تغشى وسطه وأغلب أجزائه صحراء رملية ، بينما تكثر على هوامشه البحيرات والمستنقعات والدالات الجافة والسباخ الملحية . وفي جونغارية تقع أبعد نقطة عن أي بحر أو محيط مفتوح في قارة آسيا والعالم وتبعد عن أقرب ساحل مسافة ٢٥٠٠ كم .

سادساً : السواحل والجزر :

تنقسم سواحل العالم الإسلامي إلى سواحل عالية وسواحل منخفضة

فسواحل البحر الأحمر تغلب عليها التضاريس العالية الصخرية ولاسيما في خليج العقبة وأجزاء من خليج السويس ، وتقترب الجبال والهضاب من البحر على الجانب المصري والسوداني والأريتري إلا في القطاعات التي تتسع فيها السهول الساحلية ويتكرر الأمر على الجانب السعودي واليمني حيث الشريط السهلي أطول وأعرض . أما على جانبي خليج عدن فتصبح السواحل عالية وصخرية في أغلبها . وتتعاقب السواحل المنخفضة مع العالية على ساحل كينيا بحسب تقدم الجبال والهضاب أو إفساحها المجال للسهول الساحلية .

تعود السواحل العالية والصخرية للظهور على السواحل الجنوبية لشبه الجزيرة العربية حتى ظفار ، وبعد انقطاع تعود ثانية لترسم السواحل بين رأس الحد ومسقط ثم في شبه جزيرة مسندم ، ومعظم أجزاء الساحل الإيراني على الخليج العربي وبحر العرب شريطاً متقطعاً من السواحل الصخرية .

وجدير بالذكر أن ساحل إيران على الخليج العربي قريب الشبه من نموذج السواحل الدلماسية ، كما أن ساحل غربي تركيا علي بحر ايجة شبيه بالنموذج البروتاني للسواحل ، وكلاهما من زمرة السواحل البنائية - الالتوائية المتعامدة محاورها مع محاور التضاريس أو المسايرة لها .

وتفصل السهول الساحلية على جانبي شبه جزيرة الدكن بين جبال الغات الغربية والشرقية والبحر ، لكنها مع ذلك تتقدم بألسنة صخرية حتى البحر فتظهر السواحل العالية في أماكن عديدة .

ويصبح معظم السواحل صخرياً وعالياً على السواحل الجنوبية الغربية والجنوبية لجزر إندونيسيا ولاسيما في سومطرة وجاوة ، تقطعها أشرطة من السواحل المنخفضة لاسيما عند مصاب الأنهار . وتظهر سواحل هذه الزمرة في أجزاء متباعدة من سواحل جزيرة كليمنتان وبصورة خاصة شماليها . أما بقية جزر إندونيسيا فالغالب

عليها أنهـا جبلية وسواحلهـا عالية وصخرية ذات طبـيعة اندفاعيـة - بركانية . وفي جزيرة غينيا الجديدة تسـاير السواحل العالية شمالي شبه جزيرة تشـيندرا فاسيخ وأكثر السواحل المطلة على خليج إيريان وعلي بحر سيرام وتيمور .

وتقـوم الأشكال التـضـريسيـة الكارسـتـيـة من نموذج الموغـوت (الكارست المخروطي) في جنوب شـرقي العالم الإسلامي حيث بنيـة الصخور كلسيـة رسوبية، بدور واضح في رسم السواحل الصخرية ذات الجروف القائمة .

ومن السواحل العاليـة النموذج المعروف بسواحل الشرم المنتـشرة على جانبي البحر الأحمر وسيناء ومسندم . وهي عبـارة عن خلجان مغرقة ذات جوانب صخرية وعالية يظن أنها نهايات أودية جافـة تعرضت لخسف بنائي . كذلك يكثر في سواحل العالم الإسلامـي العالية نموذج السواحل الصـدعية الأصل وتعرف أحيـاناً بالسواحل البنائيـة ، وتوجد في منـاطق نشاط الصـدوع . مثلهـا مـثل السواحل البـركانيـة - الاندفاعية الأصل. وفي كل هذا تبقى الأعمال الحتـية الساحلية طاغية على غيرها من العوامل المؤديــة إلى تشكل السواحل العاليـة والصخريـة ،وتـعـرف بسواحل الحت البحـري ، التي تتمـيز بأشـكالها الجيومورفولوجية المعروفة من جدار ساحلي وقاعدة حت (نحر) ومسلات وكهوف وقناطر وغيرها من أشكال ساحلية .

من ناحية أخرى فإن هناك عدداً من السواحل المـنخفضة تؤلف نهايات جميع السهول الساحلية في العالم الإسلامي، التي تقدم ذكرها. ومع ذلك تختلف مظاهرها بين مكان وآخـر بحـسب العـوامل المؤثرة في تكوينهـا. وعلى العـموم فـالسـواحل المنخفضة هي تسمية مرادفة للسهول السـاحلية لأن السهول المنخفضة ضعيفة الانحدار وتستـمر حتـى مسافـات بعيدة في البـحر الضـحل، وتتألف صخـورها الطريـة من الرواسب الناعمة والحصويـة القادمـة من البر أو من البحـر، أو ذات منشأ عضـوي. وتسايـر السيـوف (ج سِيـف بكسـر السين) أغلب هذه السواحل ويغـلـب على بنيتـها الرمل ، وفي العالم الإسلامي توجد نماذج عديدة في الوساحل المنخفضة هي :

١ - سواحل الدالات النهرية :

يكثر هذا النموذج علـى سواحل النطاقات المطيرة وعند مصـاب الأنهار سواء كانت الأنهار كبـيرة أم صغيرة كمـا هو الحال في سواحل جزر إندونيسيـا الكبيرة مثل كليمنتان وجاوه وسومطرة حيث توجد عشرات الدالات الصغيرة والمتوسطة الناشطة ، وكذلك على سواحل ملقة وجنوب شرقي آسيا وآسيا الموسمية وأكبر هذه الدالات دلتا الجانج - براهما بوترا في صدر خليج البنـغال ، ودلتا نهر الـسند والـدالات الصـغيرة قبله وبعده . وكذلك دالات أنهار ماهانادي وغودافاري وكريشنا على الساحل الشرقي للدكن . ومن الدالات المهـمـة التي لا ترسم قوسـاً متقـدمـة في البحـر ، دلتا شط العرب .

وتظهر على ساحل شرقي إفريقيا الإسلامي دالات صغيرة ومحدودة العدد - أهمها دلتا نهـر روفيجي ، أما دلتا نهر النيـجر فتعد واحدة من أكـبر الدالات العالمية وساحلها يمتـد مسافات طويلة على خليج غينيـا على شكل قوس محدبة متـقدمة في ميـاهه . وهناك دالات أقل أهمية إلى الغـرب منه مثل دلتا نهـر الفولتا وغـيرها من دالات صغيرة .

يعود نموذج ساحل الدالات للظـهور في دلتا نهر النيل المحدبة والمتـقدمة في مياه البحر المتوسط . ثم في لسان سهل أضنة المكوّن من دلـتا نهري جيحان وسيحان . أما على سواحل البـحر الأسود فتظهر دلتـا قيزيل إرماق ودلتا يـشيل إرماق بألسنة متقدمة على الساحل الشمالي لتركيـا . وأخيراً فإن الساحل الغربي لبحر قزوين يتلقى مياه نهـر الكورا ونهر التيرك من جـبال القفقاس ومـا وراءه فيرسمان سـاحلاً دلتاوياً لهما.

إن نموذج سواحل الدالات النهـرية غيـر ثابت أو مستـقر من حيث المسـاحة والاتساع والشكل ، لأن الأنهار والمياه الجارية تحمل إليـها سنوياً ، بل ويومياً كميات من المجروفات والطـمي تغير في أشكالها . فـمياه الجانج - براهما بوتـرا تحمل نحو

١٥٤ طناً من المواد الصلبة لكل كـيلو متر مـربع واحد سنوياً ، ودلتا نهر التـيرك في القفقـاس (داغستان) ناشطة جداً بحـيث تتقدم سنوياً نحو ٥٠٠ متـر ونهر سولو في جاوة تتـقدم دلتـاه بمقدار ١٠٠ متـر سنوياً . ولكن بالمقابل هناك دالات مـعطلة عن العمل أو تعيش حالة توازن بين ما يصلها من مواد صلبة وما تحمله التيارات الساحلية منها ، كما في دلتا نهر النيل وجيحان .

إن سواحل الدالات النهـرية وإن كانت لا تحتل مسـاحات كبيـرة من أشرطة السواحل الإسلاميـة فإنها تتميز بمظاهرها التضـريسية وبيئتها الطبيـعية، حيث الأرض منخفضة جداً ومتسعة ومستوية تقطعـها أذرع وتشعبات قنوات مائية متفرعة عن النهر الأم تعد بالعـشرات أو بالمئات بحسب حـجم الدلتا والنهر يسودها الغـرين والوحول والأراضي الرطبـة، والنباتات التي تألف الرطوبة. كـما تتـميز بالبـيئـات والأوضاع المناخية السائدة على كل ساحل . فبيئة دلتا النيل غير بيئة دلتا الجانج - براهما بوترا. كما تكون عرضة للغـمر والفيضان ولتخريبها بمياه المد العـالي أو الإعصارات البحرية في العروض المدارية . إضافة إلى أنهار من البقاع الكثيفة بالسكان والتي تعج بالنشاط الاقتصادي الزراعي خاصة .

٢ – السواحل المرجانية :

في العروض الواقعة بين ٣٢ درجة شمالاً و٣٢ درجة جنوباً وفي المياه البحرية الدافئـة والصافيـة ذات الأعماق التي لا تزيد على ١٠٠ مـتر ، تنتشـر المستعـمرات المرجانيـة التي تميز أرصفـة كثير مـن سواحل العالم الإسلامـي ، ولاسيما الأرصـفة اللاصقة والأرصـفة الحاجزة من الشـعاب المرجانية التي قد تظهـر فوق سطح الماء في حالات الجزر أو عندما ينخفض مستوى سطح البحر لأسباب مناخية أو نهوض اليابسة بنائياً . ويكثر انتشار هذا النموذج في أرخبـيل إندونيسيا، وسواحل ملقة ، وفي جزر أندامـان وسـواحل شـرقي خليج البنغـال . ثم في أرخـبـيل المالديف (ذيبـة المهل) ولاكـاديف ، وأجزاء من سـاحل الهند الغـربية ، فـسواحـل الخليج العربي وجـزره ولاسيما على الجانب الغربي والجنوبي ثم في سواحل خليج مصيره وبعد انقطاع نسبي

في سواحل خليج عدن ، تعود السواحل المرجانية الأصل للسيادة على سواحل البحر الأحمر من مضيق باب المندب حتى صدر خليج السويس ، إلا أجزاء قصيرة وقليلة تخلو من الشعاب المرجانية . وأخيراً تتألف بعض أجزاء سواحل شرقي إفريقيا أمام سواحل دار السلام وجزيرة مافية وجنوبها حتى أرخبيل جزر القمر والسواحل الإفريقية المقابلة لها ، من أشرطة من الشعاب المرجانية . ومما يدخل في هذا الإطار الجزر المرجانية الحلقية (الآتول) والشعاب الجزرية (شكل رقم ٥) .

إن تضاريس هذه السواحل تجعلها ذات بيئة طبيعية مميزة بالشعاب ذات الممرات والمسارب والقنوات المتشابكة والمتداخلة ذات المياه الضحلة التي تجعل الملاحة فيها صعبة وخطيرة. وقد لوحظ على المرجانيات الساحلية في العالم الإسلامي مرضها وموتها في عدد من الأماكن من جراء التلوث البحري. هذا وتعد مياه بحار العالم الإسلامي أغنى بحار العالم بالتضاريس والأشكال المرجانية.

٣ - سواحل المستنقعات وأشجار القرم :

تمتد في هذا النموذج أشرطة من المستنقعات الغنية بالنباتات المحبة للأملاح وبالأشنيات والأعشاب البحرية المختلفة التي تنمو على قاعدة وحلية ، على السواحل المعرضة لحركات المد والجزر في المياه الدافئة بين المدارين . من أبرز أشكالها سواحل أشجار القرم القصيرة (المانجروف) ، وتعد بيئة الدالات النهرية والمستنقعات الساحلية في العروض الاستوائية والمدارية أنسب أماكن انتشار القرم .

وتوجد سواحل القرم على سواحل إيريان الغربية الجنوبية وإلى حد ما الشمالية ، وأجزاء من سواحل جاوة الشمالية ومعظم سواحل سومطرة الشمالية الشرقية وأجزاء من سواحلها الجنوبية الغربية ، وأشرطة طويلة من سواحل كليمنتان الشرقية والجنوبية والجنوبية الغربية . كما يؤلف هذا النموذج الساحلي أغلب قطاعات ساحل ملقة ، ثم سواحل بورما ومنها إلى دلتا نهر الجانج - يراهما بوترا ، ثم

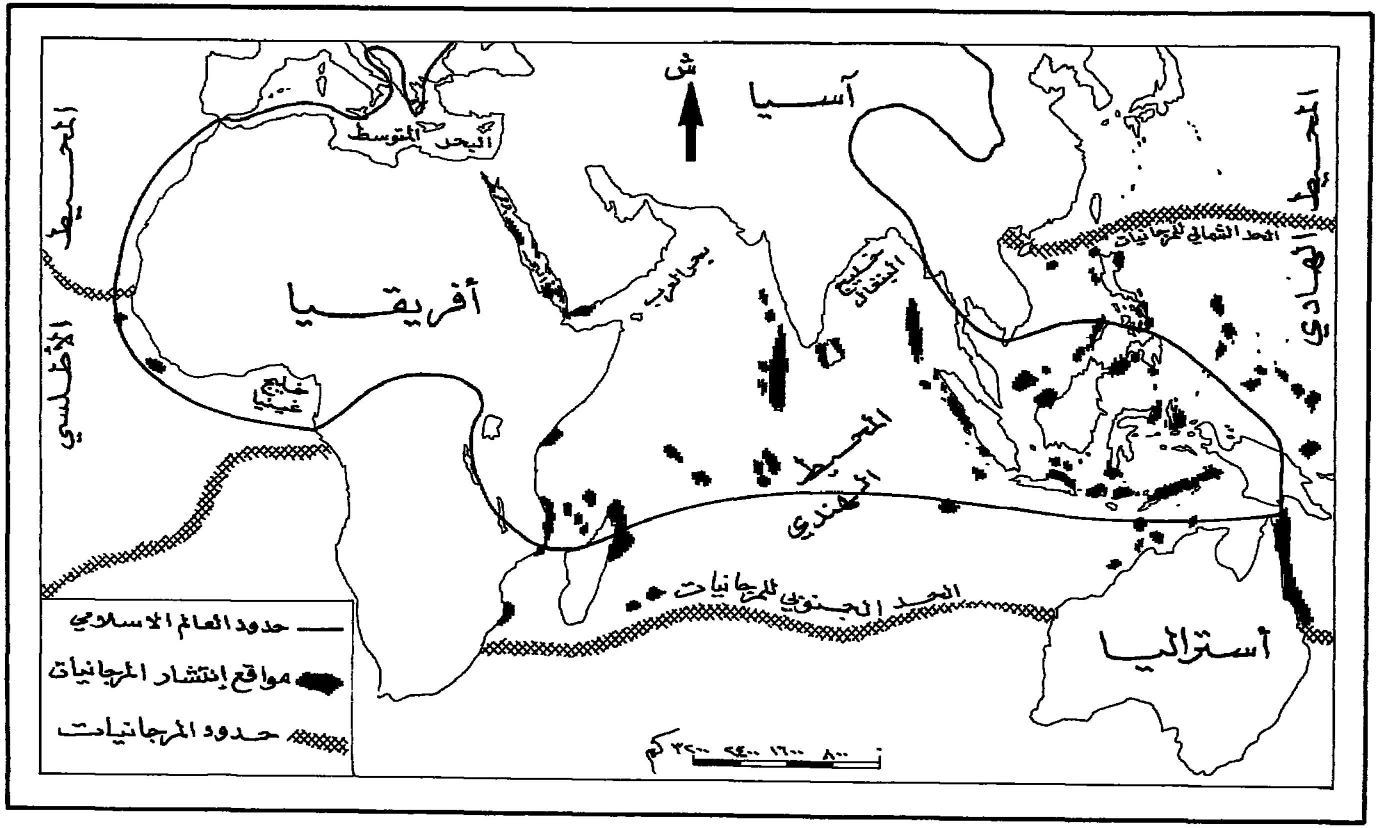
سواحل دالات غربي الهند وأجزاء قصيرة من سواحل الخليج العربي الغربية في البحرين والإمارات والسعودية .

وبعد انقطاعها على سواحل بحر العرب وخليج عدن والبحر الأحمر ، تظهر سواحل القرم (المانجروف) على سواحل تنزانيا على شكل متقطع . وتعود للظهور في خليج غينيا على سواحل الكمرون ودلتا النيجر وعلى شكل متقطع في باقي سواحل إفريقيا الغربية على خليج غنينا ثم على سواحل سيراليون وحتى مدينة داكار في السنغال .

٤ - سواحل الأخوار ومصاب الأنهار :

وهي سواحل منخفضة تصب فيها أنهار وتنتهي فيها أودية ذات مستويات أدنى من مستويات مياه المد البحري العالي ، مما يجعلها تدخل المصاب إلى مسافات متباينة. وتكثر هذه السواحل المعروفة بسواحل الأخوار على سواحل الخليج العربي وفي كثير من سواحل العالم الإسلامي المنخفضة وهي وثيقة الصلة بسواحل المستنقعات والدالات وتوجد حيث تنتشر هذه النماذج وتتداخل معها كما في سواحل سومطرة وكليمنتان وايريان الغربية الجنوبية وسواحل شرقي خليج البنغال والمصاب والدالات التي مر ذكرها . ويكثر تفاغم القنوات المائية في الدالات ومصاب الأنهار المهمة بحيث تصبح أجزاء كثير من الساحل جزراً أو أشباه جزر منخفضة تقع تحت رحمة الفيضانات النهرية وغمر الطوفانات الاعصارية البحرية المدارية كما توجد على سواحل غربي إفريقيا بين السنغال وليبريا .

وللتيارات الساحلية على السواحل الرملية والوحلية والمنخفضة أثر واضح في رسم نموذج آخر من هذه الزمرة ، هو نموذج سواحل الليدو أو الحيل أو اللاغون (المستنقعات الساحلية المالحة) التي تكثر على السواحل الممتدة غربي دلتا نهر النيجر حتى سيراليون . وينطبق ذلك علي ساحل دلتا النيل بشكل أو بآخر ، كما توجد على السواحل الغربية والجنوبية من الخليج العربي حيث يشيع اسم (الحيل) .



شكل (٥) إنتشار المرجانيات في بحار العالم الإسلامي وحدوده

وإضافة إلى ما تقدم من نماذج السواحل ، فإن بقية السواحل المنخفضة في العالم الإسلامي هي نتاج عمليات ترسيب للمواد الناعمة والطرية القادمة من البر ومن البحر أو العضوية المنشأ في طبوغرافية سهلية منبسطة ذات فروق ارتفاعات قليلة في البر وتحت الماء في نطاق الرصيف القاري . وعلى العموم فإن هذه السواحل تخضع لأعمال النقل والترسيب بالدرجة الأولى وتراجع أعمال الحت والتعرية ، خلافاً لما عليه حال جيومورفولجية السواحل الصخرية العالية ، حيث يكون الحت والنحت والتآكل هو العامل النشيط في رسم أشكال تضاريس . كما أن السواحل المنخفضة في خطوطها العامة أكثر استقامة من السواحل العالية والصخرية الغنية بالتعاريج .

أما فيما يتعلق بالجزر ، ففي العالم الإسلامي دول مؤلفة من أرخبيلات من الجزر الكبيرة والصغيرة كإندونيسيا وعدد جزرها ١٣٦٧٧ أو من الجزر المتوسطة والصغيرة (المالديف ١٠٨٧ ، وجزر القمر ٤) وكذلك أرخبيل لاكاديف التابع للهند وأغلبية سكانه مسلمون ، وكذلك جزر جنوب الفلبين حيث الأكثرية إسلامية (مندناو وسولو وبالادان وما يحيط بها من عشرات الجزر) .

ويقل عدد الجزر على سواحل بحر العرب إلا من جزر سقطرى والحلانيات (خوريا - موريا) وجزر صغيرة أخرى ، كذلك توجد جزر قليلة قبالة ساحل شرقي إفريقيا الإسلامية أهمها جزر زنجبار وبمبا وما فيه والقمر .

أما في الخيلج العربي فتظهر أعداد من الجزر ولاسيما في مياهه الجنوبية وقبالة ساحل الإمارات وقطر ثم البحرين وأرخبيلها ، إضافة إلى العديد من الجزر الساحلية على الساحل الغربي للخليج العربي . ويغلب على هذه الجزر أنها منخفضة إلا القليل ، بينما جزر الساحل الإيراني عالية وأوسع . لكن أعدادها أقل ، والقسم الأكبر منها من أصل مرجاني ، وبالذات الجزر المنخفضة، أما العالية فهي إما صخرية عالية أو قبات ملحية بنائية .

وتكثر الجـزر المرجانية وغيـر المرجانية في البحـر الأحمر ، وتعد بالـعشرات حيث تؤلف في الجنـوب أرخبيلات حنـيش وفرسان وقـمران ودهلك ، وفي الوسط أرخـبيل سـواكن وفي الشمـال شدوان وتيـران . عدا عـشرات الجـزر من الصخـور والشعاب المرجانية على ساحلي البحر .

أما في مـياه المحـيط الأطلسي فالجـزر الإسلاميـة أو الواقعـة قبـالة سواحل إسلامية قليلة ، منها بيـوكو والجزر الرملية المنخفضة المصاقـبة لساحل خليج غينيا أو قبالة ساحل سيراليون وغينيا بيساو والسنغال .

وفي البحر المتـوسط عدد من الجزر الإسلامية الصخـرية على ساحل المغرب العربي ، ثم جـزر خليج تونس والحمـامات وقابس . وبعـض الجزر الصخـرية أمام ساحل بلاد الشام ، مع جزيرة قبرص . وتكثر الجـزر الصخرية والعالية في بحر إيجة قبالة السواحل التركية الغربية .

وتقسم الجزر الإسلامية إلى مجموعتين من حيث وجهة النظر التضاريسية هما :

١ - الجزر العالية والجبلية :

وهي الجزر البـركانية الأصل أو القـريبة من سواحل عالـية جبلية وصـخرية قاسية . وقد تكون عـبارة عن قباب ملحية بنائية ، ويغلب عليها أن تكون مـساحتها كبيرة حتى كبيرة جداً كمـا في جزيرة كليمنتان أكبر جزر العالم الإسلامي (٧٣٧٠١٨ كيلو متر مربع) وهي ثالث أكبر جزيرة في العالم بعد جرينلاند وغينيا الجديدة .

٢ - الجزر المنخفضة :

وهي الأكثـر عدداً لكنها ليست الأوسع مـساحة في جزر العـالم الإسلامي، وهي جزر منبسطة قد تعلوها تلال منخفضة ، أغلبـها من أصول مرجانية أو ترسبات رملية حـصوية أو عضـوية ، تكون قريبة من السـواحل وبين الجزر الكبيـرة . والمياه المحيطة بها قليلة العمق خلافاً للجزر العاليـة المحاطة بمياه عميقة في أغلب الأحيان . ومن الجزر المنخـفضة الواسعـة الانتشار في نطاق تكوّن المـرجانيات ، الجزر الحلقـية

المعروفة بالآتول التي تكثر في أرخبيلات جزر المحيط الهندي وإندونيسيا .

إن جزر العالم الإسلامي وإن كانت تعد بالآلاف فإن المأهول منها قليل ويقتصر على الجزر الكبيرة ، وحيث تتوافر شروط الحياة من مياه عذبة (ينابيع أو مياه أمطار أو آبار . . .) وموارد عيش طبيعية أخرى .

هذا وتضم جزر العالم الإسلامي عدداً كبيراً من جزر لا يعدو كونها صخرات صغيرة تعلوها مياه المد العالي . وأخيراً فإن أعداد الجزر غير ثابت لما تتعرض له من زوال أو نشوء من جراء الحركات البنائية ولاسيما الجزر المرجانية والجزر البركانية التي قد تختفي وقد تظهر .

من جانب آخر فإن في العالم الإسلامي أهم الممرات البحرية الطبعية ذات القيمة التجارية والاستراتيجية الكبرى في العالم باستثناء قناة بنما الاصطناعية أصلاً . وهذه الممرات هي مضيق جبل طارق وباب المندب وهرمز وملقة إضافة إلى قناة السويس الاصطناعية . أما مضيقا البوسفور والدردنيل فلهما أهمية إقليمية بين العالم الإسلامي وأوروبا . كذلك توجد ممرات بحرية كثيرة بين جزر أرخبيل إندونيسيا وماليزيا والفلبين وأستراليا لها أهمية قليلة بل ومحلية محدودة . ويمكن إلقاء بعض الضوء على أهم الممرات البحرية وذلك على النحو التالي :

١ - مضيق جبل طارق :

هو أكثر الممرات حيوية ونشاطاً طوله نحو ٥٨ كم بعرض ١٢٫٥ كم وعمق المياه الأقصى فيه هو ٩٣٥ متراً ، والأدنى ٣٢٠ متراً . وله دور طبيعي في تعويض نحو ٧٥٪ من المياه المتبخرة من البحر المتوسط ، إذ يسمح بدخولها من المحيط الأطلسي ، وهو ممر دولي بين أوروبا والعالم الإسلامي يربط بالبحر المتوسط بالمحيط الأطلسي . عرف بالزقاق في التراث الإسلامي ، ينسب اسمه إلى طارق بن زياد منذ عام ٩٣هـ (٧١١م) .

٢ – مضيق باب المندب :

نشأ نتيجة حركة بنائية صدعية ، يربط البحر الأحمر بخليج عدن فالمحيط الهندي ، عرضه بين إفريقيا وآسيا ٢٦ كم ، فيه جزيرة بريم (ميون) اليمينة التي تمر السفن العابرة للمضيق إلى الغرب منها . عمق المياه فيه ١٠٠ – ٢٠٠ متر ويقدر عدد السفن العابرة بنحو ٢٠٠٠٠٠ سفينة سنوياً . وقد ازدادت أهمية باب المندب بعد حفر قناة السويس .

٣ – مضيق هرمز :

يربط الخليج العربي والمحيط الهندي ويقع بين نهايات جبال عُمان وجبال إيران ، عرضه في أضيق أجزائه ٣٩ كم بعمق ٧٠ – ٩٠ متراً . وترتبط أهميته بوجود أكبر منتجي ومصدري النفط والغاز في العالم في هذا الجزء من العالم الإسلامي . تعبره ناقلات النفط العملاقة ، ويقدر أن نحو ٨٠ سفينة تعبره يومياً . وترجع نشأته إلى الحركات المولدة لجبال المنطقة وعمليات غمر مياه البحر لتضاريسها .

٤ – ممر ملقة :

يربط بين عالمي المحيطين الهندي والهادي بين شبه جزيرة ملقة وجزيرة سومطرة ، وهو ممر طويل عرضه في أضيق نقاطه نحو ٦٠ كم ، تكثر الجزر في نهاياته الجنوبية الشرقية مقابل سنغافورة . وهو من أقدم الممرات ذات الأهمية التجارية والثقافية الرابطة بين العالم الإسلامي في جنوب شرقي آسيا وبقية أنحاء دارة الإسلام غربه . ترجع نشأته إلى غمر المياه البحرية لأرخبيل جزر جنوب شرقي آسيا ورصيفها القاري كما تقدم ذكره .

٥ – البوسفور والدردنيل :

ممران طبيعيان ، طول البوسفور نحو ٢٧ كم وعرضه ٦٤٠ متراً في أضيق أجزائه وعمق مياهه ٧٠ متراً ، فيه تيارات بحرية سريعة نسبياً . أما طول الدردنيل

فهو ٥٨ كم وعرضه ٨٦٨ متراً في أضيق أجزائه ، وعمق مياهه يتراوح بين ٥٠ - ٩٠ متراً . ويفصل بين الممرين بحر مرمرة .

٦ - قناة السويس :

إن قناة السويس وإن كانت صناعية لا تدخل في هذه الدراسة الطبيعية الصرفة، فإن حفرها سنة ١٢٨٦هـ (١٨٦٩م) بطول ١٩٣,٥ كم وعرض ٣٠٠ متر ثم ٣٥٠ متراً بعد التوسيع سنة ١٤٠١هـ (١٩٨٠م) ، منح ممرات العالم الإسلامي أهمية كبيرة جداً، لما حققته القناة من ربط بحري بين أقصى الشرق الإسلامي وأقصى غربه.

سابعاً : البحار :

يطل العالم الإسلامي على محيطات العالم الكبرى ، الهادي والهندي والأطلسي ، وبحارها المفتوحة عليها والمتصلة بها . ويعد المحيط الهندي أهم هذه الكتل البحرية لما له من دور فعّال في الأوضاع الجغرافية الطبيعية ولاسيما المناخية السائدة على العالم الإسلامي ، وكذلك في قيامه بدور صلة الوصل بين أنحائه المختلفة . ويمكن دراسة بحار العالم الإسلامي على النحو التالي :

١ - تضاريس بحار العالم الإسلامي :

تتألف بحار شرقي العالم الإسلامي من بحار ضحلة في نطاق الرصيف القاري . في بحر الصين الجنوبي وعمقه (٢٢ - ٦٢ متراً) وبحر جاوة وممر ملقة وغربي شبه جزيرة ملقة (٣١ متراً) ، وبين جزر إندونيسيا الأخرى وحولها حتى قوس وهدة جاوة وعمقها أكبر من ٦٠٠٠ متر . ويمتد الرصيف القاري بعمق ٤٦ - ٥١ متراً في بحر أرافورا ، وفي خليج البنغال (٥٩ متراً) ، وهنا يتكون مخروط انصباب ضخم في أرض الخليج هو امتداد لدلتا الجانج - براهما بوترا .

ويعود الرصيف القاري فيتسع على الساحل الغربي للهند ، ليضيق باتجاه

سواحل بحر العرب ، ليعود فيؤلف قاع الخليج العربي بعمق ٥٠ - ٧٠ متراً . وهنا يظهر مخروط انصباب آخر في قاع بحر العرب هو امتداد لدلتا نهر السند . كما تظهر في أرض المحيط الهندي الغربي سلاسل وظهرات بحرية وأغوار وأحواض عميقة (حوض الصومال ٤٩٦٢ متراً) وهوة أميرانتة (٥٢٧٣ متراً) . ويتألف أغلب قاع البحر الأحمر من رصيف قاري يتوسطه غور صدعي عميق (٢٠٠٠ - ٢٦٠٠ متر) .

أما على ساحل المحيط الأطلسي والبحر المتوسط فإن الرصيف القاري متباين العرض (٣ - ٥ - ٥٠ كم) لكنه قد يصل إلى ٢٠٠ كم في سواحل سيراليون - السنغال وساحل تونس الشرقي . ويتصل الرصيف القاري بأحواض بحرية مختلفة الأعماق تتراوح بين ١٠٠٠ - ٣٠٠٠ - ٤٠٠٠ متر ، تفصل بينها في قاع المحيط أو البحر ظهرات أو سلاسل جبال تقسمها إلى أحواض أصغر . هذا وللرصيف القاري قيمة كبيرة في العالم الإسلامي لغناه بمكامن النفط والغاز .

٢ - مياه بحار العالم الإسلامي :

تعد مياه المحيط الهندي والبحار الإندونيسية دافئة نتيجة موقعها من العروض الجغرافية ، وتذبذب خط الاستواء الحراري مداً وجزراً على طولها . وتدعم درجات حرارة المياه التي تتراوح بين ٣٠ - ٣١ درجة مئوية ، ما تظهره الخرائط الحرارية المصنوعة بتقنيات الاستشعار عن بُعد ، إذ أظهرت خريطة عام ١٤١٤هـ (١٩٩٣م) وجود بؤر ماء واسعة ذات حرارة قدرها ٣٠ درجة مئوية في البحر الأحمر و٣٤ درجة مئوية في الخليج العربي في فصل الصيف . وتقل درجات الحرارة على سواحل الصومال وشمال غربي المحيط الهندي نتيجة التيارات المائية الصاعدة أو القادمة إليها من عروض أعلى .

إن حرارة مياه المحيط الهندي هذه وتوزع البر والبحر في هذه العروض الجغرافية تؤثر في مناخات العالم الإسلامي تأثيراً كبيراً ولاسيما في النظام المناخي للموسميات .

ونتيجة للأوضاع الحرارية ومقادير المياه العذبة الداخلة في المحيط الهندي، ترتفع ملوحة مياهه إلى نحو ٣٦ بالألف ولأعلى من ذلك في بحاره الهامشية في

الشمال الغـربي الجاف القليل الأمطار والأنهار ، مقابل ملوحـة أقل في الشرق حيث الأمطار الغزيرة والأنهار الكبيرة .

أما التيـارات البحرية فتخضع لحـركات التيار الاستـوائي الشمالي والجنوبي، والتيـار المعاكس لهما ، وخـضوع هذه الحركات لمواقـعها على جانبي خـط الاستواء وتأثرها بقوة انحراف الأجسام المتحركة (كوريوليس) .

وفيما يخص العالم الإسلامي على المحيط الهندي ، فإن حركة التيارات هذه شمال دائرة العرض ١٠° جنوباً تخـضع لآلية الرياح الموسمية ، فتـتحرك في الصيف من الشرق نحو الغرب فالشمال الغربي فالشـمال الشرقي مع حركة عقارب الساعة ، ولاسيمـا في البحر العـربي حيث يلحتم التيـار الموسمي مع تيار الصومـال . أما في الشتاء فتسود تيارات تتجه غرباً حيث تتـفرع شمالاً وجنوباً باصطامها بجزيرة مدغشقر وساحل إفريقيا الشرقي ، وتكون سرعة التيارات هذه عالية في الصيف تصل إلى أكثر من عقدتين في الساعـة وسطياً ، علماً أن أكبر سرعة مسجلـة هي ٦ عقد في الساعة وكان ذلك في شهر أغسطس ١٣٨٤هـ (١٩٦٤م) عند دائرة العرض ٨° شمالاً .

أما خصائص مياه بحار المحيط الهندي فهي كالآتي :

١ - البحر الأحمر :

وهو بحـر ضيـق طوله ١٩٣٣ كم وعرضـه ٣٠٦ كم وحـجم مـياهه نحـو ٢٥١٠٠٠ كيلو مـتر مكعب ، حرارات ميـاهه عالية في الصـيف (٢٧ - ٣٢ درجة مئوية) وأقل من ذلـك في الشتاء (٢٢ - ٢٦,٥ درجة مئـوية) ، والتبخر فـيه شديد يقدر بـ ٢٥٠٠ ملم سنوياً مما يفسر الملوحة الزائدة لمياهه (٣٦,٥ - ٤٠,٥ بالألف). وتقدر خسارة البحر بنحو ١٠٠٠ كيلو متـر مكعب من المياه سنوياً تعوضها مياه قادمة من المحيط الهندي . أما حركـة المياه فمعقدة جداً ، لكنها مع هذا تظهـر اتجاها عاماً للمياه من الشمال الغربي نحو الجنوب الشرقي صيفاً وعكسه شتاءً .

ب - البحر العربي :

والسيادة فيه هي للتيارات الموسمية ، إذ تدفع الموسيمات الشتوية بالمياه نحو الجنوب فالغرب فيدخل التيار خليج عدن ، وفرع منه يساير ساحل الصومال الشرقي. أما في الصيف فيخرج التيار من خليج عدن نحو الشرق مع انحراف نحو الجنوب . وتراوح حرارات المياه الصيفية بين ٢٨ - ٣٠ درجة مئوية وأقل من ذلك على السواحل العربية وشرقي إفريقيا (٢٤ - ٢٥ درجة مئوية) ، وتراوح في الشتاء بين ٢١ - ٢٣ درجة مئوية . وتقع ملوحة المياه بين ٣٥,٤ بالألف في الشرق و ٣٦,٥ بالألف في الغرب . وكتلة مياه البحر هي نحو ١٠ ملايين كيلو متر مكعب .

جـ - الخليج العربي :

تقدر كتلة مياهه بـ ٦ آلاف كيلو متر مكعب ، يتلقى مياهاً عذبة في الشمال، والتبخر فيه مرتفع والرطوبة عالية . وتراوح حرارات مياهه بين ١٥ - ٢١ درجة مئوية في الشتاء و ٣٠ - ٣٣,٨ درجة مئوية في الصيف . وتراوح ملوحتها بين ٣٧ - ٣٨ بالألف جنوباً و٤٠ - ٤١ بالألف في الغرب والشمال الغربي ، تنخفض إلى ٣٠ بالألف قرب مصب شط العرب . أما حركة التيارات البحرية فيه فدورانية تدخل من مضيق هرمز نحو الشمال مسايرة الساحل الإيراني وتعود إليه نحو الجنوب مسايرة الساحل العربي . وحركة المد والجزر فيه واضحة تراوح بين ١,٦ متر في الوسط و ٣,١ أمتار في الجنوب و ٣,٤ أمتار في الشمال .

د - خليج البنغال :

وتسودة الشروط المدارية الموسمية مع تأثير المياه العذبة التي يحملها نهر الجانج - براهما بوترا إلي مياهه فتخفض ملوحتها إلي ٣٠ بالألف و٢٠ بالألف قرب المصب . أما حرارة المياه فتراوح بين ٢٤ درجةمئوية شتاءً و٢٨ درجة مئوية صيفاً وقد

تصل إلى ٣٠ درجة مئوية . وحـركة التيارات فيه دورانية أيضاً تتـحرك باتجاه عقارب الساعة ومعها . ويتأثر خليج البنغال والبحر العربي بوصول أعاصير مدارية مدمرة إلى حوضيهما .

هـ - البحار الإندونيسية :

عبـارة عن سلسلة من البحار المتـوسطية المتـداخلة بين آلاف الجزر . وتؤلف بحراً انتقالياً بين المحيط الهادي والمحيط الهندي . من بحاره بحر جاوة وبحر مكسر ، وسولاويسي وسيرام وباندا وأرافـورا وتيمور وبحار أخرى صغيرة، يضـاف إليها بحر الصين الجنوبي . وهي بحـار استوائيـة يمر في وسطها خط الاسـتواء ، ميـاهها على الهوامش عـميقـة وبين أغلب الجزر ضحلة وتؤلف رصـيفاً قـارياً ، وهي مياه دافـئة بصورة عامة وتسخن حتى القاع في البحار الضحلة . وتراوح درجات الحرارة بين ٢٧ - ٣٠ و ٢٩ - ٣٠ درجة مئوية . لكن البحر الإندونيسي يتلقى مياها باردة نسبياً عن طريق فتـحات تربطه بالمحيط الهـادي . فتصل الميـاه الباردة إلى بحر الملوك وسـيرام وباندا وهالماهيرا. لكن الممرات الأسـاسية لدخول ميـاه المحيط الهادي هي عن طريق بحر الملوك وسولاويسي. وتحوم ملوحة المياه حـول المعدل العام لمياه البحار (٣٤,٦ - ٣٥ بالألف). أما حركات التيارات البحرية فـترتبط باتجاهات التيارات الهوائية والرياح التي تغلب عليها الرياح الشمالية في الشتاء والرياح الجنوبية في الصيف .

من ناحيـة أخرى فإن مياه المحـيط الأطلسي تختلف عن ميـاه المحيط الهندي بامتدادها على العروض الشمالية والجنوبية مما يجعل مياه الأطلسي على اتصال بالبحار الباردة ويسمح بحركة مياه وتيارات متماثلة الآلية تقريباً على جانبي خط الاستواء .

فدرجات الحـرارة تتناقص في مياه العالـم الإسلامي الأطلسية باتجـاه الشمال وترتفع باتجاه النطاق الاستـوائي في خليج غينيا . ويتأثر هذا التوزيع بالتـيارات المائية المحيطية الأفـقية وبحركة الميـاه الصاعدة . وللدوامة المائيـة المتفقة مع حركـة عقارب الساعة في الأطلسي الـشمالي دور بارز في تشكل تيار الكناري البـارد الذي يسير من الشمال نحوالجنوب مسايراً لسواحل المغرب ومـوريتانيا حتى السنغال حيث يتفرع إلى

تيار جنوبي غربي يندمج مع التيار الاستوائي الشمالي المتجه غرباً مبتعداً عن العالم الإسلامي ، وتيار جنوبي شرقي فشرقي يؤلف تيار خليج غينيا الدافىء . ويدعم التيار الاستوائي المعاكس حركة التيار المتجه شرقاً إلى خليج غينيا .

أما في الجنوب فتصل نهايات تيار بنغويلا البارد القادم من الجنوب باتجاه الشمال قريباً من خليج غينيا ، لكن تأثيره على مياه العالم الإسلامي يبقى محدود الأثر .

أما ملوحة مياه الأطلسي فهي بحدود النسبة العامة ٣٥ بالألف وحرارة مياهه السطحية تتفق والعروض الجغرافية ونطاقاتها المناخية .

و - البحر المتوسط :

يقدر حجم مياهه بنحو ٣,٨ ملايين كيلو متر مكعب ، يتصل بالمحيط الأطلسي والبحر الأسود بممرات طبيعية (جبل طارق والدردنيل - والبوسفور) وبالبحر الأحمر بوساطة قناة السويس . ولموقعه في العروض فوق المدارية تأثير كبير في خصائص مياهه وأهميته بالنسبة للعالم الإسلامي .

تقع حرارة مياه البحر المتوسط بين ٢٠ درجة مئوية في الغرب و٣٢ درجة مئوية في الشرق صيفاً ، وبين ١٢ و ١٨ درجة مئوية شتاءً ، وتتفق الملوحة مع درجات الحرارة فتكون ٣٦ بالألف في الغرب و ٤٠ بالألف في الشرق ، لكنها تقل عن ذلك عند مصاب الأنهار . وتنخفض حرارة البحر الأسود إلى ٢١ - ٢٥ درجة مئوية صيفاً و ٥ - ٩ درجات مئوية شتاءً ، والملوحة العامة إلى ٣٥ بالألف .

تتحرك تيارات المياه في البحر المتوسط من الغرب نحو الشرق بمحاذاة سواحله الجنوبية ثم نحو الشمال على امتداد سواحل بلاد الشام ، ونحو الغرب على طول السواحل الشمالية . وتتفرع عن هذه الحركة العامة دارات عديدة ، كما يخرج منها تيار يدخل البحر الأسود يساير سواحله بحركة تتم بعكس حركة عقارب الساعة .

٣ - الحياة العضوية في بحار العالم الإسلامي :

الحياة العضوية في مياه البحار الإسلامية غنية ومتنوعة تنوع مواقعها ومناخاتها وخصائص مياهها الطبيعية والكيميائية وحركاتها . ففي المحيط الهندي وبحاره أنواع كثيرة جداً من الأسماك والقشريات والمرجانيات وغيرها مما يعيش على ثروة المياه من البلانكتون ، الذي تصل كميته إلى ٧٠٠ ميلليجرام في المتر المكعب في البحر العربي والخليج العربي والمياه غرب الهند . ويعرف نحو ١٠٠ نوع حيواني رئيس في خليج البنغال ، بينما تقفز الأرقام في البحار الإندونيسية إلى أكثر من ٤٠٠٠٠ نوع من الأسماك والقشريات والمرجانيات والشوكيات الجليدية وغيرها ، تضمها عشرات الأسر الرئيسة ، كما تكثر النباتات البحرية ولاسيما في المياه الضحلة وحول الشعاب المرجانية والسواحل المنخفضة .

أما في المحيط الأطلسي فالحياة العضوية على امتداد العالم الإسلامي ، أفقر بصورة عامة بالأسر والأنواع الحيوانية والنباتية ، وينطبق ذلك على مياه البحرين المتوسط والأسود ، الفقيرة بالعناصر العضوية اللازمة لحياة الكائنات الحية البلانكتونية ونموها، الأمر الذي يفسر الشفافية العالية لمياه البحر المتوسط البالغة ٦٠ - ٧٠ متراً.

ثامناً : الترب :

تغطي صخور العالم الإسلامي طبقة من التربة مختلفة السماكة تزداد في مكان وترق في آخر ، وقد تنعدم كلياً في أماكن ، وبصورة خاصة على المنحدرات الشديدة . وبحسب عوامل نشأتها وتشكلها المعروفة وهي الصخر الأم والمناخ والتضاريس والحياة العضوية ، تتنوع ترب العالم الإسلامي وتختلف . ويمكن دراسة ذلك على النحو التالي :

(١) عوامل تكوين ترب العالم الإسلامي :

يؤثر كل عامل من عوامل تكوين التربة بنسب متفاوتة ، بحسب اختلاف

أنواع الصخور والعضويات والنطاقات المناخية والتضاريس إضافة إلى عامل الزمن في أرجاء العالم الإسلامي . وتبقى الغلبة في معظم الحالات للعاملين ، العضوي والمناخي في تكوين النطاقات التربية في العالم الإسلامي . ويظهر ذلك في بروز دور الأثر النطاقي المناخي - النباتي في تعاقب النطاقات التربية في إفريقيا الإسلامية بشكل خاص . حيث تتالى النطاقات التربية على هيئة أشرطة من سواحل البحر المتوسط وحتى خط الاستواء .

يتجلى دور الصخور الأم في تكوين الترب ونشأتها ، بالتنوع الكبير لأنواع الصخور في العالم الإسلامي ، ففيه الصخور الرسوبية والمتحولة والنارية الباطنية والاندفاعية - البركانية ، وفيه الصخور الطرية والقاسية والحديثة والقديمة . . . وغيرها . وجميع هذه الصخور لا تخضع في توزيعها إلى نظام واحد محدد ، على الرغم من ظهور بعض أشكال نطاقية عامة على امتداد محاور الجبال الالتوائية الحديثة. وبالتالي فإن أثر الصخور في تكوين الترب في العالم الإسلامي وتوزيعها يبقى محلياً غير نطاقي في أغلب الحالات .

وتتفق التضاريس وانحدارات سطوحها مع صخورها ، فتشتد الانحدارات في الأنحاء الجبلية والعالية فترق التربة أو تنعدم ، بينما تصبح الأرض ضعيفة الانحدارات في السهول والهضاب المنبسطة وفي الأحواض ، مما يسمح بتشكل التربة .

ويظهر عامل الزمن واضحاً في ترب الأراضي القديمة جداً في العالم الإسلامي ، التي ظلت بتماس مع العوامل الخارجية المناخية والعضوية مئات ملايين السنين ، حيث تنتشر ترب قديمة في الداخل المنبسط على سطح أغلب الأراضي الأولية والثنائية العمر . كذلك يظهر دور عامل الزمن في الترب الحديثة المرافقة للبراكين الناشطة الرباعية العمر ، كما في الشرق الإسلامي .

ومع هذا يبقى دور العامل المزدوج - المناخ والعضويات - مؤثراً أسياسياً في ترب العالم الإسلامي ، بحيث يعكس توزيعها النطاقي لمجموعات الترب من نطاق السوداء في العروض المعتدلة - الباردة في الشمال حتى نطاق الترب المدارية في

الجنوب . هذا وتجدر الإشارة إلى وجود مجموعـات من أشباه الترب تسود مساحات واسعـة من العالم الإسلامي مـثل الصحاري الـرملية والحجـرية والحصوية والسـباخ والشطوط وحيث القشرات الصحراوية والملحية .

(٢) أنواع الترب وتوزيعاتها الجغرافية :

تقسم ترب العالم الإسـلامي إلى زمر الترب النطاقية ، والتـرب اللانطاقية، وبين النطاقية (البينية) ثم زمرة الترب الجبلية وذلك على النحو التالي:

أولاً : الترب النطاقية وتوزيعها :

وهي مجموعة الترب المتأثرة بالعامل المناخي - العضوي أكثر من أية مجموعة تربية أخـرى ، وتتفق في توزيعـها مع توزيع النطاقات المنـاخية في العـالم الإسلامي وهي :

أ - نطاقات ترب العروض العليا :

وتنتشر أنواع ترب هذا النطاق في الأنحاء الشمالية من العالم الإسلامي ابتداء من أراضي كاراخستان الشمالية ، ويشتمل على :

* التربة السوداء المعروفة بـ (التشرنوزم) ، وهي تربة السهوب والأعشاب الطويلة في العروض شبه الرطبة القارية ، وهي غنية بالدبّال ، وتزدهـر فيها الحياة العضوية الحيوانية ، وتعد من أكثر الترب خصباً . ما يوجد منها في العالم الإسلامي هو أنواع ثانوية تمتد على هيئة أشرطة في أراضي كاراخستان ، حيث تساير حدودها الشمالية حتى سهوب كـولوندا بين المجاري العليا لنهري إيرتيش والأوب ، كما توجد في منبسطات القفقاس الشمالي .

* التربية الكستنائيـة ، وهي تربة السهوب والأعشاب القصيـرة في المناخ القاري شبه الجاف ، وتظهر في نطاق يلي نطاق الترب السوداء باتجاه الجنوب ، نسبة الدبال فيها أقل وتراوح بين ٢,٥ - ٤,٥٪ ، كما أن خصوبتهـا متدنية . وتنتشر في

سهـوب كازاخسـتان والقفـقاس الشـمالي الشرقي ، وتصل جـنوباً حتى دائرة العـرض ٤٧ درجة شـمـالاً ، وتخـرج من هذا النطاق ألسنة تصل حـتى دائرة العرض ٤٥ درجـة شمالاً وجـزر منعزلة توجد على عـروض ٣٨ - ٤٠ درجة شمالاً في الداخل الأناضولي .

* تربة السهـوب الصحرواية البنية ، وتنتشـر على نطاق عرضـه نحو ٢٥٠ كم يقع جنوب النطاق السابق ويمتد من شمال بحر قزوين في الغرب حتى بحيرة بلخاش وجبال تربغتـاي في الشرق، وكذلك على طول شريط ضيق يسـاير أقدام الجبال المشرفة على حوض جونغارية من الجنوب، كما تظهر في حوض تسايدام، وهذه التربة منخفضة الخصوبة نسبة الدِّبال فيها ٢٪ تنمو فيها أعشاب جفافية (متكيفة مع الجفاف).

* تربة الصحاري الرمادية - البنية ، وهي تربة فقيرة نسبة دبالها ١٪ وأقل ، أملاحها مرتفـعة النسبـة ، تنتشر عـلى نطاق يقع جنوب النطاق السابق بين بحـر الخزر وبحر آرال ، وعلى مسـاحات تقع بين شرقي كازاخستـان وشرقي حوض تاريم وشمالي جونغارية . كما تظهر في أحواض دشت كفير ودشت لوط وسيستان .

ب - نطاقات ترب العروض المتوسطة (فوق المدارية) :

وتشتمل على نطاقات الترب التالية :

* تربة السهـوب الصحراوية الرمـادية (السيروزوم) وتعـرف بالتربة الرمادية لأشـباه الصحـاري والصحـاري الهامشـية أيضـا وهي نطاق السهوب الجـافة وسـهوب الشجيرات ، نسبة الدبال فيها ١ - ٢٪ ، غنية بالكلس وفقيرة بالأملاح ، ومع ذلك تتحـول إلى تربة ملحيـة في المنخفـضات المغلقـة ، تنتشر علـى الهوامش الغربيـة لجبال آسيا الوسطـي ، وهوامش جبال أفغـانستان والباكسـتان ومكران وحول حـوض كفيـروسيستـان وغربي جبـال زاغروس وشمـالي بلاد الشام ،

وتتداخل مع أنواع ترب أخرى في الصحراء السورية وشمالي الجزيرة العربية . وتؤلف هذه التربة نطاقاً متصلاً يمتد من غرب دلتا النيل حتى المحيط الأطلسي ، جنوب جبال الأطلس بعرض ٥٠ كم في الشرق و ٣٥٠ كم في الغرب .

* تربة الصحاري الهامشية والصحاري ، وهي تربة صحاري العروض فوق المدارية حتى المدارية الجافة ، لونها رمادي غالباً مائل إلى الصفرة أو الحمرة، دبالها أقل من ١٪ تنتشر على مساحات شاسعة من وسط وغربي العالم الإسلامي في شبه الجزيرة العربية والقرن الإفريقي والدناكل وعفار والصحراء الكبرى حتى دوائر العرض ١٥ - ١٨ درجة شمالاً ، ويعد هذا النطاق مع نطاق الصحاري الرملية، أوسع نطاقات الأراضي الإسلامية ، وتصل مساحتها إلى نحو ١٣ مليون كيلو متر مربع أي قرابة ٣٥٪ من مساحة العالم الإسلامي، وهي جرداء غير صالحة للزراعة والإنتاج إلا في الواحات وأودية الأنهار العابرة.

* تربة البحر المتوسط البنية والحمراء (تيراروزا) ، وتظهر هاتان التربتان متداخلتين في بقاع حوض البحر المتوسط في إقليم الأطلس وفي برقة وغربي بلاد الشام وشماليها وفي طوروس وغربي آسيا الصغري وفي قبرص ، وفي هضبة بوتوار وشمالها في أعالي وادي السند . والتربة المتوسطية البنية أوسع انتشاراً وتنشأ على قاعدة صخور سيليكاتية غنية بالأحجار وفقيرة بالدّبال ، أما التربة الحمراء فيكثر ظهورها في بقاع الأحراج والشجيرات المتوسطية على أرضية من الصخور الكلسية والغنية بالحديد ، وترافق تربة التيراروزا - أحد أنواع التربة الحمراء - بقاع انتشار التضاريس الكارستية .

جـ- نطاقات الترب المدارية :

وتضم في العالم الإسلامي الترب التالية :

* الترب البنية والبنية الحمراء ، وهي ترب السافنا الشوكية ، الفقيرة بالدّبال، تهطل

عليها أمطار صيفية تُنشط العمليات الكيميائية فيها . تنتشر في شريط يمتد من السنغال حتى حوض النيل في السودان بعرض يراوح بين ٢٥٠ - ٣٥٠ كم ، كما تظهر في هضاب القرن الإفريقي وفي بقاع متفرقة من تنزانيا ، وفي عُمان الشرقية والساحل الإيراني على خليج عمان .

* الترب البنية الحمراء والحمراء ، وتؤلف نطاقاً يقع جنوب النطاق السابق بين السنغال وحوض النيل أيضاً . كما تظهر في شرقي هضبة البحيرات من الصومال وكينيا وتنزانيا وفي شمالي الهند ووسط بورما . وهي مرتبطة بالأنحاء الرطبة من نطاق السافنا الجافة ، وبنطاق الغابات الجافة المدارية ، دبّالها منخفض .

* الترب اللاتيراتية . وهي ترب حمراء تميز نطاقات الغابات المدارية المطيرة الساڤنا الرطبة والغابات الموسمية في العالم الإسلامي وخارجه ، وهي فقيرة بالدّبال وتعاني من عمليات التجوية والغسل . وغنية بالحديد وأوكسيد الألمنيوم . وتنتشر في نطاقات الغابات السافنا على شريط يمتد من غربي إفريقيا حتي هضاب شرقي إفريقيا ، كما تظهر في تنزانيا وموزمبيق متداخلة مع ترب أخرى ، وكذلك في جزيرة مدغشقر . وتنتشر في جنوبي الهند وشمالها الشرقي وشمال وشرقي خليج البنغال وفي أغلب أنحاء شبه جزيرة ملقة وفي جزر إندونيسيا ، ولاسيما في بورنيو وسومطرة وغيرها .

ثانياً : الترب اللانطاقية والبينية في العالم الإسلامي :

وتظهر الترب اللانطاقية في جميع النطاقات المناخية ، وهي ترب غير متطورة، أما الترب البينية فهي الترب المتأثرة بعوامل غير مناخية بالدرجة الأولى، مع ظهور عامل المناخ في ارتباط توزيعها المبعثر بنطاقات مناخية معينة . أما المساحات التي تغطيها هذه المجموعة من الترب في العالم الإسلامي فمحدودة وصغيرة ومتفرقة ، **وأهمها هي :**

أ - الترب المبللة ،

وهي التي ترتفع فيها نسبة المياه الجوفية أو المحجوزة فيها ، في أودية الأنهار والأحواض والأراضي ذات الصرف المائي السيء أو المعدوم ، منها :

* التربة المبللة الغنية بالمعادن ، وهي تربة لحقية (رسوبية) تتألف من الطمي الحديث في السهول النهرية الفيضية ، ومن أنواعها التربة النزازة (الجلي Gley) التي ترتفع فيها المياه المبللة لها حتى السطح . وتوجد هذه الترب المبللة في أودية أنهار السنغال والنيجر وروافده والنيل والشاري والفرات ودجلة والسندو الجانج - براهما بوترا وبقية الأنهار المهمة في آسيا الوسطي والقفقاس والأناضول .

* تربة المستنقعات - القرمية ، وتتألف من الوحول والغرين والرمال الناعمة على شكل مستنقعات عند مصاب الأنهار في العروض المدارية ، ترافقها أحراج شجيرات القرم (المانجروف) أو نباتات مستنقعية أخرى . على سواحل غربي إفريقيا وخليج غينيا وفي دالات السند والجانج - براهما بوترا وأنهار غربي الهند وحول خليج البنغال وإندونيسيا .

ب - الترب القلوية والملحية ،

وهي ترب المناطق شبه الجافة والجافة ، تتوضع في المنخفضات والأحواض العديمة التصريف المائي حيث المياه الجوفية قريبة من السطح ، ومن أصنافها في العالم الإسلامي :

* ترب السولونتس ، وهي قلوية تظهر متفرقة في أنحاء كازاخستان وشمالي القفقاس وهوامش الجبال المحيطة بجونغارية وتسايدام. وهي من أقل الترب خصوبة .

* تربة السولونتشاك ، وهي تربة ذات تركيز ملحي شديد ، يتشكل على سطحها قشرة ملحية في السباخ تنتشر في الأحواض المغلقة في صحاري العالم الإسلامي وأشباه صحاريه ، في تسايدام وبيت باك دالا وفي طوران وثار ولوط وكفير

وغربي شبه الجزيرة العربية والصحراء السورية وشمالي مصر وفي الدناكل وأحواض الصحراء الكبرى وشطوط المغرب .

* تربة الخبراوات (التاكبر) ، وتتألف من مواد ناعمة حملتها المياه الجارية (السيول) ووضعتها في المنخفضات الصحراوية وشبه الصحراوية المغلقة ، تتكون عليها قشرة دقيقة تتشقق بالتجفف . تنتشر تربة الخبراوات في منخفضات هوامش تاريم وجونغاريـــة وفي كازاخستان الشمالية . وهوامش جبال كوبت - داغ وخراسان وفي سيستان وجنوبي السند وفي بادية الشام وأنحاء متفرقة من صحاري وأشباه صحاري دارة الإسلام .

جـ - الترب المتأثرة بالصخور والتضاريس :

وهي عبارة عن ترب حديثة وترسبات شبيهة بالترب وتضم :

* تربة الريندوزينا التي تتكون على صخور كلسية - مارلية ، نسبة الدبال والأحجار فيها عالية . تنتشر في جبال طوروس وجبال البحر الأسود في تركيا ، وفي بقاع صغيرة من حوض البحر المتوسط .

* تربة الاندوزول ، وهي تربة شابة تتكون على صخور بركانية وغنية بالغضار . يكثر وجودها في جبال سومطرة وجاوة وجزر إندونيسيا أخرى ، وفي بقاع في شرقي إفريقيا وفي جزر القمر .

* تربة الفرتيزول . أو التربة الداكنة الثقيلة ، ولها أنواع ثانوية مثل الكروموزول والريغوزول ، وتوجد في سهول ومنبسطات وأحواض غربي المغرب وجنوبيه وأنحاء من حوض نهري النيجر والسنغال ، وفي حوض تشاد وأرجاء واسعة من السودان وأعالي النيل وشرق فيكتوريا وجنوبها ، وفي هضبة أثيوبيا . وفي أرجاء الهند الوسطى والشمالية الغربية وجنوبي الباكستان وغيرها .

د - الكثبان وحقول الرمال المتنقلة :

ولا تعد من الترب . بل تراكمات رملية تحركها الرياح ، وتغطي مساحات كبيرة جداً من صحاري العالم الإسلامي في تكلاماكان وطروان وثار وأفغانستان وإيران وشبه الجزيرة العربية والصحراء الكبري .

ثالثاً : ترب الجبال :

تشتمل هذه الترب على أصناف متفرعة من أنواع الترب المتقدم ذكرها . كما يظهر عليها تعاقب نطاقاتها بالاتجاه العمودي بحيث يحل التسلسل النطاقي بالارتفاع محل التعاقب الأفقي في السهول والمنبسطات تبعاً للعروض الجغرافية والنطاقات المناخية - النباتية . لكن ترب الجبال تفترق عن الترب المذكورة أعلاه في عدد من الأمور والخصائص هي : قلة سماكة التربة ، وغناها بالأحجار والشظايا الحجرية ، وعدم ثباتها ، وحركتها حركة تتناسب ودرجة انحدار السفوح ، وتوازن محتواها من الماء والهواء توازناً جزئياً ، وانخفاض خصوبتها، وتعرضها للحت والتعرية ولاسيما إذا كانت عارية من النباتات المثبتة لذراتها.

وأخيراً فإن مجموعات الترب وأصنافها وأنواعها وتوزيعاتها المذكورة فيما تقدم ، هي المجموعات والأنواع الرئيسة والعامة ، التي أمكن الإحاطة بها في إطار دراسة موسوعية محددة شاملة لمساحة شاسعة جداً . لذا وللاستزادة في هذا المجال وفي تفصيلات مجموعات الترب الثانوية يرجى الرجوع إلى البحوث الجغرافية الطبيعية الخاصة بكل بلد إسلامي على حدة .

المنـاخ

منح الخالق عز وجل العالم الإسلامي موقعاً جغرافياً فريداً ، وسعة في المكان كبيرة وامتداداً على عروض جغرافية كـبيرة وإطلالاً على كتل مائية ضخمة، مما جعله يتمـتع بأكثـر من نموذج مناخي ، يختلف باخـتلاف العوامل المؤثرة في مـناخ العالم الإسلامي .

- العوامل المؤثرة في مناخ العالم الإسلامي :

(أ) الموقع الجغرافي والأبعاد :

يأتي موقع العـالم الإسلامي واتسـاعه في مقـدمة العوامل المـؤثرة في مناخه ونماذجه . إذ تقدم الحديث عن موقعه الجـغرافي على عروض جغرافية تزيد على ٦٨ درجة عـرض ، مما جعلـه يمتد على نطاقـات مناخيـة عديدة تبـدأ من النطاق المناخي المعتدل والمعتدل البارد وتنتهي بالنطاق المداري - الاستوائي . كذلك فإن مساحة العالم الإسلامي الكبير تؤدي إلى اختلافات في شروط وصول الأشعة الشمسية إلى يابسته ، وما يتبع ذلك من حرارة وضغط جوي وحركات هواء .

(ب) الكتل المائية البحرية :

يتأثر مناخ العالم الإسلامي بالعـلاقة التبادلية القائمة بين أكـبر كتلة قارية يقع العالم الإسلايم في وسطها ، تضم آسـيا وإفريقيا وأوروبا ، ومساحـتها ٣ر٨٥ مليون كيلو مـتر مربع ، من جهـة وأكبر كـتلة مائية بحرية تـشمل مياه المحـيطات الثلاثة ، الهادي والهندي والأطلسي ومساحاتها معاً بحدود ٢٢٦,٣ مليون كيلو متر مربع . إذ يختلف مدى توغل المؤثرات البـحرية والمحيطية في اليابسة بحسب مـحاور التضاريس وحركات الهواء والرياح ، وكذلك بحـسب القرب والبعد عن السواحل وأثر ذلك في ازدياد قـيم قـرينة القاريـة أو تراجعـها . وفي ضـوء توزيع الماء واليـابسة في العـالم الإسلامي تتـوزع الحرارة وبقية العناصـر المناخية . كمـا تقوم التيارات البـحرية بدور واضح في إضفاء خصائص معينة على مناخات البقاع الساحلية المتأثرة بها مثل تيارات الكناري وبنغويلا وموزمبيق والصومال .

وللكتل المائية الضخمة دور مهم في نشأة مراكز للعمل الجوي ثابتة المواقع تقريباً ، مثل مراكز الضغط الجوي المرتفع الآزمدي وفي المحيط الهندي ، ومراكز الضغوط الجوية المنخفضة الأيسلندية والهندية - الباكستانية .

(جـ) عامل التضاريس :

يستحيل تفسير الكثير من الأوضاع المناخية في العالم الإسلامي من دون أخذ هذا العامل بالحسبان . فمحاور التضاريس ولاسيما الجبلية قد تقف في وجه توغل مؤثرات معينة إلى القارة (جدار الهيملايا أمام الموسميات الصيفية) ، وقد تتفق محاور التضاريس وخطوط سير الهواء وكتله فتصل المؤثرات إلى أعماق اليابسة (البحر المتوسط وجبال الأطلس والمنخفضات الجوية) .

وللتضاريس تأثير آخر ينشأ عن ارتفاعها فوق مستوى سطح البحر . فتقوم بتبريد الهواء بصعوده الجبال وتسخينه بهبوطه عنها . وفي الجبال الكبيرة والعالية تتعاقب النطاقات المناخية وتتدرج حتى المناخات الباردة والجليدية كما في جبال الهيملايا وجبال آسيا الوسطى وجبال القفقاس وغيرها .

وفي ضوء هذه العوامل والعوامل الأخرى الطبيعية والبشرية يمكن تفسير عناصر المناخ واستعراضها على النحو التالي :

الإشعاع والشمس والحرارة :

العالم الإسلامي ، باستثناء أنحائه الاستوائية في إفريقيا وجنوبيه الشرقي، من أكثر بقاع الكرة الأرضية سطوعاً وخلواً من الغيوم التي تحجب الأشعة الشمسية وتمنع وصولها إلى الأرض . حيث تراوح نسب التغيم فيه بين ٢٠ - ٥٠٪ سنوياً . وتقل عن ٢٠٪ في الصحاري المدارية ، لكنها تزيد على ٦٠٪ في أغلب البقاع الاستوائية (إندونيسيا وخليج غينيا) . وفي ضوء ذلك لا يقل متوسط عدد ساعات سطوع الشمس عن ٣٠٠٠ ساعة سنوياً . ويرقى لأكثر من ٣٦٠٠ ساعة في الصحاري المدارية وفوق المدارية . فالعالم الإسلامي من أشد بقاع العالم تسخيناً ، تؤكده معطيات المسح المناخي الأرضي والفضائي.

إن النتيجة الطبيعية لهذا الوضع الإشعاعي ، هي سيادة درجات حرارة مرتفعة نسبياً حتى عالية في أغلب الأنحاء ، تختلف بحسب اختلاف الموقع والارتفاع فوق سطح البحر والقرب والبعد عن البحر ، وتوزع البر والبحر ، وبحسب الفصول وتعاقبها . كذلك توجد في العالم الإسلامي أعلى درجات حرارة سنوية يصل متوسطها إلى ٣٥ درجة مئوية في منخفض الدناكل ، وأقصى درجة حرارة مطلقة في العالم وقدرها ٥٧,٨ درجة مئوية ، سجلها موقع العزيزية في ليبيا في ١٣ سبتمبر سنة ١٩٢٢م .

(أ) الحرارة في الصيف :

تتزحزح النطاقات الحرارية في العالم الإسلامي في فصل الصيف نحو الشمال فينتقل خط الاستواء الحراري إلى النصف الشمالي للكرة الأرضية ، كما تسقط الأشعة الشمسية عمودية على مدار السرطان الذي يكاد ينصف يابسة العالم الإسلامي في ٢١ يونيو . لذلك تتسخن أرضه وجوه فتصل متوسطات الحرارة الفعلية في أنحائه الصحراوية علي جانبي مدار السرطان وفي بلاد الرافدين وشمالي الخليج العربي وحوض السند إلى أكثر من ٣٨ درجة مئوية . كذلك تغطي المتوسطات السنوية للحرارة الفعلية بين ٢٥ - ٣٥ درجة مئوية مساحات واسعة من العالم الإسلامي ، ولا تقل عن ٢٥ درجة مئوية إلا في المناطق الجبلية والهضابية العالية ، حيث تنخفض إلى ١٠ - ١٥ درجة مئوية في أغلب الجبال ، بل وإلى أقل من (-٥) درجات مئوية في الجبال الشاهقة الارتفاع في جبال الهيملايا وتيان شان وكون لون ، وفي المرتفعات الواقعة بين ٥٠٠٠ - ٦٠٠٠ متر . أما في الأحواض العالية فهي بحدود ٢٥ - ٣٠ درجة مئوية ، وأكثر من ذلك (٢٥ - ٣٥) درجة مئوية في الأحواض المنخفضة . وتعمل الأمطار الغزيرة والرطوبة العالية في الأنحاء الاستوائية الجبلية على خفض الحرارة الفعلية حتى متوسطات تراوح بين ١٥ - ٢٠ درجة مئوية سنوياً .

كذلك فإن درجات حرارة الأنحاء الواقعة إلى الجنوب من النطاق الاستوائي الحراري (وليس الجغرافي) في فصل الصيف هي أدنى من درجات حرارة الأنحاء الواقعة شماله . ويبين الجدول رقم (١) أعلى معدلات درجات الحرارة اليومية في محطات مختارة من العالم الإسلامي .

(ب) الحرارة في الشتاء :

تنخفض الحرارة في أغلب أنحاء العالم الإسلامي مع حلول فصل الشتاء وتحرك النطاقات الحرارية جنوباً ، وانتقال بؤر الحرارة العالية إلى مناطق قريبة من خط الاستواء في أعالي حوض النيل جنوبي السودان وأجزاء من إندونيسيا .

تسود البقاع الواقعة جنوب دائرة العرض ١٥ درجة شمالاً ، درجات حرارة فعلية تقع بين ٢٣ - ٢٥ درجة مئوية ، ولاسيما على الأراضي الممتدة على جانبي خط الاستواء كما في إفريقيا المسلمة وسواحل الهند في ملقة وإندونيسيا . لكن درجات الحرارة هذه تتراجع في أراضي العالم الإسلامي الواقعة في النصف الشمالي للكرة الأرضية لتصبح ١٥ - ٢٣ درجة مئوية فعلية في العروض المدارية حتى مدار السرطان . وتشمل نطاقاً يمتد في إفريقيا الإسلامية وهامشاً حول الجزيرة العربية وهضبة الدكن ، وفي مرتفعات شرقي إفريقيا وإندونيسيا .

ويستمر انخفاض درجات الحرارة الفعلية باتجاه نطاق شمالي يشمل الصحراء الكبرى وصحاري الجزيرة العربية وجنوبي إيران والبنجاب وجنوب جبال الهيملايا ، حيث تراوح بين١٠ - ١٥ درجة مئوية . وتبرز في هذا النطاق بؤر باردة نسبياً يقل متوسط حراراتها عن ٥ - ١٠ درجات مئوية تظهر في وسط الصحراء الكبرى والصحراء السورية وفي شريط يحيط بالهضبة الإيرانية - الأفغانية وأحواضها .

جدول رقم (١) النهايات القصوى والدنيا لدرجات الحرارة اليومية .

أعلى معدلات الحرارة اليومية (يمين) وأدناها (يسار) في محطات مختارة (درجة مئوية)			
داكار ٣٢/ ١٧	تمبكتو ٤٣/ ٣	مراكش ٣٨/ ٤	أنقرة ٣١/ -٤
باماكو ٣٩/ ١٦	نيامي ٤٢/ ١٤	تونس ٣٣/ ٦	مايكوب ٣٦/ -٢٥
كوناكري ٣٢/ ٢٢	نجامينا ٤٢/ ١٤	طرابلس ٣٠/ ٨	باكو ٣٨/ ١
لاغوس ٣٢/ ٢٣	الخرطوم ٤٢/ ١٥	الإسكندرية٣١/ ١١	طهران ٣٧/ -٣
دار السلام٣١/ ١٩	جدة ٤٢/ ١٣	سبها ٣٩/ ٥	كابل ٣٣/ -٨
مقديشو ٣٢/ ٢٣	الرياض ٤٢/ ٢١	القاهرة ٣٦/ ٨	المآتا ٢٧/ -٥
عدن ٣٥/ ٢٣	المنامة ٣٨/ ١٤	أسوان ٤٢/ ٦	كاشغر ٤٠/ -٢٠
بومباي ٣٣/ ١٩	كراتشي ٣٤/ ١٣	القدس ٣١/ ٥	
جاكرتا ٣١/ ٢٣	لاهور ٤١/ ٤	دمشق ٣٧/ ٧	
بالي ٣١/ ٢١	دكا ٣٣/ ١٣	بغداد ٤٣/ ٤	
نواكشوط ٣٤/ ١٣	الدار البيضاء ٢٧/ ٧	اسطنبول ٢٨/ ٢	

يلي ذلك وباتجاه الشمال نطاق حراري فعلي تراوح قيمته بين (٠ - ٥) درجات مئوية في الأناضول وصحاري طوران وفي أفغانستان والقفقاس والسفوح الجنوبية للهيملايا . أما في الشمال الإسلامي فتسود درجات حرارة أقل من الصفر ، وتنخفض إلى (-٢٠) درجة في جبال آسيا الوسطى حيث الشتاء القارس والرياح الباردة جداً والثلوج .

أما درجات حرارة الربيع والخريف فانتقالية الطبيعة ترتفع درجاتها تدريجياً من نهاية الشتاء حتى الربيع وتنخفض تدريجياً من نهاية الصيف حتى الخريف . علماً أن الفصول الانتقالية غير طويلة ، تقصر وتطول بحسب النطاقات المناخية .

وفي ضوء ما تقدم يمكن القول إن درجات الحرارة في العالم الإسلامي هي :

١ - مرتفعة في النطاقات المدارية والاستوائية ، بحيث تبقى المتوسطات السنوية لخطوط الحرارة المتساوية وفي الظل أعلى من ٢٠ درجة مئوية على مدار السنة ، ودون ذلك في المرتفعات .

٢ - حرارة البقاع الشمالية فوق المدارية والمعتدلة - الباردة عالية صيفاً (أعلى من ٢٠ درجة مئوية) ومنخفضة شتاءً (٠ - ١٠ درجات مئوية) .

٣ - تتمتع مرتفعات شرقي إفريقيا وإندونيسيا بدرجات حرارة معتدلة تراوح بين ١٠ - ٢٠ درجة مئوية مسواة وفي الظل على مدار السنة .

٤ - مرتفعات العروض العالية نسبياً في آسيا الوسطى والقفقاس ، ذات صيف معتدل (١٠ - ٢٠ درجة مئوية) وشتاء بارد (دون الصفر المئوي) .

٥ - الجبال والهضاب العالية جداً في آسيا الوسطى . ذات صيف بارد (دون الصفر المئوي) وشتاء بارد جداً .

٦ - هضاب وصحاري آسيا الوسطى وإيران وأحواضهما ذات صيف حار وشتاء بارد (دون الصفر المئوي) .

٧ - الصيف في باقي الأراضي الإسلامية حار (أعلى من ٢٠ درجة مئوية) ، والشتاء معتدل (١٠ - ٢٠ درجة مئوية) .

٨ - تكون الفروق الحرارية الفصلية واليومية قليلة في النطاق المناخي الاستوائي - المداري ، تزداد باتجاه العروض العالية وباتجاه اليابسة القارية لتصل إلى قيم عالية في صحاري إفريقيا وآسيا الوسطى ، تظهرها أرقام محطات حوض تاريم (جدول رقم ٢) .

جدول رقم (٢) الحرارة القصوى والدنيا في حوض تاريم (بالدرجات المئوية)

الموقع	الحرارة القصوى المطلقة	الحرارة الدنيا المطلقة	المدى الحراري السنوي
خوتان	٤٢,٥	٢٠,٥	٦٣
تشرتشن	٤١,٣	٢٥,٢	٦٦,٨
كوتشا	٤١,٥	٢٧,٤	٦٨,٩

الضغط الجوي والرياح في العالم الإسلامي :

تسود العالم الإسلامي ضغوط جوية تعكس الأوضاع الحرارية والتضاريسية فيه من حيث قيم الضغط وتوزع مراكزه وبؤر نشاطه بحسب الفصول والعروض الجغرافية ، والحركة العامة للهواء على الكرة الأرضية ، وتأثير القوانين الطبيعية وسواها من عوامل أخرى ، وذلك على النحو التالي :

أ - الضغوط الجوية ومراكز النشاط الجوي :

تخضع الضغوط الجوية في العالم الإسلامي لمؤثرات محلية مثل الاتساع الشاسع لأرجاء العالم الإسلامي ، ولموقعه الجغرافي ولتضاريسه وتوزعها ، وتوزع الماء واليابسة ، ولمؤثرات خارجية ترتبط بالأوضاع الجوية للكرة الأرضية في العروض والنطاقات المناخية المغطية لأرض العالم الإسلامي ومياهه (محيطاته وبحاره) . كما تخضع في تبايناتها لاختلاف الفصول وتعاقبها .

١ - الضغط الجوي في فصل الصيف :

إن النتيجة الطبيعية لغلبة اليابسة على العالم الإسلامي ، ولارتفاع درجات الحرارة فيه في فصل الصيف ، هي ميل الضغوط الجوية نحو الانخفاض لأقل من ٧٦٠ ملم (١٠١٣ ميلليبار) بصورة عامة ، مع نشوء بؤرة ضغط جوي منخفض أكثر في جنوب العالم الإسلامي هو المنخفض الجوي الهندي - العربي الذي تنخفض فيه

الضغـوط إلى أقل من ٧٥٢ ملم (١٠٠٣ ميـلليبار) . وبالمـقابل تسود في المحـيطات والكتل البحـرية بالعالم الإسـلامي من الجهات الأربع بـؤر أو مراكز للضـغط الجوي المرتفع ، هي المـرتفع الجـوي الآزوري في المحـيط الأطلسي الشـمـالي ، ومـرتفع الأطلسي الجنوبي ، ثم المرتفع الاسترالي - الهندي ، فـمرتفع المحيط الهادي الجنوبي والشمـالي . وبذا يكون العالم الإسلامي مـسرحاً لضغـوط جوية منخفضـة تحيط به مناطق ضغوط جوية مـنخفضة في الصيف ، فيتـرتب على ذلك تحرك الهواء والرياح باتجاه العالم الإسـلامي ، فتدخله الكتل الهـوائية البحرية - المحيطيـة المدارية والقارية المدارية الدافئة من الجنوب ، والكتل الهوائية المعـتدلة حتى الباردة ، وأغلبها من أصل قاري إلا في الغرب الإسلامي، قادمة من الشمال . وفي الصيف تكون الجبهة القطبية الهوائية الشمالية تراجعت شمالاً حتى شمالي آسيا الوسطى ، ويكون نطاق التلاقي أو الفـاصل المداري لحق بهـا شمـالاً حـتى جنوب الصـحـراء الكبرى وجـنوب جبـال الهيملايا.

وتبعاً لهذه الانزياحات تتأثر حركـة الهواء والرياح الدائمة والموسمية والمحلية فتغيـر اتجاهاتها بحسب موقعـها في النصف الشمالي أو الجنوبي ، وخضوع حـركتها لقانون انحراف الأجسام المتحركة .

٢ - الضغط الجوي في فصل الشتاء :

يتميز فـصل الشتاء بتزحزح الجبهـة والنطاق السابقين عن مواقعهما الصـيفية وتحركهمـا جنوباً ، فتصل الجبهة القطبـية الشمالية إلى حوض البـحر المتوسط وإيران والهيملايا ، كما يتـجاوز نطاق التلاقي أو الفاصل المداري خط الاستواء إلى النصف الجنوبي من الكرة الأرضية ليسود على شرقي إفريقيا وأغلب أنحاء أندونيسيا .

يقع العالم الإسـلامي في الشتاء تحت تأثير ضـغوط جوية مرتفعـة تمتد على أغلب يابسة آسـيا حيث يسـتقر مركـز الضغط المرتفع السيـبيري في مناطـق منغـوليا وبيكال حتى كازاخستان الشمـالية ويراوح فيـها الضـغط بين ٧٧٦ (١٠٣٤ ميلليبار)

و ٧٦٨ ملم (١٠٢٣ ميلليبار). كذلك تتشكل بؤر ضغوط مرتفعة أصغر في شبه الجزيرة العربية وفوق الصحراء الكبرى امتداداً للضغط المرتفع الآزوري الذي يصل ضغطه إلى ٧٦٦ ملم. كما تظهر مواطن للضغط المرتفع في العروض فوق المدارية في النصف الجنوبي للكرة الأرضية خارج نطاق العالم الإسلامي، لكن تأثيراتها تتوغل في أنحائه الجنوبية، ولاسيما في مجال حركات الرياح التجارية الجنوبية الشرقية ومحاور سيرها. لكن في المقابل يتشكل مركز للضغوط الجوية المنخفضة في الجنوب الإفريقي تصل تأثيراته إلى جنوبي السودان، كما يتحول مجال الضغط المرتفع الأسترالي في الصيف إلى منطقة ضغط منخفض تمتد علي جنوب شرق العالم الإسلامي. ويبقى المحيط الهندي الأوسط والشمالي حتى مدار الجدي تحت تأثير ضغوط منخفضة في الشتاء.

ب - الرياح في العالم الإسلامي:

تهب على العالم الإسلامي رياح دائمة وموسمية ومحلية وعواصف وأعاصير، سببها اختلاف قيم الضغوط الجوية وتوزيعها على نصفي الكرة الأرضية وعلى اليابسة والبحر وغيرها من عوامل تتحكم بعنصر الرياح. وأهم الرياح وأكثرها دواماً هي:

١ - الرياح التجارية:

وتهب من الشمال الشرقي نحو الجنوب الغربي، ومن الجنوب الشرقي نحو الشمال الغربي علي جانبي النطاق الاستوائي. لكنها نتيجة لتزحزح نطاق الحرارة والضغط الجوي شمالاً في الصيف وجنوباً في الشتاء تجتار هذه الرياح خط الاستواء فتنحرف عن مساراتها الأرضية بزاوية ٩٠ درجة مئوية أو قريبة منها. فتهب الرياح التجارية الجنوبية الشرقية في المحيط الهندي وإندونيسيا وخليج غينيا رياحاً جنوبية غربية في الصيف، وتتحد مع الرياح الموسمية على سواحل البنغال والهند وخليج غينيا. وتلتقي الرياح التجارية الصيفية مع التجارية الشمالية الشرقية فتحرفها عن مساراتها الأصلية في آسيا الوسطى وشبه الجزيرة العربية.

أما في الشتاء فتجتاز الرياح التجارية الشمالية الشرقية خط الاستواء وتنحرف عن مسارها الأصلي أيضاً . لكنها ولهبوبها من القارة تكون جافة خلافاً للرياح التجارية الجنوبية الغنية بالرطوبة التي تحمل للقارة الأمطار .

ومن الرياح الدائمة أيضاً ، الرياح الشتوية الغربية التي تهب على حوض البحر المتوسط وتخف شدتها في الصيف ، وكذلك الرياح الغربية الاستوائية العالية .

٢ - الرياح الموسمية :

ويخضع تشكلها لفروق تسخن اليابسة والماء بين المحيط الهندي ويابسة القارة الآسيوية . ففي الصيف ينخفض الضغط على يابسة العالم الإسلامي في آسيا فتتحرك الرياح من المحيط نحو الشمال الشرقي حتى سفوح جبال الهيملايا حاملة الرطوبة والدفء والأمطار . أما في الشتاء فتتحرك بالاتجاه المعاكس لارتفاع الضغط على اليابسة ، وتكون جافة ، إلا إذا مرت على كتلة مائية تزودها ببعض الرطوبة .

وللرياح الموسمية أهمية بالغة في العالم الإسلامي لارتباط المواسم الزراعية بها ولدورها في الملاحة البحرية الإسلامية ونشر الدين الإسلامي في حوض المحيط الهندي وجنوب آسيا .

٣ - الرياح المحلية :

وهي رياح كثيرة الاتجاهات والخصائص تهب في أنحاء عديدة من العالم الإسلامي في شتى الفصول ، من أبرزها رياح البوهوروك والكومبانغ والسومطريات والبارات في إندونيسيا . وتهب البورهوروك والكومبانغ بآلية شبيهة بآلية رياح الفوهن الهابطة من الجبال بينما تتأثر رياح البارات بنظام شبيه بنظام الموسميات ، وتهب السومطريات من ناحية الغرب بسرعة ٨٠ كم/ساعة على إندونيسيا الغربية .

وتهب رياح حارة وجافة ومغبرة على الباكستان والهند تعرف برياح اللو، وعلى إيران وأفغانستان وتسمى بسيستان والسّمون. وهي رياح صيفية وشديدة السرعة

حتى عاصفية. وتهب رياح البوران والقره بوران الجافة الباردة، أو الحارة على مساحات واسعة من الشمال الإسلامي في آسيا ولاسيما في آسيا الوسطى. كما تهب رياح الأفغاني نحو حوض طوران وهي جافة وحارة شبيهة برياح الفوهن. وتهب على كازاخستان رياح السوخوفي الحارة الصيفية مما يرفع درجات الحرارة إلى ٤٠ درجة مئوية ويخفض الرطوبة النسبية إلى ٢ ٪ .

أما في بلاد الشام وشبه الجزيرة العربية فتهب رياح محلية مثل السموم الحارة والجافة في الربيع والخريف ورياح الشمال التي تهب على الخليج العربي وهي باردة وجافة وأحياناً رطبة ، ورياح الجنوب والكوس الحارة الرطبة المرهقة صيفاً والدافئة شتاءً .

وتتصف الرياح المحلية الهابة من الصحراء الكبرى باتجاه البحر المتوسط بكونها جافة وحارة ومغبرة منها رياح الليفيش والسيروكو والقبلي والشيلي (الشهبلي) ، والخماسين ،. وتهب في حوض البحر المتوسط الرياح الغربية شبه الدائمة والرياح الإيتيزية التي تهب على غربي تركيا قادمة من بحر إيجة .

ومن رياح إفريقيا الإسلامية رياح الهرمتان وهي رياح صحراوية المصدر وشديدة السرعة حارة وجافة تهب من الصحراء الكبرى من الشمال الشرقي نحو الجنوب الغربي على مناطق غربي إفريقيا وتصل إلى سواحل خليج غينيا . وتتفق في حركتها مع حركة الرياح التجارية في الخريف والشتاء ، ولاسيما في شهر أكتوبر ويمتد أثرها على السنغال . وهذه الرياح وإن كانت جافة وتؤثر في هطول الأمطار سلبياً فإنها تؤدي إلى تلطيف أجواء السواحل الاستوائية على خليج غينيا ، مما يدعو إلى تسميتها برياح الطبيب . علماً أن هذه التسمية المعروفة على سواحل غينيا ، قد تطلق على نسيم البحر وهبات الرياح التجارية الملطفة للجو الرطب الخانق في النطاق الاستوائي .

إن الرياح المحلية في العالم الإسلامي كثيرة وإن لم تحمل أسماء خاصة بها ، أسبابها ومظاهرها متشابهة يحركها فرق الضغط الجوي ، منها ما يهب على سواحل البحار والمحيطات والبحيرات على شكل نسيم البر والبحر ، ومنها ما ينحصر بالتضاريس الجبلية ذات الأودية حيث تنشط حركة نسيم الجبل والوادي ، ولاسيما حيث الأودية العميقة والكبيرة . أما الرياح من النموذج الصاعد لسفوح الجبال والهابطة منها على السفوح المقابلة بحسب مبدأ رياح الفوهن ، فمعروفة في أنحاء العالمي الإسلامي حيث تجاور الجبال السهول أو الهضاب الممتدة عند أقدامها .

وعلى العموم فإن سرعة الرياح وشدتها في أنحاء العالم الإسلامي متباينة ، إذ تزداد سرعتها في البقاع السهلية والهضابية والأراضي المنبسطة حيث تنعدم العوائق التضاريسية والنباتية والصنعية (مدن ، منشآت اقتصادية وبشرية . . . الخ) مما يفسر شدتها في صحاري العالم الإسلامي دون استثناء ، ويفسر نشوء الكثير من الأشكال الصحراوية الريحية المنشأ . وللسهول الساحلية التأثير ذاته في زيادة شدة الرياح وسرعتها ولاسيما القادمة من البحر .

٤ - الأعاصير والعواصف :

تبلغ السرعة والشدة والطاقة الريحية حدودها القصوى في العالم الإسلامي في ظاهرة الأعاصير والعواصف المدارية ، التي تزيد السرعة فيها على ٣٣,٧ متراً في الثانية (أي ما يعادل الدرجة ١٢ في مقياس بوفورت للرياح) ، وتتولد هذه الأعاصير في المناطق الحارة من المحيطات والبحار بين المدارين في نطاقات قريبة من خط الاستواء دون أن تصله (على بعد ٥ درجات شمال وجنوب الاستواء) . وتتكوّن نتيجة انخفاض كبير وسريع للضغط الجوي مما يولّد سرعة غير عادية للهواء حول الإعصار ومركزه تبلغ أحياناً ٤٠٠ كم في الساعة. وقد تترافق الأعاصير الشديدة بظهور دوّامات على هيئة أقماع متدلية من أسفل الغيوم تقترب من سطح الأرض أو البحر أو تتصل به . وتعرف الأعاصير المدارية في العالم الإسلامي بالتايفون ، وفي

بحر العرب بالأعاصير . أما في المحيط الأطلسي فهي الهريكين . وتهب الأعاصير المدارية سنوياً ويبلغ متوسط عددها في بحر الصين وجزر الفيليبين وجنوبي اليابان ٢٥ إعصاراً سنوياً ، تتشكل خلال الفترة مايو - ديسمبر . وفي المحيط الهندي الشمالي تتشكل سنوياً بين إبريل وديسمبر بمتوسط ١٥ إعصاراً سنوياً يتجه ١٢ إعصاراً منها إلى خليج البنغال وسواحله ، ويتجه اثنان إلى بحر العرب . كذلك تتكون أربعة أعصاير سنوياً في المحيط الهندي الجنوبي الشرقي في أواخر الصيف ومطلع الخريف ، كما تتكون في الجزء الجنوبي الغربي من المحيط الهندي أربعة أعاصير سنوياً بين نوفمبر - إبريل (شكل رقم ٦) .

وقد سجلت سرعات وصلت إلى ٩٠ متراً في الثانية في بعض الأعاصير، وأمطار غزيرة قد تصل إلى ١٠٠ ملم في يوم واحد أو يومين ، فتسبب فيضانات ورياحاً عاصفة تصل سرعتها إلى أكثر من ٢٥٠ كم في الساعة وأمطاراً غزيرة في زمن قصير يعد بالساعات . وقد تسبب مداً بحرياً وارتفاعاً للأمواج (٥ - ١٠ أمتار) كما تحدث انخفاضاً شديداً للضغط الجوي فيؤدي إلى تطاير أسقف المنازل وتفجر المساكن .

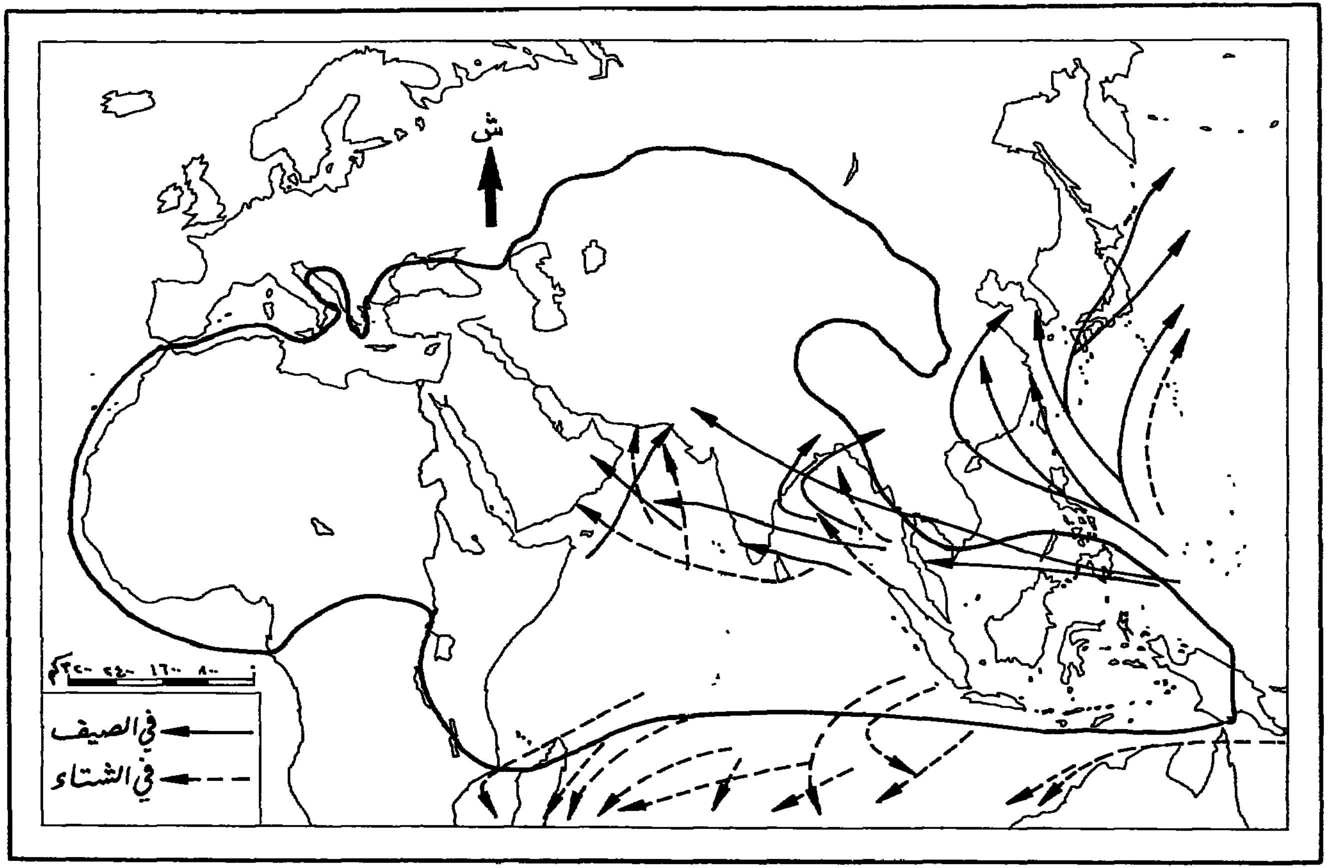
وتتبع الأعاصير المدارية في العالم الإسلامي مسارات واحدة بصورة عامة. فهي تتشكل في نطاق العروض الاستوائية بين ٥ - ١٠ درجات شمالاً ، وتتحرك غرباً مع انحراف متزايد نحو الشمال الغربي كلما تقدمت غرباً مما يجعلها تضرب الجزر الشمالية لإندونيسيا، وجزر الفيليبين ، وشبه جزيرة ماليزيا ومنها تدخل خليج البنغال فتضرب سواحله الشمالية، (ولاسيما بنغلاديش) والغربية (الهند وسيلان) وتتوغل في البر بعيداً حتى يصل بعضها إلى شمال غربي الهند وحتى الباكستان. ومن الأعاصير المتكونة في المحيط الهندي ما يتحرك نحو الشمال الغربي إلى بحر العرب وسواحله. وأغلب أعاصير هذا الجزء من العالم الإسلامي تحدث بين شهري مايو ونوفمبر، وأقلها بين شهري نوفمبر ومايو. وتدوم الأعاصير مدة محدودة تراوح من ٧ - ١٠ أيام وسطياً .

ومن أخطر الأعاصير المدارية إعصار بنغلاديش لعام ١٣٩٠هـ (١٩٧٠م) الذي عبر ملقة وجزر أندمان ووصل بنغلاديش في ١٢ - ١٣ نوفمبر، وضرب اليابسة مترافقاً مع مد بحري ارتفعت فيه مياه البحر (٣ - ٩ أمتار). مما سبب غمر مساحات شاسعة من أراضي بنغلاديش بالمياه ، وأحدث أضراراً مادية جسيمة ووفاة نحو ٣٠٠,٠٠٠ نسمة. وقد قدر عدد ضحايا الأعاصير المدارية في منطقة خليج البنغال والهند بين عامي ١١٥٠- ١٤٠٠هـ (١٧٣٧ - ١٩٧٩م) بنحو ١,١٠٠,٠٠٠ نسمة.

وهناك أعاصير النصف الجنوبي المدارية التي تتعرض لها سواحل شرقي إفريقيا وجزيرة مدغشقر وجزر القمر، ولاسيما سواحل موزمبيق. تحدث بين نوفمبر ومايو .

الرطوبة والتساقط في العالم الإسلامي :

تبين خرائط ومقادير ما يتبخر من السطوح المائية ، وتوزعها على امتداد العالم الإسلامي قيماً متباينة بين الغرب الذي تراوح فيه المتوسطات السنوية بين صفر في الصحاري و ٤٠٠ ملم في البقاع شبه الصحراوية والسهبية ، وبين الشرق الإسلامي حيث تحوم المقادير حول ١٠٠٠ - ١٥٠٠ ملم . إلى جانب منطقة ثالثة تقع فيها قيم التبخر بحدود ٦٠٠ - ٨٠٠ ملم في غربي إفريقيا على امتداد خليج غينيا ، علماً أن المساحات المائية المحيطة بالعالم الإسلامي وفي داخله معرضة لفقدان كميات من بخار الماء أكبر وتقدر بـ ١٠٠٠ - ١٥٠٠ ملم في البحر المتوسط والأحمر والمحيط الهندي وبحار إندويسيا وبـ ١٥٠٠ - ٢٠٠٠ ملم في خليج البنغال والبحر العربي والخليج العربي وخليج عدن ومياه المحيط الهندي شرقي إفريقيا وتقل مقادير ما تفقده مياه الأطلسي من بخار ماء سنوياً عن ١٥٠٠ - ١٠٠٠ ملم .



شكل (٦) مسارات الأعاصير المدارية في العالم الإسلامي

وتتفق هذه القيم مع قيم الرطوبة النسبية التي تتأثر بقيم الحرارة إضافة إلى كميات بخار الماء في الجو في يابسة العالم الإسلامي ومياهه . إذ تبين خريطة الرطوبة النسبية وجود نطاق من الحدود الدنيا للرطوبة النسبية على امتداد عروض الخيل ، أو المناطق الجافة في الصحاري الإسلامية وأشباهها المدارية وفوق المدارية . أما في المناطق الاستوائية فإن الرطوبة النسبية عالية ، وتراوح بين ٨٠ - ٨٥٪ من جراء التبخر العالي لمياه المحيطات والبحار والغابات المطرية في إندونيسيا وجنوب شرقي العالم الإسلامي .

أما في المناطق الجافة في الصحراء الكبرى وشبه جزيرة العرب وإيران وطوران وغيرها فإن انعدام الغيوم ، وقلة بخار الماء يؤديان إلى تسخين التربة بشدة مما يخفض قيم الرطوبة النسبية إلى أقل من ٥٠٪ ، إذ تصل في الصحراء الإفريقية الكبرى إلى أقل من ٢٠٪ وعلى العموم فإن التوزيع الجغرافي للرطوبة النسبية في العالم الإسلامي يبين ظهور حدين أقصيين الأول في إقليم غربي إفريقيا علي امتداد خليج غينيا ، والثاني في الشرق في أرخبيل إندونيسيا وماليزيا . أما في البحر فيكون الحد الأقصى شاملاً للمحيط الهندي الشمالي من سومطرة والملايو حتى بحر العرب . إلى الشمال من هذه الحجيرات التي تراوح فيها الرطوبة النسبية بين ٨٥٪ وأكثر ، تظهر نطاقات من الرطوبة النسبية متصلة من المحيط الأطلسي حتى أواسط آسيا تراوح فيها القيم بين ٧٠ - ٨٠٪ ، ثم باتجاه الشمال بين ٥٠ - ٧٠٪ ، ثم في البقاع الجافة دون الـ ٥٠٪ ، مع وجود حجيرة حول البحر المتوسط والأسود وتركيا رطوبتها النسبية بين ٧٠ - ٨٠٪ (جميع الأرقام هي لفصل الصيف الذي يشتد فيه التبخر) . ولا تختلف القيم السنوية كثيراً عمّا تقدم .

في ضوء أوضاع التبخر والرطوبة الجوية تتوضح أوضاع التساقط عامة والأمطار منها بصورة خاصة وذلك على النحو التالي :

أ – الأمطار :

إن تشبع الجو بالرطوبة وانخفاض درجات حرارة الهواء وتكاثف بخار الماء وتشكل السحب يؤدي في نهاية المطاف إلى هطول الأمطار أو تساقط الثلوج بحسب الظروف الحرارية الطبيعية التي تسود منطقة ما دون منطقة أخرى .

وعلى العموم فإن العالم الإسلامي يجمع النقيضين بالنسبة للأمطار ، ففيه أفقر بقاع العالم بالتساقط ، وأغناها ، كما يشتمل على شتى أشكال الأنظمة المطرية والتساقطية المختلفة .

تعد الأمطار في معظم أنحاء العالم الإسلامي من العناصر المناخية الكبيرة التباين، التي تعتمد على الكتل الهوائية ومصادرها سواء أكانت مدارية بحرية أم استوائية بحرية، أم مدارية قارية، أم باردة – قطبية بحرية أم باردة – قطبية قارية.

فالكتل البحرية ترافقها منخفضات جوية تجلب الأمطار إلى مناطق المناخ المتوسطي المغطي للشمال الإفريقي وبلاد الشام وتركيا ويمتد شرقاً حتى أفغانستان شتاءً، كما تحمل الأمطار الغزيرة إلى العالم الإسلامي الموسمي صيفاً. بينما تكون الكتل القارية جافة أو قليلة الرطوبة ولاسيما في القسم الآسيوي الإسلامي.

أما نماذج الأمطار فمتنوعة من حيث المنشأ والانتماء . فهناك الأمطار التصاعدية (Vonvectional) (وتعرف بالحملانية أيضاً) والأمطار التضريسية (Orographic) الصاعدة سفوح الجبال ، والأمطار الجبهية (Frontal) المرافقة لمرور منخفض جوي جبهي في العروض الوسطى (شتوية)، ثم الأمطار الإعصارية (Cyclonic) وهي المصاحبة للأعصاير المدارية، وقد تطلق على الجبهية أيضاً .

فالأمطار التصاعدية نموذج يميز البقاع الدافئة والحارة من العالم الإسلامي في نطاق المناخات الحارة والرطبة . لكنها تلازم أيضاً الفصول الحارة (الصيف) في مناخات أخرى . وتهطل الأمطار التصاعدية عادة في ساعات بعد الظهر حيث تهطل

على شكل زخات عـنيفة في زمن قـصير مميـز للنموذج الاسـتوائي - المداري الدائم الرطوبة . ومع دوام التـساقط على مـدار السنة في هذه العروض ترتفع قـيم الأمطار السنوية إلي آلاف الميلليمترات ، كما في شـرقي العالم الإسلامي في إندونيسيا وحول خليج غينـيا . والأمطار التصـاعدية المدارية محليـة النشأة والحـدوث ، يندر أن تتأثر بمصدر هوائي خارجي إلا إذا خالطها وصول أعـاصير طارئة في أنحاء المحيط الهندي الشرقية والشمالية الشرقية .

وجدير بالإشـارة أن التسـاقط التصاعـدي قد يكون صلبـاً ، حيث تتـساقط الثلوج على قسم الجبال العالية جداً في هذه العروض من العالم الإسلامي . وهي من الأماكن الفريدة النادرة في العالم حيث يحدث تسـاقط ثلجي من منشأ تصاعدي كما في براكين شرقي إفريقيا وشرقي آسيا المسلمة .

أما الأمطار التـضاريسية فـتحدث نتيـجة اصطدام كتلة هواء رطبة بـجبال أو عوائق تضاريسـية . وهذا النموذج من التسـاقط ينتشر في الأنحاء الجبـلية من العالم الإسلامي ، كمـا هو الحال في العالم الإسلامي حول المحيط الهندي . ولاسـيما في أثناء الموسمـيات الصيفـية . وفي هذا النموذج من التـساقط تكون السفوح المواجـهة للهواء الرطب الصاعد عليها هي المطيرة ، بينما تكون السفوح المقابلة قليلة الأمطار أو جافة لـوقوعها في ظل المطر . ومع ازدياد الارتفـاع واستمرار وصـول الهواء الرطب وتكدسه في خلجـان تضاريسيـة ، تزداد كميـات الأمطار السنوية كمـا هو الحال في موقع تشيرابونجي في شمال شـرقي بنغلاديش (في أسام) ، الذي سجل أعلى تساقط أمطار سنوية مطلق (١٠٨٨٠ ملم) في الهيملايا الشرقية حيث ينحشر الهواء الموسمي الرطب في خليج بين الهيملايا وجبال بورما (مينمار) .

أما الأمطـار الجبهـية فـتمـيز الأجزاء فـوق المدارية من العالم الإسـلامي في الفصول الباردة الشتوية، واحتمال حدوثها في الصيف قليل جداً دون أن تنعدم كلية .

وهذا النمـوذج من التسـاقط المعروف فـي حوض البـحر المتـوسط ، يرتبط بخطوط سيـر المنخفـضات الجوية ومـرور جبهـاتها . وأمطارها تدوم لسـاعات قليلة وموضعـية تنقطع بعد مرور الجـبهة وتلاشي المنخفض الجـوي الذي يسلك في العالم الإسلامي محـوراً عاماً يتجه نحو الشـرق . وتتعاقب المنخفضات الجـوية على محور السير الخامس في البحـر المتوسط وشمالي إفريقيا باتجاه بلاد الشام وشـمال غربي شبه الجزيرة العربية وتكون الأمطار الجبهية من طبيعة عاصفية .

إن هذا التقسـيم بين نماذج الأمطار وإن كان غالباً ، فـإن اختلاط نموذجين أو أكثر في المـناطق المدارية أمر مألوف ، ولاسيـما في البقاع الجـبلية التي تقع في طريق الرياح الموسمية والأعاصير المدارية .

تهطل الأمطار في العالم الإسلامي في جميع فصول السنة ولاسيما في الشتاء والصـيف في أنحائه المتـفـرقة ، وفي أنحـاء أخرى تهطـل على مدار السنة . فـفي إندونيسيا والبقاع الاستوائية الإسلامية في إفريقيا لا تنقطع الأمطار طوال السنة ، كما أن تقلباتها كـماً وكيفاً مـحدودة جداً . وتصبح أمطاراً مزدوجـة الموسم تهطل عندما تصبح الشمس عـمودية ، على هوامش نطاق الأمطار الاستوائية في إندونيـسيا وملقة وغيرها .

ويغطي هذا النمـوذج المزدوج الموسم أراضي نطاق يبـدأ من القرن الإفـريقي ويستمـر غرباً حتى غربي إفريقـيا وسيراليون ، وتجد هـذا النموذج سائداً على أغلب الشرقي الإفريقي الإسلامي .

إلى الشمال من هذا النطاق يسود نطاق أعرض وأطول امتداداً ، يتميز بأمطار فصل واحـد يتفق مع سقوط الأشـعة الشمسـية عمودية في النصف الشـمالي، وفي موسم واحـد هو الصيف ، ويغطي النطاق المعروف بـ (إقليم السـاحل الإفريقي) من غربي إفريقـيا حتى أريتريا فجنوبي شـبه الجزيرة العربية وجـميع أنحاء الدكن والسند وجنوب شرقي آسيا وهي بقاع الأمطار الموسمية الصيفية .

أما نطاق التساقط القليل الذي لا يزيد على ٢٠٠ ملم سنوياً والذي يغطي أكبر مساحة من أراضي العالم الإسلامي ويمتد من المحيط الأطلسي حتى الخليج العربي وداخل الهضبة الإيرانية ، فتهطل فيه أمطار صيفية في الهوامش الجنوبية ، وشتوية في الأطراف الشمالية ، إن هطلت .

وإلى الشمال من نطاق الصحاري هذا يبدأ نطاق الأمطار الشتوية في حوض البحر المتوسط الغالب على شمالي إفريقيا وبلاد الشام وما بين النهرين وإيران وأفغانستان . ثم نطاق أمطار دورية سنوية تغلب عليها أمطار الربيع في آسيا الصغرى والقفقاس ، وفي جبال آسيا الوسطى وهضابها العالية ، أما منبسطات طوران وكازاخستان فصحراوية تقل أمطارها عن ٢٠٠ ملم سنوياً وهي شتوية .

هذا من حيث مواسم التساقط أما من حيث كمياته فإنها متباينة بشكل صارخ ليس بين منطقة وأخرى ، بل وبين سنة وأخرى في منطقة واحدة . فقد منح الباري عز وجل العالم الإسلامي هبة التنوع في التساقط كماً وكيفاً ومكاناً وزماناً ، مما أفسح المجال لتنوع في البيئات الجغرافية الطبيعية وما يتبع ذلك من تعدد في النشاطات البشرية وفي المجتمعات . ويبلغ هذا التباين حده الأقصى بين المناطق الاستوائية في إندونيسيا حيث يقل الانحراف عن معدل التساقط السنوي عن ١٠٪ ، والمناطق الجافة في الصحراء الكبرى وشبه الجزيرة العربية حيث الانحراف يزيد على ٦٠ - ٧٠٪ .

تنحصر مناطق الأمطار الغزيرة في الشرق الإسلامي في العروض الاستوائية - المدارية ، حيث تبلغ كمية التساقط السنوي في أغلب الجزر الإندونيسية ٣٠٠٠ ملم، ترتفع في جبال سومطرة إلى أكثر من ٤٠٠٠ ملم ، وتصل إلى حدود قصوى في شمالي وسط جاوة (٦٦٥٥ ملم) . وتبقى المعدلات عالية ٣٠٠٠ - ٤٠٠٠ ملم في شبه جزيرة ملقة والسواحل الشرقية لخليج البنغال وبنغلاديش (٢٠٠٠ - ٣٥٠٠ ملم) لترتفع إلى معدلات عالية جداً في سفوح الهيملايا الشرقية (تشيرابونجي ١٠٨٨٠ ملم) . وهناك شريط ضيق من تساقط يراوح بين ١٠٠٠ - ٤٠٠٠ ملم يمتد على الساحل الغربي للهند حيث جبال الغات التي تتلقى الرياح الموسمية الصيفية .

أمـا في الغـرب الإسـلامي فتـهطل أمـطار بين ٣٠٠٠ - ٤٠٠٠ سنوياً في سواحل الكمرون ودلتا النيـجر ثم في سواحل سيراليون . وتقل كمـيات التساقط مع التقدم في العـروض الجغرافية على نطـاقات شرقية غـربية (وجنوبية غربية - شـمالية شـرقيـة في شـرقي أفريـقيـا) وتتـدرج من ٢٠٠٠ - ١٠٠٠ ملم ، حـتى البقـاع الصحراوية المدارية الحـارة والصحراوية المعتدلة في آسيا الوسطـى حيث تتدنى الأرقام إلى أقل من ١٠٠ ملم و ٥٠ ملم . وتشـذ الجبـال والمرتفعـات والسواحل المواجـهة لكتل هواء رطبة أو لمـنخفضـات جوية ماطرة عن هذا التـدرج، إذ تتلقى أمطاراً تزيد على ١٥٠٠ - ٢٥٠٠ ملم وسطياً في أثيوبيا ومرتفعات شرقي إفريقيا وآسيا الصغرى وبلاد الشام وشمالي إيران والقفقاس وآسيا الوسطى وجبال الهيملايا الغربية والوسطى وبامير . علماً أن قسماً مهماً من التساقط في الجبال المرتفعة يسقط ثلوجاً .

ب - الثلـوج :

إن أغلب التساقط في العالم الإسلامي يهـطل أمطاراً ، لكن قسماً منه يسقط ثلوجاً وذلك في شروط توافر درجات حرارة تحوم حول الصفر المئوي وما دونه ، ولما كان ذلك مرتبطاً إما بالعـروض الجغرافية العالية أو بالارتفاع فـوق سطح البحر ، فإن مناطق سقوط الثلوج محـصورة في الجبال في العروض الشمالية والجـبال العالية جداً في العروض الدنيا . إن مـرتفعات شرقي إفريقـيا الاستوائية وإن كـان بعض براكينها وهضابها مرتفعاً كـفاية لتساقط الثلوج عليها فإن سماكـة الثلج عليها قليلة ومدة بقائه قصـيرة إلا في القمم العـالية جداً كـما في جبـل كليمنجارو مـثلاً . أما في الجـبال المتوسطية (الأطلس وبلاد الشام وآسيا الصغرى وإيران وأفـغانستان) فإن سماكة الثلوج أكبـر وبقاءها أطول كـما أنهـا تغطي مساحـات أوسع . وقد يسـقط الثلج في بعض فصـول الشتاء على أراضي منخـفضة منبسـطة لم تألفه عادة ، ولكن بكمـيات قليلة ولبضع ساعات .

وتصبح الثلوج دائمة في الجبال العالية والشاهقة مع تزايد درجات العروض أو انخفاض درجات الحرارة في الشتاء القاري ، كما في جبال شرقي آسيا الصغرى وفي القفقاس وأغلب جبال آسيا الوسط وهضبة بامير والسلاسل الجبلية المتفرعة عنها ولاسيما جبال كاراكوروم وهيملايا وهندوكوش ، ثم جبال تيان شان وغيرها .

وقد تحول الثلج الدائم في جبال آسيا الوسطى وهيملايا والقفقاس إلى جليديات جبلية أو هضبية ، خرجت منها ألسنة ملأت أعالي آلاف الأودية . وفي هضبة بامير (سقف العالم) وجبال كاراكوروم توجد أكثر من ألف جليدية ، لعل أكبرها جليدية فيدتشينكو إحدى أكبر جليديات العروض غير القطبية في العالم ، إذ يبلغ طولها نحو ٨٠ كم .

إن أهمية التساقط الثلجي في العالم الإسلامي تبرز في ذوبان الثلج والجليد البطيء. مما يسمح بتزويد خزانات المياه الجوفية والتربة السطحية بمزيد من المياه والرطوبة، كما أنها ولاسيما الجليديات تؤلف مصدراً ومنبعاً لكثير من الأنهار والجداول الجبلية، بل ولأنهار تتجاوز نطاق الجبال إلى بقاع جافة عطشي، كما هو الحال بالنسبة لأنهار تاريم وسيحون وجيحون والسند .

مسألة القارية والمناطق الجافة في العالم الإسلامي ومشكلاتها :

رسمت حدود المناطق الجافة والقارية في العالم الإسلامي على ضوء الكثير من القرائن الحسابية أو الإحصائية ، تعرف بقرائن الجفاف والرطوبة أو القارية وغيرها من قرائن وضعها مصنفو الأقاليم المناخية منذ منتصف القرن الميلادي الماضي ومازالوا يعدلونها . وبحسب خلاصة هذه القرائن فإن البقاع الجافة في العالم الإسلامي تنتشر على حزام ممتد من الغرب نحو الشرق مع انحراف نحو الشمال الشرقي في آسيا الإسلامية طوله نحو ٩١٠٠ كم ومتوسط عرضه ٢٤٠٠ كم ، بين درجتي طول ١٨ غرباً و٧٥ شرقاً وبين درجتي عرض ٤٨ شمالاً و١٣ جنوبا . وهذا يعني أكثر من ٢١

مليون كيلو متر مربع ، أي ما يعادل أكثر من ٧٠٪ من مساحة يابسة العالم الإسلامي الذي يشمل الصحاري وأشباه الصحاري والسهوب الجافة وغيرها . الأمر الذي يدعو للاهتمام بمشكلات هذه المساحات الشاسعة شبه المعطلة في أغلبها عن الإنتاج والقليلة الكثافة السكانية أو شبه الخالية من العمران .

إن أهم المشكلات الطبيعية في المناطق الجافة في العالم الإسلامي هي :

أ - المياه :

أي المياه العذبة الصالحة للاستعمالات المنزلية والمدنية والاقتصادية . وهي كما تبين دراسة المياه في العالم الإسلامي ، قليلة من حيث الكمية ومتدنية الجودة من حيث النوعية في المناطق الجافة الإسلامية . باستثناء مياه الأنهار القليلة العابرة وبعض الينابيع المحدودة والواحات المتباعدة وآبارها .

وتبقي الأنهار الدائمة الجريان أهم شرايين الحياة في المناطق الجافة ، مثل نهر النيل والفرات ودجلة وجيحون (اموداريا) وسيحون (سِرداريا) والسند ، وغيرها من أنهار أقل أهمية قدرت كميات مياهها السنوية بنحو ٣٩٦,٥ مليار متر مكعب . (سميث ، ١٩٧٠م ، ص ٤٠٧ - ٤٢٥) . وبغض النظر عن كمية المياه هذه ومناقشة كفايتها أو عجزها عن تلبية الاحتياجات البشرية ، فإن البقاع خارج أودية الأنهار وعلى مئات آلاف الكيلو مترات المربعة جافة ، تفتقر إلى مياه كافية لإقامة مجتمع ثابت مستقر . ففي مناطق الصحراء حيث الرطوبة النسبية بحدود ٢٥٪ والأمطار بحدود ٥٠ ملم ، يكون الجريان صفراً ، وهو ، أي الجريان لا يزيد على ١٠ ملم في الأنحاء شبه الصحراوية حيث تكون نسبة الجريان إلى الأمطار ٥٪ فقط ، أما في السهوب حيث يصل الجريان إلى ٤٠ ملم ، فإن نسبة الجريان إلى الأمطار ترتفع إلى ٤٠٪ وهي أرقام عامة تبين خطورة العجز المائي السطحي في أكثر من ٧٠٪ من العالم الإسلامي .

ولا تقتصر المسألة المائية على ندرتها وقلتها بل وعلى نوعيتها ، إذ أن نسبة لابأس بها من الملوحة تتزايد باتجاه المجاري الدنيا والمصاب النهرية . وترتفع نسبة الملوحة والتلوث المعيقين للاستعمال ، بتدخل الإنسان وإساءته إلى البيئة النهرية بتلويثها وتخريبها كما هو الحال في وادي جيحون (أموداريا) ونهر الأردن والفرات الأدنى وأنهار إسلامية أخرى . ومع ازدياد أعداد سكان الأحواض النهرية الإسلامية يزداد الطلب على المياه فترتفع نسبة العجز وتقفز قي التلوث وتتراجع جودة المياه .

إن المشكلة المائية في المناطق الجافة الإسلامية تمتد إلى مصادر المياه الجوفية أيضاً ، فكميات المخزون منها محدودة ونوعيات نسبة مهمة منها متدنية. هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فإن أكثر مياه الخزانات الجوفية في الصحاري الإسلامية هي مياه (أحفورية أو جيولوجية) وتعرف بـ (القديمة) أيضاً ، مما يحد من فائدتها في مواجهة المشكلة إذ إنها مياه غير متجددة ومستنزفة .

ولا يختلف الأمر كثيراً بالنسبة للسيول والأمطار المفاجئة ، إذ إن كمياتها وإن كانت كبيرة آنياً فإنها عاجزة عن تغيير ظروف البيئة الجافة . بل وقد يكون تأثيرها سلبياً بما تسببه من تخريب وتلحقه من أضرار في التربة والأرض والسكان ، لطبيعة التساقط الشديد والعاصفي بكميات مطر كثيرة في زمن قصير (أجزاء من الساعة ، حتى الساعات) ونتيجة لتدفق السيول المفاجئة . ولعل الضرر الطويل الأمد الذي تسببه السيول والأمطار العاصفة هو جرفها للتربة الزراعية ، أو غمرها بالمجروفات الحجرية والمواد الخشنة .

ب - الحرارة والتبخر :

تعاني المناطق الجافة الإسلامية من قسوة الأحوال الجوية المتطرفة من حرارة وإشعاع ، ففي الوقت الذي ترتفع فيه درجات الحرارة الفعلية المطلقة إلى ٧٠ - ٨٥ درجة مئوية مع قيم الإشعاع ، فإنها تهبط إلى درجات حرارة مطلقة دنيا أقل من

(١٠) درجات مئوية. (-٣٠ درجة في طشقند في فبراير ، ١٣٦٩هـ، (١٩٤٩م). وبالتالي يصل المدى الحراري إلى حدود ١٠٠ درجة مئوية . لكنه أقل من ذلك في موقع واحد وفي يوم واحد . ومما يزيد الأوضاع المناخية قسوة ، هو استمرار درجات الحرارة العالية أو المنخفضة مدداً طويلة تؤثر في أحوال النبات والحيوان والإنسان . فقد تستمر حرارة الـ ٤٠ درجة بمعدل يراوح بين ٨ - ١٢ ساعة يومياً في أشهر الصيف (كما في الصحراء الكبرى وصحراء الربع الخالي) . ويزداد الأمر سوءاً إذا ترافق ذلك برطوبة عالية كما في السواحل الشرقية والغربية لشبه الجزيرة العربية وجنوبي إيران والباكستان .

إن ارتفاع الحرارة يسبب تبخراً ونتحاً شديدين ، مما يفقد الأرض ما يمكن أن تكون اختزنته من رطوبة وماء عقب هطول المطار القليلة أو النادرة أصلاً ، ولاسيما في الصحراء الكبرى وصحاري شبه الجزيرة العربية وإيران ، وبالتالي يزداد الجفاف بخاصة في الأجزاء القارية الداخلية من المناطق الجافة الإسلامية .

جـ - الرياح :

تعد الرياح من العناصر المناخية المؤثرة سلبياً في المناطق الإسلامية الجافة ولاسيما الصحراوية منها ، لأنها في أغلب الحالات والأنحاء ذات مصدر قاري مما يجلب الجفاف والحرارة العالية في الصيف والبرد الشديد في الشتاء . ونظراً لسرعتها الكبيرة في منبسطات الأراضي الجافة فإنها تسبب تعرية وحتاً للتربة ، كما تجفف التربة وترفع نسبة التبخر مما يزيد في الجفاف والقحولة .

ويرتبط بدور الرياح السلبي مشكلة حركة الرمال وعدم ثباتها في أماكن انتشارها . فالرياح الشديدة تحمل الرمال إلى بقاع صالحة للاستعمال الاقتصادي فتغطي الترب الزراعية وتُضرّ بها ، كما تزحف الكثبان الرملية على المزارع والمنشآت البشرية المختلفة ، مما يزيد في التصحر ويرفع من شأن الجفاف .

د – ومن المشكلات الطبيعية المرتبطة بالجفاف في العالم الإسلامي :

تعرض التربة الزراعية والأراضي الصالحة للزراعة إلى التملح والتلوث من جراء التسخن الشديد ونشاط الخاصية الشعرية وملء مسامات التربة بالأملاح باقتراب الأفق الرطب الضمني من سطح الأرض ، كما في واحات العالم الإسلامي وأحواضه المغلقة في المناطق الجافة منه . إضافة إلى ذلك تنخفض نسبة الدّبال في ترب هذه المناطق ، مما يعرقل استغلالها اقتصادياً .

وتزداد الأمور سوءاً والمشكلات تعقيداً بتدخل الإنسان الجائر في البيئة الجافة وشبه الجافة التي تصنف في قائمة الأراضي المتصحرة ، وقيامه بتخريبها وتلويثها لدرجة تصعب معها إمكانية استعادة البيئة لعافيتها .

التغيرات المناخية في العالم الإسلامي :

تعرض العالم الإسلامي إلى تغيرات مناخية حدثت في عصر البلايستوسين في الزمن الرابع ، ومازال يتعرض لتغيرات في عصر الهولوسين . والتغيرات طويلة الأمد تتضمن تغيرات قصيرة الأمد نسبياً تراوح بين عقد وثلاثة عقود من الزمن ونيف . (أي في أثناء دورة مناخية مدتها ٣٠ – ٣٥ سنة) .

إن الدلائل على تغيرات مناخية في عصر البلايستوسين كثيرة ، وتنتشر في أنحاء متفرقة من العالم الإسلامي ، منها انخفاض مستوى البحار الذي أدى إلى تحول جنوب شرقي آسيا من شبه جزيرة متصلة بآسيا إلى أشباه جزر وأرخبيلات جزر في إندونيسيا وملقة . كذلك انتشار الجزر والشعاب المرجانية وظروف تكونها في البحار الدافئة . ومنها آثار الجليديات الرباعية في جبال الأطلس الأعلى وجبال لبنان الشرقية والغربية والأناضول في الغرب ، وفي جبال غينيا الجديدة في الشرق . وكذلك جفاف بحيرات كبيرة قديمة في أحواض المناطق الجافة من العالم الإسلامي ، تحولت اليوم إلى بحيرات صغيرة أو سباخ تحيط بها ترسبات بحيرية رباعية تشهد على مناخ مطير سابق ، كما في حوض تشاد وأحواض عديدة في بلاد الشام منها بحيرة دمشق

الرباعيــة والجبــول ومنخفض الأزرق ، وفي إيران وفي تركـستــان في أحواض تاريم وجونغارية وطرفان وغيرها . وتؤكد الدلائل المشـابهة في أنحاء العالم عدم بقاء المناخ مستقراً في الزمن الرابع ، من أبرزها حدوث العصور الجليدية والعصور الدافئة بينها، والتي تقابلهـا في أغلب أنحاء العالم الإسـلامي العصور المطيرة وبين المطيــرة . وبعد آخر عصر جليــدي - مطير وابتداء من عصر الهولوسين فـإن أوضاع المناخ في العالم الإسلامي أخـذت تنحو نحـو الدفء وارتفاع الحـرارة وانخفاض قـيم الرطوبة بشكل عام، يشهد عليها توسع نطاق الأراضي الجافـة وشبه الجافة ، مع الإشارة إلى حدوث تغـيرات إيجـابيـة في المناخ حـصلت في أثناء الآلاف العـشرة الماضيــة (بدأ عصـر الهولوسين قبل ١١ - ١٠ ألف سنة) .

وعلى الرغم من أن الـنظام المناخي في النطاقـات الـتي يقع فـيـهـا العــالم الإسـلامي مرتبط بالنظام المـناخي العالمي ، وهو نتـاج التـفاعـلات الجوية - المائيــة (المحيطية) والعناصر الجغـرافية الطبيعية الأخرى ، فإن تأثيـر البشر في المناخ وتغيراته الحاضرة أخذ بالتزايد في هذا القرن ويتوقع له أن يتصاعد في المستقبل. وقد أخذ ذلك بالظهور عـلى شكل حالات مناخيـة بل وجوية مـتطرفة ، فحـيث يجب هطول مطر يسود جفاف (نطاق الساحل الإفريقي) وحيث سادت ظروف جفاف لسنوات ، تنفجر الأعاصير المطيـرة وتهب العواصف والفيضانات (المغرب) أو تتـساقط الثلوج . وتعزو الدراسات الحديثـة ذلك إلى ازدياد الحرارة الكلية للكرة الأرضيــة أو ما يسمى بظاهرة الاحتـباس الحراري الناتج عن تزايد الغــازات التي تحتجـز الحرارة وتعيق عـودتها إلى الفضــاء الخارجي ، وأبرزها غاز ثاني أوكـسيد الكـربون ، الذي ترتفع نسبتـه خارج نطاق العالم الإسلامي وفـيه أيضاً في بلدان الخليج العربي وفي ليبيـا وشمالي بورنيو وفي ماليزيا . ومع كل هذا وغيرها من عوامل بشرية تسهم في تغير المناخ ، يبقى أثر البقع (الكلف) الشمسية ودورتها (١١ - ١٢,٥ سنة) ودروة بروكنر والعوامل الكونية المؤثرة في محور دوران الأرض حـول نفسها ، في رأس قائمـة الأسباب الكامنة وراء القوى الفاعلة بأمر الخالق عز وجل في التغيرات المناخية القصيرة والطويلة الأمد .

الأقاليم المناخية في العالم الإسلامي :

وضعت تصنيفات كثيـرة للأقاليم المناخية في العالم . ومع ذلك بقي تصنيف كوبن أساساً للتصنيفات الـتي جاءت بعده ، لعل أبرزها تصنيف كوبن المعدل من قبل تريوارثا Trewartha . وفي ضوء هذا التصنيف والتصنيفات الأخرى وبحسب ما تقدم من واقع المناخ في العالم الإسلامي، فإن الأقاليم المناخيـة فيه تتألف من نطاقات تبدأ من العروض الاسـتوائية وتتجـه نحو العروض العليا عـلى الشكل التالي (شكل رقم ٧).

أ - إقليم المناخ المداري الرطب :

ويشتـمل على إقليم الغابات المدارية في إندونيسـيا وملقة والسـاحل الشرقي لخليج البنغـال وصدر الخليج والسـاحل الشرقي للهند حـيث تنشط الموسمـيات ، ثم على سواحل غينيا في العالم الإسلامي .

ب - إقليم المناخ المداري الجاف :

وهو إقليم السافنا الصرف ، مع تداخلاته مع الإقليم السابق . ويؤلف نطاقاً عريضاً في إفريقيـا الإسلامية يمتد حتى مرتفعات أثيوبيـا وشرقي إفريقيا ، وفي أغلب الشرق والشمال من هضبة الدكن .

جـ - إقليم السهوب الجافة :

ويقع بين إقليم السافنا وإقليم الصحـراء على شكل شريط ضيق نسبـياً يمتد أيضاً من المحـيط الأطلسي حتى الشرق الإفريقي . وفي أشـرطة متعرجـة في شرقي إفريقيا . حـيث تسود شروط جفاف في الشتاء ودرجـات حرارة تقع أعلى من الصفر المئوي . ويسود هذا النمـوذج في مرتفعات شبـه الجزيرة العربية الغربيـة ووسط تركيا والهلال الخـصيب والهـضبة الإيـرانية حيث الصـيف الحار والجـاف كما يظهـر إقليم السهوب في شمالي العالم الإسلامي على جانبي دائرة العرض ٥٠ درجة شمالاً حيث تقل درجات الحرارة عن الصفر المئوي في فصل واحد على الأقل .

د - إقليم الصحراء :

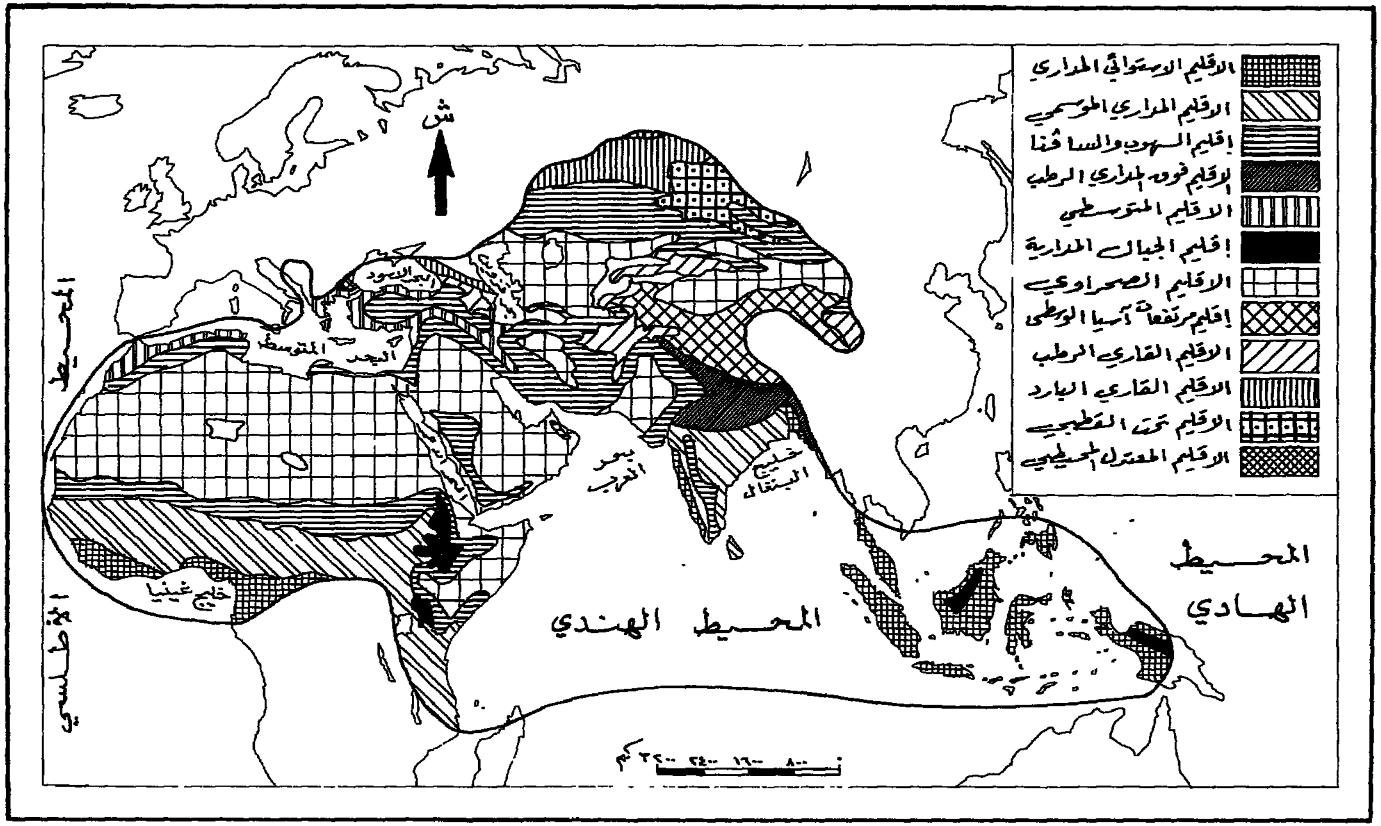
وهو أوسعها انتشاراً ويغطي الصحراء الكبرى وشبه الجزيرة العربية في العروض المدارية وفوق المدارية ثم في صحاري العروض المعتدلة في آسيا الوسطى وطوران وتاريم وبقية أحواض آسيا الوسطى ، حيث تكون درجات الحرارة عالية وفروقها كبيرة مع سيادة الجفاف .

هـ- إقليم البحر المتوسط :

وهو عبارة عن أشرطة ضيقة تساير البحر المتوسط وسواحله وسواحل البحر الأسود الجنوبية والهلال الخصيب ، حيث الصيف الجاف الدافىء ، حتى الحار والشتاء المطير المعتدل .

و - أقاليم الجبال :

وهي أكثر من إقليم ، وتتصف بتدرج النطاقات المناخية فيها ابتداء من النموذج السائد في الأراضي المنخفضة المحيطة بها ، وصعوداً نحو القمم حيث تتعاقب النطاقات المناخية التي تليها ، ممثلة لشبيهاتها في العروض الجغرافية الأعلى . كما في جبال الأطلس والأحجار وتيبستي ومرتفعات شرقي إفريقيا وغربي شبه الجزيرة العربية وبلاد الشام وتركيا وإيران ، وجبال آسيا الوسطى والقفقاس وجبال كليمنتان وغينيا الجديدة .



شكل (٧) الأقاليم المناخية في العالم الإسلامي

مصـادر الميـاه

قال الله عز وجل ﴿وجعلنا من الماء كل شيء حي﴾ . وأهمية الماء في العالم الإسلامي تحتل الأولويات الرئيسة في سياسات بلدانه ، ولاسيما الواقعة في النطاقات الجافـة التي تتلقى أمطاراً قليلة أو نادرة ، ولا تمر بها أنهـار قادمة من مناطق تغـذيها بالميـاه . وقد أخـذت الثروات المائيـة المحدودة فـي أغلب البلدان الإسلامـية تسـبب لسكانها مـشكلات وأزمات اقتـصادية واجتمـاعية وحتى تـوترات سياسيـة بينها وبين جاراتهـا ، مما زاد الاهتمام بهـذه الثروة الحيـوية . وميـاه العالم الإسلامي هي مـياه سطحية وجوفية (ضمنية أو باطنية أيضاً) . يمكن دراستها على النحو التالي :

أولاً : المياه السطحية :

تتوزع الأمطار والثـلوج في العالم الإسلامي توزيعـاً غيـر متسـاو ، وبالتالي تفاوتت كميات مياه الأقاليم الإسـلامية بشكل صارخ ، ففي إقليم جنوب شرقي آسيا وأغلب أنحاء إقليم غربي إفريقيا ومساحات في إقليم شبه جزيرة الهند والجبال العالية ترتفع كميات المياه المتساقطة مطراً أو ثلجاً ، بينما تعاني باقي الأقاليم من عجز واضح في المياه العذبة ، لانخفاض مـقادير التساقط فيها ، ولاسيمـا أقاليم الشمال الإفريقي والصحراء الكبـرى وشبه الجزيرة العربيـة وأغلب إقليم الهلال الخصيب وغـربي آسيا والهضبة الإيرانيـة - الأفغانية منه ، وصحاري وأحواض آسيـا الوسطى . وتبعاً لهذا التوزيع تتـمتع الأقاليم المطيرة بجـريان سحطي نهري أو سيلي وينابيع دائـمة الجريان على مدار السنة ، بينما لا يوجد في أغلب أنحاء بقية الأقاليم الإسلامية سوى السيول الموسمية أو المؤقتة ، التي تجف مياهها بعد أمد قصير من هطول الأمطار عليها أو على المرتفعـات المحيطة بها لكنهـا لا تعدم بعض الجريان الدائم على شكل أنهـار عابرة ، منابعها تقع خارجها .

وعلى ضوء تصريف هذه الأنهـار وروافدها ونظامها ، يقـسم الجريان النهري والسيلي للمياه السطحية إلى عدد من شبكات التصريف هي :

أ - شبكة المحيط الأطلسي :

وتضم جميع الأنهار والمجاري المائية والمسيلات التي تنتهي في مياه المحيط الأطلسي بشكل مباشر أو غير مباشر بين مضيق جبل طارق وخليج غينيا شمال خط الاستواء .

ومن أهم أنهار هذه الشبكة التي يعتمد نظام الجريان فيها على التساقط المتوسطي في الشمال والمداري - الاستوائي في الجنوب ، هي أنهار :

لوكوس شمال مدينة العرائش ، ونهر السيبو (٥٠٠ كم) الذي يمتد حوضه في الشرق في ممر تازه ويتلقى مياه روافد هابطة من جبال الأطلس الريفي وشمالي الأطلس الأوسط ومنطقة فاس ومكناس ويقطع هو وروافده الدنيا سهل الغرب ، ويصب غرب مدينة القنيطرة عند ميناء المهدية ، وهو من أنهار المغرب المهمة غزارة واستخداماً على مساحة حوضه البالغة نحو ٤٠٠٠٠ كيلو متر مربع ترفده سيول كثيرة أهمها وادي الورغة (يميني) والبهت (يساري) ، ويزيد تساقط حوضه على ٤٠٠ ملم ، بعضها على شكل ثلج ، ونظامه مطري محيطي . والنهر والحوض معرضان لفيضانات متكررة كان أبرزها فيضان عام ١٣٨٤هـ (١٩٦٤م) ، وعندما وصلت غزارة سبو إلى ٣٦٠٠ متر مكعب في الثانية والورغة ٦٠٥٠ متر مكعب في الثانية ، وعند مقرنهما ٨٠٠٠ متر مكعب في الثانية وغمرت الفيضانات ١٨٠ ألف هكتار من الأرض الزراعية . والفيضان الثاني حدث في ١٩٩٦م ، وكانت له نتائج مدمرة مشابهة .

يليه نهر بورقرق الذي يصب في الأطلسي عند مدينة الرباط - سلا ، ثم نهر أم الربيع وطوله ٦٠٠ كم ، الذي تقع روافده العليا في جبال الأطلس الأعلى وينتهي في المحيط عند مدينة أزمور ، يليه جنوباً نهر تنسيفت القادم من الأطلس الأعلى ويصب في المحيط جنوب آسفي . أما نهر السوس الذي يقطع سهل السوس فهو آخر

نهـر دائم أطلسي في المغـرب ، لأن وادي الدرعة جنوبه يصـبح مـتقطع الجـريان . وتسهم في تغذية هذه الأنهار بالمياه الأمطار ونسبة ثلوج لا بأس بها . ثم يبدأ حوض نهر السنغـال الذي يغطي ٤٤٠٠٠٠ كيلو مـتر مربع بـطول قدره ١٤٣٠ كم ، وتقع منابع النهر في مـرتفعات فوتاجالون ذات الأمطار السـنوية العالية (١٠٠٠ - ٢٠٠٠ ملم) وأغلبها صيفية ، وبالتالي فنظام الجريان هو مطري - محيطي .

يلي نهر السنغال أنهار غـامبيا وكاسامانس وكابا ومـووا وكافالاي وساساندرا وبانداما وكوموه حتى نهر الفولتا ثم نهر النيـجر . وتعد الأنهار الصغيرة والقصيرة ، التي تنبع من الهـضاب والظـهرات المسـايرة لساحل خليـج غينيـا وتصب في ميـاهه بالعشرات ، ويبقى نهر النيجر أكبر أنهار إقليم غربي إفريقيا .

يبلغ طول نهر النيجـر ٤١٦٠ كم ، ومساحة حوضه ١٢٠٠٠٠٠ كـيلو متر مربع ، تقع منـابعه في هضبـة فوتاجالون ومنهـا يتجه شـمالاً شـرقياً ثم وبعـد ثنية (بوريم) يتجه النهر نحو الجنوب الشرقي بزاوية قائـمة تماماً حتى ينتهي في خليج غينيا بدلتا واسعة ومتقدمة ، وقبل وصوله إلى البحر بنحو ٣٥٠ كم يتلقى أهم روافده وهو نهر بينوِه القادم من الشمال الشرقي حاملاً مياه مرتفعات أداماوا وهضبة جوس .

ونهر النيـجر وإن كان أقصـر من نهر النيل فهـر ذو تصريف وغزارة عـاليتين تفوقان غزارة نـهر النيل . إذ تصل عند مصبه إلى ٣٠٠٠٠ متـر مكعب في الثانية . وتؤكد جـميع الشواهد على أن النيـجر كان ينتـهي في بحيرة قـبيل الثنية ، قـام نهر النيجـر الأدنى بأسر مياههـا ومياه النيجـر الأعلى مكوناً النهر الحالي . وتقـدر غزارة النيجـر عند نهاية الفصل الجـاف بنحو ٣٠ متراً مكعـباً في الثانيـة . لكنها تصل في أيلول (سبـتمـبر) إلى ١٠٠٠٠ مـتر مكعب في الثـانية . وعلى العـموم فإن نـظامه استوائي - مداري مطري محيطي ، يبلغ الذروة في أغسطس وسبتمبر .

إلى الشرق من نهر النيجر وعلى سواحل الكمرون تجري أنهار أقل أهمية طولاً وتصريفاً منها نهر كروس ونهر ساناغا وغيرهما من أنهار شبكة المحيط الأطلسي في العالم الإسلامي .

ب - شبكة البحر المتوسط والبحر الأسود :

وجريان مياه أنهارها وسيولها يخضع للنظام المطري المتوسطي في أغلب الأنحاء ، عدا حوض النيل المتعدد الأنظمة المطرية ، لجريانه من العروض الاستوائية حتى فوق المدارية ، وبعض أنهار البحر الأسود التي تتغذى بمياه الأمطار ومياه ذوبان الثلوج والجليديات .

وأهم أنهار هذه الشبكة هي :

نهر الملوية (٥٣٠ كم) الذي يتلقى مياهه من جبال الأطلس الأعلى والأوسط وينتهي في البحر المتوسط .

ثم نهر تفنة والحمّام ، ونهر الشليف (٦٩٠ كم) القادم من جبال الأطلس الصحراوي لينتهي في البحر المتوسط شمال مدينة مستغانم . يليه نهر السمّام والرمل ثم نهر المجردة في تونس . بعد ذلك تنعدم الأنهار الجارية وتحل الأودية السيلية محلها حتى نهر النيل .

أما نهر النيل فهو أطول أنهار العالم (٦٦٧١ كم) ومساحة حوضه حوالي ١٩٠٠٠٠٠ كيلو متر مربع (من دون الأودية الجافة وأحواضها) . وتقع منابعه في منطقة هضبة فيكتوريا وبحيرتها ، يمر بعدها بسلسلة من البحيرات ويشكل بحر الجبل والنيل الأبيض أهمها كما يرفده بحر الغزال من اليسار وسوباط والنيل الأزرق وعطبرة من اليمين . ويعد النيل الأزرق القادم من هضبة أثيوبيا وبحيرة تانا فيها من أهم روافده . بعدها يتابع جريانه عبر الصحراء حتى البحر المتوسط . وعلى هذا الشكل يجري النيل من الجنوب نحو الشمال ماراً بنطاقات مناخية متعددة ، هي النطاق

الاستوائي المطير والمداري المطير في المجرى الأعلى ، والمداري والصحراوي والمتوسطي في المجرى الأدنى ، مما يعني تعدد أنظمة تغذيته بالمياه ، وفي ضوء ذلك تتغير مواسم الفيضان وكميات التصريف ، مع الأخذ بعين الاعتبار خسارة النيل لكميات كبيرة من مياهه نتيجة التبخر في النطاق الصحراوي إضافة إلى ما يخسره من التبخر على سطح بحيرات السدود عليه . وتقدر غزارة النيل القصوى عند مدينة وادي حلفا بنحو ١١٠٠ متر مكعب في الثانية في شهر أكتوبر ، والغزارة الدنيا ٤٠٠ - ٥٠٠ متر مكعب في الثانية في شهر أغسطس ، وعند أسوان يبلغ متوسط الغزارة السنوية نحو ٢١٥٠ متراً مكعباً في الثانية . أما متوسط التصريف السنوي العادي للنيل فهو ٨٤ مليار متر مكعب ، علماً أن فيضان سنة ١٢٩٦ - ١٢٩٧هـ (١٨٧٨ - ١٨٧٩م) حمل ١٥١ مليار متر مكعب وسبب دماراً كبيراً ، ولاسيما في الدلتا البالغة مساحتها ٢٤٠٠٠ كيلو متر مربع .

يلي النيل وعلى سواحل شرقي البحر المتوسط أنهار بلاد الشام الساحلية القصيرة والمتذبذبة الغزارة أبرزها نهر العاصي (٥٧١ كم) وعدد من الأنهار الصغيرة وكثير من الأودية السيلية . ثم يأتي نهر سيحون (٥٢٠ كم) جيحون (٤٨٠ كم) فمندرس (٣٨٠ كم) وغديز (٣٥٠ كم) على سواحل آسيا الصغرى على المتوسط .

وتكثر في شبكة أنهار البحر الأسود الأودية السيلية الجبلية القصيرة وكذلك النهيرات والجداول الساحلية التي قد تجف تماماً في فصل انقطاع الأمطار أو توقف ذوبان الثلوج على الجبال ، لكنها تشتمل على عدد من الأنهار المهمة مثل نهر سقارية (٨٠ كم) وقيزيل إرماق (١٤٠٠ كم) ويشيل إرماق (٤٠٠ كم) وتشوروخ في شمالي آسيا الصغرى ، وجميعها تتغذى بمياه الأمطار وبقدر محدود بمياه ذوبان الثلوج . وتتكرر ظاهر الأودية السيلية والجداول الجبلية على طول ساحل القفقاس على البحر الأسود مع وجود نهر مهم نسبياً هو نهر ريون (٣٢٧ كم) ، ثم شبكة حوض نهر بشيز (الكوبان) الذي يصب في بحر آزوف المتصل بالبحر الأسود ، وطوله ٩٨٧٠ كم، وتغلب عليه التغذية الثلجية - الجليدية في أعاليه في جبال القفقاس .

جـ - شبكة المحيط الهندي :

وتشتمل على شبكات أذرعه في البحر الأحمر وخليج عدن والخليج العربي. وأغلب الأودية في هذه الشبكات عبارة عن أودية جافة ومسيلات غير دائمة الجريان، وتظهر الأنهار الفعلية في صدر الخليج العربي متمثلة بشط العرب وشبكة نهري الفرات ودجلة وروافدهما وروافد شط العرب وعشرات المجاري المائية الهابطة من جبال زاغروس وفارس ، وأهمها نهر زوهره ونهر مند ونهر كول .

أما شبكة الفرات - دجلة فتتوغل بعيداً في بلاد الرافدين وجبال الأناضول وزاغروس . فنهر الفرات وطوله ٢٧٠٠ كم (٣٠٦٥ كم مع مرادصو) ومساحة حوضه ٩٨٠٠٠٠ كيلو متر مربع ، ينبع من مرتفعات شرقي الأناضول المغطاة بالثلوج الشتوية ، وبالتالي ترتفع غزارة مياهه في الربيع لذوبان الثلوج . لكن أثر الأمطار المتوسطية في مجراه الأوسط والأدنى واضح أيضاً . ويقدر تصريف الفرات بـ ٣٢ر٧ مليار متر مكعب سنوياً (نهر الخابور ١ر٧ مليار متر مكعب والبليخ ٣٠٠ مليون متر مكعب) .

ولدجلة خصائص قريبة من خصائص الفرات ، طوله ١٨٤٠ كم ومساحة حوضه ١٦٠٠٠٠ كيلو متر مربع ، تصريفه السنوي أعلى ، وقدره ٤٩ر٢ مليار متر مكعب سنوياً . والسبب يعود إلى ارتفاع كميات المياه التي تجلبها روافد دجلة من جبال زاغروس (خابور دجلة والزاب الكبير والزاب الصغير وديالي وغيره) . ويصل تصريف شط العرب إلى ٨٢ مليار متر مكعب سنوياً .

وتنعدم الأنهار على طول سواحل خليج عمان وبحر العرب باستثناء السيول المؤقتة وقلة من الأنهار الصغيرة والقصيرة منها نهر داسليت ونهر هوغول. لكن أهم شبكة نهرية تنتهي إلى بحر العرب ، فهي شبكة نهر السند، الذي تقع بداياته في جبال شمالي الباكستان والهند العالية (٤٠٠٠ - ٤٥٠٠ متر). تتغذى روافد السند

الأساسية (جيلام وجـيناب ورافي وبياس وسوتلج) بمياه ذوبان الثلوج والجليديات، ثم تتحد في نهـر السند في أرض البنجاب وتعني (أرضي الأنهار الخـمسة). ويقطع إلى المحيط الهندي مـسافة ٢٩٠٠ كم في حوض مسـاحته ١١٦٥٠٠٠ كيلو مـتر مربع. ويؤلف السند عند مصـبه دلتا مهمـة. أما غزارته فترتفع إلـى ٦٤٠٠ متر مكعب في الثـانيـة في مـوسم الأمطار الصـيفـيـة ومـوسم ذوبان الثلـوج والجليـــد في الربيع والصيف. فنظام الجريان ثلجي - مطري .

وهناك عشـرات الأنهار الصغـيرة نسبـياً التي تهبط من جـبال الغات الغـربية والغـات الشرقـيـة من هضبـة الدكن . أبرزها نهـر كريشنا ونـهر غـودافاري ونهـر ماهانادي، تنـتهي في خليج البنغـال . لكن أهم أنهار هذا الخليج هو نهـر الجانج - براهمابوتـرا، الذي يتألف من شبكة كـثيـفة من الروافد والأنهـار الهابطة من جـبال الهيملايا ، أهمها نهر براهمابوترا وطوله ٢٩٠٠ كم ونهر جمنة . أما نهر سون رافد الجانج الأيمن فيأتي من هضبة الدكن ونظام ميـاهه مطري موسمي (٣٣ متراً مكعباً في الثانية في شهـر مايو و ٤٦٨٠ متراً مكعباً في الثانية في شـهر أغسطس) ، بينما نظام بقية الروافد هو ثلجي - جليدي في الأعلى ومطري في المجرى الأدنى ، ويبلغ طول الجانج ٢٧٠٠ كم ، وتقـدر غزارته المتوسطة بنحو ٢٠٠٠٠ - ٢٨٠٠٠ مـتر مكعب في الثانـية أما غـزارة براهمابوترا فـتراوح بين ١٠٠٠٠ - ١٥٠٠٠ متـر مكعب في الثانية ويكون نظام جريانه ثلجياً - جليدياً في الأعلى ومطرياً موسمياً في السهول .

بعد شبكـة الجانج وباتجاه بورما (مينمـار) وملقة ، توجد أنهار عـديدة تنتهي مياهها في خليج البـنغال أهمها نهر الإيراوادي ونهر سالوين ونهـر ساراوا وغيره من أنهار أصغر نظام جريانها مطري موسمي واستواذي مداري .

وتوجد على الجـانب الغربي من المحـيط الهندي مجـموعة مـن الأنهار التي تحمل مـياه شرقي إفريقـيا إلي المحيط أبرزها (من الشـمال إلى الجنوب) أنهار شـبيلي وجوبا وتانا وغالانا وروفـيجي وروفوما ،ثم نهـر الزامبيزي وهو أهمهـا كلها (طوله

٢٦٠٠ كم ومساحة حوضه ١٣٣٠٠٠٠ كيلو متر مربع) . يقع مجراه الأدنى في موزمبيق وباقيه يصرف مياه مساحات كبيرة من الجنوب الإفريقي خارج العالم الإسلامي . ونظام جريان هذه الأنهار مطري يخضع لمواسم هطولها في الشمال (الصومال) والجنوب (تنزانيا وموزمبيق) .

د - شبكة المحيط الهادي :

وتضم مجموعة كبيرة من الأنهار الصغيرة والمتوسطة الأطوال والأبعاد والجداول ذات المياه الدائمة الجريان ، في جزر أرخبيل إندونيسيا وملقة وجنوبي الفيليبين المسلم . وأطول هذه الأنهار وأوسعها حوضاً ، هي الموجودة في الجزر الكبرى ولاسيما جزيرة كليمنتان (بورنيو) وجزيرة سومطرة . وأهم أنهار هذه الشبكة أنهار كابواس (٧٠٠ كم) ، ومهاكام وكاهايان وباريتو في كليمنتان ونهر باتانغاري في سومطرة وأنهار سولو وبارنتاس في جاوة ، وديغول ومامبيرامو وغيره في إيريان الغربية في جزيرة غينيا الجديدة .

تتصف أنهار ونهيرات هذه الشبكة بنظام جريان دائم يتأثر بالأمطار الاستوائية المدارية الهاطلة على مدار العام ، وبغزارات عالية كثيراً ما تسبب فيضانات في مجاريها الدنيا ، كما تتصف باستمرار الجريان ووفرة المياه ، مما يبعد عن بلدان هذه الأنحاء شبح العجز المائي الذي تعاني منه المناطق الجافة وشبه الجافة من العالم الإسلامي . وترتفع مياه الأنهار إلى حدين أعظمين يتفقان مع زمن الاعتدالين عادة (مارس وسبتمبر) .

هـ - شبكة الأحواض المغلقة :

تتألف هذه الشبكة في الواقع من مجموعة شبكات تشترك في خاصية أن أنهارها ومياه سيولها الدائمة أو المؤقتة لا تصل إلى البحار المفتوحة ، بل تنتهي في أحواض عديمة التصريف أو مغلقة .

وأبرز أنهار هذه المجموعة هي :

نهر جيحون (آموداريا) :

وطوله ٢٥٤٠ كم ومساحة حوضه ٣٠٩٠٠٠ كيلو متر مربع . وهو الذي يسمى بـ (النهر) في التراث الإسلامي . ينبع من جبال هندوكوش وبامير وجليدياتها وثولجها التي تزوده بمياه ذوبانها ، فتفيض في مارس وحتى مايو عندما تذوب الثلوج وتهطل الأمطار ، وفي أشهر الصيف عندما يذوب الجليد . وينقل نهر أموداريا إلى بحر آرال حيث ينتهي ، كميات ضخمة من المواد الصلبة المعلقة تبلغ ١٣٠ مليون طن سنوياً . وتصل غزارة مياهه المتوسطة إلى ٢٠٠٠ - ٢٢٠٠ متر مكعب في الثانية . ويعاني حوض النهر وبحر آرال من آثار كارثة بيئية مدمرة لم تتوقف بعد ، نشأت نتيجة سياسة مائية - زراعية فاشلة في العهد الشيوعي ، محورها تحويل مياه النهر إلى قناة ري صحراء قرة قوم ، مما أدى إلى اختصار بحر آرال ووادي النهر .

أما النهر التوأم لجيحون :

وهو نهر سيحون (سِرداريا) فطوله ٣٠١٩ كم ومساحة حوضه نحو ٢١٩٠٠٠ كيلو متر مربع وينبع من جبال آسيا الوسطى (تيان شان) ويمر بحوض فرغانة وينتهي في بحر آرال الذي لم تعد مياهه تصل إليه من جراء استنزافها في حوضه الأعلى ومنطقة طشقند . تغذيه ثلوج وجليديات الجبال بالمياه ، فيفيض في الربيع ، وتقدر غزارته الوسطية عند مصبه بنحو ٤٩٠ متراً مكعباً في الثانية قبل ضياع مياهه في غرينه المكّون لدلتاه على شاطىء بحر آرال .

وتصل إلى بحر آرال وأحواض طوران الأخرى مياه سيول قادمة من الشمال المعتدل البارد ، مثل مسيل نهر تورغاي الذي ينتهي في سبخة (سولونتشاك) شالكار تينيز ، ونهر كولان تبس الذي يصب في بحيرة تينغز المالحة . كما تخرج من شمالي كاراخستان مجارٍ تؤلف روافد لأنهار سيبيريا الغربية ، وهناك مجموعة أنهار تصب في بحيرة بيكال مصدرها جبال تربغتاي وجونغارية وبوروخورا .

وتصل إلى حوض طوران مياه أنهار قادمة من جبال كوبت - داغ وأفغانستان الشمالية في الجنوب ، يضيع معظمها في رمال ومواد دالاتها الجافة مثل نهر مورغاب وهري رود - تيجـين ، وروافد أموداريا . ومن الأنهـار التي تصب في بحـر قزوين المغلق نهر أمبه ونهر أورال ، ثم أنهار القفـقاس التي تنتهي على ساحل البحر الغربي وأهمهـا نهر التـيرك ونهـر الكورا وعشـرات الأنهار الصـغيـرة ذات النظام الثلجي - الجليدي المطري . كـذلك يتلقى بحر قـزوين مياه نهـر سفيد رود الـقـادم من جبـال البـورز التي تأتي منها عشرات النهيرات والسيول .

تستمر سلسلة الشبكات المائية المغلقـة في أحواض آسيا الوسطى في جونغارية حيث نهر أورونغو ، وفي طرفان حيث نهر ألغوي الناشىء من جليدية أوكين . لكن أهمها هو نهر تاريم في حوض تاريم - تكلاماكان .

يتألف نـهر تاريم من اجتـماع أنهـار ياركند وكوك شال وكـاشغـر وأك صو وخوتان عند بلدة غالدر ويسـير شرقاً على الحافـة الشمالية لصحراء تكلامـاكان حتى ينتهي في بحيرة لوب نور بعدما يقطع مسافة ١٨٥٠كم في حوض مساحته ٣٧٥٠٠٠ كيلو متر مربع . أما تغذيته فهي ثلجيـة - جليدية جبلية ، وتفيض مياهه فتخرج من المجرى ، مما يؤدي إلى تغييره وترنحه بين الشتاء والصيف .

كذلك تكثر الشـبكات المغلقة في الهضبة الإيرانيـة - الأفغانية حيث تسـتقبل أحواضهـا المغلقة العديدة الكثير مـن السيول الهابطة من الجبـال الهامشية للهـضبة . أهمها شبكة أنهار هلمند وخاش - رود وفره - رود وهاروت رود في حوض سيستان وبحيرة هامون منتـهى مياه المنطقة ، ومثلها شـبكات حوض جازموريان ودشت لوط ودشت كفير وغيره من أحواض أصغر تضيع في مما لحها وسباخها مياه شبكات السيول الجبلية ذات النظام المطري .

ولا يختلف الأمر كثيراً في بلاد الشام وشبه الجزيرة العربية حيث تكثر المنخفضات والأحواض المغلقة الصغيرة والكبيرة (خبراوات وسباخ ومستنقعات ... الخ) التي تشكل كل واحدة منها مع الأودية المنتهية إليها شبكة مستقلة . وهي ذات نظام مطري شتوي - ربيعي . أبرزها نهر بردى ونهر الأعوج ونهر قويق والذهب في سوريا ، ثم نهر الأردن ورافده اليرموك وهو أهم أنهار الشبكات المغلقة في هذا الجزء من العالم الإسلامي ، حيث ينبع الأردن من جنوبي لبنان وجبل الشيخ ويتجه جنوباً لينتهي في البحر الميت الآخذ بالتقلص ومستواه بالانخفاض (٤٠٣ متر تحت سطح البحر) . وكذلك تتشابه أوضاع الشبكات المغلقة في الصحراء الكبرى مع أوضاع الشبكات السابقة ، مع فارق أن الجريان في الصحراء الكبرى شبه معدوم ومياه السيول شحيحة جداً . وأهم هذه الشبكات شبكة تشاد وبحيرتها التي تنتهي إليها مياه نهر شاري البالغ طوله ١٥٤٠ كم ومساحة حوضه ٧٠٠٠٠٠ كيلو متر مربع وغزارته ١٢٠٠ متر مكعب في الثانية ، كذلك شبكة أنهار نغاداً وكوما دوغو - يوبه . وعشرات الأودية الجافة الموروثة عن عصور مطيرة سابقة .

وتكثر الأودية الجافة التي تنتمي إلى شبكات مغلقة مستقلة على أطراف جبال الأحجار وتيبستي ، حيث تتناثر المنخفضات والأحواض الصغيرة حولها وتؤلف مستوى أساس مياه السيول . وتتكرر هذه الصورة على جوانب جبال الأطلس في نطاق أودية المزاب ووادي جدي الذي ينتهي في شط الملغير ، لكن أبرز الأودية هو وادي غير - الساعورة ووادي زيز .

كذلك توجد شبكات مشابهة في هضبة النجود العليا حيث توجد الضيّات والشطوط في الجزائر .

وأخيراً تكثر الشبكات المغلقة في الشريط الأرضي الواقع شرقي إفريقيا بين منخفض الدناكل في الشمال ، وشرق حوض بحيرة فيكتوريا في الجنوب . إذ يضم هذا الشريط بحيرات عديمة التصريف تشكل مستوى أساس أنهار صغيرة عديدة ذات نظام جريان استوائي - مداري ، منها شبكات بحيرات إياسي ، ومانيار ونطرون وبارينغو وغورفونجي الانهدامي والبحيرات المرتصفة على طوله .

و - الأنظمة المائية للجريان السطحي في العالم الإسلامي :

تنتشر في العالم الإسلامي أنظمة مختلفة للجريان المائي تنضوي تحت مجموعات الأنظمة الرئيسة المعروفة في العالم . والأنظمة الموجودة في العالم الإسلامي هي :

١ - النظام المطري للجريان :

وفيه تخضع مياه الأنهار فيضاناً وشحاً وحركة وجرياناً لكميات الأمطار التي تغذي النهر وحوضه ، ولتقلبات كميات الأمطار ومواسمها ومعدلاتها والانحراف عنها . ويسود هذا النظام في أحواض نسبة عالية من أنهار العالم الإسلامي ولاسيما التي تقع منابعها بعيداً عن الجبال والمرتفعات العالية التي تكللها الثلوج والجليديات مثل أغلب جبال آسيا الوسطى وجبال الأناضول والقفقاس ، أو الأنهار التي تنبع من عروض مدارية - استوائية لا يتساقط فيها الثلج ، كما هو الحال في نهر النيل ونهر النيجر . وتختلف مواسم الشح والفيضان في أنهار النظام المطري بحسب مواسم المطر والجفاف، بحيث يحدث الفيضان مع حلول موسم المطر، والشح في موسم الجفاف وانقطاع التساقط. كما أن هذا النظام يؤثر في المجاري الدنيا لأنهار تمتد أحواضها على أكثر من نطاق مناخي (الفرات ودجلة مثلاً) أو على نطاقين تصاريسيين متباينين (جبال عالية وسهول منخفضة) كما هو الحال في نهر السند ونهر الجانج - براهمابوترا.

وتعد أنهار إندونيسيا وخليج غينيا أمثلة نموذجية لنظام الجريان المطري .

٢ - نظام الجريان البسيط (العادي) :

ويسود في الأنهار المتأثرة بالتساقط والتبخر - النتح ، ويشتمل على أنهار إندونيسيا وخليج غينيا ومناطق الأمطار المحيطية ، وتبرز فيها أعلى قيم الجريان في الشتاء ، وأدناها في الصيف المتأخر . وتكون الفروق بين الفيضان والشح في هذا النظام ضئيلة في النطاق الاستوائي ، لكنها تصبح واضحة في النطاق المداري الهامشي

حيث تتفق فترة الفيضان مع وقوع الأشعة الشمسية عمودية . والغالب في أنهار الجريان البسيط أن تتأثر المياه بمصدر واحد مطراً كان أم ثلجاً ، من دون تداخل بين مصادر التغذية . لذا كانت أنهار هذا النظام قصيرة أو متوسطة الطول تنبع وتنتهي في نطاق مناخي واحد أو نطاقات متشابهة من حيث سيادة أنظمة التساقط والجريان . ففي الجبال العالية في العروض المتوسطة يسود نظام الجريان الجليدي في جبال آسيا الوسطى والقفقاس التي تغطي فيها الثلوج الدائمة والجليديات نسبة ١٥ - ٢٠٪ من مساحة أحواض الأنهار .

٣ - النظام الثلجي :

يتحكم هذا النظام بجريان مياه أنهار جبال آسيا الوسطى التي تسقط عليها الثلوج سنوياً وبكميات كبيرة تتحول في الارتفاعات الكبيرة فوق ٤٠٠٠ - ٤٥٠٠ متر إلى ثلوج دائمة وجليديات . وكذلك في كثير من الأنهار الجارية في البقاع الجبلية الأخرى . ولاسيما في مجاريها العليا الواقعة في الجبال . كالفرات والبراهمابوترا وجيحون وتاريم وأنهار غيرها تتزود بمياه ذوبان الثلوج . وقد تتضافر الجليديات مع الثلوج في رسم منحنى الفيضان والشح في جريان بعض الأنهار التي تنبع من جبال عالية أو شاهقة الارتفاع مثل أنهار جبال الهيملايا والقفقاس وبامير وكرا كوروم وغيرها . حيث تقع فترة الفيضان في الصيف بالنسبة للأنهار التي تتغذى بمياه ذوبان الجليد ، وفي الصيف والربيع إذا كانت تتزود بمياه ذوبان الجليد والثلج .

٤ - نظام الجريان المعقد (المركّب) :

وهو نظام تتداخل فيه أنظمة جريان عدة في نهر واحد . فقد يتداخل النظام المطري مع الثلجي ، أو مع الثلجي والجليدي . كما في الأنهار الكبيرة في شبكة أنهار المحيط الهندي (السند والجانج - براهمابوترا) . لكن التعقيد لا يقتصر على مصدر المياه مطراً كان أم ثلجاً ذائباً أو جليداً ذائباً ، بل على مواسم التساقط لنموذج واحد من نماذج التساقط كما هو الحال في نظام جريان نهر النيل الذي يكون التساقط

فيه مطرياً لكنه يتدرج من مطري استوائي إلى مطر مداري وفوق مداري ومتوسطي ، وكذلك في نظام جريان نهر النيجر .

إن تعدد أنظمة الجريان في أنهار العالم الإسلامي له نتائج إيجابية من حيث تنوع أشكال الاستفادة من مياهها في أوقات ومواسم السنة المختلفة ، وفي بيئات جغرافية متفرقة ، وغيرها من الأمور التي تنعكس على التوزع السكاني والعمراني الاقتصادي ، وارتباطها بالماء السطحي .

ز - المياه الراكدة (البحيرات والبحار الداخلية) في العالم الإسلامي :

في العالم الإسلامي الكثير من مساحات المياه الراكدة في أخفض أجزاء الأحواض المغلقة أو التي تعترض مجاري الأنهار (أعالي نهر النيل مثلاً) . منها ماهو صغير مثل البرك والمستنقعات والسباخ والبحيرات الصغيرة ، وهي الأكثر عددا ، ومنها ماهو واسع وكبير مثل بحيرات فيكتوريا وبلخاش وإيسيك كول وأورمية ووان وتوبا والبحر الميت وبحر آرال وبحر قزوين . كذلك تفترق المياه الراكدة من حيث طبيعة مياهها ، فمنها العذبة ، ومنها المالحة ومنها ذات المياه الآسنة والمجة (أي المُرَّة) وغيرها .

١ - البحيرات :

تقسم البحيرات في العالم الإسلامي إلى مجموعتين كبيرتين هما :

* بحيرات من أصل بنائي (تكتوني) : وهي البحيرات التي تشكلت في منخفضات وأحواض نشأت نتيجة حركات بنائية التوائية أو انهدامية - صدعية كما في بحيرات جبال آسيا الوسطى والعديد من بحيرات آسيا الصغرى وإيران وغيرها ، التي يغلب عليها الأصل البنائي الالتوائي . أما البحيرات الانهدامية - الصدعية الأصل فتكثر في نطاق الأخدود الإفريقي العظيم في بلاد الشام وأغوار الأردن - فلسطين مثل بحيرة طبرية والبحر الميت ثم بحيرات شرقي إفريقيا الكثيرة مثل بحيرات نياسا وتنجانيقا وألبرت ورودولف وغيرها .

ومن بحيرات هذه المجموعة بحيرات الفوهات البركانية وتشمل الفوهات العادية والمار والكالديرات والقيعان في الأغشية الاندفاعية . وتشاهد هذه البحيرات في البقاع البركانية من العالم الإسلامي ولاسيما في إندونيسيا وشرقي إفريقيا وفي بلاد الشام والأناضول ، وفي براكين منعزلة مثل واوالناموس في سرير تيبستي في الصحراء الكبري .

* بحيرات من أصل حتي- رسوبي : وتشتمل على بحيرات ومستنقعات الأحواض الحتية ومنخفضات التعرية الريحية والتحلل الكارستي . وهي كثيرة وتعد بالآلاف مثل الجراوات (تاكيرات) والسباخ والمستنقعات المنتشرة في صحاري وأشباه صحاري العالم الإسلامي . كذلك تكثر بحيرات الأصل الكارستي في حوض البحر المتوسط وهضابه وجباله ذات الصخور الكلسية وكذلك في القفقاس وفي ألبانيا والبوسنة والهرسك . وتدخل في هذه المجموعة بحيرات محدودة العدد من أصل جليدي متخلف عن تراجع جليدي سابق ، في الشمال الإسلامي . وكذلك البحيرات الساحلية بأنواعها وأصولها المختلفة .

أما البحيرات ذات الأصل الرسوبي فنشأت نتيجة قيام رسوبيات بسد الطريق أمام المياه الجارية ، منها بحيرات سدود الانهيارات الصخرية والانزلاقات الأرضية التي تكثر في جبال آسيا الوسطى والأناضول وفي المناطق المطيرة . وللأغشية البركانية - الاندفاعية دور مشابه في نشوء بعض البحيرات في مناطق جنوب شرقي آسيا وبلاد الشام وشرقي إفريقيا حيث قامت الحمم البركانية الزاحفة باعتراض سير بحارٍ مائية ، وحجزت مياهها مشكلة بحيرات أو مستنقعات .

إن الأكثر شيوعاً في العالم الإسلامي هو أن مياه البحيرات الرئيسة عذبة . لكنها تصبح مالحة بنسبة متفاوتة في كثير من بحيرات المناطق الجافة وشبه الجافة نتيجة التبخر الشديد وقلة ما يصب فيها من مياه أنهار وسيول أو يسقط عليها من أمطار ، مما يرفع من تركيز الأملاح . كما في بحيرات توزغول وإيسيك كول وبحر آرال

والبحـر الميت وبحيـرة بلخاش ذات النصف الشـرقي المالح والنصف الغربـي العذب المياه. ويدخل في هذه المجمـوعة بحر قزوين وأعداد كـبيرة من السباخ والمسـتنقعات المالحة في صحاري وأشباه صحاري العالم الإسلامي،وعلى امتداد سواحله المنخفضة.

وتختلف نسبة ملوحة المياه بين السباخ التي تتشكل على سطحها قشرة ملحية في موسم الجفاف في الصـيف ، ومياه البحيرات الدائمة التي تقـدر ملوحتها بـ ٥ر٨ بالألف في إيسيك كول و ٩,١٠ بالألف في بحر آرال و ١٢ - ١٣ بالألف في بحر قزويـن و ٢٠٠ - ٣٠٠ بالألف في خليج قره بوغـاز ، و ٢٨٨ في ميـاه السطح و ٣٢٥ في مياه قاع البحر الميت .

تتأثر حـرارة مياه البحـيرات بالعروض الجـغرافيـة والفروق الحرارية اليومـية والفـصلية . إذ تـسود درجـات حرارة دون ٤ درجـات مـئوية سنـوية في بحيـرات كازاخستان الشمالية وبحيرات الجبال العالية في آسيا الوسطى ، تتجمد مياه بعضها ، كما في بحيـرات بامير والتبت الواقعـة على ارتفـاع ٥٠٠٠ مـتـر أو أكثر . أما باقي بحيرات العالم الإسلامي فدرجة حرارة مياهها أعلى من ٤ درجات مئوية .

ويلاحظ على البـحيـرات أنها تنتـشر في العـالم الإسلامي علـى هيئـة زمر وزرافات في أغلب المناطق كما في بحيرات البقاع البركـانية والبقاع الكارستية والبقاع الانهدامية والساحلية والبقاع الجـافة . ولكل قاعدة شواذها . كذلك يلاحظ أن الكثير من البحيرات ذات التغذية الدائمة والمنتظمة يحافظ على حجم مياهه ومساحته بصورة عامة بينما توجد بحيرات تتعرض مياههـا لتذبذب كبير من حيث الكمية والانتشار بين فصل وآخر وبين سنوات وأخرى وبين عصر وآخر ، تبعاً لسيادة شروط مناخية مطيرة ومعتـدلة الحرارة أو شروط جفاف وحرارة عـالية. وفي العالم الإسلامي أمثلة كـثيرة على تحول بحيرات كبيرة إلى مستنقعـات أو سباخ ، مثل بحيرة دمشق الرباعية القديمة التي تحولت إلى مستنقع بحيرة العتيبة. ومثل البحر الميت الذي انخفض مستوى مياهه من ٣٨٠ متراً تحت سطح البحـر عام ١٣٨٠هـ (١٩٦٠م) إلى ٤٠٣ متر تحت سطح البحـر عام ١٤١٦هـ (١٩٩٥م) - مع عدم إغـفال دور الإنسـان في ذلك - ، وبحر

آرال الذي كان للإنسان دور كبير في تقليص مساحته من ٦٦٥٠٠ كيلو متر مربع قبل عام ١٣٨٠هـ (١٩٦٠م) إلى ٣٦٥٧٠ كيلو متر مربع في عام ١٤١٦هـ (١٩٩٥م) ، وتعريض حوضه لأخطر كارثة بيئية في تركستان (شكل رقم ٨) وتبقى بحيرة تشاد وتقلبات أوضاعها المائية مثالاً نموذجياً لما تتعرض له بحيرات المناطق الجافة من تغيرات طبيعية .

يبلغ العمق المتوسط لمياه بحيرة تشاد ١ - ٣ أمتار وكمية الأمطار الهاطلة على حوضه ٣٣٠ ملم سنوياً ومقدار الصبيب المتوسط لنهر شاري وشبكة أوديته ٤٠ مليار متر مكعب والتبخر السنوي يصل إلى ٢٢٠٠ ملم . لكن هذه المتوسطات السنوية تخضع لتغيرات كبيرة من حيث كميات مياه الأمطار والنهر والأودية السيلية ، تنعكس على استاع البحيرة . ففي شهر يونيو تتقلص مساحة البحيرة إلى نحو ١٠٠٠٠ كيلو متر مربع ، لكنها تتسع إلى أكثر من ٢٥٠٠٠ كيلو متر مربع في شهر ديسمبر عندما يصبح عمق المياه ٦ أمتار . هذا ومن ناحية أخرى فإن بحيرة تشاد اليوم هي وريثة بحيرة أكبر كانت تمتد حتى هضبة اينيدي في شمالها الشرقي في مطلع الزمن الرابع الجيولوجي ، لكنها تعرضت للجفاف والتراجع .

٢ - البحار الداخلية :

في العالم الإسلامي أكبر بحر داخلي أو (بحيرة داخلية) في العالم هو بحر قزوين ، الذي تبلغ مساحته ٣٧١٠٠٠ كيلو متر مرفع (١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م) وأكبر عمق فيه ١٠٢٥ متراً وارتفاع مستوى مياهه - ٢٨ متراً علماً أن مساحته كانت ٣٧٢٠٠٠ كيلو متر مربع قبل عقدين من الزمن ، ومستوى مياهه كان على ارتفاع ٨٨ متراً في العصر الجليدي الأخير وكان متصلاً بالبحر الأسود . ويميل الرأي إلى أن انخفاض مستوى مياهه وانعزاله يرجع إلى التغيرات المناخية، ورأي آخر يرى أن السبب بنائي (تكتوني) نتيجة نهوض مرتفعات ستافروبول وشمالي بلاد الشركس ، مما فصل بين البحرين ، لكن انخفاض مستوى المياه يرجع إلى عوامل مناخية بالدرجة الأولى .

تراوح ملوحة مياه بحر قزوين بين ٠,٧٥ بالألف عند مصاب نهر الفولغا وأنهار القفقاس ، و ١,٤ بالألف في بقية المياه ، وترتفع في خليج قره بوغاز ومساحته ١٨٣٠٠ كيلو متر مربع إلى ٢٥٠ بالألف وسطياً . وعلى العموم فإن مستوى مياه بحر قزوين ينخفض ببطء من جراء تناقص ما يرده من مياه الأنهار التي يستخدمها إنسان أحواضها لأغراضه المدنية والاقتصادية .

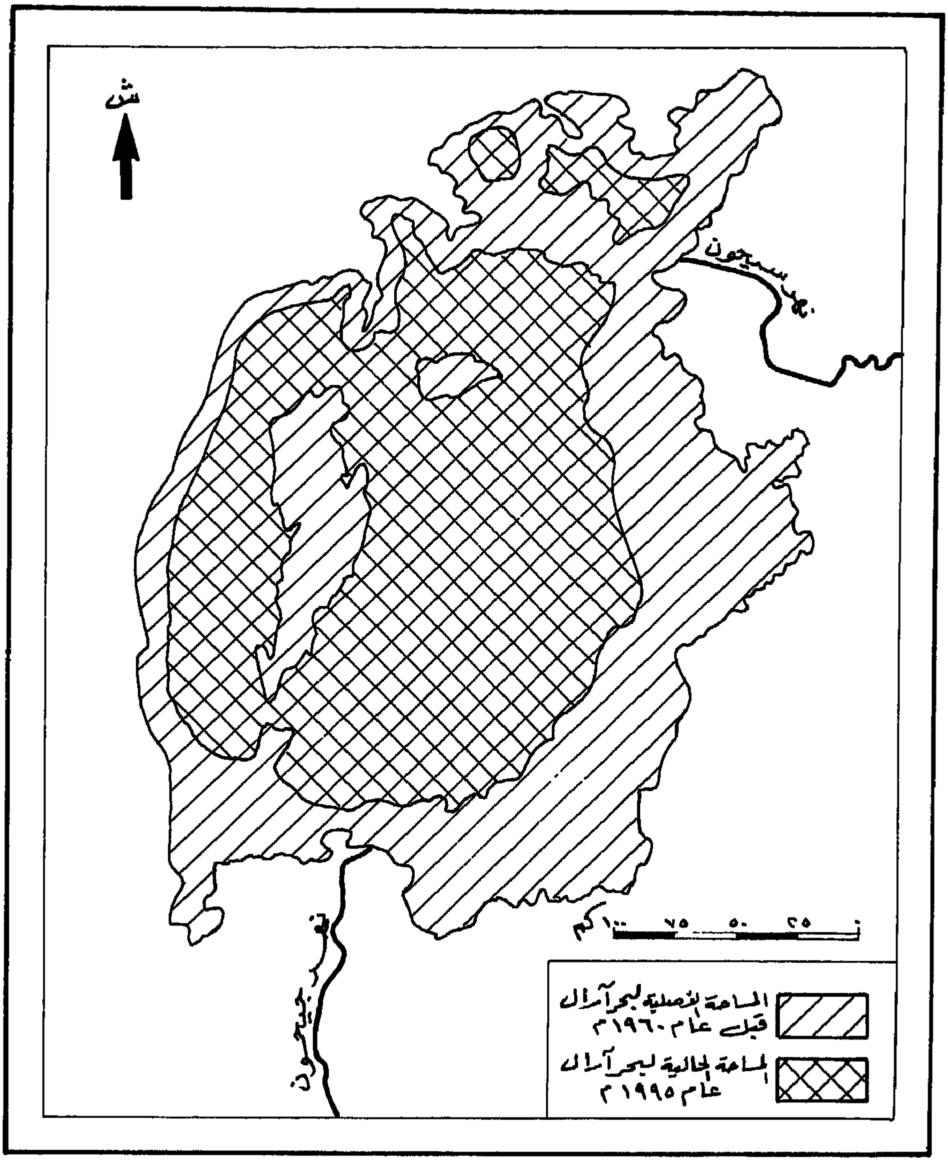
ثانياً : المياه الجوفية :

أخذت أهمية هذه الثروة الطبيعية بالتزايد في المناطق الجافة وشبه الجافة في العالم الإسلامي منذ نحو نصف قرن مضى ، نتيجة التطورات الكبيرة التي طرأت على عمليات التنمية الاقتصادية والاجتماعية التي أفرزها التزايد الكبير لأعداد السكان والتوسع في إعمار الأرض واستعمالها في البقاع التي تعاني من عجز في المياه السطحية .

والمياه الجوفية في العالم الإسلامي نوعان هما :

أ - المياه الجوفية المتجددة :

وتوجد خزانات جوفية وطبقات حاملة لها ، بشكل حر أو ارتوازي ، في أغلب أصقاع العالم الإسلامي ولاسيما في كتله وسلاسله الجبلية وهضابه ومرتفعاته الأخرى وهوامشها والأحواض القريبة منها أو بينها . حيث تقوم كميات التساقط المطري والثلجي السنوي بتزويد المياه الجوفية بما يمكن أن تفقده عن طريق الينابيع والاستعمالات البشرية وتجديد هذا الفاقد وتعويضه سنوياً دون الإساءة إلى الاحتياطي المائي والمخزون الجوفي منه . كما هو الحال في أقاليم العالم الإسلامي في شرقي وجنوب شرقي آسيا وفي آسيا الجنوبية الموسمية وآسيا الجبلية والوسطى وجبال غربي آسيا وما حولها والمناطق الاستوائية - المدارية المطيرة في إفريقيا ومرتفعاتها . وباقي البقاع الخارجة عن نطاق الأراضي الجافة وشبه الجافة في العالم الإسلامي .



شكل (٨) تغير مساحة بحر آرال بين عامي ١٩٦٠م، ١٩٩٥م

المصدر : Fischer Weltalmanch , 1996

يختلف عمق المياه الجوفية المتجددة بين مكان وآخر، يزيد على مئات الأمتار كما في بعض أحواض الهلال الخصيب وآسيا الصغري والأطلس وإيران وهوامش جبال آسيا الوسطى وشرقي إفريقيا وغيرها ، أو يقل عن المتر ، بل وتظهر المياه على السطح في مناطق الأمطار الاستوائية والموسمية وفي دالات الأنهار الكبرى وسهولها الفيضية . كما في إندونيسا وبنغلاديش وغيرهما . كذلك يختلف العمق بحسب الفصول ، إذ يزداد في المواسم الجافة ويقل في مواسم الأمطار وذوبان الثلوج . وبحسب هذه المواسم وبحسب المواقع الجغرافية للأحواض والطبقات الماذية الجوفية وما يصلها من مياه التساقط ، تتفاوت كميات المخزون المائي الجوفي في العالم الإسلامي .

وتعاني المياه الجوفية ولاسيما العميقة ، من مسألة ارتفاع ملوحتها في كثير من أنحاء العالم الإسلامي ، وبخاصة الأنحاء شبه الجافة وحيث اعتماد الإنسان على هذا المورد الطبيعي كبير وآخذ بالتزايد ، كما في هوامش حوض طوران وأحواضه الثانوية مثل حوض بخاري - كارسين وحوض زرفشان وحوض قيزيل قوم وبوادي الهلال الخصيب وهوامش جبال الأطلس وإقليم الساحل الإفريقي ، وغيره .

ب - المياه الجوفية القديمة (الاحفورية أو المستحاثة) :

وتعرف بـ (الجيولوجية) أيضاً ، وهي مصدر مائي غير متجدد ، مخرون في طبقات صخرية حاملة للمياه منذ عشرات آلاف السنين ، تسربت إليها عندما كان المناخ مطيراً رطباً في مناطق وجود أحواض هذه المياه وما حولها . وقد تم الكشف حتى الآن عن أحواض واسعة جداً في صحاري العالم الإسلامي في الجزائر في أحواض تنزروفت والعرق الشرقي ، وفي ليبيا في أحواض فزّان والسرير والكفرة . وفي مصر في حوض الصحراء الغربية المتصل بحوض الكفرة، وفي شبه الجزيرة العربية في حوض النفود وحوض الرياض وحوض الربع الخالي وفي أحواض صغيرة في صحاري طوران .

ويعد هذا المصدر مهماً في إطار التخفيف من حدة أزمة العجز المائي في المناطق الجافة في العالم الإسلامي ، لكنه يواجه مشكلات عديدة أبرزها : أنه مصدر غير متجدد مهدد بالنضوب بالاستعمال أولاً ، وأنه عميق الغور ثانياً ، وأن مياهه مالحة تحتاج إلى معالجة أو إلى مزجها مع مياه عذبة (مياه مدينة الرياض مثلاً) ثالثاً ، مما يستدعي الحذر الشديد في الاعتماد على هذا المصدر المائي على المدى الطويل ، أو النظر إليه أنه حل دائم نهائي لأزمات النقص المائي . ولا يجب المساس به إلا في ظروف اضطرارية مؤقتة وبأسلوب مدروس .

المسألة المائية في العالم الإسلامي :

يقسم العالم الإسلامي من حيث ثرواته المائية إلى قسمين أساسيين هما القسم الشرقي والجنوبي الذي يضم البلدان الاستوائية المطيرة والمدارية - الموسمية في أرخبيلات إندونيسيا وماليزينا ، وأغلب أصقاع حوض المحيط الهندي . ثم جبال آسيا وهوامشها ، وأنحاء إفريقيا الاستوائية وغيرها من بقاع تتمتع بوفرة في المياه السطحية والجوفية . ثم القسم الغربي والشمالي الغربي الذي يشمل بقية أنحاء العالم الإسلامي الجاف وشبه الجا ف ، التي تعاني من قلة في المياه العذبة .

ففي القسم الأول لا توجد مسألة مائية ملحة ناشئة عن نقص أو عجز في الرصيد المائي ، بل على العكس فإن وفرة المياه الزائدة تسبب في بعض الأنحاء مشكلات بيئية وأضراراً مثل تعرية التربة وتجريفها ، وتخريب الحقول والمنشآت البشرية والاقتصادية بالفيضانات ، وهطول الأمطار الغزيرة ، لاسيما إذا صاحبتها الأعاصير المدارية ، كما يحصل في بنغلاديش .

أ - مشكلة المياه في المناطق الجافة في العالم الإسلامي :

أضحت مسألة العجز المائي ونقص المياه العذبة في المناطق الجافة وهوامشها شبه الجافة ، أخطر المشاكل التي يواجهها العالم الإسلامي، وتهدد مستقبله القريب.

وهي في تأزم وتفاقم متزايدين يوماً بعد يوم في بلدان المناطق المذكورة حتى في تلك التي منحها الله عز وجل مصادر مائية مهمة على شكل أنهار وفيرة المياه مثل نهر النيل والفرات والسند والنيجر وغيره . والسبب يرجع إلى اختلال التوازن بين طرفي معادلة بسيطة ، طرفها الأول ثابت تقريباً ، وهو المياه وكمياتها في العالم الإسلامي ، وطرفها الثاني متغير باتجاه الزيادة ، وهو أعداد السكان الذين يتزايدون بنسب نمو عالية تتصف بها المجتمعات الإسلامية ، إضافة إلى التزايد المضطرد في متطلبات السكان واحتياجاتهم من المياه النقية والعذبة في المجالات المدنية والاقتصادية وأسباب الحياة الأخرى . وتتحول المشكلة إلى كارثة طبيعية حقيقية إذا تعرضت منطقة تقع في نطاق مائي حرج ، كميات مياهها تكافيء احتياجاتها منها ، إلي موجة من الجفاف لعدة سنوات عجاف سببها التغيرات المناخية القصيرة الأمد كما هو الحال في أنحاء مختلفة من العالم الإسلامي مثل الصومال وبلدان إقليم الساحل الإفريقي (من السودان غرباً حتى موريتانيا والسنغال) ، حيث بلغت مسألة العجز المائي والجفاف حدود كوارث أدت إلى مجاعات قضت على ملايين البشر والحيوانات في العقود الثلاثة الماضية وخاصة سنة ١٣٩٣هـ (١٩٧٣م) ، وسنة ١٤٠٥هـ (١٩٨٤م) .

إن ثروات المناطق الجافة وشبه الجافة في العالم الإسلامي من المياه ثابتة الكميات تقريباً على المدى الطويل ، فالثروة المائية السطحية لبعض البلدان الإسلامية، على سبيل المثال لم تتغير منذ عقود عرفت فيها كمياتها وقيست ، كما في الجدول رقم (٣) .

جدول رقم (٣) الثروات المائية في العالم الإسلامي .

الدولة	الثروة المائية السطحية	الدولة	الثروة المائية السطحية
الباكستان	١٦٤ مليار متر مكعب	سوريا	٢٩ مليار متر مكعب
إيران	٤٢ مليار متر مكعب	فلسطين والأردن	١,٥ مليار متر مكعب
العراق	٨٦ مليار متر مكعب	مصر والسودان	٨٤ مليار متر مكعب

وبمقارنة هذه الأرقام شبه الثابتة بأعداد سكان هذه البلدان ونموها السريع وارتفاع معدلات استهلاك الفرد من المياه في أثناء ثلاثة عقود ماضية فقط ، تتضح صورة المشكلة وحجمها وضخامة الأزمة التي تواجه الكثير من بلدان العالم الإسلامي التي تعاني من عجز مائي . وتزداد المسألة حدة وخطورة في البلدان الخالية من مصادر مياه سطحية دائمة وأنهار مثل موريتانا وليبيا وبلدان شبه الجزيرة العربية .

أمام الأزمة ، أو الحاجة المتزايدة إلى الماء العذب ، وعدم كفاية المياه السطحية لتلبية الطلب المتزايد عليها لجأت البلدان المعنية إلى إقامة السدود للاستفادة من أكبر قدر ممكن من المياه المهدورة فكثرت السدود على أنهار السند والفرات ودجلة وروافدهما ، والنيل وروافده ، وعلى أنهار إيران وأفغانستان والمغرب ، وفي أودية اليمن وعُمان وفي السعودية التي تسعى إلى بناء ٦٠ سداً. لكن ذلك لن يغير من واقع طبيعي ، هو أن كمية المياه في الطبيعة لا يمكن زيادتها بالسدود وغيرها ، ولكن يمكنها التقليل من الهدر وتحسين أساليب استعمال كميات أكبر من المياه السطحية .

ومما يزيد أزمة المياه السطحية حدة ، هو أن المشكلة لا تقتصر على كميات المياه المتوافرة ، بل تتعداها إلى نوعيتها الآخذة بالتردي والتلوث . فمعظم الانهار الكبيرة والمهمة في العالم الإسلامي لا تجري فيها مياه طبيعية نقية. فأغلبها قامت عليها حضارات زراعية قديمة واستمر استغلال مياهها حتى اليوم مما كان يزيد في ملوحتها ولو بمقدار ، بخاصة في أحواضها الدنيا والوسطى حيث النشاط البشري الكثيف . لكن الأمر لم يكن خطيراً بقدر ماهو عليه منذ استعمال الأسمدة الكيميائية والمبيدات الزراعية وغيرها مما تسرب إلى مياه الأنهار، وما يقذف فيها من فضلات الإنسان ونفاياته وما يرمى فيها من القطاع الصناعي من ملوثات ومخلّفات رفعت من نسب التلوث إلى درجة عجزت المياه عن تنقية نفسها بنفسها بصورة طبيعية .

دعت الحاجـة وإحلاح المسـألة المائية إنسان العالـم الإسلامي إلي الاهتـمام المتزايد بالمصدر المائي الجوفي لسد العجز المائي . فبدأ باستغلال مياه الطبقات السطحية أولاً ، لكن الحاجـة دفعتـه للتعمق بحـثاً عن الميـاه في طبقات أعـمق وأقدم . لكن الاستغلال الكبير وغير المنظم أو المقنن للمـياه أدى إلى الإساءة إليها فتناقص مخزونها وانخفض مـستواها في أحواض كـثيرة ، لدرجة نضـبت معها ميـاه بعض الأحواض الجوفية في بلاد الشـام وبلدان إسلامية أخرى . كذلك أدى الاستخـراج الجائر للمياه الجوفية بالمحركـات القوية إلى ارتفاع نسبة الملوحة فيها . وممـا يزيد المسألة تعقيداً هو اختـلال التوازن بين ما يستـخرج من الحوض الجوفي ومـا يرده من مياه تجدد الفـاقد وتعوضه ، مما يؤدي إلى تـدهور نوعية المياه وتركيـبها الكيمائـي مع ازدياد عمق المياه الجوفـية ، ولاسيـما إذا كانت المـياه المترشـحة ملوثة وغيـر نقية لمـرورها بهواء وتربة ملوثتين .

أما فيما يتعلق بالمياه الجوفية القديمة غير المتجددة ، فإن تملحها سيتضاعف مع ازدياد استـغلالها وارتفاع كـميات المرفـوع منها ، لأنها في الأصل مـياه غير نقـية . وبغض النظر عن مسألة نوعيتهـا فإن هذا المصدر المائي غير دائم، وقد ينقطع في زمن أقصر مما يتوقع لبعض أحواضه في الصحاري الإسلامية . نتيجة الضخ الكبير لتنفيذي مشاريع ري ضخمة،كما هو الحال بالنسبة لمشروع النهر العظيم في الصحراء الليبية.

كما تتصف مصادر المياه ، وبصورة أدق مياه الأنهار الدائمة الجريان في العالم الإسلامي بأن المهمة والعالية التصريف منها تأتي من خارج الأراضي الإسلامية أو من بلدان غـير إسـلاميـة ولو كانت فـيـها نسـبة عـالية من المسـلمين ، مثل نهـر النيل والراهمابوترا والجـانج وغيرها من أنهـار أقل قيمـة . كذلك تتصف أنهـا أنهار تقطع حدوداً سـياسية بين بلدان إسـلامية وهذا يعني بلغـة أخرى ، أن غالبيـة الأنهار ذات صفة دولية ، يخضع تقسيم حصص مياهها إلى قوانين واتفاقيات .

البيئة الحيوية

أولاً : النبات الطبيعي :

يقع العالم الإسـلامي بالنسبة لنبـاته الطبيعي في نطاقـات تنتمي إلى المملكة النبـاتية المدارية القـديمة Palacotropic في الجنوب ، وإلي المملكة الـنباتيـة القطبية Holarktuis في الشمـال . ومن نباتات هاتين المـلكتين تسود في العـالم الإسلامي الأنواع العائدة إلى العـائلات النباتية الصحراوية – السنديـة والمتوسطية والقفقـاسية – السـيبـيرية والإيرانيـة – الطورانيـة ، وفي أقصى الجنوب الشـرقي العـائلة الهندية – الباسيفيكية .

إن الإحاطة بأنواع النبات وأصنافـه أمر شبه مستحـيل . لأن تقديرات أعداد أنواع الكائنات الحية والنبات في العالم تراوح بين ١,٤ – ٤ ملايين ، وبعضها يرفع الرقم إلى ٣٠ مليـون نوع . أمـا التـوزيع العـام للنبـاتات عـلى المناطق والنطاقـات الجغرافية على النحو التالي :

١ – نطاق الغابات الاستوائية المطيرة :

ويمتد على شـريط يبدأ في الشـرق من أرخبيل إندونيـسيا وينـتهي في بلدان خليج غينيا في إقليم غربي إفريقيا ، مع بعض الانقطاعات في الهند وشرقي إفريقيا . وقد قدر عدد المجموعات النباتية في الغـابة الاستوائية بنحو ٥٠٠ مجموعة ، مما يدل على أنوع كثـيرة جداً حـيث عثر علـى ٧٠٠ نوع من الأشجار على مـساحة عـشرة هكتارات في جزيرة كليمنتان وحدها .

وتتميز هذه الغابات بأشجارها الباسقة التي ترتفع حتى ٥٠ متراً وأكثر وتؤلف طابقاً عالياً ، وأوراقها ورؤوسها التيجانية تحجب الأشعة الشمسية والضوء عن أرض الغابة ، وعن أشجار متوسطـة الطول تؤلف طابقاً متوسطاً ، دونه طابق ثالث مؤلف من شجيرات قصيرة وأعشاب طويلة . ومعظم الأشجار والنباتات هنا، دائمة الخضرة

إلا القليل. وتكثر في الغابة الاستوائية النباتات المتسلقة التي تلتف حول الأشجار وتربط بينها مؤلفة شبكة كثيفة تقلل من شدة الرياح. أما أكثر الأنواع انتشاراً فهي أشجار النخيليات مثل Oreodoxa, Bactris, Nipa . ونخيل الأريكو Areco الذي يكثر في جنوب شرقي آسيا . ونخيل السوغا ، ثم أشجار المطاط في إفريقيا وماليزيا . وتنمو في الطابق الأدنى أنواع السرخسيات والخيزران . كذلك تنمو على سواحل هذا النطاق أنواع مختلفة من القرم (المانجروف) ، ولاسيما في وحول الدالات النهرية ومصابها والخلجان الخورية المعرضة لحركة مد وجزر ومن أنواعها قرم ابن سينا Avicennia المنسوب علمياً عالمياً إلى العالم المسلم ابن سينا .

تقدم هذه الغابة أخشاباً وثماراً طبيعية كثيرة ، يعيق عدم تجانس أشجارها أعمال قطعها على نطاق كبير ، مما أدى إلى حمايتها جزئياً . أما المساحات التي قطعت أشجارها فتنتج المطاط والموز والكاكاو وزيت النخيل في شرقي النطاق وغربيه.

٢ - الغابات المدارية الرطبة (الموسمية) :

وتنتشر في بنغلاديش وأقدام الهيملايا وغربي الهند وفي إندونيسيا الشرقية ، على هوامش الغابات الاستوائية ، وإلى الشمال من دائرة العرض ٧ درجات شمالاً . وتتصف أشجارها بتعدد أنواعها النفضية وبقصر أشجارها بالمقارنة مع أشجار الغابة الاستوائية ، التي تكون أكثف من الغابة الموسمية ، لكن الأخيرة غنية بالأشجار ذات القيمة الاقتصادية العالية مثل أشجار الساج والسال والصندل والبينكادو والبانيان .

تتعرض الغابة الموسمية لبعض الحرائق في فصل الجفاف مما يؤدي إلى خسائر كبيرة، وكانت السبب في انقراض مجموعة نباتية من عائلة الـ Scitamineae .

أما ما يسمى بالغابة المدارية الجافة والتي تنسبها بعض التصنيفات النباتية إلى نطاق السافانا الرطبة ، فتنتشر على هوامش حوض الكونغو الشرقية الداخلة في العالم الإسلامي وفي أجزاء من السودان ، ومن أشجارها شجرة خبز القرد Adansonnia ونخيل الدو Hyphaene ثم الجفافيات Xerophytes . والسنطيات مثل السنط والطلح . كما تنمو في أرض هذا النطاق أعشاب السافنا الرطبة .

٣ – نطاق السافنا :

تتدخل نباتات هذا النطاق مع النطاق السابق بألسنة وجزر نباتية انتقالية مبعثرة في أنحاء متفرقة في شمالي الهند والباكستان وشرقي إفريقيا ومرتفعات بحيراتها وفي القرن الإفريقي . أما نطاق السافنا الصرفة فيؤلف شريطاً نباتياً مستمراً يمتد من المحيط الأطلسي حتى منطقة البحيرات المذكورة بين دوائر العرض ٥ – ٧ و ١٠ – ١٥ درجة شمالاً ، والسافنا هي موطن الأعشاب المدارية التي تناثر فيها الشجيرات القصيرة (٣ – ٥ أمتار) . أما الأعشاب فهي طويلة في الأجزاء الأقرب إلى الاستواء ، وقصيرة باتجاه المدار . وأهم أنواع الأعشاب أعشاب الفيل ومن الأشجار السنطيات (السنط والطلح) والتمر الهندي والنباتات العصارية (الحافظة للعصارات) والنباتات الشوكية . وتصنف السافنا إلى سافنا رطبة وسافنا جافة و سافنا الجبال والهضاب .

والسافنا من المراعي الجيدة لتربية الأبقار ولاسيما في السافنا الرطبة. ويقوم السكان بحرق أعشاب السافنا لإفساح المجال لنمو أعشاب جديدة . كما قاموا بتحويل مساحات من السافنا إلى أرضٍ زراعية في السودان ودول إسلامية أخرى . لكن زراعة منطقة السافنا غير مأمونة لأن هذا النطاق مهدد بالجفاف المتكرر في إطار التغيرات المناخية القصيرة والمتوسطة المدى ، وبصورة خاصة شريط إقليم الساحل الإفريقي المحاذي للصحراء الكبرى والممتد جنوبها . وتقابل السافنا الجافة (أو الفقيرة) في إفريقيا المسلمة نباتات السهوب العشية في وادي الهلال الخصيب وهوامش الهضبة الإيرانية – الأفغانية وحوض الأناضول الداخلي وهوامش جبال آسيا الوسطى المصاقبة (أي الموافقة) لصحاري تركستان .

٤ – النباتات الصحراوية :

وهي نباتات عشبية تندر بينها الأشجار إلا في الواحات والمنخفضات الصحراوية التي تقترب فيها المياه الجوفية من السطح ، وفي الأودية ، وعند حُضُض

المرتفعات وأصولها . أما أكثر أنواع الأعشاب انتشاراً فهي الجفافيات ، والأليفة الملوحة Halophytic في الأراضي الملحية والسباخ ، في الصحراء الكبرى وصحاري شبه الجزيرة العربية والصحراء السورية والإيرانية - الأفغانية والباكستانية - الهندية . وصحاري تركستان وطوران . وتتصف النباتات الصحراوية بالكثافة المتدنية بل وتنعدم من مساحات كبيرة انعداماً تاماً .

ومن الأعشاب المعروفة في الصحاري الإسلامية ، النصي والقرنة والثمام والمرار والبركان وغيرها في صحاري شبه الجزيرة العربية وأجزاء من الصحراء الكبرى، ومن الشجيرات ، شجيرات السمر والسدر والغاف والسلم ، وغيرها. ويقابلها في الصحاري الإيرانية - التركستانية الساكساول Haloxylon والأثل والجركس وأنواع من السنطيات ويكثر الساكساول في سهوب وأشباه صحاري آسيا الوسطى حتى أنها تدعى بـ (سهوب الساكساول) . بينما أعشاب الصحاري الإيرانية - التركستانية تتألف من الحلفا والشيح ونوع منه يسمى سوليانكا ، وأنواع من النجيليات التي تكثر شمالي صحاري تركستان . وعلى الرغم من تعدد الأنواع العشبية والشجيرية في البقاع الصحراوية فإن هذا النطاق فقير جداً بالنبات الطبيعي بل وعارٍ منه في أغلب أنحائه .

٥ - النباتات المتوسطية :

وتنتشر على شريط يحيط بالبحر المتوسط شمالي إفريقيا وبلاد الشام وتركيا ويمتد شرقاً حتى الهضبة الإيرانية . وتتألف غاباتها من أشجار الأرز والبلوط الفليني والبلوط الأخضر والبلوط الجبلي والصنوبر والسندروس والسرو وأشجار وشجيرات أخرى تؤلف الطويلة والمستقيمة منها غابات ، والقصيرة المعوجة الأغصان والساق والشوكية منها أحراج البحر المتوسط المعروفة بالماكي .

أما أعشاب هذا النطاق فكثيرة الأنواع يتعرض أغلبها للجفاف في فصل الصيف ، منها الشيح والعاقول والنفل والخافور والكيوان .

٦ – النباتات الجبلية :

لا تؤلف هذه النباتات نطاقاً بحد ذاته ، لأنها نموذج من تعاقب النطاقات النباتية المعروفة على العروض الجغرافية المختلفة ، ولكن بتسلسل عمودي ، تبدأ بالنباتات السائدة في السهول والهضاب المنخفضة المحيطة بالجبال وتتدرج صعداً حتى نهاية الغابات والمروج الجبلية فالثلوج الدائمة والجليديات إذا كانت الارتفاعات كافية وتسمح بالوصول إلى هذه النطاقات . كما في جبال آسيا الوسطى وبامير والهيملايا والقفقاس وغيرها ، حيث تتالى النطاقات بحسب مواقع الجبال في العروض الجغرافية. ففي جبال البحر المتوسط تبدأ النباتات من أحراج الماكي وتتحول إلى غابات نفضية تيجانية ومخروطية وغابات مختلطة. وفي جبال القفقاس تتدرج النطاقات من النباتات السهبية إلي الغابية المتنوعة إلى المروج الجبلية ثم إلى الثلوج الدائمة والجليديات.

لكن سفوح كثير من الجبال في العالم الإسلامي عارية من النباتات لشدة انحداراتها أو لغلبة الصخور الجرداء عليها ، أو لقيام الإنسان بقطع أشجارها وإزالة أعشابها بالرعي الجائر ، مع عدم إهمال دور العوامل المناخية في هذا المجال .

مشكلات الغطاء النباتي في العالم الإسلامي :

الغطاء النباتي الحالي في معظم أنحاء العالم الإسلامي هو وريث غطاء نباتي سابق أصيل وأوسع انتشاراً وأكثر أنواعاً . وقد تراجع الغطاء النباتي وتدهورت بيئته على امتداد قرون طويلة عانى منها النبات الطبيعي من عمليات قطع الأشجار والرعي الجائر للغطاء العشبي . ولقد تأثر الغطاء النباتي بقدر إعمار الإنسان لأنحاء العالم الإسلامي المختلفة ، وبارتفاع كثافات السكان فيها. فكانت النتيجة إزالة الغطاء النباتي لتلبية احتياجات الإنسان من الأخشاب وتأمين غذاء الحيوان من الأعشاب ، ولتوسيع مساحات الحقول والباستين والبقاع العمرانية ومرافقها . وقد أسهمت الحرائق الطبيعية والتي أشعلها الإنسان في نظام الزراعة المتنقلة وما شابهها ، في تقليص مساحات

الغطاء النباتي الشجري والعشبي على حـد سواء . ولقد بلغ تدمير الغطاء النباتي في بعض البقاع حـداً أصبحت فيه مساحـات واسعة منها جرداء ، لا تجدي مـعه أعمال التحريج الاصطناعي التي تقـوم بها دول كثيرة في العالم الإسـلامي لإعادة الحياة إلى الغطاء النباتي وللحفاظ على الـبيئة وحمايتها . وبالمقـابل ما زالت أعمال القطع على نطاق واسع مستمر ، إذ تقدر مساحة ما يقطع من أشجار غابات إندونيسيا سنوياً بنحو ٦٠٠٠٠٠ هكتار ، وبنحو ٤٠٠٠٠٠ هكتار في ساحل العـاج ، كما يقدر أن عدداً من البلدان المالكة لغابات استوائية وموسمـية في العالم الإسلامي يمكن أن تفقد قرابة ٣٠ - ٤٠٪ من غاباتهـا مع حلول القرن الميـلادي القادم ، كمـا تقدر الإحصـائيات الدولية أن أكـثر من ٧٥ مليون نسمـة من سكان هامش الصحراء الكبـرى يعانون من التصحر الشـديد نتيجة الرعي الجائر وقطع الأشجـار للوقود والطهي . وبناء على ما تقدم فإن اتهام الطبيعة والتغيرات المناخـية والحرائق التي تسببها الصواعق والانفجارات البـركانيـة ، بأنها السـبب الرئيـسي في تخريب الغطـاء النباتي وتراجـعه في العـالم الإسلامي غـير دقـيق ، بل هو محـاولة لتبرئة الإنـسان وحيـواناته من الأخطاء التي ارتكبها ومازال يقترفها تجاه الغطاء النباتي ، أهم عناصر البـيئة الجغرافية الطبيعية التي خلقها الله تعالى في أدق توازن وانسجام في الأصل .

ثانياً : الحيوانات الفطرية (الفونا Fauna) :

تسمى الوحيش أيضاً وتشمل المملكة الحيوانية ، وتنتمي أنواعها وأصنافها في العالم الإسلامي إلى المملكة الحيوانية القطبية القديمة و الأثيوبية والمدغشقرية والشرقية. ويمر الحد الفاصل بين المملكة القطبية في الشمـال وبقية الممالك في الجنوب ، مسايراً للعروض الجغـرافية الممتـدة وسط العالم الإسلامي. وتتوزع أنواع الحـيوانات في بقاع ومناطق ذات بيئـات طبيعيـة تؤمن لها سبل الحيـاة مع حرية في الحركـة واسعة ، لا تتمتع بها النباتات الثابتة والمرتبطة بنطاقات واضـحة الحدود لا تعرفها الأنواع الحيوانية إلا بقدر محدود .

أنواع الحيوانات وتوزيعها الجغرافي :

يتمثل عالم الحيوان في الشمال الإسلامي السهبي والصحراوي في كازاخستان وشمالي آسيا الوسطى وصحاريها بأنواع القوارض كالجرذ وفأر الحقل واليربوع ، ثم الظربان فأنواع من زواحف الصحاري المجاورة مثل الأفاعي والعظايا ثم السلاحف ، وكذلك الظبي التركستاني (الجايران) ، كما تعيش في أجمات الأسل والقصب حول مواطن الماء ، والوعول والقطط البرية والثعالب والذئاب ، وبقر وحش (السايغاك) . وتكثر فيها أنواع من الطيور ، أبرزها طائر الساكساؤل ، ثم النسر والحبارى والغرنوق والسنقور وأبو زريق والديك البري والأوز والبط ومالك الحزين والغراب والبجع . ومن حيوانات الجبال الآسيوية الماعز الجبلي ودب تيان شان والنمر المرقط (الثلجي) وحيوان الياك (مدجن) . وتعيش في هذه الأنحاء العناكب والعقارب ، وحشرات كثيرة تتكاثر حول المياه الراكدة والمستنقعات .

أما جنوب جبال الهيملايا وفي شرقي وجنوب شرقي آسيا ، فتعيش أنواع كثيرة من القردة في الغابة الاستوائية المطيرة ، منها الأورانغ اوتان المهدد بالانقراض ، كذلك الأسود في الدكن وإيران ، والنمور والفهود التي تشاهد في نطاق ممتد من الهيملايا حتى إندونيسيا . كذلك يعيش في هذه الأصقاع النمس والزبادة وعناق الأرض وابن آوى والضبع والثيران البرية والأيل الأسود وأيل المسك وظباء متنوعة وسناجيب . كما يوجد فيها الكركدن ذو القرن وذو القرنين، وكذلك التابير والفيل الهندي والزيبو (البقر البراهمي) المدجن في الدكن ، ومثله جاموس الماء الذي يصادف على امتدا شريط يبدأ في مصر وينتهي في الفلبين .

وتكثر التماسيح في أنهار الدكن وإندونيسيا ، وكذلك السلاحف والعظايا ، منها نوع طائر . ثم أنواع كثيرة من الأفاعي والبرمائيات مثل الضفادع ، ومنها ضفدع الطين (العلجوم) . وفي مياه هذه البقاع تكثر أنواع مختلفة بأعداد كبيرة تنتمي إلى المملكة الحيوانية الشرقية ، وكذلك أنواع لا تحصى من الحشرات والهلاميات واللافقاريات بعضها نادر الوجود مثل الفراش الخطاف .

أما طيور جنوبي وجنوب شرقي آسيا الإسلامية فأكثر من أن تحصى أنواعاً وأعداداً وتتميز بألوانها الجميلة والصارخة في الغابات الاستوائية والمدارية الرطبة ، منها الطاووس والتدرج (الدرج) وأنواع من دجاج الغابة والببغاوات والحمام والهدهد والوقواق والوروار وأبو قردان وغيره . كذلك تكثر في الأنحاء الغربية من هذه المنطقة الطيور الجارحة مثل الحدأة والنسر والصقر والشاهين .

لا يقل الجناح الإفريقي من العالم الإسلامي غنى وتنوعاً في حيواناته عن الجناح الآسيوي . إذ تكثر في ربوعه ذوات الأظلاف (٩٠ نوعاً) ومن اللواحم الثديية (٦٠ نوعاً) ، وكذلك القوارض وخنازير البر من نوع أبو دقن Aardvark . أما فصيلة القردة فتضم نحو ٤٥ نوعاً منها الضخم كالغوريلا ومنها الصغير جداً كالليمور الصغير (غالاغوس) . كما تعيش في مدغشقر فصيلة مهمة من آكلات الحشرات الطويلة الأنف . وتكثر في الغرب الإسلامي الزواحف ، والتماسيح والأفاعي والعظايا والسلاحف ، ومن البرمائيات السلمندر والضفادع وأشهرها ضفدع الكمرون الشعري .

وتعيش في المياه العذبة أنواع أسماك يزيد عددها على ٢٠٠٠ نوع ، يرجع وجود بعضها لأكثر من ٧٠ مليون سنة . كذلك تعيش في هذه الأنحاء الإفريقية الواقعة جنوب الصحراء الكبرى قرابة ١٤٠٠ نوع من الطيور المقيمة ونحو ٢٧٥ نوعاً من الطيور المهاجرة منها النعام وأبو مطرقة والسكرتير وأسرة الحبارى وطيهوج الرمل والقبرات . كما تكثر اللافقاريات والحشرات في جميع الأرجاء .

أما في الصحراء الكبرى وشمالها حتى البحر المتوسط فتعيش الضباع وبنات آوى والثعالب وكلاب الصحراء Fennecus Zerda والقطط البرية والمهاه والغزال وخروف ودان ، كما تعيش القنافذ والجرذان الليبية واليرابيع وفئران الماء وأنواع من الأفاعي والعظايا والحشرات الكثيرة الأنواع .

ومن طيور هذه البقاع الرخمة والصقر بأنواعه والكروان والقطا وأنواع القبرات والغراب والأبلق والعندليب والحسون والزمير والعصفور الدوري والبري. وتشبه حيوانات الهلال الخصيب وشبه الجزيرة العربية وآسيا الصغري ، أنواع حيوانات الشمال الإفريقي ونطاق البحر المتوسط بصورة عامة .

الأخطار المهددة للحياة الفطرية في العالم الإسلامي :

تعاني المملكة الحيوانية في العالم الإسلامي من أخطار تهدد بقاءها ، نتيجة تدمير مواطنها ولاسيما في الغابات التي تتقلص مساحاتها يوماً بعد يوم . إذ يقدر أن مساحتها تراجعت بنحو ٥٥٪ عن مساحتها في العصر الرباعي المطير الأخير ، وأنها تتناقص سنوياً بمعدل ١٠٠٠٠٠ هكتار في أنحاء العالم . وأكثر الغابات تعرضاً للتدمير هي الغابة الاستوائية والمدارية الرطبة . ومما زاد في تدهور الأنواع الحيوانية وانخفاض أعدادها وانقراض بعض أنواعها ، انتشار استعمال المبيدات الحشرية والكيميائية ، وكذلك استخدام الأسلحة النارية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ، والإقبال الكبير على الصيد وتزايد جشع الباحثين عن الفراء والجلود الثمينة وعاج الفيلة وقرون الكركدن وغيرها من حيوانات وأعضاء حيوانات تدر على المتاجرين بها دخلاً كبيراً . وتضم هذه القائمة الكثير من الطيور والقردة وغيرها .

إن توسع مدى النشاطات البشرية أضر بالبيئة الطبيعية كثيراً . ففي الماضي كانت أعداد الإنسان قليلة واحتياجاته وتقنياته متواضعة ، وكان صيده للحيوان يهدف إلى تأمين غذائه وحفظ بقائه ، وظلت البيئة الجغرافية متوازنة نباتياً وحيوانياً وبشرياً . لكن ارتفاع أعداد الإنسان إلى قرابة ستة مليارات وتطور تقنياته واتساع مجال احتياجاته ، أدى إلى تدخله في البيئة واعتدائه على عناصرها ، ومن بينها الحيوانات، فانصب اهتمامه على أربع مجموعات حيوانية تؤمن كل منها ناحية من رغبات واحتياجات الإنسان ، هي ، الحيوانات التي تقدم الغذاء ، ثم الحيوانات التي تشكل خطراً عليه وعلى منشآته الاقتصادية (مزروعاته وحيواناته المستأنسة) والحيوية ، ثم الحيوانات ذات القيمة الاقتصادية - التجارية ، وأخيراً الحيوانات النادرة والفريدة من نوعها المهددة بالانقراض ويرغبها الهواة .

وللتدليل على الدور الخطير للإنسان في تدهور البيئة والمملكة الحيوانية تذكر المصادر أن أعداد أحد أنواع الانتيلوب في إفريقيا التي كانت تقدر بنحو ١,٠٠٠,٠٠٠ رأس سنة ١٣١٨هـ (١٩٠٠م) تراجعت إلى أقل من ٧٠٠٠ رأس اليوم .

إن مسؤولية الإنسان في تعديه المتعمد وغير المتعمد على المملكتين النباتية والحيوانية وإن كانت جسيمة فإن للطبيعة نفسها دوراً في تخريب البيئة وتهديد الثروتين النباتية والحيوانية. فكثير من الحرائق يحدث من جراء ضرب الصواعق أو الحمم البركانية اللاهبة. كذلك تبيد أرجال الجراد في العالم الإسلامي مساحات شاسعة من الغطاء النباتي ومن ثم القضاء على حيوانات تعيش عليه. كما أن انتشار حشرات وجراثيم ناقلة لأوبئة يقضي على أعداد كبيرة من الحيوانات والكائنات الحية، وأن مرور عاصفة إعصارية تدمر كل ما يعترض طريقها،وكذلك فإن تغيرات المناخ تؤدي إلى تغيرات شاملة في الأنوع كماً ونوعاً وتوزيعاً .

وعلى الرغم من ذلك كله ، فإن إنسان العصر الحاضر يبقى المخرب الأول للبيئة بشكل عام . ويزداد خطره في البقاع الهامشية ذات الأوضاع المناخية الحرجة والبيئة الهشة ، مثل نطاقات السافنا والسهوب والنطاقات شبه الجافة من أنحاء العالم الإسلامي المهددة بالتصحر والتصحير الأمر الذي يدعو إلى توعية الإنسان وإرشاده وهديه وجعله يدرك الأخطار المهددة لبقاء الجنس البشري .

تلوث البيئة الطبيعية وتخريبها

تركز غالبيـة البحوث والدراسة البيئـة والتلوث على دور الإنسان في تخريب وتلويث البيـئة ، نظراً لما لهذا الدور من تأثيـر بالغ ومتزايد . لذلك فـإن هذا البحث وإن كان يُعنى بالجوانب الطبيعية من تلوث البيئة ومسبباته وتخريبها، فإن دور الإنسان لا يمكن إغـفاله ، ولاسـيـما أن تدخله الذي أخل في الـتوازن البـيئي ، قـوّى دور الأعمـال الطبيعيـة في تلويث البيئات وتـخريبها وضـاعف من فعاليتـها . فالبيـئات الطبيعية كـانت قبل استفحال خطر الإنسان ، قادرة على مـجابهة الملوثات والمخربات وتمثلها واستـيعابها وإعادة التـوازن الطبيعي فيـها إلى حاله العادي . وباختـصار فإن الملوثات والمخربات الطبيعة الأصل والمصدر أصبحت أشد تأثيراً وفعالية ، بما تلقاه من دعم وتحضير عن طريق التدخل البشري وأنشطته .

يتضـمن العالم الإسلامي بيئـات طبيعيـة كثيـرة ومتنوعة البنية والتـركيب ، وبالتالي تنوع أشكـال تلويثها وتخـريبها وبنسب مـتباينة بحـسب الملوثات والمخربات الطبيعية التي تنشط فيهـا ، وبحسب درجات التجاوب بين الفعل ورد الفعل لكل من عناصر البيئة ولعناصر التلويث والتخريب .

أشكال تلوث البيئة وتخريبها وتوزعها الجغرافي في العالم الإسلامي :

يعاني العـالم الإسلامي من أشكال تلوث السـاحل والبحـر ، وتلوث الهواء والماء والتربة بدرجات متفاوتة وفي مناطق مختلفة ، وبغض النظر عن أسباب التلوث ومصادر التلويث والتخريب (طبيعيـة أو بشرية) فإن المناطق الملوثة وتوزيعها الجغرافي في العالم الإسلامي هي كالتالي :

١ - التلوث الساحلي البحري ومناطق انتشاره :

يبدأ تـلوث مياه البـحر والسـواحل واضحـاً على الساحل المغـربي بين الدار البيـضاء وحتى مـضيق جبـل طارق ، ومنه على ساحل البحـر المتوسط حـتى منطقة

وهران . وبعد انقطاع يعود التلوث فيظهر في ميـاه ساحل مدينة الجزائر حتي بجاية ، ثم كامل السواحل التونسية بين بنزرت حتى قابس . يليها ساحل طرابلس وبرقة ، ثم السواحل الشرقية لمصر على المتـوسط فسواحل فلسطين وبلاد الشام الأخرى وسواحل تركيا الغربية والممرات مع بحر مـرمرة . ويتراجع التلوث على سواحل البحر الأسود إلا من ساحل أجارية وجـورجيا ويعد البـحر المتوسط من أكثر بـؤر العالم الإسلامي والعالم تلوثاً تنتهي إلى مـياهه مئات ملايين أطنان الرواسب التي تنقل معـها فضلات المدن والإنســان والنفـايات الصناعـيـة ولاسـيـمـا قـرب مـصـافي النفط والمصـانع البتروكيميائية، كما يعاني من تسرب النفط إلي مياهه من الناقلات والموانيء النفطية .

وتظهر في البحر الأحمر بؤر متـفرقة للتلوث تتركز في خليج السويس حيث يشتد التلوث في شـماليه ، ثم على سواحل مدينتي جدة وينبع البـحر حيث التلوث محدود نسبياً . أما على ساحل البحر الأحمر الإفريقي فتظهر بؤرة تلوث على ساحل السودان وفي خليج جيبوتي ومضيق باب المندب .

ومن بؤر التلوث الشديد في العالم الإسلامي ، مياه وسواحل الخليج العربي حيث معدلات التلوث عالية جداً سببهـا النفط والغاز الطبيعي ، اسـتخراجاً ومعالجة وتسويقاً ، وما يرتبـط بهما من صنـاعات . وتشير الدراسات إلى أن تلـوث الخيلـج يزيد على ٤٣ ضعفاً من أشكال تلوث مشابهة في العالم .

ويصل التلوث السـاحلي - البـحري ذروته علـى سواحل الكويت والعـراق وإيران شمالي الخليج العـربي . مما يبين مدى الأخطار المحدقة بهـذا الجزء الغني جداً من العالم الإسلامي ، ويتطلب تكثيف جهود مكافحة التلوث ومنعه من تخريب البيئة البحرية والساحلية .

يلي ذلك نطاق من التلوث السـاحلي يحـيط بشبـه جزيرة الدكن ابتـداء من منطقة كراتشي وخليج سـونمياني وحتى مصب نهر الجـانج . وترتفع نسبة التلوث في

موانىء هـذا النطاق ومع اتجاه حـركة التيـارات الساحليـة . وتعمل حـركة التـيارات الموسمـية التي تغيـر اتجاهها بمقـدار ١٨٠ درجة بين الصـيف والشتاء ، على انتـشار التلوث من مصادره على السواحل البعيدة عنها .

وتظهر سواحل ملوثة على الجـانب الشرقي من خليج البنغال ، يبلغ التلوث فيها أشده في خليج مارتابان ومنطقة يانغون (رانغون) ومصب نهر الإيراوادي . وبعد تراجع نسبي لقـيم التلوث ، يعود فيزداد تدريجـياً على الساحل الغربي لشـبه جزيرة ملقة وممر ملقـة حتى يبلغ ذروته مـقابل سنغافـورة . لكنه يقل ويضعف في أرخـبيل إندونيسـيا مـا عدا الساحل الشـمالي لجزيـرة جاوة حيث يتـشكل في منطقة جـاكرتا وشرقها شريط تلوث ساحلي خطير بطول ١٠٠ كم تقريباً .

وقد أصاب التلوث الساحلي البحري شرقي إفريقيـا ولاسيما في مياه موانئها المهمة مـثل بربرة ومقديشـو ملندي وممباسـا وجزر بمبا وزنجبار ودار الـسلام وحتى حدود تنـزانيا مع موزمـبيق . كـذلك يتركـز التلوث الخطير في سـاحل خليج غيـنيا الملوث، قبالـة الموانىء والمراكز الصناعية المهمة مثل سواحل أبيدجان ولاجوس وأكرا.

وأخيراً فـإن سواحل بحر قزوين ملوثة على طول السواحل الغـربية والجنوبية ولاسيما قبالة باكو وأجزاء من ساحل داغستان حيث توجد أشرطة تلوث شديد . أما بحر آرال فإن تلوثه يعد كارثة بيئية خطيرة .

٢ - تلوث الهواء والماء والتربة :

أخذ تلوث الهواء يظهر جلياً في كثير من مدن العالم الإسلامي التي أصبحت تعاني من تلوث شـديد لهوائها كـما في مدن الجـزائر وطرابلس وتونس والإسكندرية والقاهرة (شديد جداً) أبيـدجان ولاجوس (شديد) وجيبوتي وجدة والجـبيل والبحرين والكويت وعـبادان وتبريـز وطهران وباكو ويـاطوم وجامبـول وأماآتا ولاهور وكلـكتا بومـبي ودلهي وكوالالمبـور وسنغافـورة وجاكـرتا . كذلك بدأت تظهـر بوادر تلوث

بالأمطار الحامضية وعلى مقياس محدود في بلدان خليج غينيا مثل نيجيريا والكمرون، وفي غربي الدكن وجميع أنحاء جنوب شرقي آسيا باستثناء جزر إندونيسيا الشرقية وأغلب أراضي كليمنتان. وتأتي الغازات والمواد الصلبة والغبار التي تنفثها المصانع وعوادم السيارات ومداخن المساكن والمنشآت البشرية والاقتصادية المختلفة وغيرها في رأس ملوثات الهواء ، إضافة إلى ما تحمله الرياح من ملوثات طبيعية مختلفة إلى أجواء المناطق والمدن المذكورة.

وتعاني بقاع إسلامية كثيرة من تخريب التربة والماء نتيجة التلوث والتملُّح، ولاسيما في المناطق المروية وأحواض الأنهار ذات الصرف الزراعي السيء ، وبصورة خاصة في المجاري الدنيا التي تنتهي إليها الأملاح والملوثات المنقولة بالمياه . ويُظهر التوزيع الجغرافي لتخرب التربة وتلوث الماء بالتملُّح ، الارتباط الوثيق بالمجاري الدنيا للأنهار ومشروعات الري عليها . فمن أشد بقاع العالم الإسلامي معاناة من التملُّح الناجم عن سوء تعامل الإنسان مع البيئة ، المجرى الأدنى لنهر السنغال ووادي نهر النيجر بين تمبكتو وسيغو ، وأنحاء متفرقة من سهول المغرب المروية على الواجهة الأطلسية وسهل وهران ووادي الشليف الأدنى ، وسهول تونس الشرقية . ويشمل تملُّح التربة والماء أنحاء دلتا النيل وغربها وأقساماً من وادي النيل شمال ثنية قنا ، ثم واحات غرب النيل ، وأراضي مشروع الجزيرة والمجرى الأدنى للنيل الأزرق في السودان ، وكذلك وادي الأردن الفرات الأوسط والأدنى ، ووادي دجلة في منطقة بغداد وجنوبها ثم منطقة الأهوار العراقية ، وأطراف بحيرة أورمية وسهل الكورا الأدنى والمجاري الدنيا لأنهار القفقاس على بحر قزوين كما يشمل عدداً من المساحات المروية في إيران .

وقد تعرضت المجاري الدنيا لنهري هري رود ومرغاب ومناطق متفرقة مروية في أوزبكستان وقرغيزستان للتملُّح ، لكن أشدها تضرراً هو المجرى الأدني لنهر جيحون (أموداريا) ونهر سيحون أيضاً . وتعود الأراضي والمياه المتضررة بالتملُّح

للظهور في أحواض جونغارية وطرفان وحوض نهر تاريم . أما أوسع مساحة في العالم الإسلامي متضررة من التملح فهي أراضي حوض نهر السند المروية ، حيث تمتد هذه الأراضي من مصب النهر حتى مدينة لاهور .

وعلى العموم فإن تلوث المياه والتربة بالتملح ، يزداد خطورة بتلقي المياه ما تطرحه المعامل والمصانع والمدن وقنوات الصرف الصحي والزراعي من فضلات ونفايات ومخلّفات .

ومن أشكال التلوث الخطير جداً ، تلوث الهواء والمياه المحيطية في الشرق الإسلامي بالإشعاع النووي ، نتيجة التفجيرات النووية التجريبية في جزر المحيط الهادي القريبة من أرخبيل إندونيسيا . والتي بلغ عددها قرابة ٢٩١ تفجيراً نووياً أمريكياً وفرنسياً وبريطانياً حتى نهاية عام ١٤١٦هـ (١٩٩٥م) . وشبيه بهذا ما حدث في شمالي كازاخستان حيث توجد منطقة تجارب نووية سوفيتية ، وفي موقع ليرمنتوف في شمالي القفقاس ، وفي موقع ديمونا في جنوبي فلسطين المحتلة وفي الهند .

مصادر التلوث والتخريب :

مصادر التلوث والتخريب في العالم الإسلامي بشرية وطبيعية . وهي نفسها المعروفة في العالم كله . لكنها وبحسب توزعها الجغرافي تتمتع بخصوصيات مكانية في أنحاء متفرقة من العالم الإسلامي .

أما المخرِّنات والملّوثات ذات الأصل والمصدر الطبيعيين في العالم الإسلامي فهي التالية :

١ - البراكين كمصدر ملوث ومخرب :

تقدم الحديث عن غنى العالم الإسلامي بالبراكين الناشطة . ففي مناطق انفجارها وخارجها تتعرض البيئة للتخريب والتلوث بمقذوفاتها الصلبة والغارية . ويتم ذلك عن طريق :

* الانفجارات المدمرة لما حول البركان كما حدث في انفجار بركان كراكاتاو الذي أطاح بمعظم جسم الجزيرة التي انفجر فيها . وفي هذه الحالة يبقى التخريب محدود الساحة والانتشار .

* الغازات التي تنفثها البراكين ، وهي غازات يغلب عليها بخار الماء ثم ثاني أوكسيد الكربون فالآزوت (النتروجين) والكبريت وغازات أخرى ، ترتفع في الجو إلى علو يزيد على ١٥ - ٢٠ كم . ويشكل غاز ثاني أكسيد الكربون خطورة على البيئة والمناخ من حيث قيامه بتنشيط مفعول البيت الزجاجي Greenhouse Effect (الجُنّة أو الدفيئة) في الأرخبيل الإندونيسي خاصة . وذلك نتيجة ازدياد نسبة هذا الغاز في الجو ومن ثَّم تسخين كوكب الأرض .

* الرماد والمواد الصلبة الأخرى ، وتتألف من مواد ناعمة ودقيقة تقذف بها الانفجارات عالياً وتؤلف سحباً . فقد ارتفعت مواد بركان كراكاتاو حتى ٧٠ - ٨٠ كم وبقيت معلقة في الجو عدة سنوات على شكل سحابة دارت حول الكرة الأرضية ، كذلك سميت سنة ١٢٣٤هـ (١٩١٦م) بالسنة عديمة الصيف لقيام رماد وغبار انفجار بركان تامبورا في إندونيسيا بحجب الشمس عن الأرض في صيف ذلك العام في العروض الوسطى للنصف الشمالي من الكرة الأرضية حيث أغلب العالم الإسلامي . وقد انخفضت المتوسطات الحرارية السنوية درجة واحدة ، وضرب الصقيع كثيراً من المحصولات .

وقد تحط سحب الرماد الملتهبة على الأرض فتحرق الغابات والمزروعات وتقتل الكائنات الحية وتلوث الهواء .

* الحمم والمسكوبات اللابية الزاحفة . التي تسيل من جميع براكين العالم الإسلامي الناشطة ومن الشقوق المرافقة لها ، فتدمر كل ما يعترضها وتحرقه ، كما أنها قامت بتحويل اتجاه الأنهار التي تعترضها أو تشكل في أوديتها بحيرات

ومستنقعات كما حصل في سهل الغاب وسهل طبرية - الحولة وبقاع أخرى من أغوار الأخدود الإفريقي العظيم ، وفي أودية الحجاز مما أدى إلى تغيير البيئة الأصلية أو تخريبها وطمس معالمها كلياً .

* السيول الوحلية : وتنتشر في إندونيسيا وتعرف بـ (لاهار) محلياً . وتقضي على الغطاء النباتي والكائنات الحية التي تقع في طريق انسياحها ، وتخرب التربة والنبات .

فالبراكين هي واحدة من الملوثات والمخربات الطبيعية للبيئة . تضربها آنياً، كما تسهم في تغيير الأوضاع البيئية والمناخية على المدى الطويل مع استمرار نشاطها .

٢ - الرياح والعجاج :

والعجاج هو الغبار الذي تثيره الرياح . ويعد من الملوثات للجو في بقاع واسعة من العالم الإسلامي ، هي المناطق الصحراوية وشبه الصحراوية وهوامشها التي تهب عليها رياح قادمة من مناطق قارية عارية السطح ، صعيدها مؤلف من مواد ناعمة ودقيقة من الغبار والرمل . ويرتفع العجاج عالياً في الجو كما تحمله الرياح مسافات طويلة على شكل غبار وهباء معلق يحجب الأشعة الشمسية عن الأرض لأيام قد تمتد ١٠ - ٤٠ يوماً ، ولما كانت ذرات العجاج تمتص الحرارة الآتية من الشمس ، فإنها تسبب اضطربات مناخية في المناطق المعنية في العالم الإسلامي . وتصل الآثار الضارة للعجاج والعواصف الغبارية إلي خارج مناطق نشأتها ، حيث يتساقط الغبار بكميات كبيرة أحياناً . أو على شكل رمال تطمر عناصر البيئة وتؤذيها، كما تدمر المنشآت البشرية - الاقتصادية. وقد قدرت كمية الغبار المتساقط في الكويت في أغسطس سنة ١٩٧٨م بنحو ٢٣٩ طناً على الكيلو متر المربع الواحد. ويشتد تأثير العجاج في الصيف وتدوم عواصفها في السودان والصحراء الكبرى والخليج العربي وبوادي الهلال الخصيب ساعات قد تتجاوز ١٠ ساعات . لكن الغبار المعلَّق في الجو

ويحجب الأشعة الشمسية قد يبقى في الجو أياماً عندما تحوم سرعة الرياح حول خمسة أمتار في الثانية في المناطق الجافة الإسلاميــة وهوامشها . فقد وصل عدد أيام العجاج في بعض السنوات إلى ٥٠ - ٧٠ يومــاً في السعــودية. ومن أشكال التلوث بالغـبار والرياح، هطول الأمطار في جــو عاصـفة غبــارية، حيث تصـبح قطرات المطر عكرة موحلة تهطل مطراً ملوثاً يعرف بـ (المطر الترابي) و (مطردم).

٣ - الحرائـق :

والمعني بها هنا الحرائق الطبيعـية التي تحدث من جراء الصواعق أو الاحتكاك أو الحمم والسحب النارية البــركانية ، وبصورة خاصة في مــواسم الجفاف في المناطق المدارية في هوامش الصحراء الكبــرى ونطاق السافنا والأحراج والسهوب العــشبية في العالم الإسلامي . وينتج عن احتــراق الغابة والأعشاب سناج Soot وغازات أبرزها ثاني أوكسيــد الكربون وأحادي أوكسيد الكربــون والهيدروكربونات وأوكسـيد النتريك وغيرها من غــازات تلوث الجو وتخل بتوازن غازاته ، وتــسبب رفع حرارة الأرض . فالحرائق في العالم الإسلامي عدا عن تدميـرها الغطاء النباتي بالحرق المباشر ، تسبب تلوثاً خطيراً للجو . كــما تسبب أضراراً تلحق بالتربة التي تتعــرى من غطائها النباتي فتصبح عرضة لــلتعرية والانجراف ، مما يزيد في العمليات التخريبية للــبيئة ، كما هو الحال في المناطق الموسمية والمتوسطية والمدارية من العالم الإسلامي .

٤ - العواصف والأعاصير :

وهي ريحيــة أو ريحية مطرية أو ثلجـية . وينجم عنهــا تخريب البيـئة على ســواحل المحيط الهـندي ، التي تتعــرض للأعــاصيــر المدارية العــاصـفة والمطيــرة . وللعــواصف الثلجيــة في البــقاع الجـبلية في آسـيــا الوسطى والأناضول والقــفقــاس والسهــوب الشمالــية ، وبنسبــة أقل في جبال إيران - أفــغانسـتان والأطلس الأعلى وغيرها. وتسبب هذه العواصف أضراراً بيئية بما ينجم عنها من انهيارات ثلجية تكتسح

سفوح الجبال وغاباتها ، كما يسبب ذوبانـها فيضانات وانزلاقات أرضية تخرب التربة والغطاء النباتـي وتكشف الصخور ، كـما حدث في جـاوة بين ١٠ - ١٧ مايو وفي شمالي إفريقيا في ٣٠ أكتوبر سنة ١٩٨١م ، وفي جبال الحجاز بين ٢ - ٤ فبراير ثم بين ١٢ - ١٥ مـارس سنة ١٩٨٧م . كذلك تضـررت أنحـاء متـفـرقة في إفـريقيـا الاستـوائية ولاسـيمـا الكمرون ، نـتيـجة العـواصف المطرية التي تعرضت لهـا سنة ١٤٠٧هـ (١٩٨٦م) ، وهطل فيها ١٨٦ ملم في ست سـاعات، ولم تشهدها المنطقة منذ ثلاثة عقود ، كذلك تعرضت الكمرون في مـارس من السنة ذاتها لعاصفة رعدية قوية رافقها سقوط بَرَد غزير وكبير الحبات، مما سبب والعواصف الأخرى تخريباً للبيئة الطبيـعية إضافة إلى الإضـرار بالمؤسسات البشـرية والمنشآت الاقتصـادية . ولما كانت مسارات الأعاصـير المدارية والمنخفضات الجوية في العروض فـوق المدارية شبه ثابتة ، فإن المناطق الواقعة في طريقها تعاني من التخريب والتدمير الطبيعيين للبيئة .

٥ - الزلازل :

تعـرض العالم الإسـلامي لمئات الزلازل التي تزيد شـدتها على ٥ درجـات ريختـرية في أثناء العقـود الأربعة الماضـية ، موزعـة عليه ابتـداء من المغرب وانتـهاء بإندونيسيا . وتخريب الـزلازل وإن كانت له صفة موضعية ومحـدودة ، فإن نتائجها تصبح ملموسة إذا تكررت .

وتسبب الزلازل الشقـوق والانهيارات والانزلاقات الأرضـية وخسف الأرض وتغير مجاري الأنهار والمياه وغيرها . وأكـثر البقاع الإسلامية تعرضاً لأخطار الزلازل هي مناطق الالتـواءات الجبليـة والصدعيـة - الانهدامـية والبـركانية النشـيطة . ومن الحالات التـدميرية التي تمتـد على نطاق كبير هي حـدوث الأمواج الزلزالية البـحرية (تسونامي) التي تخرب البيـئة الساحلية وبيئتهـا . أحدثها الزلزال الذي صرب إيريان جايا في إندونيـسيا وبلغت شـدته ٧ درجات في مقـياس ريختـر وسبب موجـة مدية مدمرة في ٢٨ رمضان ١٤١٦هـ (١٧ فبراير ١٩٩٦م) .

٦ - الجـراد :

تقضي أرجال الجراد التي تمتد رحلتـها في المناطق المدارية وفوق المدارية الجافة وشبـه الجافـة في العالم الإسـلامي ، آلاف الكيلو مـترات ، على الغطاء النبـاتي ، وبصور خـاصة العشـبي منه . إذ قوم الجراد بالـتهام ١٠٠ طن من النبـات في اليوم الواحد ، ويغطـي مساحـات شاسعـة بمعدل ٥٠ مليـون جرادة في الكيلو مـتر المربع الواحد ، وبسرعـة ١٠٠ كم في اليوم الواحد . وينتقل الجراد على خطوط سـير تمتد من السودان إلى مـوريتانيـا والمغرب مروراً بـإقليم الساحل الإفريـقي ، ثم عودة إلى السودان مـروراً بشمالي إفـريقيا . والمحـور الآخر يبدأ من السـودان ويتجه إلى شـبه الجزيرة العـربية وبلدان الهـلال الخصيب وإيـران . وهناك طريق ثالثة يسلكهـا الجراد القادم من الهند والباكستان تتجه نحو شبه الجزيرة العربية والقرن الإفريقي .

إن الجراد كعامل طبيعي مخرب للغطاء النباتي ، يتسبب عدا إضراره بالنبات، في إضعاف تماسك التربيـة التي تصبح عارية ومن ثمَّ عرضة للتعرية والتـسفية بالرياح أو الانجراف بالأمطار . وهو وإن كانت غـزواته متقطعة ، والإجراءات للقـضاء عليه ومكافحته ناجعة ، فإن بقاعاً كثيرة من العالم الإسلامي ما زالت تهددها أرجال الجراد بين الحين والآخر ، مما يسهم في تدمير البيئة الطبيعية وتغييرها ويزيد في تصحرها .

وعلى الرغم من تعدد المخرِّبات والملوثات الطبيعية وتداخلها مع مثيلاتها التي يسببـها الإنسان ، تبقى التغـيرات المناخية الشاملة لكوكب الأرض العـامل الفعَّال في البيئـة الطبيعية وتوازن عناصـرها . مما يدعو إلى معالجة الأمـر من خلال دراسة تأثر المناخ بالعوامل الطبيعية والبشرية المخرِّبة والملَّوثة للبيئة ومدى إسهامها في تغيير المناخ، من جهة ، ومن خلال دراسة تأثير المناخ في العوامل المذكورة ودورها في تغيير البيئة، في حلقة تكون فيها النتائج سبباً والأسباب نتائج في آن واحد .

إجراءات حماية البيئة في العالم الإسلامي :

مازالت عـمليات مكافحـة التلوث والحفـاظ على البيئـة السليمة ، والجـهود المبذولة في هذا السبـيل في العالم الإسلامي محدودة ومـتواضعة . ومازال التـصحر يهدد مساحـات واسعة تتزايد سنة بعد سنة مع أن الكل يتحدث عن المشكلة البـيئية ، كما سُنَّت تشريعات لحماية البيئة وصيانة الموارد الطبيعية ، وأصبح في كثير من البلدان الإسلامية وزارات ومؤسسات رسمية للبيئة .

إن التلوث وتخريب الـبيئـة آخذان بالاستـفحال في أنحـاء كثيـرة من العالم الإسلامي وبأشكال مختلفة من مكان إلى آخر كما تبين الفقرات السابقة ، مما يعني أن المشكلات البيئية لم تعد محدودة أو إقليـمية خاصة ببلد إسلامي أو آخر، بل تتجاوز الحدود السيـاسية إلى ما وراءها . مما يستدعي اتخـاذ إجراءات جماعية على مـستوى العالم الإسلامي بالتـعاون مع الجهات العالميـة . ولاسيما فيمـا يتعلق بالتلوث الجوي والبحري والنهري (إذا كان النهر دوليا) ، وفيما يخص الكوارث والمخربات والملوثات الطبيعية التي لا تعرف الحدود السياسية .

تلقى معالجة التـلوث والتخريب البيئي المحلي ، مثل التلوث المائي ومـعالجته بالتكرير والتحليـة ، والتملح ومقاومتـه بعمليات الغسل والصرف وغـيرهما ، عناية متزايدة في البلدان الإسلامية المفتقرة إلي المياه العذبة وإلى الأراضي الزراعية الكافية . وقد اتخذت إجراءات ناجعة في هذا المجال في الكثير من البلدان المعنية ، لكنها بقيت محليـة فردية بعيدة عن الـتعاون الجمـاعي، والتكامل في توزيع المهمات وفي توفـير المصادر الطبيعية . وحتى هذه الإجراءات المحلية لم تتمكن من مواجهة الأزمات البيئية ومواكبة تفاقم انتشارها ، نتيجة التزايد السريع لأعداد سكان العالم الإسلامي وتصاعد احتياجاتهم من الماء والغذاء والمواد الاستـهلاكية الضرورية الأمر الذي يدعو إلى زيادة الاهتمام في مجال مكافحة مسببات التلوث والتخريب البيئيين وبصورة خاصة البشرية المصدر، وإزالة آثارهما القـائمة فعلاً والناجمة عن احتـراق الوقود ومن وسائط النقل

والنشاط الصناعي والزراعي والاستعمالات المنزلية والمدنية ، وعن شتى أشكال النفايات والفضلات والمخلفات في الهواء والماء والتربة . والتفكير جدياً بإيجاد البدائل للمصادر والموارد الطبيعية غير المتجددة ، مثل الاعتماد على الطاقة الشمسية ، التي تعد مناطق واسعة من العالم الإسلامي مؤهلة للاستفادة منها ، الأمر الذي بدأت السعودية بتحقيقه عملياً . كل ذلك وغيره في إطار تعاون شامل بين بلدان العالم الإسلامي وخطط مشتركة تنفذ بتمويل مشترك للوصول إلى تأمين حياة كريمة للإنسان في بيئة نظيفة وسليمة ومتوازنة .

وعلى الرغم من كل ما تقدم فإن أشكال التلوث ومستواها وبؤرها في العالم الإسلامي مازالت في مراحل وأبعاد أقل خطورة من أشكاله في أوروبا وأمريكا ، إلا في بعض البؤر القليلة العدد . لكن هذا لا يعني أن الوضع سيبقى على ماهو عليه ، بل تشير جميع الدلائل إلى أنه يسير نحو الأسوأ . والأخطار القادمة أكثر تهديداً من القائمة ، مما يتطلب الاستعداد لمواجهتها في إطار القوانين والنواميس الطبيعية التي تحرك كل شيء في كوكب الأرض والنظام الكوني ويسير بقدرته تعالى ، بحيث لا يتم أي حدث أو يجري إلا بأمره ولحكمة منه عز وجل ، ومما يساعد على مواجهة الأخطار المستقبلية ، هو أن المشكلات البيئية في أغلب دول العالم الإسلامي لم تتجاوز الخطوط الحمراء بعد ، لذلك فإن الفرصة متوافرة لوضع حد لها قبل استفحال أمرها .

المراجـع

أولاً : المراجـع العربيـة :

- أبو العينين ، حسن سيد أحمد (١٩٦٧م) ، آسـيا الموسمية وعالم المحيط الهادي ، دار النهضة العربية ، بيروت .
- بارانوف ، أ.ن. (محرر) (١٩٦٧م) ، أطلس العالم (أطلس ميرا) الكبير ، ط٢ ، المؤسـسة الرئيـسة للجـيوديزيا والكارتوغـرافيـا ، وزارات السوفـييت ، مـوسكو (بالروسية) .
- بحوث مـجلة العلوم ، الترجـمة العـربية (١٩٩٠م) ، عدد خـاص عن البيـئة ، مخاطر وحلول ، م٧ ، ع ٣ ، الكويت .
- بحوث الدورة الأولـى لمستقـبل الموارد المائية بمنطقـة الخليج وشبـه الجزيرة العـربية (١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م) ، المشكلات الإيكولوجية لاستخدام المياه ، الكويت .
- براون ، اي . ب. وأوغـدن سي . ج . (١٩٩٤م) ، ابيـضـاض المرجـان في : العلوم ، الترجمة العربية . م ١٠ ، ع ١ و ٢ ، ص ٥٨ - ٦٥ ، الكويت .
- بيـتروف ، م .ب. (١٩٦٦م) ، صـحـاري آسيـا الوسطى ، مـجلدان . ناوك ، موسكو (بالروسية) .
- جمال آغا ، شاهر (١٩٩٥م) ، الزلازل ، عالم المعرفة ٢٠٠ ، الكويت .
- جمعية حماية البيئة (١٩٧٤م) ، يوم البيئة العالمي ، الكويت .
- جوهـر ، دلال (١٤١٣هـ / ١٩٩٢م) ، جغـرافية العـالم الإسلامـي ، جزءان ، بيروت .
- حسن مـحمد إبراهيم (١٩٨٩م) ، دراسات في جـغرافية الوطن العـربي ، حوض البحر المتوسط ، الإسكندرية .
- سعودي ، محمد عبدالغني (١٩٦٧م) ، الوطن العربي ، بيروت .

- الشامي ، صلاح الدين وعبدالمقصود ، زين الدين (١٩٧٤م) ، جغرافية العالم الإسلامي ، الإسكندرية .
- صادق ، دولت وآخرون (١٩٦٦م)، جغرافية العالم ، ثلاثة أجزاء ، القاهرة.
- الطائي ، محمد حامد وآخرون (١٩٦٧م) ، جغرافية العالم الإقليمية ، جزءان ، بغداد .
- عبدالسلام ، عادل (١٩٧٣م) ، جغرافية سوريا ، الجزء الأول ، دمشق .
- (١٩٧٥م) ، هذه هي البحرين في : دولة البحرين ، دراسات في تحديات البيئة والاستجابة البشرية ، ص ٤٩ - ١٣١ ، معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة .
- (١٩٧٨م) ، الأرض التي عليها الدولة ، في : دولة الإمارات العربية المتحدة، دراسة مسحية ، ص ٨٥ - ١٥٨ ، والنبات والحيوان في دولة الإمارات العربية المتحدة ، في الدراسة نفسها ، ص ١٨٥ - ١٩٧ .
- (١٩٧٩م) ، مشكلة الأراضي الجافة في العالم الإسلامي ، في : بحوث المؤتمر الجغرافي الإسلامي الأول ، الرياض .
- (١٩٨٠م) ، أشكال الأرض ، جامعة دمشق ، دمشق .
- (١٩٩٠م) ، الأقاليم الجغرافية السورية ، دمشق .
- (١٩٩٠م) ، الثروة المائية ومستقبلها في الوطن العربي ، مكتبة الأسد ، دمشق .
- عبدالقادر ، حليمي (١٩٦٧م) ، جغرافية الجزائر ، مكتبة الشركة الجزائرية ، الجزائر .
- عبدالمقصود ، زين الدين (١٩٧٩م)، مشكلة التصحير في العالم الإسلامي، في: بحوث المؤتمر الجغرافي الإسلامي الأول ، الرياض .
- العيوطي ، مصطفى كمال (محرر) (١٩٧٣م) ، مصادر المياه الأرضية في البلاد العربية ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، القاهرة .

- غلاب ، محمد السيد وآخرون (١٩٧٩م) ، البلاد الإسلامية والأقليات المسلمة في العالم المعاصر ، وزارة التعليم العالي ، الرياض .
- فايد ، يوسف عبدالمجيد (١٩٧٩م) ، الخلفية المناخية للأراضي الجافة في العالم الإسلامي، في : بحوث المؤتمر الجغرافي الإسلامي الأول ، الرياض .
- فرانسيس ، ب (١٩٩٠م) ، الكلديرات العملاقة ، في : العلوم ، الترجمة العربية ، م ٧ ، ع ٢ ، ص ٧٠ - ٨١ ، الكويت .
- متولي ، محمد (١٩٧٥م) ، حوض الخليج العربي ، جزءان ، الأنجلو أمريكية ، القاهرة .
- المركز العربي لدراسات المناطق الجافة والأراضي القاحلة (١٩٩٠م) ، الموارد المائية في الوطن العربي ، وثيقة مرجعية وتفسيرية للمصور الهيدروجيولوجي للوطن العربي ، دمشق .
- مؤنس ، حسين (١٩٨٧م) ، أطلس تاريخ الإسلام ، القاهرة .

ثانيا : المراجع الأجنبية :

- Abdulsalam, Adel. 1988. Middle East, Natural Regions, in : Tuebinger Atlas des Vorderen Orient. (TAVO) Wiesbade .

- Blake, G. et al. 1987. The Combridge Atlas of the Middle East and North Africa. Cambridge .

- Bloom, A. L. 1978. Geomorphology. Englewood Cliffs .

- Bluthigen. J. 1964. Allgemeine Klimageographie . Berlin .

- Brice, W. C. (ed.). 1981. An Historical Atlas of Islam . Brill. Leiden .

- Bryson, R. A. 1973 . Drought in Sahelia, who or what is to blame, in : Ecolcgist, 3 (10) . pp. 366 - 371 .

- Bryson, R. A. and Murray, The , J, 1977. Climates of Hunger, Univ. of Wisconsin. Press. Madison .

- Bullard. F. M. 1976. Volcanoes of the Earth, Austin, Tex .

- Carley. P, 1995. Turkey's Role in the Middle East, a Conference Report, The U. S. Institute of Peace . Washington .

- Clarke, S. P. 1971. Structure of the Earth . Englewood Cliffs .

- Cook, R. V. and Warren, A. 1973 . Geomorphology in Deserts. Berkley .

- Cressey. G. B. 1963. Asia's Lands and Peoples. Mac Graw. N. Y.

- Curray, J. R. and Moore, D. G. 1971. Growth of the Bengal deep sea fan and denudation in the Himalayas, in : Geol Soc . American Bull, v 82. pp. 363 - 72 .

- Du Bois. V. D. 1974, The Drought in Niger, Amer. Universitis Field Staff Reports. Wast Africa Series. 15 (4). N. Y.

- Dupree, L. 1973. Afghanistan, Princeton Univ. Press .

- Fairbridge, R. W., e. 1966 . The Encyclopedia of Oceenography. Reinhold, N. Y.

- Fisher, G. A. 1964, South East Asia, London .

- Fisher, W. B. 1978, The Middle East, Methuen, London .

- Gannsen, R, 1968, Trockengebiete. Manntheim .

- Gannsen, R. and Haedrich, F., 1965, Atlas zur Bodenkunde. Mannheim .

- Gishler, C., 1979. Water Resurces in the Arab Middle East and Noth Africa. Menas. London .

- Griffiths, J. F., 1972, The Ceimate of Africa. Elsevier .

- Guilcher, A. 1965 . Precis d'Hydrologie, Marine et Continentale. Paris .

- Harms Erdkunde, 1964, Band III Asien. Muenchen .

- Harms Erdkunde, 1962, Band IV Afrika. Muenchen .

- Heathcote, R. L. 1983. Arid Lands, Their Use and Abuse, Langmans. London .

- Loeffler, E., 1972. Pleistocene Glaciation in Papua and New Guinea. in : Zeitshc. f. Geomorphologie . Supp V. pp. 32 - 58 .

- Meigs, P. 1966. Geography of Coastal Deserts. Arid Zone Research, XXZIIIm UNESCO .

- Oberlandern Th. 1965, The Zagros Streams. Syracuse .

- Oliver, Ronald and Crowder, Michael, eds., 1981, The Cambridge Encycolpedia of Africa. Cambridge .

- Pakistan, an official HandBook, 1985, Islamabad .

- Perera, J. 1983., On the Eve of Destruction. in : Middle East 105, pp. 25 - 33 .

- Programme, des N. U. pour I,Environnement, 1977. Le Basin Mediterraneen. Plan Bleu .

- Robinson, F. 1982. Atlas of the Islamic World since 1500. Phaidon. Oxford .

- Smith. C. S. 1970. Water Resources and Irrigation Development in the Middle East. in : Geogr. v. IV, part 4, pp. 407 - 25 .

-Takahashi,, K. and Arakawa, H., eds. 1981, Chimates of Southern and Western Asia. Elsevier .

- Tarakanov, G. G. 1982. Tropical Meteorology. Mir. Moscow .

- Thomas, M. F., 1974,. Tropical Gemorphology. N. Y.

- The Times Atlas of the World, 8 th comperhensive edition, 1990 . Bartholomew and Times Books. New York .

- Van Andel, and Tjeerd, H., 1985., New Views of an Old Planet, Continental Drift and History of Earth. Cambridge .

فهرس الأشكال

الرقم	العنـــــــــوان	الصفحة

فهرس الجداول

سكان العالم الإسلامي

الدكتور / السيد خالد المطري

فهرس الموضوعات

«تابع» فهرس الموضوعات

الملامح العامة لسكان العالم الإسلامي

يتصف سكان العالم الإسـلامي بمجموعة من الملامح تميـزهم عن غيرهم من المجموعات السكانية الأخرى في مختلف مناطق العالم، أهمها:-

١- تبلغ نسبة المسلمين في نطاق العالم الإسلامي ٨٥,٥ ٪ من جملة السكان، في حين لايشكل أتباع الديانات الأخرى الذين يعيـشون في العالم الإسلامي إلا ١٤,٥ ٪ من جـملة السكان وتزيد نسـبة المسلمـين في الشطر الآسيـوي من العالم الإسلامي إلى ٩٢٪ من جملة سكانه بينما تنخفض نسبتهم في الشطر الأفـريقي إلى ٧٥,٦ ٪ من جـملة سكانه. وتخـتلف نسـبة المسلمين بين الأقاليم الإسلامية من ٩٩-٥٠٪، كما تختلف نسبتهم بين الدول الإسلامية من ١٠٠٪ إلى ٥٠٪ من السكان. وبينمـا يشكل النصارى نـحو ٧,١٥٪ من جـملة السكان وتقل نسبـة اليهـود إلى ٣٨, ٪ ، وتبلغ نسبـة الوثنيين ٢,٩١ ٪، بينمـا تنخـفض نسـبـة الكونفـوشـيين إلى ٠,٤٢٪ من جملة السكان، ونسبة البراهمة إلى ٠,٤٦٪، ونسبة البوذيين ٠,٣٤٪، إلى جانب نسب قليلة من أتباع الزرادشتية والسيخ والراجبوت والشنتوية والجينية.

٢- تعدد اللغات التي يتـحدث بها سكان العالم الإسلامي، فهناك ١٩ لـغة رئيسة يتحدث بها ٨٧٪ من جملة السكان أبرزها العربية التي يتحدث بها نحو خمس السكان (١٩٪)، ثم البنغالية والهوسا والبنجابيـة والجاوية والتركية والأناضولية والأردو والبهاسا والفارسية والسوند.

٣ - تعدد الاجناس والسلالات والمجموعات السكانية، فهناك الأجناس الثلاثة:

القوقازي، والمغولي، والزنجي بسلالاتهـا المختلفة. وقد اختلطت هذه الأجناس والسلالات والمجموعات معاً ففقدت نقاءها الأصلي.

ويختلف التركيب السلالي بين شطري العالم الإسلامي وأقاليمه ودوله بصورة واضحة. وهناك عشر مجموعات رئيسة تشكل نحو ثلاثة أخماس إجمالي السكان، هي: العرب- البنغاليون - الجاويون- البنجابيون - الأتراك الأناضوليون- الفرس- المتحدثون بالأردو- السوند- الملايا- الهوسا، إلى جانب ٢٩ مجموعة تشكل خمس السكان، بينما يتشكل الخمس الباقي من العديد من الجماعات السلالية الصغيرة.

٤- تركز أكثر من ثلاثة أخماس عدد السكان (٦٠,٣٧٪) في الشطر الآسيوي مقابل ٣٩,٦٣ ٪ في الشطر الأفريقي، وهو مايتفق مع تاريخ انتشار الإسلام من آسيا إلى مختلف القارات.

٥- التوزيع غير المستوى للسكان على الأقاليم الإسلامية، فأكثر الأقليم سكاناً هو شبه القارة الهندية الذي يضم ٢٥٤,٧ مليون نسمة بزيادة أكثر من الخمس من جملة السكان (٢١,٩٪)، يلية إقليم جنوب شرقي آسيا بعدد ٢١٤,٦ مليونا وبنسبة ١٨,٥٪، ثم إقليم حوض النيل بعدد ١٦٣,١ مليونا وبنسبة ١٤٪، ثم إقليم غربي آسيا بعدد ١٤٥,٤ مليونا وبنسبة ١٢,٥٪، وإقليم غربي أفريقيا (ب) بعدد ١٣٧,٩ مليونا وبنسبة ١١,٩٪. وتضم هذه الأقاليم الخمسة ٩١٥,٧ مليون نسمة بنسبة تقترب من الأربعة أخماس (٧٨,٨٪) من جملة السكان. بينما لاتضم الأقاليم السبعة الأخرى سوى ٢٤٦ مليون نسمة نسبتهم ٢١,٢٪ من جملة السكان أقلها إقليما شبه الجزيرة العربية (أ)و (ب) وإقليم غربي أفريقيا (أ) التي تتراوح نسبة سكانها بين ١,٥-٢ ٪ من جملة السكان.

٦- تتباين الدول الإسلامية في عدد سكانها ويمكن تضنيفها ثلاث مجموعات: الأولى الدول ضخمة السكان (١٠٠ مليون فأكثر) أكبرها أندونيسيا بعدد ١٩٥,٦ مليونا وبنسبة ١٦,٧٦٪ من جملة السكان في العالم الإسلامي

و٣,٥ ٪ من جملة سكان العالم. ثم باكستان بعدد ١٣٦,٦ مليونا وبنسبة ١١,٨٪، ثم بنجلاديش ونيجيريا بعدد ١١٧,٨ و ١٠٨,٥ مليون على التوالي. وتضم هذه الدول الأربع ٥٥٨,٥ مليون نسمة تشكل نحو نصف إجمالي السكان.

أما المجموعة الثانية فهي الدول كبيرة السكان (٥٠- أقل من ١٠٠مليون نسمة) وتشمل إيران - مصر- تركيا - أثيوبيا التي يبلغ عدد سكانها معا ٢٤١,٦ مليونا يمثلون خمس إجمالي السكان في العالم الإسلامي وبذلك يتركز أكثر من ثلثي السكان (٦٨,٨٪) في ثماني دول فقط، في حين لاتضم الدول الأربعين الأخرى التي تشكل المجموعة الثالثة (أقل من ٥٠ مليون نسمة) أي أقل من ثلث السكان (٣١,٢٪)، مما يدل على التركز الشديد من جانب والتخلخل الكبير من جانب آخر في توزيع السكان.

٧- ارتفاع الكثافة السكانية إلى ٥٤ نسمة في الكليلومتر المربع، بزيادة ١١ شخصًا عن معدل العالم عام ١٩٩٤م، وذلك على الرغم من زيادة المساحات الصحراوية والأراضي غير المعمورة ويتصل بذلك عدم التوازن الإقليمي في توزيع السكان بين الشطرين (الأسيوي ٨٠، والأفريقى ٢٨,٥ نسمة في الكيلومتر المربع)، مع اختلاف واضح بين كثافة الأقاليم فبعضها يبلغ ٢٥٠ نسمة في الكليو متر المربع مثل شبه القارة الهندية، بينما تنخفض في البعض الآخر إلى خمسة أشخاص فقط في الكليومتر المربع مثل الصحراء الكبرى، إلى جانب التباين الكبير في كثافة سكان الدول بين ٨٠٠ نسمة في الكيلو متر المربع وأكثر (مثل بنجلاديش والبحرين والمالديف)، وبين خمسة أشخاص في الكيلو متر المربع (مثل ليبيا وموريتانيا) بسبب تباين العوامل المؤثرة في كثافة السكان في كل منها.

٨- يشكل سكان المدن في العالم الإسلامي ٤٣٪ من جملة سكانه، بزيادة ١٪ عن متوسط العالم، ٩,٠ ٪ عن المناطق الأقل تقدما. وتزيد هذه النسبة إلى ٥٢٪ في الشطر الآسيوي بينما تنخفض في الشطر الأفريقي إلى ٣٤٪. كما تتباين هذه النسبة بين الأقاليم الإسلامية من ٨٦٪ إلى ٢٣٪، كذلك تختلف بين الدول الإسلامية من ٩٦٪ إلى ٩٪ فقط. وقد زادت هذه النسبة بنحو ١٩٪ بين عامي ١٩٧٩- ١٩٩٣م في العالم الاسلامي، وتراوحت بين ٣١-٥٦٪ في الدول الإسلامية.

٩- انخفاض نسبة سكان الريف من ٦٢,١٪ إلى ٥٢,٥٪ بين عامي ١٩٧٩- ١٩٩٣م، كما انخفضت هذه النسبة في شطري العالم الإسلامي وأقاليمه ودوله بنسب متباينة تراوحت بين ٤٠٪ وأقل.

١٠- ارتفاع نسبة الزواج وانخفاض نسبة العزاب أو المطلقين. وتتباين الدول الإسلامية في ذلك، فبينما ترتفع نسبة المتزوجين إلى ١٨,١ في الألف في بعضها تنخفض في البعض الآخر إلى ٣,٢ في الألف. وبينما تنخفض نسبة الطلاق إلى ٤٦ حالة لكل ١٠٠,٠٠٠ من المتزوجين في بعض الدول ترتفع إلى ١٤٦ حالة طلاق لكل ١٠٠,٠٠٠ متزوج في دول أخرى.

١١- ارتفاع معدلات المواليد في العالم الإسلامي (تبلغ ٣٨ في الألف) بزيادة ١٣ في الألف عن متوسط العالم، و٢٥ في الألف عن المناطق الأكثر تقدما، وإن كانت تقل بنسبة ٥ في الألف عن منوسط المناطق الأقل تقدما.

١٢- ارتفاع معدلات الخصوبة الكلية للمرأة المسلمة بالمقارنة بمناطق العالم المختلفة. ويبلغ هذا المعدل ٥,٤ مواليد بزيادة ٢,٣ مولودين عن متوسط العالم وبأكثر من ثلاث مرات متوسط المناطق الأكثر تقدماً، هذا المتوسط من مثيله في المناطق الأقل تقدماً الذي يبلغ ٥,٨ مواليد للمرأة.

١٣- ارتفاع معدلات الزيادة الطبيعية إلى ٢,٧٪ (١٩٩٠- ١٩٩٥م) بزيادة تسع مرات عن المناطق الأكثر تقدماً.

١٤- بعض أقاليم العالم الإسلامي مناطق جذب للهجرة الوافدة التي نسهم في نمو السكان (٢,٧- ٤,٧٪ سنوياً)

١٥- ارتفاع نسبة النمو السنوي للسكان إلى أكثر من ٣٪ سنوياً بين عامي ١٩٧٩- ١٩٩٣م، بزيادة نحو ٢٪ عن معدل العالم، وعشر مرات عن معدل المناطق الأكثر تقدما.

١٦- ونتيجة لذلك كله حدث تطور سريع في عدد سكان العالم الإسلامي خلال القرن العشرين الميلادي من ٢١٠,٥ مليون نسمة في بدايته إلى ١١٦١,٢ مليونا في عام ١٩٩٤م، بنسبة تغير ٤٥٢٪ خلال أقل من مائة سنة، بحيث صاروا يشكلون ٢٠,٦٣٪ من جملة سكان العالم بعد أن كانت نسبتهم ١٨٪ قبل خمسة عشر عاما. والمتوقع أن تصل نسبتهم إلى ٢٤,٦٥٪ في عام ٢٠١٥م وإلى نحو ٣٠٪ في بداية منتصف القرن الحادى والعشرين إن شاء الله.

١٧- قلة عدد السنوات اللازمة لمضاعفة عدد السكان إلى ٢٦ سنة٢ منخفض في بعض الأقاليم إلى ٢٢ سنة فقط، مقابل ٤٢ سنة في العالم و١٦٢ سنة في المناطق الأكثر تقدماً.

١٨- انخفاض متوسط الدخل الفردي بالعالم الإسلامي إلى نحو ألف دولار في السنة عام ١٩٩١م بنقص كبير يبلغ الثلثين عن حد الفقر وعن حد اللازم لتغطية الاحتياجات الضرورية للفرد ويمثل هذا المتوسط خمس مثيله المتوسط العالمي ويقل عن متوسط المناطق الأكثر تقدما بنحو ١٥ مرة ٢٠ ويرتفع هذا

المتوسط في الشطر الآسيوي عن مثيله في الشطر الأفريقي بنحو ثلاث مرات (١٥٠٠ : ٥٠٠ دولار في السنة تقريبا). كما يتفاوت هذا المتوسط بين الأقاليم الإسلامية من ٧٦٠٠ - ٢٥٠ دولارا في السنة، كما يتفاوت بين الدول الإسلامية من نحو ٢٠,٠٠٠ إلى ٢٠٠ دولار في السنة.

١٩- انخفاض المستوى الصحي بين السكان في بعض أرجاء العالم الإسلامي سواء بمقياس مايخدمه الطبيب أو عضو هيئة التمريض الواحد من السكان، أو عدد الأسرة للسكان.

٢٠- ارتفاع معدلات الوفيات الخام إلى ١١,٢ في الألف عام ١٩٩٤م، بزيادة ٢,٢ في الألف عن متوسط العالم، و١,٢ في الألف عن متوسط المناطق الأكثر تقدما، وإن كان يقل بنحو ٣,٨ في الألف عن متوسط المناطق الأقل تقدما، مع وجود تباينات كبيرة بين الأقاليم الإسلامية. وهذا المعدل آخذ في الانخفاض السريع خلال ربع القرن الأخير بنحو ٥,٣ في الألف.

٢١- ارتفاع معدلات وفيات الرضع (أقل من سنة) بدرجة واضحة بلغت ٧٦ في الألف عام ١٩٩٥م، بزيادة ١٢ في الألف عن متوسط العالم، وبنحو سبع مرات ونصف عن المناطق الأكثر تقدما، وإن كان يقل عن معدل المناطق الأقل تقدما بنحو ٣٤ في الألف. وقد هبط هذا المعدل بنحو ٥٠ في الألف منذ عام ١٩٧٩م.

٢٢- ينخفض متوسط عمر الفرد إلى ٥٩ سنة، وهو يقل بنحو خمس سنوات عن معدل العالم عام ١٩٩٤م، وبنحو ١٥ سنة عن معدل المناطق الأكثر تقدما، وبنحو ٨ سنوات عن معدل المناطق الأقل تقدما.

٢٣- زيادة نسبة الذكور عن الإناث (٥٠,٨ : ٤٩,٢٪ على التوالي)، مع زيادة

نسبتهم في الشطر الآسيوي عن الأفريقي، مع اختلافات واضحة في التركيب النوعي بين الأقاليم والدول الإسلامية.

٢٤- زيادة نسبة صغار السنة (أقل من ١٥ سنة) إلى ٤٢٪ من جملة السكان في العالم الإسلامي أي أكثر من ضعف نسبتهم في المناطق الأكثر تقدما، وبزيادة ١٠٪ عن العالم، مع زيادة نسبة الأطفال في الشطر الأفريقي عن الآسيوي (٤٣,٥ : ٣٩,٥٪ على التوالي)، ومع تباينات واضحة بين الأقاليم والدول الإسلامية في ذلك.

٢٥- انخفاض نسبة متوسطي السن إلى ٥٥٪ من جملة السكان بنقص قدرة ٧٪ عن متوسط العالم و ١٢٪ عن المناطق الأكثر تقدما. وتزيد هذه النسبة إلى ٥٧٪ في الشطر الآسيوي مقابل ٥٣٪ في الشطر الأفريقي، ومع وجود تباينات واضحة بين الأقاليم والدول الإسلامية، وهناك اتجاه عام نحو زيادة هذه النسبة بنحو ٢٪ خلال الفترة من ١٩٧٩ إلى ١٩٩٤م.

٢٦- انخفاض نسبة كبار السن في العالم الإسلامي إلى ٣٪ فأقل من جملة السكان، وهي أقل من نصف مثيلتها في العالم، وأقل من ربعها في المناطق الأكثر تقدما. ويتساوى الشطران المسلمان في هذه النسبة، وإن كانت هناك اختلافات واضحة بين الأقليم والدول الإسلامية.

٢٧- اشتغال نحو نصف إجمالي السكان بالحرف الأولية (٤٧,١٪)، مع زيادة هذه النسبة إلى أكثر من الثلاثة أخماس في الشطر الأفريقي (٦٢,٧٪) مقابل ٣١,٥٪ في الشطر الآسيوي وبينما تزيد هذه النسبة إلى ثلاثة أرباع إجمالي السكان في بعض الأقاليم تنخفض إلى عشر السكان وأقل في أقاليم أخرى، كما تتفاوت هذه النسبة بشكل جلي بين الدول الإسلامية. وقد انخفضت هذه النسبة بنحو ٨٪ بين عامي ١٩٨٠- ١٩٩٣م في العالم الإسلامي، وبأكثر من

ذلك القدر في بعض الدول الإسلامية.

٢٨- ارتفاع نسبة الأمية إلى ٤٩٪ بين الجنسين عام ١٩٨٧م بانخفاض قدره ١١٪ عن عام ١٩٧٩م. وتنخفض هذه النسبة في الشطر الآسيوي إلى ٣١,٥٪ من السكان فوق ١٥ سنة بينما ترتفع إلى ٦٦,٢٪ في الشطر الأفريقي. وتتراوح هذه النسبة بين ٨٢٪ في بعض الأقاليم (مثل الصحراء الكبرى) و١٨,١٪ في أقاليم أخرى (مثل الهلال الخطيب). كما تتفاوت بين ٩١,٢٪ و٥,٠٪ في الدول الإسلامية وتتصف الإناث بأنهن أكثر أمية من الذكور في العالم الإسلامي. والملاحظ أن هذه النسبة قد انخفضت في السنوات التالية في العالم الإسلامي وأقاليمه ودوله المختلفة بسبب الجهود الحكومية الكبيرة المبذولة في مكافحة الأمية وبسبب تطور التعليم الأساسى في الدول المختلفة.

٢٩- انخفاض نسبة طلبة وطالبات التعليم الجامعي إلى ٦٨,٠٪ من جملة السكان، مع ارتفاع هذه النسبة في الشطر الآسيوي عنها في الأفريقي، ومع وجود تباين واضح بين الأقاليم والدول الإسلامية في هذه الظاهرة.

٣٠- اختلاف نسبة الإناث في التعليم الجامعي، وهو مايعكس درجة التقدم الاجتماعي فبينما تبلغ ٣٣٪ في العالم الإسلامي تزيد إلى ٤١,٧٪ في الشطر الآسيوي وتنخفض إلى ٢٢,٥٪ في الشطر الأفريقي، ومع اختلافات واضحة بين الأقاليم والدول في ذلك وتبلغ نسبة الإناث في التعليم الثانوي بالعالم الإسلامي ٤١٪ تزيد إلى ٤٤٪ في الشطر الآسيوي بينما تنخفض إلى ٣٩٪ في الشطر الأفريقي،مع وجود اختلافات واضحة بين الأقاليم والدول الإسلامية.

٣١- انخفاض نسبة الإنفاق على التعليم في العالم الإسلامي ككل وارتفاعه في

الشطر الآسيوي عن الأفريقي. وتتباين الأقاليم والدول الإسلامية بشكل واضح حيث ترتفع في بعضها إلى ١٦٪ من جملة النفقات الحكومية السنوية بينما تنخفض في البعض الآخر إلى ٣٪ فقط.

٣٢- انخفاض نصيب الفرد من أجهزة الاتصال ووسائل الإعلام فهناك هاتف واحد لكل ١٩ شخصًا، يتحسن في الشطر الآسيوي إلى هاتف لكل عشرة أشخاص، بينما ينخفض في الشطر الأفريقي إلى هاتف لكل ٨٩ شخصًا مع وجود تفاوت واضح بين الأقاليم والدول الإسلامية من هاتف لكل ستة أشخاص إلى هاتف لكل ٥٥٦ شخصا. ويمتد ذلك إلى تفاوت نصيب الفرد من أجهزة التلفزة بين الأقاليم والدول الإسلامية بصورة جلية بين جهاز لكل ٣ أشخاص إلى جهاز لكل ٥٠٠ شخص.

نمو سكان العالم الإسلامي

أولاً: سكان العالم الإسلامي قبل القرن العشرين الميلادي:

من الصعب إعطاء صورة دقيقة موثوق بها عن سكان العالم الإسلامي قبل القرن العشرين الميلادي لعدة أسباب منها:-

١- أن كثيراً من دول العالم الإسلامي لم يكن قد ظهر إلى الوجود باسمه وحدوده الحالية المعترف بها دوليا، كما أن أغلبها لم يكن قد حصل على استقلاله وهويته الوطنية.

٢- ندرة البيانات المتعلقة بسكان العالم الإسلامي آنذاك من إحصاءات وتقديرات وصعوبة الاعتماد عليها.

٣- حرص الاستعمار - الذي كان يسيطر على معظم الدول الإسلامية في القرن التاسع عشر- على طمس بياناتها السكانية حتى تظل أمورها مجهولة أمام العالم.

٤- عدم وضوح حدود العالم الإسلامي بالمفهوم الحالي، وغموض الكثير من قضاياه وانصراف جهود الدول الإسلامية إلى الكفاح ضد الاستعمار والحصول على استقلالها الوطني.

وفي أواخر القرن التاسع عشر الميلادي كان عدد سكان العالم الإسلامي ضئيلا يقدر بنحو ٢١٠,٥ مليون نسمة، وهو مايقترب من سكان اندونيسيا وحدها حاليا ولايزيد عن سدس العدد الحالي للعالم الإسلامي (١٨,١٪). وكان الشطر الآسيوي أكثر ثقلا من نظيره الأفريقي (٦٥,٥٢٪ مقابل ٣٤,٤٧٪ على التوالي)، أما العدد المطلق لسكانهما فكان ١٣٧,٩١٧,٠٠٠ نسمة مقابل ٧٢,٥٤٧,٠٠٠ نسمة، كما يظهر من الجدول رقم (١).

وفي ذلك الوقت كـان إقليم شبـه القارة الهـندية أكثـر الأقاليم سكانا بعـدد ٤٥,٥٧٧,٠٠٠ نسمة يمثلون ٣٢,٠٥٪ من سكان الشطر الآسيوي ٢١,٦٦٪ من جملة سكان العـالم الإسلامي آنذاك، يليه إقليم غربي آسـيا بعدد ٤٢,٣٦٣,٠٠٠ نسمة يمثلون ٣٠,٧٢٪ من سكان الشطر الآسيوي و٢٠,١٣٪ من سكان العالم الإسلامي، ثم إقليم جنوب شرقي آسـيا بعدد ٤٠,٦٧٥,٠٠٠ نـسمة يشـكلـون ٢٩,٤٩٪ من سـكان الـشـطر الآسيـــوي و ١٩,٣٣٪ من سكـان العـــالم الإســلامي. وكانت هذه الأقـاليم الثـلاثة مـعًا تضم جل سكــان الشطر الآسيـوي (٩٣,٧٤٪) وأكثر من ثلاثة أخماس سكان العالم الإسلامي (٦١,١١٪).

وكان إقليم غربي أفريقيا (ب) يأتي رابعا بعدد ٢١,٧٥٨,٠٠٠ نسمة يمثلون ٣٠٪ من سكان الشطر الأفريقي و ١٠,٣٤٪ من سكان العـالم الإسلامي، يليـه خامسا إقليم حوض النيل بعدد ٢٠,١٣٧,٠٠٠ نسمة يمثلون ٢٧,٧٦٪ من سكان الشطر الأفريقي و٩,٥٧٪ من سكان العـالم الإسلامي، ثم إقليم شمـالي افريقـيا سادسا بعدد ١٤,٣٦٨,٠٠٠ نسمة وبـنسبة ١٩,٨١٪ من سكان الشطر الأفريقي و٦,٨٣٪ من سكان العالم الإسلامي.

وكانت الأقاليم الستة السابقة تضم غـالبية سكان العالم الإسلامي آنذاك بعدد ١٨٤,٨٧٨,٠٠٠ نسمة بـنسبة ٨٧,٨٤٪ من جملة السـكان. أما الأقاليم السـتة الاخرى فكان عدد سكانها حوالى ٢٥ مليون نسمة يمثلون ١٢,١٦٪ فقط من جملة سكان العالم الإسلامي، أولاها إقليم الصحراء الكبرى (بعدد ٦,١٦٧ مليون نسمة وبنسبة ٨,٥٪ من سكان الشطر الأفريقي و٢,٩٣٪ من سكان العالم الإسلامي)، ثم إقليما غـربي افريقيا (أ) وشرقي أفريقـيا بعدد ٥,٠٧١، ٥,٠٤٦ ملايين نسمة على التـوالي وبنسبـة ٧٪ من سكان الشطر الأفـريقي، ٢,٤٪ من سكان العـالم الإسلامي، ثم إقليم الهلال الخطيب بعدد ٤,٢٨٨ ملايين نسمة يشكلون ٣,١١٪ من سكان الشطر الآسيوي و٢٪ من سكان العالم الإسـلامي، ثم إقليم شبه الجزيرة

جدول رقم (١) سكان العالم الإسلامي في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي

الإقليم/ الدولة	عدد السكان (ألف نسمة)	/ من سكان العالم الإسلامي	الإقليم/ الدولة	عدد السكان (الف نسمة)	٪ من سكان العالم الإسلامي
شبه الجزيرة العربية «أ»	٣,٠٧٠	١,٤٦	جنوب شرقي آسيا	٤٠,٦٧٥	١٩,٣٣
السعودية	٣,٠٠٠	١,٤٣	ماليزيا	٢,٩٥٩	١,٤١
الكويت	–	–	بروناي	٢٢	٠,٠١
قطر	–	–	إندونيسيا	٣٧,٦٩٤	١٧,٩١
البحرين	٠,٧٠	٠,٠٣	حوض النيل	٢٠,١٣٧	٩,٥٧
شبه الجزيرة العربية «ب»	١,٩٤٤	٠,٩٢	السودان	٣,٠٠٠	١,٤٣
الإمارات	–	–	أثيوبيا	٤,٥٠٠	٢,١٤
عمان	١,٠٠٠	٠,٤٨	أوغندا	٢,٨٤٣	١,٣٥
اليمن	٠,٩٤٤	٠,٤٤	مصر	٩,٧٩٤	٤,٦٥
الهلال الخصيب	٤,٢٨٨	٢,٠٤	شمالي أفريقيا	١٤,٣٦٨	٦,٨٣
العراق	١,٣٩٨	٠,٦٦	ليبيا	١,٠٠٠	٠,٤٨
فلسطين	–	–	تونس	١,٩٣٩	,٩٢
لبنان	٠,٢٠٠	٠,١٠	الجزائر	٤,٤٢٩	٢,١٠
سوريا	٢,٦٩٠	١,٢٨	المغرب	٧,٠٠٠	٣,٣٣
الأردن	–	–	شرقي أفريقيا	٥,٠٤٦	٢,٣٩
غربي آسيا	٤٢,٣٦٣	٢٠,١٣	جيبوتي	٢٨٠	٠,١٢
تركيا	٢٨,٨١٣	١٣,٦٩	الصومال	٤٠٠	٠,١٨
إيران	٩,٠٠٠	٤,٢٨	تنزانيا	٤,٣٤٢	٢,٠٥
أفغانستان	٤,٥٥٠	٢,١٦	جزر القمر	٩٦	٠,٠٤
شبه القارة الهندية	٤٥,٥٧٧	٢١,٦٥	أريتريا	٠٠	٠٠
باكستان	١٦,٠	٧,٨٨	الصحراء الكبرى	٦,١٦٧	٢,٩٣
			تشاد	٨٨٥	٠,٤٢
بنجلاديش	٢٨,٩٢٨	١٣,٧٤	النيجر	٥,٠٥٩	٢,٤٠
المالديف	٠,٧٢	٠,٠٣	مالي	٥,٠٥٩	٢,٤٠

«تابع» جدول رقم (١)

الإقليم/ الدولة	عدد السكان (ألف نسمة)	٪ من سكان العالم الإسلامي	الإقاليم/ الدولة	عدد السكان (ألف نسمة)	٪ من سكان العالم الإسلامي
موريتانيا	٢٢٣	٠,١١	عربي أفريقيا «ب»	٢١,٧٥٨	١٠,٣٤
عربي أفريقيا «أ»	٥,٠٧١	٢,٤١	نيجر	٧٤٩	٠,٣٦
السنغال	١,٢٤٧	٠,٥٩	نيجيريا	١٧,١٣٣	٨,١٤
غامبيا	١٠٣	٠,٠٤	الكمرون	٣,٥٠٠	١,٦٦
غينيابيساو	٨٢٠	٠,٤٠	بوركينا فاسو	٠٠	٠٠
سيراليون	١,٤٠٣	٠,٦٧	الجابون	٣٧٦	٠,١٨
غينيا	١,٤٩٨	٠,٧١	العالم الإسلامي	٢١٠,٤٦٤	١٠٠,٠٠

١ - الجدول من إعداد الباحث بناء على:-

أ - Showers,v.(1969).World Facts And Figures,pp.321-326.

ب - من حساب الباحث.

العربية (أ) بعدد ٣,٠٧٠ ملايين نسمة نسبتهم ٢,٢٪ من سكان الشطر الآسيوي و١,٥٪ من سكان العالم الإسلامي، بينما كان إقليم شبه الجزيرة (ب) أقل الأقاليم سكانًا بعدد ١,٩٤٤ مليون نسبتهم ١,٤٪ من سكان الشطر الآسيوي و٠,٩٢٪ من سكان العالم الإسلامي.

وحتى نهاية القرن التاسع عشر الميلادي كان عدد الدول الإسلامية أربعين دولة يتباين عدد سكانها تباينا كبيرا على النحو التالي:-

١- الدول الضخمة السكان (٢٠ مليون نسمة فأكثر).. وعددها ثلاث هي: أندونيسيا بعدد ٣٧,٦٩٤ مليونا وبنسبة ١٧,٩١٪ من سكان العالم الإسلامي، وبنجلاديش بعدد ٢٨,٩٢٨ مليونا وبنسبة ١٣,٧٤٪، ثم تركيا بعدد ٢٨,٨١٣ مليونا وبنسبة ١٣,٦٩٪. وكانت الدول الثلاث تضم معا ٩٥,٤٣٥ مليون نسمة نسبتهم ٤٥,٣٥٪ من جملة سكان العالم الإسلامي.

٢- الدول الكبيرة السكان (١٥- أقل من ٢٠ مليون نسمة).. وتضم دولتين فقط هما نيجيريا بعدد ١٧,١٣٣ مليون نسمة وبنسبة ٨,١٤٪، وباكستان بعدد ١٦,٥٧٧ مليونا وبنسبة ٧,٨٨٪. وكانت الدولتان معا تضمان ٣٣,٧١٠ مليون نسمة نسبتهم ١٦٪ من جملة سكان العالم الإسلامي آنذاك.

٣- الدول المتوسطة السكان (٥-١٠ملايين نسمة).. وتضم أربع دول هي: مصر بعدد ٩,٧٩٤ ملايين نسمة بنسبة ٤,٦٥٪، وإيران بعدد تسعة ملايين نسمة ونسبة ٤,٢٨٪ والمغرب بعدد سبعة ملايين نسمة وبنسبة ٣,٣٣٪، ثم النيجر ومالي معاً بعدد ٥,٠٥٩ ملايين نسمة وبنسبة ٢,٤٪. وتضم الدول الأربع معا ٣٠,٨٥٣ مليونا نسبتهم ١٤,٦٦٪ من سكان العالم الإسلامي.

٤- الدول قليلة السكان (١-٥ ملايين نسمة).. وعددها ١٧دولة، هي: أفغانستان - أثيوبيا- الجزائر- تنزانيا- الكمرون - السعودية- العراق- ماليزيا- أوغندا سوريا- تونس- سير اليون - السنغال- السودان- ليبيا عُمان.

٥- الدول قزمية السكان (أقل من مليون نسمة).. وتضم ١٤ دولة، هي: بروناي- البحرين- المالديف- جزر القمر- غامبيا- لبنان - جيبوتي- موريتانيا- الجابون - الصومال- بنين- غينيا بيساو- تشاد- اليمن، وذلك على النحو المبين في الجدول السابق رقم (١).

ثانياً: نمو السكان خلال القرن العشرين الميلادي:-

تطور سكان العالم الإسلامي تطورا كبيرا خلال القرن العشرين الميلادي، فقد زاد العدد بنسبة ٤٥٢٪ بين عامي ١٩٠٠و١٩٩٤م (من ٢١٠,٤٦٤ إلى ١١٦١,٢٢٨ مليون نسمة) بين العامين. وتميز الشطر الأفريقي بسرعة نمو سكانه عن نظيره الآسيوي (٥٣٤٪: ٤٠٨٪ على التوالي) حيث زاد الأول من ٧٢,٥٤٧ مليونا إلى ٤٦٠,١٣٧ مليونا، بينما زاد الثاني من ١٣٧,٩١٧ إلى ٧٠١,٠٩١ مليونا خلال الفترة ذاتها.

وقد اختلفت الزيادة خلال نصفي القرن على النحو التالي:-

١- في النصف الأول (١٩٠٠- ١٩٥٠م):

بلغت نسبة الزيادة السكانية ٩٧٪، إذا ارتفع العدد من ٢١٠,٤٦٤ مليون نسمة إلى ٤١٣,٩٤٤ مليون نسمة، وبلغت نسبة زيادة سكان الشطر الأفريقي ٤,٨٤٪ مقابل ٦٨,٨٪ للشطر الآسيوي. وتميزت غالبية أقاليم العالم الإسلامي ببطء النمو، وكان أقلها نموا إقليم غربي آسيا (من ٤٢,٣٦٣ إلى ٤٩,٤٩٧ مليونا بنسبة ١٧٪)، ثم إقليم الصحراء الكبرى (من١٦٧,٦ إلى ٨,٣٧٢ مليونا بنسبة ٣٦٪) فإقليم غربي أفريقيا أ (من ٥,٠٧١ إلى ٧,٣١٢ ملايين بنسبة ٤٤٪)، بينما زاد إقليم شمالي أفريقيا من ١٤,٣٦٨ إلى ٢٢,١٢٧ مليونا بنسبة ٥٤٪، ثم إقليم شبه القارة الهندية (من ٤٥,٥٧٧ إلى ٩٥,٩٢٤ مليونا بنسبة ٦٧٪). كما زاد إقليم غربي أفريقيا "ب" من ٢١,٧٥٨ إلى ٣٨,٨٦٩ مليونا بنسبة ٧٩٪. أما إقليم شرقي افريقيا فزاد من ٥,٠٤٦ إلى ٩,٧٤١ ملايين نسبة ٩٣٪. وكل هذه الأقاليم أقل من نسبة الزيادة العامة لسكان العالم الإسلامي.

أما إقليم الهلال الخصيب فكان أسرع نموا (من ٤,٢٨٨ إلى ١٢,١٦٣ مليونا بنسبة ١٨٤٪، وتلاه إقليم حوض النيل (من ٢٠,١٣٧ إلى ٤٧,٣٣١ مليونا بنسبة ١٣٥٪)، فإقليم شبه الجزيرة العربية (آ) (من ٣,٠٧٠ إلى ٦,٢٩٧ ملايين بنسبة ١٠٥٪)، ثم إقليم جنوب شرقي آسيا (من ٤٠,٦٧٥ إلى ٨٣,١ مليونا بنسبة ١٠٤٪). ويعد إقليم شبه الجزيرة العربية (ب) الأسرع نموا (من ١,٩٤٤ إلى ٥,٨٨ ملايين بنسبة ٢٠٢٪).

وفي هذه الفترة كانت أسرع الدول زيادة في السكان هي: لبنان (٥٢٩٪)، والإمارات (٣٥٠٪) والصومال (٣٣٧٪)، والعراق (٢٤٤٪)، وأثيوبيا (٢٣٣٪)، بينما كانت أقل الدول نموا في السكان هي: الجابون وليبيا (٩٪ لكل)، والمالديف (١٤٪)، والكمرون (١٧٪)، والمغرب وسوريا (٣٠٪ لكل)، وبنجلاديش (٤٥٪)، وسير اليون (٣٢٪).

وقد انخفض عدد سكان أربع دول في هذه الفترة هي: جيبوتي (- ٧٣٪)، وعمان (- ٤٥٪)، وغينيا بيساو (-٣٨٪)، وتركيا (-٣٧٪) إما بسبب الهجرة العائدة منها أو بسبب إعادة تخطيط الحدود السياسية.

٢- في النصف الثاني (١٩٥٠- ١٩٩٤م):

بلغت نسبة زيادة السكان خلال هذه الفترة ١٨١٪ (من ٤١٣,٩٤٤ إلى ١١٦١,٢٢٨ مليونا)، وكان الشطر الأفريقي أسرع نموا من نظيره الآسيوي (٢٤٤٪ : ٢٠١٪ على التوالي) إذا زاد عدد سكان الأول بنحو ٣٢٦,٣٨٥ مليون بينما زاد سكان الثاني ٤٦٨,٢٣ مليونا.

وكان إقليم شرقي أفريقيا الأسرع نموا (من ٩,٧٤١ إلى ٤٢,٥٥٦ مليونا بنسبة ٣٣٧٪)، تلاه إقليم الهلال الخصيب (من ١٢,١٦٣ إلى ٤٨,٤٣١ مليونا بنسبة ٢٩٨٪)، ثم إقليم غربي أفريقيا (ب) (من ٤٧,٣٣١ إلى ١٦٣,٠٥٢ مليونا

وبنسبة ٢٤٤٪)، فإقليم شبه القارة الهندية (من ٧٥,٩٢٤ إلى ٢٥٤,٦٧٨ مليونا بنسبة ٢٣٥٪)، ثم إقليم الصحراء الكبرى (من ٨,٣٧٢ إلى ٢٧,٧٠٨ مليونا بنسبة ٢٣١٪)، فإقليم شبه الجزيرة العربية (أ) (من ٦,٢٩٧ إلى ٢٠,١٧٣ مليونا بنسبة ٢٢٠٪)، ثم إقليم شمالي أفريقيا (من ٢٢,١٢٧ إلى ٦٧,٧٧١ مليونا بنسبة ٢٠٦٪)، ثم إقليم شبه الجزيرة العربية (ب) (من ٥,٨٨ إلى ١٧,٨١١ مليونا بنسبة ٢٠٣٪).

أما أبطأ الأقليم فكان إقليم جنوب شرقي آسيا (من ٨٣,١ إلى ٢١٤,٥٩ مليونا بنسبة ١٥٨٪) ، تلاه إقليم غربي أفريقيا "أ" (من ٧,٣١٢ إلى ٢١,١٣٦ مليون بنسبة ١٨٩٪)، ثم إقليم غربي آسيا (من ٤٩,٤٩٧ إلى ١٤٥,٤٠٨ مليون بنسبة ١٩٤٪).

وفي هذه الفترة زاد عدد سكان ٣٤ دولة إسلامية بين ٢٣ مرة إلي مرتين، بينما زاد عدد سكان ١٢ دولة من مرة إلى أقل من مرتين وكانت الزيادة ٢٪ فقط في دولة واحدة. وكانت قطر أسرع الدول نموا (٣٠٧٦٪)، تلتها الإمارات (٢٢٢٦٪)، ثم جيبوتي والكويت (٩١١٪، ٨٦١٪)، ثم بروناي (٥٨٣٪)، فالصومال (٤٢٠٪)، وفلسطين (٣٩٥٪)، والبحرين (٣٨٩٪) وليبيا (٣٨٠٪)، وأوغندا (٣١٦٪)، والعراق (٣١٤٪)، فباكستان وسوريا (٣٠٥٪ لكل منهما). أما إيران فزاد سكانها بنسبة ٢٩٧٪، والأردن ٢٩١٪، والسنغال ٢٨٧٪، وجزر القمر ٢٨٠٪، وغامبيا ٢٨٦٪ ، ونيجريا ٢٦٥٪، وعُمان ٢٧٨٪، وأثيوبيا ٢٥٦٪، وتزانيا ٢٧١٪ ، وماليزيا ٢٤٠٪، ومصر ٢٢٤٪، وبروكينا فاسو ٣٢٣٪ ، والجزائر والكمرون ٢١٥٪ لكل، والجابون ٢١٤٪ ، ومالي وموريتانيا ٢١٣٪ لكل، والمالديف ٢٠٠٪، والسودان ٢٢٨٪، كما يظهر من الجدول رقم (٢).

أما أبطأ الدول نموا فكـانت أفغانسـتان (من ١٢ إلى ١٨,٨٧٩ مليونا بنسـبة ٥٧٪ فقط)، بسبب الحروب والقلاقل السياسية المستمرة فيها (شكل رقم١).

وتفسـر الزيادة السكانية في العالم الإسـلامي خلال القرن العشـرين الميلادي بثلاثة عـوامل هي: ارتفاع معدلات المواليـد، وانخفاض مـعدلات الوفيات العـامة ووفيات الأطفال بخاصة، وما نتج عن هذين العـاملين من زيادة طبيعة مرتفعة، ثم الهجرة الأجنبيةالوافدة من الخارج (غلاب وزميله، ١٩٧٤م، من ١١٧).

جدول رقم (٢) نمو عدد سكان العالم الإسلامي خلال القرن العشرين الميلادي
(ألف نسمة)

الإقليم/ الدولة	١٩٠٠م (أ)	١٩٣٠م (أ)	١٩٥٠م (أ)	١٩٩٤م (ب)	التغير (٪) (جـ)	
					١٩٠٠-١٩٥٠م	٥٠-١٩٩٤م
شبه الجزيرة العربية «أ»	٣,٠٧٠	٤,٣٨٠	٦,٢٩٧	٢٠,١٧٣	+ ٢٠٥	+ ٣٢٠
السعودية	٣,٠٠٠	٤,٢٠٠	٦,٠٠٠	١٧,٤٥١	+ ٢٠٠	+ ٢٩١
الكويت	–	٥٠	١٧٠	١,٦٣٣	–	+ ٩٦١
قطر	–	٣٠	١٧	٥٤٠	–	+ ٣١٧٦
البحرين	٠,٧٠	١٠٠	١١٠	٥٤٩	+ ١٥٧	+ ٤٩٩
شبه الجزيرة العربية «ب»	١,٩٤٤	٣,٧٠٠	٥,٨٨٠	١٧,٨١١	+ ٣٠٢	+ ٣٠٣
الإمارات	–	٥٠٠	٨٠	١,٨٦١	–	+ ٢٣٢٦
عمان	١,٠٠٠	٥٠٠	٥٥٠	٢,٠٧٧	– ٤٥	+ ٣٧٨
اليمن	٩٤٤	٢,٧٠٠	٥,٢٥٠	١٣,٨٧٣	+ ٥٥٦	+ ٢٦٤
الهلال الخصيب	٤,٢٨٨	٦,٧٠٠	١٢,١٦٣	٤٨,٤٣١	+ ٢٨٤	+ ٣٩٨
العراق	١,٣٩٨	٣,٣٠٠	٤,٨١٦	١٩,٩٢٥	+ ٣٤٤	+ ٤١٤
فلسطين	–	١,٠٠٠	١,٢٥٨	٦,٢٢٢	–	+ ٤٩٥
لبنان	٢٠٠	٦٠٠	١,٢٥٧	٢,٩١٥	+ ٦٢٩	+ ٢٣٢
سوريا	٢,٦٩٠	١,٥٠٠	٣,٥٠٣	١٤,١٧١	+ ١٣٠	+ ٤٠٥
الأردن	–	٣٠٠	١,٣٢٩	٥,١٩٨	–	+ ٣٩١
غربي اسيا	٤٢,٣٦٣	٣٥,٧٠٠	٤٩,٤٩٧	١٤٥,٤٠٨	+ ١٧	+ ٢٩٤
تركيا	٢٨,٨١٣	١٣,٧٠٠	٢٠,٩٤٧	٦٠,٧٧١	– ٣٧	+ ٢٩٠
إيران	٩,٠٠٠	١٥,٠٠٠	١٦,٥٥٠	٦٥,٧٥٨	+ ١٨٤	+ ٣٩٧
أفغانستان	٤,٥٥٠	٧,٠٠٠	١٢,٠٠٠	١٨,٨٧٩	+ ٢٦٤	+ ١٥٧
شبه القارة الهندية	٤٥,٥٧٧	٥٦,٩٨٠	٧٥,٩٢٤	٢٥٤,٦٧٨	+ ٦٧	+ ٣٣٥
باكستان	١٦,٥٧٧	٢١,٣٠٠	٣٣,٧٧٩	١٣٦,٦٤٥	+ ٢٠٤	+ ٤٠٥
بنجلاديش	٢٨,٩٢٨	٣٥,٦٠٠	٤٧,٠٦٢	١١٧,٧٨٧	+ ١٤٥	+ ٢٨٠
المالديف	٧٢	٨٠	٨٢	٢٤٦	+ ١١٤	+ ٣٠٠

تابع جدول رقم (٢)

الإقليم/ الدولة	١٩٠٠م (أ)	١٩٣٠م (أ)	١٩٥٠م (أ)	١٩٩٤م (ب)	التغير (٪) (جـ)	
					١٩٠٠-١٩٥٠م	٥٠-١٩٩٤م
جنوب شرقي آسيا	٤٠,٦٧٥	٦٥,٢٣٠	٨٣,١٠٠	٢١٤,٥٩٠	+٢٠٤	+٢٥٨
ماليزيا	٢,٩٥٩	٤,٥٠٠	٥,٧٨٨	١٩,٦٩٥	+١٩٦	+٣٤٠
بروناي	٢٢	٣٠	٤١	٢٨٠	+١٨٦	+٦٨٣
إندونيسيا	٣٧,٦٩٤	٦٠,٧٠٠	٧٧,٢٧١	١٩٤,٦١٥	+٢٠٥	+٢٥٢
حوض النيل	٢٠,١٣٧	٢٨,٨٠٠	٤٧,٣٣١	١٦٣,٠٥٣	+٢٣٥	+٣٤٤
السودان	٣,٠٠٠	٥,٥٠٠	٨,٣٥٠	٢٧,٣٦١	+٢٧٨	+٣٢٨
أثيوبيا	٤,٥٠٠	٥,٥٠٠	١٥,٠٠٠	٥٣,٤٣٥	+٣٣٣	+٣٥٦
أوغندا	٢,٨٤٣	٣,٦٠٠	٤,٩٥٩	٢٠,٦٢١	+١٧٤	+٤١٦
مصر	٩,٧٩٤	١٤,٢٠٠	١٩,٠٢٢	٦١,٦٣٦	+١٩٤	+٣٢٤
شمالي أمريقيا	١٤,٣٦٨	١٥,٩٠٠	٢٢,١٢٧	٦٧,٧٧١	+٥٤	+٣٠٦
ليبيا	١,٠٠٠	٧٠٠	١,٠٨٩	٥,٢٢٥	+١٠٩	+٤٨٠
تونس	١,٩٣٩	٢,٤٠٠	٣,٢٣١	٨,٧٣٣	+١٦٧	+٢٧٠
الجزائر	٤,٤٢٩	٦,٦٠٠	٨,٦٨٢	٢٧,٣٢٥	+١٩٦	+٣١٥
المغرب	٧,٠٠٠	٦,٢٠٠	٩,١٢٥	٢٦,٤٨٨	+١٣٠	+٢٩٠
شرقي أمريقيا	٥,٠٤٦	٧,٠٧٠	٩,٧٤١	٤٢,٥٥٦	٩٣	+٣٧
جيبوتي	٢٠٨	٧٠	٥٦	٥٦٦	-٧٣	+١٠١١
الصومال	٤٠٠	١,٠٠٠	١,٧٤٧	٩,٠٧٧	+٤٣٧	+٥٢٠
تنزانيا	٤,٣٤٢	٥,٣٠٠	٧,٧٧٢	٢٨,٨٤٦	+١٧٩	+٣٧١
جزر القمر	٩٦	١٠٠	١٦٦	٦٣٠	+١٧٣	+٣٨٠
أريتريا	-	٦٠٠	-	٣,٤٣٧	-	٠٠
الصحراء الكبري	-	٥,١٠٠	٨,٣٧٢	٢٧,٧٠٨	+٢٦	+٣٣١
تشاد	٦,١٦٧	١,٠٠٠	٢,٢٤١	٦,١٨٣	+٢٥٢	+٢٧٦
النيجر	٨٨٥	١,٢٠٠	٢,١٢٧	٨,٨٤٦	+١٠٨	+٤١٦

تابع جدول رقم (٢)

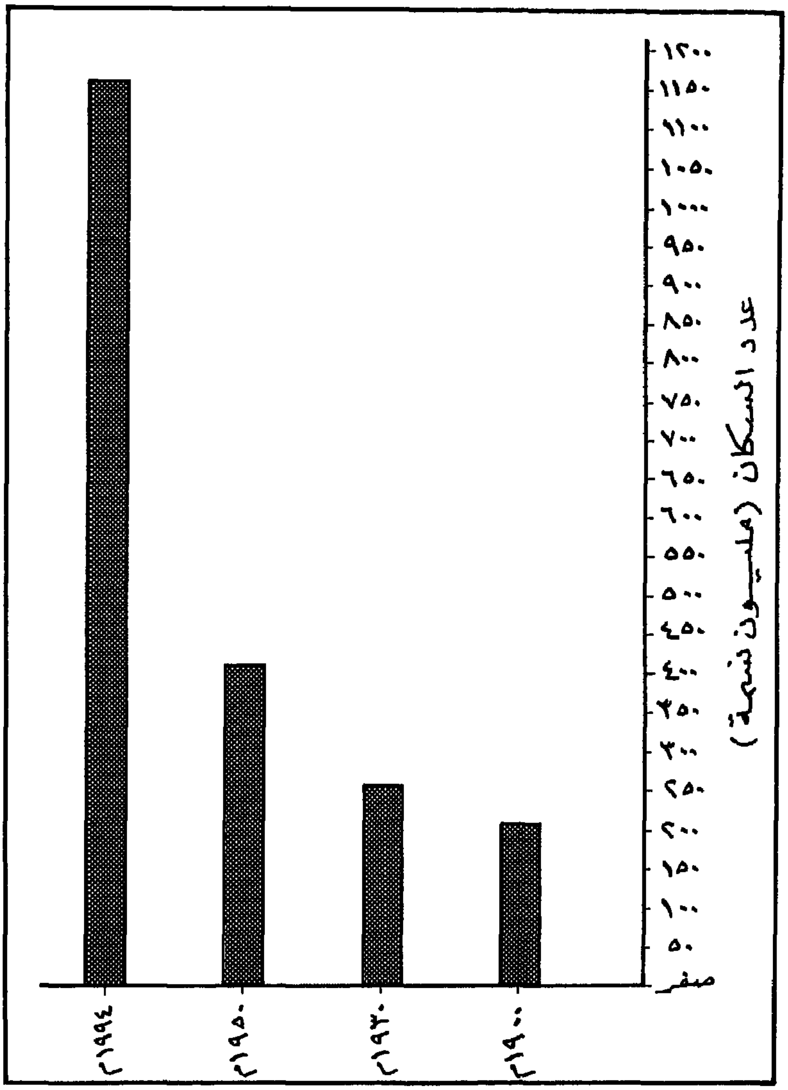
الإقليم/ الدولة	١٩٠٠م (أ)	١٩٣٠م (أ)	١٩٥٠م (أ)	١٩٩٤م (ب)	التغير (٪) (جـ) ١٩٠٠-١٩٥٠م	٥٠-١٩٩٤م
مالي	٥,٠٥٩	٢,٦٠٠	٣,٣٤٧	١٠,٤٦٢	+٢٩٥	+٣١٣
موريتانيا	٢٢٣	٣٠٠	٦٥٧	٢,٢١٧	-	+٣٣٧
عربي أفريقيا «أ»	٥,٠٧١	٥,٩٠٠	٧,٣١٢	٢١,١٣٦	+٤٤	+٢٨٩
السنغال	١,٢٤٧	١,٤٠٠	٢,٠٩٣	٨,١٠٢	+١٦٨	+٣٨٧
غامبيا	١٠٣	٢٠٠	٢٨٠	١٠٨١	+٢٧٢	+٣٨٦
غينيابيساو	٨٢٠	٤٠٠	٥١١	١,٠٥٠	+٣٨	+٢٠٥
سيراليون	١,٤٠٣	١,٨٠٠	١,٨٥٨	٤,٤٠٢	+١٣٢	+٢٣٧
غينيا	١,٤٩٨	٢,١٠٠	٢,٥٧٠	٦,٥٠١	+١٧٢	+٢٥٣
عربي أفريقيا «ب»	٢١,٧٥٨	٢٦,٨٠٠	٣٨,٨٦٩	١٣٧,٩١٣	+٧٩	+٣٥٥
بنين	٧٤٩	١,٠٠٠	١,٥٣٥	٥,٢٤٦	+٢٠٥	+٣٤٢
نيجيريا	١٧,١٣٣	١٩,٢٠٠	٢٩,٧٣١	١٠٨,٤٦٧	+١٧٤	+٣٦٥
الكمرون	٣,٥٠٠	٣,٠٠٠	٤,٠٨٥	١٢,٨٧١	+١١٧	+٣١٥
بوركينا فاسو	-	٣,٢٠٠	٣,١٠٩	١٠,٠٤٦	-	+٣٢٣
الجابون	٣٧٦	٤٠٠	٤٠٩	١,٢٨٣	+١٠٩	+٣١٤
العالم الإسلامي	٢١٠,٤٦٤	٢٦٢,٢٦٠	٤١٣,٩٤٤	١١٦١,٢٢٨	+٩٧	+٢٨١

١ - الجدول من إعداد الباحث بناء على:-

أ - Showers, V.,(1979),World Facts and Figures, PP.32I-326.

ب - U. N., (1994), WORLD POPULATION.

جـ - من حساب الباحث.



شكل (١) نمو عدد سكان العالم الاسلامي خلال القرن العشرين الميلادي

المصدر :

- Showers, V.(1979): World facts and Figures .

- U.N. (1994) : World Population.

عناصر نمو سكان العالم الإسلامي

أولاً : الزيادة الطبيعية :-

أ- معدلات المواليد الخام :

للمواليد أهميتها في التغيرات التي تصيب المجتمعات البشرية، إلى جانب أهميتها في عمليات التخطيط المختلفة في التغيرات السكانية بخاصة بعد فقد الهجرة الدولية لأهميتها الكبيرة في زيادة السكان بسبب القيود العديدة التي فرضت عليها من جانب الدول المختلفة (حسين وزميله، ١٩٧٥، ١٩٧٥م، ص٢٠- ٢٢).

ويتميز العالم الإسلامي بنقص التسجيلات الحيوية (Trewartha,1972.p.6) ولذلك سيتم الاعتماد على التقديرات الدولية في دراسة الخصائص الحيوية.

وتتصف معدلات المواليد في العالم الإسلامي بالارتفاع إلى ٣٨ في الألف مقارنة مع ٢٥ في الألف معدل العالم و١٣ في الألف معدل المناطق الأكثر تقدما و٢٣/ الألف معدل المناطق الأقل تقدما. وهناك تفاوت كبير بين الأقاليم الإسلامية في ذلك على النحو التالي وإن كانت تزيد كلها عن معدل العالم :-

١- الأقاليم ذات المعدلات المرتفعة جدا (٤٠ في الألف فأكثر) . . وهي سته أعلاها إقليم الصحراء الكبرى (٥٠ في الألف)، وإقليم غربي أفريقيا "أ" (٤٧ في الألف) وإقليم شبه الجزيرة العربية (ب) (٤٦ في الألف وإقليم شرقي أفريقيا وإقليم غربي أفريقيا "ب" (٤٥ في الألف)، ثم إقليم حوض النيل (٤٠ في الألف)

٢- الأقاليم ذات المعدلات العالية (٣٠ - ٣٩ في الألف . . وتضم خمسة أقاليم هي إقليم شبه القارة الهندية (٣٨ في الألف) وإقليم الهلال الخصيب (٣٦ في الألف)، وإقليم شبه الجزيرة العربية (أ) وإقليم غربي آسيا (٣٣ في الألف)، ثم إقليم شمالي أفريقيا (٣٠ في الألف).

٣- الأقاليم ذات المعدلات المتوسطة (٢٥ -٢٩ في الألف).. وتضم إقليماً واحداً هو إقليم جنوب شرقي آسيا (٢٥ في الألف).

وتزيد معدلات المواليد في ٤٢ دولة إسلامية (٨٧,٥٪ من جملتها) عن معدلات العالم، بينما تتعادل دولة واحدة، وتقل عنها خمس دول. وتبلغ معدلات المواليد أعلاها في أو غندا (٥٢ في الألف)، والصومال وأفغانستان (٥٠ في الألف) واليمن (٤٩ في الألف)، وأثيوبيا وجزر القمر (٤٨ في الألف)، وعُمان (٤٤في لألف) وتنزانيا وأريتريا ٤٣في الألف)، والمالديف وليبيا (٤٢ في الألف)، وسوريا وباكستان (٤١ في الألف)، والسودان (٤٠ في الألف). بينما تبلغ ٣٨ في الألف في السعودية وجيبوتي، ٣٩ في الألف في الأردن، ٣٥ في الألف في إيران وبنجلاديش، وتنخفض إلى ٢٩في الألف في ماليزيا ومصر والجزائر والمغرب، ٢٨ في الألف في البحرين، و٢٧ في الألف في تركيا ولبنان، ٢٦ في الألف في تونس، كما تنخفض إلى ٢٤ في الألف في بروناي والكويت، ٢٣ في الألف في الإمارات، ٢١ في الألف في قطر وفلسطين.

ويرجع ارتفاع معدلات المواليد في العالم الإسلامي بعامة إلى عدة عوامل أهمها أثر الدين الإسلامي الذي يمنع تحديد النسل ويبيح تعدد الزوجات ويسمح بزواج المطلقة والأرملة إضافة إلى عوامل أخرى منها: التكوين القلبي للمجتمعات الإسلامية، والطابع الزراعي والرعوي لهذه المجتمعات، والاستفادة من الأطفال في العمل وزيادة عدد القبائل، واعتماد الآباء المسنين عليهم عند الكبر، وحرص الأمهات على زيادة الإنجاب كوسيلة للحماية والأمان من الطلاق، وانخفاض سن الزواج وارتفاع نسبة الأمية، وقلة عمل المرأة المسلمة، وكثرة سكان الريف، وارتفاع معدلات الخصوبة الكلية (Clarks1974.p 129)، وانخفاض الدخل الفردي بعامة.

وخلال الفتـرة من ١٩٧٩ إلى ١٩٩٥م انخفضت معدلات المـواليد في العالم الإسلامي بنسبة ٦ في الألف، كما شهدت عشرة أقاليم انخفاضات مماثلة أكبرها في إقليم شبه الجزيرة العربية (أ) (من ٤٨- ٣٣ فـي الألف)، وفي إقليم شمالي أفريقيا (من ٤٧- ٣٠/ الألف)، وفي إقليم غـربي أفريقيـا (ب) من ٤٩- ٤٥ في الألف وشبه القارة الهندية (من ٤٦-٣٨ في الألف)، وفي إقليم غربي آسيا (من ٤١- ٣٣ في الألف). كمـا انخفضت مـواليد إقليم جنوب شرقي آسـيا من ٣٥ إلى ٢٥ في الألف، ومواليد إقليم شرقـي أفريقيـا من ٤٦ إلى ٤٥ في الألف، ومواليـد إقليم حوض النيل من ٤٤ إلى ٤٠ في الألف، وزادت مواليد إقليم الصحراء الكبرى من ٤٨إلى ٥٠ في الألف، بينما ظلت مواليد إقليم غـربي أفريقيا (أ) ثابتة عند ٤٧ في الألف، كما يظهر من الجدول رقم (٣) والشكل رقم (٢).

جدول رقم (٣) تطور معدلات المواليد فى العالم الإسلامى (في الألف)(١)

الإقليم/ الدولة	١٩٧٩م (أ)	٩٠/ ١٩٩٥م (ب)	التغير (جـ)	الإقليم/ الدولة	١٩٧٩م	٩٠/ ١٩٩٥م	التغير
شبه الجزيرة العربية«أ»	٤٨	٣٣	- ١٥	جنوب شرقي آسيا	٣٥	٢٥	- ١٠
السعودية	٤٩	٣٥	- ١٤	ماليزيا	٣١	٢٩	- ٢
الكويت	٤٢	٢٤	- ١٨	بروناي	٢٨	٢٤	- ٤
قطر	٤٤	٢١	- ٢٣	إندونيسيا	٣٥	٢٥	- ١٠
البحرين	٤٤	٢٨	- ١٦	حوض النيل	٤٤	٤٠	- ٤
شبه الجزيرة العربية«ب»	٤٨	٤٦	- ٢	السودان	٤٦	٤٠	- ٦
الإمارات	٤٤	٢٣	- ٢١	أثيوبيا	٥٠	٤٨	- ٢
عمان	٤٩	٤٤	- ٥	أوغندا	٤٥	٥٢	+ ٧
اليمن	٤٨	٤٩	+ ١	مصر	٣٨	٢٩	- ٩
الهلال الخصيب	٣٥	٣٦	+ ١	شمالي أفريقيا	٤٧	٣٠	- ١٧
العراق	٤٧	٣٨	- ٩	ليبيا	٤٧	٤٢	- ٥
فلسطين	٢٦	٢١	- ٥	تونس	٣٦	٢٦	- ١٠
لبنان	٣٦	٢٧	- ٩	الجزائر	٤٨	٢٩	- ١٩
سوريا	٤٤	٤١	- ٣	المغرب	٤٦	٢٩	- ١٧
الأردن	٤٦	٣٩	- ٧	شرقي أفريقيا	٤٦	٤٥	- ١
غربي آسيا	٤١	٣٣	- ٨	جيبوتي	٤٨	٣٨	- ١٠
تركيا	٣٥	٢٧	- ٨	الصومال	٤٨	٥٠	+ ٢
إيران	٤٤	٣٥	- ٩	تنزانيا	٤٦	٤٣	- ٣
أفغانستان	٥٠	٥٠	٠	جزر القمر	٤٠	٤٨	+ ٨
شبه القارة الهندية	٤٦	٣٨	- ٨	أريتريا	٥٠	٤٣	- ٧
باكستان	٤٤	٤١	- ٣	الصحراء الكبرى	٤٨	٥٠	+ ٢
بنجلاديش	٤٧	٣٥	- ١٢	تشاد	٤٤	٤٤	٠
المالديف	٥٠	٤٢	- ٨	النيجر	٥١	٥٣	+ ٢

تابع جدول رقم (٣)

الإقليم/ الدولة	١٩٧٩م (أ)	٩٠/١٩٩٥م (ب)	التغير (جـ)
مالي	٤٩	٥١	+ ٢
موريتانيا	٥٠	٤٠	- ١٠
عربي أفريقيا «أ»	٤٧	٤٧	٠
السعال	٤٨	٤٣	- ٥
عامبيا	٤٨	٤٤	- ٤
عيبيابيساو	٤١	٤٣	+ ٢
سيراليون	٤٦	٤٩	+ ٣
عيبيا	٤٦	٥١	+ ٢

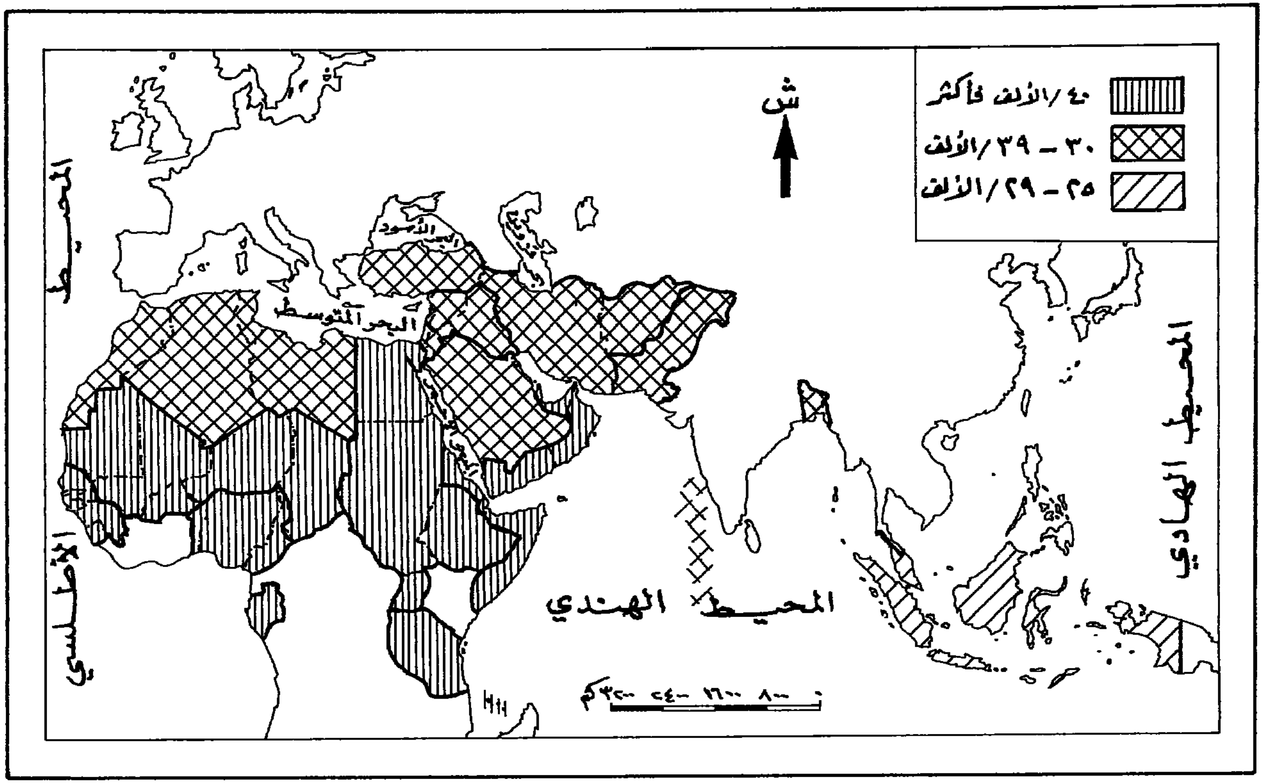
الإقليم/ الدولة	١٩٧٩م	٩٠/١٩٩٥م	التغير
عربي أفريقيا «ب»	٤٩	٤٥	- ٤
سين	٤٩	٤٩	٠
بيجيريا	٥٠	٤٥	- ٥
الكمرون	٤٢	٤١	- ١
بوركينا فاسو	٤٨	٤٧	- ١
الجابون	٣٣	٣٧	+ ٤
العالم الإسلامي(حـ)	٤٤	٣٨	- ٦
العالم	٢٨	٢٥	- ٣
المناطق الأكثر تقدما	١٦	١٣	- ٣
المناطق الأقل تقدما	٣٣	٤٣	+ ١٠

١ - الجدول من إعداد الباحث بناء على:-

أ - THE POPULATION REFERANCE BUREAU, (1979) POPULATION DATA SHEET, WASHINGTON,

ب - U. N., (1994), WORLD POPULATION.

جـ - من حساب الباحث.



شكل (٢) معدلات المواليد في أقاليم العالم الإسلامي (١٩٩٠ - ١٩٩٥م)

هذه الخريطة وكل خرائط البحث لا تعتبر مرجعاً للحدود السياسية.

وكذلك شهدت معظم الدول الإسلامية انـخفاضا في معدلات مواليدها، مع تباين واضح على النحو التالى:-

١- دول حدث بهـا انخفاض كبـير جدا في معـدلات المواليد (-١٥في الألف). . وتعـد قطر أولاها (٥-٢٣ في الألـف)، تليـهـا الإمـارات (٢١في الألف)، والجزائر (-١٩ في الألف)، والكويـت (-١٨ في الألف)، ثم المغرب (١٧ في الألف).

٢- دول حدث بها انخـفاض كبير في مـعدلات المواليد (١٠-١٤ في الألف) . . أولاها السعودية (-١٤في الألف)، وبنجلاديش (-١٢في الألف)، وأندونيسيا وتونس وجيبوتي (-١٠ في الألف).

٣- دول حدث بهـا انخفض مـتوسط في مـعدلات المواليـد (٥-٩في الألف). . وتشمل ١٢ دولة هي: العراق- لبنان- إيران- مـصر (-٩ في الألف) ونركيا- المالديف (-٨ في الألف)، والأردن- أريتريا (-٧ في الألف)، والسودان (-٦ في الألف)، وعُمان - فلسطين- ليبيا (-٥في الألف).

٤- دول حدث به انخفاض بسيط في معدلات المواليد (٤في الألف فأقل). . وتضم ست دول، هي: بروناي (-٤ في الألف)، سوريا- باكستان- تنزانيا (-٣ في الألف)، ماليزيا- أثيوبيا (-٢في الألف).

ويرجع انخـفاض المواليـد في الدول الإسـلاميـة السـابقـة إلى عدة عـوامل، منها:

تأخر الزواج، أو زيادة نسبـة الأجانب غير المصحـوبين بأسرهم بين السكان، أو لأثر الحروب والقلاقل السـياسية، أو بسـبب ارتفاع المستوى الثـقافي، أو ارتفاع الدخل الفردي، أو انخـفاض نسبـة الأمية، أو لخـروج المرأة إلى العمل، أو لتـقدم

الحرفة، أو بها كلها أو معظمها.

وعلى عكس الدول السابقة ارتفعت المواليد في أربع دول هي: جزر القمر (+ ٨ في الألف)، وأوغندا (+٧ في الألف)، . والصومال (+٢ في الألف)، واليمن (+١ في الألف).

ويفسر ذلك الارتفاع إما بأخطاء التقدير الأول، أو لزيادة الفقر، أو كرد فعل مباشر لارتفاع الوفيات بسبب الحروب ، أو لغيرها من الأسباب.

وهناك دولة واحدة ظلت مواليدها ثابته دون تغيير هي أفغانستان (٥٠ في الألف) خلال الفترة المذكورة.

ب- الخصوبة الكلية:

للخصوبة أثر كبير على المواليد، وتمتد فترتها عادة من سن ١٥- ٤٩ سنة مع اختلاف بدايتها أحيانا إلى سن العاشرة ونهايتها إلى سن ٥٦ سنة في المجتمعات البشرية المختلفة أو المجموعات السكانية أو بين طبقة وأخرى داخل القطر الواحد تبعا لاختلاف الظروف الاجتماعية والسياسية والاقتصادية (غلاب وزميله، ١٩٧٤م، ص ٣٧).

ويتصف العالم الإسلامي بارتفاع معدل الخصوبة الكلية إلى ٥,٤ مواليد للمرأة مقابل ٣,١ مواليد في العالم، و ١,٧ مولد للمناطق الأكثر تقدما، مع اختلاف واضح بين الأقاليم الإسلامية على النحو التالي:-

١- أقاليم ذات خصوبة عالية جدا (أكثر من ضعف معدلات العالم). . وتشمل خمسة أقاليم هي إقليم الصحراء الكبرى (٧,١ مواليد)، وشبه الجزيرة العربية "ب" ٧,٢، وشرقي أفريقيا (٦,٣ مواليد)، ثم إقليمي غربي أفريقيا "أ" (٦,٦ مواليد)، "ب" (٦,٥) مواليد.

٢- أقاليم ذات خصوبة عالية وتشمل ستة أقاليم هي: حوض النيل (٦ مواليد)، وشبه القارة الهندية (٥,٤ مواليد)، وإقليم غربي آسيا (٥,١ مواليد)، ثم إقليم الهلال الخصيب (٥,٧ مواليد)، ثم إقليم شبه الجزيرة العربية "أ" (٥,٨ مواليد)، وإقليم شمالي آفريقيا (٣,٨ مواليد وكلها تزيد معدلاتها عن المعدل العالمي أما إقليم جنوب شرقي آسيا فتقل خصوبته إلى ٢,٩ مولودين للمرأة.

وتزيد معدلات الخصوبة الكلية عن المعدل العالمي في كل دول العالم الإسلامي عدا دولتين هما: فلسطين وآندونيسيا (-٢, ٠ مولدا)، مع تباين واضح بين الدول على النحو التالي (جدول رقم٤):-

١- دول تزيد خصوبتها عن ضعفي معدل العالم، وعددها ١٨دولة.

٢- دول تتراوح معدلات الخصوبة فيها بين ضعف إلى أقل من ضعفي معدل العالم، وتضم ٢٨ دولة ويرجع الارتفاع في معدلات الخصوبة الكلية في العالم الإسلامي إلى عدة عوامل هي عادة المؤثرة في المواليد، إلى جانب نسبة المتزوجين العالية، والظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية، ودرجة الثقافة، ومعدل الدخل الفردي (اسماعيل، ١٩٧٦م، ص ص ٤٦- ٤٧)، حيث يبلغ معامل الارتباط بينه وبين الخصوبة الكلية (-٦٢, ٠) أى علاقة عكسية متوسطة واضحة.

جدول رقم (٤) معدلات الخصوبة الكلية في العالم الإسلامي (٩٠-١٩٩٥م)[١]
(مولود/ للمرأة)

الإقليم/ الدولة	المعدل (أ)	الإقليم/ الدولة	المعدل (أ)	الإقليم/ الدولة	المعدل (أ)
شبه الجزيرة العربية (أ)	٥,٨	سجلاديش	٤,٤	أريتريا	٥,٨
السعودية	٦,٤	المالديف	٦,٨	**الصحراء الكبري:**	٥,٩
الكويت	٣,١	**جنوب شرقي آسيا:**	٢,٩	تشاد	٧,٤
قطر	٤,٣	ماليريا	٣,٦	البحر	٧,١
البحرين	٣,٨	بروناي	٣,١	مالي	٥,٤
شبه الجزيرة العربية (ب)	٧,٢	إندونيسيا	٢,٩	موريتانيا	٦,٦
الإمارات	٤,٢	**حوض النيل:**	٦,٠	**غربي أفريقيا (أ)**	٦,١
عمان	٧,٢	السودان	٥,٧	السنغال	٥,٦
اليمن	٧,٦	أثيوبيا	٧,٠	عامبيا	٥,٨
الهلال الخصيب:	٥,٧	أوغندا	٧,٣	عيبابيساو	٦,٥
العراق	٥,٧	مصر	٣,٩	سيراليون	٧,٠
فلسطين	٢,٩	**شمالي أفريقيا:**	٣,٨	عينيا	٦,٥
لبنان	٣,١	ليبيا	٦,٤	**غربي أفريقيا (ب)**	٧,١
سوريا	٥,٩	تونس	٣,١	بنين	٦,٤
الأردن	٥,٦	الجزائر	٣,٨	نيجيريا	٥,٧
غربي آسيا:	٥,١	المغرب	٣,٨	الكمرون	٦,٥
تركيا	٣,٣	**شرقي أفريقيا:**	٦,٣	بوركينا فاسو	٥,٣
إيران	٥,٠	جيبوتي	٥,٨	الجابون	٥,٤
أفغانستان	٦,٩	الصومال	٧,٠	**العالم الإسلامي**	٣,١
شبه القارة الهندية:	٥,٤	تنزانيا	٥,٩	المناطق الأكثر تقدماً	١,٧
باكستان	٦,٢	جزر القمر	٧,٠	المناطق الأقل تقدماً	٥,٨

١ - الجدول من إعداد الباحث بناء على:-

أ- U. N., (1994), WORLD POPULATION.

ب ـ من حساب الباحث.

جـ- معدلات الوفيات الخام:

تؤثر الوفيات على تركبب السكان، وبخاصة التركيب العمري، ومتوسط العمر والزيادة الطبيعية، كما تؤثر في معدلات النمو المرتفعة التي تعتبر أحد الملامح المميزة لتاريخ البشرية الحديث (Clarke,1976-A.p.118).

تصل وفيات العالم الإسلامي إلى ١١,٢ في الألف، بزيادة ٢,٢ في الألف عن معدل العالم وبنحو ١,٢ في الألف عن المناطق الأكثر تقدما. وتنخفض وفيات الشطر الآسيوي إلى ٧,٥ في الألف بينما ترتفع إلى ١٤,٩ في الألف بالشطر الأفريقي. أما الأقاليم الإسلامية فتتباين معدلات وفياتها بشدة على النحو التالي (جدول رقم ٥ وشكل رقم ٣):-

١- الأقاليم ذات الوفيات الخام المرتفعة جدا (+١٤في الألف).. وتضم خمسة أقاليم هي: غربي أفريقيا أ (١٩,٥ في الألف)، والصحراء الكبرى (١٨ر٥ في الألف)، وغربي أفريقيا ب، ١٦ في الألف)، وشرقي أفريقيا (١٥ في الألف)، وشرقي أفريقيا (١٥ في الألف)، ثم حوض النيل ١٤ في الألف).

٢- أقاليم مرتفعة الوفيات (٩- ١٣ في الألف).. وتضم ثلاثة أقاليم: غربي آسيا (٩ في الألف)، وشبه القارة الهندية (١٠ في الألف). وشبه الجزيرة العربية "ب" ١٢,٥ في الألف).

٣- أقاليم منخفضة الوفيات (٦-٨ في الألف).. وتضم ثلاثة أقاليم هي: جنوب شرقي آسيا (٧,٥ في الألف، وإقليم شمالي أفريقيا (٧ في الألف)، والهلال الخطيب (٦,٥ في الألف) ، كما يظهر من الجدول السابقة رقم (٥).

٤- أقاليم منخفضة الوفيات جدا (٦ في الألف فأقل).. وتضم إقليمًا واحدًا هو سُبه الجزيرة العربية "أ" (٤,٧ في الألف).

جدول رقم (٥) تغير معدلات الوفيات فى العالم الإسلامى (٪) (١)

الإقليم/ الدولة	١٩٧٩م (أ)	١٩٩٤م (ب)	التغير (جـ)	الإقليم/ الدولة	١٩٧٩م	١٩٩٤م	التغير
شبه الجزيرة العربية«أ»	١٦	٤,٧	- ١١,٣	جنوب شرقي آسيا	١٤	٧,٥	- ٦,٥
السعودية	١٨	٥	- ١٣	ماليزيا	٦	٥	- ١
الكويت	٥	٢	- ٣	بروناي	٤	٣	- ١
قطر	١٤	٣	- ١١	إندونيسيا	١٤	٨	- ٦
البحرين	١٣	٤	- ٩	حوض النيل	١٧	١٤	- ٣
شبه الجزيرة العربية«ب»	٢٢	١٢,٥	- ٩,٥	السودان	١٨	١٣	- ٥
الإمارات	١٤	٣	- ١١	أثيوبيا	٢٥	١٨	- ٧
عمان	١٩	٥	- ١٤	أوغندا	١٤	١٩	+ ٥
اليمن	٢٣	١٥	- ٨	مصر	١٢	٨	- ٤
الهلال الخصيب	١٢	٦,٥	- ٥,٥	شمالي أفريقيا	١٤	٧	- ٧
العراق	١٣	٧	- ٦	ليبيا	١٣	٨	- ٥
فلسطين	٧	٧	٠	تونس	١٠	٦	- ٤
لبنان	١١	٧	- ٤	الجزائر	١٤	٦	- ٨
سوريا	١٣	٦	- ٧	المغرب	١٤	٨	- ٦
الأردن	١٣	٥	- ٨	شرقي أفريقيا	١٧	١٥	- ٢
غربي آسيا	١٥	٩	- ٦	جيبوتي	٢٤	١٦	- ٨
تركيا	١٠	٧	- ٣	الصومال	٢٠	١٨	- ٢
إيران	١٤	٧	- ٧	تنزانيا	١٦	١٤	- ٢
أفغانستان	٢٧	٢٢	- ٥	جزر القمر	١٨	١٢	- ٦
شبه القارة الهندية	١٦	١٠	- ٦	أريتريا	٢٥	١٥	- ١٠
باكستان	١٤	٩	- ٥	الصحراء الكبرى	٢٢	١٨,٥	- ٣,٥
بنجلاديش	١٨	١٢	- ٦	تشاد	٢١	١٨	- ٣
المالديف	١٣	٩	- ٤	النيجر	٢٢	١٩	- ٣

تابع جدول رقم (٥)

الإقليم/ الدولة	١٩٧٩م (أ)	١٩٩٤م (ب)	التغير (جـ)
مالي	٢٢	١٩	-٣
موريتانيا	٢٢	١٤	-٨
غربي أفريقيا (أ)	٢١	١٩,٥	-١,٥
السنغال	٢٢	١٦	-٦
غامبيا	٢٣	١٩	-٤
غينيابيساو	٢٣	٢١	-٢
سيراليون	١٩	٢٥	+٦
غينيا	٢١	٢٠	-١

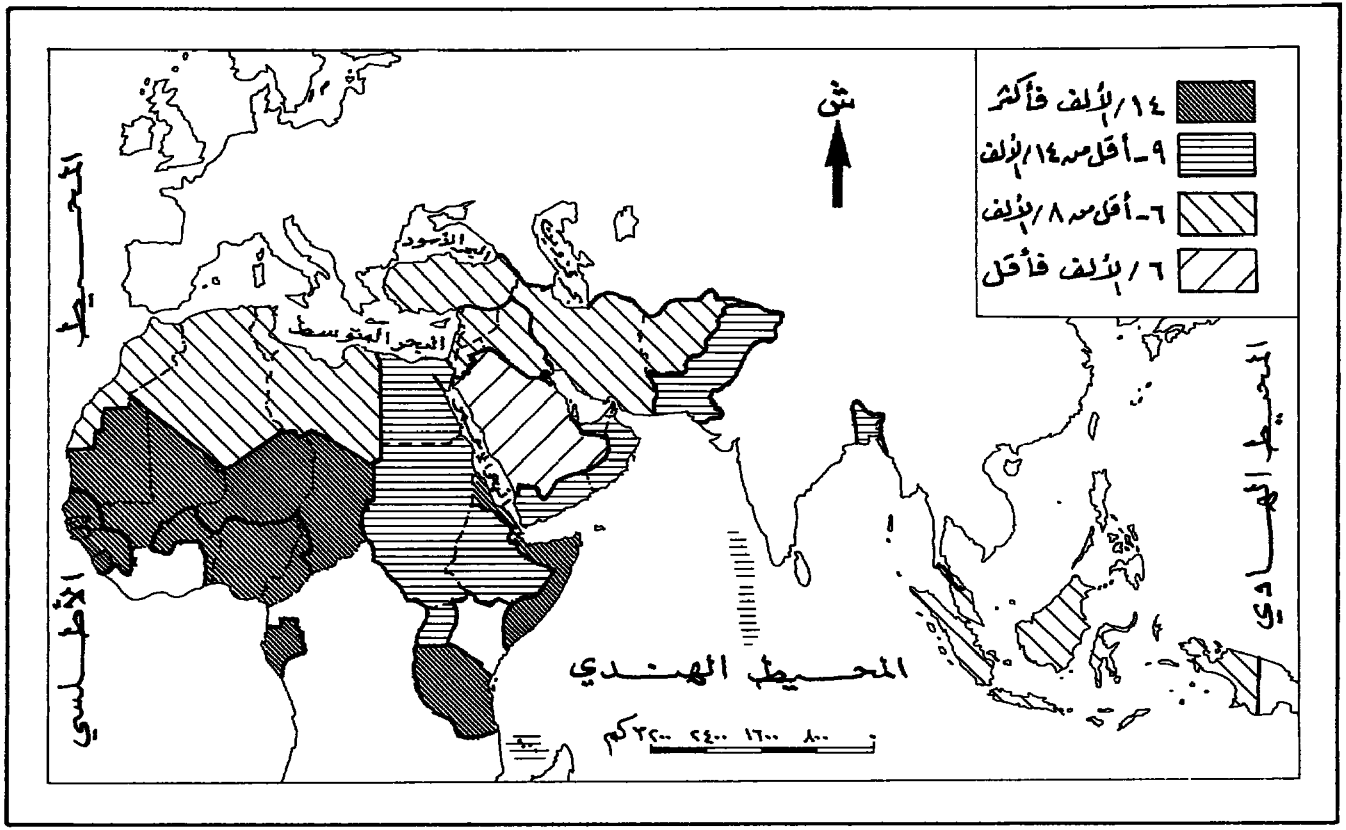
الإقليم/ الدولة	١٩٧٩م	١٩٩٤م	التغير
غربي أفريقيا (ب)	١٧	١٦	-١
بنين	١٩	١٨	-١
نيجيريا	١٨	١٥	-٣
الكمرون	١٩	١٢	-٧
بوركينا فاسو	٢٢	١٨	-٤
الجابون	٢٢	١٥	-٧
العالم الإسلامي	١٦,٥	١١,٢	-٥,٣
العالم	١١	٩	-٢
المناطق الأكثر تقدما	٩	١٠	+١
المناطق الأقل تقدما	١٢	١٥	+٣

١ - الجدول من إعداد الباحث بناء على:-

أ - THE POPULATION REFERANCE BUREAU, (1979)

ب - U. N., (1994), WORLD POPULATION.

جـ - من حساب الباحث.



شكل (٣) معدلات الوفيات الخام في أقاليم العالم الإسلامي (١٩٩٤م)

ويرجع انخفاض الوفيات الخام في الأقاليم السابقة إلى التطور الهائل في الخدمات الصحية، وإلى ارتفاع نسبة متوسطي السن، وارتفاع مستوى السكنى، والخدمات العامة ومستوى المعيشة، وارتفاع الدخول الفردية، حيث توجد علاقة ارتباط عكسية قوية بين معدلات الوفيات العامة والدخل الفردى يبلغ معامل ارتباطها (-٠,٧٧).

وإلى النمط الأول المرتفع الوفيات جدا تنتمي ٢١ دولة هي: سير اليون (٢٥ في الألف)، أفغانستان (٢٢في الألف)، غينيا بيساو (٢١في الألف)، غامبيا - مالي- النيجر- أو غندا (١٩ في الألف)، نيجريا- الجابون- اليمن- أريتريا (١٥ في الألف).

بينما ينتمي إلى النمط الثاني المرتفع الوفيات ست دول هي: موريتانيا- تنزانيا (١٤في الألف)، السودان (١٣في الألف)، بنجلاديش- جزر القمر- الكمرون (١٢في الألف).

أما إلى النمط الثالث المنخفض الوفيات فتنتمى ١١دولة هي: باكستان- المالديف (٩ في الألف)، أندونيسيا- مصر- ليبيا- المغرب (٨ في الألف)، العراق- فلسطين- لبنان- تركيا- إيران (٧ في الألف).

وإلى النمط الرابع المنخفض الوفيات جدا تنتمى ١٢دولة هي: سوريا- تونس- الجزائر (٦ في الألف)، السعودية- عُمان- الأردن- ماليزيا (٥ في الألف)، البحرين (٤ في الألف)، قطر- الإمارات- بروناي (٣ في الألف)، الكويت (٢ في الألف).

وخلال الفترة من ١٩٧٩ إلى ١٩٩٤م حدث انخفاض واضح في معدلات الوفيات الخام في العالم الأسلامي بلغ ٥,٣ في الألف، وكان هذا الانخفاض أكثر وضوحا في الشطر الآسيوي منه في الشطر الأفريقي (٦,٣- ٤,٣ في الألف على

التوالى). وقد اختلف معدل الانخفاض في الأقاليم الإسلامية فبلغ ٩,٥ في الألف في إقليم شبه الجزيرة العربية (ب)، وكان ١١,٣في الألف في إقليم شبه الجزيرة العربية (أ)، بينما كان ٦ في الألف في أقاليم شبه القارة الهندية وغربي آسيا، وكان ٥,٥ في الألف في إقليم الهلال الخصيب، و٧ في الألف في إقليم شمالي أفريقيا وبلغ ١في الألف في إقليم غربي أفريقيا (ب)، ٦,٥ في الألف فى إقليم جنوب شرقي آسيا، و٣ في الألف في إقليم حوض النيل، ولم يزد عن ١,٥ في الألف في إقليم غربي أفريقيا (أ).

وقد اختلف معدل الانخفاض في الدول الإسلامية بدرجة كبيرة، فكان ١٤ في الألف في عُمان، و١٣ في الألف في السعودية، و١١ في الألف في الإمارات، و١٠في الألف في أريتريا، و٩ في الألف في قطر والبحرين، و٨ في الألف في كل من اليمن- الأردن- الجزائر- المغرب- جيبوتي- موريتانيا، و٧في الألف في سوريا- وتركيا- إيران- أثيوبيا الكمرون، و٦ في الألف في العراق- بنجلاديش- المالديف- أندونيسيا- جزر القمر- السنغال- بوركينا فاسو- و٥في الألف في أفغانستان- باكستان- السودان- ليبيا، و٤في الألف في لبنان- مصر- تونس- غامبيا، و٣في الألف في الكويت- تشاد- النيجر- مالي- نيجريا، و٢ في الألف في الصومال وتنزانيا وغينيا بيساو، بينما كان ١ في الألف فقط في ماليزيا- بروناي- غينيا- بنين. وظل هذا المعدل ثابتا في فلسطين (٧في الألف)، بينما زاد في أوغندا بمقدار ٥ في الألف وفي سير اليون بمقدار ٦في الألف.

د- معدلات وفيات الرضع (أقل من سنة):-

يقصد بوفيات الرضع عدد أولئك الذين يموتون خلال سنة ما قبل أن يكملوا السنة الأولى من عمرهم إلى كل ألف من المواليد الأحياء الجدد خلال السنة نفسها. ويعتبر هذا المعدل معياراً مهماً لقياس متوسط عمر الفرد في أية مجموعة سكانية، كما أنه مؤشر مهم على الظروف الصحية العامة، وعامل مؤثِر في معدلات الوفيات الخام.

وتقدر الأمم المتحدة أن المعدل العالمي لوفيات الرضع يبلغ خُمس معدل المواليد ويزيد إلى ١١٠في الألف في الدول النامية عموما بينما يقل إلى ١٠في الألف في الدول المتقدمة . أما في العالم الإسلامي فقد وصل هذا المعدل إلى ٧٦ في الألف خلال الفترة ١٩٩٠- ١٩٩٥م، بزيادة ١٢ في الألف عن معدل العالم، وبنحو ٦٦ في الألف عن معدل المناطق الأكثر تقدما، وينخفض هذا المعدل في الشطر الآسيوي إلى ٥٢ في الألف بينما يرتفع إلى ١٠٠,٥ في الألف في الشطر الأفريقي.

وتتباين أقاليم ودول العالم الإسلامي تباينا كبيرا في معدلات وفيات الرضع على النحو المبين في الجدول رقم (٦) والشكل رقم (٤) وذلك على النحو التالي:-

١- الأقاليم التي تتصف بارتفاع معدل وفيات الرضع (+٦٤في الألف)، وهي تزيد عن معدل العالم، وتشمل ثمانية أقاليم هي: إقليم غربي أفريقيا "أ" (١١٥في الألف)، وإقليم الصحراء الكبرى (١٣٥في الألف)، وإقليم شرقي أفريقيا (٩٥في الألف)، وإقليم حوض النيل (٩١في الألف)، وإقليم غربي أفريقيا (ب) (٨٥ في الألف)، وإقليم غربي آسيا (٦٥في الألف)، وإقليم شبه القارة الهندية (٩٩في الألف) وشبه الجزيرة العربية "ب" (١١٦في الألف). وإلى هذا النمط تنتمي ٢٩دولة.

جدول رقم (٦) تغير معدلات وفيات الرضع (أقل من سنة) في العالم الإسلامي (٪) (١)

الإقليم/ الدولة	١٩٧٩م (أ)	١٩٩٥م (ب)	التغير (جـ)	الإقليم/ الدولة	١٩٧٩م (أ)	١٩٩٥م (ب)	التغير (جـ)
شبه الجزيرة العربية «أ»	١٣٣	٢٨	-١٠٥	جنوب شرقي آسيا	٧٥	٥٤	-٢١
السعودية	١٥٠	٢٩	-١٢١	ماليزيا	٤٤	١٣	-٣١
الكويت	٣٩	١٨	-٢١	بروناي	٢٣	٨	-١٥
قطر	١٣٨	٢٠	-١١٨	إندونيسيا	٩١	٥٨	-٣٣
البحرين	٧٨	١٨	-٦٠	حوض النيل	١٣٤	٩١	-٤٣
شبه الجزيرة العربية «ب»	١٥٤	١١٦	-٣٨	السودان	١٤١	٧٨	-٦٣
الإمارات	١٣٨	١٩	-١١٩	أثيوبيا	١٦٢	١١٩	-٤٣
عمان	١٤٢	٣٠	-١١٢	أوغندا	١٣٦	١١٥	-٢١
اليمن	١٥٨	١١٩	-٣٩	مصر	١٠٨	٦٧	-٤١
الهلال الخصيب	٧٦	٤٢	-٣٤	شمالي أفريقيا	١٣٥	٦٠	-٧٥
العراق	١٠٤	٥٨	-٤٦	ليبيا	١٣٠	٦٨	-٦٢
فلسطين	٢٠	٩	-١١	تونس	١٢٥	٤٣	-٨٢
لبنان	٥٩	٣٤	-٢٥	الجزائر	١٤٢	٥٥	-٨٧
سوريا	١١٤	٣٩	-٧٥	المغرب	١٣٣	٦٨	-٦٥
الأردن	٦٧	٣٦	-٣١	شرقي أفريقيا	١٣٦	٩٥	-٤١
غربي آسيا	١٣٣	٦٥	-٦٨	جيبوتي	١٦٢	١١٥	-٤٧
تركيا	١١٩	٦٥	-٥٤	الصومال	١٧٧	١٢٢	-٥٥
إيران	١٠٤	٣٦	-٦٨	تنزانيا	١٢٥	٨٥	-٤٠
أفغانستان	٢٢٦	١٦٣	-٦٣	جزر القمر	١٦٠	٨٩	-٧١
شبه القارة الهندية	١٤٥	٩٩	-٤٦	أريتريا	١٦٢	١٠٥	-٥٧
باكستان	١٣٦	٩١	-٤٥	الصحراء الكبرى	١٨٦	١٣٥	-٥١
بنجلاديش	١٥٣	١٠٨	-٤٥	تشاد	١٦٥	١٢٢	-٤٣
المالديف	١٣٥	٦٠	-٧٥	النيجر	٢٠٠	١٢٤	-٧٦

تابع جدول رقم (٦)

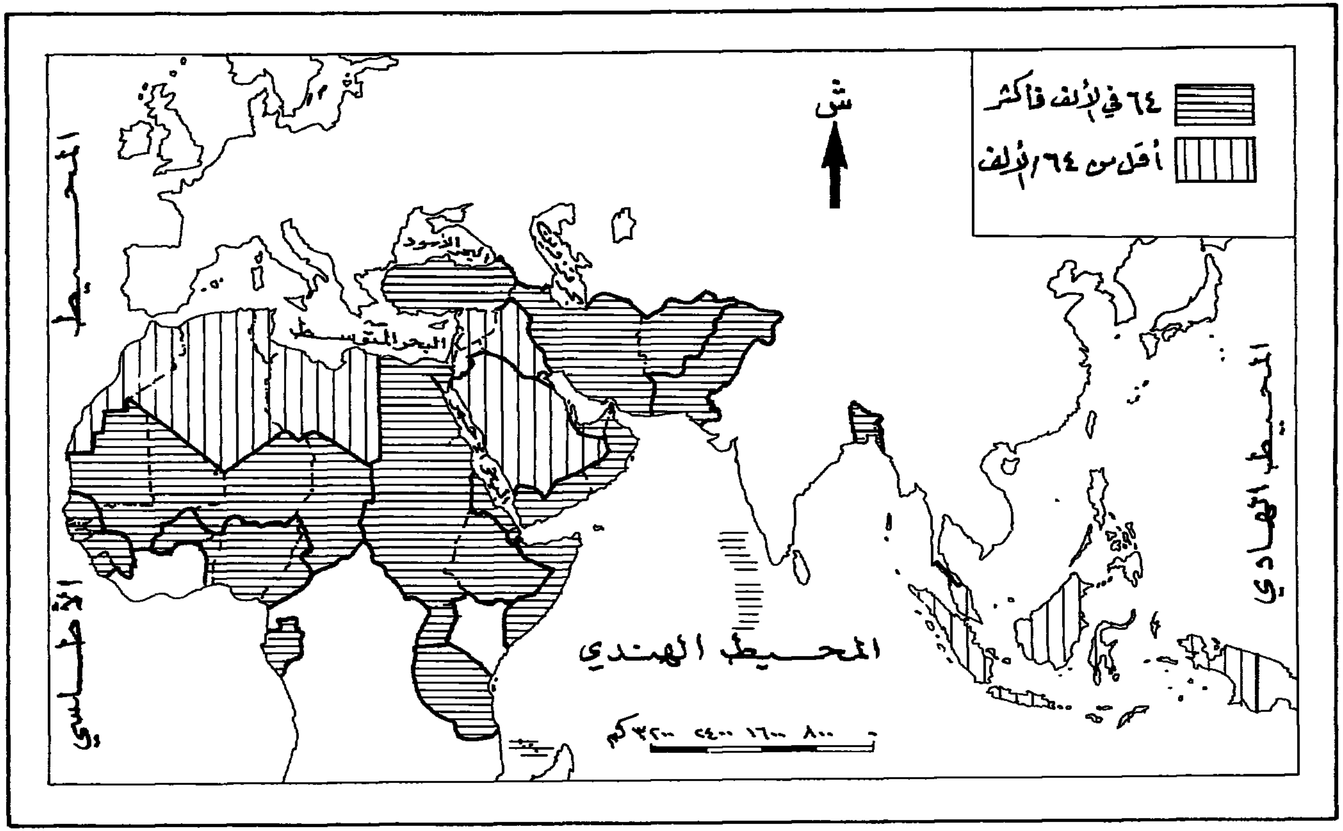
الإقليم/ الدولة	١٩٧٩م (أ)	١٩٩٥م (ب)	التغير (جـ)	الإقليم/ الدولة	١٩٧٩م (أ)	١٩٩٥م (ب)	التغير (جـ)
مالي	١٩٠	١٥٩	-٣١	عربي أفريقيا «ب»	١٥٧	٨٥	-٧٢
موريتانيا	١٨٧	١٠١	-٨٦	بنين	١٤٩	٨٦	-٦٣
عربي أفريقيا «أ»	١٨٥	١١٥	-٧٠	نيجيريا	١٥٧	٨٤	-٧٣
السنغال	١٥٩	٦٨	-٩١	الكمرون	١٣٧	٦٣	-٧٤
غامبيا	١٦٥	١٣٢	-٣٣	بوركينا فاسو	١٨٢	١٣٠	-٥٢
غينيابيساو	٢٠٨	١٤٠	-٦٨	الجابون	١٧٨	٩٤	-٨٤
سيراليون	٢٣٦	١٦٦	+٧٠	العالم الإسلامي	١٢٦	٧٦	-٥٠
غينيا	١٧٥	١٣٤	-٤١	العالم	٩٥	٦٤	-٣١
				المناطق الأكثر تقدما	٢٨	١٠	-١٨
				المناطق الأقل تقدما	١٠٧	١١٠	+٣

١ - الجدول من إعداد الباحث بناء على:-

أ - THE POPULATION REFERANCE BUREAU, (1979)

ب - U. N., (1994), WORLD POPULATION.

جـ - من حساب الباحث.



شكل (٤) معدل وفيات الرضع (أقل من سنة) في أقاليم العالم الإسلامي (١٩٩٥م)

٢- الأقاليم التي تتصف بانخفاض معدل وفيات الرضع فيها عن معدل العالم، ونضم أربعة أقاليم هي: إقاليم شبه الجزيرة العربية "أ" (٢٨في الألف)، إقليم جنوب شبه شرقي آسيا (٢١في الألف)، إقليم الهلال الخطيب (٣٤ في الألف)، إقليم شمالي أفريقيا (٦٠في الألف)، وإلى هذا النمط تنتمي ١٩دولة وخلال الفترة من ١٩٧٩إلى ١٩٩٥م شهد العالم الإسلامي انخفاضا كبيرا في معدل وفيات الرضع. وقد بلغ هذا الانخفاض ٥٠ في الألف، زاد في الشطر الآسيوي إلى ٥٨,٧ في الألف وكان قريبا من ذلك في الشطر الأفريقي (٥٨,٥ في الألف). كما حدث انخفاض مماثل في الأقاليم والدول الإسلامية بنسب متفاوته على النحو التالي:-

١- الأقاليم التي شهدت انخفاضا كبيرا في معدل وفيات الرضع يزيد عن معدل الانخفاض الذي حدث بالعالم، وتشمل ١١ إقليما هي: إقليم شبه الجزيرة العربية "ب" (- ٣٨ في الألف)، إقليم شبه الجزيرة العربية "أ" (- ١٠٥ في الألف)، إقليم شمالي أفريقيا (- ٧٥ في الألف)، إقليم غربي أفريقيا "ب" (-٧٢ في الألف) إقليم شرقي أفريقيا (- ٤١ في الألف)، إقليم غربي آسيا (- ٦٨ في الألف)، إقليم الصحراء الكبرى (٥١ في الألف) إقليم شبه القارة الهندية (٤٦ في الألف)، إقليم حوض النيل (٤٣ في الألف)، إقليم غربي أفريقيا "أ" (-٧٠ في الألف)، إقليم الهلال الخصيب (-٣٤ في الألف). وإلى هذا النمط تنتمي ٣٩ دولة

٢- الأقاليم التي حدث بها انخفاض بسيط يقل عن انخفاض العالم أو يساويه، وتشمل إقليمًا واحدًا هو جنوب شرقي آسيا (-٢١ في الألف)، وتنتمي إلى هذا النمط سبع دول.

هـ- متوسط عمر الفرد:

يعتبر متوسط عمر الفرد انعكاسا للوفيات الخام بخاصة وفيات الرضع (غلاب وزميله، ١٩٧٤م. ص ٧٦ - ٧٧).

ويتصف العالم الإسلامي بانخفاض متوسط عمر الفرد، إذا بلغ ٥٩ سنة بين عامي ١٩٩٠و ١٩٩٥م، بنقص قدرة خمس سنوات عن معدل العالم، وبنحو ١٥سنة عن المناطق الأكثر تقدما، ويزيد بنحو ٨سنوات عن المناطق الأقل تقدما. ويرتفع متوسط العمر في الشطر الآسيوي إلى ٦٦سنة مقابل ٥٢ سنة في نظيره الأفريقي (جدول رقم ٧وشكل رقم ٥).

وتتباين أقاليم ودول العالم الإسلامي في ذلك على النحو التالي:-

١- الأقاليم التي يزيد فيها متوسط عمر الفرد عن معدل العالم (+٦٤سنة)، وتضم ثلاثة أقاليم هي: شبه الجزيرة العربية "أ" (٧١سنة)، الهلال الخصيب (٦٨سنة)، وشمالي أفريقيا (٦٥سنة). ويرجع ذلك إلى انخفاض معدل الوفيات الخام حيث يبلغ معامل الارتباط بينهما (-٠,٩٦)، كما يرجع إلى انخفاض وفيات الرضع حيث يبلغ معامل الارتباط بينهما (- ٠,٩٧) وينتمى إلى هذا النمط ١٧ دولة إسلامية.

٢- الأقاليم التي يتساوى فيها متوسط عمر الفرد مع معدل العالم أو يقل عنه، وتضم تسعة أقاليم هي: شبه القارة الهندية (٥٩سنة)، غربي آسيا (٦٣سنة)، حوض النيل (٥٣سنة)، شرقي أفريقيا (٥١ سنة)، الصحراء الكبرى (٤٧سنة)، غربي أفريقيا "أ" (٤٥سنة)، وشبه الجزيرة العربية "ب" (٥٥سنة)، وجنوب شرقي آسيا (٦٣سنة)، وغربي افريقيا "ب" (٥٠سنة) وينتمي إلى هذا النمط بقية الدول الإسلامية.

جدول رقم (٧) التغير في متوسط عمر الفرد فى العالم الإسلامى (سنة) (١)

الإقليم/ الدولة	١٩٧٩م (أ)	١٩٩٥م (ب)	التغير (جـ)	الإقليم/ الدولة	١٩٧٩م (أ)	١٩٩٥م (ب)	التغير (جـ)
شبه الجزيرة العربية«أ»	٤٩	٧١	+ ٢٢	جنوب شرقي آسيا	٥١	٦٣	+ ١٢
السعودية	٤٥	٧٠	+ ٢٥	ماليزيا	٦٦	٧١	+ ٥
الكويت	٦٩	٧٥	+ ٦	بروناي	٦٦	٧٤	+ ٨
قطر	٤٨	٧١	+ ٢٣	إندونيسيا	٥٠	٦٣	+ ١٣
البحرين	٦٣	٧٢	+ ٩	حوض النيل	٤٨	٥٣	+ ٥
شبه الجزيرة العربية«ب»	٤٥	٥٥	+ ١٠	السودان	٤٦	٥٣	+ ٧
الإمارات	٤٨	٧٤	+ ٢٦	أثيوبيا	٤٠	٤٧	+ ٧
عمان	٤٧	٧٠	+ ٢٣	أوغندا	٥٠	٤٥	− ٥
اليمن	٤٥	٥٠	+ ٥	مصر	٥٥	٦٤	+ ٩
الهلال الخصيب	٥٨	٦٨	+ ١٠	شمالي أفريقيا	٥٤	٦٥	+ ١١
العراق	٥٣	٦٦	+ ١٣	ليبيا	٥٣	٦٣	+ ١٠
فلسطين	٧٣	٧٦	+ ٣	تونس	٥٥	٦٨	+ ١٣
لبنان	٦٣	٦٩	+ ٦	الجزائر	٥٤	٦٧	+ ١٣
سوريا	٥٧	٦٧	+ ١٠	المغرب	٥٣	٦٣	+ ١٠
الأردن	٥٣	٦٨	+ ١٥	شرقي أفريقيا	٤٦	٥١	+ ٥
غربي آسيا	٥٥	٦٣	+ ٨	جيبوتي	٤١	٤٨	+ ٧
تركيا	٥٩	٦٦	+ ٧	الصومال	٤١	٤٧	+ ٦
إيران	٥٧	٦٧	+ ١٠	تنزانيا	٤٧	٥٢	+ ٥
أفغانستان	٣٩	٤٣	+ ٤	جزر القمر	٤٦	٥٦	+ ١٠
شبه القارة الهندية	٤٨	٥٩	+ ١١	أريتريا	٤٠	٥٠	+ ١٠
باكستان	٥١	٦٢	+ ١١	الصحراء الكبرى	٤٠	٤٧	+ ٧
بنجلاديش	٤٦	٥٦	+ ١٠	تشاد	٤١	٤٧	+ ٦
المالديف	٥٠	٦٢	+ ١٢	النيجر	٤٠	٤٧	+ ٧

تابع جدول رقم (٧)

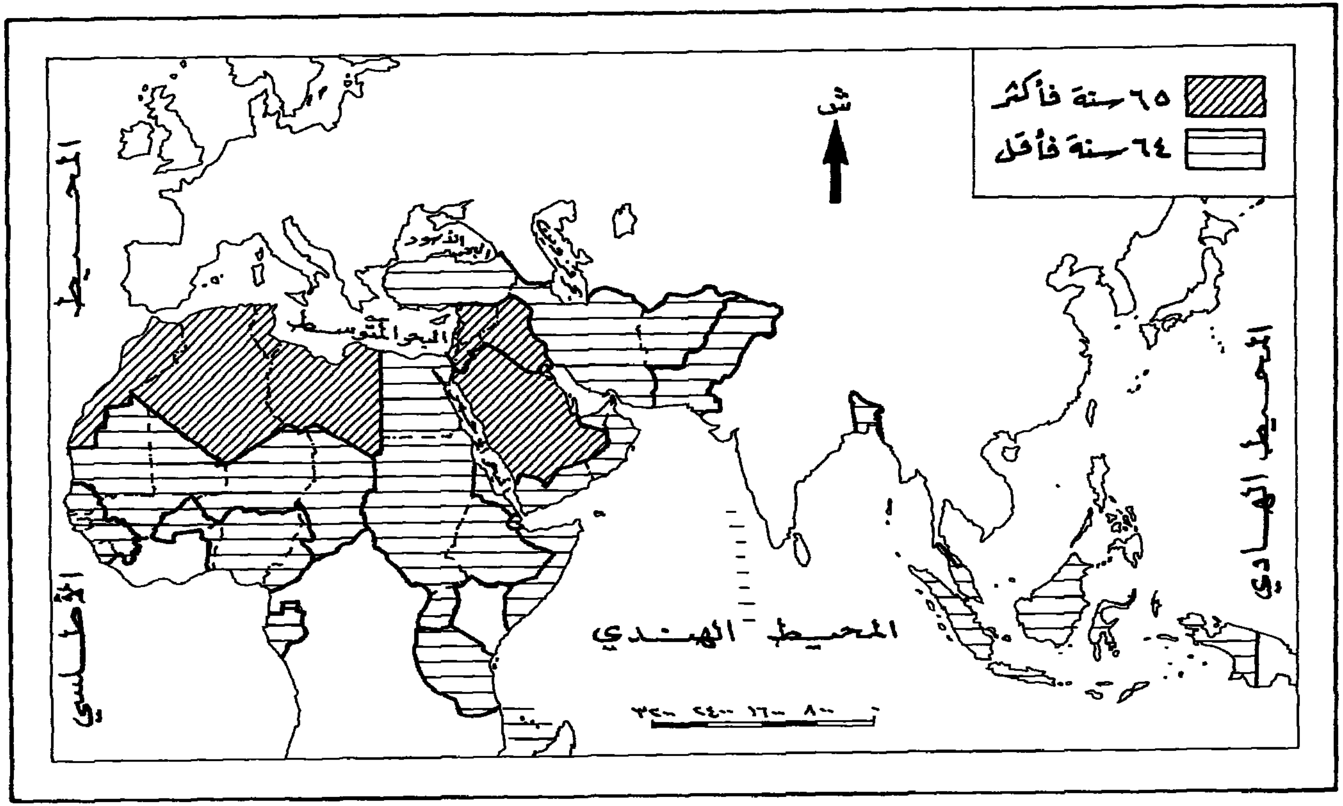
الإقليم/ الدولة	١٩٧٩م (أ)	١٩٩٥م (ب)	التغير (جـ)
مالي	٤٠	٤٦	+ ٦
موريتانيا	٤٠	٥١	+ ١١
غربي أفريقيا «أ»	٤٢	٤٥	+ ٣
السعال	٤٢	٤٩	+ ٧
غامبيا	٤١	٤٥	+ ٤
عينيابيساو	٣٩	٤٤	+ ٥
سيراليون	٤٦	٣٩	- ٧
غينيا	٤١	٤٤	+ ٣
عربي آمريقيا «ب»	٤٥	٥٠	+ ٥
بنين	٤٣	٥٠	+ ٧
نيحيريا	٤٥	٥٠	+ ٥
الكمرون	٤٤	٥٦	+ ١٢
بوركيبا فاسو	٤٠	٤٧	+ ٧
الجابون	٤١	٥٤	+ ١٣
العالم الإسلامي	٤٩	٥٩	+ ١٠
العالم	٦٠	٦٤	+ ٤
المناطق الأكثر تقدما	٧١	٧٤	+ ٣
المناطق الأقل تقدما	٥٦	٥١	- ٥

١ - الجدول من إعداد الباحث بناء على:-

أ - THE POPULATION REFERANCE BUREAU, (1979)

ب - U. N., (1994), WORLD POPULATION.

جـ - من حساب الباحث.



شكل (٥) متوسط عمر الفرد في أقاليم العالم الإسلامي (١٩٩٤م)

وقد زاد متوسط عمر الفرد في العالم الإسلامي زيادة كبيرة خلال الفترة ١٩٧٩- ١٩٩٤م (حوالي عشر سنوات) وكان الشطر الآسيوي أفضل حالا من الشطر الأفريقي (١٣,٥سنة: ٦,٨سنة على التوالي). وقد تباينت أقاليم دول العالم الإسلامي في ذلك على النحو التالي:-

١- الأقاليم التي شهدت زيادة في معدلات متوسط عمر الفرد بها تزيد عن معدل العالم الإسلامي، وهي: شبه الجزيرة العربية "ب" (+١٠سنة)، شبه الجزيرة العربية "أ" (+٢٢ سنة)، شبه القارة الهندية) (+١١سنة)، شمالي أفريقيا (+ ١١سنة) والهلال الخطيب (+١٠١ سنوات)، وجنوب شرقي آسيا (+١٢سنة).

وإلى هذا النمط تنتمي ١٤دولة إسلامية.

٢- الأقاليم التي بلغت زيادة متوسط عمر الفرد فيها أقل من العالم الإسلامي، وتضم سته أقاليم هي: الصحراء الكبرى (+٧سنوات) شرقي أفريقيا وغربي أفريقيا "ب" وحوض النيل (٥سنوات)، وغربي أفريقيا "أ" (٣سنوات آسيا (+٨ سنوات).

وإلى هذا النمط تنتمي ٣٣ دولة إسلامية.

وعلى خلاف الدول السابقة حدث انخفاض في متوسط عمر الفرد في دولة سير اليون مقداره ٧سنوات (من ٤٦إلى ٣٩سنة).

ثانياً: معدلات الزيادة الطبيعية:-

يتصف العالم الإسلامي بارتفاع معدل الزيادة الطبيعية كثيرا إذا بلغ ٢,٧٪ خلال الفترة ١٩٩٠-١٩٩٥م بزيادة ١,١٪ عن معدل العالم، وهذا يساوي تسعة أضعاف المعدل في المناطق الأكثر تقدما التي تبلغ ٠,٣٪ ، ويقترب من معدل المناطق الأقل تقدما البالغ ٢,٨٪. ويعد الشطر الآسيوي أقل من نظيره الأفريقي (٢,٦٢ : ٢,٧٧٪ على التوالي). (جدول رقم ٨ وشكل رقم ٦).

وهناك تباين واضح بين الأقاليم على النحو التالي:-

١- الأقاليم ذات معدلات الزيادة الطبيعية المرتفعة (+٢,٥٪ فأكثر) . . وتضم عشرة أقاليم هي: شبه الجزيرة العربية "ب" (٣,٤٪)، الصحراء الكبرى (٢,١٪)، شبه القارة الهندية وشبه الجزيرة العربية (أ) وغربي آسيا (٢,٨٪)، وغربي إفريقيا "ب" (٢,٩٪)، الهلال الخصيب (٣,٠٪)، غربي أفريقيا "أ" (٢,٧٪)، وحوض النيل ٢,٦ وشرقي أفريقيا (٣٪) وإلى هذا النمط تنتمى ٢٩ دولة إسلامية.

٢- الأقاليم ذات معدلات الزيادة الطبيعية المتوسطة (٢-٢,٤٪ سنوياً). . وتضم إقليمين هما: شمالي أفريقيا (٢,٣٪)، وجنوب شرقي آسيا (٢,١٪). وإلى هذا النمط تنتمي ١٦دولة إسلامية.

ويرجع ارتفاع معدلات الزيادة الطبيعية في العالم الإسلامي- بعامة- إلى عدة عوامل أهمها: انخفاض الوفيات الخام مع بقاء معدل المواليد مرتفعا كما يرجع إلى انخفاض وفيات رضع.

جدول رقم (٨) تطور معدلات الزيادة الطبيعية
فى العالم الإسلامى (٪) (١)

الإقليم/ الدولة	١٩٧٩م (أ)	٩٠/ ١٩٩٥م (ب)	التغير (جـ)	الإقليم/ الدولة	١٩٧٩م (أ)	٩٠/ ١٩٩٥م (ب)	التغير (جـ)
شبه الجزيرة العربية«أ»	٣,٢	٢,٨	- ٠,٤	جنوب شرقي آسيا	٢,١	٢,١	٠
السعودية	٣,١	٣,٠	- ٠,١	ماليزيا	٢,٥	٢,٤	- ٠,١
الكويت	٣,٧	٢,٢	- ١,٥	بروناي	٢,٤	٢,١	- ٠,٣
قطر	٣,٠	١,٨	- ١,٢	إندونيسيا	٢,١	١,٧	- ٠,٤
البحرين	٣,٥	٢,٤	- ١,١	حوض النيل	٢,٧	٢,٦	- ٠,١
شبه الجزيرة العربية«ب»	٢	٣,٤	- ١,٤	السودان	٢,٨	٢,٧	- ٠,١
الإمارات	٣,٠	٢,٠	- ١,٠	أثيوبيا	٥,٢	٣,٠	+ ٠,٥
عمان	٣,٠	٣,٩	+ ٠,٩	أوغندا	٣,١	٣,٣	+ ٠,٢
اليمن	٥,٢	٣,٤	+ ٠,٩	مصر	٢,٦	٢,١	- ٠,٥
الهلال الخصيب	٢,٣	٣,٠	+ ٠,٧	شمالي أفريقيا	٣,٣	٢,٣	- ١,٠
العراق	٣,٤	٣,١	- ٠,٣	ليبيا	٣,٤	٣,٤	٠
فلسطين	١,٩	١,٤	- ٠,٥	تونس	٢,٦	٢,٠	- ٠,٦
لبنان	٢,٥	٢,٠	- ٠,٥	الجزائر	٣,٤	٢,٣	- ١,١
سوريا	٢,١	٣,٥	+ ٠,٤	المغرب	٣,٢	٢,١	- ١,١
الأردن	٣,٣	٣,٤	+ ٠,١	شرقى أفريقيا	٢,٩	٣	+ ٠,١
غربى آسيا	٢,٦	٢,٨	+ ٠,٢	جيبوتي	٢,٤	٢,٢	- ٠,٢
تركيا	٣,٠	٢,٠	- ١,٠	الصومال	٢,٨	٣,٢	+ ٠,٤
إيران	٣,٠	٢,٨	- ٠,٢	تنزانيا	٣,٠	٢,٩	- ٠,١
أفغانستان	٢,٣	٢,٨	- ٠,٥	جزر القمر	٢,٢	٣,٦	+ ١,٤
شبه القارة الهندية	٣	٢,٨	- ٠,٢	أريتريا	٢,٥	٢,٨	+ ٠,٣
باكستان	٣,٠	٣,٢	+ ٠,٢	الصحراء الكبرى	٢,٦	٣,١	+ ٠,٥
بنجلاديش	٢,٩	٢,٣	- ٠,٦	تشاد	٢,٣	٢,٦	+ ٠,٢
المالديف	٢,٧	٣,٣	+ ٠,٦	النيجر	٣,٢	٢,٤	+ ٠,٢

تابع جدول رقم (٨)

الإقليم/ الدولة	١٩٧٩م (أ)	٩٠/ ١٩٩٥م (ب)	التغير (جـ)
مالي	٢,٧	٣,٢	+٠,٥
موريتانيا	٢,٨	٢,٦	-٠,٢
غربي أفريقيا «أ»	٢,٦	٢,٧	+٠,١
السنغال	٢,٦	٢,٧	+٠,١
غامبيا	٢,٥	٢,٥	٠
غينيابيساو	١,٨	٢,٢	+٠,٤
سيراليون	٢,٧	٢,٤	-٠,٣
غينيا	٢,٥	٣,١	+٠,٦

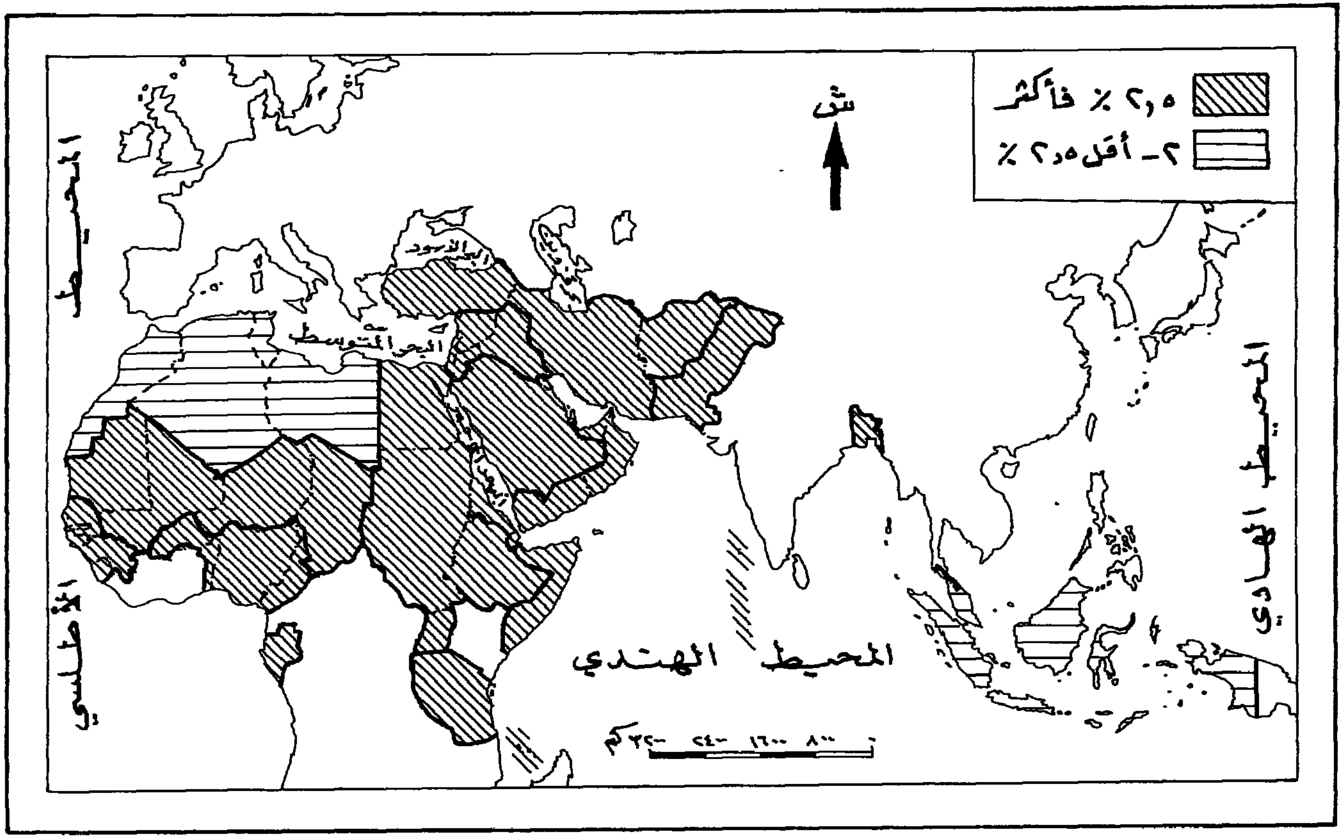
الإقليم/ الدولة	١٩٧٩م (أ)	٩٠/ ١٩٩٥م (ب)	التغير (جـ)
غربي أفريقيا «ب»	٣,٢	٢,٩	-٠,٣
بنين	٣,٠	٣,١	+٠,١
نيجيريا	٣,٢	٣,٠	-٠,٢
الكمرون	٢,٢	٢,٩	+٠,١
بوركينا فاسو	٢,٦	٢,٩	+٠,٣
الجابون	١,١	٢,٢	+١,١
العالم الإسلامي	٢,٨	٢,٧	-٠,١
العالم	١,٧	١,٦	-٠,١
المناطق الأكثر تقدما	٠,٧	٠,٣	-٠,٤
المناطق الأقل تقدما	٢,١	٢,٨	+٠,٧

١ - الجدول من إعداد الباحث بناء على:-

أ - THE POPULATION REFERANCE BUREAU, (1979)

ب - من حساب الباحث بناء على جداول المواليد والوفيات الخام.

جـ - من حساب الباحث.



شكل (٦) معدلات الزيادة الطبيعية في أقاليم العالم الإسلامي (١٩٩٥م)

وقد حدثت بالعالم الإسـلامي تغيرات طفيفة في معدلات الزيادة الطـبيعية، فـقد انخـفضت بمعـدل ١,٠٪ خـلال الفتـرة من ١٩٧٩م إلى ١٩٩٥، وبلغ هذا الانخفاض في الـشطر الآسيوي ٢,٠٪ في الشطر الأفريقي. أمـا الأقاليم والدول الإسلامية فتتباين التغيرات علي النحو التالي:-

١- الأقاليم التي انخـفضت فيهـا معدلات الزيادة الطبيـعية، وتضم خمسـة أقاليم هي: شبه الجـزيرة العربية "أ" (-٤,٠٪)، شمالي أفـريقيا (-٠,١٪)، شبه القارة الهندية (-٢,٠٪)، حوض النيل (-١,٠٪) وغربي أفريقيا "ب" (-٣,٠٪) وينتمي إلى هذا النمط ٢٥دولة.

٢- الأقاليم التي ارتفعت فيـها معدلات الزيادة الطبيعيـة، وتضم ستة أقاليم هي: غربي أفريقيا (أ) وشـرقي أفريقيا (+١,٠٪)، وغربي آسيا (+٢,٠٪)، وشبه الجزيرة العربية (٤,١٪)، والصحراء الكبرى (+٥,٠٪) والهلال الخطيب (+٧,٠٪) وإلى هذا النمط تنتمي عشرون دولة.

٣- الأقاليم التي ظلت مـعدلات زيادتها الطبيـعية ثابتة، وتضم إقليـمًا واحدا هو إقليم جنوب شرقي آسيا (١,٢٪). وينتمي إلى هذا النمط دولتان همـا: ليبيا (٤,٣٪)، غامبيا (٥,٢٪).

ثالثاً: الهجرة الدولية

يقصـد بالهجرة الدوليـة التيارات الضـخمة من السكان الوافـدين إلى العالم الإسلامي من خـارجه أو النارحين منه إلى دول غير إسـلامية وكذلك الهـجرة بين دول وأقـاليم العالـم الإسلامي ولهـذه الهـجرة دور في توزيع السـكان وفي تغيـر عددهم، وفي تركيبهم.

وقد قام الباحث بحساب نسبة الهجرة الدولية في العالم الإسلامي عن طريق حساب نسبة النمو للسكان خلال فترتين مختلفتين ثم طرح معدلات الزيادة الطبيعية منها، فيكون الفرق هو مـعدل الهجرة الدولية. وقد تبين أن صـافي الهجرة الدولية كان له دور ضئيل في زيادة سكان العـالم الإسلامي لم يتعد ٠,٢٧٪ سنوياً خلال الفترة من ١٩٧٩م إلـى ١٩٩٣م مقابل ٢,٨٪ تساهم بهـا الزيادة الطبيعـية في نمو السكان على النحـو المبين في الجـدول رقم (٩). ويزيد أثر الهـجـرة في نمو سكان الشطر الآسيوي بنسبة ١,٠٨٪ سنوياً بينما ينخفض دورها في الشطر الأفريقي إلى ٠,٣٩٪ سنوياً. أما في الأقاليم والدول الإسلامية فيختلف دور الهجرة الدولية في نمو السكان على النحو التالي:-

١- الأقاليم التي تساهم الهجرة الدولية في زيادة سكانها بسبب زيادة عدد الوافدين إليها، وتضم عشرة أقاليـم هي: شبه الجزيرة العربية أ (٤,٦٪ مقابل ٢,٧٪ للزيادة الطبيعيـة)، غربي أفريقيا أ (٢,٦٦٪ مقابل ٢,٥٪ للزيادة الطبيعية)، إقليم شرقي أفريقيا (٢,٨٤٪ مقابل ٣,٢٪ للزيادة الطبيعـية)، حوض النيل (١,٢٣٪ مقـابل ٢,٨٪ للزيادة الطبـيـعيـة)، شبـه الجـزيرة العربيـة "ب" (٠,٧٤٪ مقابل ٣,٢٪ للزيادة الطبيـعية)، شمالي أفـريقيا (٠,٨١٪ مقابل ٢,٦٪ للزيادة الطبيعية)، غربي آسيا (٠,٢٣٪ مقابل ٢,٨٪ للزيادة الطبيعية) والهلال الخصيب (+٠,٢٩٪)، شبه القارة الهندية (+٠,١٧٪) جنوب شرقي آسيا (+٠,٣٪).

وإلى هذا النمط تنتمي ٣٣ دولة إسلامية هي: قطر (٨,٦٪ مقابل ٢,١٪ للزيادة الطبيعية)، الإمارات (٧٢,٦٪ مقابل ٢,٨٪ للزيادة الطبيعية)، السعودية (٠,٥٩٪ مقابل ٣,٢٪ للزيادة الطبيعية)، البحرين (٣٦,٢٪ مقابل ٢,٤٪ للزيادة الطبيعية)، عُمان (٢,٠٦٪ مقابل ٣,٥٪ للزيادة الطبيعية)، ليبيا (٩٦,١٪ مقابل ٣,٤٪)، كما تساهم الهجرة الدولية في زيادة سكان الجابون بنسبة ١٧,٦٪ مقابل ٢,٨٪ للزيادة الطبيعية، وإيران (+٧١,١٪)، وفلسطين (+٣٢,١٪)، والمالديف (٧٤,٣٪)، وأثيوبيا (٧٩,٢٪)، وتنزانيا (٤٤,١٪)، والنيجر (٤٧,١٪)، وغينيا بيساو (٥٧,٢٪)، وجامبيا (٠٧,١٪).

جدول رقم (٩) دور الهجرة الدوليه في ربادة سكان دول وأقاليم العالم الإسلامي

(بن عامي ١٩٧٩م، ١٩٩٣م)

الإقليم / الدولة	معدل النمو الكلي في السنة (أ)	معدل الريادة الطبيعية (ب) سنوياً	الفرق بينهما (ج)	الإقليم / الدولة	معدل النمو الكلي في السنة (أ)	النسبة% (من العالم الإسلامي) (ب)	الترتيب (ب)
شبه الحريرة العربية«أ»	٧,٤	٢,٨	٤,٦+	شمالي أفريقيا	٣,١١	٢,٣	٠,٨١+
السعوديه	٨,٢٩	٣,٢	٥,٠٩+	ليبيا	٥,٣٦	٣,٤	١,٩٦+
الكويت	٢,٢١	٣,٠	٠,٧٩+	تونس	٢,٤٦	١,٩	٠,٥٦+
قطر	١٠,٧	٢,١	٨,٦+	الجزائر	٣,٠٧	٢,٧	٠,٣٦+
البحرين	٤,٧٦	٢,٤	٢,٣٦+	المغرب	٣,١١	٢,٤	٠,٧١+
شبه الحريرة العربية«ب»	٤,١٤	٣,٤	,٠٧٤+	سرقي أفريقيا	٥,٨٤	٣,٠	٢,٨٤+
الإمارات	٩,٥٢	٢,٨	٦,٧٢+	جيبوتي	١٨,٦	٣,٠	٢٥,٦+
عُمان	٥,٥٦	٣,٥	٢,٠٦+	الصومال	١٢,٢٤	٣,٠	٩,١٤+
اليمن	٣,٣٤	٣,٢	٠,١٦-	تنزانيا	٤,٥٤	٣,١	١,٤٤+
الهلال الحصيب	٣,٢٩	٣,٠	٠,٢٩+	جزر القمر	١,٧٨	٣,٥	١,٧١-
العراق	٣,٤٩	٣,٧	٠,٢١-	أريتريا	٣,٥٧	٢,٨	٠,٧٧+
فلسطين	٢,٨٢	١,٥	١,٣٢+	الصحراء الكبرى	٣,٠	٣,١	٠,١-
لبنان	١,١٥	٢,١	٠,٩٥+	تشاد	١,٦٢	٣,٥	٠,٨٨-
سوريا	٤,٣٤	٣,٨	٠,٥٤+	النيجر	٤,٦٧	٣,٢	١,٤٧+
الأردن	١,٩	٣,٦	١,٧-	مالى	٢,٦٤	٣,٠	٠,٣٦-
عربي آسيا	٣,٠٣	٢,٨	٠,٢٣+	موريتانيا	٢,٦٨	٢,٨	٠,١٢-
تركيا	٢,٦٤	٢,٢	,٤٤+	عرىي أفريقيا (أ)	٥,٣٦	٢,٧	٢,٦٦+
إيران	٥,٢١	٣,٥	١,٧١+	السنغال	٣,١١	٢,٧	٠,٤١+
أفغانستان	٠,١١	٢,٨	٢,٦٩-	غامبيا	٣,٥٧	٢,٥	١,٠٧+
شبه القارة الهندية	٢,٩٧	٢,٨	٠,١٧+	غينيا بيساو	٤,٦٧	٢,١	١,٠٦-
باكستان	٣,٨٣	٣,١	٠,٧٣+	سيرالون	١,٥٤	٢,٦	٠,٦-
بنجلاديش	٢,١٨	٢,٤	٠,٢٢-	غينيا	١,٩	٢,٥	٠,٦-
المالديف	٧,١٤	٣,٤	٣,٧٤+	شرقي أفريقيا (ب)	٢,٢٩	٢,٩٠	٠,٦١-
جنوب شرق آسيا	٢,٤	٢,١	٠,٣+	سن	٣,٢٧	٣,٠	٠,٢٧+
ماليزيا	٢,٧٤	٢,٣	٠,٤٤+	نيجيريا	١,٩	٣,١	١,٢-
بروناي	٣,٥٧	٢,٦	٠,٩٦+	الكمرون	٣,٤٤	٢,٩	٠,٥٤+
اندونيسيا	٢,٣٧	١,٧	٠,٦٧+	بوركينا فاسو	٣,٥٢	٣,٤	٠,١٢+
حوض النيل	٣,٩٣	٢,٦	١,٢٣+	الجابون	٨,٥٧	٢,٤	٦,١٧+
السودان	٣,٧٩	٣,١	٠,٦٩+	العالم الإسلامي	٣,٠٧	٢,٧	٠,٣٧+
اتيوبيا	٥,٥٩	٢,٨	٢,٧٨+				
اوغندا	٢,٦٥	٣,١	٠,٤٥-				
مصر	٣,١١	٢,٣	٠,٨١+				

١ ـ الجدول من إعداد الباحث بناء عل THE POPULATION REFERENCE BUREAU,١ ـ من حساب الباحث

ويزيد دور الهجرة الدولية في زيادة سكان الصومال بنسبة ٥٦ , ٢٪ سنويا، والجابون (١٤ , ٩٪)، بينما تبلغ نسبتها ٩٦ , ٠٪ في بروناي، و٨١ , ٠٪ في مصر، و٧٧ , ٠٪ في أريتريا، و٧٣ , ٠٪ في باكستان، و٧١ , ٠٪ في المغرب، و٦٩ , ٠٪ في السودان، و٦٧ , ٠٪ في أندونيسيا، و٥٦ , ٠٪ في تونس، و٥٤ , ٠٪ في الكمرون وسوريا، و٤٤ , ٠٪ في ماليزيا وتركيا، و٤١ , ٠٪ في السنغال، و٣٧ , ٠٪ في الجزائر، ٢٧ , ٠٪ في بنين، و١٢ , ٠٪ في بوركينا فاسوسنويا.

٢- الأقاليم التي تتسبب الهجرة الدولية في خفض سكانها بسبب كثرة النازحين منها وتشمل إقليما واحدا هو غربي أفريقيا "ب" (-٦١ , ٠٪ سنوياً والصحراء الكبرى (-٨ , ٠٪). وإلى هذا النمط تنتمي ١٥دولة هي: أفغانستان (-٦٩ , ٢ سنوياً مقابل +٨ , ٢٪ للزيادة الطبيعية)، والمالديف (٧١ , ١٪ مقابل +٥ , ٣٪ للزيادة الطبيعية)، ونيجيريا (-٢ , ١٪ مقابل +١ , ٣٪ للزيادة الطبيعية)، والأردن (- ٧ , ١٪ سنوياً)، والعراق (-٢١ , ٠٪ سنوياً)، واليمن (١٦ , ٠٪)، ولبنان (- ٩٥ , ٠٪)، وتشاد (-٨٨ , ٠٪)، أوغندا (-٤٥ , ٠٪)، وبنجلاديش (٢٢ , ٠٪)، ومالي (-٣٦ , ٠٪)، وموريتانيا (-١٢ , ٠٪)، وغينيا (-٦ , ٠٪ سنوياً). وكانت الكويت- قبل حرب الخليج- من الدول التي يشكل الأجانب أكثر من ثلاثة أخماس سكانها ولكن هذه الحرب وما تلاها من عدم استقرار سياسي نتج عنها حفض نمو السكان بنسبة ٧٩ , ٠٪ سنوياً مقابل زيادة طبيعية نسبتها +٣٪ سنوياً، كما يظهر من الجدول السابق (٩).

ويفسر اختلاف دور الهجرة الدولية في نمو سكان الأقاليم والدول الإسلامية باختلاف مستويات المعيشة فيها، فقد تبين أن هناك علاقة ارتباط قوية بينهما وموجبة معامل ارتباطها (٨٦ , ٠).

رابعاً:- نمو السكان:

تؤثر العوامل الثلاثة السابقة (المواليد - الوفيات - الهجرةالدولية) في نمو - سكان العالم الإسـلامي بدرجات متبـاينة تميزه عن مناطق العالم الأخـرى. فخلال الفترة من ١٩٧٩إلى ١٩٩٣م زاد السكان من ١ ,٧٧٠ مليون نسمة إلى ٦ ,١١٠١ مليون نسمة، بزيادة كلية قدرها ٥ ,٣٣١ مليونا وبنسبة ٤٣٪، أو بمعدل نمو سنوي قدره ٠٧ ,٣٪ مقابل ٩ ,١٪ في العالم، ٣٤ ,٠٪ في المناطق الأكثر تقدما.

وتكاد نسـبة النمـو السنوية تتسـاوى في شطري العالـم الإسلامي الآسـيوي والأفـريقي (٨٨ ,٣: ٩٢ ,٣٪ على التـوالـي). بينمـا تخـتلـف الأقـاليم والدول الإسلامية بصورة واضحة على النحو التالي:-

١- الأقاليم سريعة النمـو جدا، ويزيد معدل نموها السنوي عن ٥٪، وتضم ثلاثة أقاليم هي: شبه الجـزيرة العربية "أ" (٤٣ ,٧٪)، شرقي أفريقيا (٨٤ ,٥٪). غربـي آفريقـيا (٣٦ ,٥٪). وإلى هذا النمط تنتـمي ١٢ دولة هي: جيـبوتي (٢٨,٦٪)، الصومال (٢٤ ,١٢٪)، الإمارات (٥٢ ,٩٪)، قطر (٧ ,١٠٪)، السـعـودية (٢٩ ,٨٪)، الجـابون (٥٧ ,٨٪)، المالديف (١٤ ,٧٪)، عُـمـان (٥٦ ,٥٪)، أثيوبيا (٥٩ ,٥٪)، ليبيا (٣٦ ,٥٪)، إيران (٢١ ,٥٪).

٢- الأقاليم سريعـة النمو (وتتراوح بين ٣- ٥٪ سنوياً). . وتضم ستة أقاليم هي: شبه الجزيرة العربية "ب" (١٤ ,٤٪سنوياً)، حوض النيل (٩٣ ,٣٪)، الهلال الخصيب (٢٩ ,٣٪)، شمالي أفـريقيا (١١ ,٣٪)، غربي آسيا (٠٣ ,٣٪)، الصحراء الكبرى (٣٪).

وإلى هذا النمط تنتمي ١٨دولة هي غينيا بـيساو - النيجر(٦٧ ,٤٪) تنزانيا - أريتريا- غامبيا (٥٧ ,٣٪)، بوركينا فاسو (٥٢ ,٣٪)، العراق (٤٩ ,٣٪)، الكمرون (٤٤ ,٣٪)، اليـمن (٣٥ ,٣٪)،بنين (٢٧ ,٣)، مـصـــر- المغـرب - السنـغـال (١١ ,٣٪)، الجزائر (٠٧ ,٣٪).

ويتميز عـدد كبير من الدول السابقة بارتفـاع معدل المواليد (+٣٥ في الألف) مع انخـفاض معـد الوفيـات الخام (+١٣ في الألف)، وبارتـفاع معـدلات الزيادة الطبيعية إلى +٣٪ سنوياً. ويعني ذلك أن نحو ثلاثة أخماس الدول الإسلامية تدخل في المرحلة الانتـقاليـة السكانيـة التي تعـرف أيضا بمرحلة الـثروة الديموجـرافيـة أو الانفجار السكاني، إحدى مراحل النظرية الديموجرافـية السكانية (اسماعيل، ١٩٧٦ ص، ٢١٠ص) التي يتضـاعف فيهـا السكان بمعدلات كبـيرة جدا خلال مـدد زمنية قصيرة جدا.

٣- الأقاليم متـوسطة النمو (٩,١- ٣٪ سنوياً).. وتضم ثلاثة أقاليم هي: شـبه القارة الهندية (٩٧, ٢٪)، جنوب شرقي آسيا (٤, ٢٪)، غربي أفريقيا "ب" (٢٩, ٢٪).

وإلى هذا النمط تنتمي ١٣دولة هي: فلسطين (٨٢, ٢)، ماليزيا (٧٤, ٢٪)، مـوريتـانيـا (٦٨, ٢٪) أو غندا (٦٥, ٢٪)، تركـيـا - مـالي (٦٤, ٢٪)، تونس (٤٦, ٢٪)، الكويت (٢١, ٢٪)، أندونيسـيا (٣٧, ٢٪)، بنجلاديش (١٨, ٢٪)، غينيا - نيجريا- الأردن (٩, ١٪).

ويتميز معظم هذه الدول بانخـفاض معدلات المواليد (أقل من ٣٥/ الألف) وبانخـفاض معـدلات الوفيـات الخام (١٣-٢٠/الألف) مما يتـسبب في انخـفاض معدلات الزيادة الطبيعية.

٤- الدول شديدة الانخفاض في معدلات النمو السكاني (أقل من معدل العالم).. وتضم خـمس دول هي: أفـغـانسـتـان (١١, ٠٪سنوياً)، لبنان (١٥, ١٪)، سيراليون (٥٤, ١٪)، تشاد (٦٢, ١٪)، جزر القمر (٧٩, ١٪). كما يظهر من الجدول رقم (١٠) والشكل رقم (٧).

وهكذا يتـضح أن تسعة أعـشار دول العـالم الإسلامي تزيد مـعدلات نموها السكاني عن المعدل العالمي، مما يتسبب في الزيادة السريعة جدا لسكانها.

خامساً :- السنوات اللازمة لمضاعفة عدد السكان

يتضاعف عدد سكان العالم الإسلامي في عدد قليل من السنوات لايتجاوز ٢٦سنة بسبب ارتفاع معدلات الزيادة الطبيعية، مقابل ٤٢ سنة للعالم و١٦٢سنة للمناطق الأكثر تقدما. وتقل هذه الفترة إلى ٢٥,٣ سنة للشطر الأفريقي مقابل ٢٦,٥ سنة للشطر الآسيوي.

وتتفاوت المدد اللازمة للأقاليم والدول الإسلامية لمضاعفة عدد سكانها على النحو التالي :-

١- الدول التي يتضاعف عدد سكانها كل ٢٠ سنة فأقل، وتضم سبع دول هي: سوريا (١٨سنة)، الأردن والعراق (١٩سنة)، عمان، إيران، المالديف وجزر القمر (٢٠سنة).

٢- الأقاليم والدول التي يتضاعف عدد سكانها بين ٢١- ٢٩ سنة .. وتضم أحد عشر إقليما هي: شرقي أفريقيا، شبه الجزيرة العربية "ب" (كل ٢٢سنة)، شبه القارة الهندية، غربي أفريقيات "ب" (كل ٢٤سنة)، حوض النيل، الصحراء الكبرى (كل ٢٥سنة)، غربي آسيا (كل ٢٦سنة)، الهلال الخصيب وشبه الجزيرة العربية "أ" (كل ٢٧سنة)، شمالي أفريقيا وغربي أفريقيا "أ" (كل ٢٨ سنة).

وإلى هذا النمط تنتمي ٣٢ دولة هي: ليبيا وبوركينا فاسو (٢١سنة)، السعودية، اليمن، السودان، الصومال، تنزانيا والنيجر (٢٢سنة)، الكويت، باكستان، أوغندا، جيبوتي، مالي، بنين ونيجيريا (٢٣سنة)، الكمرون (٢٤سنة)، الإمارات.

جدول رقم (١٠) معدلات النمو السكاني في العالم الإسلامي(٪)(١)

الإقليم/ الدولة	عدد السكان (مليون نسمة) ١٩٧٩م (أ)	١٩٩٣م (ب)	الزيـــادة (٪) (جـ) الكلية	السنوية
شبه الجزيرة العربية «أ»	٩,٩	٢٠,٢	١٠٤	٧,٤٣
السعودية	٨,١	١٧,٥	١١٦	٨,٢٩
الكويت	١,٣	١,٧	٣١	٢,٢١
قطر	٠,٢	٠,٥	١٥٠	١٠,٧
البحرين	٠,٣	٠,٥	٦٧	٤,٧٦
شبه الجزيرة العربية «ب»	٩,٥	١٥,٠	٥٨	٤,١٤
الإمارات	٠,٩	٢,١	١٣٢	٩,٥٢
عمان	٠,٩	١,٦	٧٨	٥,٥٦
اليمن	٧,٧	١١,٣	٤٧	٣,٣٤
الهلال الخصيب	٣١,٢	٤٥,٣	٤٦	٣,٢٩
العراق	١٢,٩	١٩,٢	٤٩	٣,٤٩
فلسطين	٣,٨	٥,٣	٣٩	٢,٨٢
لبنان	٣,١	٣,٦	١٦	١,١٥
سوريا	٨,٤	١٣,٥	٦١	٤,٣٤
الأردن	٣,٠	٣,٨	٢٧	١,٩
عربي اسيا	٩٨,٩	١٤٠,٩	٤٢	٣,٠٣
تركيا	٤٤,٣	٦٠,٧	٣٧	٢,٦٤
إيران	٣٦,٣	٦٢,٨	٧٣	٥,٢١
أفغانستان	١٨,٣	١٨,٦	٢	٠,١١
شبه القارة الهندية	١٦٧,١	٢٣٦,٥	٤٢	٢,٩٧
باكستان	٧٩,٧	١٢٢,٤	٥٤	٣,٨٣
بنجلاديش	٨٧,٣	١١٣,٩	٣٠	٢,١٨
المالديف	٠,١	٠,٢	١٠٠	٧,١٤

تابع جدول رقم (١٠)

الإقليم/ الدولة	عدد السكان (مليون نسمة) ١٩٧٩م (أ)	١٩٩٣م (ب)	الزيـــــادة (٪) (جـ) الكلية	السنوية
جنوب شرقي آسيا	١٥٤,٤	٢٠٦,٣	٣٤	٢,٤٠
ماليزيا	١٣,٣	١٨,٤	٣٨	٢,٧٤
بروناي	٠,٢	٠,٣	٥٠	٣,٥٧
إندونيسيا	١٤٠,٩	١٨٧,٦	٣٣	٢,٣٧
حوض النيل:	١٠٣,٥	١٦٠,٥	٥٥	٣,٩٣
السودان	١٧,٩	٢٧,٤	٥٣	٣,٧٩
أثيوبيا	٣١,٨	٥٦,٧	٧٨	٥,٥٩
أوغندا	١٣,٢	١٨,١	٣٧	٢,٦٥
مصر	٤٠,٦	٥٨,٣	٤٤	٣,١١
شمالي أفريقيا	٤٧,٧	٦٨,٨	٤٤	٣,١١
ليبيا	٢,٨	٤,٩	٧٥	٥,٣٦
تونس	٦,٤	٨,٦	٣٤	٢,٤٦
الجزائر	١٩,١	٢٧,٣	٤٣	٣,٠٧
المغرب	١٩,٤	٢٨,٠	٤٤	٣,١١
شرقي أفريقيا	٢١,٤	٣٨,٩	٨٢	٥,٨٤
جيبوتي	٠,١	٠,٥	٤٠٠	٢٨,٦٠
الصومال	٣,٥	٩,٥	١٧١	١٢,٢٤
تنزانيا	١٧,٠	٢٧,٨	٦٤	٤,٥٤
جزر القمر	٠,٤	٠,٥	٢٥	١,٧٩
أريتريا	٠,٤	٠,٦	٥٠	٣,٥٧
الصحراء الكبري	١٧,٦	٢٥,٠	٤٢	٣,٠٠
تشاد	٤,٤	٥,٤	٢٣	٢,٦٢
النيجر	٥,١	٨,٥	٦٧	٤,٦٧

تابع جدول رقم (١٠)

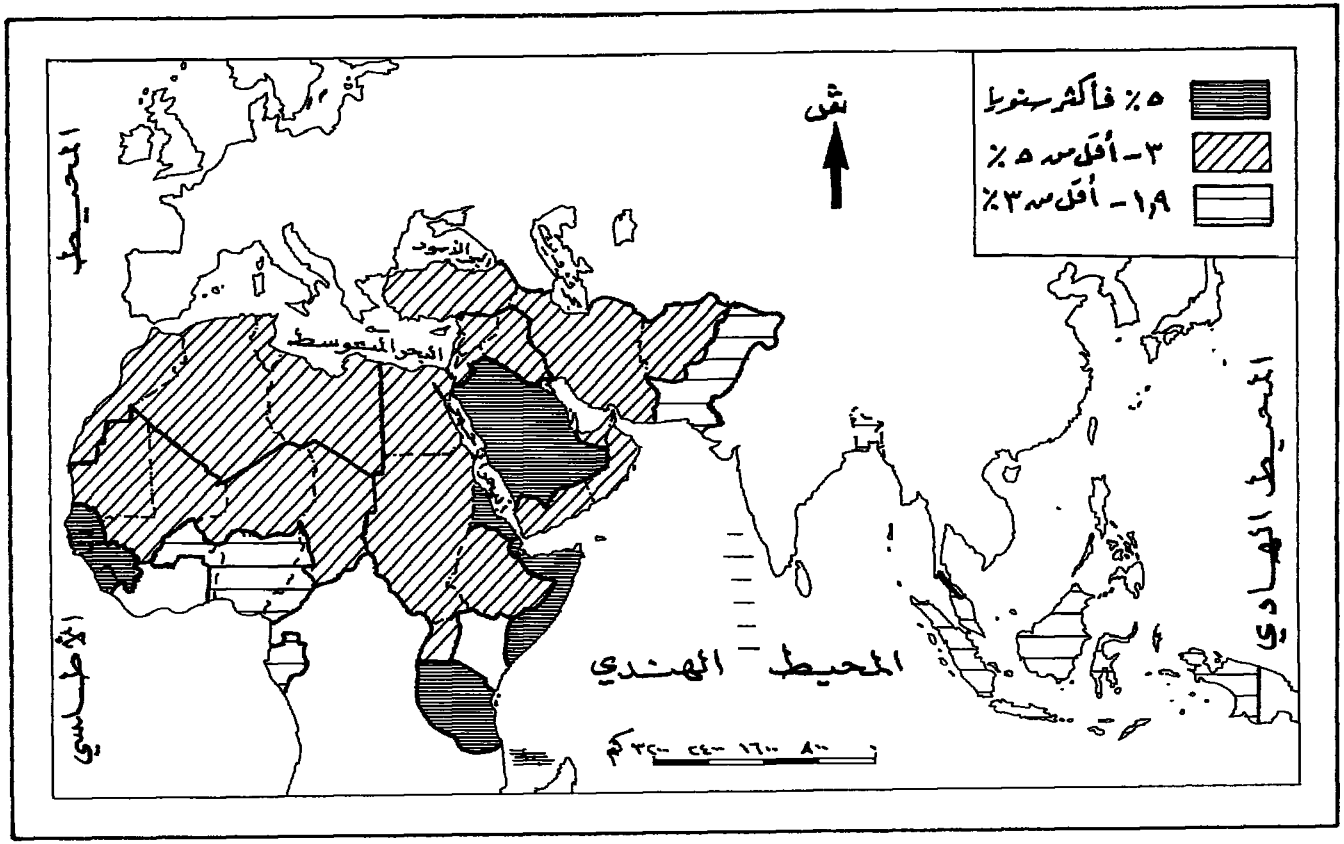
الإقليم/ الدولة	عدد السكان (مليون نسمة)		الزيـــــادة (٪) (جـ)	
	١٩٧٩م (أ)	١٩٩٣م (ب)	الكلية	السنوية
مالي	٦,٥	٨,٩	٣٧	٢,٦٤
موريتانيا	١,٦	٢,٢	٣٨	٢,٦٨
غربي أفريقيا (أ)	١٥,٣	٢٠,٥	٣٤	٥,٣٦
السنغال	٥,٥	٧,٩	٤٤	٣,١١
غامبيا	٠,٦	٠,٩	٥٠	٣,٥٧
غينيابيساو	٠,٦	١,٠	٦٧	٤,٦٧
سيراليون	٣,٧	٤,٥	٢٢	١,٥٤
غينيا	٤,٩	٦,٢	٢٧	١,٩٠
غربي أفريقيا (ب)	٩٣,٦	١٢٣,٦	٣٢	٢,٢٩
بنين	٣,٥	٥,٢	٤٦	٣,٢٧
نيجيريا	٧٤,٦	٩٥,١	٢٧	١,٩٠
الكمرون	٨,٣	١٢,٣	٤٨	٣,٤٤
بوركينا فاسو	٦,٧	١٠,٠	٤٩	٣,٥٢
الجابون	٠,٥	١,١	١٢٠	٨,٥٧
العالم	٤٣٢١	٥٥٠٦	٢٧	١,٩٠
العالم الإسلامي	٧٧٠,١	١١٠١,٦	٤٣	٣,٠٧
المناطق الأكثر تقدما	١١٧٣,٠	١٢٣٠,٠	٥	٠,٣٤

١ - الجدول من إعداد الباحث بناء على:-

أ - THE POPULATION REFERANCE BUREAU,(1979) .

ب - (1993) --

جـ - من حساب الباحث.



شكل (٧) أنماط النمو السكاني في أقاليم العالم الإسلامي (١٩٩٣م)

أفغانستان، أثيوبيا، أريتريا، موريتانيا و السنغال (٢٥سنة)، الجزائر (٢٦سنة)، بروناي، غامبيا وسير اليون (٢٧سنة)، الجابون، غينيا وتشاد (٢٨سنة)، البحرين، بنجلاديش والمغرب (٢٩سنة).

٣- الأقاليم والدول التي يتضاعف عدد سكانها بين ٣٠- ٣٩سنة، وتضم إقليما واحداً هو جنوب شرقي آسيا (٣٣سنة). وتنتمي إلى هذا النمط سبع دول هي: ماليزيا ومصر (٣٠سنة)، تركيا (٣٢ سنة)، قطر ولبنان (٣٣سنة)، غينيا بيساو (٣٤سنة)، تونس (٣٦سنة).

٤- الدول التي يتضاعف عدد سكانها خلال مدد زمنية طويلة تزيد عن ٤٠ سنة، وتشمل دولتين فقط هما أندونيسيا (٤٢سنة)و فلسطين (٤٧ سنة).

ونتيجة للتغيرات في معدلات النمو السكاني فإن الفترات اللازمة لتضاعف عدد السكان شهدت تغيرا واضحا خلال الفترة من ١٩٧٩م إلى ١٩٩٣م إذا انخفضت المدد اللازمة لمضاعفة عدد سكان العالم الإسلامي ٤ سنوات (٣٠-٢٦ سنة)، وزاد عدد السنوات اللازمة للمضاعفة في الشطر الآسيوي سنة واحدة، بينما انخفض عددها في الشطر الأفريقي سنتين بسبب ارتفاع معدلات الزيادة الطبيعية. أما الأقاليم والدول الإسلامية فتباينت على النحو التالي (جدول رقم ١١):-

١- الأقاليم التي زادت المدد اللازمة لمضاعفة سكانها، وتضم أربعة أقاليم هي: شبه الجزيرة العربية "أ" (+٦سنوات)، شمالي أفريقيا (+٥سنوات)، جنوب شرقي آسيا (سنتان)، الهلال الخطيب (سنة). وإلى هذا النمط تنتمي ١٦دولة إسلامية هي: فلسطين (١١سنة)، قطر والبحرين (+١٠سنوات)، تونس (+٩ سنوات)، المغرب (+٧سنوات)، الجزائر وبنجلاديش (+٥ سنوات)، الكويت، لبنان و تركيا (+٤سنوات)، مصر (+٣سنوات) الإمارات وماليزيا (+سنتان)، ليبيا ونيجيريا (سنة واحدة).

٢- الأقاليم التي انخفضت المدد اللازمة لمضاعفة سكانها، وتشمل سبعة أقاليم هي: غربي أفريقيا "ب" (-٩سنوات)، شرقي أفريقيا (-٥سنوات) شبه الجزيرة "ب" (-٣سنوات)، غربي أفريقيا "أ" (-٢سنتان)، غربي آسيا، حوض النيل والصحراء الكبرى (سنة). وتنمى إلى هذا النمط ٢٦ دولة هي: الجابون (-٣٥سنة)، جزر القمر (-١٢سنة)، اليمن- المالديف - الكمرون وبوركينا فاسو (-٦سنوات) أفغانستان و جيبوتي (-٥ سنوات)، سوريا، وغينيا بيساو (-٤سنوات)، وعُمان، ، إيران، آثيوبيا، الصومال وأريتريا (-٣ سنوات)، الأردن، بروناوى، تشاد النيجر، السنغال وغامبيا (-سنتان)، السعودية، العراق وتنزانيا (-سنة واحدة).

٣- الأقاليم التي بقيت المدد اللازمة لمضاعفة سكانها ثابتة. . وتشمل إقليم شبه القارة الهندية (٢٤سنة) وإلى هذا النمط تنتمي ست دول هي: باكستان، أوغندا وبنين (٢٣سنة)، موريتانيا (٢٢سنة)، سير اليون (٢٧سنة)، غينيا (٢٨سنة).

وقد أوضحت دراسة علاقة الارتباط بين معدل الزيادة الطبيعية والمدد اللازمة لمضاعفة عدد السكان في أقاليم العالم الإسلامي أن هناك علاقة ارتباط عكسية قوية بينهما، إذا يبلغ معامل الارتباط (- ٨١ ,٠)، فكلما زاد الأول انخفض الثاني، والعكس صحيح.

جدول رقم (١١) عدد السنوات اللازمة لمضاعفة عدد سكان العالم الإسلامي (سنة) [1]

الإقليم/ الدولة	١٩٧٩م (أ)	١٩٩٣م (ب)	التغير (جـ)	الإقليم/ الدولة	١٩٧٩م (أ)	١٩٩٣م (ب)	التغير (جـ)
شبه الجزيرة العربية(أ)	٢١	٢٧	+ ٦	**جنوب شرقي آسيا:**	٣١	٣٣	+ ٢
السعودية	٢٣	٢٢	- ١	ماليريا	٢٨	٣٠	+ ٢
الكويت	١٩	٢٣	+ ٤	بروناي	٢٩	٢٧	- ٢
قطر	٢٣	٣٣	+ ١٠	إندونيسيا	٣٥	٤٢	+ ٧
البحرين	١٩	٢٩	+ ١٠	**حوض النيل:**	٢٦	٢٥	- ١
شبه الجزيرة العربية(ب)	٢٥	٢٢	- ٣	السودان	٢٦	٢٢	- ٤
الإمارات	٢٣	٢٥	+ ٢	أثيوبيا	٢٨	٢٥	- ٣
عمان	٢٣	٢٠	- ٣	أوغندا	٢٣	٢٣	٠
اليمن	٢٨	٢٢	- ٦	مصر	٢٧	٣٠	+ ٣
الهلال الخصيب:	٢٦	٢٧	+ ١	**شمالي أفريقيا:**	٢٣	٢٨	+ ٥
العراق	٢٠	١٩	- ١	ليبيا	٢٠	٢١	+ ١
فلسطين	٣٦	٤٧	+ ٧	تونس	٢٧	٣٦	+ ٩
لبنان	٢٩	٣٣	+ ٤	الجزائر	٢١	٢٦	+ ٥
سوريا	٢٢	١٨	- ٤	المغرب	٢٢	٢٩	+ ٧
الأردن	٢١	١٩	- ٢	**شرقي أفريقيا:**	٢٧	٢٢	- ٥
غربي آسيا:	٢٧	٢٦	- ١	جيبوتي	٢٨	٢٣	- ٥
تركيا	٢٨	٣٢	+ ٤	الصومال	٢٥	٢٢	- ٣
إيران	٢٣	٢٠	- ٣	تنزانيا	٢٣	٢٢	- ١
أفغانستان	٣٠	٢٥	- ٥	جزر القمر	٣٢	٢٠	- ١٢
شبه القارة الهندية:	٢٤	٢٤	٠	أريتريا	٢٨	٢٥	- ٣
باكستان	٢٣	٢٣	٠	**الصحراء الكبرى:**	٢٦	٢٥	- ١
بنجلاديش	٢٤	٢٩	+ ٥	تشاد	٣٠	٢٨	- ٢
المالديف	٢٦	٢٠	- ٦	النيجر	٢٤	٢٢	- ٢

تابع جدول رقم (١١)

الإقليم/ الدولة	١٩٧٩م (أ)	١٩٩٣م (ب)	التغير (جـ)	الإقليم/ الدولة	١٩٧٩م (أ)	١٩٩٣م (ب)	التغير (جـ)
مالي	٢٦	٢٣	- ٣	**غربي أفريقيا (ب)**	٣٣	٢٤	- ٩
موريتانيا	٢٥	٢٥	٠	بنين	٢٣	٢٣	٠
غربي أفريقيا (أ)	٣٠	٢٨	- ٢	نيجيريا	٢٢	٢٣	+ ١
السنغال	٢٧	٢٥	- ٢	الكمرون	٣٠	٢٤	- ٦
غامبيا	٢٩	٢٧	- ٢	بوركينا فاسو	٢٧	٢١	- ٦
غينيابيساو	٣٨	٣٤	- ٤	الجابون	٦٣	٢٨	- ٣٥
سيراليون	٢٧	٢٧	٠	**العالم الإسلامي**	٣٠	٢٦	- ٤
غينيا	٢٨	٢٨	٠				

١ - الجدول من إعداد الباحث بناء على:-

أ - THE POPULATION REFERANCE BUREAU, (1979)

وانظر: المطري، دراسات في سكان العالم الإسلامي، جدول (٦)، ص، ٥٦-٥٨.

ب - THE POPULATION REFERANCE BUREAU, (1993).

جـ - من حساب الباحث.

سادساً: توقعات السكان:

للتوقعات السكانية أهميتها في التخطيط الحكومي أو الخاص أو للجامعات والمؤسسات الثقافية، أو غيرها (Peterson, 1973,pp 165-166)، خاصة إذا تم حسابها طبقات لخطة مرسومة وإذا لم تحدث أية كوارث تغير من الحسابات (Stanford,1972,p.28). وأهم مايؤثر في هذه التوقعات التغيرات في معدلات النمو الحالية، والحروب، والأزمات الأقتصادية، والمجاعات وغيرها (Ibid,Pp 22-23) كما تؤثر فيها صحة تقديرات الخصوبة والوفيات والهجرة وانتشار الشعور الوطني الذي يجعل الهجرة من المناطق المزدحمة أمرا صعبا (Ibid,P.242). ويمكن حساب توقعات السكان بالعالم الإسلامي على أساس التطورات التي طرأت منذ أوائل القرن العشرين الميلادي على النحو التالي المبين من الجدول رقم (١٢):

أ- تقدير عدد السكان عام ٢٠١٥م:

يقدر عدد سكان العالم الإسلامي عام ٢٠١٥م بحوالي ١,٨٤١,١٢٨,٠٠٠ نسمة، بزيادة ٥٩٪ عن عام ١٩٩٤م، مقابل زيادة ٣٣٪ للعام و ٥٪ فقط للمناطق الأكثر تقدما، و٤٠٪ في المناطق الأقل تقدما. وسيشكل هذا العدد نحو ربع إجمالي سكان العالم.

جدول رقم (١٢) توقعات السكان في العالم الإسلامي عامي ٢٠١٥ و٢٠٥٠ (١)

الإقليم/ الدولة	عام ٢٠١٥م		عام ٢٠٥٠م	
	العدد (مليون نسمة) (أ)	الزيادة (٪) عن عام ١٩٩٤م (ب)	العدد (مليون نسمة) (أ)	الزيادة (٪) عن عام ١٩٩٤م (ب)
شبه الجزيرة العربية(أ)	٣٧,٢٩٨	٨٥	٦٦,٢١٦	٢٢٨
السعودية	٣٣,٢٥٥	٩٠,٦	٦٠,٨٩٧	٢٤٩
الكويت	٢,٤٨١	٥٢	٣,٣٧٤	٣٧
قطر	٠,٧٤٦	٣٨	٠,٨٨٩	٦٥
البحرين	٠,٨١٦	٤٩	١,٠٤٦	٩١
شبه الجزيرة العربية(ب)	٣٣,٤٩٤	٨٨	٦٢,٧٠٨	٢٥٢
الإمارات	٢,٦٨٨	٤٤	٣,٤٢٣	٨٤
عمان	٤,٤٨٧	١١٦	١٠,٠٠٥	٣٨٢
اليمن	٢٦,٣١٩	٩٠	٤٩,٢٨٠	٢٥٥
الهلال الخصيب:	٨٢,٨٠٤	٧١	١٣٥,٨٩٣	١٨١
العراق	٣٤,٩٩٨	٧٦	٥٧,٦٩١	١٩٠
فلسطين	٧,١٥٩	٣١	٨,٩٢٧	٦٤
لبنان	٣,٩٦١	٣٦	٥,١٨٩	٧٨
سوريا	٢٦,٩٩١	٩٠	٤٧,٢١٢	٢٣٣
الأردن	٩,٦٩٥	٨٧	١٦,٨٧٤	٢٢٥
غربي آسيا:	٢٢٥,٤٢٣	٥٥	٣٢٩,٣٥٢	١٢٧
تركيا	٨٢,٠٧٥	٣٥	١٠٦,٢٨٤	٧٥
إيران	١٠٥,٨٣٧	٦١	١٦٣,١٠٨	١٤٨
أفغانستان	٣٧,٥١١	٩٩	٥٩,٩٦٠	٢١٨
شبه القارة الهندية:	٤١١,٥٤٥	٦٢	٦٢٠,٧٧٧	١٤٤
باكستان	٢٣٦,٢٥٤	٧٣	٣٨١,٤٨٨	١٨٧
بنجلاديش	١٧٤,٨٣٧	٤٨	٢٣٨,٥١٢	١٠٢
المالديف	٠,٤٥٤	٨٥	٠,٧٧٧	٢١٥

تابع جدول رقم (١٢)

الإقليم/ الدولة	عام ٢٠١٥م		عام ٢٠٥٠م	
	العدد (مليون نسمة) (أ)	الزيادة (٪) عن عام ١٩٩٤م (ب)	العدد (مليون نسمة) (أ)	الزيادة (٪) عن عام ١٩٩٤م (ب)
جنوب شرقي آسيا:	٢٨٠,٣٩٩	٣١	٣٥٧,٣٨٣	٦٧
ماليريا	٢٧,٩٧٠	٤٢	٣٨,٠٨٩	٩٣
بروناي	٠,٣٨٢	٣٦	٠,٤٩٢	٧٦
إندونيسيا	٢٥٢,٠٤٧	٣٠	٣١٨,٨٠٢	٦٤
حوض النيل:	٢٦٨,٥٥٢	٦٥	٤٦٨,٥٦١	١٨٧
السوداں	٤٦,٨٧٩	٧١	٨٤,٨٢٩	٢١٠
أثيوبيا	٩٧,٩٢١	٨٣	١٩٤,٢٠٣	٢٦٣
أوعندا	٣٧,٠٧٨	٨٠	٧٢,١٣١	٢٥٠
مصر	٨٦,٦٧٤	٤١	١١٧,٣٩٨	١١٧
شمالي أفريقيا:	٩٨,٤١٧	٤٥	١٣٨,٢٤٨	١٠٤
ليبيا	١٠,٠٥٠	٩٢	١٩,١٠٩	٢٦٦
توىس	١١,٩١٧	٣٦	١٥,٦٠٧	٧٩
الجزائر	٤٠,١٠٦	٤٧	٥٥,٦٧٤	١٠٤
المغرب	٣٦,٣٤٤	٣٧	٤٧,٨٥٨	٨١
شرقي أفريقيا:	٧٤,٥٥٢	٧٥	١٣٦,٦٩٤	٢٢١
حيبوتي	٠,٨٨٦	٥٧	١,٤٠٣	١٤٨
الصومال	١٦,٦١٥	٨٣	٣٢,٠٦٢	٢٥٣
تنزانيا	٥٠,٠١٥	٧٣	٩١,١٣٢	٢١٦
حزر القمر	١,٢٥٧	١٠٠	٢,٤٨٤	٢٩٤
أريتريا	٥,٧٧٩	٦٨	٩,٦١٣	١٨٠
الصحراء الكبري:	٥٠,٣٩٣	٨٢	٩٥,٩٢٠	٢٤٦
تشاد	١٠,٤٥٥	٦٩	١٨,٤٥٠	١٩٨
النيحر	١٧,٠٩٦	٩٣	٣٤,٥٧٦	٢٩١

تابع جدول رقم (١٢)

الإقليم/ الدولة	عام ٢٠١٥م		عام ٢٠٥٠م	
	العدد (مليون نسمة) (أ)	الزيادة (٪) عن عام ١٩٩٤م (ب)	العدد (مليون نسمة) (أ)	الزيادة (٪) عن عام ١٩٩٤م (ب)
مالي	١٩,١٧٩	٨٣	٣٦,٨١٧	٢٥٢
موريتانيا	٢,٦٦٣	٦٥	٦,٠٧٧	١٧٤
غربي أفريقيا «أ»	٣٦,٠٧١	٧١	٦٣,٦٦٧	٢٠١
السنغال	١٣,٧٥٩	٧٠	٢٣,٤٤٢	١٨٩
غامبيا	١,٧٧٢	٦٤	٢,٧٦٢	١٥٦
غينيابيساو	١,٦٣٤	٥٦	٢,٧٦٦	١٦٣
سيراليون	٧,١٠٨	٦١	١٢,٠٩٠	١٧٥
غينيا	١١,٧٩٨	٨١	٢٢,٦٠٧	٢٤٨
غربي أفريقيا «ب»	٢٤٢,١٨٠	٧٦	٤٣٧,٥٩٩	٢١٧
بنين	٩,١٥٢	٨١	١٨,٦٤٩	٢٥٥
نيجيريا	١٩٠,٩٢٢	٧٦	٣٣٨,٥١٠	٢١٢
الكمرون	٢٢,٩٨٩	٧٩	٤٣,١٠٠	٢٣٥
بوركينا فاسو	١٦,٩٥٨	٦٩	٣٣,٣٦٥	٢٣٢
الجابون	٢,١٥٩	٦٨	٣,٩٧٥	٢١٠
العالم الإسلامي	١,٨٤١,١٢٨	٥٨	٢,٩١٣,٠١٨	١٥١
العالم	٧,٤٦٨,٨٩٦	٣٣	٩,٨٣٣,١٦٧	٧٥
المناطق الأكثر تقدما	١,٢٢٣,٧٣٣	٥٠	١,٢٠٧,٥٠٤	٤
المناطق الأقل تقدماً	٦,٢٤٥,١٦٣	٤٠	٨,٦٢٥,٦٦٣	٩٣
نسبة العالم الإسلامي من العالم	٪٢٤,٦٥		٪ ٢٩,٦٢	

١ - الجدول من إعداد الباحث بناء على:-

أ - U. N., (1994), WORLD POPULATION.

ب ـ من حساب الباحث.

(٦٥, ٢٤٪)، بزيادة ٣٪ عن نسبتهم عام ١٩٩٤م. وتختلف الأقاليم والدول الإسلامية في زيادة عدد سكانها على النحو التالي:-

١- الأقاليم التي سيزداد سكانها بنسبة كبيرة جدا (أكثر من ضعفي زيادة العالم).. وتضم سبعة أقاليم هي: شبه الجزيرة العربية "ب" (+٨٥٪)، الصحراء الكبرى (+٨٢٪)، غربي أفريقيا "ب" (٦ ٧٦٪)، شرقي أفريقيا (+٧٥٪)، الهلال الخصيب وغربي أفريقيا "أ" (+٧١٪). وإلى هذا النمط تنتمي ٢٧دولة هي: عُمان (+١١٦٪)، جزر القمر (+١٠٠٪)، أفغانستان (+٩٩٪)، النيجر (+٩٣٪)، السعودية (+٦, ٩٠٪)، سوريا واليمن (+٩٠٪)، الأردن (+ ٨٧٪)، المالديف (+٨٥٪)، الصومال، مالي وأثيوبيا (+٨٣٪)، بنين وغينيا (+٨١٪)، أوغندا (+٨٠٪)، الكمرون (+٧٩٪)، نيجيريا- العراق (+٧٦٪)، باكستان- تنزانيا (+٧٣٪)، السودان (+٧١٪)، السنغال (+٧٠٪)، تشاد وبوركينا فاسو (+٦٩٪)، أريتريا والجابون (+٦٨٪)

٢- الأقاليم التي سيزداد سكانها بنسبة كبيرة (من ضعف إلى أقل من ضعفي زيادة العالم).. وتضم أربعة أقاليم هي: حوض النيل (+٦٥٪)، شبه القارة الهندية (+٦٢٪)، غربي آسيا (+٥٥٪)، شمالي أفريقيا (+٤٨٪). وإلى هذا النمط تنتمي عشر دول هي: موريتانيا (+٦٥٪) غامبيا (+٦٤٪) سير اليون وإيران (+ ٦١٪)، جيبوتي (+٥٧٪)، غينيا بيسا و(+٥٦٪)، الكويت (+٥٢٪)، البحرين (+٤٩٪)، بنجلاديش (+٤٨٪)، الجزائر (+٤٧٪)، الإمارات (+ ٤٤٪)، ماليزيا (+٤٢٪)، مصر (+٤١٪)، قطر (+٣٨٪)، المغرب (+ ٣٧٪)، تونس، لبنان وبروناي (+٣٦٪)، تركيا (+٣٠٪).

٣- الأقاليم التي سيزداد سكانها بنسبة متوسطة (أقل من زيادة سكان العالم).. وتضم إقليم جنوب شرقي آسيا (+٣١٪). وتنتمي إلى هذا النمط دولتان هما: فلسطين (+٣١٪)، وأندونيسيا (+٣٠٪).

ب- تقدير عدد السكان عام ٢٠٥٠م:

يقــدر أن يبلغ عــدد سكان الـعــالـم الإسـلامي عــام ٢٠٥٠م حـــوالي ٢,٩١٣,٠١٨,٠٠٠ نسمــة بزيادة ١٥١٪ عن عــام ١٩٩٤، مقــابل زيادة ٧٥٪ للعالم و ٤٪ فقط للمناطق الأكثر تقدما و ٩٣٪ للمناطق الأقل تقدما. وسيشكل هذا العدد حوالي ٢٩,٦٢٪من جملة عدد سكان الـعالم حينذاك، بزيادة ٨٪ عن نسبتهم عام ١٩٩٤م.

أما الأقاليم والدول الإسلامية فستتباين زيادة سكانها على النحو التالي:-

١- الأقاليم والدول التي سـيزيد سكانها كثـيرا جدا (أكثر من ثـلاثة أضعاف زيادة العــالم)، وتضم ثلاثة أقاليم هي: شـبه الجـزيرة العربـية "ب" (+٢٥٢٪)، الصحراء الكبرى (+٢٤٦٪)، شبه الجزيرة العربية "أ" (+٢٢٨٪). وإلى هذا النمط تنتمي ١٦ دولة هي: عُمان (+٣٨٢٪)، جزر القمر (+٢٩٤٪)، النيجر (+٢٩١٪)، ليبيا (+٢٦٦٪)، أثيوبيا (+٢٦٣٪)، بنين و اليمن (+٢٥٥٪)، الصـومال (+٢٥٣٪)، مالي (+٢٥٢٪)، أوغندا (+٢٥٠٪)، السعـودية (+٢٤١٪)، بوركينا فاسو (+٢٣٢٪)،سوريا (+٢٣٣ ٪)، الأردن (+٢٢٥٪).

٢- الأقاليم والدول التي سـيزيد سكانها كـثيرا (بين ٢-٣ أضعـاف زيادة العالم)، وتضم أقاليم هي: شرقي أفريقيا (+٢٢١٪)، غربي أفريقيا "ب" (+٢١٧٪)، (+٢١٧٪)، غربي أفريـقيا "أ" (+٢٠١٪) حوض النيل (+١٨٧٪) والهلال الخصيب (+١٨١٪).

وإلى هذا النمط تنتمي ١٥ دولة هي أفغانستان و المالديف (+٢١٥٪)، تنزانيا (+٢١٦٪)، نيجيريا (+٢١٢٪)، الجابون (+٢١٠٪)، تشاد (+١٩٨٪)، العراق (+١٩٠٪)، السنغال (+١٨٩٪)، باكستان (+١٨٧٪)، أريتريا (+١٨٠٪)،سير اليون (+١٧٥٪)،موريتانيا (+١٧٤٪)، غينيا بيساو (+١٦٣٪) وغامبيا (+١٥٦٪).

٣- الأقاليم والدول التي سيزيد سكانها بدرجة متوسطة (١-٢ ضعف زيادة سكان العالم).. وتضم ثلاثة أقاليم هي: شبه القارة الهندية (+١٤٤٪)، غربي آسيا (+١٢٧٪)، شمالي أفريقا (+١٠٤٪). وإلى هذا النمط تنتمي ١٤ دولة هي: إيران - جيبوتي (+١٤٨٪)، الكويت (+١٠٧٪)، الجزائر (+١٠٤٪)، بنجلاديش (+١٠٢٪)، ماليزيا (+٩٣٪)، البحرين (+٩١٪)، مصر (+٩٠٪)، الإمارات (+٨٤٪)، المغرب (+٨١٪)، لبنان (+٧٨٪)، تونس (+٧٩٪)، بروناوي (+٧٦٪) وتركيا (+٧٥٪).

٤- الأقاليم التي سيزداد سكانها بدرجة منخفضة (أقل من نسبة زيادة العالم)، وتضم إقليم جنوب شرقي آسيا (+٦٧٪). وإلى هذا النمط تنتمي ثلاث دول هي: قطر (+٦٥٪)، فلسطين وأندونيسيا (+٦٤٪).

وبذلك يتضح أن جل أقاليم ودول العالم الإسلامي سيزيد عدد سكانها خلال نصف القرن الميلادي القادم بمعدلات أعلى بكثير من معدلات زيادة سكان العالم، بسبب الزيادة الطبيعية المرتفعة والهجرة الوافدة الكبيرة.

توزيع السكان وكثافتهم

أولاً : التوزيع العام:-

بلغ عدد سكان العالم الإسلامي ١,١٦١,٢٢٨,٠٠٠ نسمة عام ١٩٩٤م وكانوا حينئذ يشكلون ٢٠,٦٣٪ من جملة سكان العالم. ويتوزع هذا العدد على أرجاء العالم الإسلامي على النحو التالي:-

أ- التوزيع على شطري العالم الإسلامي:

يضم الشطر الآسيوي ٧٠١,٠٩١,٠٠٠ نسمة يشكلون ٦٠,٣٧٪ من جملة السكان بينما لايزيد سكان الشطر الأفريقي عن ٤٦٠,١٣٧,٠٠٠ نسمة يمثلون ٣٩,٦٣٪ من جملتهم بالعالم الإسلامي. ويتفق هذا التوزيع منطقيا مع تاريخ انتشار الإسلام منذ بداية الرسالة حتى الآن كانت آسيا- ولاتزال - بيت الإسلام وقلبه الحقيقي والتي انتشر منها إلى بقية أجزاء العالم.

ب- التوزيع حسب الأقاليم:

يتباين عدد السكان من إقليم لآخر على النحو التالي (شكل رقم ٨):-

١- الأقاليم كثيرة السكان (+١٠٠مليون نسمة).. وتضم خمسة آقاليم هي: شبه القارة الهندية (وبها ٢٥٤,٦٧٨,٠٠٠ نسمة بنسبة ٢١,٩٢٪ من جملة سكان العالم الإسلامي)، إقليم جنوب شرقي آسيا (٢١٤,٥٩٠,٠٠٠ نسمة بنسبة ١٨,٤٨٪)، وإقليم حوض النيل (١٦٣,٠٥٣,٠٠٠ نسمة بنسبة ١٤,٠٤١٪) وغربي آسيا (١٤٥,٤٠٨,٠٠٠ نسمة وبنسبة ١٢,٥٢٢٪)، وغربي أفريقيا "ب" (١٣٧,٩١٣,٠٠٠ نسمة بنسبة ١١,٨٧٦٪) وتعد هذه الأقاليم الخمسة مراكز الثقل السكاني الرئيسة في العالم الإسلامي إذا يوجد بها ٩١٥,٦٤٢,٠٠٠ نسمة تمثل حوالي أربعة أخماس السكان (٧٨,٨٥٪).

٢- الأقاليم متوسطة السكان (٤٠- ٧٠ مليـون نسمة).. وتضم ثلاثة أقاليم هي: شمالي أفريقيا (٦٧,٧٧١,٠٠٠ نسمة بنسبة ٥,٨٣٦٪)، والهلال الخصيب (٤٨,٤٣١,٠٠٠ نسمة بنسبة ٤,١٧١٪)، وشرقي أفريقيا (٤٢,٥٥٦,٠٠٠ نسمة بـنسبة ٣,٦٦٥٪). وتضم هذه الأقاليم الثلاث معا ١٥٨,٧٥٨,٠٠٠ نسمة أو ما يعادل ١٣,٦٧٢٪ من جملة سكان العالم الإسلامي.

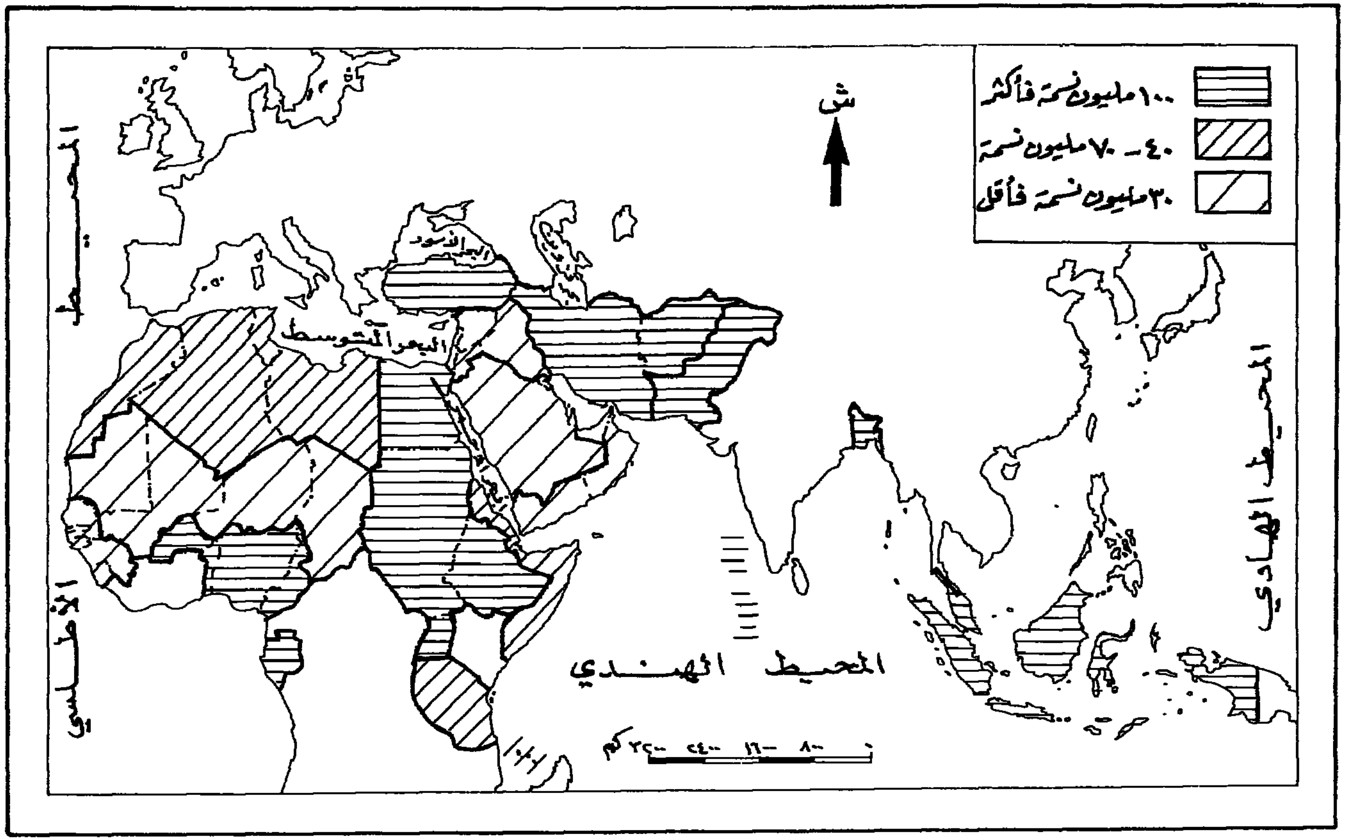
وتضم الأقاليم الثمانية السابقة ١٠٧٤,٤٠٠,٠٠٠ نسمة أو أكثر من تسعة أعشار سكان العالم الإسلامي (٩٢,٥٢٢٪).

٣- الأقاليم صغيرة السكان أقل من ٣٠ مليـون نسمة).. وتضم أربعة أقاليم هي: الصحراء الكبرى (٢٧,٧٠٨,٠٠٠ نسمة بنسبة ٢,٣٨٦٪)، وغربي أفريقيا "أ" (٢١,١٣٦,٠٠٠ نسـمة ونسـبة ١,٨٢٪)، شبـه الجزيرة العـربية "أ" (٢٠,١٧٣,٠٠٠ نسـمة بنسـبة ١,٧٣٧٪)، وشـبه الجـزيرة العربيـة "ب" (١٧,٨١١,٠٠٠ نسـمة بـنسبـة ١,٥٣٤٪). وتبلغ جـملة الأقـاليم الأربع ٨٦,٨٢٨,٠٠٠ نسمة لاتزيد نسـبتهم عن ٧,٤٧٧٪ من جملة سكان العالم الإسلامي.

جـ- التوزيع حسب الدول:

يتباين توزيع السكان حسب الدول على النحو التالي (جدول رقم ١٣):-

١- الدول الضـخـمة السكان (+١٠٠ مليـون نسـمـة).. وتضم أربع دول هي: أندونيسيا (١٩٥,٦١٥,٠٠٠ نسمة بنسبة ١٦,٧٥٩٪ من جملة سكان العالم الإسـلامي)، وتعـد رابعـة دول العـالم سـكانا بنسـبـة٣,٥٪، باكـسـتـان (١٣٦,٦٤٥,٠٠٠ نسمة بنسبة ١١,٧٦٧٪)، وهي سابع دول العالم سكانا بنسبة ٢,٤٪، ثم بنجلاديش (١١٧,٧٨٧,٠٠٠ نسمة بـنسبة ١٠,١٤٣٪) وهي تاسع دول العالم سكانا بنسـبة ٢,١٪، ثم نيجريا (١٠٨,٤٦٧,٠٠٠ نسمة بنسبة ٩,٣٤١٪)، وهي عاشر دول العالم سكانا بنسبة ١,٩٪.



شكل (٨) توزيع السكان حسب أقاليم العالم الإسلامي (١٩٩٤م)

وتمثل هذه الدول الأربع مراكز الثقل السكاني الرئيسة في العالم الإسلامي إذ تضم معا ٥٥٧,٥١٤,٠٠٠ نسمة تشكل ٤٨,٠١٪ من جملة سكانها، ونحو عُشر إجمالي سكان العالم (٩,٩٪) عام ١٩٩٤م.

٢- الدول كبيرة السكان (٥٠- أقل من ١٠٠ مليون نسمة) وتضم أربع دول هي إيران (٦٥,٧٥٨,٠٠٠ نسمة بنسبة ٥,٦٦٣٪)، ومصر (٦١,٦٣٦,٠٠٠ نسمة بنسبة ٥,٣٠٨٪)، وتركيا (٦٠,٧٧١,٠٠٠ نسمة ونسبة ٥,٢٣٣٪)، ثم أثيوبيا (٥٣,٤٣٥,٠٠٠ نسمة ونسبة ٤,٦٠٢٪) وتضم هذه الدول الأربع معا ٢٤١,٦٠٠,٠٠٠ نسمة يمثلون ٢٠,٨٠٦٪ من جملة سكان العالم الإسلامي.

وبإضافة عدد سكان هذه الدول إلى الدول الضخمة السكان نجد ثمان دول فقط تضم ٧٩٩,١١٤,٠٠٠ نسمة أو أكثر من ثلثي إجمالي السكان في العالم الإسلامي (٦٨,٨١٦٪)، مما يوضح مدى الثقل السكاني لهذه المجموعة من الدول.

٣- الدول متوسطة السكان (٢٥- أقل من ٥٠ مليون نسمة) .. وتضم أربع دول هي: السودان (٢٧,٣٦١,٠٠٠ نسمة بنسبة ٢,٣٥٦٪)، الجزائر (٢٧,٣٢٥,٠٠٠ نسمة ونسبة ٢,٣٥٣٪)، المغرب (٢٦,٤٨٨,٠٠٠ نسمة ونسبة ٢,٢٨١٪)، تنزانيا (٢٨,٨٤٦,٠٠٠ نسمة ونسبة ٢,٤٨٤٪). وتضم هذه الدول معا ١١٠,٠٢٠,٠٠٠ نسمة يمثلون ٩,٤٧٤٪ من جملة عدد سكان العالم الإسلامي.

٤- الدول صغيرة السكان (١٠- أقل من ٢٠ مليون نسمة) .. وتضم عشر دول هي: أوغندا (٢٠,٦٢١ نسمة ونسبة ١,٧٧٦٪)، العراق (١٩,٩٢٥,٠٠٠ نسمة ونسبة ١,٧١٦٪) ماليزيا (١٨,٨٧٩,٠٠٠ نسمة ونسبة ١,٦٢٦٪)،

جدول رقم (١٣) تصنيف دول العالم الإسلامي حسب عدد ونسبة السكان (عام ١٩٩٤م)

الدولة	عدد السكان (بالألف) (أ)	النسبة% (من العالم الإسلامي) (ب)	الترتيب (ب)
الدول ضخمة السكان (+ ١٠ مليون)			
أندونيسيا	١٩٤,٦١٥	١٦,٧٥٩	١
باكستان	١٣٦,٦٤٥	١٤,٧٦٧	٢
بنجلاديش	١١٧,٧٨٧	١٠,١٤٣	٣
نيجيريا	١٠٨,٤٦٧	٩,٣٤١	٤
الجمله	٥٥٧,٥١٤	٤٨,٠٠١	
الدول كبيرة السكان (٥٠ ـ أقل من ١٠٠ مليون)			
إيران	٦٥,٧٥٨	٥,٦٦٣	٥
مصر	٦١,٦٣٦	٥,٣٠٨	٦
تركيا	٦٠,٧٧١	٥,٢٣٣	٧
أثيوبيا	٥٣,٤٣٥	٤,٦٠٢	٨
الجملة	٢٤١,٦٠٠	٢٠,٨٠٢	
الدول متوسطة السكان (٢٥ ـ أقل من ٥٠ مليون)			
تنزانيا	٢٨,٨٤٦	٢,٤٨٤	٩
السودان	٢٧,٣٦١	٢,٣٥٦	١٠
الجزائر	٢٧,٣٣٥	٢,٣٥٣	١١
المغرب	٢٦,٤٨٨	٢,٢٨١	١٢
الجملة	١١٠,٠٢٠	٩,٤٧٤	
الدول صغيرة السكان (١٠ ـ أقل من ٢٥ مليون)			
أوغندا	٢٠,٦٢١	١,٧٧٦	١٣
العراق	١٩,٩٢٥	١,٧١٦	١٤
ماليزيا	١٩,٦٩٥	١,٦٩٦	١٥
أفغانستان	١٨,٨٧٩	١,٦٢٦	١٦
السعودية	١٧,٤٥١	١,٥٠٣	١٧
سوريا	١٤,١٧١	١,٢٢٠	١٨
اليمن	١٣,٨٧٣	١,١٩٥	١٩
الكمرون	١٢,٨٧١	١,١٠٨	٢٠
مالي	١٠,٤٦٢	٠,٩٠٥	٢١
بوركينا فاسو	١٠,٠٤٦	٠,٨٦٥	٢٢
الجملة	١٥٧,٩٩٤	١٣,٦٠٦	

الدولة	عدد السكان (بالألف) (أ)	النسبة% (من العالم الإسلامي) (ب)	الترتيب (ب)
الدول ضئيلة السكان (١ ـ أقل من ١٠ مليون)			
الصومال	٩,٠٧٧	٠,٧٨٢	٢٣
النيجر	٨,٨٤٦	٠,٧٦٢	٢٤
تونس	٨,٧٣٣	٠,٧٥٢	٢٥
السنغال	٨,١٠٢	٠,٦٩٨	٢٦
غينيا	٦,٥٠١	٠,٥٦٠	٢٧
فلسطين	٦,٢٢٢	٠,٥٣٦	٢٨
تشاد	٦,١٨٣	٠,٥٣٢	٢٩
بنين	٥,٢٤٦	٠,٤٥٢	٣٠
ليبيا	٥,٢٢٥	٠,٤٥٠	٣١
الأردن	٥,١٩٨	٠,٤٤٨	٣٢
سيراليون	٤,٤٠٢	٠,٣٧٩	٣٣
اريتريا	٣,٤٣٧	٠,٢٩٦	٣٤
لبنان	٢,٩١٥	٠,٢٥١	٣٥
موريتانيا	٢,٢١٧	٠,١٩١	٣٦
عُمان	٢,٠٧٧	٠,١٧٩	٣٧
الامارات	١,٨٦١	٠,١٦٠	٣٨
الكويت	١,٦٣٣	٠,١٤١	٣٩
الجابون	١,٢٨٣	٠,١١٠	٤٠
غامبيا	١,٠٨١	٠,٠٩٣	٤١
غينيا بيساو	١,٠٥٠	٠,٠٩٠	٤٢
الجمله	٩١,٢٨٩	٧,٨٦٢	
الدول القزميه (أقل من ١ مليون)			
جزر القمر	٦٣٠	٠,٠٥٤	٤٣
جيبوتي	٥٦٦	٠,٤٩	٤٤
البحرين	٥٤٩	٠,٠٤٧	٤٥
قطر	٥٤٠	٠,٠٤٧	٤٦
بروناي	٢٨٠	٠,٠٢٤	٤٧
المالديف	٢٤٦	٠,٠٢١	٤٨
الجملة	٢,٨١١	٠,٢٤٢	

١ ـ الجدول من إعداد الباحث بناء على ـ U.N., (1994), WORLD POPULATIO

السعودية (١٧,٤٥١,٠٠٠ نسمة ونسبة ١,٥٠٣٪)، وسوريا (١٤,١٧١ نسمة ونسبة ١,٢٢٪)، واليمن (١٣,٨٧٣,٠٠٠ نسمة ونسبة ١,١٩٥٪)، والكمرون (١٢,٨٧١,٠٠٠ نسمة ونسبة ١,١٠٨٪)، ومالي (١٠,٤٦٢,٠٠٠ نسمة ونسبة ٠,٩٠١٪)، وبوركينا فاسو (١٠,٠٤٦,٠٠٠ نسمة ونسبة ٠,٨٦٥٪). وتضم هذه الدول العشر معا ١٥٧,٩٩٤,٠٠٠ نسمة يمثلون ١٣,٦٠٦٪ من جملة سكان العالم الإسلامي.

٥- الدول ضئيلة السكان (١- أقل من ١٠ مليون نسمة) . . وتضم ٢٠ دولة هي: الصومال (٩,٠٧٧,٠٠٠ نسمة ونسبة ٠,٧٨٢٪)، والنيجر (٨,٨٤٦,٠٠٠ نسمة ونسبة ٠,٧٦٢٪) وتونس (٨,٧٣٣,٠٠٠ نسمة ونسبة ٠,٧٥٢٪)، والسنغال (٨,١٠٢,٠٠٠ نسمة ونسبة ٠,٦٩٨٪)، وغينيا (٦,٥٠١,٠٠٠ نسمة ونسبة ٠,٥٦٪)، وفلسطين (٦,٢٢٢,٠٠٠ نسمة ونسبة ٠,٥٣٦٪)، وتشاد (٦,١٨٣,٠٠٠ نسمة ونسبة ٠,٥٣٢٪)، وبنين (٥,٢٤٦ نسمة ونسبة ٠,٤٥٢٪) وليبيا (٥,٢٢٥,٠٠٠ نسمة ونسبة ٠,٤٥٪)، والأردن (٥,١٩٨,٠٠٠ نسمة ونسبة ٠,٤٤٨٪)، وسير اليون (٤,٤٠٢,٠٠٠ نسمة ونسبة ٠,٣٧٩٪)، وأريتريا (٣,٤٣٧,٠٠٠ نسمة ونسبة ٠,٢٩٦٪)، ولبنان (٢,٩١٥,٠٠٠ نسمة ونسبة ٠,٢٥١٪)، وموريتانيا (٢,٢١٧,٠٠٠ نسمة ونسبة ٠,١٩١٪)، وعُمان (٢,٠٧٧,٠٠٠ نسمة ونسبة ٠,١٧٩٪)، والإمارات (١,٨٦١,٠٠٠ نسمة ونسبة ٠,١٦٪)، والكويت (١,٦٣٣,٠٠٠ نسمة ونسبة ٠,١٤١٪)، والجابون (١,٢٨٣,٠٠٠ نسمة ونسبة ٠,١١٪)، وغامبيا (١,١٠٨,٠٠٠ نسمة ونسبة ٠,٠٩٣٪)، وغينيا بيساو (١,٠٥٠,٠٠٠ نسمة ونسبة ٠,٠٩٪).

وتضم هذه الدول معا ٩١,٢٨٩,٠٠٠ نسمة يمثلون ٧,٨٦٢٪ من جملة سكان العالم الإسلامي.

٦- الدول القزمية السكان (أقل من مليون نسمة) .. وتضم ست دول هي: جزر القمر (٦٣٠,٠٠٠ نسمة ونسبة ٠,٠٥٤٪)، جيبوتي (٥٦٦,٠٠٠ نسمة ونسبة ٠,٠٤٩٪)، البحرين (٥٤٩,٠٠٠ نسمة ونسبة ٠,٠٤٧٪)، وقطر (٥٤٠,٠٠٠ نسمة ونسبة ٠,٠٤٧٪)، بروناي (٢٨٠,٠٠٠ نسمة ونسبة ٠,٠٢٤٪)، ثم المالديف (٢٤٦,٠٠٠ نسمة ونسبة ٠,٠٢١٪).

وتضم هذه الدول معا ٢,٨١١,٠٠٠ نسمة يمثلون ٠,٢٤٢٪ فقط من جملة سكان العالم الإسلامي.

ثانياً: الكثافة العامة:

تعبر كثافة السكان عن العلاقة بين الأرض والسكان. ويتميز العالم الإسلامي بارتفاع كثافته السكانية عن العالم حيث بلغت ٥٤ نسمة في الكيلومتر المربع عام ١٩٩٤م مقابل ٤٣ نسمة في الكيلو متر المربع للعالم. ويتصف العالم الإسلامي كذلك بعدم التوازن الإقليمي في الكثافة السكانية، حيث تبلغ كثافة الشطر الآسيوي ٨٠ نسمة في الكيلو متر المربع مقابل ٢٨,٥ نسمة في الكيلو متر المربع للشطر الأفريقي، كما يظهر عدم التوازن الإقليمي بين الأقاليم الإسلامية على النحو التالي الذي يبينه الجدول رقم (١٤) والشكل رقم ٩):-

١- الأقاليم ذات الكثافة المرتفعة جدا (+١٠٠ نسمة في الكيلو متر المربع).. وتضم إقليمًا واحدًا هو شبه القارة الهندية (٢٥٠ نسمة في الكيلو متر المربع).

٢- الأقاليم ذات الكثافة المرتفعة (٥٠- أقل من ١٠٠ نسمة في الكيلو متر المربع).. وتضم أربعة أقاليم هي: جنوب شرقي آسيا (٩٢ نسمة) شرقي أفريقيا (٨٥ نسمة) الهلال الخصيب (٦٢,٥ نسمة)، حوض النيل (٥٢ نسمة)

في الكيلو متر المربع).

٣- الأقاليم ذات الكثافة المتوسطة (٢٥- أقل من ٥٠ نسمة في الكـيلو متر المربع) خمسة أقاليم هي: غـربي آسيا (٤٦ نسمة) شمالي أفريقـيا (٤٠نسمة)، غربي أفريقيا "أ" (٣٣ نسمة) غربي أفريقيا "ب" (٣٠ نسمة) الصحراء الكبرى (٢٥ نسمة في الكيلو متر المربع).

٤- الأقاليم ذات الكثافة المنخفضة (أقل من ٢٤ نسمة في الكيلو المتر المربع).. وتضم إقليمين هما: شبه الجزيرة العربية "أ" (١٧,٤ نسمة) شبه الجزيرة العربية "ب" (٩,٣ نسمة).

ويظهر عدم التساوي والتوازن الإقليمي في كثافة السكان بين الدول الإسلامية على النحو التالي:-

١- النمط المكتظ السكان (أكثر من ٨٠٠ نسمة في الكيلو متر المربع)، ويضم ثلاث دول هي: المالديف (٨٢٧ نسمة)، البحـرين (٨١٠ نسمة)، بنجلاديش (٨١٨ نسمة) في الكيلو متر المربع) وكلها ذات مساحات صغيرة.

٢- النمط المرتفع الكثافة جدا (اكثر من ١٠٠ نسمة في الكيلو متر المربع)، ويضم ست دول هي:

جزر القمر (٢٨٢ نسمة) لبنان (٢٨٠ نسمة) فلسطين (٢٥٩ نسمة)، باكستان (١٧٢نسمة) نيجيريا (١١٧ نسمة)، أندونيسيا (١٠٢ نسمة) في الكيلومتر المربع).

٣- النمط المرتفع الكثافة (٥٠ - ٩٩ نسمة في الكيلو متر المربع)، ويضم إحدى عشرة دولة هي: غامبيا (٩٦ نسمة)، الكويت (٩٢ نسمة)، أو غندا (٨٧ نسمة) تركيا (٧٨ نسمة) سوريا (٧٧ نسمة)، مصر (٦٢ نسمة) سير اليون (٦١نسمة) ماليزيا وتركيا (٦٠ نسمة)، المغرب (٥٩ نسمة) تونس والأردن (٥٣ نسمة) في الكيلو متر المربع.

جدول رقم (١٤) تطور كثافة السكان فى العالم الإسلامى [(١)]

الإقليم/ الدولة	الكثافة (نسمة/ الكم٢)			الإقليم/ الدولة	الكثافة (نسمة/ الكم٢)		
	١٩٧٩م (أ)	١٩٩٤م (أ)	التغير٪ (جـ)		١٩٧٩م	١٩٩٤م	التغير٪
شبه الجزيرة العربية «أ»	٤,٥	٩,٣	+ ١٠٧	جنوب شرقي آسيا	٦٩	٩٢	+ ٣٣
السعودية	٤,٠	٨,٠	+ ١٠٠	ماليزيا	٤٠	٦٠	+ ٥٠
الكويت	٧٢	٩٢	+ ٢٨	بروناي	٣٦,٥	٤٩	+ ٣٤
قطر	١٨	٤٩	+ ١٧٢	إندونيسيا	٧٤	١٠٢	+ ٣٨
البحرين	٤٨٢	٨١٠	+ ٦٨	حوض النيل	٢١	٣٢	+ ٣٢
شبه الجزيرة العربية «ب»	١١	١٧,٤	+ ٥٨	السودان	٧	١١	+ ٥٣
الإمارات	١١,٥	٢٢	+ ٩١	أثيوبيا	٢٦	٤٨	+ ٨٥
عمان	٤	١٠	+ ١٥٠	أوغندا	٥٤	٨٧	+ ٣٨
اليمن	١٨	٢٦	+ ٤٤	مصر	٤٠,٥	٦٢	+ ٥٣
الهلال الخصيب	٤٣	٦٢,٥	+ ٤٥	شمالي أفريقيا	١٠	١٤	+ ٤٠
العراق	٢٩,٥	٤٥	+ ٥٣	ليبيا	١,٥	٣	+ ١٠٠
فلسطين	١٨١	٢٥٩	+ ٤٣	تونس	٣٩	٥٣	+ ٣٦
لبنان	٢٩٨	٢٨٠	- ٦	الجزائر	٨	١١	+ ٣٨
سوريا	٤٥,٥	٧٧	+ ٦٩	المغرب	٣٢	٥٩	+ ٨٤
الأردن	٣٠,٥	٥٣	+ ٧٤	شرقي أفريقيا	١٣	٢٤	+ ٨٥
غربي آسيا	٣٢	٤٦	+ ٤٤	جيبوتي	٤٥,٥	٢٤	- ٤٧
تركيا	٥٧	٧٨	- ٣٧	الصومال	٥,٥	١٤	+ ١٥٥
إيران	٢٢	٤٠	+ ٨٢	تنزانيا	١٨	٣١	+ ٧٢
أفغانستان	٢٨	٢٩	+ ٤	جزر القمر	٢٢٢	٢٨٢	+ ٢٧
شبه القارة الهنديه	١٧٦	٢٥٠	+ ٤٢	أريتريا	٢٦	٢٩	+ ١٢
باكستان	٩٩,٥	١٧٢	+ ٧٣	الصحراء الكبري	٤	٥	+ ٢٥
بنجلاديش	٦١٠,٥	٨١٨	+ ٣٤	تشاد	٣,٥	٥	+ ٤٣
المالديف	٣٣٦	٨٢٧	+ ١٤٦	النيجر	٤	٧	+ ٧٥

تابع جدول رقم (١٤)

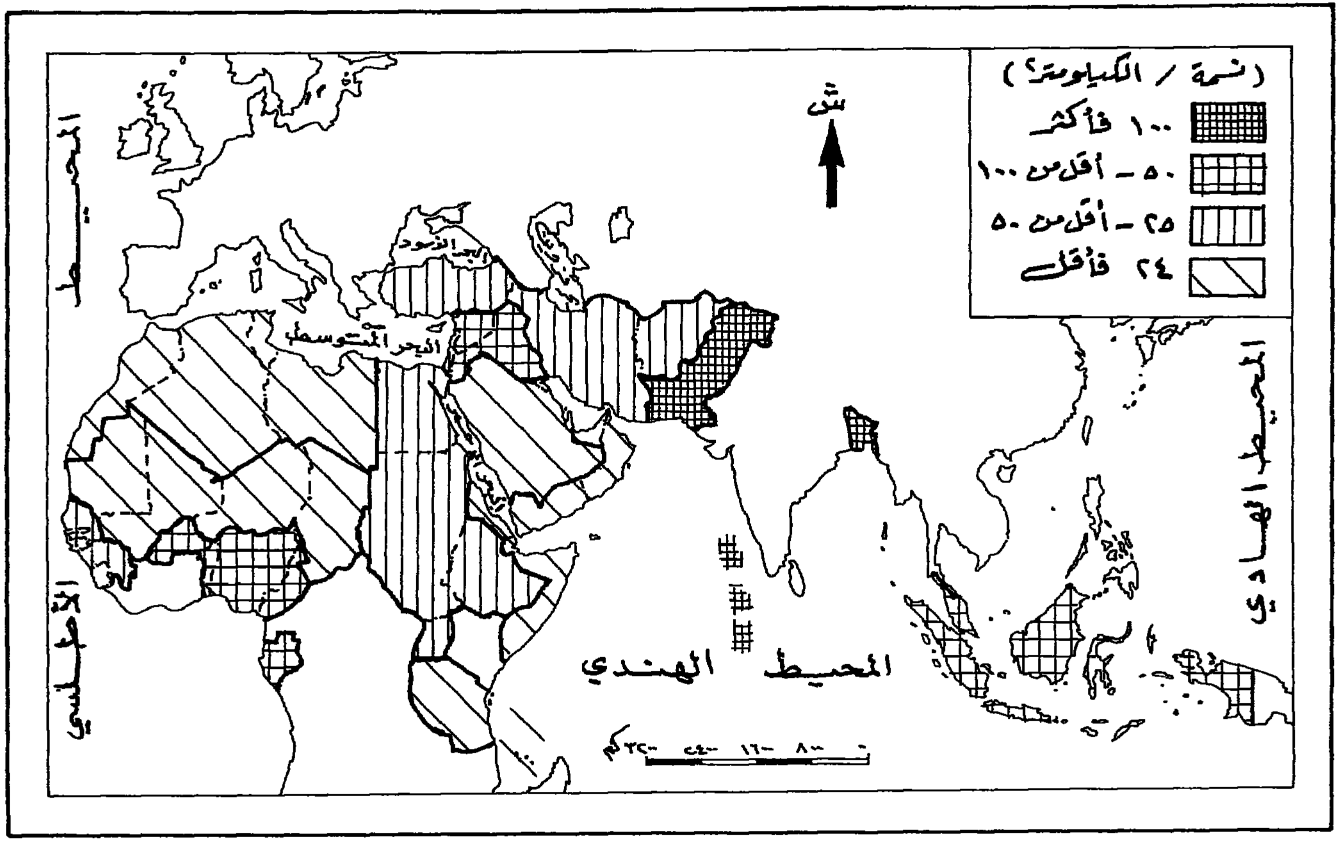
الإقليم/ الدولة	الكثافة (نسمة/ الكم٢) ١٩٧٩م (أ)	١٩٩٤م (أ)	التغير٪ (جـ)	الإقليم/ الدولة	الكثافة (نسمة/ الكم٢) ١٩٧٩م	١٩٩٤م	التغير٪
مالي	٥,٥	٨	+ ٤٥	عربي أمريقيا «ب»	٤٦	٦٠	+ ٣٠
موريتانيا	١,٥	٢	+ ٣٣	بنين	٣٠	٤٧	+ ٥٧
عربي أمريقيا «أ»	٢٧	٣٦	+ ٣٣	نيجيريا	٨٠	١١٧	+ ٤٦
السنغال	٢٨	٤١	+ ٤٦	الكمرون	١٧,٥	٢٧	+ ٥٤
غامبيا	٥٠	٩٦	+ ٩٢	بوركينا فاسو	٢٤	٣٧	+ ٥٤
غينيابيساو	١٧	٢٩	+ ٤٤	الجابون	٢	٥	+ ١٥٠
سيراليون	٥١,٥	٦١	+ ٢٠	العالم الإسلامي	٤٠	٥٤	+ ٣٥
غينيا	٢٠	٢٦	+ ٣٠	العالم	٣٣	٤٣	+ ٣٠

١ - الجدول من إعداد الباحث بناء على:-

أ - THE POPULATION REFERANCE BUREAU, (1979)

ب - U. N., (1994), WORLD POPULATION.

جـ - من حساب الباحث.



شكل (٩) أنماط الكثافة السكانية في أقاليم العالم الإسلامي (١٩٩٤م)

٤- النمط المتوسط الكثافة (٢٥- ٤٩ نسمة في الكيلو متر المربع)، ويضم ٢٥ دولة هي: قطر وبروناي (٤٩ نسمة) أثيوبيا (٤٨ نسمة) بنين (٤٧ نسمة)، العراق (٤٥ نسمة) السنغال (٤١نسمة)، إيران (٤٠ نسمة)، بوركينا فاسو (٣٧ نسمة)، غينيا بيساو، أفغانستان و أريتريا (٢٩ نسمة) الكمرون (٢٧ نسمة) اليمن وغينيا (٢٦ نسمة) في الكيلو متر المربع).

٥- النمط المنخفض الكثافة (١٠- ٢٤ نسمة في الكيلو متر المربع)، ويضم ست دول هي: جيبوتي (٢٤ نسمة)، الإمارات (٢٢ نسمة) الصومال (١٤ نسمة)، السودانو الجزائر (١١نسمة) عُمان (١٠ نسمات) في الكيلو متر المربع).

٦- النمط ذو الكثافة المنخفضة جدا (أقل من ١٠ نسمات في الكيلو متر المربع)، ويضم سبع دول هي: السعودية و مالي (٨ نسمات)، تشاد والجابون (٥ نسمات)، ليبيا (٣ نسمات)، موريتانيا (نسمتان) في الكيلو متر المربع.

وبسبب ثبات المساحة وتغير السكان من سنة لأخرى فإن الأتجاه العام للكثافة هو نحو التزايد المستمر. فبين عامي ١٩٧٩م و١٩٩٤م زادت كثافة العالم الإسلامي بنسبة ٣٥٪ (من ٤٠-٥٤ نسمة في الكيلو متر المربع)، كما زادت كثافة الأقاليم الإسلامية بين ٢٥- ٥٠٪، وزادت كثافة الدول بين ٤٪ كما في أفغانستان و ١٧٢٪ كما في قطر،عدا جيبوتي ولبنان واللتان انخفضت كثافتهما بنسبة ٤٧٪ و٦٪ على التوالي.

ثالثاً: العوامل المؤثرة في توزيع وكثافة السكان:

يتأثر توزيع السكان وكثافتهم في العالم الإسلامي بالعوامل نفسها التي تؤثر في توزيع السكان وكثافتهم على مستوى العالم والتي من أهمها العوامل: الطبيعية، والبشرية، والاقتصادية، ويضم كل منها عددا من العوامل الثانوية. ويؤدي تفاعل

هذه العوامل معـا إلى ظهور أنماط خاصة من التوزيع والكثـافة تميز كل شطر وإقليم ودولة، بحيث لايعـد التوزيع والكثافـة انعكاسًا لواحد فـقط من هذه العومل دون غيرها، فضـلا عن اختلاف التوزيع والكثافـة من فترة لأخرى (Clarke, 1976-A-P.14) وفيما يلي دراسة لكل من هذه العوامل.

أ- العوامل الطبيعية:

وتشمل المناخ ، والتربة، والتضـاريس، والموقع، والعلاقات المكانية، والموارد الطبيعية والحيوية، على النحو التالي:-

١- المناخ:

يظهـر أثر المناخ في سكان العالم الإسـلامي في سكنى عدد كـبيـر منهم في المناطق المرتفعة تجنبـا للحرارة الشديدة والرطوبة العالية في المناطق السـهلية، وحيث تكون الحرارة والرطوبة أكـثر اعتدالا في المرتفـعات مثل إقليم شبـه القارة الهندية، وإقليم شبـه الجزيرة العربية (أ) وإقليم الهـلال الخصيب خاصـة في سوريا ولبنان، وإقليم شمالي أفريقيا بخاصة في المغرب (Hance,1975,P.20) كما يظهر أثر المناخ الجاف الحرارة في قلة سكان إقليم الصحراء الكبرى وإقليمي شبه الجزيرة العربية (أ) و (ب) وفي المناطق شـبـه الجـافـة التي تضم عـددا قلـيـلا من السكان الزراعـيين المتناثرين(Ibid, P.21) ومن دراسة علاقة الارتبـاط بين المناخ السائد وأعداد السكان في أقاليم العالم الإسلامي تظهر علاقة ارتباط موجـبة شبه كاملة بينهما، حيث يبلغ معـامل الارتباط بينهمـا (٩٨ر٠)، بمعنى زيادة عدد السكان كلما زاد اعـتدال المناخ بخاصة الحرارة والأمطار، والعكس صحيح.

٢- المياه:

تعتبر المياه عاملا مهماً في جذب السكان لفائدتها في الإنتاج والمعيشة المنزلية أو كمصادر للأسماك والطيور، إلى غير ذلك. وغالبا ما يتركز السكان عند خطوط الينابيع ورؤوس الملاحة والمصاب والجزر النهرية أو الثنيات وعقد النهر، آو عندما يشكل النهر ثغرة في التلال، أو يترك التلال إلى السهول أو يدخل بحيرة.

ويفسر ذلك كله تجمع سكان العالم الإسلامي حول المياه مهما كانت مصادرها (Brian, 1977, P. 86)، مثل الأنهار (كالجانج في بنجلاديش، والسند وفروعه في باكستان، ودجلة والفرات في سوريا والعراق، والنيل في مصر والسودان، والنيجر وفرعه بنوي في نيجيريا والنيجر، والسنغال في غربي أفريقيا وأنهار بلاد المغرب الجبلية وأثيوبيا وتركيا)، ومثل مناطق الواحات في قلب الصحراء، والسفوح الجبلية الممطرة في لبنان وأطلس بالمغرب والجزائر.

ومع ذلك فإن أنهار العالم الإسلامي ليست كلها جاذبة للسكان لانتشار الحشرات في بعضها أو لفيضاناتها المدمرة، أو لعمقها الكبير الذي يصعب معه استغلالها أو لكثرة جداولها وشلالاتها (HanCe, 1975,P. 20)

وقد أظهرت دراسة علاقة الارتباط بين مصادر المياه المستديمة وتوزيع السكان وكثافتهم وجود علاقة ارتباط موجبة شبه كاملة بينهما حيث يبلغ معامل ارتباطها (٩٨, ٠)، إذ كلما زادت الأولى زادت الثانية بالدرجة نفسها، والعكس صحيح.

٣- التضاريس:

تؤثر التضاريس بصور شتى في توزيع السكان وكثافتهم في العالم الإسلامي، منها القيود الفسيولجية التي تضعها الارتفاعات على سكنى الإنسان بسبب انخفاض الضغط الجوي، والأوكسجين، والحرارة، وبسبب شدة الانحدار، وصعوبة النقل الميكانيكي، وصعوبة الزراعة والسكنى عموما (Ibid.pp17-18) . ولذلك تزداد أعداد السكان وكثافتهم في السهول الفيضية حول أنهار العالم الإسلامي. وإن كانت هذه الكثافة وزيادة السكان تزداد فوق المرتفعات المدارية حتى ارتفاع ٢٥٠٠ متر مثلما هو الحال في أثيوبيا بسبب جاذبية الجبال الصحية عن السهول، أو جاذبيتها لبعض الجماعات البشرية الباحثة عن استقلالها، أو لمقاومة السلطات، كما هو الحال في جبال لبنان أو جبال الجزائر أيام الاحتلال الفرنسي (إبراهيم، ١٩٧٥م ص ٦٧).

وتجتذب سواحل العالم الإسلامي السكان، وإن قلت كثافتهم مع الانتشار للداخل كما يتجمع السكان في الجزر المجاورة للسواحل الإسلامية مثل جزيرة جربة التونسية وزنجبار التنزانية وجزر القمر، وغيرها. كذلك يتأثر توزيع السكان باتجاه التضاريس، فالسفوح والسواحل المواجهة للرياح الممطرة أكثر سكانا من تلك التي تقع في ظل المطر مثل سفوح جبال لبنان الغربية والسفوح الغربية لجبال أطلس المغربية والسفوح الشمالية لأطلس بالجزائر وتونس، وساحل خليج سرت الشرقي في ليبيا، والسفوح الجنوبية لجبال وسط آسيا.

وقد أوضحت دراسة علاقة الارتباط بين السهول الفيضية وكثافة المكان وجود علاقات ارتباط موجبة شبه كاملة بينهما حيث يبلغ الارتباط (٩٩, ٠)، إذ كلما زادت الأولى زادت الثانية بالدرجة نفسها والعكس صحيح.

٤- التربة:

يظهر أثر التـربة على توزيع السكان وكثـافتهم في العـالم الإسلامي في نوع المحـصـول الزراعـي المنتج،وفـي طبـيـعـة السكن الدائم أو المـؤقت (Chishom,1972,p.706)، وفي وسائل الزراعة الريفية (أبو عيانه، ١٩٧٧م، ص ٨٣). ولذلك يتركز السكان في الترب الفيضـية في دالات الأنهار الإسلامية، وفي الترب البركانية الخـصبة بأندونيسيا - بخاصة جـزيرة جاوة- وفي الكمرون واليمن، وغيـرها، وفي تربة التشـرنوزيم الخصبـة بأراضي حشائش الاسـتبس بينمـا لاتعول الترب المدارية- الجـافة والرطوبة- قليلة الخـصوبة إلا أعدادًا مـحدودة من السكان، كمـا تؤدي التعـرية الشديدة- مـثل تربة الجزائر- إلى انخـفاض قدرتهـا الإنتاجـية وبالتالي انخفاض كثافة سكانها (Hahce,1475,P.22-23).

وقد أظهـرت دراسة علاقـة الارتباط بين خصـوبة التربة وكثـافة السكان في أقاليم العالم الأسـلامي وجود علاقة ارتباط موجـبه قوية بينهما حـيث يبلغ معامل الارتباط بينهما (٩٢ , ٠)، بمعنى أنه كلما زادت خصوبة التربة زادت الكثافة بدرجة قوية جدا، والعكس صحيح (المطري، ١٤٠٨هـ ص ٩١-١١٤)

٥- العلاقة المكانية:

يقصد بهـا الطرق التي تربط أجزاء العالم الإسـلامي ببعضها أو بـغيرها من أجزاء العـالم الأخرى، وما ينتج عنهـا من تبادل تجاري ونقل للأفكار والحـضارات والبشر، وقـد تميز العالم الإسلامي بكونـه معبرا واسعـا وبوجود مناطق ربطت بين أجزاء عديدة من العالم، منها نطاق الاستبس المتقطع، والوحدات الخصبة على طول سفوح جبال ألبرز بإيران التي انتشرت بواسطتهـا جماعات بشرية كبيرة داخل غربي أوراسيـا، ومنطقـة الاستبـس بالأناضول التي ربطت وسط آسـيا بأوروبا، ومنطـقة الاستبس التي ربطت إيران والعراق وجنوب شـرق الأناضول بالمشرق ومكنت الغزاة

من الوصول إلى سواحل البحر المتوسط ووادي النيل، والتي انتشرت بواسطتها الحضارة المصرية القديمة داخل آسيا. وقد سهلت البحار المحيطة بالعالم الإسلامي الاتصال بين سكان السواحل، كما كنت شبه جزيرة سيناء طريقا عظيمة لحركة السكان بالعالم الإسلامي، إلى جانب باب المندب الذي شكل بوابة بين أفريقيا وشبه الجزيرة العربية (Fisher, 1971, PP. 102-103).

وعلى عكس ذلك كانت بعض مناطق العالم الإسلامي معزولة يصعب وصول السكان إليها، مثل شبه الجزيرة العربية، وجبال شرق الأناضول وزاجروس، وجبال. . سنجار بشمالي العراق.

وكان للموقع الجزري والقاري تأثير واضح على جاذبية السكان، مثل جاذبية الموقع الجزري لأندونيسيا، وانعزال الموقع الداخلي لإيران المخلخل للسكان.

كذلك فإن بعض السواحل الإسلامية اشتهرت بأهميتها التجارية وبوجود نويات متناثرة من المواني والمواضع الملائمة، بينما كان بعضها الآخرى طاردا للسكان مثل سواحل البحر المتوسط في عصر القرصنة، والنطاق الساحلي لأفريقيا الغربية في عصر تجارة الرقيق.

٦- العوامل الحيوية:

يعتبر توزيع السكان وكثافتهم في العالم الإسلامي انعكاسًا واضحا لتوزيع النباتات والحيوانات فيه. ويظهر أثر ذلك العامل في قلة سكان المناطق الصحراوية وكثرتهم في المناطق الموسمية والاستوائية كثيفة الغابات والحيوانات، وفي قلة السكان والكثافة في الأقاليم شبه الجافة عكس إقليم البحر المتوسط الكثيف النباتات نسبياً. وكذلك يظهر أثر هذا العامل في طرد الحيوانات الضارة أو المؤذية للإنسان من المناطق التي تتكاثر فيها ذبابة التسي- تسي والجراد وبعوض الملاريا رغم مايمتلكه الإنسان من وسائل حديثة للدفاع عن نفسه ضدها.

وقد أظهرت دراسة علاقة الارتبـاط بين نوع النبات وكثافة السكان في أقاليم العالم الإسلامي وجود عـلاقة ارتباط موجبة قوية بينهمـا، إذ يبلغ معامل الارتباط بينهما (٨٢, ٠)، بمعنى أنه كلما زادت الأولى زادت الثانيـة بدرجة قوية، والعكس صحيح. (المطري، ١٤٠٨هـ، ص ١٢٣هـ مابعدها).

٧- الموارد الطبيعية:

يؤثر توافـر مـوارد الطاقـة والموارد المعدنـية والصناعـيـة في أعـداد السكان وكـثافـتهم، كـمـا تؤثر أعداد السكان وخـبـراتهم وأساليب تنـظيمـهم وتطورهم الاجتـماعي في هذه الموارد من حـيث استخـراجها واسـتثمـارها. وتؤدي الظروف المناخية القاسية في معظم أرجاء العـالم الإسلامي إلى الحيلولة دون استخراج الكثير من هذه المعادن بطريقـة افتصـادية. كما يؤثر رأس المال والخبـرات التقنية الصناعـية على اختلاف الاستثمار المعدني من مكان لآخر. ولذلك تختلف صور جاذبية الموارد للسكان ودرجة كنافتهم (Hance,1475, Pp.24-25).

٨- الأمراض والجوع:

يظهـر أثر هذا العامل في تخلخـل السكان في المناطق المصابة بـالأمراض أو نقص التغـذية ، مثلمـا هو الحال في المناطق المدارية من العـالم الإسلامي المرتفـعة الحرارة والتي تتخذها بعض الأمراض بيئات ومواطن طبيعية ومثالها مرض التراخوما في المناطق شبه الجافة ومناطق البحـر المتوسط، ومناطق الحمى الصفراء الذي يرتبط بأفـريقيـا المدارية، ومـرض النوم الذي يرتبط بمناطـق انتشـار ذبابة التـسي- تسي، والأمراض المدارية كالملاريا، ومرض الكوليرا والدرن الرئوي، وغيرها من الأمراض التي ترتبط بمناطق معينة من العالم الإسلامي.

كذلك يتسـبب نقص التغذية وسوؤها في كثـرة الوفيات وقلة السكان، وفي انتشـار أمراض البلاجرا والـبرى برى، وكساح الأطفـال، وتضخم الغدة الدرقـية،

والكراشركور، وغيرها من أمراض سوء التغذية (Ibidlpp23-24) . كما تؤدي الأمراض الأخرى المنتشرة في العالم الإسلامي مثل: التيفوس، والجدري، والطاعون، والجذام، والسل، والأمراض التناسلية، وغيرها إلى حدوث وفيات عالية وانخفاض متوسط عمر الفرد، ويؤثر ذلك كله على توزيع السكان وكثافتهم رغم مايبذل من جهود لمكافحتها (Church, 1473, p. 71).

ب - العوامل الاقتصادية:

وتشمل نوع الحرف ونمط النشاط الاقتصادي، والنقل، والدخل الفردي، وذلك على النحو التالي:-

١- الحرف والنشاط الاقتصادي:

يختلف أثر حرف السكان في أعدادهم وكثافتهم. فالحرفة الأولى تؤدي إلى خلخلة السكان وقلة عددهم سواء كانت رعيا أو صيدا بريا أو بحريا، أو زراعة واسعة أو تجارة عدا الزراعة الكثيفة التي تؤدي إلى تجمع السكان فوق مساحة صغيرة من الأرض فتترتفع كثافتهم. أما الحرفة الثانية (الصناعية- البناءوالتشييد- الغاز - الطاقة والكهرباء) والثالثة (التجارة- النقل والموصلات- الخدمات بأنواعها) فيرتبط بها كثرة السكان وارتفاع كثافتهم (Cluvke,1974,p111) . ويؤدي وجود مجتمعات بدوية في عديد من الدول الإسلامية بخاصة في الشطر الأفريقي- إلى وجود تخلخل في تركزات السكان، كما تتسبب الاقتصاديات الواسعة التي تمارسها هذه الجماعات في تناثر السكان.

٢- النقل والموصلات:

تؤدي كثافة شبكة النقل والمواصلات وقلة تكلفتها إلى تجمع السكان وارتفاع كثافتهم، إذا تعد التجارة الناجمة عن كفاءة النقل والموصلات بمثابة الدعائم المهمة للهياكل المدنية وبالتالي كثافة السكان المرتفعة (Hανχε,1475,Ππ.25–26) .

ومن هنا فـإن مناطق الكثافـة السكانيـة هي التي تشتـهر بكفـاءة طرق النقل والموصلات في العالم الإسلامي، والعكس صحيح.

جـ- العوامل البشرية:

وتشمل العـوامل الديموجرافية والحـروب، والعوامل الاجتمـاعية والسيـاسية والتاريخية، والسياسات الحكومية على النحو التالي:-

١- العوامل الديموجرافية:-

تسهم الزيادة الطبـيعيـة والهجرة بدور مـهم في توزيع السكان وكثافـتهم في العالم الإسلامي، فزيادة الهـجرة أو نقصها عن الزيادة الطبيعبة تـتسبب في تغيرات سكانيـة مـهمـة، وكذلـك يؤدي اختـلاف خـصائص السكان الـثقـافيـة والدينيـة والاجتـماعية وتكوينهم النوعي إلى الـتأثير على توزيع وكثـافة السكان (Ibid, pp 20-27)

٢- الحروب والعلاقات السياسية:

تتسبب الحروب والاضطرابات السياسية فـي انخفاض أعداد السكان وكثافتهم في مناطق المعارك والحـدود بين القبائل (Church,1473). وقد أدى الدفاع الحربي إلى وجود الكثير من مناطق الاستقرار البشري في كثير من أرجاء العالم الإسلامي، مثل هضـبة فوتاجالون التي تسـبب سهولة الدفاع فـيها إلى السكن الكثيف لـقبائل الفولانـي، وإن كان هذا العامل لايـظهر أثره بشكل واضح في المناطق التي يـسهل الانسـحـاب منهـا مـثل مناطق سكنى الـسافـى في بنين، وفي مناطق الـسوركـو والسـوموفو الذيـن سكنوا أول الأمر بالقـرب من نهر النيـجر حـتى يسهل عليـهم الهـروب إذا هوجمـوا. كـما يظهـر أثر هذا العـامل في مناطق الحـدود العربيـة- الإسرائيليـة التي تأثرت كثافتـها وعدد سكانهـا بسلسلة الحروب المتتاليـة بين عامي ١٩٤٨و ١٩٧٣م.

٣- العوامل الاجتماعية والسياسية والتاريخية:

يفسر هذا العامل الكثير من أنماط التوزيع السكاني في العالم الإسلامي، فالسكان قليلو الكثافة بالعراق يرتبطون بالغزوات السابقة بدرجة ما، والسلاسل الجبلية بجنوب غربي آسيا اجتذبت المطاردين فصارت كثيفة السكان، كما أن آثار اصطياد العبيد والحاجة إلى مراكز الدفاع يظهر آثارها في توزيع سكان غربي أفريقيا وشرقيها. كذلك يفسر ارتفاع الكثافة في جبال فوتاجالون وأطلس بضمان حماية اللاجئين إليها. وكذلك فإن الاستقرار السياسي في أجزاء من أثيوبيا وأوغندا وجنوبي نيجريا يفسر نمو السكان (Ibid..pp.163-167)، إلى جانب ارتفاع الكثافة في المجتمعات التي مارست التنظيم منذ أمد بعيد والتي تنوعت اقتصادياتها (Clarke,1974,p.110).

وتعتبر قدرة الشعوب على تنظيم شؤونها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية عاملا مهماً في توزيع السكان مثل منطقة كانداب في نيجيريا حيث ساعد ذلك الهوسا على الاستقرار، ومثل المناطق الأخرى متوسطة الكثافة في خط العرض نفسه (Church,1473,p167).

وقد أثرت تجارة الرقيق على خلخلة السكان في النطاق الأوسط من أفريقيا المسلمة، وشجعت الاستيطان على طول طرق الهروب مثل نهر السنغال والنيجر والمدن المسورة بشمالي أفريقيا وغربيها، وبعد أن قتل حوالي ٢٠ مليون أفريقي بين القرنين ١٦و ١٩ الميلاديين وبعد نقل ١٠-١٢ مليون أفريقي آخر إلى مناطق أخرى.

وقد تسبب قتل هذه الأعداد وبيع مواليدهم إلى جعل أراضي أفريقيا الغربية أقل سكاناً مما كانت عليه من قبل (Ibid.,p.71) كذلك أدت العادات والتقاليد - ولاتزال - إلى بقاء السكان داخل مناطقهم الخاصة بصورة صارمة (Ibid.,p.234) وساهمت الحدود السياسية الحالية بدور صغير نسبيا في توزيع السكان وكثافتهم (Ibid.,P.70).

السياسات الحكومية:

وقد لعبت دورا مهماً في توزيع السكان في العديد من مناطق العالم الإسلامي. ومثالها سياسات توطين السكان البدو مثلما فعلت السعودية في مشروعات التوطين العديدة، وسياسات نقل بعض السكان إلى مناطق أخرى مثلما فعلت مصر والسودان بنقل سكان النوبة بعد انتشار بحيرة ناصر (النوبة) وكما فعلت أندونيسيا بنقل بعض سكان جزيرة جاوة إلى الجزر الأخرى، أو سياسات التعمير لمناطق جديدة أو استصلاح أراض جديدة في مديرية التحرير بمصر أو غيرها من مناطق العالم الإسلامي.

تركيب السكان

التركيب السلالي :-

يضم العالم الإسلامي الأجناس الثلاثة الرئيسية: القوقازي، والمغولي، والزنجي مع سلالاتها الرئيسة والفرعية. فالجنس القوقازي ينتشر في جنوب غربي آسيا وشمالي أفريقيا وبلاد القوقاز، كما ينتشر الجنس المغولي في وسط وجنوبي وجنوب شرقي آسيا، بينما يوجد الجنس الزنجي في المنطقة المدارية الاستوائية من أفريقيا. وفي العالم الإسلامي تتعدد ألوان البشرة، كما تتعدد الأقوام والشعوب من: عرب، وترك، ومغول، وفرس، وهنود، وماليزيين، وهوسا، وفلاني، وبانتو، وباندنج، وغيرها. وقد اختلطت كلهما معا بفضل الإسلام الذي لايفرق بين الأجناس والألوان (شاكر، ١٩٧٦م، ص ١٦).

وللموقع الجغرافي للعالم الإسلامي أثر كبير على تركيبه السلالي حيث إنه سهل هجرة واختلاط الأجناس القوقازية والمغولية والزنجية. ومن ناحية أخرى فقد أثرت الموجات العربية المهاجرة من بلاد العرب في التركيب السلالي للبلاد الإسلامية الأخرى، بخاصة هجرة الكنعانيين والفينيقيين والعبرانيين إلى بلاد الشام وشرق البحر المتوسط، والهجرات التي صاحبت انتشار الإسلام قرونا طويلة (إبراهيم، ١٩٧٥م، ص ٥-٧)، إلى جانب اجتذاب العالم الإسلامي للمهاجرين من شتى جهات العالم الإسلامي بسبب موقعه المتوسط وقد ترتب على تجمع الأجناس والسلالات المختلفة في العالم الإسلامي فقد نقائها الأصلى.

ويختلف التركيب السلالي لشطري العالم الإسلامي عن بعضهما بشكل واضح على النحو التالي:-

أولا - الشطر الأفريقي :-

يتميز هذا الشطر بوجود خط تقسيم حضاري واضح يعد أحد التقسيمات الحضارية العظمى في العالم، ويعد خط تقسيم جنسي أيضا. ويجري هذا الخط من مصب نهر السنغال نحو الشرق إلى تمبوكتو وبحيرة تشاد والخرطوم متعمقا نحو الجنوب على طول الحدود الغربية لأثيوبيا ثم جنوبا بشرق نحو مصب نهر جوبا (carlson, 1967,P.26) . ويميز هذا الشطر بوجود ثلاث مجموعات جنسية واضحة على النحو التالي :-

أ- في غربي أفريقيا :- يوجد الأقزام وهم من أقدم الشعوب الأفريقية ولهم خصائص طبيعية تجعلهم متميزبن تماما عن الزنوج (Church, 1973, P.60) ، ويوجدون في مجتمعات متناثرة معزولة في الكمرون والجابون. كما يوجد الزنوج في أثيوبيا وبين نهر السنغال والكمرون، وتوجد أنقى أنماطهم على طول ساحل غينيا متجمعين في قبائل كبيرة قوية متنوعة مثل الأشانتي واليوروبا والولوف. كما يوجد الزنوج السودانيون في منطقة السافنا بين السنغال غربا وإقليم كردفان السوداني شرقا وتسود بينهم إمارات الفولاني القوية وممالك الهوسا، ومنها قدم كثير من الزنوج الذين يعيشون في الواحات الصحروابة. أما في حوض أو بانجي- ويل بين النيل والكونغو فتوجد مجموعات أخرى من الزنوج المتميزين مثل الزاندي بجنوبي السودان والنوبة بجنوبي كردفان (Ibid,Pp 61-62) .

ب- في شمالي أفريقيا :- يوجد الحاميون وقد دخلوا شمالي أفريقيا من منطقة إرسال حول البحر الأحمر، وأدى تقدمهم نحو الجنوب إلى نشوب صراع بين الزنوج والبوشمان الذين اختلطوا معهم. وينقسمون إلى مجموعتين· الحاميين الشرقيين ويشملون المصريين والبجة والبرابرة والصوماليين وكثير من

الأثيوبيين. وقد أقامـوا العديد من الدول الأفريقية الكبيـرة. وهنا يوجد أيضا الزنوج الحاميون (Hamiticized NegroS) ويصنفون إلى ثلاث مجموعات: النيليين، والحاميين النيليين، والبانتو. ويعيش النيليون في حوض النيل الأعلى بالسودان ومنـهم الدينكا والشلوك. كذلك يوجـد هنا الساميـون الذين دخلوا فاتحين إلى شمالي أفريقيا وقدموا من الشرق في القرن السابع الميلادي. وكانت غزوتهم الرئيـسة بين القرنين ١١-١٤ الميـلاديين، وقد اختلـطوا مع البربر في أماكن كثيرة. وترجع أصولهم إلى البداوة ولعبـوا دورا مهماً كتجار في شرقي أفربقيا في القرون ١٦، ١٧، ١٨ الميلادية، كما تركوا آثارًا كثيرة في التكوين الجنسي لهـا (Ibid, P.63). وهنا نجـد البـربر المواطنين الأصليين للمـغـرب ويسودون في بعض الأمـاكن خاصـة مرتفعـات أطلس المغرب ومناطق جـبال القبائل والأوراس في الجزائر.

جـ- في شرقي أفـريقيا: - تتميـز باختلاط الصفـات الجنسية - خاصـة لون البشرة ومظهر الوجـه والشعر (Hahce, 1975,P.95)، ويمثل الأفريقـيون ٩٨٪ من سكان المنطقة، وينتـمون إلى ٥٢٠ مجـموعة قبليـة متميـزة يعتبرون أحـفادا للجماعات الحـامية القديمة التي اختلطت مع الزنوج ولاتوجـد هنا دماء زنجية نقيـة رغم تميز الكثيـر من السكان بدماء زنجـية. وأشهـر القبائل هي الشـاجا (CHAGGA)، والكروجو (CROGO)، والنيامـويزى، والهايا، والسكون بتنزانيا، ثم الجـامو أو السـوجا، والكيمـا، والتورو بأوغندا، والأشول أكـبر الجمـعات السكانية. كـما يوجد هنا النيليـون الحاميـون كالماساى، والتـوسو بأوغندا، إلى جانب بعض العناصر الآسيوية كالعرب، والهنود، والباكستانيين والجاويين الذين دخلوا شرقي أفريقيا منذ أمد بعيد (Ibid.P.65)

ثانياً: الشطر الآسيوي:

توجد المجموعات الجنسية الآتية:-

أ- في جنوب شرقي آسيا:- يعتبر الإقليم منحفا بشريا بسبب تقابل واختلاط الحضارات والأجناس التي دخلت الإقليم بطرق مختلفة لموقعه الممتاز الذي يجعله جسرا وحاجزا سلاليا في آن واحد أمام حركات السكان والأفكار (المطري، ١٩٨٤م ص ٢٨٠). وتوجد هنا آثار الجنس الزنجي بين كثير من سكان التلال وسكان بعض الجزر الشرقية بأندونيسيا بخاصة مجموعة جزر فلور تيمور في مواجهة الساحل الشمالي لأستراليا. كذلك توجد مجموعات عديدة من الزنوج الحقيقيين كلهم من السكان الذين يعيشون حياة بدائية جداً في مواضع منعزلة بالمرتفعات الداخلية في أجزاء عديدة مثل سمانج الملايا والتابيرو. كما توجد الدماء الزنجية بين كثير من الشعوب الأخرى المختلفة نسبيا مثل التاوى في جاوة خاصة سكان جزر الملوك شرقى سوندا الصغرى. أما المالينيزيون فيوجدون بأعداد قليلة ويزيدون بين الألفور في ملقا، كما يسود البابوان في معظم الأجزاء الداخلية من الإقليم (Fisher,1971,p.66). كما يوجد النسيوت المنتمون لسلالة البحر المتوسط وينتشرون بالجزر الأندونيسية، إلى جانب وجود المغول.

ب- في جنوب غربي آسيا:- نشأ بعض السكان هنا وقدم البعض الآخر من الخارج (Cressey, 1975,p.396). ففي هضبة الأناضول لم تأت تسربات جنسية مهمة من الشرق وإن تأثرت بالغزوات من كل اتجاه كالعرب من شبه الجزيرة العربية والإغريق والأكراد وغيرهم من الغرب، والسكان ذوي الأصل الإيراني- الهندي، والكاسبيت، والحيثيين، وغيرهم. كما قدمت للإقليم هجرات كبيرة تركت آثارها الجنسية واستقرت بمناطق خاصة مثل الجال،

والقبـائل الكردية، والقبائل المتكلمة بـالبشتو شمـال غربي باكسـتان والأجزاء المجـاورة من أفغـانستـان ذوي الأصل النوردي. أما في إيران فـدخل الأتراك القبليون ذوو الأصل التركي السلجوقي، والكثير من الطوائف المتحدثة بالتركية في أذربيجان. كـما شهد الأقليم غـزوتين رئيسيتين من سكان البـحر المتوسط الأولى للاسـتيطان والثـانيـة كان هدفـها الغـزو والانتـصار خـلال العصـور التاريخيـة. وتسود هنا السلالة الألبيـة بعد سلاسلة البحر المتـوسط خاصة فى المناطق المرتفعة، كما ينتشر نوع أكـثر طولا وخشونة من سلالة البحر المتوسط بجنوبي الجزيرة العربية بين العرب الساميين أو الأوراسيين الأفريقيين ويشبهون بعض سكان القرن الأفريقي (Brice,1966,p.58-59). ويعني هذا أن أصول السكان في جنوبي الجزيرة العربية مـختلطة وتضم خليطا من الجنس القوقازي المتوطن والدرا فيدي المنتشر حول ساحل المحيط الهندي، إلى جانب جماعات من الزنوج والبلوخ (البلوش والشحوح).

وأهم الجماعات السلالية الكبرى بالعالم الإسلامي هي: العرب - البنغاليون- الجاويون- البنجابيون- الأتراك الأناضوليون- الفرس- المتحدثون بالأوردو- السوند- الملايا - الهـوسا- البـوشـتان- البـربر- الفـولاني- المادورا- الأزيدى- السنديون- الأكراد- اليـوروبا- الأرومو- المكاسـاربوجين- الصومـاليون- الهوى- الميـنانجابوا- المابيـلا- المهـاراشتـيـرن- الكانورى- الماندج- البلوخ- المور- الأسـهن- الولوف- الاسيويـون- الساساك- البانتـو- الصفار- السونغـهاي- البجة- الماسـاى- التابيل- الفجـر. ولكل من هذه الجماعات خـصائصهـا المميزة ومناطقـها التي تعيش فيـها (المطرى، ١٩٨٤م ص ٢٨٤ - ٣٣٩). وتشكل هذه الجمـاعات ٨٠ ٪ من سكان العالم الإسلامي. كما يظهر من الجدول رقم (١٥).

جدول رقم (١٥) المجموعات السلالية الإسلامية الكبرى في العالم الإسلامي

اسم المجموعة	٪ من جملة السكان	الأقاليم والدول التي توجد فيها	اسم المجموعة	٪ من جملة السكان	الأقاليم والدول التي توجد فيها
العرب	١٥,٦	ج.غ. آسيا ـ	المابيلا	٠,٧	ح.ق آسيا
البنغاليون	١١,٤	شمالي أفريقيا	الكانوري	٠,٥	بيجيريا ـ النيجر
الجاويون	٨,٥	بنجلاديش	المهاراسيرن	٠,٧	غ . أفريقيا
البنجابيون	٦,٨	أندونيسيا	الماندنج	٠,٥	بوركنا فاسو مالي ـ غ افريقيا
الأتراك	٤,٣	باكستان			مالي ـ غ أفريقيا
الأناضوليون		تركيا	البلوخ	٠,٥	ابران ـ باكستان
الفرس	٣,٣	إيران	المور	٠,٥	شمالي أفريقيا
المتحدثون بالأوردو	٣,١	باكستان	الاسهن	٠,٣	أندونيسا
السوند	٢,٨	أندونيسيا	الولوف	٠,٣	ع. أفريقيا
الملايا	٢,٤	ج . آسيا	الآسيويون (هنود	٠,٣	باكستان
الهوسا	٢,٤	غ . إفريقيا	وباكستانون)		
البوشتان	١,٨	ج. آسيا	الساساك	٠,٣	أندونيسيا
البربر	١,٥	شمالي أفريقيا	البانتو	٠,٢	تنزانيا
الفولاني	١,٥	غ . أفريقيا	العفار	٠,٢	أثيوبيا ـ جيبوتي
المادورا	١,٣	أندونيسيا	السونغهاي	٠,٢	غ ـ أفريقيا
المنديون	١,١	باكستان	البجة	٠,٢	السودان
الاكراد	١,١	ج.غ. أسيا	الماساي	٠,٢	غ . أفريقيا
اليوربا	١,٠	غ . أفريقيا	التابيل	٠,١	غ . أفريفيا
الاورومو	١,٠	أثيوبيا	الغجر	٠,١	أنحاء متفرقة
المكاساربوجين	١,٠	أندونيسيا			في آسيا خاصة
الصوماليون	٠,٨	شرقي أفريقيا			
الهوى	٠,٨	ج . ق . آسيا	الجملة	٨٠,٠	
المينا نجابوا	٠,٧	ج . ق. آسيا			

١ ـ الجدول من إعداد الباحث بناء على ـ WEEKES,R, V, (1978), MUSLIM PEOPLES ` A WORLD ETHNO-GRAPHIC SURVEY, P 535.

ب ـ المطري، (١٩٨٤) دراسات في سكان العالم الإسلامي، جدول ٤٢ ، ص ٣٣٩ (بتصرف).

التركيب النوعي

للتركيب النوعي للسكان أهميته الكبيرة في النواحي الاجتماعية والاقتصادية والسياسية. فالذكورهم الذين يعملون ويكتسبون الأجر- غالبا- ويرعون الأسرة ويشكلون الجيوش وقوة العمل أساسا. كذلك فإن للتركيب النوعي أهميته في تكوين الأسرة وعدد الزيجات المحتملة بالدولة (Peterson, 1975, P.69)

وتتأثر النسبة النوعية بزيادة عدد الذكور المواليد واختلاف معدل وفيات الجنسين والهجرة (Clarke 1476,P.77)

وبلغت نسبة الذكور في العالم الإسلامي ٨, ٥٠٪، بينما بلغت نسبة الإناث ٢, ٤٩٪ عام ١٩٩٤م على التوالي). ونسبة الذكور في العالم الإسلامي تقل عن مثيلتها في العالم التي تبلغ ٢٢, ٥١٪. وترتفع نسبة الذكور في الشطر الآسيوي إلى ١, ٥١٪ مقابل ٣, ٥٠٪ بالشطر الأفريقي (١٢٢, ٣٦٠, ٣٥٨ مقابل ٩٢٤, ٤٠٢, ٢٣١ نسمة على التوالي) بسبب عوامل الجذب، المتعددة بالشطر الآسيوي.

وتتباين نسب الذكور والإناث في أقاليم ودول العالم الإسلامي على النحو التالي (جدول رقم ١٦ وشكل رقم ١٠):-

١- الأقاليم التي تزيد فيها نسبة الذكور عن الإناث:- وأولها إقليم شبه الجزيرة العربية "أ" (٨, ٥٣٪ للذكور)، وإقليم شبه القارة الهندية (٤, ٥٢٪، وغربي آسيا (٢, ٥١٪ وشبه الجزيرة العربية "ب" والهلال الخصيب (٥١٪، وإقليم حوض النيل (٩, ٥٠ ٪، ثم إقليم شمالي أفريقيا (٧, ٥٠٪).

وإلى هذا النمط تنتمي ٣٤ دولة إسلامية هي: قطر (١٩, ٦٣٪)، والإمارات (٦٢٪)، والكويت (٧, ٥٦٪)، وغينيا بيساو (٥٤٪)، وتتراوح نسبة الذكور بين

٥٣٪ إلى أقل من ٥٤٪ في: البحرين- بروناي- السعودية- ليبيا، كما تتراوح بين ٥٢٪ إلى أقل من ٥٣٪ في: المالديف- باكستان، وبين ٥١- أقل من ٥٢٪ في عُمان- العراق سوريا- إيران- أفغانستان- بنجلاديش- أثيوبيا-مصر- تشاد- السنغال- غامبيا- جيبوتي- أريتريا، وتكون بين ٥٠٪ إلى أقل من ٥١٪ في كل من فلسطين- لبنان- الأردن- تركيا - ماليزيا- السودان- أو غندا- تونس- الجزائر- المغرب- نيجريا.

٢- الأقاليم التي تقل فيها نسبة الذكور عن الإناث:- وتشمل إقليم شرقي أفريقيا (٤٩,١٪)، وجنوب شرقي آسيا والصحراء الكبرى (٤٩,٤٪)، وغربي أفريقيا "أ" (٤٩,٨٪).

وإلى هذا النمط تنتمي ١٤دولة بسبب الهجرة النازحة منها وهي: غينيا - بنين- بوركينا فاسو- الجابون (٤٨٪)، وتتراوح هذه النسبة بين ٤٨- أقل من ٤٩٪ في: موريتانيا- تنزانيا- النيجر- مالي- سير اليون- الكمرون- الصومال- جزر القمر، كما تبلغ ٤٩,٣٪ في آندونيسيا و٤٩,٥٪ في اليمن.

٢- وتتساوى نسبة الجنسين في إقليم غربي أفريقيا (ب).

٣- التركيب العُمري:

للتركيب العمري أهميته في الدراسات السكانية (Clarke, 1976 A.p.60) لتأثيره على الهجرة ومعدلات المواليد والوفيات المظللة أحيانا (Stanford,1972,p.8)، كما تتأثر به جميع الأنشطة الاقتصادية والاجتماعية والعسكرية والسياسية وغيرها.

جدول رقم (١٦) التركيب النوعي لسكان العالم الإسلامي [١] (٪)

الإقليم/ الدولة	نسبة الذكور (٪)	نسبة الإناث (٪)	الإقليم/ الدولة	نسبة الذكور (٪)	نسبة الإناث (٪)
شبه الجزيرة العربية«أ»	٥٣,٨	٤٦,٣	جنوب شرقي اسيا	٤٩,٤	٥٠,٦
السعودية	٥٣,٢	٤٦,٨	ماليزيا	٥٠,٣	٤٩,٧
الكويت	٥٦,٧	٤٣,٣	بروناي	٥٣,٤	٤٦,٦
قطر	٦٣,١٥	٣٢,٨٥	إندونيسيا	٤٩,٣	٥٠,٧
البحرين	٥٣,٧	٤٦,٣	حوض النيل	٥٠,٩	٤٩,١
شبه الجزيرة العربية«ب»	٥١,٠	٤٩,٠	السودان	٥٠,٥	٤٩,٥
الإمارات	٦٢,٠	٣٨,٠	أثيوبيا	٥١,٠	٤٩,٠
عمان	٥١,٠	٤٩,٠	أوغندا	٥٠,٥	٤٩,٥
اليمن	٤٩,٥	٥٠,٥	مصر	٥١,٠	٤٩,٠
الهلال الخصيب	٥١,٠	٤٩,٠	شمالي أفريقيا	٥٠,٧	٤٩,٣
العراق	٥١,٠	٤٩,٠	ليبيا	٥٣,٢	٤٦,٨
فلسطين	٥٠,٣	٤٩,٧	تونس	٥٠,٧	٤٩,٣
لبنان	٥٠,٨	٤٩,٣	الجزائر	٥٠,٤	٤٩,٦
سوريا	٥١,٣	٤٨,٧	المغرب	٥٠,٥	٤٩,٥
الأردن	٥٠,٩	٤٩,١	شرقي أفريقيا	٤٩,١	٥٠,٩
غربي آسيا	٥١,٢	٤٨,٨	جيبوتي	٥١,٠	٤٩,٠
تركيا	٥٠,٦	٤٩,٤	الصومال	٤٩,٠	٥١,٠
إيران	٥١,٩	٤٨,١	تنزانيا	٤٨,٨	٥١,٢
أفغانستان	٥١,٠	٤٩,٠	جزر القمر	٤٩,٠	٥١,٠
شبه القارة الهندية	٥٢,٤	٤٧,٦	أريتريا	٥١,٠	٤٩,٠
باكستان	٥٢,٩	٤٧,١	الصحراء الكبرى	٤٩,٤	٥٠,٦
بنجلاديش	٥١,٩	٤٨,١	تشاد	٥١,٠	٤٩,٠
المالديف	٥٢,٤	٤٧,٦	النيجر	٤٩,٠	٥١,٠

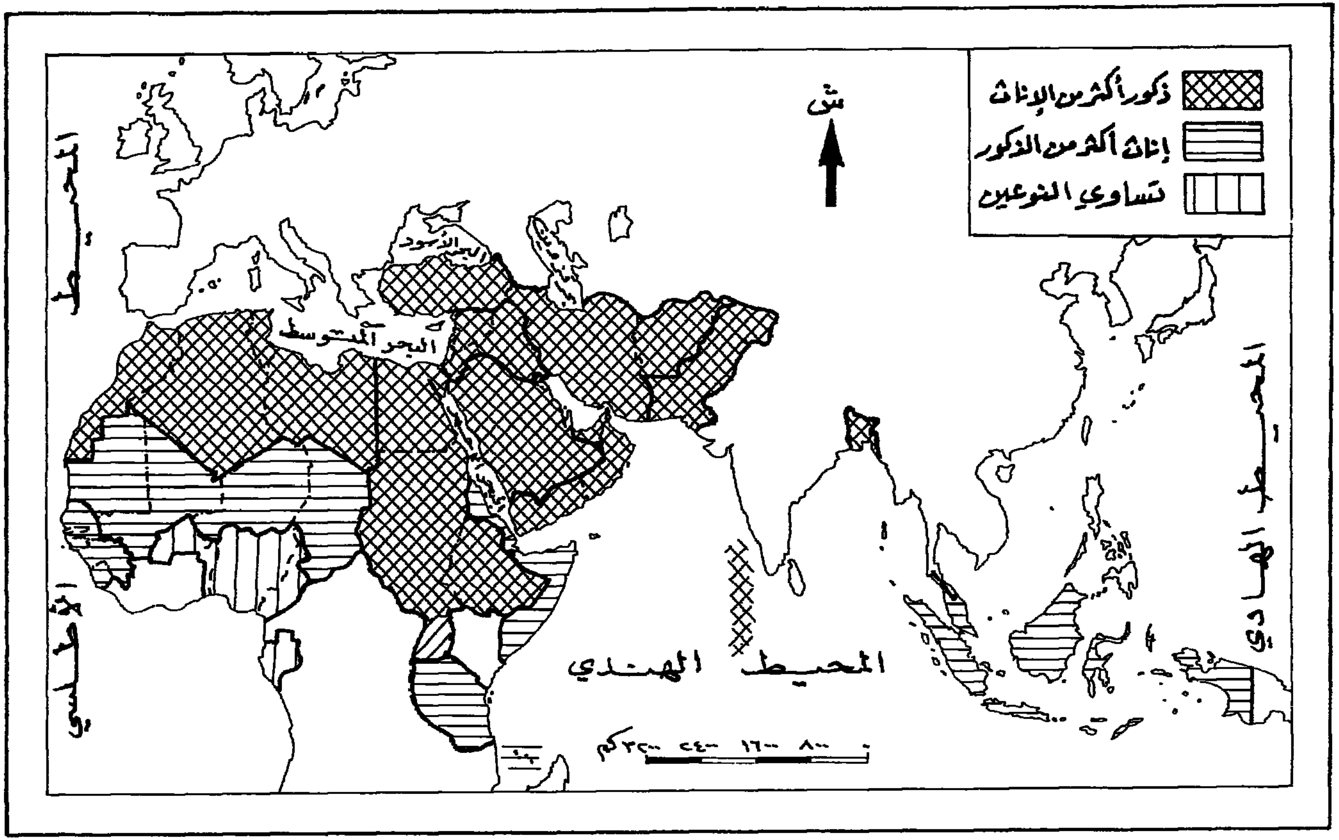
«تابع » جدول رقم (١٦)

الإقليم/ الدولة	نسبة الذكور (٪)	نسبة الإناث (٪)	الإقليم/ الدولة	نسبة الذكور (٪)	نسبة الإناث (٪)
مالي	٤٩,٠	٥١,٠	عربي أفريقيا «ب»	٥٠	٥٠
موريتانيا	٤٨,٥	٥١,٥	بنين	٤٨,٠	٥٢,٠
عربي أفريقيا «أ»	٤٩,٨	٥٠,٢	نيجيريا	٥٠,٥	٤٩,٠
السنغال	٥١,٠	٤٩,٠	الكمرون	٤٩,٠	٥١,٠
غامبيا	٥١,٠	٤٩,٠	بوركينا فاسو	٤٨,٠	٥٢,٠
غينيابيساو	٥٤,٠	٤٦,٠	الجابون	٤٨,٠	٥٢,٠
سيراليون	٤٩,٠	٥١,٠	العالم الإسلامي	٥٠,١	٤٩,٩
ليبيا	٤٨,٠	٥٢,٠	العالم	٥١,٢٢	٤٨,٧٨

١ - الجدول من إعداد الباحث بناء على:-

أ-THE EUROPA YEARBOOK, 1988,(1988), A WORLD SURVEY, DIFFERENT PAGES

ب ـ المطري، (١٩٨٤م)، سكان العالم الإسلامي، جدول رقم (٤٥)، ص، ٣٩٣.



شكل (١٠) أنماط التركيب النوعي للسكان في أقاليم العالم الإسلامي

ويتأثر التركيب العمري بالوفيات، والخصوبة، والهجرة، والظروف الاجتماعية والاقتصادية (Clarke,1976- B,P.46) .

وفي بعض دول العالم الإسلامي لايسجل العمر في البيانات الإحصائية بسبب الجهل أو الإهمال أو سوء التمثيل، ففي سير اليون لايعرف معظم السكان- خاصة الريفيين- تاريخ ميلادهم، وتكون الإحصاءات مجرد تخمينات. (Clarke,1976- A,p.60) .

ويقسم السكان إلى ثلاث فئات: الأطفال (-١٥سنة)، ومتوسطي السن (١٥-٦٤ سنة)، وكبار السن (٦٥سنة فأكثر) (Peterson, 1975, P.71) وذلك على النحو التالي:-

أ- الأطفال (الصغار أقل من ١٥سنة):-

يتصف العالم الإسلامي بارتفاع نسبة الأطفال (أقل من ١٥ سنة) إلى ٤٢٪ من جملة سكانه، بزيادة ١٠٪ عن معدل العالم، و٢٢٪ عن معدل المناطق الأكثر تقدما، وبنقص قدره ٢٪ عن المناطق الأقل تقدما. وتزيد هذه النسبة إلى ٤٣,٥٪ بالشطر الأفريقي مقابل ٣٩,٥٪ في الشطر الآسيوي. كما تزيد نسبة الأطفال في كل الأقاليم الإسلامية عن معدل العالم فتبلغ ٤٦٪ في إقليم شرقي أفريقيا وغربي أفريقيا "ب" والصحراء الكبرى، وتكون ٤٥٪ في إقليم غربي أفريقيا "أ"، و ٤٣٪ في حوض النيل، و٣٩٪ في غربي آسيا، وتبلغ ٣٦٪ في إقليم شبه الجزيرة العربية " ب "، بينما تبلغ ٤٢٪ في إقليمي الهلال الخصيب وشبه القارة الهندية و ٣٨٪ في إقليم شمالي أفريقيا، و٤١٪ في إقليم الجزيرة العربية "أ"، بينما تكون ٣٣٪ في إقليم جنوب شرقي آسيا، كما يظهر من الجدول السابقه رقم (١٦).

وتختلف نسبة الأطفال في الدول الإسلامية على النحو التالي :-

١- الدول التي تزيد نسبة أطفالها عن معدل العالم . . وتشمل ٤٤ دولة إسلامية أو تسعة أعشار إجماليها (٩٢٪)، وهي: أوغندا- جزر القمر (٤٩٪)، سوريا- النيجر (٤٨٪)، المالديف- الصومال- مالي- غينيا- بنين (٤٧٪)، أثيوبيا- تنزانيا- نيجيريا (٤٦٪)، ليبيا- السنغال- بوركينا فاسو (٤٥٪)، العراق- إيران- باكستان- السودان- أريتريا- سيراليون- الكمرون (٤٤٪)، الأردن- تشاد- موريتانيا (٤٣٪)، السعودية- جيبوتي- غينيا بيساو (٤٢٪)، أفغانستان- عامبيا (٤١٪)، الكويت- بنجلاديش (٤٠٪)، الجزائر- الجابون (٣٩٪)، ماليزيا- مصر (٣٨٪)، عُمان- اليمن- المغرب (٣٧٪)، تونس (٣٦٪)، لبنان- تركيا- بروناي (٣٤٪)، أندونيسيا (٣٣٪).

٢- الدول التي تتعادل نسبتها مع العالم . . أى ٣٢٪، وتشمل واحد هي البحرين.

٣- الدول التي تقل نسبتها عن العالم . . وتضم ثلاثة دول هي: قطر (٢٨٪) والإمارات (٣١٪) بسبب زيادة نسبة الأجانب غير المصحوبين بأسرهم، وفلسطين (٢٩٪).

وقد تبين وجود علاقة ارتباط موجبة شبه متكاملة بين نسبة الأطفال ومعدل الدخل الفردي في أقاليم العالم الإسلامي، حيث يبلغ معامل الارتباط بينهما (٩٩ , ٠)، بمعنى أنه كلما زاد الدخل الفردي انخفضت نسبة الأطفال، والعكس صحيح.

وقد حدثت تغيرات واضحة في نسبة الأطفال بالعالم الإسلامي خلال الفترة ١٩٧٩- ١٩٩٤م، إذ انخفضت هذه النسبة بمعدل ٢٪ في العالم الإسلامي وبمعدل ٣,٦٪ في الشطر الآسيوي، وبمعدل ٤ ,٠٪ في الشطر الأفريقي، بينما اختلفت الأقاليم الإسلامية على النحو التالي الذي يبينه الجدول رقم (١٧) والشكل رقم (١١):-

١- أقاليم انخفضت نسبة أطفالها، وعددها سبعة هي: جنوب شرقي آسيا (١١٪)، وشمالي أفريقيا (-٩٪)، وإقليم شبه الجزيرة العربية "أ" (٠,٤٪)، وإقليم الهلال الخصيب (-٣٪)، وإقليم غربي آسيا (-٤٪). وشبه الجزيرة العربية "ب" (-١٠٪) وجنوب شرقي آسيا (-١١٪).

٢- أقاليم زادت نسبة أطفالها، وتضم ثلاثة هي: شرقي أفريقيا والصحراء الكبرى (+١٪)، وإقليم غربي أفريقيا "أ" (+٢٪).

٣- أقاليم ظلت نسبة أطفالها ثابته، وهما إقليمان: حوض النيل (٤٣٪)، وإقليم غربي أفريقيا "ب" (٤٦٪).

ب- متوسط السن (١٥-٦٤ سنة):-

وتعرف بأسماء عدة منها: البالغون، والمنتجون نظريا، وقوة العمل النظرية أي الفئة القادرة على الكسب والعمل سواء كانت تعمل فعلا أو لاتعمل بسبب العجز أو لأسباب أخرى.

بلغت نسبة هذه الفئة في العالم الإسلامي ٥٥٪ من جملة السكان عام ١٩٩٤م بنقص قدره ٧٪ عن العالم و١٢٪ عن المناطق الأكثر تقدما، وبزيادة ٢٪ عن المناطق الأقل تقدما. كانت هذه النسبة ٥٧٪ في الشطر الآسيوي مقابل ٥٣٪ في الشطر الأفريقي، كما بلغت ٥٦٪ في إقليم شبه الجزيرة العربية (أ)، و٦٣٪ في إقليم جنوب شرقي آسيا، و٥٨٪ في إقليم شمالي أفريقيا، و٥٣٪ في أقليم شبه الجزيرة العربية "ب"، و٥٤٪ في حوض النيل والهلال الخصيب، و٥٢٪ في أقليم غربي أفريقيا (أ)، و٥٥٪ في شبه القارة الهندية، و٥١٪ في أقاليم شرقي أفريقيا والصحراء الكبرى وغربي أفريقيا (ب)، و٥٦٪ في غربي آسيا، وذلك كما يظهر من الجدول (١٨) و الشكل رقم (١٢):-

جدول رقم (١٧) نسبة السكان أقل من ١٥ سنة (الأطفال) بين سكان العالم الإسلامي (٪) (١)

الإقليم/ الدولة	١٩٧٩م (أ)	١٩٩٤م (ب)	التغير (جـ)	الإقليم/ الدولة	١٩٧٩م (أ)	١٩٩٤م (ب)	التغير (جـ)
شبه الجزيرة العربية«أ»	٤٥	٤١	- ٤	جنوب شرقي آسيا	٤٤	٣٣	- ١١
السعودية	٤٥	٤٢	- ٣	ماليزيا	٤١	٣٨	- ٣
الكويت	٤٤	٤٠	- ٤	بروناي	٤٣	٤٤	+ ١
قطر	٤٥	٢٨	- ١٧	إندونيسيا	٤٤	٣٣	- ١١
البحرين	٤٤	٣٢	- ١٢	حوض النيل	٤٣	٤٣	٠
شبه الجزيرة العربية«ب»	٤٦	٣٦	- ١٠	السودان	٤٤	٤٤	٠
الإمارات	٣٤	٣١	- ٣	أثيوبيا	٤٥	٤٦	+ ١
عمان	٤٥	٣٧	+ ٢	أوغندا	٤٥	٤٩	+ ٤
اليمن	٤٧	٣٧	- ١٠	مصر	٤١	٣٨	- ٣
الهلال الخصيب	٤٦	٤٣	- ٣	شمالي أفريقيا	٤٧	٣٨	- ٩
العراق	٤٨	٤٤	- ٤	ليبيا	٤٩	٤٥	- ٤
فلسطين	٣٣	٢٩	- ٤٤	تونس	٤٥	٣٦	- ٩
لبنان	٤٢	٣٤	- ٨	الجزائر	٤٨	٣٩	- ٩
سوريا	٤٩	٤٨	- ١	المغرب	٤٦	٣٧	- ٩
الأردن	٤٧	٤٣	- ٤	شرقي أفريقيا	٤٥	٤٦	+ ١
غربي آسيا	٤٣	٣٩	- ٤	جيبوتي	٤١	٤٢	+ ١
تركيا	٤٠	٣٤	- ٦	الصومال	٤٥	٤٧	+ ٢
إيران	٤٥	٤٤	- ١	تنزانيا	٤٥	٤٦	+ ١
أفغانستان	٤٤	٤١	- ٣	جزر القمر	٤٤	٤٩	+ ٥
شبه القارة الهندية	٤٤	٤٢	- ٢	أريتريا	٤٤	٤٤	٠
باكستان	٤٦	٤٤	- ٢	الصحراء الكبرى	٤٥	٤٦	+ ١
بنجلاديش	٤٣	٤٠	- ٣	تشاد	٤٢	٤٣	+ ١
المالديف	٤٤	٤٧	+ ٣	النيجر	٤٦	٤٨	+ ٢

تابع جدول رقم (١٧)

الإقليم/ الدولة	١٩٧٩م (أ)	١٩٩٤م (ب)	التغير (جـ)	الإقليم/ الدولة	١٩٧٩م (أ)	١٩٩٤م (ب)	التغير (جـ)
مالي	٤٨	٤٧	١ -	عربي أفريقيا «ب»	٤٦	٤٦	٠
موريتانيا	٤٢	٤٣	١ +	بنين	٤٦	٤٧	١ +
عربي أفريقيا «أ»	٤٣	٤٥	٢ +	نيجيريا	٤٧	٤٦	١ -
السنغال	٤٤	٤٥	١ +	الكمرون	٤١	٤٤	٣ +
غامبيا	٤٢	٤١	١ -	بوركينا فاسو	٤٤	٤٥	١ +
غينيابيساو	٣٧	٤٢	٥ +	الجابون	٣٧	٣٩	٢ +
سيراليون	٤٣	٤٤	١ +	العالم الإسلامي	٤٤	٤٢	٢ -
غينيا	٤٣	٤٧	٤ +	العالم	٣٦	٣٢	٤ -
				المناطق الأكثر تقدما	٢٥	٢٠	٥ -
				المناطق الأقل تقدما	٤٠	٤٤	٤ +

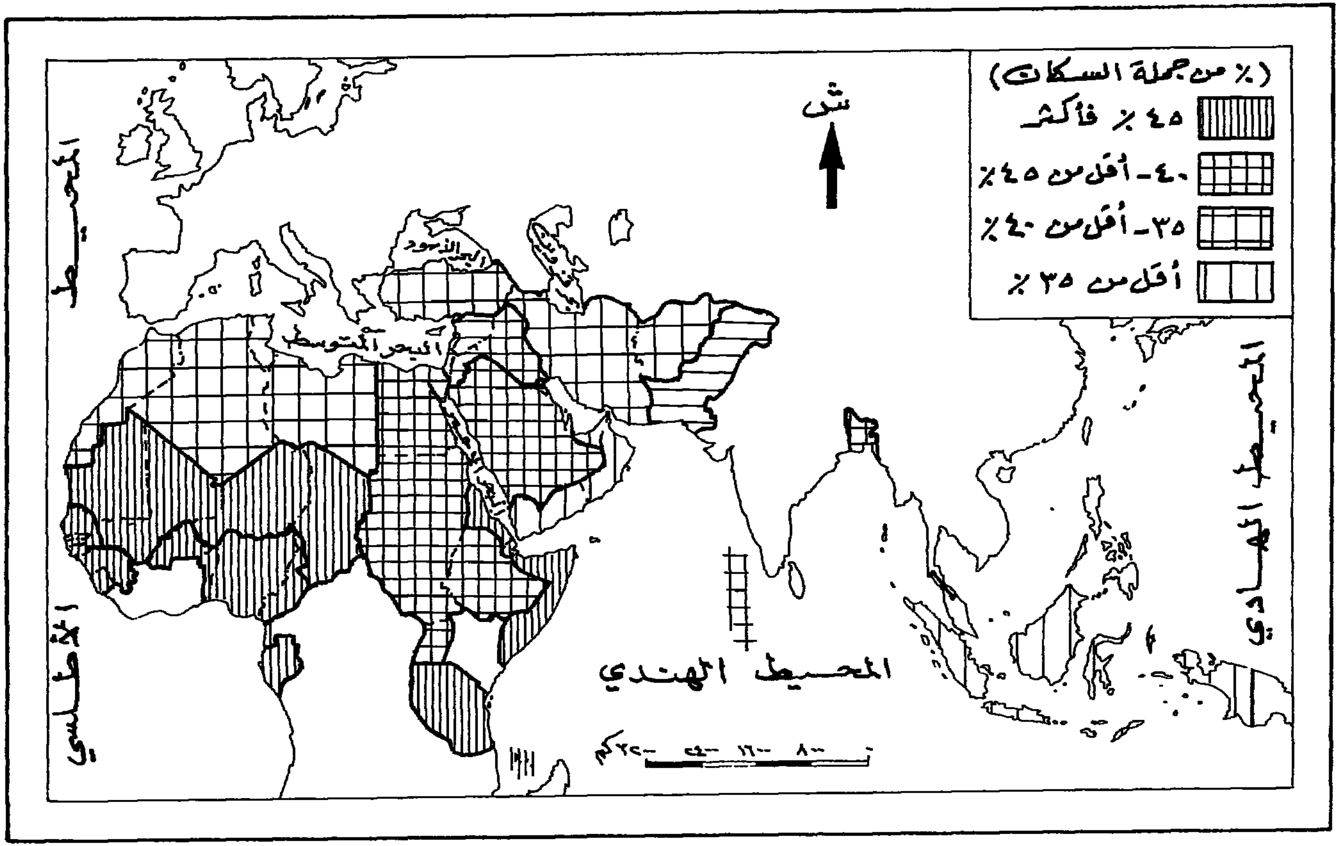
١ - الجدول من إعداد الباحث بناء على:-

أ - THE POPULATION REFERANCE BUREAU, (1979)

.

ب - U. N., (1994), WORLD POPULATION.

جـ - من حساب الباحث.



شكل (١١) نسبة السكان أقل من ١٥ سنة (الأطفال) في أقاليم العالم الإسلامي (١٩٩٤م)

وتختلف نسبة متوسطي السن في الدول الإسلامية على النحو التالي:-

١- دول ذات نسبة مرتفعة جدا، تزيد فيها النسبة عن ثلثي إجمالي السكان، وهي قطر (٧١٪)، الإمارات (٦٧٪)، بسبب ارتفاع نسبة الأجانب وانخفاض نسبة الأطفال.

٢- دول مرتفعة النسبة. . (٦٠- ٦٥٪)، وتضم سبع دول هي البحرين (٦٥)، بروناي - أندونيسيا (٦٣٪)، فلسطين (٦٢٪)، لبنان - تركيا (٦١٪) تونس (٦٠٪).

٣- دول متوسط النسبة (٥٥- ٥٩٪)، وتضم إحدى عشرة دولة هي: الجزائر (٥٩٪)، مصر- ماليزيا- الكويت (٥٨٪)، المغرب- بنجلاديش (٥٧٪)، أفغانستان- غامبيا (٥٦٪)، السعودية- الجابون- جيبوتي (٥٥٪).

٤- دول منخفضة النسبة (٥٠- ٥٤٪)، وتضم ٢٥ دولة هي: غينيا بيساو- الأردن- موريتانيا (٥٤٪)، سير اليون- تشاد- أريتريا- السودان- باكستان- العراق (٥٣٪)، إيران، ليبيا، السنغال، بوركينافاسو، الكمرون (٥٢٪) تنزانيا- نيجيريا اليمن، أثيوبيا (٥١٪)، عمان- المالديف- الصومال- النيجر- مالي- بنين- غينيا (٥٠٪).

٥- دول منخفضة النسبة جدا، وهي سوريا- أوغندا جزر القمر (٤٩٪).

وقد تبين وجود علاقة ارتباط موجبه قوية بين الدخل الفردي ونسبة متوسطي السن إذ يبلغ معامل الارتباط بينهما (٠,٨٤)، يعني أنه كلما زاد الدخل الفردي زادت نسبة متوسطي السن بدرجة قوية، والعكس صحيح.

وقد حدث تغير واضح في نسبة متوسطي السن في العالم الإسلامي ودوله وأقاليمه المختلفة خلال الفترة من ١٩٧٩- ١٩٩٤م. فقد زادت هذه النسبة ٤٪ في العالم الإسلامي وبالشطر الآسيوي مقابل ١٪ بالشطر الأفريقي، بينما اختلف التغير في الأقاليم والدول الإسلامية على النحو التالي:-

جدول رقم (١٨) نسبة متوسطي السن في العالم الإسلامي (١)

الإقليم/ الدولة	١٩٧٩م (أ)	١٩٩٤م (ب)	التغير (جـ)	الإقليم/ الدولة	١٩٧٩م (أ)	١٩٩٤م (ب)	التغير (جـ)
شبه الجزيرة العربية«أ»	٥٢	٥٦	+ ٤	جنوب شرقي آسيا	٥٤	٦٣	+ ٩
السعودية	٥٢	٥٥	+ ٣	ماليزيا	٥٦	٥٨	+ ٢
الكويت	٥٤	٥٨	+ ٤	بروناي	٥٤	٦٣	+ ٩
قطر	٥٢	٧١	+ ١٩	إندونيسيا	٥٤	٦٣	+ ٩
البحرين	٥٣	٦٥	+ ١٢	حوض النيل	٥٤	٥٤	٠
شبه الجزيرة	٥١	٥٣	+ ٢	السودان	٥٣	٥٣	٠
العربية«ب»	٦٣	٦٧	+ ٤	أثيوبيا	٥٢	٥١	- ١
الإمارات	٥٢	٥٠	- ٢	أوغندا	٥٢	٤٩	- ٣
عمان	٥٠	٥١	+ ١	مصر	٥٦	٥٨	+ ٢
اليمن	٥٢	٥٤	+ ٢	شمالي أفريقيا	٥٠	٥٨	+ ٨
الهلال الخصيب	٤٩	٥٣	+ ٤	ليبيا	٤٧	٥٢	+ ٥
العراق	٦٤	٦٢	- ٢	تونس	٥١	٦٠	+ ٩
فلسطين	٥٣	٦١	+ ٨	الجزائر	٤٨	٥٩	+ ١١
لبنان	٥٠	٤٩	- ١	المغرب	٥٢	٥٧	+ ٥
سوريا	٥٠	٥٤	+ ٤	شرقي أفريقيا	٥٢	٥١	- ١
الأردن	٥٥	٥٦	+ ١	جيبوتي	٥١	٥٥	+ ٤
عربي آسيا	٥٩	٦١	+ ٢	الصومال	٥٣	٥٠	- ٣
تركيا	٥٢	٥٢	٠	تنزانيا	٥٢	٥١	- ١
إيران	٥٣	٥٦	+ ٣	جزر القمر	٥٣	٤٩	- ٤
أفغانستان	٥٣	٥٥	+ ٢	أريتريا	٥٢	٥٣	+ ١
شبه القارة الهندية	٥١	٥٣	+ ٢	الصحراء الكبرى	٥١	٥١	٠
باكستان	٥٤	٥٧	+ ٣	تشاد	٥٥	٥٣	- ٢
بنجلاديش	٥٤	٥٠	- ٤	النيجر	٥١	٥٠	- ١

تابع جدول رقم (١٨)

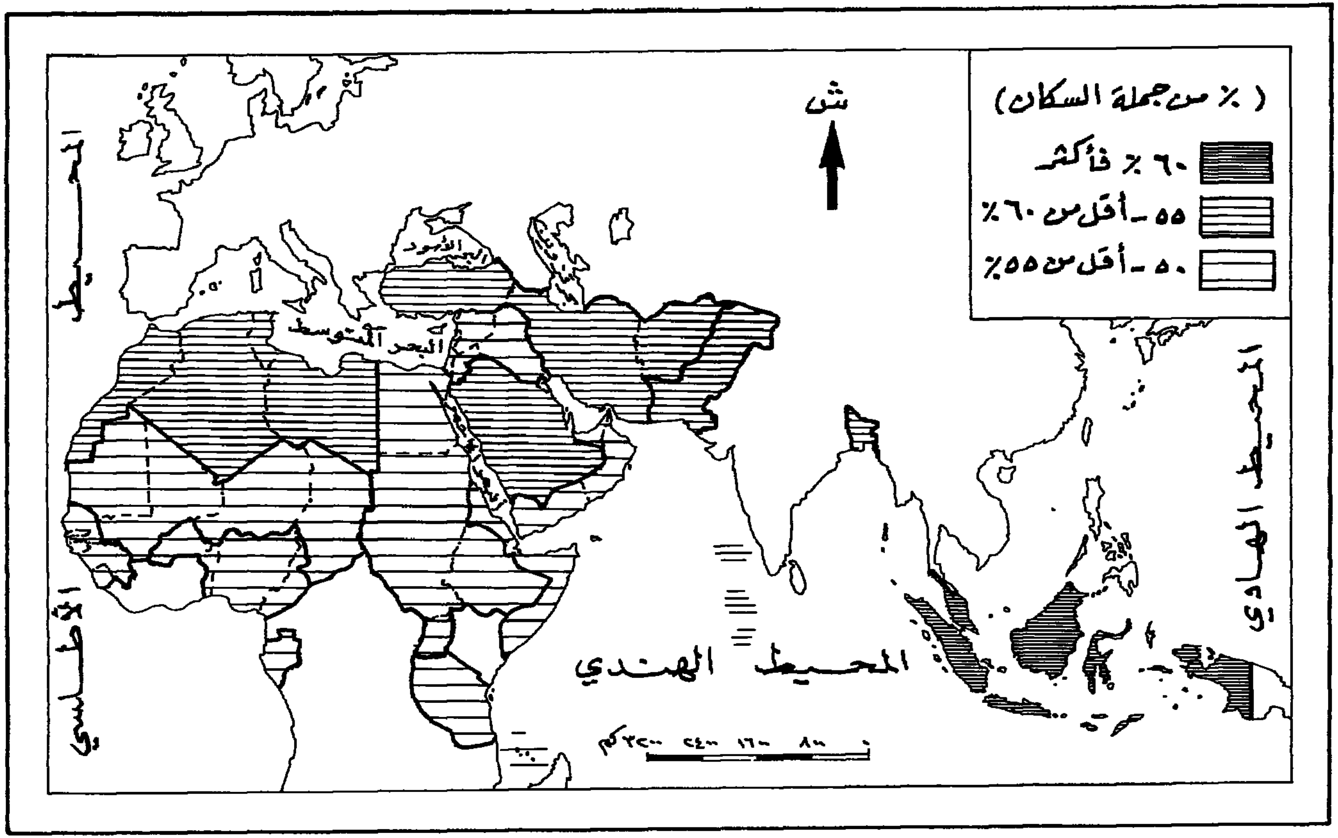
الإقليم/ الدولة	١٩٧٩م (أ)	١٩٩٤م (ب)	التغير (جـ)
مالي	٤٨	٥٠	+٢
موريتانيا	٥٣	٥٤	+١
غربى أفريقيا «أ»	٥٣	٥٢	-١
السنغال	٥٣	٥٢	-١
غامبيا	٥٦	٦٥	٠
غينيابيساو	٦٠	٥٤	-٦
سيراليون	٥٣	٥٣	٠
غينيا	٥٣	٥٠	-٣
غربى أفريقيا «ب»	٥١	٥١	٠
بنين	٥٠	٥٠	٠
نيجيريا	٥١	٥١	٠
الكمرون	٥٥	٥٢	-٣
بوركينا فاسو	٥٣	٥٢	-١
الجابون	٥٨	٥٥	-٣
العالم الإسلامي	٥٨	٦٢	+٤
العالم	٥٣	٥٥	+٢
المناطق الأكثر تقدما	٧٢	٦٧	-٥
المناطق الأقل تقدما	٥٦	٥٣	-٣

١ - الجدول من إعداد الباحث بناء على:-

أ - THE POPULATION REFERANCE BUREAU, (1979)

ب - U. N., (1994), WORLD POPULATION.

جـ - من حساب الباحث.



شكل (١٢) نسبة متوسطي السن في أقاليم العالم الإسلامي (١٩٩٤م)

١- الأقاليم والدول التي زادت نسبة متوسطي السن فيها، وتضم سبعة أقاليم هي: شبه الجزيرة العربية (أ) (+٤٪)، شمالي أفريقيا (+٨٪)، جنوب شرقي آسيا (+٩٪)، الهلال الخصيب وشبه الجزيرة (ب) وشبه القارة الهندية (+٢٪)، وغربي آسيا (+١٪). وإلى هذا النمط تنتمي ٢٥ دولة إسلامية.

٢- الأقاليم والدول التي انخفضت نسبة متوسطي السن فيها، وتضم إقليمين هما: غربي أفريقيا (أ)، وشرقي أفريقيا (-١٪). وإلى هذا النمط تنتمي ١٦ دولة.

٣- الأقاليم والدول التي ظلت نسبتها ثابتة وتضم ثلاثة أقاليم هي: الصحراء الكبرى وغربي أفريقيا (ب) (٥١٪) وحوض النيل (٥٤٪) وتضم ست دول:

جـ- كبار السن: (٦٥ سنة فأكثر) :--

وتعرف أيضا باسم الشيوخ أو الكهول، وتعكس الظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية للسكان ومستوى معيشتهم، فارتفاع نسبتها يشير إلى ارتفاع مستوى المعيشة وتحسن ظروف العمل والصحة وقلة الجهد المبذول من جانب متوسطي السن للحصول على العيش قبل هذه المرحلة السنية، والعكس صحيح.

ويتميز العالم الإسلامي بانخفاض هذه النسبة إذ تبلغ ٣٪ من جملة السكان وهي نصف معدل العالم وتقل عن ربع معدل المناطق الأكثر تقدما، وتعادل مثيلتها في المناطق الأقل تقدما. وتتساوى هذه النسبة في الشطرين الآسيوي والأفريقي، بينما تبلغ ٣٪ في إقليم الهلال الخصيب، وشبه الجزيرة (أ)، وشبه القارة الهندية، وحوض النيل وشرقي أفريقيا وغربي أفريقيا (أ) وغربي أفريقيا (ب) والصحراء الكبرى، وترتفع إلى ١١٪ في إقليم شبه الجزيرة العربية (ب)، وإلى ٥٪ غربي آسياه و٤٪ في شمالي أفريقيا وجنوب شرقي آسيا.

وتختلف نسبة كبار السن من دولة إلى أخرى على النحو التالي (جدول رقم ١٩):-

١- الدول المرتفعة النسبة. . (٦٪ فأكثر)، وهي فلسطين (٩٪)، والجابون (٦٪)، وذلك لانخفاض نسبة الأطفال.

٢- الدول المتوسطة النسبة (٤-٥٪)، وتضم ١٢دولة هي: تركيا - لبنان (٥٪)، إيران- ماليزيا- أندونيسيا- مصر- تونس- الجزائر- المغرب- تشاد- غينيابيساو- الكمرون (٤٪).

٣- الدول المنخفضة النسبة (٣٪)، وتضم ٢٤ دولة هي: قطر (١٪)، الكويت- الإمارات- اليمن- أو غندا- جزر القمر- النيجر (٢٪) السعودية- البحرين- عُمان- العراق- سوريا- الأردن- باكستان- أفغانستان- بنجلاديش- المالديف- بروناي- السودان- أثيوبيا- سير اليون- غينيا- بنين- نيجريا- بوركينا فاسو (٣٪).

ويرجع انخفاض نسبة كبار السن بين سكان العالم الإسلامي بعامة إلى عدة أسباب أهمها ارتفاع نسبة صغار السن، وإلى جانب أسباب أخرى منها: انتشار الأمراض، وأخطار العمل التي تودي بحياة الكثيرين من متوسطي السن قبل بلوغهم مرحلة كبار السن، والحروب القبلية والدولية في كثير من أرجاء العالم الإسلامي.

وموجات القحط التي تتعرض لها بعض الدول الإسلامية ولايستطيع كبار السن خاصة أن يتحملوها فتودي بحياتهم (المطري، ١٩٨٤م ص٤٠٩).

جدول رقم (١٩) نسبة كبار السن في العالم الإسلامي (١)

الإقليم/ الدولة	١٩٧٩م (أ)	١٩٩٤م (ب)	التغير (جـ)	الإقليم/ الدولة	١٩٧٩م (أ)	١٩٩٤م (ب)	التغير (جـ)
شبه الجزيرة العربية«أ»	٣	٣	٠	جنوب شرقي آسيا	٢	٤	+ ٢
السعودية	٣	٣	٠	ماليزيا	٣	٤	+ ١
الكويت	٢	٢	٠	بروناي	٣	٢	٠
قطر	٣	١	- ٢	إندونيسيا	٢	٤	+ ٢
البحرين	٣	٣	٠	حوض النيل	٣	٣	٠
شبه الجزيرة العربية«ب»	٢	١١	+ ٨	السودان	٣	٣	٠
الإمارات	٣	٢	- ١	أثيوبيا	٣	٣	٠
عمان	٣	٣	٠	أوغندا	٣	٢	- ١
اليمن	٣	٢	- ١	مصر	٣	٤	+ ١
الهلال الخصيب	١	٣	+ ١	شمالي أفريقيا	٣	٤	+ ١
العراق	٣	٣	٠	ليبيا	٤	٣	- ١
فلسطين	٣	٩	+ ٦	تونس	٤	٤	٠
لبنان	٥	٥	٠	الجزائر	٣	٤	+ ١
سوريا	١	٣	+ ٢	المغرب	٢	٤	+ ٢
الأردن	٣	٣	٠	شرقي أفريقيا	٣	٣	٠
غربي آسيا	٢	٥	+ ٣	جيبوتي	٢	٣	+ ١
تركيا	١	٥	+ ٤	الصومال	٢	٣	+ ١
إيران	٢	٤	+ ١	تنزانيا	٣	٣	٠
أفغانستان	٣	٣	٠	جزر القمر	٣	٢	- ١
شبه القارة الهندية	٣	٣	٠	أريتريا	٣	٣	٠
باكستان	٣	٣	٠	الصحراء الكبري	٤	٣	- ١
بنجلاديش	٣	٣	٠	تشاد	٣	٤	+ ١
المالديف	٢	٣	+ ١	النيجر	٣	٢	- ١

تابع جدول رقم (١٩)

الإقليم/ الدولة	١٩٧٩م (أ)	١٩٩٤م (ب)	التغير (جـ)
مالي	٤	٣	-١
موريتانيا	٥	٣	-٢
عربي أفريقيا «أ»	٤	٣	-١
السنغال	٣	٣	٠
غامبيا	٢	٣	+١
غينيابيساو	٣	٤	+١
سيراليون	٣	٣	٠
غينيا	٣	٣	٠
غربي أفريقيا «ب»	٣	٣	٠
سين	٤	٣	-١
نيجيريا	٢	٣	+١
الكمرون	٤	٤	٠
بوركينا فاسو	٣	٣	٠
الجابون	٥	٦	-١
العالم الإسلامي	٣	٣	٠
العالم	٦	٦	٠
المناطق الاكثر تقدما	١٢	١٣	+١
المناطق الأقل تقدما	٤	٣	-١

١ - الجدول من إعداد الباحث بناء على :-

أ - THE POPULATION REFERANCE BUREAU, (1979)

ب - U. N., (1994), WORLD POPULATION.

جـ - من حساب الباحث.

وقد تعرضت نسبة كبار السن بالعالم الإسلامي لتغيرات كبيرة خلال الفترة من ١٩٧٩ إلى ١٩٩٤م على النحو التالي:-

١- الأقاليم والدول التي ارتفعت فيها هذه النسبة، وتشمل إقليم الهلال الخصيب وشمالي أفريقيا (+١٪) وشبه الجزيرة "ب" (٨٪)، غربي آسيا- جنوب شرقي آسيا (+٢٪). وتنتمي إلى هذا النمط ١٦ دولة هي: فلسطين (+٦٪)، تركيا (+٤٪)، سوريا- أندونيسيا- المغرب (+٢٪)، إيران- المالديف- ماليزيا- مصر- الجزائر- جيبوتي- الصومال- تشاد- غامبيا- غينيابيساو- نيجيريا- الجابون (+١٪).

٢- الأقاليم والدول التي انخفضت فيها هذه النسبة، وتضم إقليمي غربي أفريقيا (أ) والصحراء الكبرى (-١٪). وينتمي لهذا النمط عشر دول هي: قطر- موريتانيا (-٢٪)، الإمارات-اليمن أوغندا- ليبيا- جزر القمر- النيجر- مالي- بنين- (-١٪).

٣- الأقاليم والدول التي بقيت فيها هذه النسبة ثابتة، وتشمل بقية الأقاليم والدول الإسلامية.

٤- التركيب الاقتصادي:

تنقسم الأنشطة الاقتصادية للسكان إلى ثلاثة: أولية، وثانوية، وثالثة (Stanford, 1472, P. 90-91). وتختلف نسبة المشتغلين بكل منها بين الدول والمناطق المختلفة، ففي الدول النامية تزيد نسبة المشتغلين بالأنشطة الأولية عن الثلثين إلى أربعة أخماس عدد النشطين اقتصادياً، بينما تنخفض نسبتهم في الدول المتقدمة إلى خُمس السكان النشطين اقتصاديا أو أقل، وتزداد نسبتهم في القطاعات الأخرى (Ibid, P.92). ويرتبط بالأنشطة الأولية انخفاض الدخل الفردي والوطني عادة وتخلف المستوى الاجتماعي والاقتصادي، بينما يرتبط بانخفاض نسبتهم ارتفاع مستوى المعيشة وتقدم الحياة الاقتصادية والاجتماعية عادة.

وكانت الزراعة - ولاتزال- أهم الأنشطة الاقتصادية في العالم الإسلامي فضلا عن أنها تشكل حوالي تسعة أعشار قيمة الصادرات - عدا النفط- .

وقد بلغت نسبة المشتغلين بها ٤٧,١٪ من جملة السكان على مستوى العالم الإسلامي، تنخفض إلى ٣١,٥٪ في الشطر الآسيوي وترتفع إلى ٦٢,٧٪ في الشطر الأفريقي من جملة السكان النشطين اقتصاديا.

وتتباين نسبة المشتغلين بالزراعة والأنشطة الأولية في الأقاليم والدول الإسلامية على النحو التالي (جدول رقم ٢٠ وشكل رقم ١٣):-

١- الأقاليم والدول التي ترتفع فيها نسبة المشتغلين بهذه الحرفة (٥٠٪ فأكثر)، وتضم سبعة أقاليم هي: شرقي أفريقيا (٧٥٪)، الصحراء الكبرئ (٧٦٪)، غربي أفريقيا "أ" (٧٠٪)، غربي أفريقيا "ب" (٦٤٪)، حوض النيل (٥٨٪)، شبه القارة الهندية (٥٦٪). وشبه الجزيرة العربية "ب" (٥٠٪). وينتمي إلى هذا النمط ٢٣ دولة.

٢- الأقاليم والدول متوسطة النسبة (٢٥- أقل من ٥٠٪)، وتضم أربعة أقاليم هي: غربي آسيا (٤٨٪) جنوب شرقي آسيا (٤٤٪)، شبه الجزيرة العربية "أ" (٣١٪) وشمالي أفريقيا (٢٦٪) وينتمي إلى هذا النمط تسع دول.

٣- الأقاليم والدول منخفضة النسبة (أقل من ٢٥٪)، وتضم إقليماً واحدا هو إقليم الهلال الخصيب (١٥٪). وينتمي إلى هذا النمط ١٢ دولة.

وقد حدث انخفاض عام في نسبة المشتغلين بالزراعة في العالم الإسلامي بين عامي ١٩٨٠و ١٩٩٣م مما يشير إلى التقدم الاقتصادي، وبلغ هذا الانخفاض ٧,٧٪ على مستوى العالم الإسلامي كله، و١٤,٥٪ بالسودان، و١٣,٦٪ في تونس، و١٣,٣٪ في تركيا، و١٢,٧٪ في عُمان، و١٢,١٪ في ماليزيا،

جدول رقم (٢٠) نسبة المشتغلين بالزراعة في العالم الإسلامي[١]

(٪من جملة النشطين اقتصاديا)

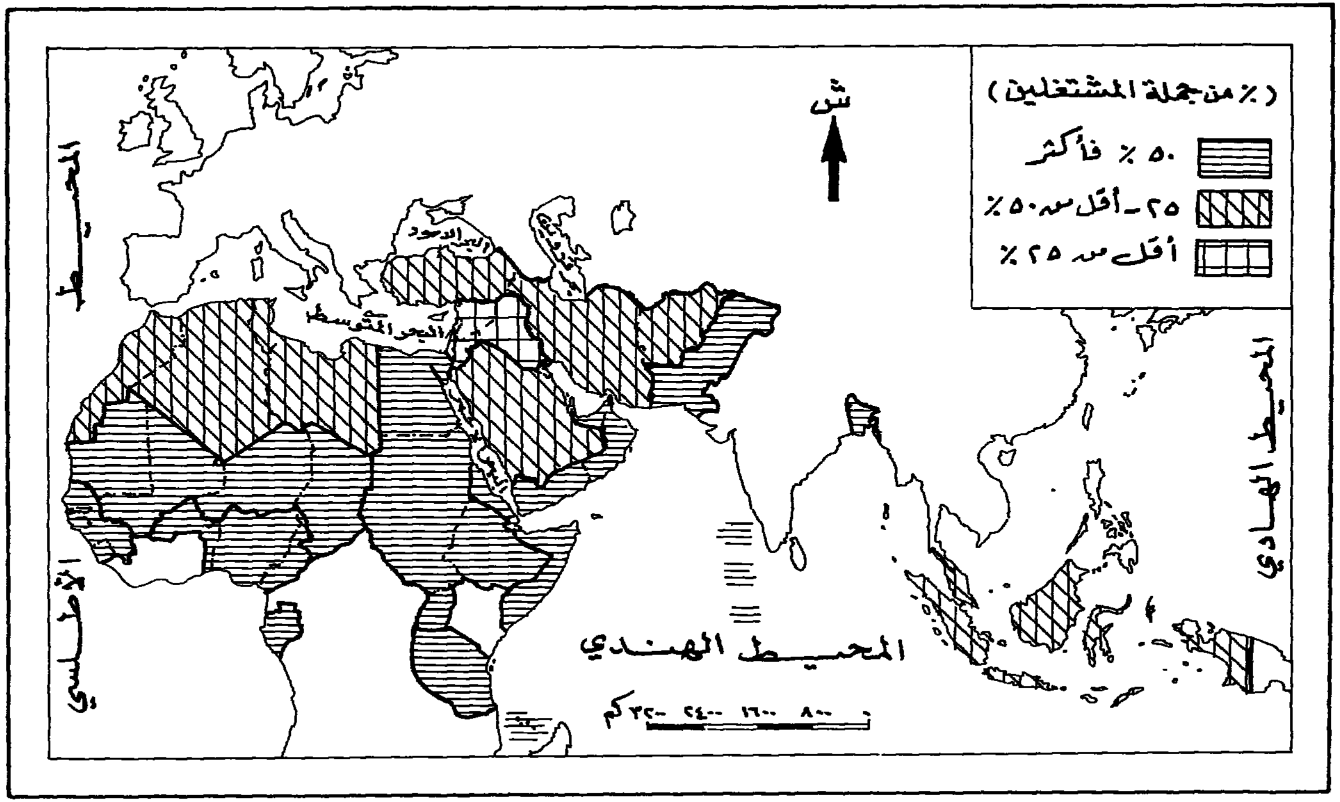
الإقليم/ الدولة	١٩٨٠م (أ)	١٩٩٣م (ب)	التغير (جـ)
شبه الجزيرة العربية«أ»	٤٠	٣١	-٩
السعودية	٤٨,٤	٣٦,٦	-١١,٨
الكويت	١,٩	١,٧	-٠,٢
قطر	٢,٨	١,٨	-٠,١
البحرين	٣,٠	١,٥	-١,٥
شبه الجزيرة العربية«ب»	٥٥,١	٥٠	-٥,١
الإمارات	٤,٦	٢,١	-٢,٥
عمان	٤٩,٩	٣٧,٢	-١٢,٧
اليمن	٦١,٦	٥٣,٧	-٧,٩
الهلال الخصيب	٢٤,٥	١٥	-٩,٥
العراق	٣٠,٤	١٨,٤	-١٢,٠
فلسطين	٦,٢	٣,٨	-٢,٤
لبنان	١٤,٣	٧,٤	-٦,٩
سوريا	٣٢,٤	٢٢,٥	-٩,٩
الأردن	١٠,٢	٤,٩	-٥,٣
غربي آسيا	٥١	٤٨	-٣
تركيا	٥٨,٩	٤٥,٦	-١٣,٣
إيران	٣٦,٤	٢٥,٤	-١١,٠
أفغانستان	٦١,٠	٥٢,٧	-٨,٣
شبه القارة الهندية	٦٥	٥٦	-٩
باكستان	٥٤,٦	٤٨,٢	-٦,٤
بنجلاديش	٧٤,٨	٦٦,٥	-٨,٣
المالديف	٠٠	٠٠	٠٠

الإقليم/ الدولة	١٩٨٠م (أ)	١٩٩٣م (ب)	التغير (جـ)
جنوب شرقي آسيا	٥٦	٤٤	-١٢
ماليزيا	٤١,٦	٢٩,٥	-١٢,١
بروناي	٠٠	٠٠	٠٠
إندونيسيا	٥٧,٢	٤٥,٨	-١١,٤
حوض النيل	٦٦	٥٨	-٨
السودان	٧١,٠	٥٦,٦	-١٤,٥
أثيوبيا	٧٩,٨	٧٢,٨	-٧,٠
أوغندا	٨٥,٩	٧٩,١	-٦,٨
مصر	٤٥,٧	٣٩,٠	-٦,٧
شمالي أفريقيا	٣٧	٢٦	-١١
ليبيا	١٨,٢	١٢,٩	-٥,٣
تونس	٣٥,٠	٢١,٤	-١٣,٦
الجزائر	٣١,١	٢٢,٨	-٨,٣
المغرب	٤٥,٦	٣٤,٠	-١١,٦
شرقي أفريقيا	٨٣	٧٥	-٨
جيبوتي	٠٠	٠٠	٠٠
الصومال	٧٥,٥	٦٨,٤	-٧,١
تنزانيا	٨٥,٦	٧٩,٢	-٦,٤
جزر القمر	٨٢,٩	٧٧,٧	-٥,٢
الصحراء الكبرى	٨٥	٧٦	-٩
تشاد	٨٣,٣	٧١,٥	-١١,٨
النيجر	٩١,١	٨٥,٩	-٥,٢

تابع جدول رقم (٢٠)

الإقليم/ الدولة	١٩٧٩م (أ)	١٩٩٤م (ب)	التغير (جـ)
مالي	٨٥,٥	٧٩,٢	-٦,٣
موريتانيا	٦٩,٣	٦٣,٢	-٦,١
عربي أفريقيا «أ»	٧٨	٧٠	-٨
السنغال	٨٠,٥	٧٧,٧	-٢,٨
غامبيا	٨٤,٠	٨٠,٠	-٤,٠
غينيابيساو	٨٢,٢	٧٧,٤	-٤,٨
سيراليون	٦٩,٦	٦٠,٠	-٩,٦
غينيا	٨٠,٧	٧١,٨	-٨,٩

الإقليم/ الدولة	١٩٧٩م (أ)	١٩٩٤م (ب)	التغير (جـ)
عربي أفريقيا «ب»	٧١	٦٤	-٧
بنين	٧٠,٢	٥٨,٦	-٧,٦
نيجيريا	٦٨,١	٦٣,٧	-٤,٤
الكمرون	٦٩,٨	٥٨,٤	-١١,٤
بوركينا فاسو	٨٦,٧	٨٣,٦	-٣,١
الجابون	٧٥,٤	٦٥,٠	-١٠,٤
العالم الإسلامي	٥٤,٨	٤٧,١	-٧,٧



شكل (١٣) نسبة المشتغلين بالزراعة في أقاليم العالم الإسلامي (١٩٩٣م)

و ١٢٪ في العراق، ١١,٨٪ في السعـودية وتشاد، و١١,٦٪ في المغرب وبنين، و١١,٤٪ في الكمرون وأندونيسيا، و١١٪ في إيران، و١٠,٤٪ في الجابون. بينما تراوحت نسـبة الانخـفاض بين ٥٪ وأقل من ١٠٪ في عشـرين دولة أخرى هي: سوريا- سـيراليون- غينيـا- بنجلاديش- أفغانسـتان- الجزائر- اليمن- الـصومال- أثيوبيا- لبنان- أوغندا- مصر- باكستان- تنزانيـا- مالي- موريتانيا - ليبيا- الأردن- جزر القمر والنيجر. وكان الانخفاض أقل من ٥٪ في تسع دول هي: غينيا بيساو- ونيجيريا- غامبيا- بوركينا فاسو- السنغال- الإمارات- فلسطين- البحرين وقطر.

وقد أوضـحت دراسة علاقـة الارتباط بين الدخل الفـردي ونسبة المشـتغلين بالزراعة في أقاليم العالم الإسلامي أن هناك علاقة ارتبـاط عكسية قوية بينهما حيث يبلغ معامل الارتباط (-٠,٨٧)، بمعنى أنه كلما انخـفض الدخل الفردي ارتفعت نسبة المشتغلين بالزراعة بدرجة قوية، والعكس صحيح.

٥- التركيب الثقافي:

أ- نسبة الأمية:

وتعني عـدم القـدرة علـى القـراءة والكتـابة (Tyewurtha,1972,p.190)، وتسود بين البالـغين، وبلغت نسبتها فـي العالم الإسلامي ٤٩٪ من جملة السكان فوق ١٥ سنة عام ١٩٨٧م وهي نسبة تضع العـالم الإسلامي ضمن النمط منخفض الأميـة الذي تقل فيه النسـبة عن ٥٠٪ من جملة السكان (حـميدة، ١٤٠٠هـ ص ٦٥-٦٦). وتنخفض هذه النسبة إلى ٣١,٥٪ في الشطر الآسيوي، بينما ترتفع إلى ٦٦,٢٪ في الشطر الأفـريقي. أما في الأقـاليم والدول الإسـلاميـة فيـمكن إبراز الأنماط الآتية (جدول رقم ٢١ وشكل رقم ١٤):-

جدول رقم (٢١) نسبة الأمية في العالم الإسلامي (١)

(٪ من جملة السكان ١٥ سنة فأكثر)

الإقليم/ الدولة	١٩٧٩م (أ)	١٩٨٧م (ب)			
		العامة	الذكور	الإناث	التغير (جـ)
شبه الجزيرة العربية«أ»	٦٥,٠	٢٥,٠	١٨,٣	٣٣,١	-٤٠,٠
السعودية	٧٥,٠	٤٨,٩	٢٨,٩	٦٩,٢	-٢٦,١
الكويت	٤٠,٠	١٠,٧	٩,٨	١٢,٥	-٢٩,٣
قطر	-	٢٤,٣	٢٣,٢	٢٧,٥	-
البحرين	٨٠,٠	١٥,٩	١١,٤	٢٣,٠	٦٤,١
شبه الجزيرة العربية«ب»	٨٨,٥	-	-	-	-
الإمارات	-	٢٨,٨	٢٧,٧	٣١,٣	-
عمان	٩٥,٠	-	-	-	-
اليمن	٨٢,٠	-	-	-	-
الهلال الخصيب	٥٥,٠	١٨,١	١٢,٨	٢٥,٢	-٣٦,٩
العراق	٧٥,٠	١٠,٧	٩,٨	١٢,٥	-٦٤,٣
فلسطين	١٠,٠	٠,٥	٠,٤	٠,٦	-٩,٥
لبنان	٩٥,٠	-	-	-	-
سوريا	٥٠,٠	٤٤,٤	٢٦,٤	٦٣,٠	-٥,٦
الأردن	٤٥,٠	١٦,٨	٩,٢	٢٤,٩	-٢٨,٢
غربي آسيا	٨٧,٥	٤٦,٠	٣٥,١	٥٦,٧	-٤١,٥
تركيا	٣٥,٠	٢٠,٨	١٠,١	٣١,٥	-١٤,٢
إيران	٥٠,٠	٣٤,٣	٢٥,٦	٤٣,٦	-١٥,٧
أفغانستان	٩٠,٠	٨١,٨	٦٩,٧	٩٥,٠	-٨,٢
شبه القارة الهندية	٦٤,٠	٥١,٠	٤٤,٦	٥٨,٦	-١٣,٠
باكستان	٧٩,٠	٧٤,٣	٦٤,٦	٨٥,٢	-٤,٧
بنجلاديش	٨٠,٠	٧٠,٨	٦٠,٣	٨٢,٠	-٩,٢
المالديف	٣٤,٠	٨,٧	٨,٨	٨,٥	-٢٥,٣

تابع جدول رقم (٢١)

الإقليم/ الدولة	١٩٧٩م (أ)	١٩٨٧م (ب) العامة	الذكور	الإناث	التغير (جـ)
جنوب شرقي آسيا	٣٥,٠	٢٠,٠	١٣,٢	٢٧,٥	- ١٥,٠
ماليزيا	٣٠,٠	٣٠,٤	٢٠,٤	٤٠,٣	- ٠,٤
بروناي	-	١٢,٢	٧,٥	١٧,٥	-
إندونيسيا	٤٠,٠	١٨,٤	١١,٧	٢٤,٧	- ٢١,٦
حوض النيل	٨٠,٠	٦٠,٠	٤٩,١	٧١,٣	- ٢٠,٠
السودان	٨٥,٠	٦٧,٦	٥٥,٥	٧٩,٠	- ١٧,٤
أثيوبيا	٩٠,٠	٧٥,٧	٦٧,٣	٨٣,٦	- ١٤,٣
أوغندا	٧٥,٠	٤٣,٩	٣١,٨	٥٥,٢	- ٣١,١
مصر	٧٠,٠	٥٤,٢	٤١,٦	٦٧,٢	- ٢٥,٨
شمالي أفريقيا	٨٤,٠	٤٧,٠	٣٣,٠	٦١,٠	- ٣٧,٠
ليبيا	٩٠,٠	٣٩,٩	٢٣,١	٥٧,٧	- ٥٠,١
تونس	٨٤,٠	٤٢,٧	٣٠,٨	٥٤,٨	- ٤١,٣
الجزائر	٨١,٠	٥٠,٤	٣٦,٦	٦٤,٢	- ٣٠,٦
المغرب	٨٠,٠	٥٤,٢	٤١,٦	٦٧,٢	- ٢٥,٨
شرقي أفريقيا	٦٢,٠	٥٣,٠	-	-	- ٩,٠
الصومال	٩٥,٠	-	-	-	-
تنزانيا	٥٠,٠	٥٣,٧	٣٧,٨	٦٨,٦	+ ٣,٧
جزر القمر	٤٠,٠	٥٢,١	٤٤,٠	٦٠,٠	+ ١٢,١
الصحراء الكبرى	٨٨,٥	٨١,٥	-	-	- ٧,٠
تشاد	٨٠,٠	-	-	-	-
النيجر	٨٩,٠	٨٩,١	٨٣,١	٩٤,٦	+ ٠,١
مالي	٩٠,٠	٩٠,٦	٨٦,٥	٩٤,٣	+ ٠,٦
موريتانيا	٩٥,٠	٦٤,٩	٥٣,٩	٧٥,٤	- ٣٠,١

تابع جدول رقم (٢١)

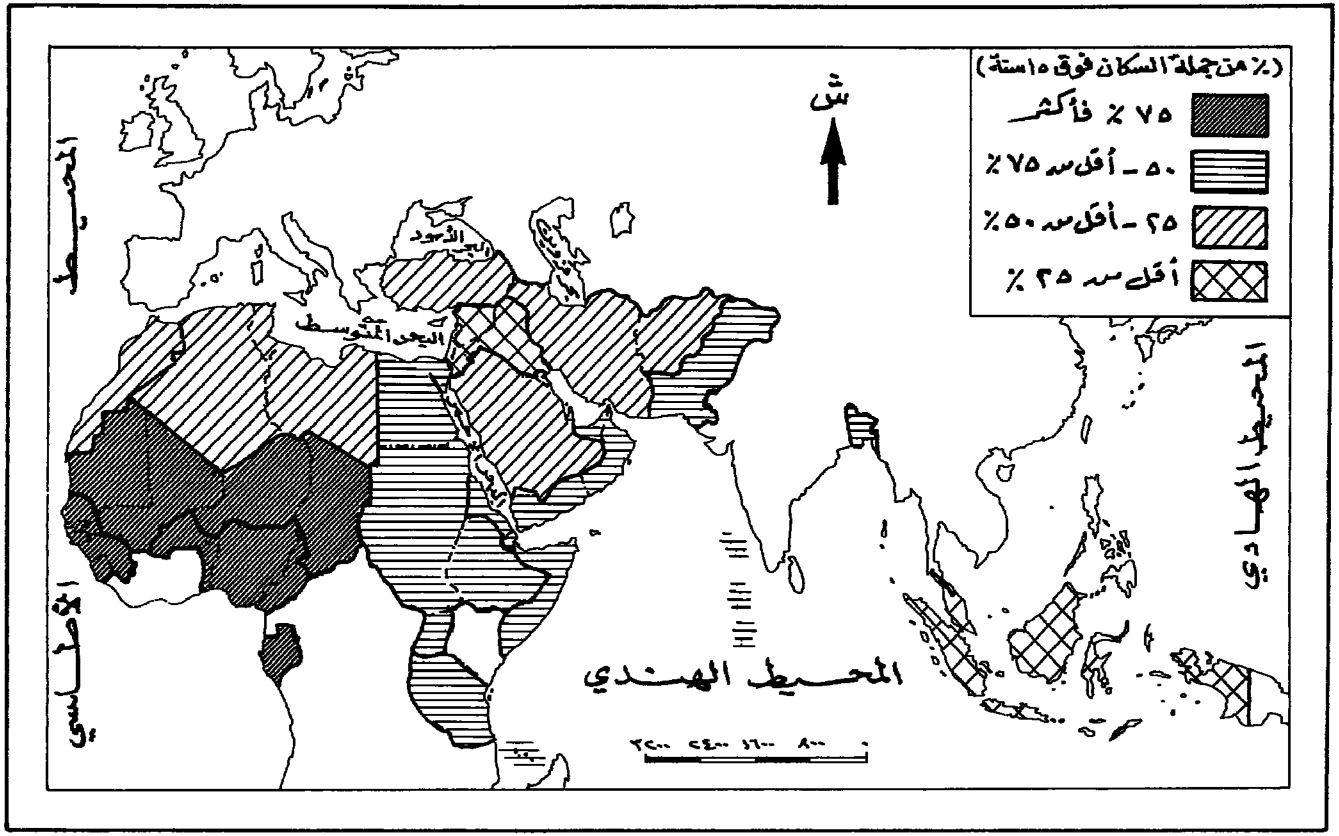
الإقليم/ الدولة	١٩٧٩م (أ)	١٩٨٧م (ب) العامة	الذكور	الإناث	التغير (جـ)
عربي أمريقيا «أ»	٨٩,٠	٧٨,٠	-	-	-١١,٠
السنغال	٨٥,٠	٧٣,١	٦٣,١	٨٢,١	-١١,٩
عامبيا	٨٠,٠	-	-	-	-
غينيابيساو	٩٩,٠	٨٠,٠	٦٦,٧	٩١,٤	-١٩,٠
سيراليون	٩٠,٠	٨٠,٠	-	-	-١٠,٠
غينيا	٧٦,٠	٧٨,٠	-	-	+٢,٠
عربى أمريقيا «ب»	٩٥,٠	٨٣,٥	٧٤,٨	٩٠,٥	-١١,٥
نيجر	٧٥,٠	-	-	-	-
نيجيريا	٨٥,٠	٥٨,٨	٤٥,٤	٧٠,٩	-٢٦,٢
الكمرون					
بوركينا فاسو	٩٥,٠	٩١,٢	٨٥,٣	٩٦,٧	-٣,٨
الجابون	٣٠,٠	-	-	-	-
العالم الإسلامي	٦٠,٠	٤٩,٠	-	-	-١١,٠

١ - الجدول من إعداد الباحث بناء على:-

أ ـ المطري، (١٩٨٤م)، دراسات في سكان العالم الإسلامي، الجدول رقم (٥٢)، ص ص، ٤٢٨ - ٤٢٩.

ب ـ F.A.O.(1994) YEARBOOK, PRODUCTION - 1993, VOL., 47. PP. 19-31.

جـ- من حساب الباحث.



شكل (١٤) نسبة الأمية في أقاليم العالم الإسلامي (١٩٨٧م)

١- النمط المرتفع الأمية جدا (٧٥٪ فأكثر)، ويضم ثلاثة أقاليم هي: الصحراء الكبرى (٨٢٪)، غربي أفريقيا (أ)، غربي أفريقيا (ب) (٧٨٪)،- وينتمي إلى هذا النمط ثماني دول هي: بوركينا فاسو (٩١,٢٪)، مالي (٩٠,٦٪)، النيجر (٨٩,١٪)، بنين (٨٣٪)، أفغانستان (٨١,٨٪) غينيا وغينيا بيساو (٨٠٪)، أثيوبيا (٧٥,٧٪).

٢- النمط المرتفع الأمية (٥٠- أقل من ٧٥٪)، ويضم ثلاثة أقاليم هي: حوض النيل (٦٠٪)، شرقي أفريقيا (٥٣٪)، شبه القارة الهندية (٥١٪)، وينتمي إلى هذا النمط ١١ دولة إسلامية هي: باكستان (٧٤,٣٪)، السنغال (٧٣,١٪)، بنجلاديش (٧٠,٨٪)، السودان (٦٧,٦٪)، موريتانيا (٦٤,٩٪)، الكمرون (٥٨,٨٪)، مصر- المغرب (٥٤,٢٪)، تنزانيا (٥٣,٧٪)، جزر القمر (٥٢,١٪)، الجزائر (٥٠,٤٪).

٢- النمط متوسط الأمية (٢٥- أقل من ٥٠٪)، ويضم أربعة أقاليم هي: شمالي أفريقيا (٤٧٪)، غربي آسيا (٤٦٪)، شبه الجزيرة العربية) (ب) (٢٩٪)، شبه الجزيرة العربية (أ) (٢٥٪). وينتمي إلى هذا النمط ثماني دول هي: السعودية (٤٨,٩٪)، سوريا (٤٤,٤٪)، أوغندا (٤٣,٩٪)، تونس (٤٢,٧٪)، إيران (٣٤,٣٪)، ليبيا (٣٩,٩٪)، ماليزيا (٣٠,٤)، الإمارات (٢٨,٨٪).

٤- النمط منخفض الأمية (أقل من ٢٥٪)، ويضم إقليمين هما: الهلال الخصيب (١٨,١٪) وجنوب شرقي آسيا (٢٠٪). وينتمي إليه عشر دول هي: فلسطين (٥,٠٪)، العــــراق الكويت (١٠,٧٪)، المالديف (٨,٧٪)، بروناي (١٢,٢٪)، البحرين (١٥,٩٪)، الأردن (١٦,٨٪)، أندونيسيا (١٨,٤٪)، تركيا (٢٠,٨٪)، قطر (٢٤,٣٪).

وتزداد نسبة الأمية بين الإناث أكثر منها بين الذكور في العالم الإسلامي. ففي سوريا تزيد نسبة الأميين بنحو ٤,٢ مرة، كما تبلغ نسبة الأميات في تركيا ثلاثة أضعاف نسبة الذكور الأميين، وتبلغ نسبة الأميات في ماليزيا ضعف نسبة الأميين، وتبلغ ٥,٢ ضعف نسبة الأميين في ليبيا، وإن كانت تقل نسبتهن في المالديف عن نسبة الذكور (٥,٨٪ : ٨,٨٪ على التوالي).

وقد حدث انخفاض واضح في نسبة الأمية بالعالم الإسلامي خلال الفترة ١٩٧٩- ١٩٨٧م فقد بلغ الانخفاض ١١٪ بالعالم الإسلامي كله، وتراوحت بين + ٥٠٪ إلى أقل من ١٠٪ في الدول الإسلامية على النحو التالي:-

١- دول شهدت انخفاضا كبيرًا في نسبة الأمية، عددها أربع هي : البحرين (-١,٦٤٪)، العراق (-٣,٦٤٪)، ليبيا (-١, ٥٠٪)، تونس (-٣,٤١٪).

٢- دول شهدت انخفاضًا متوسطا (٣٢٪- ٢٥٪)، وتضم عشرين دولة هي: أوغندا (-١,٣٪)، المغرب- الجزائر (-٦, ٣٠٪)، موريتانيا (-١, ٣٠٪)، الكويت (-٣,٢٩٪)، الأردن (-٢,٢٨٪)، الكمرون (-٢,٢٦٪)، السعودية (-١,٢٦٪)، مصر (-٨,٢٥٪)، المالديف (-٣,٢٥٪)، أندونيسيا (-٦,٢١٪)، غينيا بيساو (-١٩٪)، السودان (-٤,١٧٪)، إيران (-٧,١٠٪)، أثيوبيا (٣,١٤٪)، تركيا (-٢,١٤٪)، جزر القمر (- ١,١٢ ٪)، السنغال (٩,١١٪)، بنين (- ٥,١١٪)، غينيا (-١٠٪).

٣- دول شهدت انخفاضا بسيطا (١٠٪)، وتضم ست دول هي: فلسطين (٥,٩٪)، بنجلاديش (-٢,٩٪)، أفغانستان (-٢,٨٪)، سوريا (-٦,٥٪)، باكستان (-٧,٤٪)، بوركينا فاسو (-٨,٣٪).

وعلى عكس ذلك حدث ارتفاع في نسبة الأمية في بعض الدول مثل ماليزيا (+٤,١٪)، تنزانيا (+٧,٣٪)، وجزر القمر (+١,١٢٪)، والنيجر (١, ٠٪)، ومالي (+٦, ٠٪)، إما بسبب انخفاض التقدير الأول للأمية أو بسبب تدهور الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية.

ويفسر ارتفاع نسبة الأمية في المرحلة الأولى (عام ١٩٧٩م) بآثار الاستعمار الذي حارب التعليم ليسهل عليه قيادة الشعوب المستعمرة، أو لارتفاع رسوم الحصول على التعليم، أولإهمال محو أمية الكبار، أو لنقص الإمكانات المادية والبشرية للسلطات الحاكمة، أو لقلة الدخول الفردية وسيادة الحرف الأولية.

أما انخفاض نسبة الأمية بعد ذلك فيرجع إلى الجهود الضخمة المبذولة من جانب الحكومات لخفض نسبة الأمية ونشر التعليم الأولي سواء بالمجان أو بالإلزام.

ومن دراسة علاقة الارتباط بين الأمية والدخل الفردي تظهر علاقة عكسية قوية بينهما، حيث يبلغ معامل الارتباط (-٧٦,٠)، بمعنى أن قلة الدخل الفردي تؤدي إلى ارتفاع نسبة الأمية، والعكس صحيح.

ب- التعليم الجامعي:

تشير هذه النسبة إلى جانب من التركيز الثقافي للسكان، وتبلغ نسبة طلبة الجامعات في العالم الإسلامي ٦٧٥ طالبا من بين كل ١٠٠,٠٠٠ نسمة من السكان، أو ما يعادل ٦٨,٠٪ من جملة سكان العالم الإسلامي. وترتفع هذه النسبة في الشطر الآسيوي إلى ٩٥٦ طالبا لكل ١٠٠,٠٠٠ نسمة بنسبة ١٪ تقريبا، بينما تنخفض إلى ٣٩٤ طالبا لكل ١٠٠,٠٠٠ نسمة في الشطر الأفريقي. أما في الأقاليم والدول الإسلامية فتتباين هذه النسبة على النحو التالي (جدول رقم ٢٢):-

١- الأقاليم والدول ذات النسبة المرتفعة، وتضم أربعة أقاليم هي: الهلال الخصيب (١٦٤٩ طالبا لكل ١٠٠,٠٠٠ نسمة)، أو طالبين من كل ١٠٠ شخص، وإقاليم شمالي أفريقيا (١٠٩٨ طالبا لكل ١٠٠,٠٠٠ نسمة)، ثم إقاليم غربي آسيا (١١٧٨ لكل ١٠٠,٠٠٠ نسمة)، وإقليم شبه الجزيرة العربية "أ" (١٠٩٥ طالبا لكل ١٠٠,٠٠٠ نسمة). وينتمي إلى هذا النمط ١٦ دولة.

٢- الأقاليم والدول متوسطة النسبة، وتضم إقليماً واحداً هو إقليم حوض النيل (٧٢٥ طالبا لكل ١٠٠,٠٠٠ نسمة). وإلى هذا النمط تنتمي ثلاث دول.

٣- الأقاليم والدول منخفضة النسبة (أقل من ٥٠٠ طالب لكل ١٠٠,٠٠٠ نسمة) وتضم ستة أقاليم هي شرقي أفريقيا (٦٣ طالبا لكل ١٠٠,٠٠٠ نسمة)، الصحراء الكبرى (٨٤ طالبا لكل ١٠٠,٠٠٠ نسمة)، وشبه الجزيرة العربية "ب" (٤٥٢ طالبا ٠٠٠٤ ,١٠٠نسمة)، شبه القارة الهندية (٤٨٧ طالبا لكل ١٠٠,٠٠٠ نسمة) جنوب شرقي آسيا (٢٣٢) طالباً لكل ١٠٠,٠٠٠ نسمة). وتنتمي إلى هذا النمط ٢٢ دولة إسلامية.

وبدراسة علاقة الارتباط بين الدخل الفردي وطلبة الجامعات في أقاليم العالم الإسلامي اتضح وجود علاقة ارتباط موجبة متوسطة بينهما، إذ بلغ معامل الارتباط بينهما (+٧١,)، بمعنى أنه كلما زاد الدخل الفردي زاد عدد طلبة الجامعات بدرجة متوسطة، والعكس صحيح.

جـ- نسبة الإناث بمراحل التعليم المختلفة:

يشير ارتفاع هذه النسبة إلى تقدم المجتمع وانفتاحه وإقباله على تعليم إناثه، والعكس صحيح. وتبلغ هذه النسبة في العالم الإسلامي كله ٣٣٪ من جملة عدد الطلبة والطالبات بالمراحل التعليمية الجامعية، ترتفع في الشطر الآسيوي إلى ٤١,٧٪ بينما تنخفض في الشطر الأفريقي إلى ٢٢,٥٪، وتتباين في الأقاليم والدول الإسلامية علي النحو التالي (جدول رقم ٢٣):-

جدول رقم (٢٢) نسبة طلبة الجامعات بين سكان العالم الإسلامي (١)

(طالب لكل ١٠٠,٠٠٠ نسمة - عام ٩١/ ١٩٩٢م)

الإقليم/ الدولة	النسبة	الإقليم/ الدولة	النسبة	الإقليم/ الدولة	النسبة
شبه الجزيرة العربية «أ»	١٠٩٥ (ب)	شبه القارة الهندية	٤٨٧ (ب)	شرقي أفريقيا	٦٣ (ب)
السعودية	١٠٦٤	باكستان	٢٢٦	الصومال	١٩٥
الكويت	١١٣٥	بنجلاديش	٢٥٩	تنزانيا	٢١
قطر	١٦٠٨	المالديف	١٠٣٢	الصحراء الكبرى	٨٤ (ب)
البحرين	١٤٥٦	جنوب شرقي اسيا	٢٣٢ (ب)	تشاد	٧٠
شبه الجزيرة العربية «ب»	٤٥٢ (ب)	ماليزيا	٦٧٩	النيجر	٦٠
الإمارات	٦٣٧	بروناي	٣٨٢	مالي	٧٣
عمان	٤٦٣	إندونيسيا	٠٠	موريتانيا	٢٨١
اليمن	٤٣٨	حوض النيل	٧٢٥	عربي أفريقيا «أ»	١٨٢
الهلال الخصيب	١٦٤٩ (ب)	السودان	٢٥٨	السنغال	٢٦٦
العراق	١٢٤٠	أثيوبيا	٦٦	سيراليون	١١٤
فلسطين	٢٧٩٠	أوغندا	١١٥	غينيا	١٢٢
لبنان	٣٠٧١	مصر	١٦٩٧	عربي أفريقيا «ب»	٢٩٠
سوريا	١٦٩٥	شمالي أفريقيا	١٠٩٨	بنين	٢٣٥
الأردن	١١٣٥	ليبيا	١٥٤٨	نيجيريا	٣٢٠
عربي اسيا	١١٧٨ (ب)	تونس	١٠٤٥	الكمرون	٢٨٨
تركيا	١٥٦٩	الجزائر	١١٦٣	بوركينا فاسو	٦٠
إيران	١٠٦١	المغرب	٩٥٨	الجابون	٣٦٨
أفغانستان	٢٥٠			العالم الإسلامي	٦٧٥ (ب)

١ - الجدول من إعداد الباحث بناء على:-

أ - U. NESCO., (1994), WORLD POPULATION.

ب - من حساب الباحث.

١- الأقاليم والدول مرتفعة النسبة وفيها تبلغ نسبة الإناث أكثر من ٥٠٪ من جملة الطلبة والطالبات، ولا تضم أي إقليم في العالم الإسلامي لكن هناك سبع دول تنتمي إلى هذا النمط هي: الإمارات (٧٨٪)، قطر (٧١٪)، الكويت (٧٠٪)، بروناي (٥٥٪)، البحرين (٥٤٪)، عُمان (٥٣٪)، فلسطين (٥١٪).

٢- الأقاليم والدول متوسطة النسبة وفيها تتراوح نسبة الإناث بين ثلث ونصف عدد الطلبة والطالبات، وتضم خمسة أقاليم هي: شبه الجزيرة العربية "أ" (٤٩٪)، جنوب شرقي آسيا (٣٣٪)، الهلال الخصيب (٣٧٪)، شمالي أفريقيا (٣٤٪)، غربي آسيا (٣٤٪). وينتمي إلى هذا النمط عشر دول.

٣- الأقاليم والدول منخفضة النسبة وفيها تشكل الإناث أقل من ثلث عدد الطلبة والطالبات، وتضم سبعة آقاليم هي: حوض النيل (٣٨٪)، شبه القارة الهندية (٢٢٪) غربي أفريقيا "ب" (٢٥٪)، شرقي آفريقيا (١٧) وغربي أفريقيا "أ" (١٦)، والصحراء الكبرى (١٣٪) وشبه الجزيرة العربية "ب" (٢١٪). وتنتمي إلى هذا النمط ٢٦ دولة.

وقد اتضح من دراسة علاقة الارتباط بين مستوى التقدم - المعبر عنه بمعدل الدخل الفردي - وبين نسبة الإناث بالجامعات وجود علاقة ارتباط موجبة قوية بينهما في أقاليم العالم الإسلامي، إذ بلغ معامل الارتباط (+٨٨,٠)، بمعنى زيادة نسبة الإناث كلما زاد الدخل الفردي، والعكس صحيح.

أما في التعليم الثانوي فتبلغ نسبة الإناث ٣٩٪، ترتفع في الشطر الآسيوي إلى ٤١٪ بينما تنخفض في الشطر الأفريقي إلى ٣٧٪، وتختلف هذه النسبة في الأقاليم والدول الإسلامية على النحو التالي (جدول رقم ٢٤):-

جدول رقم (٢٣) نسبة الإناث بين طلبة الجامعات في العالم الإسلامي (١) (عام ١٩٩١م)

الإقليم/ الدولة	النسبة	الإقليم/ الدولة	النسبة	الإقليم/ الدولة	النسبة
شبه الجزيرة العربية «أ»	٤٩ (ب)	شبه القارة الهندية	٢٢ (ب)	شرقي أفريقيا	١٧ (ب)
السعودية	٤٦	باكستان	٢٤	الصومال	٢٠
الكويت	٧٠	بنجلاديش	٢٠	تنزانيا	١٦
قطر	٧١	جنوب شرقي آسيا	٣٣ (ب)	إرتيريا	١٦
البحرين	٥٤	ماليزيا	٤٥	الصحراء الكبرى	١٣ (ب)
شبه الجزيرة العربية «ب»	٢١ (ب)	بروناي	٥٥	تشاد	٩
الإمارات	٧٨	إندونيسيا	٣٢	النيجر	١٥
عمان	٥٣	حوض النيل	٢٨ (ب)	مالي	١٤
اليمن	١١	السودان	٤١	موريتانيا	١٤
الهلال الخصيب	٣٧ (ب)	أثيوبيا	١٦	غربي أفريقيا «أ»	١٦ (ب)
العراق	٣٢	أوغندا	٢٥	السنغال	٢٢
فلسطين	٥١	مصر	٣٥	سيراليون	١٩
لبنان	٤٨	شمالي أفريقيا	٣٤ (ب)	غينيا	١٠
سوريا	٣٢	ليبيا	٤٦	غربي أفريقيا «ب»	٢٥ (ب)
الأردن	٤٣	تونس	٤١	بنين	١٥
عربي آسيا	٣٤ (ب)	الجزائر	٣١	نيجيريا	٢٧
تركيا	٣٧	المغرب	٣٢	الكمرون	١٥
إيران	٢٩			بوركينا فاسو	٢٢
أفغانستان	٤٢			الجابون	٢٨
				العالم الإسلامي	٣٣ (ب)

١ - الجدول من إعداد الباحث بناء على:-

أ - U. NESCO., (1994), WORLD POPULATION.

ب - من حساب الباحث.

١- الأقاليم والدول مرتفعة النسبة (وفيها تبلغ نسبة الإناث ٤٠٪ فأكثر)، وتضم ثمانية أقاليم هي: غربي أفريقيا "ب" (٥٣٪)، جنوب شرقي آسيا، (٤٥٪) وشبه الجزيرة العربية "أ" وحوض النيل (٤٥٪)، الهلال الخصيب (٤٠٪) وغربي آسيا (٤٠٪)، وشمالي أفريقيا وشرقي أفريقيا (٤٢٪). وتنتمي إلى هذا النمط ٢٨ دولة.

٢- الأقاليم والدول متوسطة النسبة (وفيها تتراوح نسبة الإناث مابين ٢٥- أقل من ٤٠٪)، وتضم ثلاثة أقاليم هي: شبه القارة الهندية (٣٢٪)، غربي أفريقيا "أ" (٣١٪)، الصحراء الكبرى (٣٢٪)، وتنتمي إلى هذا النمط ١٥ دولة.

٣- الدول المنخفضة النسبة (وفيها تشكل الإناث أقل من (٢٥٪) وتضم دولتين هما تشاد (١٨٪). واليمن (٢٢٪). كما تضم اقيلم شبه الجزيرة "ب" (٢٤٪).

أما في المرحلة الابتدائية فتبلغ نسبة الإناث ٥٠٪ في أثيوبيا، ٥٢٪ في الجابون، كما تتراوح بين النصف والثلث في معظم الدول الإسلامية، ولاتقل عن الثلث إلا في عدد محدود من الدول مثل المغرب (٢٩٪).

٦- الحالة الزواجية:

يشير ارتفاع نسبة الزواج وانخفاض نسبة الطلاق إلى تماسك المجتمع والتزامة بالمبادئ الدينية، والعكس صحيح. ويتميز العالم الإسلامي بارتفاع نسبة الزواج وانخفاض نسبة الطلاق، وذلك على النحو التالي (جدول رقم ٢٥):-

١- نسبة الزواج:-

ترتفع نسبة الزواج في معظم الدول الإسلامية بخاصة تلك التي تقل نسبة الأجانب فيها وتبلغ هذه النسبة أعلاها في المالديف (١٨,١ في الألف)، تليها بنجلاديش (١١,٣ في الألف)، وتصل ٧,٧ في الألف في سوريا، ٧,٥ في الألف في إيران، ٧,٢ في الألف في بروناي، ٦,٩ في الألف في تونس، ٦,٥ في فلسطين، بينما تبلغ ٥,٤ في الألف في الكويت و ٥,٨ في الألف في البحرين و ٤,٥ في الألف في ليبيا، ٣,٢ في الألف في ماليزيا، ٢,٨ في الألف في قطر.

جدول رقم (٢٤) نسبة الإناث في مراحل التعليم الثانوية والابتدائية في العالم الإسلامي (٪) للفترة (١٩٩١-١٩٩٢م)

الإقليم/ الدولة	الابتدائي	الثانوي	الإقليم/ الدولة	الابتدائي	الثانوي
شبه الجزيرة العربية «أ»	٠٠	٤٥ (ب)	جنوب شرقي اسيا	٤٩	٤٥
السعودية	٠٠	٤٤	ماليزيا	٤٩	٥١
الكويت	٤٩	٤٩	بروناي	٤٧	٥١
قطر	٤٥	٥٠	إندونيسيا	٠٠	٤٥
البحرين	٤٨	٥٠	حوض النيل	٤٨	٤٥
شبه الجزيرة العربية «ب»	٤٩	٢٤	السودان	٤٧	٤٤
الإمارات	٤٨	٥١	أثيوبيا	٥٠	٤٦
عمان	٤٥	٤٦	أوغندا	٠٠	٣٤
اليمن	٤٩	٢٢	مصر	٤٩	٤٥
الهلال الخصيب	٤٧	٤٠	شمالي أفريقيا	٤١	٤٢
العراق	٤٨	٣٨	ليبيا	٤٦	٥٦
فلسطين	٠٠	٥١	تونس	٠٠	٤٥
لبنان	٤٩	٥٣	الجزائر	٤٩	٤٥
سوريا	٤٦	٤٤	المغرب	٢٩	٤١
الأردن	٤٦	٥٠	شرقي أفريقيا	٥٦	٤٢
غربي اسيا	٤٨	٤٠	جيبوتي	٠٠	٤٣
تركيا	٤٧	٣٨	الصومال	٥٧	٣٥
إيران	٤٨	٤٣	تنزانيا	٠٠	٤٤
أفغانستان	٤٩	٤٧	جزر القمر	٣٨	٣٩
شبه القارة الهندية	٤٥	٣٢ (ب)	الصحراء الكبرى	٠٠	٣٢
باكستان	٠٠	٢٩	تشاد	٠٠	١٨
بنجلاديش	٤٥	٣٣	النيجر	٤٨	٢٩
المالديف	٤٨	٤٩			

«تابع» جدول رقم (٢٤)

الإقليم/ الدولة	الابتدائي	التانوي	الإقليم/ الدولة	الابتدائي	التانوي
مالي	٠٠	٣٢	عربي أفريقيا «ب»	٤٧	٥٣
موريتانيا	٠٠	٣٣	بنين	٤٥	٢٩
عربي أفريقيا «أ»	٤٩	٣١	نيجيريا	٠٠	٥٥
السنغال	٤٩	٣٥	الكمرون	٤٩	٤١
غامبيا	٠٠	٣٥	بوركينا فاسو	٤٤	٣٥
غينيابيساو	٠٠	٣٢	الجابون	٥١	٥٤
سيراليون	٠٠	٣٧			
غينيا	٤٩	٢٥	العالم الإسلامي	٤١	٣٩

١ - الجدول من إعداد الباحث بناء على :-

أ - U. NESCO., (1994), STATISTICAL YERU BOOK,1994 T. 303,PP.73 - 85, T. 308, PP.160 - 209.

ب - من حساب الباحث.

٢- نسبة الطلاق:

تنخفض نسبة الطلاق في العالم الإسلامي بسبب التمسك بالتعاليم الدينية، وتصل هذه النسبة إلى أدناها في تركيا (٠,٤٦ في الألف) أو ٤٦ حالة طلاق لكل ١٠٠,٠٠٠ من المتزوجين، كما تبلغ ٠,٦ في الألف في إيران وليبيا، ٠,٧٤ في الألف في قطر، ٠,٧٢ في الألف في بروناي، ١,٤٢ في الألف في مصر، ١,٢٦ في الألـف في الأردن، ١,٢٨ في الألـف في فلسـطين و ١,١٧ في الألـف في البحـرين، ١,٤٦ في الألف بالكويت، وترتفع إلى ١١,٥٦ في الألف بالمالديف عام ١٩٩٢م.

التركيب اللغوي

اللغــة أساس جـيد لتـصنيف السكان (clarke,1976,p.100)، فهي أساس التقـاليد والشـعور المشتـرك، وهي أساس الوحـدة الحضارية والثـقافيـة، والمتطلب الرئيسي للمجـتمعات باعتـبارها أداة الأفكار وحفظ التراث ونقله للأجـيال المقبلة، وبدونها لايمكن صيانة الحياة وصـياغة النظم القانونية والدين والعلم، وهي جزء من الحضارة يتم بواسطتـها تعرف الشخص على نفسه كعنـصر من مجموعة اجتـماعية معـينة، ولذا تختلف في صـفاتهـا وخصـائصها من مـجمـوعة بشـرية إلى أخرى (Gveenberg,1961,p. 156). وتعـد الاخـتلافـات اللغـوية عـامـلاً مهـمـاً في الصعوبات التي واجهت بعض الدول- مثل باكستان الغـربية والشرقية (سابقا)- كما أنهـا سبـبت اضطربات سـيـاسيـة بالأرخـبيل الأندونيـسي وأفـريقيـا الإسـلاميـة (Clarke,1976,p.102) ويضم العالم الإسلامي العديد من الفـصائل اللغوية. ففي الشطر الآسيـوي ست فصائل كبـرى هي: المجموعـة الأوروبية - الهندية في وسط آسيا، والمجموعة السامية بجنوبي غـربي آسيا، ومجموعة الملايو بولينيزيا في جنوب شرقي آسـيا، والمجـموعـة الدرافيـدية في جنوبي الهند (Cressey, 1975,p.12). والمجموعـة القوقازية - الأيبيرية بمنطقـة القوقاز، والمجوعة الألطية - الآراليـة بآسيا الوسطى.

جدول رقم (٢٥) معدلات الزواج والطلاق في بعض الدول الإسلامية عام ١٩٩٢م (١)

الدولة	نسبة الزواج (لكل ألف من السكان) (أ)	نسبة الطلاق (لكل ألف من المتزوجين) (أ)	الدولة	نسبة الزواج (لكل ألف من السكان) (أ)	نسبة الطلاق (لكل ألف من المتزوجين) (أ)
الكويت	٥,٤	١,٤٦	إيران	٧,٥	٠,٧
قطر	٢,٨	٠,٧٤	بنجلاديش	١١,٣	-
البحرين	٥,٨	١,١٧	المالديف	١٨,١	١١,٥٦
العراق	٨,٥	-	ماليزيا	٣,٢	-
فلسطين	٦,٥	١,٢٨	بروناي	٧,٢	٠,٧٦
سوريا	٧,٧	٠,٧٢	مصر	٨,٤	١,٤٢
الأردن	٨,٧	١,٢٦	ليبيا	٤,٥	٠,٦٠
تركيا	٨,٤	٠,٤٦	تونس	٦,٩	-

١ - الجدول من إعداد الباحث بناء على:-

أ - U. N., (1994), STATISTICAL YEARBOOK T.12,PP.299 - 305.

ب - IBID., T. I4, PP. 318-320 .

وفي الشطر الأفريقي ثلاث مجموعات كبرى هي: مجموعة الكونغو- النيجر بأفـريقيـا الغـربية، والمجـمـوعة الآفـرو- آسيـوية بأفـريقيـا الشـماليـة الشـرقيـة (Hiernaux,1974, P.95)، والمجموعة النيلية- الصـحراوية (أو السودانية) التي تنتشـر بين الزنوج المنتمين إلى مجمـوعة الكونغو- النيـجر بمساحة واسعـة جدا في شماليها وشرقيها (Weeke, 1978, p.Xviii) .

وهناك ١٩ لغة رئيسيـة يتحدث بها مايزيد على مليار نسـمة من سكان العالم الإسلامي أو ٨٧٪ من جـملة السكان، وذلـك على النحـو التـالي (جـدول رقم ٢٦):-

١- اللغة الـعربية:- وهي سـادسة لغـات العالم الأوسع انتـشارًا (Ibid.,p.30)، ويتـحدث بها ٢٢٠ مـليون نسـمة تقريـبا أو ١٩٪ من جملة سـكان العالم الإسلامي في البلاد العربـية وتشاد وتركيا وأعداد أخرى في البـلاد الإسلامية باعتبارها لغة القرآن الكريم وتنتمي العربيـة إلى المجموعة الآسيوية الأفريقية، ويعتقد البعض أنها ظهرت في القرن التاسع قبل الميلاد كلغة محدودة الانتشار في منطقتي مكة المكرمة والمدينة المنورة، ثم ازداد انتـشارها مع ظهور الإسلام في القـرن السابع الميـلادي، وصارت أحد عـوامل الوحدة بين سكان الـعالم الإسلامي وتسببت في اندثار القبطية والسريانية (Tohnstone,1970,p.114)، وسادت في شـمالي أفريـقيا وإقليم بحـيرة تشاد وفـي مناطق واداي ودارفور شرقي بحيرة تشاد (Greenberg,1971) . كما تنتشر بين سكان تنزانيا، وتأتي الثانية بعد السـواحيلية في جزيرتي بمباو وزنجبار ووسط البـلاد، كذلك تنتشر في السودان الغربي.

وفي منطقة الشرق الأوسط تسود العربية في منطقتين: الأولى تتحدث العربية مع استبعاد تام للـغات الأخرى، والثانية مركبة اللغات بهـا عدد من اللغات القديمة والحديثة، ويفصل المنطقـتين الحد الغربي لمنطقة الالتواءات الجيولوجيـة، وفيها يبدو تأثير التضاريس في الحد من انتشار اللغة (Fisher, 1971,p 112-114)

٢- اللغة البنغالية :- ثانية لغات العالم الإسلامي انتشارا، ويتحدث بها ١١٨ مليون نسمة أو نحو عُشر إجمالي السكان. وتسود في بنجلاديش المركز الرئيسي لها حيث يتحدث بها ٩٨٪ من السكان وقد دخلت محل الانجليزية أخيراً كلغة للتعليم (Encyclopedia of The Nation1976- Bmp.28)

٣- الهوسا :- ثالثة لغات العالم الإسلامي، ويتحدث بها ١٠٤ مليون نسمة أو ٩٪ من جملة السكان، وتسود بين من سكان نيجيريا- بخاصة فى الشمال ويفهمها كل السكان، وتنتشر كلغة تجارية وسياسية في دول غربي أفريقيا، ويتحدث بها سكان المدن في ١٨ دولة منها النيجر ونيجيريا وبوركينا فاسو.

٤- البنجابية ويتحدث بها ٩٣ مليون نسمة أو ٨٪ من جملة السكان، وتسود بين ٦٦٪ من سكان باكستان (Abbott,1971,p.31) بخاصة في مثلث روالبيدي- مولتان- أمبالا، ولها ثلاث لهجات هي: الدوجرى - الماجهى- الهندا (Neill, 1973,p.13)

٥- الجاوية ويتحدث بها ٨٧ مليون نسمة أو ٧,٥٪ من جملة السكان، وهي أبرز اللغات في أندونيسيا، وتسود في جزيرة جاوة بخاصة القطاع الأوسط والساحل الشمالي (Abbott,1971,p.31)، وتعود إلى القرن الثامن الميلادي.

٦- التركية- الأناضولية يتحدث بها ٦٩مليون نسمة، أو ٦٪ من جملة السكان. وتسود في الأناضول وبين ربع سكان إيران (Clarke, 1976,p p. 131)، وبين ٢٪ من سكان العراق ولبنان. وقد حلت محل اللغات الإغريقية القديمة بتركيا (Brice, 1966,p.63)

٧- لغة الأردو يتحدث بها ٦٣ مليون نسمة أو ٥,٥٪ من السكان، ويتحدث بها نصف سكان باكستان حيث تعد اللغة القومية، وخمس سكان أفغانستان (World Muslirn Gaz etter, 1975, p.437)، و٢٪ من سكان بنجلاديش (Weekes, 1978,p.89) بخاصة سكان المدن، كما يتحدث بها السكان في أسواق كابول وكندهار بأفغانستان (World Muslim Gazetter, 1975,,p. 55)

جدول رقم (٢٦) التوزيع الجغرافي للغات الرئيسية في العالم الإسلامي

مسلسل	اللغـــة	المتحدثون بها		البلاد التي تتحدث بها
		العدد (نسمة)	٪ من جملة العالم الإسلامي	
١	العربية	٢٢٠,٠٠٠,٠٠٠	١٩	البلاد العربية ـ تشاد ـ تركيا
٢	البنغالية	١١٨,٠٠٠,٠٠٠	١٠	بنجلاديش
٣	الهوسا	١٠٤,٠٠٠,٠٠٠	٩	نيجيريا ـ النيجر ـ دول إقليم غربي أفريقيا (ب)
٤	البنجابية	٩٣,٠٠٠,٠٠٠	٨	باكستان
٥	الجاوية	٨٧,٠٠٠,٠٠٠	٧,٥	أندونيسيا
٦	التركية الأناضولية	٦٩,٠٠٠,٠٠٠	٦	تركيا ـ إيران ـ العراق ـ لبنان
٧	الأردو	٦٣,٠٠٠,٠٠٠	٥,٥	باكستان ـ أفغانستان ـ بنجلاديش ـ دول الخليج ـ
٨	البهاسا	٥٨,٠٠٠,٠٠٠	٥	أندونيسيا
٩	الفارسية	٥٢,٠٠٠,٠٠٠	٤,٥	ايران ـ العراق أفغانستان ـ دول الخليج
١٠	الموند	٢٩,٠٠٠,٠٠٠	٣,٥	أندونيسيا
١١	الأمهرية	٢٦,٠٠٠,٠٠٠	٢,٢	أثيوبيا
١٢	البربرية	٢٣,٠٠٠,٠٠٠	٢	دول شمالي أفريقيا
١٣	البشتو	١٨,٠٠٠,٠٠٠	١,٥	أفغانستان
١٤	البانتـــو	١٧,٠٠٠,٠٠٠	١,٣	أوغندا
١٥	السواحلية	١٢,٠٠٠,٠٠٠	١	دول شرقي أفريقيا
١٦	المادورية	١٢,٠٠٠,٠٠٠	١	أندونيسيا
١٧	الكردية	١١,٠٠٠,٠٠٠	٠,٩	العراق ـ تركيا ـ إيران ـ سوريا
١٨	الولوف	٨,٠٠٠,٠٠٠	٠,٧	السنغال
١٩	التجرينية	٣,٥٠٠,٠٠٠	٠,٣	أثيوبيا

١ ـ المطري (١٩٨٤)، دراسات في سكان العالم الإسلامي ، جدول (٥٦) ص ٤٨٧ (بتصرف)

٨- لغة البهاسا:- ويتحدث ٥٨ مليون نسمة أو ٥٪ من السكان، وهي اللغة القومية الرسمبة في أندونيسيا، وتسود بين نصف سكان جاوة، وتستخدم أداة اتصال بين كافة المجموعات اللغوية هناك، وتضم العديد من اللهجات الأندونيسية إلى جانب الهولندية والانجليزية والعربة والسينسكوبتية ولغات أخرى كثيرة (Eucyclopedia the Nwtions, 1976-B p.102) . وقد تحولت إلى لغة تجارية بأندونيسيا ويتحدث بها سكان الموانيء البحرية من الصين إلى غينيا الجديدة (Neill,1976,p.13) . وقد تحولت حروفها من العربية إلى اللاتينية بهدف قطع الصلات بين أندونيسيا والعالم الإسلامي بخاصة العربي منه (شاكر، ١٩٧٤م، ص ٨١).

٩- اللغة الفارسية:- ويتحدث بها ٥٢ مليون نسمة أو ٤,٥٪ من جملة السكان، ويتحدث بها ٩٠٪ من سكان إيران (Tayloy, 1972,p.201) و ٣٪ من سكان العراق، وتعرف بلغة الدارى أو مقر البلاط في شرقي إيران. وهي اللغة الرسمية ولغة الأدب والإدارة والتجارة والتعليم والطبقات الوسطى والدوائر الحكومية في إيران (Weeke, 1978,p.233) .

١٠- لغة السوند:- ويتحدث بها نحو ٢٩ مليون نسمة أو ٢,٥٪ من جملة السكان، وهي إحدى اللغات المهمة في المجموعات المالاوية- البولينيزية، ويدعى متحدثوها أنها أكثر انفتاحا من الجاوية المتزمتة (Ibid.,p383) .

١١- اللغة الأمهرية.. ويتحدث بها ٢٦ مليون نسمة يمثلون ٢,٢٪ من جملة السكان، وهي اللغة الرسمية في أثيوبيا ويتحدث بها نصف سكانها تقريبا.

١٢- اللغة البربرية:- ويتحدث بها ٢٣- مليون نسمة أو ٢٪ من جملة السكان، وتنتشر بين بربر شمالي أفريقيا، ويتحدث بها ربع سكان المغرب العربي (Trewarthe,1972,p. 189)، منهم ٣٥٪ من سكان المغرب وتونس وخمس

سكان الجزائر وقبـائل الطوارق بموريتانيا، بينمـا يقل المتحدثون بها شـرقا نحو مصر حـيث ينحصرون في بعض الواحـات الغربية لكنها لاتصـبح لغة للأدب . (Johnstone, 1970, p. 114)

١٣- لغة البشـتو:- ويتحدث بها ١٨ مليـون نسمة أو ٥,١٪ من جملة السكان، ويتحـدث بها ثلاثة أخمـاس سكان أفغانسـتان (Ibhd, p. 121) بخاصة في الشرق والجنوب الشرقي والأقـاليم المجاورة لباكستـان، إلى جانب أعداد قليلة بجنوبي ووسط آسيـا، كما يتحدث بهـا إقليم الحدود الشمالية الـغربية وإقليم بيشاور بباكستان. وتعد اللغة الرسـمية لأفغانستان منذ عام ١٩٣٦م إلى جانب لغة الداري (ENCYCIOPEDIA OF THE NATIONS, 1976- B,P. 2) كمـا تعد أساسا لتـحديد سلاسلة البوشـتان (Weeken, 1978,p. 324) التي يشترط لأن يكون الفرد عنصرا منها أن يتحدث بها أبوه أو كلاهما.

١٤- لغة البانتـو (عدا السواحلية):- ويتحدث بها ١٧ مـليون نسمة أو ٣ر١٪ من جـملة السكـان. وتنتـشـر في أوغندا وغـيـرها مـن دول شـرقي أفـريقـيـا (Johnstone, 1970, p. 121)، وتضم لغـات الزولـو والزهوسـا والبـيـدي والسوثو وغيرها.

١٥- اللغة السواحيلية:- ويتـحدث بها ١٢ مليون نسمة أو ١٪ من جملة السكان، وهي لغة شعبية واسعة الانتشار بشرق أفريقيا، كما أنها اللغة الرسمية لمجموعة النيامـويزى في تنزانيا، ومن أشكالهـا الكونجوجا التـي تعتبـر اللغة الرسمـية بزنجبار (Encyclopedia of The Nations, 1976- A, p.320) .

١٦- اللغة المادورية:- ويتحدث بهـا ١٢ مليون نسمة يمثلون ١٪ من جملة السكان ويتحدث بها معظم سكان جزيرة مـادورا الأندونيسية بخاصة الموظفين المدنين، ولها لهجتان: بامكاسان pamekasan وتسود في غربي الجزيرة، والسومينيب في شرقي الجزيرة، (Ibid.,p. 102) .

١٧- اللغة الكردية:- ويتحدث بها ١٢ مليون نسمة أو ٠,٩٪ من جملة السكان، وتنتشر بين ١,٧٪ من سكان تركيا حسب إحصاء عام ١٩٦٥م (Dowdney, 1971, p. 88)، وبين ١٦٪ من سكان العراق (Clarke, 1976, p. 131)، كما تنتشر بين مليون نسمة من سكان إيران، ونصف مليون شخص من سكان سوريا.

١٨- لغة الولوف:- ويتحدث بها ٨ ملايين نسمة أو ٠,٧٪ من جملة السكان، وتسود بين ٩٠٪ من سكان السنغال، وهي اللغة المحلية بالعاصمة داكا، كما أنها اللغة الثانية لكل سكان السنغال، وتفهمها جماعات السرار، والتوكولار، والولوف والليبو وتستخدم كلغة تجارية خارج مناطق الولوف الرئيسية (Greenberg, 1971, p.131).

١٩- اللغة التجرينية:- ويتحدث بها ٣,٥ ملايين نسمة أو ٠,٣٪ من جملة السكان، وتسود في أريتريا (Enclopedia of Tre n at iors,1976- A,p.92)

وتصنف الدول الإسلامية إلى ثلاثة أنماط من حيث تعدد اللغات كما يلي:-

١- دول مركبة اللغات: تشمل عشر دول منها أندونيسيا وبها ٢٥٠ لغة تنقسم إلى ١٦ مجموعة، وأثيوبيا التي يوجد بها ٥٠ لغة مختلفة، والكمرون وبها ١٠٠ لغة محلية، ونيجيريا وبها ٢٥٠ لغة محلية وتنزانيا، وسير اليون، وإيران، وباكستان والسودان به ١٠٠ لغة ولهجة مختلفة.

٢- دول بسيطة اللغات وفيها تسود لغة رئيسية واحدة وتضم ٢٢ دولة منها تركيا التي يتحدث ٩٠٪ من سكانها بالأناضولية التركية، والعراق ويتحدث ٨٢٪ من سكانها بالعربية، ومصر التي يتحدث العربية ٩٣٪ من سكانها، والجزائر ويتحدث ٨٠٪ من سكانها اللغة العربية و٢٠٪ اللغة البربرية، وتونس

والمغرب، وموريتـانيا، والسنغال، وغيـنيا بيساو، وأوغندا والصـومال، وجزر القـمر والإمـارات، واليمن، والسـعـودية، والبحـرين، والأردن، وفلسطين وبنجلاديش، وماليزيا، والمالديف.

٣- دول متوسطة اللغات: وهي بقية الدول الإسلامـية، وفيها يتحدث السكان عددا متوسطا من اللغات.

٨- التركيب الديني:

أولا- المسلمون:

يتميـز العالم الإسلامي بانتشـار الإسلام بين أغلبية سكانه مـع وجود أقليات من أتباع الديانات الأخرى: النصرانية، واليهودية، والديانات الوضعية بدرجة كبيرة أو صغـيرة في أجـزاء عديدة من أرجـائه (Clarke, 1976,p. 103). وتبلغ نسـبة المسلمين ٨٥,٥٪ من جملة السكان (أو ٩٩٢,٦٦٥,٢٣٠ نسمـة)، ترتفع النسـبة بالشطر الآسيوي إلى ٩٢٪ من جملة السكان (أو ٦٤٤,٧٩٥,٩٣٠ نسمة)، بينما تنخـفض بالشطر الأفـريقي إلى ٧٥,٦٪ (أو نحو ٣٤٧,٨٦٩,٥٠٠ نسـمـة). وتختلف نسبة المسلمين من إقليم لآخر ومن دولة لأخرى على النحو التالي (جدول رقم ٢٧ وشكل رقم ١٥):-

١- دول كل سكانها مـسلمون:- وهي السعودية والمـالديف، ويبلغ عدد المسلمين فـيهـمـا ٢٠,٨٧٦,٩٩٠ نسمـة يمثلون ٢,١٪ من جـملة السكان بالعـالم الإسلامي.

جدول رقم (٢٧) عدد ونسبة أتباع الدين الإسلامي في العالم الإسلامي (١)
(عام ١٩٩٤م)

الإقليم / الدولة	العدد (ب)	٪ (من جملة السكان) (أ)	الإقليم/ الدولة	العدد (ب)	٪ (من حملة السكان) (أ)
شبه الجزيرة العربية«أ»	٢٠,٠٦٣,٩٩٠	٩٩,٥	جنوب شرقي آسيا	١٨٨,٣٤٤,٤٥٠	٨٧,٨
السعودية	١٧,٤٥١,٠٠٠	١٠٠,٠	ماليزيا	١١,٠٢٩,٢٠٠	٥٦,٠
الكويت	١,٥٥١,٣٥٠	٩٥,٠	بروناي	٢١٥,٦٠٠	٧٧,٠
قطر	٥٣٤,٦٠٠	٩٩,٠	إندونيسيا	١٧٧,٠٩٩,٦٥٠	٩١,٠
البحرين	٥٢٧,٠٤٠	٩٦,٠	حوض النيل	١١٩,١١٤,٥٠٠	٧٣,١
شبه الجزيرة العربية«ب»	١٧,٥٧٧,٠٦٠	٩٨,٧	السودان	٢٢,٧٠٩,٦٣٠	٨٣,٠
الإمارات	١,٧٨٦,٥٦٠	٩٦,٠	أثيوبيا	٢٩,٣٨٩,٢٥٠	٥٥,٠
عمان	٢,٠٥٦,٢٣٠١١	٩٩,٠	أوغندا	١٠,٣١٠,٥٠٠	٥٠,٠
اليمن	٣,٧٣٤,٢٧٠	٨٢,٧	مصر	٥٦,٧٠٥,١٢٠	٩٢,٠
الهلال الخصيب	٤٠,٠٥٩,٢٧٠	٩٥,٠	شمالي أفريقيا	٦٥,٣٥٠,٥٨٠	٩٦,٤
العراق	١٨,٩٢٨,٧٥٠	٣٨,٠	ليبيا	٥,١٢٠,٥٠٠	٩٨,٠
فلسطين	٢,٣٦٤,٣٦٠	٥٥,٠	تونس	٨,٢٩٦,٣٥٠	٩٥,٠
لبنان	١,٦٠٣,٢٥٠	٨٧,٠	الجزائر	٢٦,٥٠٥,٢٥٠	٩٧,٠
سوريا	١٢,٣٢٨,٧٧٠	٩٣,٠	المغرب	٢٥,٤٢٨,٤٨٠	٩٦,٠
الأردن	٤,٨٣٤,١٤٠	٩٨,٥	شرقي أفريقيا	٢٩,٧١١,٣١٠	٦٩,٨
غربي اسيا	١٤٣,٢٩٦,٣٤٠	٩٩,٠	جيبوتي	٥٤٣,٣٦٠	٩٦,٠
تركيا	٦٠,١٦٣,٢٩٠	٩٨,٠	الصومال	٨,٩٨٦,٢٣٠	٩٩,٠
إيران	٦٤,٤٤٢,٨٤٠	٩٩,٠	تنزانيا	١٧,٥٩٦,٠٦٠	٦١,٠
أفغانستان	١٨,٦٩٠,٢١٠	٩٢,٥	اريتريا	١,٩٩٣,٤٦٠	٥٨,٠
شبه القارة الهندية	٢٣٥,٤٥٤,٨٢٠	٩٨,٠	جزر القمر	٥٩٢,٢٠٠	٩٤,٠
باكستان	١٣٣,٩١٢,١٠٠	٨٦,٠	الصحراء الكبرى	٢٣,٦٤٠,٥٠٠	٨٥,٣
بنجلاديش	١٠١,٢٩٦,٨٢٠	١٠٠,٠	تشاد	٤,٩٤٦,٤٠٠	٨٠,٠
المالديف	٢٤٦,٠٠٠	٨٧,٨	النيجر	٧,٦٠٧,٥٦٠	٨٦,٠

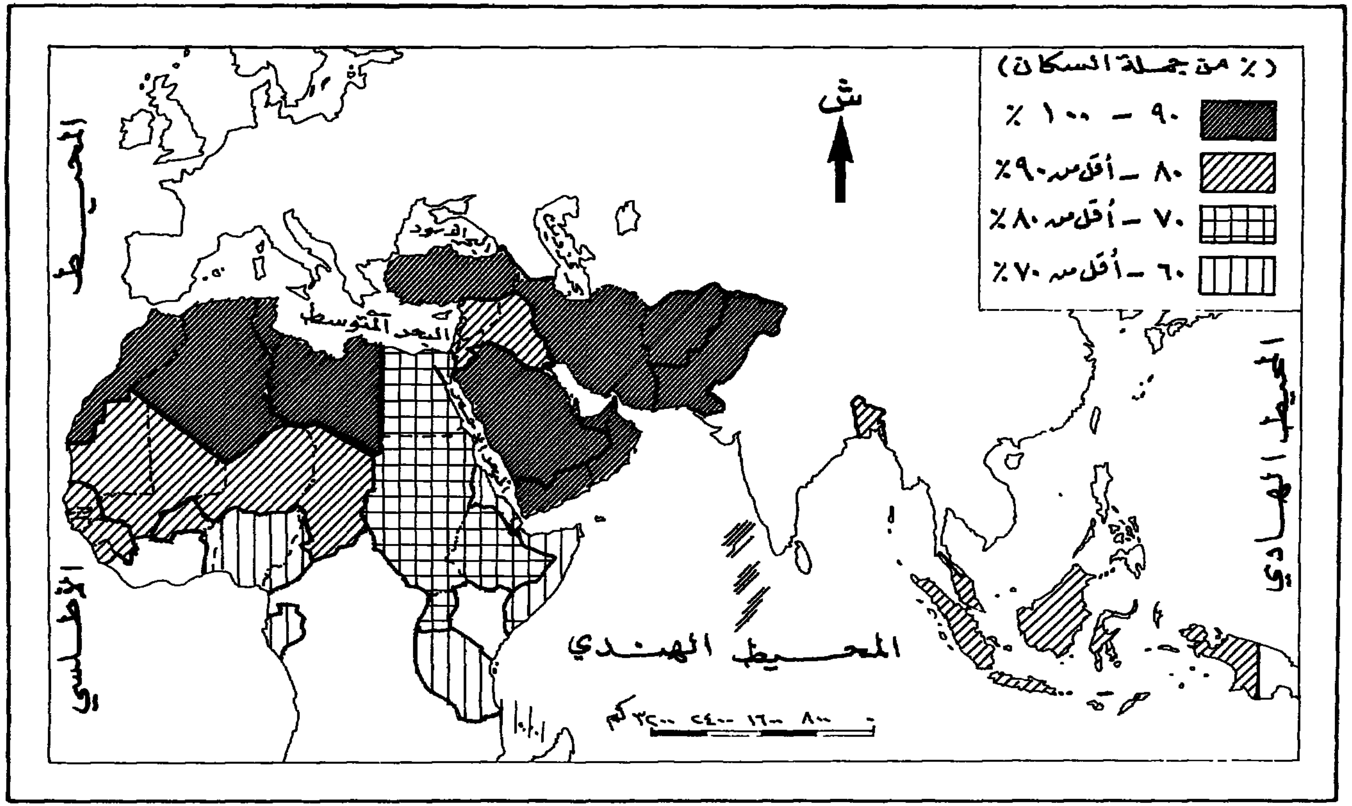
تابع جدول رقم (٢٧)

الإقليم/ الدولة	العدد (ب)	٪ (من جملة السكان) (أ)	الإقليم/ الدولة	العدد (ب)	٪ (من جملة السكان) (أ)
مالي	٨,٨٩٢,٧٠٠	٨٥,٠	غربي أفريقيا «ب»	٩٢,٣٢٨,٠٥٠	٦٦,٩
موريتانيا	٢,١٩٣,٨٤٠	٩٩,٠	بنين	٢,٦٢٣,٠٠٠	٥٠,٠
غربي أفريقيا «أ»	١٧,٧٢٤,٥٦٠	٨٣,٩	نيجيريا	٧٥,٩٢٦,٩٠٠	٧٠,٠
السنغال	٧,٢٩١,٨٠٠	٩٠,٠	الكمرون	٧,٠٧٩,٠٥٠	٥٥,٠
غامبيا	٩٠٨,٠٤٠	٨٤,٠	بوركينا فاسو	٦,٠٢٧,٦٠٠	٦٠,٠
غينيابيساو	٦٨٢,٥٠٠	٦٥,٠	الجابون	٦٤١,٥٠٠٦	٥٠,٠
سيراليون	٢,٨٦١,٣٠٠	٦٥,٠	الشطر الآسيوي	٦٤٤,٧٩٥,٩٣٠	٩٢,٠
غينيا	٥,٩٨٠,٩٢٠	٩٢,٠	الشطر الأفريقي	٤٧,٨٦٩,٥٠٠	٧٥,٦٣
			العالم الإسلامي	٩٢,٦٦٥,٤٣٠	٨٥,٥٩

١ - الجدول من إعداد الباحث بناء على:-

أ ـ المطري،(١٩٨٤م)،دراسات في سكان العالم الإسلامي،جدول رقم(٥٩)،ص ص،٥٠٩-٥١٢.

ب ـ من حساب الباحث بناء على الجدول الخاص بمقارنة عدد السكان عامي ١٩٣٠ و ١٩٩٤م.



شكل (١٥) نسبة المسلمين في أقاليم العالم الإسلامي (١٩٩٤م)

٢- الأقـاليم والدول التي تتـراوح نسبـة المسلمين بهـا بين ٩٠-١٠٠٪ :- وتضم خمسة أقاليم هي: شـبه الجزيرة العربية "أ" (٩٩,٥٪، شبه الجـزيرة العربية "ب" (٩٨,٧٪)، غربي آسـيا (٩٨,٥٪)، شبـه القارة الهندية (٩٢,٥٪). وتبلغ جملة مسلمـيها ٤٨٢,٠٩٨,٠٠٠ نسمة يمثلون ٤٨,٥٧٪ من جملة مسلمي العالم الإسلامي. وإلى هذا النمط تنتمي ٢٤ دولة هي: قطر- عُمان- اليمن- تركيا- أفغانستان- الصومال- موريتانيا (٩٩٪)، إيران- باكستان- ليبيا (٩٨٪)، الجزائر (٩٧٪)، البحـرين- الإمارات- المغرب- جيـبوتي (٩٦٪)، الكويت العـراق- تونس (٩٥٪)، جـزر القـمـر (٩٤٪)، الأردن (٩٣٪)، مصر- غينيا (٩٢٪)، السنغال (٩٠٪).

٣- الأقـاليم والدول التي تتراوح نسـبـة مسلمـيهـا بين ٨٠ إلى أقل من ٩٠٪ :- وتضم أربعة أقـاليم هي: جنوب شرقي آسـيا (٨٧,٧٪)، الصحـراء الكبرى (٨٥,٣٪)، غربي أفريقيا "أ" (٨٣,٩٪)، الهلال الخصيب (٨٢,٧). وتبلغ جملة مسلميها ٢٦٩,٤٥٤,٠٠٠ نسمة يمثلون ٢٧,١٤٪ من جملة مسلمي الإسلام. وينتمي إلى هذا النمط سبع دول هي: سوريا (٨٧٪)، بنجلاديش- النيـجر (٨٦٪)، مالي (٨٥٪)، غامـبيـا (٨٤٪)، السودان (٨٣٪)، تشاد (٨٠٪).

٤- الأقاليم والدول التي تتراوح نسبة مسلميها بين ٧٠ إلى أقل من ٨٠٪ من جملة سكانـهـا:- وتضم إقلـيـمـا واحـدا هو حـوض الـنيل (٧٣,١٪) أو ١١٩,١١٥,٥٠٠ نسمة يمثلون ١٢٪ من جملـة مسلمي العـالم الإسلامي. وينتمي لهذا النمط دولتان فقط هما: بروناي (٧٧٪)، نيجيريا (٧٠٪).

٥- الأقاليم والدول التي تتراوح نسبة مسلميها بين ٦٠إلى أقل من ٧٠٪ :- وتضم إقليمين هما: شرقي أفريقيا (٦٩,٨٪)، غربي أفريقيا «ب» (٦٦,٩)، وتبلغ

جملة مسلميها ١٢٢,٠٣٩,٣٦٠ نسمة أو ١٢,٣٪ من جملة مسلمى العالم الإسلامي. وينتمي لهـذا النمط أربع دول هي: تنزانيا (٦١٪)، غبنيا بيساو- وسير اليون (٦٥٪)، بوركينا فاسو (٦٠٪).

٦- الأقـاليم والدول التي تتـراوح نسـبـة المسلمين بين ٥٠٪ إلى أقل من ٦٠٪:- وتضم ثمانـي دول هي: أريتريا (٥٨٪)، ماليـزيا (٥٦٪)، لبنان- أثيـوبيا- الكمرون (٥٥٪)، أوغندا -بنين- الجابون (٥٠٪). وتبلغ جملة مسلمي هذا النمط ٦٤,٦٦٩,٢١٠) نسمة أو ٦,٥٪ من مسلمي العالم الإسلامي.

ثانيا- الأقليات غير المسلمة:

يبلغ عددهم ١٧٩,٩٩٠,٣٤٠ نسمة أو ١٤,٥٪ من جملة سـكان العالم الإسلامي، وهم:

١- النصارى:- وعددهم حوالـي ٨٣ مليون نسمة أو ٧,١٥٪ من جملة السكان، وتبلغ نسبتهم بالشطر الأفريقي ٥,٨٧٪ أو نحو ٦٨,١٣٤,٩٩٠ نسمة، بينما تنخـفض نسبـتـهم بالشطر الآسيـوي إلى ١,٢٨٪ أو نحو ١٤,٨٢٢,١٦٥ نسمة.

ويصل عدد النصارى بإقليم حوض النيل إلى ٣٤,٩٥٢,٧١٠ نسمة يمثلون ٢١,٤٤٪ من جملة سكانه، كمـا يبلغ عددهم في إقليم غربي أفريقـيا "ب" نحو ٢١,١٩٧,٥٦٠ نسمة أو نحو ١٥,٣٧٪ من جملة سكانه، ويبـلغ عددهم بإقليم شرقي أفريقيا ٧,٥٧١,٠٧٠ نسمة يمثلون ١٧,٨٪ من جملة سكانه. أما في إقليم جنوب شرقي آسيا فيبلغ العدد ٦,٤٥١,٧٠٠ نسمة أو ٣,٠١٪ من جملة سكانه، بينما يبلغ العدد ٤,٦٠٨,٦٧٠ نسمة في إقليم الهلال الخصيب يمثلون ٩,٥٢٪ من جـملة سكانه. وتقارب العـدد في إقليـمي شبـه القارة الهندية وشـمالي آفـريقيـا (٢,٢٧١,٠٣٠ : ٢,٤٢٠,٤٢٠ نسمـة على التوالي) يمثلون ٠,٨٩٪ و ٣,٥٧٪

من سكانهما على التـوالي. كذلك يتقارب العدد في إقليمي غربي آسـيا والصحراء الكبرى (١,٢٦٥,٢٩٠ : ١,٠٠٤,٧٠٠ نسـمة بنسـبة ٨٧,٠٪ و٦٣,٣٪ على التوالي)، ويقل العدد في إقليم شبـه الجزيرة العربية (أ) إلى ٩٨,١٢٠ نسمة بنسبة ٤٩,٠٪ من جـملة سكانه وفي إقليم شـبه الجـزيرة العربيـة (ب) إلى ١٢٧,٣٥٥ نسمة بنسبة ٧٢,٠٪ من سكانه، كما يبلغ العدد ٩٨٨,٥٣٠ نسمة في إقليم غربي أفريقيا (أ) ولاتزيد نسبتهم عن ٦٨,٤٪ من سكانه.

ويرتفع عدد النصارى في نيـجيريا إلى ١٨,٥ مليون نسمـة يمثلون نحو ربع السكان (٣٤٪)، كمـا يبلغ عددهم ستـه ملايين نسمـة في تنزانيا بنسـبة ٢١٪ من سكانهـا، بينما يقل العـدد عن الستة مـلايين نسمـة في أندونيسيـا يمثلون ٣٪ من سكانها، ويبلغ خـمسة ملايين نسمـة في أوغندا يشكلون ربع السكان، ويقل العدد عن الخمسة ملايين نسمة في مصر يشكلون ٨٪ من سكانها.

ويتراوح عدد النصارى بين المليون إلى المليـونين في لبنان- سوريا- باكستان- بنجلاديش- المغرب- أريتريا- الكـمرون. بينما تقل أعدادهم عن ٢٥,٠٠٠ نسمة في البحرين وعُـمان وبروناي وجيبوتي والجـزائر وموريتانيا، وتخـتفي أعدادهم في السعودية والمالديف.

وترتفع نسبـة النصارى إلى ٤٥٪ من سكان أثيوبـيا ولبنان، وإلى ٢٥٪ في أوغندا، وتبلغ ٢١٪ في تنزانيا، و٤٠٪ في أريتريا، و٣٠٪ في الكمرون، و٣٥٪ في الجابون، بينما تقل النسبة إلى ١٪ في كل من عُمان وتركيا وإيران وبنجلاديش والصومال والنيجر وموريتانيا، وتنخفض إلى ٠,٥٪ في اليمن.

٢ - اليهود: كـان عدد اليهود بالعـالم الإسلامي ٣,٣ ملايين نسـمة عام ١٩٨٠م (Jankowski, 1970, p.124) يشكلون ٠,٣٨٪ من جملة سكانه آنذاك، أما في عام ١٩٩٤م فيقدر عددهم بنحو ٤,٤ ملايين نسمة يسكن معظمهم في فلسطين المحتلة.

وكان اليـهود يشكلون مجتـمعات واضحـة في معظم الدول العربية وتـركيا وإيران قبل احتلال فلسطين، ولكن بسبب الهجرة إلى فلسطين المحتلة قلت أعدادهم (المطري، ١٩٨٤م، ص ٥٣٣) ولم تتبق إلا مجـتمعات صغيرة تعـد بالالآف أحيانا وبالمئات أحـيانا أخرى بخاصـة في إيران وأثيوبيا وأريتـريا وتركيا ومصـر والمغرب وتونس والجزائر وليبيا ولبنان وسوريا والعراق واليمن والصومال والسودان.

٣- الوثنيون: ويشملون أعدادا كبيرة من الديانات المختلفة، ويتركزون على هوامش العالم الإسـلامي في الغابات المدارية المطيـرة في جنوب شرقي آسـيا وجنوب آفريقيا المسلمة، وتقل أعدادهم مـن سنة لأخرى لصالح الإسلام والنصرانية، ولايخلو منهم قطر أفـريقي مـسلم عدا مـصر والمـغرب وجـزر القمـر ويبلغ عددهم ٣٣,٨ مليون نسمة يمثلون ٢,٩١٪ من جملة السكان. ويزيد عددهم في نيجـيريا إلى ٦,٥ ملايين نسـمة وإلى ٤,٩ ملايين في أوغندا، و٣,٦ ملايين فـي السودان، ٣,٥ مـلايين في بوركينا فـاسـو، ومليونا في مـالي. ويتراوح العـدد بين نصف مليون نسمة إلى أقل من المليـون في تشاد وإيران، ومن رُبع إلى أقل من نصف المليون نسـمة في غينيا وغينيا بيـساو والسنغال، ويقل العدد كثيراً في أفغانستان وبروناي.

٤- الهندوس:-يبلغ عددهم ٢٢,٩ مليـون نسمـة أو ١,٩٨٪ من جـملة سكان العالم الإسلامي. ويعيش معظمهم في الأطراف الشرقية من الشطر الآسيوي. ويبلغ العدد ١٤,١ مليونا في بنـجلاديش يمثلون ١,٢١٪ من سكان العالم الإسلامي و١٢٪ من سكان بنجـلاديش بخاصـة في ولايات الحدود الغـربية وولاية سلهيت مـقر معـظم الهندوس العاملين في زراعة الـشاي والتي تضم ٢٧٪ من السكان غيـر المسلمين (Johnstone,1975, p.4) ويبلغ العدد ٤,٩ ملايين نسمة فـي أندونيسيا أو ٢,٥٪ من سكانها وقد ظلت الهندوسية ديانة جزيرة جاوة عـدة قرون حتى جاء الإسـلام في القرن الخامس عشـر الميلادي فتـراجعـت إلى جزيرة مـالي، وإن ظلت بقاع أخـرى هندوسيـة في ديانتـها

وثقافـتها (Encyclopedia oF Thenat ions, 1976-B,p.102) . كما يبلغ عدد الهندوس في ماليزيا ٨ ,١ مليون نسمة يمثلون ٩٪ من جملة سكانها منهم ٧٠٪ من المجموعة الهنديـة (غلاب، وزملاؤه، ١٩٧٩م، ص ٣٠١)، بينما يبلغ العدد ٤ر١ مليونا في باكستان نسبتهم ١٪ من جملة السكان بعد أن كـانت ٦ ,١٪ بسبب زيادة المسلمين (المرجع السابق ص ٢٥٢)، ويوجد معظمهم في المدن الكبرى بولاية البنجاب وإقليم الحدود الجنوبية الشرقية (Byice,1966,p 120- 122) أما في تنزانيا فيبلغ العدد ٢٨٨,٠٠٠ نسمة بنسبة ١٪ من سكانها يتركزون في زنجبار وتجانيقا، كما يبلغ عددهم في اليمن ١٣٩,٠٠٠ نسمة يمثلون ١٪ من سكانها، ١١,٣٠٠ نسمة في أفغانستان بنسبة ٦ ,٠٪ من سكانها، ويقل العدد في الدول الأخرى إلى ٢٠,٠٠٠ نسمة بعُمان و ٥,٠٠٠ نسمة في كل من قطر والبحرين، ٣٧,٠٠٠ نسمة في الإمارات، ١٩٩,٠٠٠ نسمة في العراق.

٥- الكونفوشية:- ويبلغ عددهم ٩ ,٤ ملايين نسمة أو ٤٢ ,٠٪ من جملة السكان، ويتركزون في ماليزيا بعدد ثلاثة ملايين وبنسبة ١٥ ,٠٪ من جملة سكانها، وفي أندونيسيا بعدد مليون نسمة وبنسبة ١٪ من سكانها.

٦- البراهمة:- ويبلغ عددهم ٤ ,٥ ملايين نسمة يمثلون ٤٦ ,٠٪ من جملة السكان، ويتركزون في الجنوب الشرقي من الشطر الآسيوي. ويبلغ عددهم ٩٢ ,٢ مليوني نسمة في أندونيسيا بخاصة في جزيرة بالي ويشكلون ٥ ,١٪ من سكانها، كما يبلغ العدد ٤ ,١ مليونا في ماليزيا يمثلون ٧٪ من سكانها، كما يوجد ٥٨٩,٠٠٠ نسمة في بنجلاديش (Johnstone, 1975, p.5) يشكلون ٥ ,٠٪ من سكانها إلى جانب ٢٧٣,٢٩٠ نسمة في باكستان (شاكر، ١٩٧٦م، ص ٥٩) يشكلون ٢ ,٠٪ من سكانها و ١٩٩,٢٥٠ نسمة بالعراق يشكلون ١٪ من سكانها.

٧- البـوذيون:- ويبلغ عـددهم أربعـة ملايين نسـمـة يمثلون ٣٤,٠٪ من جملة السكان، ويتركزون في إقليمي جنوب شرقي القارة الهندية، ويبلغ عددهم في ماليزيا مليـوني نسمة يمثلون ١٠٪ من سكانها بـخاصة في مـاليزيا الشرقـية (٥٠,٠٠٠ نسمة) ويزيد عـدد المسلمين النصارى. (Fisher, 1973, p.66) . كما يبلغ العـدد في أندونيسا ١,٩٥ مليون نسمة يشكلون ١٪ من سكانها، ويبلغ عددهم ٢٨,٠٠٠ نسمة في بروناي أو نحو عُـشر السكان، كما يوجد ٦٠,٠٠٠ نسـمة فـي بنجلاديش بخـاصـة في مناطق تلال شـيـتا جـونج (Ahmed,1969,p. 179) .

٨- الديانات الأخـرى:- وتتـمـثل بأعداد قـليلة من أتبـاع الزراد شـتيـة يبلغـون ٢٠,٠٠٠ نسمة في إيران بخـاصة مدينتي يزد وكرمـان ويعرفون هناك باسم الجابور (Jankowski, 1970, p. 177) أو عبـدة النار. كما يوجـد عدد من السيخ بماليزيا وباكستان، وقلة من الراجـبوت في شرقي باكستان، وبعض من أتبـاع الشنتوية في أندونيـسيـا وماليـزيا، ثم الجينيـون في باكـسنـان (غلاب وزملاؤه، ١٩٧٩م، ص ٦٢).

وتصنف دول العالـم الإسـلامي إلى ثلاث أنماط من حيث التـركيب الديني، كما يلي:-

١- الدول الي تخلو تقريبا من المشكلات الدينية وتقل فيها الأقليات الدينية إلى حد بعيد، ويتكون سكانها من أغلبية من المسلمين مـثل تركيا، مصر، دول إقليمي شبه الجـزيرة العربية (أ) و(ب)، الجزائر، ليـبيا المغرب، وتونس، مـوريتانيا، جزر القمر، جيبوتي الصومال، والأردن وأفغانستان.

٢- الدول التي تتعـدد فيهـا الأقليات الدينيـة والاختلافات بين الـسكان الناتجة عن ذلك، ومثالها: لبنان التي يكون للنقسيمات الدينيـة فيها أهمية كبيرة وسوريا، والسـودان- وأثيـوبيـا- وبنجـلاديش- وأندونيـسـيـا- وتشـاد- وفلسطين (Mansfield, 1973, Pp.S 399, 482) .

٣- الدول التي تتعدد الأقليمات الدينية فيها أو تقل دون أن يكون لها أثر في ظهور مشكلات سياسية أو اجتماعية بالدرجة السابقة نفسها، وتشمل بقية الدول الإسلامية.

٩- التركيب حسب نمط السكن:

يقصد به طريقة الحياة وأماكن الاستقرار، وهي ثلاثة: مدن- ريف، بداوة وترحال وأشباهها، وبينها اختلافات كبيرة (Clarke, 1976, P. 46) على النحو لتالي:-

أ- سكنى المدن:

تعرف بالحضرية Urbanization وتحسب بطرق مختلفة منها قسمة عدد سكان المدن على جملة سكان الدولة أو الإقليم. وفي عام ١٩٩٣م بلغت نسبتها في العالم الإسلامي ٤٣٪ بزيادة ١٪ عن معدل العالم و ٩٪ عن معدل المناطق الأقل تقدما وبنقص ٢٩٪ عن المناطق الأكثر تقدما. وترتفع هذه النسبة إلى ٥٢٪ بالشطر الآسيوي بينما تنخفض إلى ٣٤٪ بالشطر الأفريقي. أما في الأقاليم والدول الإسلامية فتتباين على النحو التالي (شكل رقم ١٦):-

١- الأقاليم والدول ذات الحضرية المرتفعة جدا (٧٢٪ فأكثر):- وتضم إقليمين هما شبه الجزيرة العربية "أ" (٨٦٪)، والهلال الخصيب (٧٣٪). وينتمي لهذا النمط تسع دول هي: الكويت (٩٦٪)، فلسطين وقطر (٩٠٪)، لبنان (٨٤٪)، الإمارات، البحرين وجيبوتي (٨١٪)، السعودية (٧٧٪)، ليبيا (٧٦٪).

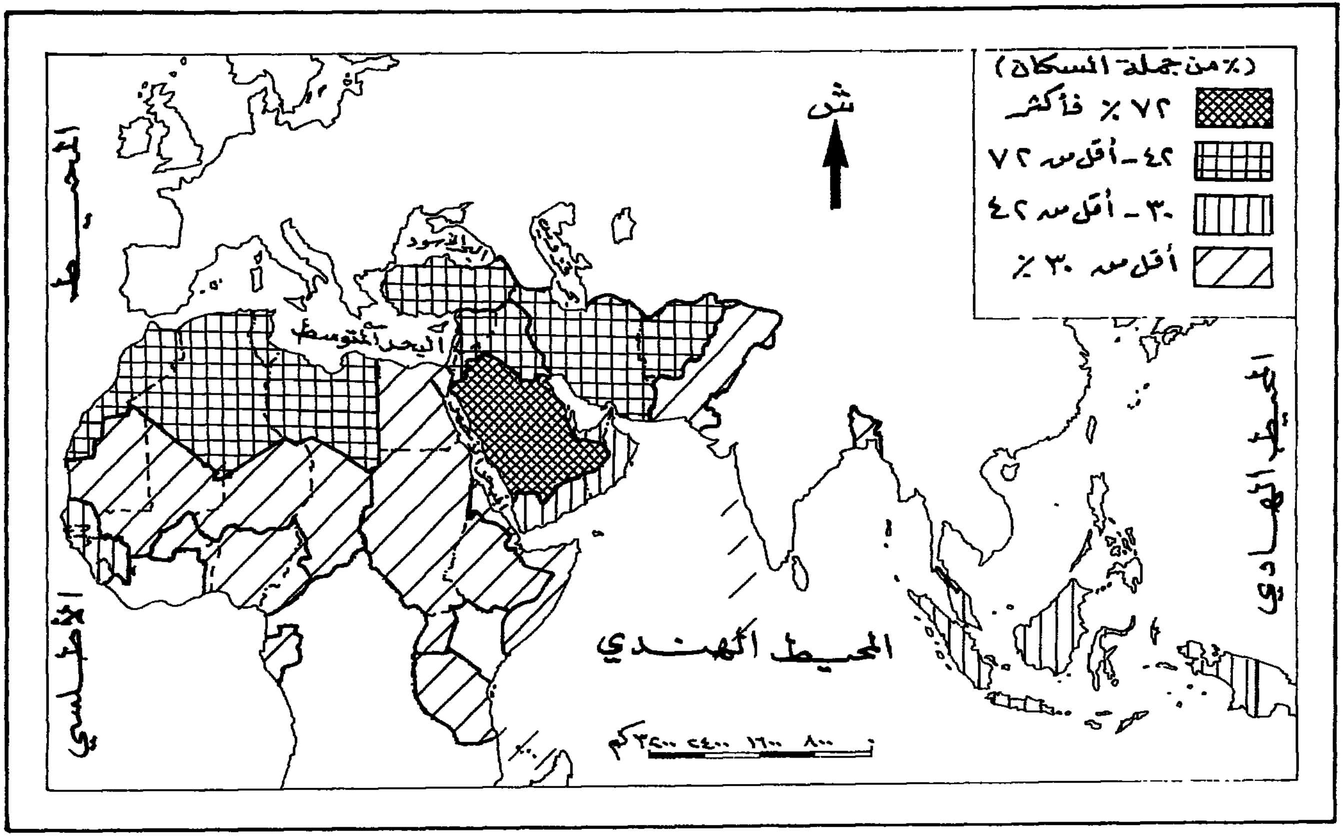
٢- الأقاليم والدول عالية الحضرية (٤٢- أقل من ٧٢٪):- وتضم ثلاثة أقاليم هي: شمالي أفريقيا (٥٨٪)، جنوب شرقي آسيا (٤٧٪)، غربي آسيا (٤٤٪) وينتمي لهذا النمط ١٤ دولة هي: العراق والأردن (٧٠٪)، بروناي، وتونس وتركيا (٥٩٪)، إيران (٥٤٪)، ماليزيا (٥١٪)، سوريا والجزائر (٥٠٪)، المغرب (٤٧٪)، الجابون (٤٦٪) ومصر (٤٤٪)، موريتانيا والسنغال (٤٩٪).

٣- الأقاليم والدول متوسطة الحضرية (٣٠- أقل من ٤٢٪):- وتضم ثلاثة أقاليم هي: شبه الجزيرة العربية "ب" (٤٠٪)، شرقي أفريقيا (٣٧٪)، غربي أفريقيا "ب" (٣٢٪). وينتمي لهذا النمط خمس دول هي: الكمرون (٤٠٪)، بنين (٣٨٪)، تشاد وسير اليون (٣٢٪)، أندونيسيا (٣١٪).

٤- الأقاليم والدول منخفضة الحضرية (-٣٠٪):- وتضم أربعة أقاليم هي: غربي أفريقيا "أ" (٣٨٪)، الصحراء الكبرى (٢٧٪)، شبه القارة الهندية وحوض النيل (٧٣٪)، وينتمي لهذا النمط عشرون دولة هي: اليمن وأريتريا (٣٩٪)، باكستان و المالديف وجزر القمر (٢٨٪) غينيا (٢٦٪)، الصومال (٢٤٪)، غامبيا (٢٣٪)، مالي (٢٢٪)، السودان وتنزانيا (٢١٪)، بوركينا فاسو وغينيا بيساو (٣٠٪)، عُمان و أوغندا (١١٪)، بنجلاديش وأثيوبيا (١٤٪)، النيجر (١٥٪)، نيجيريا (١٦٪)، أفغانستان (١٨٪).

وقد تبين أن هناك علاقة ارتباط موجبة قوية بين الدخل الفردي ونسبة الحضرية، حيث بلغ معامل الارتباط بينهما (٠,٨٠)، بمعنى أنه كلما زاد الدخل الفردي زادت نسبة الحضرية بالدرجة نفسها والعكس صحيح.

وخلال الفترة من ١٩٧٩م إلى ١٩٩٣م زادت نسبة سكنى المدن في العالم الإسلامي بنحو ١٩٪ بزيادة ستة أضعاف مثيلتها في العالم، وخمس مرات عن مثيلتها في المناطق الأكثر تقدما، وثلاثة أضعاف مثيلتها في المناطق الأقل تقدما. كما بلغت الزيادة ١٢٪ في الشطر الآسيوي و٨٪ في الشطر الأفريقي، كما زادت بنسبة ٣٠٪ في إقليمي شبه الجزيرة العربية (أ)، وفي إقليم غربي أفريقيا (ب) بنسبة ١٣٪، وكانت الزيادة ١١٪ في إقليمي الصحراء الكبرى وجنوب شرقي آسيا، وبنسبة ١٠٪ في إقليمي شبه الجزيرة (ب)، و٨٪ في أقليمي الهلال الخصيب وغربي أفريقيا (أ). و٦٪ في إقليم شرقي أفريقيا، و٢٪ في إقليمي حوض النيل. وترجع هذه الزيادات إلى ظاهرة الهجرة الوافدة إلى المدن بسبب عوامل الجذب المختلفة فيها، وبانتشار ورخص وسائل النقل، وبانخفاض نسبة البداوة والتحول إلى حياة الاستقرار.



شكل (١٦) نسبة سكان المدن في أقاليم العالم الإسلامي (١٩٩٣م)

وخلال الفترة نفسها اختلف التطور في الدول الإسلامية على النحو التالي:-

١- دول زادت فيها نسبــة الحضرية:- وهي: السعودية (+٥٦٪)، قطر (+٣١٪)، الكويت (+٤٠٪)، الأردن (+٢٨٪)، لبنـان- مـالـيـزيـا- بنين (+٢٤٪)، أريتريا- تشاد (+١٨٪)، سير اليون (+١٧٪)، الإمارات- ليبيـا- موريتانيا- بوركينا فـاسو (+١٦٪)، الجابون- تركيـا - تنزانيا (+١٤٪)، أندونيسـيا (+١٣٪)، جيبوتي- الكمرون (+١١٪)، المغرب- تونس (+٩٪)، اليمن- جزر القمر (+٨٪) غامبيا- السنغال- إيران (+٧٪)، عُمان-النيجر- غينيا (+٦٪)، مالي- بنجلاديش (+٥٪)، العراق- فلسطين- أوغندا (+٤٪)، أفغانـستان- البحرين (+٣٪)، أثيوبيا- سوريا- باكستان (+٢٪)، السودان (+١٪).

٢- الدول التي انخفضت فـيها نسبة الحـضرية:- ونضم خمس دول هي: بروناوي (- ٥٪)، الصومال (٤٪)، غينيا بيساو (-٣٪).

٣- الدول التي ظلت نسبة الحضرية فيها ثابتة وتشمل مصر (٤٤٪).

والمنتظر أن تستمر زيادة نسبة سكان المدن خلال السنوات المقبلة على الرغم مما يبـدو في بعض الأحيـان من عـودة للريف بسـبب الاضطرابات السـياسـية وعـدم الاستقرار.

ب- سكنى الريف:-

ويشمل المزارعين المستقرين أو الرحل والصيادين وقاطعي الأخشاب وجامعي الثـمـار من الغـابات. وكـان هؤلاء يشكلون ٦٢٫١٪ من جـملة سكان العـالم الإسـلامي عـام ١٩٧٩م، انخـفـضت إلى ٥٢,٥٪ عام ١٩٩٣٪ عام ١٩٩٣م. وتنخفض هذه النسبـة بالشطر الآسيوي إلى ٤٥,٢٪ حاليا بـعد أن كانت ٥٦,٤٪ عام ١٩٧٩م، بينما تبلغ ٥٩,٧٪ بالشطر الأفريقي بعد آن كانت ٦٧,٧٪ في عام ١٩٧٩م.

وتتباين نسبة سكاني الريف بين الأقاليم والدول الإسلامية على النحو التالي (جدول رقم ٢٨):-

١- أقاليم ودول تقل فيها نسبة سكان الريف عن ربع السكان:- وتضم إقليمي شبه الجزيرة العربية (آ) والهلال الخصيب (١٢٪و ٢٨٪ على التوالي). وتنتمي إلى هذا النمط تسع دول هي: السعودية (١٣٪)، الكويت (٤٪)، فلسطين- قطر (١٠٪)، البحرين- الإمارات (١٩٪)، لبنان (١٦٪)، ليبيا (٨٪)، موريتانيا (٧٪).

٢- أقاليم ودول متوسط النسبة (٢٥ إلى أقل من ٥٠٪ من السكان):- وتضم إقليمي شمالي أفريقيا (٤٧٪)، وغربي آسيا (٤٦٪)، وتنتمي إليه ثماني دول هي: العراق (٢٥٪)، تونس- بروناي- تركيا (٤١٪)، إيران (٤٦٪)، ماليزيا (٤٩٪).

٣- أقاليم ودول شبه ريفية (٥٠٪ إلى أقل من ٦٦٪ من السكان):- وتضم إقليمي شبه الجزيرة العربية (ب) (٦٦٪)، والصحراء الكبرى (٥٥٪) وإلى هذا النمط تنتمي إحدى عشرة دولة هي: الجزائر (٥٠)، الجابون (٥٤٪)، بنين (٦٢٪)، السنغال (٦١٪)، النيجر- الكمرون (٦٠٪)، المغرب- مالي (٥٣٪)، مصر (٥٥,٨٪)، السودان (٥٤٪)، أفغانستان (٦٥٪).

٤- أقليم ودول ريفية (اكثر من ٦٦٪ من السكان):- وتضم أربعة أقاليم هي: شبه القارة الهندية (٧٦,٦٪)، غربي أفريقيا "ب" (٦٨٪)، حوض النيل (٧١,٢٪). وتنتمي إلى هذا النمط ١٩ دولة هي: (عُمان (٧٦٪)، اليمن- أريتريا (٧١٪)، باكستان- المالديف- جزر القمر (٧٢٪)، بنجلاديش- أثيوبيا (٨٦٪)، أندونيسيا (٦٩٪)، أوغندا (٨٩٪)، الصومال (٧٠٪)، تنزانيا (٧٩٪)، تشاد- سير اليون (٦٨٪)، غامبيا (٧٧٪)، غينيا بيساو- بوركينا فاسو (٨٠٪)، غينيا (٧٤٪)، نيجيريا (٨٤٪).

وقد انخفضت نسبة سكان الريف خلال الفترة من ١٩٧٩م إلى ١٩٩٣م في معظم الدول الإسلامية، وتراوحت بين (-٤٠٪) في الكويت إلى (-٣٩٪) في السعودية وإلى (-٢٪) في سوريا وباكستان وإلى (-١٪) في السودان، كما يظهر من الجدول السابق رقم (٢٨) وذلك بسبب التقدم الحضري وسكنى المدن المتزايد من جهة وصعوبات الحياة في الريف أو تقدمه التكنولوجي من جهة أخرى.

جدول رقم (٢٨) تطور نسبة سكان المدن والريف في العالم الإسلامي [١]

الإقليم/ الدولة	المدن (٪)			الريف (٪)		
	١٩٧٩م (أ)	١٩٩٣م (ب)	التغير (جـ)	١٩٧٩م (أ)	١٩٩٣م (ب)	التغير (جـ)
شبه الجزيرة العربية«أ»	٢٨	٧٩	+ ٥١	٥٠	١٣	- ٣٨
السعودية	٢١	٧٧	+ ٥٦	٥٢	١٣	- ٣٩,٠
الكويت	٥٦	٩٦	+ ٤٠	٤٤,٠	٤,٠	- ٤٠,٠
قطر	٦٩	٩٠	+ ٢١	٣١	١٠,٠	- ٢١,٠
البحرين	٧٨	٨١	+ ٣	٢٢,٠	١٩,٠	- ٣,٠
شبه الجزيرة العربية«ب»	٢٤	٣٢	+ ٨	٧٣,٠	٦٦	- ٦
الإمارات	٦٥	٨١	+ ١٦	٣٢,٠	١٩,٠	- ١٣,٠
عمان	٥	١١	+ ٦	٨١,٥	٧٦,٠	- ٥,٥
اليمن	٢١	٢٩	+ ٨	٧٩,٠	٧١,٠	- ٨,٠
الهلال الخصيب	٦١	٦٨	+ ٧	٣٦	٢٨	- ٨
العراق	٦٦	٧٠	+ ٤	٣١,٧	٢٥,٠	- ٦,٧
فلسطين	٨٦	٩٠	+ ٤	١٢,٥	١٠,٠	- ٢,٥
لبنان	٦٠	٨٤	+ ٢٤	٤٠,٠	١٦,٠	- ٢٤,٠
سوريا	٤٨	٥٠	+ ٢	٤٧,٠	٤٥,٠	- ٢,٠
الأردن	٤٢	٧٠	+ ٢٨	٥٣,٠	٢٥,٠	- ٢٨,٠
غربي اسيا	٤٠	٥١	+ ٩	٥٦	٤٦	- ١٠
تركيا	٤٥	٥٩	+ ١٤	٥٥,٠	٤١,٠	- ١٤,٠
إيران	٤٧,٠	٥٤	+ ٧	٥١,٨	٤٦,٠	- ٥,٨
أفغانستان	١٥	١٨	+ ٣	٦٨,٠	٦٥,٠	- ٣,٠
شبه القارة الهنديه	١٧	١١	+ ٥	٨٣	٧٨	- ٥
باكستان	٢٦	٢٨	+ ٢	٧٤,٠	٧٢,٠	- ٢,٠
بنجلاديش	٩	١٤	+ ٥	٩١,٠	٨٦,٠	- ٥,٠
المالديف	١١	٢٨	+ ١٧	٨٩,٠	٧٢,٠	- ١٧,٠

تابع جدول رقم (٢٨)

الإقليم/ الدولة	المدن (٪)			الريف (٪)		
	١٩٧٩م (أ)	١٩٩٣م (ب)	التغير (جـ)	١٩٧٩م (أ)	١٩٩٣م (ب)	التغير (جـ)
جنوب شرقي آسيا	١٩	٣٣	+ ١٤	٨١	٦٧,٠	- ١٤
ماليزيا	٢٧	٥١	+ ٢٤	٧٣,٠	٤٩,٠	- ٢٤,٠
بروناي	٦٤	٥٩	+ ٥	٣٦,٠	٤١,٠	- ٥,٠
إندونيسيا	١٨	٣١	+ ١٣	٨٢,٠	٦٩,٠	- ١٣,٠
حوض النيل	٢٥	٢٦	+ ١	٧٠	٧٠	- ٠
السودان	٢٠	٢١	+ ١	٥٥,٠	٥٤,٠	- ١,٠
أثيوبيا	١٢	١٤	+ ٢	٨٨,٠	٨٦,٠	- ٢,٠
أوغندا	٧	١١	+ ١١	٩٣,٠	٨٩,٠	- ٤,٠
مصر	٤٤	٤٤	٠	٥٥,٨	٥٥,٨	٠
شمالي أفريقيا	٤٧	٥١	+ ٥	٥٢	٤٧	- ٥
ليبيا	٦٠	٧٦	+ ١٦	٢٣,٠	٨,٠	- ١٥,٠
تونس	٥٠	٥٩	+ ٩	٥٠,٠	٤١,٠	- ٩,٠
الجزائر	٥٢	٥٠	+ ٢	٤٨,٠	٥٠,٠	- ٢,٠
المغرب	٣٨	٤٧	+ ٩	٦٢,٠	٥٣,٠	- ٩,٠
شرقي أفريقيا	١١	١٣	+ ١٢	٨٩	٧٦	- ١٣
جيبوتي	٧٠	٨١	+ ١١	٣٠,٠	١٩,٠	- ١١,٠
الصومال	٢٨	٢٤	- ٤	٧٢,٠	٧٠,٠	- ٢,٠
تنزانيا	٧	٢١	+ ١٤	٩٣,٠	٧٩,٠	- ١٤,٠
جزر القمر	٢٠	٢٨	+ ٨	٨٠,٠	٧٢,٠	- ٨,٠
أريتريا	١٢	٢٩	+ ١٧	٨٨,٠	٧١,٠	- ١٧,٠
الصحراء الكبرى	١٤	٢٣	+ ٩	٦٣	٥٥	- ٨
تشاد	١٤	٣٢	+ ١٨	٨٦,٠	٦٨,٠	- ١٨,٠
النيجر	٩	١٥	+ ٦	٦٦,٠	٦٠,٠	- ٦,٠

تابع جدول رقم (٢٨)

الإقليم/ الدولة	المدن (٪)			الريف (٪)		
	١٩٧٩م (أ)	١٩٩٣م (ب)	التغير (جـ)	١٩٧٩م (أ)	١٩٩٣م (ب)	التغير (جـ)
مالي	١٧	٢٢	٥ +	٥٨,٠	٥٣,٠	٥,٠-
موريتانيا	٢٣	٣٩	١٦ +	٩,٠	٧,٠	٢,٠-
عربي أفريقيا «أ»	٢٣	٣١	٩+	٧٨	٦٨	١٠-
السنغال	٣٢	٣٩	٧ +	٦٨,٠	٦١,٠	٧,٠-
غامبيا	١٦	٢٣	٧ +	٨٤,٠	٧٧,٠	٧,٠-
غينيابيساو	٢٣	٢٠	٣ +	٧٧,٠	٨٠,٠	٣,٠+
سيراليون	١٥	٣٢	١٧ +	٨٥,٠	٦٨,٠	١٧,٠-
غينيا	٢٠	٢٦	٦+	٨٤,٠	٧٤,٠	١٠,٠-
غربي أفريقيا «ب»	١٨	١٠	٣+	٨٢	٨٠	٢-
بنين	١٤	٣٨	٢٤ +	٨٦,٠	٦٢,٠	٢٤,٠-
نيجيريا	١٨	١٦	٢ -	٨٢,٠	٨٤,٠	٢,٠+
الكمرون	٢٩	٤٠	١١+	٧١,٠	٦٠,٠	١١,٠-
بوركينا فاسو	٤	٢٠	١٦ +	٩٦,٠	٨٠,٠	١٦,٠-
الجابون	٣٢	٤٦	١٤ +	٦٨,٠	٥٤,٠	١٤,٠-
العالم الإسلامي (حـ)	٣٩	٤٢	٣ +	٦٢,١	٥٢,٥	٩,٦-

بعض مؤشرات النمو والتقدم السكاني في العالم الإسلامي

١- الدخل الفردي:

يعتبر الدخل الفردي أفضل مقياس منفرد لتحديد مستوى معيشة السكان في الدول المختلفة، وإن كان المتفق عليه أن التقدم الاقتصادي ليس مجرد التوسع في الإنتاج المحلي والدخل الفردي وإنما في القوة الذاتية على حفض حجم الفقر وآثاره . Tkewwrtha, 1972, p.1)

ويبلغ معدل الدخل الفردي في العالم الإسلامي عام ١٩٩١م حوالي ٣١٨٩ دولارا في السنة، وهو يقل عن معدل المناطق الأكثر تقدما بحوالي خمس مرات، كما يقل عن معدل العالم بنحو الربع، وهذا المعدل يضع العالم الإسلامي ضمن المناطق التي تعدت مرحلة الفقر والتي تقترب من متوسط العالم (٣٠٠٠ - ٤٥٠٠ دولار في السنة).

ويزيد معدل الدخل الفردي في الشطر الآسيوي إلى ٥٤٥٠ دولارا في السنة، بينما ينخفض في الشطر الأفريقي إلى ٩٢٩ دولار للفرد في السنة، وهو مايضع الأول ضمن المناطق الغنية في العالم بينما يضع الثاني ضمن المناطق الفقيرة.

أما الأقاليم والدول الإسلامية فتتباين معدلات الدخل الفردي فيها على النحو التالي (جدول رقم ٢٩ وشكل رقم ١٧):-

١- الأقاليم والدول المنخفضة الدخل جدا (أقل من ٣٠٠ دولار للفرد في السنة):- وتضم شرقي أفريقيا (٢١٠ دولار) والصحراء الكبرى (٢٩٠)، كما تضم ١٢ دولة عشر منها في الشطر الأفريقي وأفغانستان وبنجلاديش في الشطر الآسيوي.

٢- الأقاليم والدول المنخفضة الدخل (٣٠٠ - أقل من ٩٠٠ دولار للفرد في السنة:-

وتضم خمسة أقاليم هي: حوض النيل (٣٦٠ دولار)، غربي أفريقيا "ب" (٣٨٠ دولارا)، شبه القارة الهندية (٣١٧ دولار)، غربي أفريقيا "أ" (٤٩٥ دولارا) وجنوب شرقي آسيا (٨٠٣ دولار). وينتمي لهذا النمط ١٦ دولة.

٣- الأقاليم والدول المرتفعة الدخل (أكثر من ٤٥٠٠ دولار في السنة):- وتضم ثلاثة أقاليم هي: شبه الجزيرة العربية "أ" (٧٦٧٠ دولار)، شبه الجزيرة العربية "ب" (٣٢٠٠ دولار) والهلال الخصيب (٣٣٣٠ دولارا)، وتنتمي لهذا النمط تسع دول هي: بروناي (٢١٠٠٠ دولار)، الإمارات (١٩٨٧٠ دولارا)، قطر (١٥٨٧٠ دولارا) الكويت (١١٦١٨ دولارا)، ليبيا (٩٥٥١ دولارا)، السعودية (٧٠٧٠ دولارا)، البحرين (٦٩١٠ دولارا)، عُمان (٥٦٥٠ دولارا).

٤- الأقاليم متوسطة الدخل:- وتضم إقليمي غربي آسيا (١٨٢٠ دولار)، وشمالي أفريقيا (٢١٢٠ دولار). وتنتمي لهذا النمط سبع دول كما هو مبين من الجدول السابق رقم (٢٩).

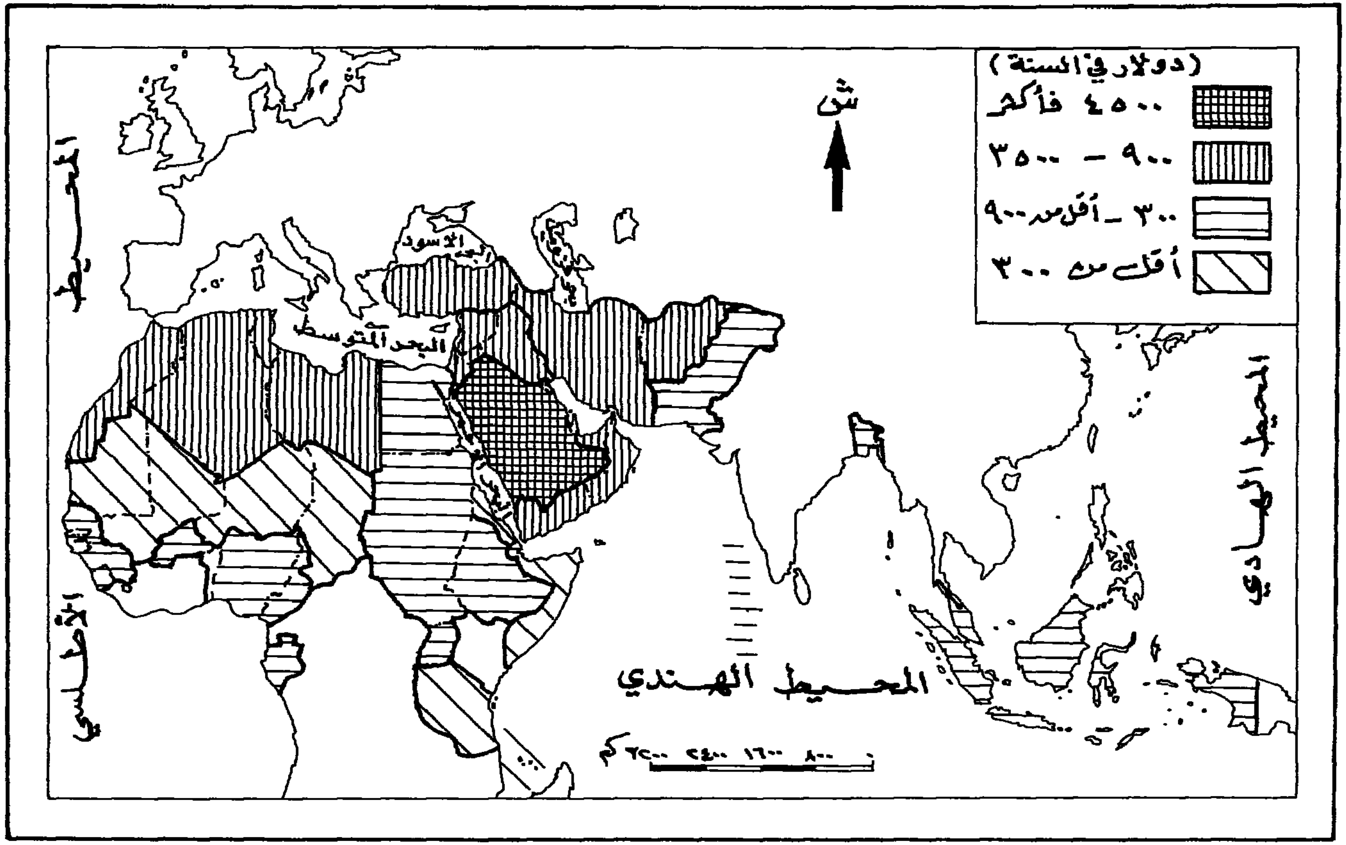
٢- المستوى الصحى:

يتخذ المستوى الصحى للسكان مقياسا جيد لمستوى معيشة السكان (Stan Ford, 1972, p. 174) ويعود نقص هذا المستوى إلى عوامل جغرافية خاصة وإلى الظروف السياسية والاجتماعية ونحوها ويمكن قياس هذا المستوى بطرق مختلفة على النحو التالي (جدول رقم ٣٠):-

جدول رقم (٢٩) معدلات االدخل الفردي في العالم الإسلامي بالدولار (الأمريكي عام ١٩٩١م)

الإقليم/ الدولة	المتوسط	الإقليم/ الدولة	المتوسط	الإقليم/ الدولة	المتوسط
شبه الجزيرة العربية «أ»	٧٦٧٠	بنجلاديش	٢٢٠	أريتريا	١٣٠
السعودية	٧٠٧٠	المالديف	٤٦٠	الصحراء الكبرى	١٩٠
الكويت	١١٦١٨	جنوب شرقي آسيا	٨٠٣	تشاد	٢٢٠
قطر	١٥٨٧٠	ماليزيا	٢٤٩٠	النيجر	٣٠٠
البحرين	٦٩١٠	بروناي	٢١٠٠٠	مالي	٢٨٠
شبه الجزيرة العربية «ب»	٣٢٠٠	إندونيسيا	٦١٠	موريتانيا	٥١٠
الإمارات	١٩٨٧٠	حوض النيل	٣٦٠	غربي أفريقيا «أ»	٤٩٥
عمان	٥٦٥٠	السودان	٤٠٠	السنغال	٧٢٠
اليمن	٥٤٠	أثيوبيا	١٢٠	غامبيا	٣٦٠
الهلال الخصيب	٣٣٣٠	أوغندا	١٦٠	غينيا بيساو	١٩٠
العراق	٣٣٥٣	مصر	٦٢٠	سيراليون	٢١٠
فلسطين	١١٣٣٠	شمالي أفريقيا	١١١٠	غينيا	٤٥٠
لبنان	٦١٣	ليبيا	٩٥٥١	غربي أفريقيا «ب»	٣٨٠
سوريا	١١١٠	تونس	١٥١٠	بنين	٣٨٠
الأردن	١١٢٠	الجزائر	٢٠٢٠	نيجيريا	٢٩٠
غربي آسيا	١٨٢٠	المغرب	١٠٣٠	الكمرون	٩٤٠
تركيا	١٨٢٠	شرقي أفريقيا	٢١٠	بوركينا فاسو	٣٥٠
إيران	٢٣٢٠	جيبوتي	٣٥٠	الجابون	٣٧٨٠
أفغانستان	١٢٥	الصومال	١٤٠	العالم	١٠٠٤
شبه القارة الهندية	٣١٧	تنزانيا	١٠٠	العالم الإسلامي	٤١٨٠
باكستان	٤٠٠	جزر القمر	٥٠٠	المناطق الأكثر تقدماً	١٥٤٢٠
				المناطق الأقل تقدماً	٨٧٠

المصدر:- THE POPULATION REFERANCE BUREAU,(1993)



شكل (١٧) أنماط الدخل الفردي في أقاليم العالم الإسلامي (١٩٩١م)

أ- مايخدمه الطبيب الواحد من السكان:

ويقل هذا العدد في الدول المتقدمة عن ٥٠٠ شخص، بينما يرتفع في الدول النامية إلى أضعاف هذا العدد. ويتميز العالم الإسلامي بانخفاض هذا المستوى فطبقا لمنظمة الصحة العالمية (عام ١٩٩٤م) يرتفع معدل مايخدمه الطبيب الواحد إلى أكثر من ٥٠٠٠ شخص، وهو مايعني عدم قدرة الطبيب على فحص المرضى ووصف العلاج اللازم أو متابعة الحالة الصحية. وتصنف الدول الإسلامية إلي الأنماط الأربعة الآتية:-

١- دول ذات مستوى صحي مرتفع، يخدم فيها الطبيب أقل من ألف شخص:- وتضم السعودية (٧٠٤ شخص للطبيب الواحد)، البحرين (٧٧٥)، لبنان (٤١٣)، الأردن (٦٤٩)، ليبيا (٩٦٢).

٢- دول ذات مستوى صحى متوسط (١٠٠٠- أقل من ٢٠٠٠ شخص للطبيب):- وتضم الإمارات (١٠٤١)، الجزائر (١٠٦٤) سوريا (١٢٢٠)، العراق (١٦٦٧)، تونس (١٨٥٢).

٣- دول ذات مستوى صحي منخفض (٢٠٠٠- أقل من ٥٠٠٠ شخص للطبيب):- ومنها باكستان (٢٠٠٠)، الجابون (٢٥٠٠)، ماليزيا (٢٥٦٤)، اليمن (٤٣٤٨).

٤- دول ذات مستوى صحى منخفض جدا (أكثر من ٥٠٠٠ شخص للطبيب).. ومنها النيجر (٥٠,٠٠٠)، أثيوبيا- تشاد- بوركينا فاسو (٣٣,٣٣٣)، أوغندا (٢٥,٠٠٠)، مالي (٢٠,٠٠٠)، السنغال- موريتانيا (١٦,٦٦٧)، بنين (١٤,٢٨٦)، الكمرون- بنجلاديش (١٢٥٠٠)، أندونيسيا (٧١٤٣)، غينيا- أفغانستان (٧٦٩٢)، المالديف (٦٦٦٧)، نيجيريا (٥٨٨٢).

جدول رقم (٣٠) مؤشرات المستوى الصحي في دول العالم الإسلامي عام ١٩٩١م (١: ١٠٠,٠٠٠ نسمة) (١)

الدولة	طبيب أسنان (أ)	طبيب بشري (أ)	صيدلي (أ)	هيئات تمريض (أ)	نفقات العلاج ٪ من جملة النفقات (ب)
السعودية	١٣	١٤٢	١٢	٣٢٣	١
قطر	-	-	-	-	١
البحرين	١٣	١٢٩	٢٤	-	٥,٨
الإمارات	١٨	٩٦	-	١٧٦	-
اليمن	١	٢٣	-	٥٥	-
العراق	٩	٦٠	١٠	٧٣	-
فلسطين	-	-	-	-	٥,٢
لبنان	٣٧	٢٤٢	٥١	٤٦	٦
سوريا	٢٧	٨٢	٢٩	٩٧	-
الأردن	٣٦	١٥٤	٥٤	١٥٦	١,٨
إيران	٨	-	-	-	-
أفغانستان	٢	١٣	٣	٩	٢
باكستان	٢	٥٠	٢٩	-	-
تشاد	-	٣	-	٢	-
النيجر	-	٢	-	٢٦	-
مالي	-	٥	١	١٧	-
موريتانيا	١	٦	-	٤٤	-
السنغال	١	٦	٣	٨	-
غينيا	-	١٣	-	-	-
بنجلاديش	١	٨	٢	٥	-
المالديف	-	١٥	-	-	-
ماليزيا	٨	٣٩	٦	-	١,٢٨
إندونيسيا	٢	١٤	١	٣٥	٠,٩٩

تابع جدول رقم (٣٠)

الدولة	طبيب أسنان (أ)	طبيب بشري (أ)	صيدلي (أ)	هيئات تمريض (أ)	نفقات العلاج ٪ من جملة النفقات (ب)
أثيوبيا	-	٣	١	٧	٢,٩٣
أوغندا	-	٤	-	١٤	١,٨٠
مصر	-	-	٧	-	٢,٧٥
ليبيا	١٥	١٠٤	-	٣٠٥	-
تونس	١١	٥٤	١٥	٢٤٦	-
الجزائر	٢٩	٩٤	٩	-	٢,٧١
المغرب	-	-	-	-	٤,٥٨
تنزانيا	-	-	-	-	١,٠٠
جزر القمر	١	١٠	١	٢٩	-
بنين	-	٧	٢	٣١	١,٠٠
نيجيريا	١	١٧	٥	٦١	-
الكمرون	-	٨	٢	٥٤	-
بوركينا فاسو	-	٣	١	١٠	-
الجابون	٣	٤٠	٦	٦٨	-

١ - الجدول من إعداد الباحث بناء على:-

أ- WARLD HELTH ORGANIZATION, (1994),THE WORLD HEALTH STATISTICS, T.C.3, P.19.

ب - INTERN AT , BND LABOUR OFFICE , (1994) 1994 YEAR-BOOK OF LABOUR, STATISTICS T. A . , P.XLVILL- LII.

وقد اتضح من الدراسة أن هناك عـلاقة ارتباط موجبة قـوية في أقاليم العالم الإسـلامي بين الدخل الفـردي وعـدد الأطبـاء، ويبلغ مـعامل الارتبـاط بينهـمـا (٧٦, ٠)، بمعنى أنه كلما زاد الدخل الفردي بدرجة قـوية زاد عدد الأطباء بالدرجة نفسها والعكس صحيح.

ب- مايخدمه السرير الواحد من السكان:

يشير هذا المقيـاس إلى المستوى الصحي للسكان، ففي الدول المتـقدمة يخدم السـرير أقل من ٣٨ شـخصـا في بريطانيـا، ١٠٠ شخص فـي الولايات المتحـدة الأمريكية، و٣٦٠ شـخصا في اليونان (حميـدة و١٤٠٠هـ وص ٥٤)، بينما يخدم السرير فـي الدول النامية عـددا كبـيرا من المرضى ليـصل في الكويت إلى أقل من ٢٠٠ شـخص، وفي السـعـودية أقل من ٥٠٠ شخـص، وفي مصـر نحـو ٤٥٠ شخصـاً، بينما يبلغ ٥٠٠٠ شخص في أثيـوبيا وأكثر من ألف شـخص في سوريا (المطري، ١٩٨٤م جدول (٨٧)، ص ٦٢٨).

جـ- عدد أعضاء هيئة التمريض:

تشير قلة عدد السكان الذين يخدمـهم الممرض/ إلى ارتفاع المستوى الصحي والعكس صحيح. ويختلف الحال في الدول الإسلامية على النحو لتالي:-

١- دول متـقدمـة صحيـاً (أقل من ٥٠٠ شخص للمـرض):- ومنها السـعودية (٣٠٩)، ليبيا (٣٢٨)، تونس (٤٠٧).

٢- دول متـوسطة المستوى الصـحي (٥٠٠- ١٠٠٠ شخص/ الممـرض):- ومنها الإمارات (٥٦٨)، الأردن (٦٤١).

٣- دول منخفـضة المستـوى (١٠٠٠-٤٠٠٠ شخص/ ممرضة):- ومنهـا: سوريا (١٠٣١)، العراق (١٣٧٠)، الجـابون (١٤٧١)، نيجـيريا (١٦٣٩)، اليـمن (١٨١٨)، الكمرون (١٨٥٢)، موريتانيا (٢٢٧٣)، لبنان (٢١٧٤)، أندونيسيا (٢٨٥٧)، بنين (٣٢٢٦)، جزر القمر (٣٤٤٨)، النيجر (٣٨٤٦).

٤- دول منخفضة المستوى جدا (أكثر من ٤٠٠٠ شخص/ ممرضة):-

ومنها: مالي(٥٨٨٣)، أوغندا (٧١٤٣)، بوركينا فاسو (١٠,٠٠٠)، السنغال (١٢٥٠٠)، ١٢٥٠٠)، أفغانستان (١١,١١١)، أثيوبيا (١٤,٢٨٦)، بنجلاديش (٢٠,٠٠٠)، تشاد (٥٠,٠٠٠).

٣- نسبة الإنفاق على التعليم:

تشير هذه النسبة إلى مدى اهتمام الدولة بالتعليم ومستوى المعيشة، وإنما كانت القيم الفعلية لهذا الإنفاق تختلف من دولة إلى أخرى بسبب حجم الإنفاق الحكومي الفعلي، وتبلغ هذه النسبة في العالم الإسلامي ١٥,١٪ من جملة الإنفاق العام، ترتفع في الشطر الآسيوي إلى ١٦,١٥٪، وتنخفض بالشطر الأفريقي إلى ١٣,٩٥٪.

وتختلف نسبة الإنفاق على التعليم بين الأقاليم الإسلامية حيث يأتي إقليم شمالي أفريقيا بنسبة (١٩٪) وإقليم غربي آسيا (١٩٪)، ثم إقليم غربي أفريقيا "أ" (٢٠٪)، فإقليم غربي أفريقيا "ب" (١٣٪).، وتبلغ هذه النسبة ١٨٪ في إقليم شبه الجزيرة العربية (ب)، ١٤٪ في إقليم الصحراء الكبرى، ٩,٥٪ في إقليم جنوب شرقي آسيا، ثم ١٥٪ في إقليم شبه الجزيرة العربية (أ)، ١١٪ في إقليم حوض النيل، ١٢٪ في إقليم الهلال الخصيب، ١١٪ في إقليم شرقي أفريقيا، وتنخفض إلى ٧٪ في إقليم شبه القارة الهندية.

وطبقا لبيانات منظمة اليونسكو عام ١٩٩٤م تصنف الدول الإسلامية إلى الأنماط الآتية (جدول رقم ٣١):-

١- دول يزيد إنفاقها على التعليم على ٢٥٪ من إجمالي إنفاقها العام:- وتضم ثماني دول هي: بنين (٣٦,٨٪)، إيران (٢٨,٢٪)، السنغال (٢٧,٤٪)، المغرب (٢٦,٧٪).

٢- دول يتراوح إنفاقها على التعليم بين الربع إلى الخمس من جملة إنفاقها العام:- وتضم أربع دول هي: موريتانيا- جزر القمر (٢٢٪)، غينيا بيساو (٥ ,٢١٪)، ليبيا (٨ ,٢٠٪).

٣- دول يتراوح إنفاقها على التعليم بين سُبع إلى خُمس إنفاقها العام:- وتضم ١٢ دولة هي: اليمن (٥ ,١٩٪)، بوركينا فاسو (٥ ,١٧٪)، مالي (٣ ,١٧٪)، السعودية (١٧٪) الكمرون- ماليزيا (٩ ,١٦٪)، الجزائر (٣ ,١٦٪)، عُمان (٢ ,١٦٪)، المالديف (١٦٪)، الإمارات (٢ ,١٥٪)، أوغندا- السودان (١٥٪).

٤- دول يتراوح إنفاقها على التعليم بين السُبع إلى العُشر من إنفاقها العام:- وتضم ١٣دولة هي: سوريا- تونس (٢ ,١٤٪)، الكويت (٩ ,١٣٪)، غامبيا (٩ ,١٢٪) ، لبنان (٥ ,١٢٪)، سير اليون (٤ ,١٢٪)، البحرين (٣ ,١٢٪)، نيجيريا (١٢٪)، تنزانيا (٤ ,١١٪)، جيبوتي (١ ,١١٪)، النيجر (٨ ,١٠٪)، فلسطين- تركيا (٥ ,١٠٪).

٥- دول يقل إنفاقها على التعليم عن عُشر إنفاقها العام:- وتضم عشر دول هي: الصومال (٨ ,٢٪)،باكستان (٥٪)، قطر (٢ ,٧٪) بنجلاديش (٧ ,٨٪)، الأردن (٢ ,٩٪)، أندونيسيا- أريتريا- أثيوبيا- الجابون (٤ ,٩٪)، مصر (٧ ,٩٪). وإن كان يلاحظ هنا ارتفاع الإنفاق العام لبعض دول هذه المجموعة بحيث يشكل إنفاقها على التعليم قدرا كبيرا بالفعل بالمقارنة بالدول الأخرى (مثل قطر).

وبسبب اختلاف عدد السكان وجملة الإنفاق الحكومي الفعلي فإن نصيب الفرد بالدول والأقاليم الإسلامية يتباين بشدة، ويعتبر مقياسا أفضل لمستوى معيشة السكان.

جدول رقم (٣١) نسبة الإنفاق على التعليم في العالم الإسلامي (١)
(٪ من جملة الإنفاق الحكومي عام٩٠ / ١٩٩٢م)

الإقليم/ الدولة	٪	الإقليم/ الدولة	٪	الإقليم/ الدولة	٪
شبه الجزيرة العربية«أ»	١٥ ب	بنجلاديش	٨,٧	أريتريا	٩,٤
السعودية	١٧,٠	المالديف	١٦,٠	الصحراء الكبرى	١٤
الكويت	١٣,٩	جنوب شرقي اسيا	٩,٥	تشاد	..
قطر	٧,٢	ماليزيا	١٦,٩	النيجر	١٠,٨
البحرين	١٢,٣	بروناي	..	مالي	١٧,٣
شبه الجزيرة العربية«ب»	١٨	إندونيسيا	٩,٤	موريتانيا	٢٢,٠
الإمارات	١٥,٢	حوض النيل	١١	عربي أفريقيا «أ»	٢٠
عمان	١٦,٢	السودان	١٥,٠	السنغال	٢٧,٤
اليمن	١٩,٥	أثيوبيا	٩,٤	غامبيا	١٢,٩
الهلال الخصيب	١٢	أوغندا	١٥,٠	غينيابيساو	..
العراق	..	مصر	٩,٧	سيراليون	١٢,٤
فلسطين	١٠,٥	شمالي أفريقيا	١٩	غينيا	٢١,٥
لبنان	١٢,٥	ليبيا	٢٠,٨	عربي أفريقيا «ب»	١٣
سوريا	١٤,٢	تونس	١٤,٢	بنين	٢٦,٨
الأردن	٩,٢	الجزائر	١٦,٣	نيجيريا	١٢,٠
عربي آسيا	١٩	المغرب	٢٦,٧	الكمرون	١٦,٩
تركيا	١٠,٥	شرقي أفريقيا	١١	بوركينا فاسو	١٧,٥
إيران	٢٨,٢	جيبوتي	١١,١	الجابون	٩,٤
أفغانستان	..	الصومال	٢,٨	العالم الإسلامي	١٥,١
شبه القارة الهندية	٧	تنزانيا	١١,٤		
باكستان	٥,٠	جزر القمر	٢٢,٠		

١ - الجدول من إعداد الباحث بناء على:-

UNESCO, (1994) STATISTICAL YEARBOOK 1994 T.4-1 PP.4-57

٤- نصيب الفرد من أجهزة الاتصال ووسائل الإعلام:

أ- الهاتف:-

يدل نصيب الفرد من الهـواتف على مدى توافر الخدمات للسكان ومـستوى معيـشتهم ودرجة تقدمـهم السكاني. وطبقا لبيانات الأمم المتـحدة عام ١٩٩٤م بلغ هذا النصيب في العالم الإسلامي ١,٥ هاتف لكل ١٠٠ شخص عام ١٩٩١م، أو هاتفاً واحـداً لكل ٦٧ شخصـا. ويرتفع هذا المعدل في الشطر الآسـيوي إلى ٩,٦ هواتف لكل ١٠٠ شـخص (أى هاتف واحـد لكل ١٠,٤ أشـخـاص)، بينمـا ينخـفض هذا المعـدل في الشطر الأفـريقي ١,١٣ هاتف لكل ١٠٠ شـخص (أي هاتف واحد لكل ٨٩,٣ شخصـا). وتختلف الأقاليم والدول الإسلامـية في ذلك على النحو التالي (جدول رقم ٣٢):-

١- أقاليم ودول ذات مـستوى مـرتفع جدا (١٥+هاتفاً لكل مـائة شخص أو هاتف واحد لكل سـبعة أشخـاص):- ولاينتمي لهذا النمط إقليم من أقـاليم العالم الإسلامي ولكن تنتمي إليه خمس دول هي: فلسطين (٣٤,٩ هاتف لكل مائة شخص) والإمارات (٢٩,٥ هاتفا لكل ١٠٠ شخص)، قطر (٢١,٩ هاتف لكل مـائة شخـص)، البحـرين ١٩,٤ هاتفًـا لكل مائة شـخص)، الكويت (١٦,١ هاتفًا لكل مائة شخص).

٢- أقـاليم ودول ذات مـسـتـوى مـرتفع (٨ إلى أقل من ١٥ هاتفًـا لكل مـائة شخص).. ويضم ثـلاثة أقاليم هي: شبـه الجزيرة العـربية "أ" (١٠ هواتف لكل ١٠٠ شـخص)، الهـلال الخـصـيب (٨ هواتف لكل ١٠٠ شـخص)، وغربي آسيـا (٨ هواتف لكل مائة شخص)،. وينتـمي إلى هذا النمط خمس دول هي: بروناي (١٤,٨ هاتفًا لكل مائة شخص)، تركيا (١٤,٣ هاتفًا لكل مائة شخص)،لبنان (١١,١ هاتفًا لكل مائة شـخص)، ماليزيا (٩,٩ هواتف لكل مائة شخص)، السعودية (٨,٤ هواتف لكل مائة شخص).

٣- أقاليم ودول متوسطة المستوى (٣ إلى أقل من ٨ هواتف لكل مائة شخص):- وتضم شبه الجزيرة العربية "ب" (٥ هواتف لكل مائة شخص)، شمالي أفريقيا (٣ هواتف لكل مائة شخص)، وتنتمي إلى هذا النمط عشر دول: عُمان (٧,٦ هواتف لكل مائة شخص) الأردن (٦,٤ هواتف لكل مائة شخص)، ليبيا (٥,٧ هواتف لكل مائة شخص) ، إيران- تونس (هاتف لكل ٢٤,٤ شخصًا)، العراق- مصر (هاتف لكل ٢٧,٨ شخصًا)، المالديف (هاتف لكل ٢٨,٦شخصًا)، الجزائر (هاتف لكل ٢٩,٤ شخصًا).

٤- أقاليم ودول ذات مستوى منخفض (١إلى أقل من ٣ هواتف لكل مائة شخص).. وتضم إقاليم جنوب شرقي آسيا (١,٣ هاتف لكل ١٠٠ شخص)، حوض النيل (١,٥ هاتف لكل ١٠٠ شخص). وتنتمي إلى هذا النمط خمس دول هي: المغرب (هاتف لكل ٥٢,٦ شخصا)، الجابون (هاتف لكل ٥٥,٦ شخصا)، غامبيا (هاتف لكل ٦٢,٥ شخصا)، جيبوتي (هاتف لكل ٧١,٤ شخصا)، اليمن (هاتف لكل ٩١ شخصا).

٥- الأقاليم والدول ذات المستوى المنخفض جدا (هاتف واحد لأكثر من ١٠٠ شخص)، وتضم خمسة أقاليم هي: غربي أفريقيا "أ" (هاتف لكل ١٤٣شخصا)، غربي أفريقيا "ب" (هاتف لكل ١٦٧شخصا)، شرقي أفريقيا (هاتف لكل ٢٥٠ شخصا)، الصحراء الكبرى (هاتف لكل ٥٥٥,٦ شخصا).. وتنتمي إلى هذا النمط ٢٣ دولة هي: تشاد- بنجلاديش- السودان- أوغندا- بوركينا فاسو- نيجيريا- الصومال- غينيا (هاتف لكل ٥٠٠ شخص فأكثر) أثيوبيا- الكمرون- تنزانيا- بنين- أريتريا (هاتف لكل ٣٣٣ شخصا)، سير اليون- موريتانيا (هاتف لكل ٢٥٠ شخصا)، غينيا بيساو- السنغال (هاتف لكل ١٦٧ شخصا، أندونيسيا- جزر القمر (هاتف لكل١٤٣ شخصا).

جدول رقم (٣٢) نصيب الفرد من الهواتف في العالم الإسلامي (١)

(عام ١٩٩١م - هاتف لكل ١٠٠ شخص)

الإقليم/ الدولة	المعدل (أ)	الإقليم/ الدولة	المعدل (أ)	الإقليم/ الدولة	المعدل (أ)
شبه الجزيرة العربية «أ»	١٠ (ب)	بنجلاديش	٠,٢	أريتريا	٠,٣
السعودية	٨,٤	المالديف	٣,٥	الصحراء الكبرى	٠,١٢
الكويت	١٦,١	جنوب شرقي آسيا	١,٢	تشاد	٠,١
قطر	٢١,٩	ماليزيا	٩,٩	النيجر	٠,١
البحرين	١٩,٤	بروناي	١٤,٨	مالي	٠,١
شبه الجزيرة العربية «ب»	٥	إندونيسيا	٠,٧	موريتانيا	٠,٤
الإمارات	٢٩,٥	حوض النيل	١,٥		
عمان	٧,٦	السودان	٠,٢	عربي أفريقيا «أ»	٠,٥
اليمن	١,١	أثيوبيا	٠,٣	السنغال	٠,٦
الهلال الخصيب	٨	أوغندا	٠,٢	غامبيا	١,٦
العراق	٣,٦	مصر	٣,٦	غينيابيساو	٠,٦
فلسطين	٣٤,٩	شمالي أفريقيا	٣	سيراليون	٠,٤
لبنان	١١,١	ليبيا	٥,٧	غينيا	٠,٢
سوريا	٣,٩	تونس	٤,١		
الأردن	٦,٤	الجزائر	٣,٤	عربي أفريقيا «ب»	٠,٢٣
عربي آسيا	٨	المغرب	١,٩	بنين	٠,٣
تركيا	١٤,٣	شرقي أفريقيا	٠,٣	نيجيريا	٠,٢
إيران	٤,١	جيبوتي	١,٤	الكمرون	٠,٣
أفغانستان	٠,٢	الصومال	٠,٢	بوركينا فاسو	٠,٢
شبه القارة الهندية	٠,٨	تنزانيا	٠,٣	الجابون	١,٨
باكستان	٠,٩	جزر القمر	٠,٧	العالم الإسلامي (ب)	١,٥

١ - الجدول من إعداد الباحث بناء على:-

UNESCO, (1994) DEMOGRAPHIC YEARBOOK 1994, T.23, PP.176 - 185.

ب ـ من حساب الباحث.

وقد تبين من دراسة علاقة الارتباط بين الدخل الفردي ونصيب الفرد من الهواتف وجود علاقة ارتباط موجبة قوية بينهما حيث يبلغ معامل ارتباطها (٨٨,٠)، بمعنى أنه كلما زاد الدخل الفردي بدرجة قوية زاد عدد الهواتف بالدرجة نفسها، والعكس صحيح.

ب- أجهزة التلفزة:

بلغ نصيب العالم الإسلامي من أجهزة التلفزة ١٠٥ جهاز لكل ١٠٠٠شخص (أو جهاز لكل ٩,٥ أشخاص) طبقا لبيانات الأمم المتحدة عام ١٩٩٤م. ويرتفع هذا النصيب في الشطر الآسيوي إلى ١٧٧ جهازاً لكل ألف شخص (جهاز لكل ٥,٦ أشخاص)، بينما ينخفض في الشطر الأفريقي إلى ٣٣,٣ جهاز لكل ألف شخص (جهار لكل ٣٠ شخصا). ويختلف نصيب الفرد في الأقاليم والدول الإسلامية على النحو التالي (جدول رقم ٣٣):-

١- أقاليم ودول ذات مستوى مرتفع جدا (٢٥٠ جهار فأكثر لكل ألف شخص):- وتضم إقليم شبه الجزيرة العربية "أ" (٢٧٨ جهازا لكل ألف شخص). وتنتمي إلى هذا النمط سبع دول هي: عُمان (٧٢٧ جهازا لكل ألف شخص)، قطر (٤٥٠ جهازا لكل ألف شخص)، البحرين (٤١٥ جهاز لكل ألف شخص)، لبنان (٣٢٥ جهازا لكل ألف شخص)، الكويت (٢٨٣ جهاز لكل ألف شخص)، فلسطين (٢٦٩ جهاز لكل ألف شخص) ، السعودية (٢٦٦ جهاز لكل ألف شخص)،.

٢- الأقاليم والدول ذات المستوى المرتفع (١٠٠ إلى أقل من ٢٥٠ جهازا لكل ألف شخص):- وتشمل خمس دول نصيب كل ألف شخص فيها ٢٣٥ جهاز في بروناي، ١٧٥ جهازا في تركيا، ١٤٩ جهاز في ماليزيا، ١١٦ جهاز في مصر، ١٠٧جهاز في الإمارات،. وتنتمي إلى هذا النمط ثلاثة أقاليم: شبه الجزيرة العربية "ب" (١١٦ جهازا)، والهلال الخصيب (١٠٧ أجهزة)، وغربي آسيا (١٠٣ جهاز).

جدول رقم (٣٣) نصيب الفرد من أجهزة الراديو والتلفزة فى العالم الإسلامي (١)
عام ١٩٩١م - (جهاز لكل ١٠٠٠ شخص)

الإقليم/ الدولة	أجهزة التلفزة	أجهزة الراديو	الإقليم/ الدولة	أجهزة التلفزة	اجهرة الراديو
شبه الجزيرة العربية«أ»	٢٧٨	٣١٧	جنوب شرقي اسيا	٧٤	١٧١
السعودية	٢٦٦	٣٠٤	ماليزيا	١٤٩	٤٣٠
الكويت	٢٨٣	٣٤٣	بروناي	٢٣٥	٣٦٩
قطر	٤٥٠	٤٤٣	إندونيسيا	٥٩	١٤٦
البحرين	٤١٥	٥٣٧	حوض النيل	٧٦	٢٠٧
شبه الجريرة العربية«ب»	١١٦	١٣٤	السوداں	٧٧	٢٥٠
الإمارات	١٠٧	٣٢٥	أثيوبيا	٥٣	٨٦
عمان	٧٢٧	٦٣٧	أوعندا	١٠	١٠٩
اليمں	٢٧	٢٧	مصر	١١٦	٣٢٦
الهلا ل الخصيب	١٠٧	٢٩٤	شمالى أفريقيا	٧٧	٢٢٠
العراق	٧٢	٢١٥	ليبيا	٩٩	٢٢٥
فلسطين	٢٦٩	٤٧٠	تونس	٧٩	١٩٩
لبناں	٣٢٥	٨٣٣	الجزائر	٧٤	٢٣٤
سوريا	٦٠	٢٥٥	المغرب	٧٤	٢١٠
الأردں	٨٠	٢٥٦	شرقي أفريقيا	٥	٣٥
عربي أسيا	١٠٣	١٨٣	جيبوتي	٥٣	٨٦
تركيا	١٧٥	١٦١	الصومال	١٢	٣٧
إيران	٦٣	٢٣١	تنزانيا	٢	٢٥
أفغانستان	٨	١٠٧	حزر القمر	٠	١٢٨
شبه القارة الهندية	١٧	٥٩	أريتريا	٣	٨٩
باكستاں	١٨	٩٠	الصحراء الكبري	٤	٩٨
سحلاديش	٥	٢٣	تشاد	١	٢٤٣
المالديف	٦٣	٢٣١	النيجر	٥	٦٠

«تابع» جدول رقم (٣٣)

الإقليم/ الدولة	اجهزة التلفزة	أحهزة الراديو	الإقليم/ الدولة	اجهزة التلفزة	احهزة الراديو
مالي	١	٤٤	عربي أمريقيا «ب»	٢٩	١٥٦
موريتانيا	٢٣	١٤٤	بنين	٥	٩٠
عربي أمريقيا «أ»	١٩	١٠٨	نيحيريا	٣٣	١٧٣
السنعال	٣٦	١١٤	الكمرون	٢٤	١٤٥
عاميا	٠٠	١٧٠	بوركينا فاسو	٥	٢٦
عيبايساو	٠٠	٤٠	الجابون	٣٧	١٤٣
سيراليون	١٠	٢٢٣			
غيبيا	٧	٤٢	العالم الاسلامي (ب)	٥١	١٥٠

١ - الجدول من إعداد الباحث بناء على:-

U. N., (1994), DEMOGRAPHIC YERU BOOK,1994 T. 20, PP.160 - 166.

٣- الأقاليم والدول ذات المستوى المتـوسط (٥٠ إلى أقل من ١٠٠ جهاز لكل ألف شخص):- ويضم ثلاثة أقاليم هي: جنوب شرقي آسيا (٧٤ جهازاً)، حوض النيل (٧٦ جهازاً)، شـمالي أفريقيا (٧٧ جـهازاً). وتنتمي إلى هذا النمط ١٢ دولة هي: ليبيا (٩٩جهـاز لكل ألف شخص)، الأردن (٨٠ جهازًا لكل ألف شخص)، تونس (٧٩ جـهازا لكل ألف شخص)، السودان (٧٧ جـهازا لكل ألف شخص)، المغرب- الجزائر (٧٤ جهازًا لكل ألف شخص)، العراق (٧٢ جهازًا لكل ألف شخص)، إيران (٦٣ جهازًا لكل ألف شخص)، سوريا (٦٠ جهازًا لكل ألف شخص)، أندونيسيا (٥٩ جهازًا لكل ألف شخص)، أثيوبيا- جيبوتي (٥٣ جهازًا لكل ألف شخص).

٤- الأقـاليم والدول ذات المسـتـوى المنخـفض (أقل من ٥٠ جــهـازا لكل ألف شخص):- ويضم إقليم شـبه القارة الهندية (١٧ جهـازًا لكل ألف شخص)، غربي أفريقيا "ب" (٣٩ جهازًا لكل ألف شـخص)، شرقي أفريقيا (٥ أجهزة لكل ألف شـخص)، غربي أفـريقـيا "أ" (١٩ جـهازًا لكل ألف شـخص)، الصـحراء الكبـرى (٤ أجـهزة لكل ألف شـخص). وينتـمي إلى هذا النمط عشرون دولة هي: تشاد- مالي (جهاز لكل ألف شخص)، تنزانيا (جهاز لكل ٥٠٠ شخص)، أريتـريا (جهـاز لكل ٣٣٣ شخصـا)، النيجـر- بنجلاديش- بنين- بوركـينا فـاسـو (جـهاز لكـل ٢٠٠ شخص)، غـينيـا (جـهـاز لكل ١٤٣شخـصا)، أفغـانستان (جـهاز لكل ١٢٥شخـصا)، سيـر اليون- أوغندا (جهـاز لكل ١٠٠ شخص) الصومـال (جهـاز لكل ٨٣ شخص)، باكسـتان (جهاز لكل ٥٥,٦ شخصا)، مـوريتانيا (جهاز لكل ٤٣ شخـصا)، الكمرون (جهاز لكل ٤٢ شـخصا)، اليمن (جهاز لـكل ٣٧ شخصا)، نيجيـريا (جهاز لكل ٣٠ شخصا)، الـسنغال (جهاز لكل ٢٨ شخصا)، الجـابون (جهاز لكل ٢٧ شخصا).

وقد تبين أن هناك علاقة ارتباط موجبة قوية بين الدخل الفردي ونصيب الفرد من أجهزة التلفزة، حيث بلغ مـعامل الارتباط بينهما (٨٦, ٠)، بمعنى أنه كلما زاد الدخل الفـردي بدرجة قـوية زاد نصيب الفـرد من هذه الأجهـزة بالدرجة نـفسـها والعكس صحيح.

الخاتمة

أولاً : التباينات بين أرجاء العالم الإسلامي :-

سبـقت الإشارة إلى التباين بين أرجـاء العالم الإسلامي عند دراسـة العناصر والمتغيرات السكانية المختلفة، ونفصل ذلك ونجمله على النحو التالي :-

أ- التباين بين الأقاليم الإسلامية :

ليست الأقاليم الإسلامية متساوية في خصائصها السكانية، فبعضها يتقدم في متغير أو أكثـر، والبعض الأخر متخلف فيها. وقد اختار البـاحث متغيرات سكانية للمقارنة بين الأقاليم الإسلامية متفق عليـها بين الباحثين وهي: معدل الوفيات الخام - معدل وفيات الرضع، متوسط عمر الفـرد، نسبة متوسطي السن، نسبة المشتغلين بالحرف الأولية، نسـبة الأمية العامة، نسـبة طلبة الجامعات، نسـبة الإناث بين طلبة الجامعات، نـسبة سكان المدن، معدل الدخل الفردي ونصـيب الفرد من الهواتف و أجهزة التلفزة. ويمكن إيضاح مـراكز الأقاليم حسب الجدول رقم (٣٤) وذلك على النحو التالي :-

١- الأقاليم المتقدمة وشـبه المتقدمة :- وتتميز بتقـدم واضح في المتغيرات السكانية، وتشغل المراكز الثلاث الأولى في معظمها، ويزيد مجموعها على ١٠٠ نقطة، وهي :-

- إقليم شبه الجزيـرة العربية (أ)، ويشغل المركز الأول بين الأقاليم الإسـلامية بعدد ١٤١ نقطة، ويأتي أولا في عشرة مـغيرات، وثانيا في متغيـر واحد وثالثا في أخرى.

- إقليم الهلال الخصيب. . ويشـغل المركز الثاني بعدد ١٢٣ نقطة، ويأتي أولا في متغيرين، وثانيا فى ثلاثة متغيرات وثالثا في أربعة، ورابعا في ثلاثة متغيرات.

- إقليم جنوب شرقي آسيا.. ويشغل المركز الثالث بعدد ١١٥ نقطة، ويأتي ثانيا في خمسة متغيرات وثالثا في متغيرين ورابعا في ثلاثة وخامسا وثامنا في متغير واحد.

- إقليم شبه الجزيرة العربية (ب).. ويشغل المركز الرابع بعدد ١١٠ نقطة، ويأتي ثانياً في أربعة متغيرات، ورابعا في خمسة وخامسا وسادسا وسابعا في متغير واحد.

- إقليم شمالي أفريقيا ويشغل المركز الخامس بعدد ١٠٤ نقطة، ويأتي ثالثا في أربعة متغيرات ورابعا في اثنين، وخامسًا في أربعة، وسادسا في اثنين.

٢- الأقاليم متوسطة التقدم.. ويتراوح عدد نقاطها بين ٥٠- أقل من ١٠٠ نقطة.

- إقليم غربي آسيا.. ويشغل المركز السادس بعدد ٨٩ نقطة، ويأتي رابعا في متغيرين، وخامسا في أربعة، وسادسا وسابعا في ثلاثة.

- إقليم شبه القارة الهندية.. ويشغل المركز السابع بعدد ٧٠ نقطة، ويأتي ثانياً في متغير واحد، وسادسا في ثلاثة، وسابعا في أربعة وثامنا في اثنين، وتاسعا وحادي عشر في متغير واحد.

- إقليم حوض النيل.. ويشغل المركز الثامن بعدد ٥٧ نقطة، ويأتي سادسا في متغير واحد وسابعا في ثلاثة، وثامنا في أربعة، وتاسعا وحادي عشر في اثنين.

٣- الأقاليم النامية.. وتشغل عدداً كبيرا من متغيرات التخلف السكاني، ويقل عدد النقاط التي حصلت عليها عن ٥٠ نقطة، وهي:-

- إقليم غربي أفريقيا (ب).. ويشغل المركز التاسع بعدد ٤٨ نقطة، ويأتي سابعا في متغير وثامنا في اثنين، وتاسعا في خمسة وعاشرا في أربعة متغيرات.

جدول رقم (٣٤) ترتيب أقاليم العالم الإسلامي حسب بعض مقاييس التقدم السكاني

الإقليم / الملمح السكاني	شبه الجزيرة العربية (أ)	شبه الجزيرة العربية (ب)	الهلال الخصيب	غربي آسيا	شبه القارة الهندية	جنوب شرقي آسيا	حوض النيل	شمالي أفريقيا	شرقي أفريقيا	الصحراء الكبرى	غربي أفريقيا (أ)	غربي أفريقيا (ب)
معدل الوفيات الخام	١	٥	٣	٧	٦	٢	٨	٤	٩	١١	١٢	١٠
معدل وفيات الرُضع	١	٤	٣	٧	٦	٢	٩	٥	١٠	١١	١٢	٨
متوسط عمر الفرد	١	٤	٢	٧	٦	٢	٨	٤	٩	١١	١٢	٩
نسبة متوسطي السن	١	٤	٤	٤	٧	٢	٧	٣	١٠	١٠	٧	١٠
نسبة المشتغلين بالزراعة	١	٤	٢	٦	٧	٥	٨	٣	١٢	١١	١٠	٩
نسبة الأمية العامة	٣	٤	١	٥	٧	٢	٩	٦	٨	١٢	١٠	١٠
نسبة طلبة الجامعات	٢	٧	١	٤	٢	٨	٦	٣	١٢	١١	١٠	٩
نسبة الاناث بين طلبة الجامعات	١	٢	٤	٦	٨	٣	٧	٥	١٠	١٢	١٠	٩
نسبة سكان المدن	١	٦	٢	٥	١١	٤	١١	٣	٧	١٠	٩	٨
معدل الدخل الفردي	١	٢	٤	٦	٩	٣	١١	٥	١٢	١٠	٨	٧
نصيب الفرد من الهواتف	١	٢	٣	٥	٧	٤	٨	٦	١١	١٢	٩	١٠
نصيب الفرد من اجهزة التلفزة	١	٢	٣	٥	٨	٤	٧	٥	١٠	١٢	١١	٩
عدد النقاط (٢)	١٤١	١١٠	١٢٤	٨٩	٧٠	١١٥	٥٧	١٠٤	٣٦	٢٣	٣٦	٤٨
الترتيب بين الأقاليم الاسلامية	١	٤	٢	٦	٧	٣	٨	٥	١٠	١٢	١٠	٩

١ ـ الجدول من إعداد الباحث بناء على الجداول السابقة.

٢ ـ المركز الأول = ١٢ نقطة، الثاني = ١١ نقطة، الثالث = ١٠ نقاط، الرابع = ٩ نقاط، الخامس =٨ نقاط، السادس = ٧ نقاط، السابع =٦نقاط، الثامن = ٥ نقاط، التاسع = ٤ نقاط، العاشر= ٣ نقاط، الحادي عشر = نقطتان، الثاني عشر = نقطة واحدة.

- إقليم غربي أفـريقي (أ).. ويشغل المركز العـاشر بعدد ٣٦ نقطة، ويأتي سـابعا وثامنا في متغير واحد وتاسعـا في اثنين، وعاشرا في أربعة، وحادي عشر في متغير واحد، والثاني عشر في ثلاثة متغيرات.

- إقليم شرقي أفريقيا.. ويشغل المركز العـاشر بعدد ٣٦ نقطة متساويا مع الإقاليم السابق في عدد المراكز التي يحتلها في المتغيرات المختلفة.

- إقليم الصحراء الكبرى.. ويشغل المركز الأخـير بين الأقاليم الإسلامية بعدد ٢٣ نقطة ، ويأتي في المراكز الثلاث الأخـيرة في كل المتغيرات، فهـو العاشر في ثلاثة متغيرات والحادي عشر في خمسة، والثاني عشر في أربعة متغيرات.

ب- التباين بين الدول الإسلامية:

اختار الـباحث عشرة مـتغيرات سكانيـة لبيان درجة التـقدم السكاني للدول الإسلامـية هي نفسـها السابقـة عدا نسبة طلبـة الجامعـة ونصيب الفرد من أجـهزة التلفزة. وتصنف الدول الإسلامية إلى ثلاثة أنماط على النحو التالي:-

١- الدول المتقدمة وشبه المتقدمة:

وتتميز بمستوى مرتفع جـدا إلى مرتفع من درجات التقدم السكاني. وتنقسم إلى مجموعتين: الأولى تتساوى مع الدول المتقـدمة إلى حد بعيد، والثانية تسير في طريق التقـدم وتقترب من مـستوى الدول المتـقدمة إن لم تكن قد بـلغتها فـعلاً أو جاوزتها. ويزيد عدد نقاط المجمـوعة الأولى عن ٤٠٠ نقطة، بينما يبلغ عدد نقاط المجموعة الثانيــة ٣٥٠ إلى أقل من ٤٠٠ نقطة، وتضم ١٢ دولة على النحو التالي (جدول رقم ٣٥):-

١- الكويت.. تشغل المركز الأول بعدد ٤١٦ نقطة، وتأتي أولا وثانيا وثالثا ورابعا في متغيرين، وخامسا وتاسعا في متغير واحد.

٢- الإمارات.. وتشغل المركز الثاني بعدد ٤١٥ نقطة، وتأتي أولا في متغير واحد، وثانيا في أربعة، وثالثا في واحد، ورابعا في اثنين، وخامسا وعاشرا في متغير واحد.

٣- فلسطين.. وتشغل المركز الثاني- مع الإمارات- بعدد ٤١٥ نقطة، وتأتي أولا وخامسا في ثلاثة متغيرات، والثانية في اثنين، والسادسة والسابعة في متغير واحد.

٤- قطر.. تشغل المركز الرابع بمجموع ٤١٤ نقطة، وتأتي الأولى والخامسة والسادسة والتاسعة في متغير واحد والثانية والثالثة في ثلاثة متغيرات.

٥- البحرين.. وتشغل المركز الخامس بين الدول الإسلامية بعدد ٤٠٩ نقطة، وتأتي الأولى والثامنة في متغير واحد والثالثة والخامسة في اثنين، والرابعة في أربعة متغيرات.

٦- ليبيا.. تشغل المركز السادس بعدد ٣٧٤ نقطة، وتأتي السادسة والثالثة عشرة في متغيرين، والسابعة والثامنة والتاسعة والثانية عشرة والخامسة عشرة والتاسعة عشرة في متغير واحد.

٧- بروناي.. وتشغل المركز السابع بعدد ٣٧٢ نقطة، وتأتي الأولى والثانية والرابعة والسادسة والثامنة في متغير واحد كما تأتي الرابعة في أربعة متغيرات.

٨- لبنان.. وتشغل المركز الثامن من بعدد ٣٦٦ نقطة، وتأتي ثالثة وتاسعة في متغير واحد وسادسة وثامنة في اثنين، وسابعة في ثلاثة متغيرات.

٩- السعودية.. وتشغل المركز التاسع بعدد ٣٥٧ نقطة، وتأتي رابعة وخامسة وسادسة وتاسعة وعاشرة والثانية عشرة والسادسة عشرة والسابعة عشرة في متغير واحد والسابعة في اثنين.

جدول رقم (٣٥) ترتيب دول العالم الإسلامي حسب بعض مقاييس التقدم السكاني

المقياس / الدولة	معدل الوفيات العام	معدل الوفيات الرضع	متوسط عمر الفرد	نسبة متوسط السن	نسبة عمال الزراعة	نسبة الأمية العامة	نسبة الإناث بين طلبة الجامعة	نسبة سكان المدن	معدل الدخل الفردي	نصيب الفرد من الهواتف	مجموع النقاط	الترتيب (٢)
الكويت	١	٤	٢	٩	٢	٣	٣	١	٤	٥	٤١٦	١
الإمارات	٢	٥	٣	٢	٤	١٠	١	٤	٢	٢	٤١٥	٢
فلسطين	٦	٢	١	٥	٥	١	٧	٢	٥	١	٤١٥	٢
قطر	٢	٦	٥	١	٣	٩	٢	٢	٣	٣	٤١٤	٤
البحرين	٣	٤	٤	٣	١	٥	٥	٤	٨	٤	٤٠٩	٥
ليبيا	٧	١٩	١٢	١٥	٨	١٣	٩	٦	٦	١٣	٣٧٤	٦
بروناي	٢	١	٣	٤	٠٠	٤	٤	٨	١	٦	٣٧٢	٧
لبنان	٦	٩	٧	٦	٧	٧	٨	٣	٢٣	٨	٣٦٦	٨
السعودية	٤	٧	٦	١٣	١٦	١٧	٩	٥	٧	١٠	٣٥٧	٩
الأردن	٤	١٠	٨	٣	٦	٦	١١	٧	١٧	١٢	٣٥٦	١٠
الجزائر	٥	١٣	٩	٧	١٢	١٨	١٧	١٠	١٤	١٩	٣٥٢	١١
ماليزيا	٤	٣	٥	٦	١٤	١١	١٠	٢٢	١٢	٩	٣٥١	١٢
العراق	٦	١٤	١٠	٨	٩	٣	١٦	٧	١١	١٦	٣٤٤	١٣
تونس	٧	١٢	٨	٩	١٠	١٤	١٣	٩	١٦	١٤	٣٤٠	١٤
تركيا	٦	١٧	١٠	٦	١٩	٨	١٤	١٤	١٥	٧	٣٣٤	١٥
إيران	٦	١٠	٩	١٥	١٣	١٢	١٨	١١	١٣	١٤	٣٢٩	١٦
سوريا	٥	١١	٩	١٨	١١	١٦	١٦	١٠	١٨	١٥	٣٢١	١٧
عُمان	٤	٨	٦	١٧	١٧	٢٨	٦	٣٣	٩	١١	٣١١	١٨
المغرب	٧	١٩	١٢	١٠	١٥	٢١	١٦	١٢	١٩	٢٠	٢٩٩	١٩

تابع جدول رقم (٣٥)

المقياس / الدولة	معدل الوفيات العام	معدل الوفيات الرضع	متوسط عمر الفرد	نسبة متوسط السن	نسبة عمال الزراعة	نسبة الأمية العامة	نسبة الإناث بين طلبة الجامعة	نسبة سكان المدن	معدل الدخل الفردي	نصيب الفرد من الهواتف	مجموع النقاط	الترتيب (٢)
مصر	٧	١٨	١١	٩	١٨	٢١	١٥	١٥	٢٢	١٧	٢٩٧	٢٠
أندونيسيا	٧	١٤	١٢	٤	٢٠	٦	١٦	٢٩	٢٤	٢٥	٢٩٣	٢١
الجابون	١٢	٢٦	١٤	١٢	٣٠	٩	١٩	١٣	١٠	٢١	٢٨٤	٢٢
الكمرون	٩	١٦	١٣	١٥	٢٥	٢٢	٢٧	١٦	٢٠	٢٨	٢٥٩	٢٣
باكستان	٨	٢٥	١٢	١٤	٢١	٢٧	٢٢	٢٣	٣٠	٢٤	٢٤٤	٢٤
السودان	١٠	٢٠	١٥	١٤	٢٤	٢٤	١٣	٢٨	٣٠	٢٩	٢٤٣	٣٥
تنزانيا	١١	٢٢	١٦	١٦	٣٩	٢٠	٢٦	٢٧	١٠	٢٨	٢٣٥	٢٦
بنين	١٤	٢٣	١٨	١٧	٢٦	٣٢	٢٧	١٨	٣١	٢٨	٢٤٣	٢٧
السنغال	١٣	١٩	١٩	١٥	٣٧	٢٧	٢٣	١٧	٢١	٢٦	٢٣٣	٢٨
موريتانيا	١١	٢٧	١٧	١٣	٢٨	٢٣	٢٨	١٧	٢٦	٢٧	٢٣٣	٢٩
المالديف	٨	١٥	١٢	١٧	٠٠	٢	٠٠	٣٣	٢٨	١٨	٢٢٧	٣٠
اليمن	١٢	٣١	١٨	١٦	٢٣	٣٠	٢٩	٢٠	٢٥	٢٣	٢٢٣	٣١
نيجيريا	١٢	٢١	١٨	١٦	٢٩	٢٥	٢٠	٣٠	٣٥	٢٩	٢١٥	٣٢
بنجلاديش	٩	٢٩	١٣	١٠	٣١	٢٦	٢٤	٣٤	٣٧	٢٩	٢٠٨	٣٣
الصومال	١٤	٣٢	٢١	١٧	٣٢	٣٣	٢٤	٢٤	٤١	٢٩	٢٠٤	٣٤
جزر القمر	٩	٢٤	١٣	١٨	٣٧	١٩	٠٠	٢١	٢٧	٢٥	٢ ٢	٣٥
جيبوتي	١٣	٣٠	٢٠	١٢	٠٠	٣٣	٠٠	٤	٣٣	٢٣	١٩٢	٣٦
تشاد	١٤	٣٢	٢١	١٤	٣٣	٢٨	٣١	١٩	٣٧	٣٠	١٩١	٣٧
غينيا	١٦	٣٦	٢٤	١٧	٣٤	٣٠	٢٥	٣٣	٢٩	٢٧	١٨٩	٣٨
أفغانستان	١٨	٣٩	٢٥	١١	٢٢	٣١	١٢	٣١	٤٣	٢٩	١٨٩	٣٨
أوغندا	١٥	٣٠	٢٣	١٨	٣٨	١٥	٢١	٣٣	٤٠	٢٩	١٨٨	٤٠
أريتريا	١٣	٢٨	١٨	١٤	٠٠	٣٢	٢٦	٢٠	٤٢	٢٨	١٨٤	٤١
بوركينا فاسو	١٤	٣٤	٢١	١٥	٤١	٣٦	٢٣	٢٨	٣٢	٢٩	١٧٦	٤٢
سيراليون	١٩	٤٠	٢٦	١٤	٢٧	٣٣	٣٠	١٩	٣٨	٢٩	١٧٥	٤٣
نجامبيا	١٥	٣٥	٢٣	١١	٤٠	٢٨	٠٠	٢٥	٣٢	٢٢	١٧٤	٤٤
أثيوبيا	١٤	٣١	٢١	١٦	٣٥	٢٩	٢٦	٣٢	٤٤	٢٨	١٧٤	٤٥
النيجر	١٥	٣٣	٢١	١٧	٣٩	٣٤	٣٧	٣١	٣٤	٣٠	١٦٩	٤٦
مالي	١٥	٣٨	٢٢	١٧	٤٢	٣٥	٢٠	٢٦	٣٦	٣٠	١٦١	٤٧
غينيا بيساو	١٧	٣٧	٢٤	١٣	٣٦	٣٠	٠٠	٢٨	٣٩	٢٦	١٥٥	٤٨

المصدر الجدول من إعداد الباحث بناء على الجداول السابقة

١٠- الأردن.. وتشغل المركز العاشر بعدد ٣٥٦ نقطة، وتأتي رابعة وسابعة وثامنة وعاشرة والحادية عشرة والثانيةعشرة والثالثة عشرة والسابعة عشرة في متغير واحد والسادسة في اثنين.

١١- الجزائر.. وتشغل المركز الحادي عشر بين الدول الإسلامية بعدد ٣٥٢ نقطة، وتشغل مركزًا واحدًا بين الخامس والتاسع عشر في المتغيرات المختلفة.

١٢- ماليزيا.. وتشغل المركز الثاني عشر بعدد ٣٥١ نقطة، وتأتي في مركز واحد من الثالث إلى الرابع عشر، والمركز ٢٢ في متغير واحد.

٢- الدول متوسطة النمو:

ويتصف سكانها بمستويات وسطى في متغيرات التقدم السكاني، ويتراوح عدد نقاطها بين ٢٥٠ و أقل من ٣٥٠ نقطة، وعددها ١١ دولة هي: العراق- تونس- تركيا- إيران- سوريا- عُمان- المغرب- مصر- أندونيسيا- الجابون- الكمرون، وذلك على النحو المبين في الجدول السابق رقم (٣٥).

٣- الدول منخفضة النمو:

ويتصف سكانها بمستويات منخفضة في سلم التطور السكاني، ويقل مجموع نقاطها عن ٢٠٠ نقطة، وتضم أكبر عدد من الدول الإسلامية (٢٥ دولة)، هي: باكستان- السودان- تنزانيا- بنين- السنغال- موريتانيا- المالديف- اليمن- نيجيريا- بنجلاديش- الصومال- جزر القمر- جيبوتي- تشاد- غينيا- أفغانستان- أوغندا- أريتريا- بوركينا فاسو- سير اليون- غامبيا- أثيوبيا- النيجر- مالي- غينيا بيساو وذلك على النحو المبين في الجدول السابق رقم (٣٥).

ثانياً: مقارنة العالم الإسلامي بمناطق العالم الأخرى:

تختلف والملامح السكانية بالعالم الإسلامي عن مثيلتها في مناطق العالم الأخرى على النحو التالي (جدول رقم ٣٦):-

أ- المقارنة مع العالم:

١- زيادة مواليد العالم الإسلامي عن مثيلتها بالعالم بنسبة ١٣٪ (٣٨: ٢٥ في الألف على النحو التوالي).

٢- زيادة خصوبة المرأة بالعالم الإسلامي عن العالم بنحو ٢,٣ مولودين (٥,٤: ٣,١ مواليد على التوالي).

٣- زيادة معدلات الوفيات الخام بالعالم الإسلامي عن العالم بنسبة ٢,٢ في الألف (١١,٢: ٩ في الألف على التوالي).

٤- زيادة معدلات وفيات الرضع بالعالم الإسلامي عن العالم بنحو ١٢ في الألف (٧٦: ٦٤ في الألف على التوالي).

٥- انخفاض متوسط عمر الفرد بالعالم الإسلامي عن العالم بنحو خمس سنوات (٥٩: ٦٤ سنة علي التوالي).

٦- ارتفاع معدلات الزيادة الطبيعية بالعالم الإسلامي عن العالم بنسبة ١,١٪ (٢,٧: ١,٦٪ على التوالي).

٧- قلة عدد السنوات اللازمة لمضاعفة عدد السكان بالعالم الإسلامي عن العالم بنحو ١٦ سنة (٢٦: ٤٢ سنة علي التوالي).

٨- زيادة معدل النمو السنوي للسكان في العالم الإسلامي عن العالم بنحو الضعف (٣,٠٧: ١,٩٪ على التوالي).

٩- زيادة نسبة الأطفال غير المنتجين بالعالم الإسلامي عن العالم بنسبة ١٠٪ (٤٢: ٣٢٪ على التوالي).

١٠- انخفاض نبسة متوسطي السن المنتجين بالعالم الإسلامي عن العالم بنسبة ٧٪ (٥٥: ٦٢٪ على التوالي).

جدول رقم (٣٦) مقارنة بعض المتغيرات السكانية في العالم الإسلامي مع المناطق الأخرى بالعالم (١)

مسلسل	المتغيرات السكانية	العالم الإسلامي	العالم	المناطق الأكثر تقدما	المناطق الأقل تقدما	التغير (عن العالم)
١	المواليد (في الألف)	٣٨	٢٥	١٣	٤٣	+١٣
٢	الخصوبة الكلية (مولود للمرأة)	٥,٤	٣,١	١,٧	٥,٨	+٢,٣
٣	الوفيات الخام (فى الألف)	١١,٢	٩	١٠	١٥	+٢,٢
٤	وفيات الرضع (في الألف)	٧٦	٦٤	١٠	١١٠	+١٢
٥	متوسط عمر الفرد (سنة)	٥٩	٦٤	٧٤	٥١	-٥
٦	الزيادة الطبيعية (٪)	٢,٧	١,٦	٠,٣	٢,٨	+١,١
٧	السنوات اللازمة لمضاعفة عدد السكان(سنة)	٢٦	٤٢	١٦٢	٢٤	-١٦
٨	معدل النمو السنوي للسكان (٪) الكثافة	٣,٠٧	١,٩	٠,٣٤	٣,٥	+١,١٧
٩	السكانية (نسمة/ الكم٢)	٥٤	٤٣	٣٢	٦٥	+١١
١	نسبة الأطفال (٪ من جملة السكان)	٤٢	٣٢	٢٠	٤٤	+١٠
١١	نسبة متوسطى السن (٪ من جملة السكان)	٥٥	٦٢	٦٧	٥٣	-٧
١٢	نسبة كبار السن (٪ من جملة السكان)	٣	٦	١٣	٣	-٣
١٣	نسبة سكان المدن (٪)	٤٣	٤٢	٧٢	٣٤	+١
١٤	معدل الدخل الفردى (دولار في السنة)	٣١٨٩	٤١٨٠	١٥٤٢٠	٨٧٠	-٩٩١

١ - الجدول من إعداد الباحث بناء على الجداول السابقة.

١١- انخفاض نسبة كبار السن بالعالم الإسلامي عن العالم بنحو الضعف (٣:٦٪ على التوالي).

١٢- انخفاض معدل الدخل الفردي بالعالم الإسلامي عن العالم بنحو ٩٩١ دولاراً في السنة (٣١٨٩: ٤١٨٠ دولاراً في السنة على التوالي).

١٣- ارتفاع نسبة سكان المدن بالعالم الإسلامي قليلا (٤٣: ٤٢٪ على التوالي).

ب- المقارنة مع المناطق الأكثر تقدما:

١- تزيد معدلات مواليد العالم الإسلامي عن المناطق الأكثر تقدما بنحو ثلاث مرات (٣٨: ١٣ في الألف على التوالي).

٢- تزيد معدلات خصوبة المرأة في العالم الإسلامي عن مثيلتها في المناطق الأكثر تقدما أكثر من ثلاث مرات (٥,٤: ١,٧ مولود على التوالي).

٣- تزيد معدلات الوفيات الخام بالعالم الإسلامي عن المناطق لأكثر تقدما بنحو ١,٢ في الألف (٢٢,٢: ١٠ في الألف على التوالي).

٤- تزيد معدلات وفيات الرضع بالعالم الإسلامي عن المناطق الأكثر تقدما بنحو سبع مرات (٧٦: ١٠ في الألف على التوالي).

٥- يقل متوسط عمر الفرد بالعالم الإسلامي عن المناطق الأكثر تقدما بنحو ١٥ سنة (٥٩: ٧٤ سنة على الوتوالي).

٦- ترتفع الزيادة الطبيعية بالعالم الإسلامي عن المناطق الأكثر تقدما تسع مرات تقريبا (٢,٧: ٠,٣٪ على التوالي).

٧- تقل السنوات اللازمة لمضاعفة عدد السكان بالعالم الإسلامي عن المناطق الأكثر تقدما سبع مرات تقريبا (٢٦- ١٢٦ سنة على التوالي).

٨- يزيد معدل النمو السنوي للسكان بالعالم الإسلامي عن المناطق الأكثر تقدما عشر مرات تقريبا (٣,٠٧: ٠,٣٤٪ على التوالي).

٩- تزيد كثافة السكان بالعالم الإسلامي عن المناطق الأكثر تقدما بشكل بارز (٥٤: ٣٢ نسمة في الكيلو متر المربع على التوالي).

١٠- تزيد نسبة الأطفال بالعالم الإسلامي عن المناطق الأكثر تقدما بأكثر من الضعف (٤٢ : ٢٠٪ على التوالي).

١١- تنخفض نسبة متوسطي السن بالعالم الإسلامي عن المناطق الأكثر تقدما بنحو ١٢٪ (٥٥ : ٦٧٪ على التوالي).

١٢- تقل نسبة كبار السن بالعالم الإسلامي عن المناطق الأكثر تقدما أكثر من أربع مرات (٣ : ١٣٪ على التوالي).

١٣- تنخفض نسبة سكان المدن بالعالم الإسلامي عن مثيلتها في المناطق الأكثر تقدما كثيرا (٤٣ : ٧٢٪ على التوالي).

١٤- تنخفض معدلات الدخول الفردية بالعالم الإسلامي عن المناطق الأكثر تقدما إلى الخُمس تقريبا (٣١٨٩ : ١٥٤٢٠ دولارا في السنة على التوالي).

جـ- المقارنة مع المناطق الأقل تقدما :

١- تقل معدلات مواليد العالم الإسلامي عن هذه المناطق بنحو ٥ في الألف (٣٨ : ٤٣ في الألف على التوالي).

٢- تقل معدلات خصوبة المرأة بالعالم الإسلامي عن هذه المناطق بنحو ٠,٤ مولودا (٥,٤ : ٥,٨ مواليد على التوالي).

٣- تقل معدلات الوفيات الخام بالعالم الإسلامي عن هذه المناطق نحو ٣,٨ في الألف (١١,٢ : ١٥ في الألف على التوالي).

٤- تقل معدلات وفيات الرضع في العالم الإسلامي عن هذه المناطق بنحو ٣٤ في الألف (٧٦ : ١١٠ في الألف على التوالي).

٥- يزيد متوسط عمر الفرد في العالم الإسلامي عن هذه المناطق بنحو ٨ سنوات (٥٩ : ٥١ سنة على التوالي).

٦- تقل معدلات الزيادة الطبيعية بالعالم الإسلامي عن هذه المناطق قليلا (٢,٧ : ٢,٨ على التوالي).

٧- تزيد عدد السنوات اللازمة لمضاعفة عدد السكان بالعالم الإسلامي عن هذه المناطق بنحو سنتين (٢٦ : ٢٤ سنة على التوالي).

٨- تقل نسبة النمو السنوي لسكان العالم الإسلامي عن هذه المناطق قليلا (٣,٠٧ : ٣,٥٪ سنويا على التوالي).

٩- تقل كثافة السكان بالعالم الإسلامي عن هذه المناطق بنحو ١١ نسمة في الكيلو متر المربع (٥٤ : ٦٥ نسمة في الكيلو متر المربع على التوالي).

١٠- تقل نسبة الأطفال بالعالم الإسلامي عن هذه المناطق بنحو ٢٪ (٤٢ : ٤٤٪ على التوالي).

١١- تزيد نسبة متوسطي السن بالعالم الإسلامي عن هذه المناطق بنحو ٢٪ (٥٥ : ٥٣٪ على التوالي).

١٢- تتساوى نسبة كبار السن في المنطقتين (٣ : ٣٪).

١٣- تزيد نسبة سكان المدن بالعالم الإسلامي عن هذه المناطق بنحو ٩٪ (٤٣ : ٣٤٪ على التوالي).

١٤- يزيد معدل الدخل الفردي في العالم الإسلامي عن هذه المناطق آكثر من ثلاث مرات ونصف (٣١٨٩ : ٨٧٠ دولار في السنة على التوالي).

ومن هنا يظهر أن سكان العالم الإسلامي في مرحلة وسط بين خصائص المناطق الأكثر تقدمًا وخصائص المناطق الأقل تقدما، وأنهم يتقدمون بخطى سريعة نحو مستوى العالم ونحو مستوى المناطق الأكثر تقدما على المدى البعيد.

ثالثاً : نظرة مستقبلية لأحوال السكان في العالم الإسلامي :-

من استعراض الظاهرات السكانية في العالم الإسلامي خلال القرن العشرين يتضح أن أحوال السكان تسير في طريق التقدم بخطى سريعة، وذلك على النحو التالي (جدول رقم ٣٧) :-

١- تضاعف العدد الكلي للسكان من ٢١٠ مليون نسمة عام ١٩٠٠م بنحو خمسة أضعاف فصار ١١٦١ مليونا عام ١٩٩٤م، وزادت نسبتهم من ١٨٪ من جملة سكان العالم عام ١٩٧٩م إلى ٢٣٪ عام ١٩٩٤م، والمتوقع أن تصبح مستقبلا ٣٠٪ مع بداية القرن الحادي والعشرين الميلادي.

٢- تتجه معدلات المواليد نحو الانخفاض المستمر، فقد هبطت بنحو ١٣,٦٪ بين عامي ١٩٧٩و ١٩٩٤م (من ٤٤ إلى ٣٨/ الألف)، وينتظر استمرار هذا الاتجاه مستقبلا بسبب التغيرات التي تطرأ على المجتمع المسلم.

٣- تتجه معدلات الخصوبة الكلية للمرأة نحو الانخفاض، فقد هبطت بنحو الربع خلال الفترة من ١٩٧٩م إلى ١٩٩٤م (من ٧,١ إلى ٥,٤ مواليد للمرأة)، والمتوقع استمرار هذا الاتجاه مستقبلا بسبب تغير ظروف المرأة المسلمة.

٤- تتجه معدلات الوفيات الخام نحو الانخفاض، فقد هبطت بنحو ٣٢٪ خلال الفترة من ١٩٧٩م إلى ١٩٩٤م (من ١٦,٥ إلى ١١,٢ الألف)، والمنتظر استمرار هذا الاتجاه مستقلا بسبب التحسن في الصحة والمعيشة.

٥- تتجه معدلات وفيات الرضع نحو الانخفاض، فقد هبطت بنسبة ٤٠٪ (من ١٢٦ إلى ٧٦ في الألف) في الفترة المذكورة، والمنتظر استمرار هذا الاتجاه مستقبلا بسبب تحسن الظروف الصحية والأسرية ومستوى الأم.

٦- أزداد متوسط عمر الفرد عشر سنوات خلال الفترة ١٩٧٩- ١٩٩٤م (من ٤٩ إلى ٥٩ سنة).

٧- انخفضت نسبة الزيادة الطبيعية السنوية بنحو ٣,٦٪ خلال الفترة ١٩٧٩- ١٩٩٤م (من ٢,٨ إلى ٢,٧٪)، وينتظر استمرار هذا الاتجاه مستقبلا بخاصة بسبب نقص المواليد والوفيات.

٨- زادت كثافة السكان من ٥٤ نسمة في الكيلو متر المربع خلال الفترة ١٩٧٩-١٩٩٤م وينتظر استمرار هذا الاتجاه بسبب زيادة السكان وثبات المساحة.

٩- انخفضت نسبة الأطفال قليلا بنحو ٢٪ (من ٤٤ إلى ٤٢٪ من جملة السكان)، كما زادت نسمة متوسطي السن بنحو ٢٪ (من ٥٣ إلى ٥٥٪)، وينتظر استمرار هذا الاتجاه مستقبلا بسبب انخفاض المواليد.

١٠- ظلت نسبة كبار السن ثابتة (٣٪) خلال الفترة المذكورة، يتوقع ارتفاعها خلال ربع القرن القادم.

١١- انخفضت نسبة المشتغلين بالحرف الأولية بنحو ١٤٪ خلال الفترة ١٩٧٩-١٩٩٤م (من ٥٤,٨٪ إلى ٤٧,٢٪)، وينتظر استمرار هذا الاتجاه مستقبلا مع زيادة نسبة المشتغلين بالحرفتين الثانية والثالثة.

١٢- تناقصت المدد الازمة لمضاعفة عدد السكان أربع سنوات (من ٣٠ إلى ٢٦ سنة) وينتظر ارتفاع هذه المدد بسبب انخفاض نسبة الزيادة الطبيعية.

١٣- انخفضت نسبة الأمية العامة بنحو ١١٪ (من ٦٠٪ إلى ٤٩٪) من جملة السكان فوق ١٥ سنة)، وينتظر انخفاض هذه النسبة مستقبلا مع انخفاض نسبة الأميين والأميات بسبب الجهود الحكومية الضخمة للتعليم ومحو الأمية.

١٤- الاتجاه السريع نحو التحضر، حيث زادت نسبة سكان المدن ١٩٪ (من ٢٤ إلى ٤٣٪ من جملة السكان) بين عامي ١٩٧٩م و ١٩٩٤م، وينتظر استمرار هذا الاتجاه مستقبلا بسبب التوسع في الصناعة وتطوير الريف.

١٥- صاحب الاتجاه السابق انخفاض سريع في نسبة سكان الريف والبادية بلغ ٩,٦٪خلال الفترة ذاتها، وينتظر استمرار هذا الاتجاه بسبب تحسن ظروف الريف وجاذبية المدن للسكان.

جدول رقم (٣٧) نظرة مستقبلية لأحوال السكان في العالم الإسلامي(١)

مسلسل	المتغيرات السكانية	١٩٧٩م	١٩٩٤م	التغير (٪)	الاتجاه المستقبلي
١	عدد السكان (بالمليون)	٢١٠(١٩٠٠م) ٨٥٠ (١٩٧٩م)	١١٦١	+ ٤٥٣	التزايد السريع
٢	معدلات المواليد (فى الألف)	٤٤	٣٨	- ١٣,٦	التناقص الواضح
٣	معدلات الخصوبة (مولودا للمرأة)	٧,١	٥,٤	- ٢٤	" "
٤	معدلات الوفيات الخام (فى الألف)	١٦,٥	١١,٢	- ٣٢	" "
٥	معدلات وفيات الرضع (في الألف)	١٢٦	٧٦	- ٤٠	" "
٦	متوسط عمر الفرد (سنة)	٤٩	٥٩	+ ٢٠	التزايد
٧	معدلات الزيادة الطبيعية (٪ سنويا)	٢,٨	٢,٧	- ٣,٦	التناقص البطئ
٨	السنوات اللازمة لمضاعفة عدد السكان (سنة)	٣٠	٢٦	- ١٣,٣	" "
٩	الكثافة السكانية (نسمة/ الكم٢)	٤٠	٥٤	+ ٣٥	التزايد السريع
١	نسبة الأطفال (٪ من جملة السكان)	٤٤	٤٢	- ٤,٥	التناقص البطئ
١١	نسبة متوسطي السن (٪ من جملة السكان)	٥٣	٥٥	+ ٣,٨	التزايد "
١٢	نسبة كبار السن (٪ من جملة السكان)	٣	٣	-	" "
١٣	نسبة المشتغلين بالزراعة (٪ من جملة قوة العمل)	٥٤,٨	٤٧,١	- ١٤,	التناقص الواضح
١٤	نسبة الأمية العامة (٪ فوق ١٥ سنة)	٦٠	٤٩	- ١٨,٣	" السريع
١٥	نسبة سكان المدن (٪ من جملة السكان)	٢٤	٤٣	+ ٧٩,٢	التزايد السريع جدا
١٦	نسبة سكان الريف (٪ من جملة السكان)	٦٢,١	٥٢,٥	- ١٥,٥	التناقص السريع

١ - الجدول من إعداد الباحث بناء على الجداول السابقة.

أولاً- المراجع العربية:

- إبراهيم، محمد حسن، (١٩٧٦م)، دراسات في سكان الوطن العربي، مجلة الشرق الأوسط، جامعة عين شمس، العدد الثاني، يناير ١٩٧٥م.
- إسماعيل، أحمد علي (١٩٧٦م) إسماعيل السكان وتطبيقاتها الجغرافية، الطبعة الأولى، مطابع دار الشعب، القاهرة.
-حسن منصور؛ وحبيب كرم، (١٩٧٥م) السكان والبناء الاجتماعي، القاهرة.
- حميدة عبدالرحمن، (١٤٠٠هـ) جغرافية التخلف، مجلة كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية العدد الرابع.
- شاكر، محمود (١٩٧٤م) أندونيسيا، بيروت.
- (١٩٧٦م)، سكان العالم الإسلامي مؤسسة الرسالة، بيروت.
- صادق، دولت، وآخرون (١٩٧٥م) الجغرافية السياسية، القاهرة.
- غلاب، محمد السيد؛ عبدالقادر، حسب؛ وشاكر، محمود، البلدان الإسلامية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض.
- أبو عيانه، فتحي محمد، (١٩٧٧م) جغرافية السكان وأسسها الديموغرافية العامة، دار الجامعات المصرية، الاسكندرية.
- غلاب محمد السيد، وعبدالحكيم، محمد صبحي، (١٩٧٤م) السكان- ديموجرافيا وجغرافيا، الطبعة الثالثة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.
- المطري، السيد خالد، (١٩٨٤م) دراسات في سكان العالم الإسلامي، الطبعة الأولى، مطابع جامعة الملك عبدالعزيز جدة.
- المطري، السيد خالد، (١٤٠٨هـ)، الجغرافية الحيوية، ط٢، دار القبلة للثقافة الإسلامية جدة.

ثانياً - المراجع الأجنبية :-

Abbott,J., (1971), The Iranians, How They Live And Work, North Prom- Fret.

Ahmed, K.S., (1969) A Geography Of Pakistan, Second Edition, Oxford University Press.

Beaujeu- Garnier, J., (1976) A Geogrphy Of Population, London.

Brian R.K., (1977), Rural Settlement In Britain, London.

Brice, W.C., (1966) South West Asia, University Of London Press.

Carlson, L., (1967), Africa And The Nations, Mc Graw- Hill.

Chisholm, M., (1972) Rural Settlement And Land Use- An Essay In Location, London.

Church, R.J.H., (1968) West Africa- A Study Of The Environment And The Man' S Use Of It, 6th Edition, London.

Church, R.J.H., (1973) And Others, Africa And The Islands, Third Ed Ition, London.

Clarke, J.I., (1974) Population Geography And The Devoloping Count Ries, Oxford.

Clarke, J.I.,,(1976a) Population Geography, Second Editon, Oxford.

Clarke, J.I.,(1976b) Sierra Leone In Maps, London, I 976.

Cressey, G, B, Asia'sland And Peoples, Mc Graw-hill, Culombia Univeersity Press,Nek.

Dowdney, J, C, (1971) Turkey An Introduction Geography, New York.

Encyclopedia Of The Natilons, (1974a) Africa, Vol, 2, Londond.

Encyclopedia Of The Natilons, (1974b) Asta, Vol, 4, London.

Fao, Yearbook, Production 1993 (1994) Vol, 74, Rome.

Field, H, (1936) Arbs Of Central Iraq, Chicgo.

Fisher,C.A, (1971) South East Asia-a Social, Economic And Politi Cal Geography, London.

Fisher,C.A, (1973) Malysia, In: South East Asia- An Introduction Essay On The Geography, History And Economy Of The Region, Reprinted From The East And Aust- Ralisia, London.

Fisher, W, B, (1971) The Middle East, London.

Greenberg, J, H (1971) Language, Culture And Communication, Essays, Stanford University Press, California.

Hance, W, (1975) The Geography Of Modern Africa, Second Edition, Culombi University Press, New York.

Hiernaux, J, (1974) The People Of Aerica, London.

Jankowski, J, 1970 The Middle East, A Social Geography, London.

Johnstone, B.L.C., (1975) , Bangladesh, New York.

Johnstone, T.M., (1970) The Languages Of The Middle East Peoples And Culture Of The Middle East-an Anthropolog Ical Reader, Vol, I, New York.

Mansfield, P, 1973 The Midle East- A Political And Economic.Survey, Oxford University Press, Fourth Edition.

Neill, W, T, (1973) W. T. Twentieth Century Indonesia, Columiba Universi Ty Press, New York.

Peterson, W, (1973) Population, Third Edition, New York.

Showers (1969) World Facts And Figures, New York.

Stanford, Q, H (1972) The World's Population- Problems Of Growth Oxford University Press, Toronto.

Taylor, A, (1972) The Middle East, Newton, Abbot.

The Population Reference Bureau, (1979) Mid- 1979 Population Data Sheet, Washington.

The Population Reference Bureau, (1993), World Poulation Data Sheet, Washington.

The Europa Yearbook, 1988- A World Survey, London.

The World Health Statistics, Annual World Health Organization. Geneva 1994.

Thompson. W. S. (1965) Population Problems, Mc Graw- Hill, New Delhi.

Trewartha, G, T, 1972 The Less Developing Realim: A Geography Of Its Population, New York.

Unesco, (1994) Statistical Yearbook, France.

U, N, 1994 Demographic Yearbook.

U, N. (1994) Statistical Yearbook, 39 Issue New York.

U, N, (1994) World Population, New York.

Weekes, R .V (1978) Muslim Peoples -A, World Ethnographic Survey, Cunnecticut, U,S,A.

World Muslim- Gazetteer, (1975) Umma Publication House, Karachi.

International Labour Office (1994) Yearbook Of Labuor, , Statistical, Geneva.

فهرس الأشكال

فهرس الجداول

«تابع» فهرس الجداول

«تابع» فهرس الجداول

الجغرافيا الحضارية للعالم الإسلامي

أ. د. محمد محمود السرياني

فهرس الموضوعات

مقدمـــة

إن مجـال الجغرافيـا الحضارية للعـالم الإسلامي متـشعب الجوانب ومتـعدد الموضوعات فهـو واسع رحب كرحابة العالم الإسلامي، ومتعدد تعـدد موضوعات الجغرافـيا وتنوعها. فـهناك بادئ ذي بدء اختلاف واضح في مدلول كلمـة حضارة واختـلاف شديد في الرأي بين البـاحثين في الموضـوعات التي تندرج تحت مـسمى الجغـرافيـا الحضارية، واخـتلاف ثالث حـول طريقة تناول مـوضوعات الجـغرافـيا الحضارية، وإزاء ذلك كله كـان لزاما علينا أن نحدد منهجنا ومفـهومنا الذي سوف نتـبناه عن تـناول هذه الأمـور ودراسـتـهـا. ولذا كـان لابد من تحـــديد المفـاهيم الاصطلاحيـة لكلمة "حضارة" ومـدلول الجغرافـيا الحضارية وكـذلك طريقة تناول موضوعات الجغرافيا الحضارية.

مدلول كلمة حضارة:

قبل أن نتحـدث عن الجغرافيا الحضـارية للعالم الإسلامي لابد لنا من الإلمام بمدلول كلمة "حـضارة" تلك الكلمـة التي تطورت معانيـها اللغوية والاصطلاحـية تطوراً كبيراً، بحـيث أصبح لها دلالات عديدة، لابد من الإحاطة ببعـضها قبل أن نبسط الحديث في مفهوم الجغرافيا الحضارية للعالم الإسلامي.

ذكرت المعـاجم العربية كلـمة "حضارة" فـي مقابل كلمـة "بداوة". كذلك كلمة "حاضـرة" تقابل كلمة "بادية". وخلاصـة ما في معاجمنا العـربية عن مادة "حضارة" تنتـهي بنا إلى أن الحضارة هي مجرد الحـياة في المدينة، على حين تكون البـداوة مجرد الحـياة في البـادية. فالحـضر- علـى هذا المعنى- هم سكان المدينة، والبدو هم سكان الصحراء.

وفي العصـر الحديث أخذت كلمة "حـضارة" تكتسب دلالة جـديدة ومعنى مغايراً لمعناها القديم في معاجم اللغة، ولم تعد كلمة "حضارة" في العرف اللغوي

المعاصــر مقصــورة على مدلولها القــديم المقابل لمدلول "البــداوة" وإنما جاوزته إلى مدلول آخر هو التعبير عن ارتقاء المجتمع وارتفاعه عن المستويات البدائية، ومن ذلك يقال مجتمع متحضر ومجتمع غير متحضر. ويقصد بالمجتمع المتحضر ذلك الذي له قيمــه الروحية الرفــيعة، وأساليــبه المادية المتطورة في مواجهــة البيئة وظــروف الحياة المختلفة. كما يقصد بالمجتمع غــير المتحضر ذلك الذي لم يتجاوز الطور البدائي في قيمه الروحية وأساليب حياته العلمية والمادية.

لقد توسع العرف اللغوي الحديث في مدلول الحــضارة والتحضر، فلم يجعل ذلك المدلول مقصوراً على وصف المجتــمع وتقدير طوره التاريخي بل هو يمتد حتى يتسع إلى وصف الأفراد والأعمال. فيقال إنسان متحضر أو غير متحضر، كما يقال كذلك عمل متحضر وعمل غير متحــضر. وهنا نجد أن مضمون الحضارة والتحضر قد خــرج عن معناه الــقديم في معــاجم اللغة وأصــبح مرتبطــاً من قريب أو بعــيد بالصفــات الخُلقية والمستــويات الاجتماعــية، حيث نجــد أن عنصر التقويم والتــقدير أصبح ملحوظاً فيما نستخدم من كلمة "حضارة" و"تحضر" وبذلك اكتسبت الكلمة وشقيقتها دلالة وصيغة ذات معنى منفصل عن الأصل اللغوي.

ولقد اتسع مــفهوم كلمة "حــضارة" بمرور الزمن خلال التــأثير الأوروبي في الدراسات الحضارية وأصبح المدلول الجديد لكلمــة "حضارة" هو ترجمة اصطلاحية للكلمة الإنجليزية (Culture) بمدلولها العلمي الذي أصبح في العصر الحديث. وهذا المدلول يتمــثل في مجموعــة القيم والأنماط التي تتحكم في توجيــه النشاط الروحي والمادي.

إن كلمة (Culture) في اللغة الإنجليزية ككلمة حضــارة في اللغة العربية قد اعتراها الكــثير من التطور في تحديد المعنى قــبل أن تستقر كــمفهوم يهتــم بالمجتمع بصورته الكلية وما تحويه هذه الصورة من قيم وسنن وأنماط نظرية وعملية.

إن المنهج الذي سوف نتبعه يقتضي لأغراض هذه الدراسة أن نستبعد المدلول الذي يستخدم كلمة "حضارة" في مقابل كلمة "بداوة". وكذلك المدلول الذي يستخدم كلمة "حضارة" للتعبير عن حظ المجتمع أو الفرد من التطور والارتقاء. ذلك لأن كلاً من المدلولين لم يعد ملائماً لمفهوم كلمة "حضارة" في صورتها العلمية المعاصرة. إذ إن المقرر في أصول الدراسة الحضارية أن لكل مجتمع إنساني- مهما كان حظه من التطور والارتقاء- حضارته الاجتماعية، مادام لهذا المجتمع قيم وأنماط تتحكم في توجيه نشاطه الإنساني. فليس من المعقول أن يكون هنالك مجتمع إنساني دون أن تكون له نظم وأنماط تخضع لها حياته الاجتماعية. فالحضارة بهذا المدلول ليست صفة خاصة يتصف بها مجتمع إنساني دون آخر، وإنما هي صفة عامة يتصف بها كل مجتمع إنساني ربطت بين أفراده مجموعة من القيم الروحية وقواعد السلوك. وبهذا المفهوم فسكان البادية والقبائل الرحل وحتى سكان المناطق المنعزلة لايمكن بحال أن ننفي عنهم صفة الحضارة، حيث إن هؤلاء الناس يعيشون على نظم اجتماعية، ولهم من النظم والقيم ما يمكن أن يطلق عليه كلمة "حضارة"، لأن الحضارة صفة للإنسان بوجه عام تميزه عن مجتمع الحيوان. وعلى هذا فمفهومنا الاصطلاحي لكلمة "حضارة" يتمثل في مجموعة القيم والأنماط التي تتحكم في توجيه النشاط الروحي والمادي للمجتمع المدروس (الشريف، ١٩٨١م: ١٢).

وهنالك إلى جانب كلمة (Culture) في اللغة الإنجليزية، وكلمة (حضارة) في اللغة العربية يوجد مصطلح أخر هو كلمة (Civilization) التي تستخدم في ترجمتها إلى العربية كلمة "مدنية". وأصل هذه الكلمة في اللغة اللاتينية شبيه بأصلها في اللغة العربية، فهي مشتقة في اللغتين من لفظ "مدينة" ثم تطورت حتى أصبح لها الدلالة السائدة وذلك المعنى المألوف.

وكثيراً ماتستخدم كلمة (Civilization) وكلمة "مدنية" للدلالة على مفهوم يماثل مفهوم الحضارة، غير أن ذلك الاستعـمال لهذه الكلمة باعتبارها مرادفة لكلمة "حضـارة" لا يعدو أن يكون ضـرباً من التساهـل في دلالات الألفاظ، وذلك لأن الحضارة أعم وأشمل من المدنية، لأن الحضارة تشـتمل على النشاط الاجتماعي من كافة جوانبه الروحية والمادية. أما المدنية فهي مجرد النشاط المادي للمجتمع. وبذلك تكون المدنية جانباً من جوانب الحضـارة وفرعاً من فروعها. وهناك خلاف في الرأي وتبـاين في وجهات النظـر بالنسبـة إلـى التسـوية بين كلمـة "حضـارة" و"مدنيـة" أو التفرقة بينهما (الشريف، ١٩٨١م: ص ص١١- ١٤).

ونظراً لكثرة الاجـتهادات حول هذا الموضـوع فإن منهجنا الذي سـوف نتبناه لأغراض هذه الدراسـة هو أن الحضـارة أعم وأشمل من المدنيـة لأنها تشتـمل على الجوانب الروحـية والمادية للمجتـمع على حد سوء. وبذلك تكون المدنية فـرعاً من فروع الحضارة بمفهومها الواسع.

مدلول الجغرافيا الحضارية:

إن البحث في الجـغرافيا الحـضارية- عند الغالبـية العظمى من الجغـرافيين- يتضمن التأكيد على الحضارة البشرية في الأوسـاط البيئية التي يعيش فيها الإنسان. ومـن هنـا فـإن الجغرافيا الحضـارية هـي دراسـة التغـيُّرات المكانيـة بين المجموعات الحـضارية حـيث تركز على وصف وتحليل مـا يطرأ على المعطيـات الحضـارية من تغيُّرات إذا اختلفت الـبيئات التي توجد بها مثل هذه الظـواهر. ولما كانت الحضارة ترتبط بالمجموع لا بالفرد لذا لابد من الاهتمام بالشـعوب أكثر من الاهتمام بالأفراد فالمجموعات البشرية هي ميدان دراسة الجغرافيا الحضارية.

الموضـوعات التي تندرج تحت مسمى الجغرافيا الحـضارية كثيرة ومتعددة، إلا أنها في الغالب تشمل المعتقد والسلوك واللغة وطرز الحياة والتطورات التقنية وأنظمة الحكم التي تربط الناس في حضـارة واحدة. وقد حدد في خطة هذا البـحث أربعة محـاور رئيسـة لدراسة الجـغرافـيا الحـضارية للعـالم الإسلامي هي المحـور الديني واللغوي والاقتـصادي والبشري. وقد التزمـنا ببحث هذه المحاور كمؤشرات مـهمة للجغرافيا الحضارية في ديار الإسلام.

إن كل محور من المحـاور السابقة بقتضي تحديد خـمسة موضوعات أسـاسية يعتبـرها علماء الجغرافيـا الحضارية موشرات مـهمة لتحديد وجـهة نظر الباحث في موضوعات الجغرافيا الحضارية، وتلك الموضوعات هي:

١ ـ المنطقة الحضارية Culture area

٢ ـ الانتشار الحضاري Culture Diffusion

٣ ـ الإيكولوجيا الحضارية Culture Ecology

٤ ـ التكامل الحضاري Culture Integration

٥ ـ المظهر (أو اللاندسكيب) الحضاري Culture Landscape

وفي مايلي لمحة موجزة عن هذه الموضوعات:

١ ـ المنطقة الحضارية Culture area :

المنطقة الحضارية هي المنطقة التي تعيش بها مجموعات لها جانب أو مجموعة جوانب حضارية مشـتركة. ويعبر عن ذلك حضارياً باسم مناطق الحـضارة الرسمية Formal Culture area وهي التي تعتمد لتصنيف السكان ضمن معطيات حضارية متماثلة. فـعلى سبيل المثال المنطقة التي يتكلم سكانها اللغة الفـارسية يمكن إظهارها على خريطة تعرف بخريطة اللغات. ومـثل ذلك يمكن رسم المناطق التي تسود فيها

زراعة الحبوب على خريطة الغرض منها إبرز مناطق الحضارات الزراعية، ومثلها خريطة الآليات الدينية أو العرقية. إن خريطة السكان الذين يتكلمون الفارسية أو خريطة السكان الذين يمارسون الزراعة تمثل كل منها مفهوماً مبسطاً لمنطقة حضارية بصورتها الأولية والبسيطة معتمدة على عنصر حضاري واحد. غير أنه في الغالب نجد أن المناطق الحضارية تعتمد على العديد من المعطيات والعوامل.

إن الباحث في الجغرافيا الحضارية لابد له من رسم حدود المنطقة الحضارية، ولما كان مثل هذه الحدود غير دقيقة وضبابية في أغلب الأحيان لذا لابد من اللجوء إلى الحديث عن حدود نطاقية Border Zone أكثر من حدود خطية، تفصل بين المناطق الحضارية المختلفة بحيث تظهر فيها سمات مشتركة للحضارتين معاً. وتكون المعطيات الحضارية أكثر وضوحاً وبروزاً في نواة المنطقة الحضارية وليس في أطرافها، حيث تظهر الصفات الحضارية مميزة وواضحة في النواة، وتتدرج بالتلاشي والاضمحلال في المناطق الحدودية للمنطقة. حيث ينتقل المرء بصورة متدرجة من نطاق حضاري إلى نطاق حضاري آخر عبر تدرج بطيء خلال النطاق الحدود الفاصل بين الحضارتين.

٢ ـ الانتشار الحضاري Culture Diffusion:

إن توزع المناطق الحضارية هو نتيجة حتمية للانتشار المكاني للظاهرة الحضارية. إن كل عنصر حضاري يظهر في مكان خاص به ثم ينتشر. وبعض المعطيات الحضارية تحدث مرة واحدة. ومن هنا يمكن للباحث أن يرصد المكان الذي ظهرت فيه ويحدده بدقة بالغة. غير أن بعض المعطيات الحضارية الأخرى يمكن أن تحدث في أمكنة مختلفة ومن قِبل أشخاص كُثر وبالتالي يصعب تحديد نقطة الانتشار الأولي. ومن خلال دراسة الانتشار نستطيع فهم التطورات التي تنجم عن التغيُّرات المكانية للمعطيات الحضارية.

ولابد من التمييز بين نوعين من الانتشار هما: الانتشار التوسعي Expansion Diffusion حيث تنتشر المعطيات الحضارية بين الشعوب ومن منطقة إلى منطقة أخرى في عملية مشابهة لعملية دحرجة كرات الثلج. والحصيلة هي توسع المنطقة التي تنتشر فيها الأفكار الجديدة. وقد يكون الانتشار من خلال إعادة التوطين Relocation Diffusion وذلك حينما تنتقل الجماعات أو الأفراد من منطقة إلى منطقة أخرى، فإنهم يحملون معهم معطياتهم الحضارية، وينشرونها في مواطنهم الجديدة.

وقد يكون الانتشار تراتبياً Hierarchial Diffusion حيث تنتقل المعطيات الحضارية مثلاً من مركز حضري إلى مركز حضري آخر متجاوزة المناطق الريفية بين المركزين التي تصلها الأفكار فيما بعد. وقد يكون الانتشار من طريق التجاور حيث تنتقل المعطيات الحضارية بحكم الجوار من منطقة ما إلى المنطقة المجاورة لها تباعاً. وقد يستغرق وقتاً طويلاً أو قصيراً. وكلما ابتعدنا عن مكان الانتشار الأول كلما استغرق ذلك زمناً أطول ولابد من ملاحظة العوامل التي تعمل على إعاقة الانتشار والتي تعرف في العادة باسم الحواجز الممتصة Absorbing Barriers وهي التي تعيق الانتشار وتوقف تقدمه وزحفه. وبعض هذه العوامل طبيعي وبعضها الآخر اجتماعي أو سياسي أو غير ذلك مما يوقف زحف وتقدم المعطيات الحضارية الوافدة.

٣ ـ الإيكولوجيا الحضارية Cultural Ecology :

لابد من إبراز الأسباب والتأثيرات المتبادلة بين الحضارة والأوساط البيئية، وبعبارة أخرى لابد من إظهار العلاقة الثنائية بين الكائن الحي وبيئته الطبيعية ومن المعلوم أنه هناك أربع مدارس فكرية لدراسة الإيكولوجيا الحضارية وهي المدرسة الحتمية والمدرسة الإمكانية ومدرسة التطورات البيئية والمدرسة الرابعة وهي أن الإنسان معدل لسطح الأرض. وسوف لن نتبنى وجهة نظر واحدة بل سنحاول أن نستفيد من إمكانات هذه المدارس الهائلة ومعطياتها في تفسير بعض الجوانب المرتبطة بعلاقة الإنسان مع بيئته.

٤ ـ التكامل الحضاري Cultural Integration :

سبق وذكرنا أن العلاقة بين الإنسان والأرض (البيئة) هي أهم ركائز الإيكولوجيا الحضارية. إن تفسير التغيرات المكانية يتطلب الأخذ بعين الاعتبار جميع العوامل الحضارية. ولابد من الأخذ بعين الاعتبار أن جميع أوجه النشاط الحضاري متكاملة مكانياً وأنه لمن غير الممكن أن نفهم توزيع أحد المعطيات الحضارية دون دراسة التغيرات المكانية للمعطيات الأخرى وذلك لمعرفة مقدار الترابط بين المعطيات الحضارية جميعها. إذا كنا سندرس بعض المعطيات الحضارية بصورة منفصلة كاللغة أو الدين أو الاقتصاد فإن ذلك سيكون لتسهيل دراستها، إلا أنه لا يمكن فصل هذه العوامل في واقع الحال، بل نجدها مترابطة ومتشابكة معاً في منطقة حضارية واحدة. فالجغرافيا الحضارية ليست كالفيزياء حيث يمكن فصل العنصر عن العناصر الأخرى، لأن الحضارة تتداخل وجوهها وتؤثر عليها عوامل عديدة بحيث يصعب فصل هذه العوامل والنظر إليها مجزأة كلاً على حدة.

٥ ـ المظهر (اللاندسكيب) الحضاري:

لقد دأب الإنسان منذ أن خلقه الله على هذه البسيطة على تغيير الكثير من الظواهر المحيطة به وتعديلها بحيث تلائم متطلباته. ومن هنا فالكثير من الظواهر الطبيعية قد أصابه التغيير والتبديل. إن هذا المظهر الحضاري (اللاندسكيب الحضاري) هو البصمات التي وضعها الإنسان على الظروف الطبيعية للأرض. إن مجرد ملاحظة الفروق بين البيئة العذراء وما أحدثه الإنسان على هذه البيئة من تعديلات هي صلب موضوع اللاندسكيب الحضاري، الذي هو في الأصل إبراز الجوانب المادية للخيارات والتغيرات التي أحدثها الإنسان، بحيث شكلت حضارة بشرية تنسب إلى الشعوب التي قامت بها.

إن كل منطقة معمورة هي في الأصل مظهر حضاري، وهي تعكس الحضارة الفريدة التي طورتها واستوطنتها. وأفضل طريقة لرؤية المظهر الحضاري هو النظر من خلال نافذة الطائرة التي تمر فوق هذه المنطقة الحضارية حيث يرى المرء المعالم الطبيعية وبجانبها المعالم البشرية التي حدثت خلال الأزمنة المختلفة. وهذا المظهر الحضاري شديد التعقيد والتنُّوع ويختلف بين بيئة وأخرى ومن فترة إلى أخرى. ورصد هذه المظاهر عبر الزمان والمكان هو أهم جوانب اللاندسكيب الحضاري للمنطقة.

إبراز عامل الزمن:

إن الموضوعات الخمسة السابقة تحتاج إلى رؤية عامل الزمن خلال بحثها. فالتوزيع المكاني للظواهر الحضارية هو نتيجة للتغيرات التي تحصل عبر الزمن، ولهذا لابد من أخذ عنصر الزمن بعين الاعتبار. إن المظهر الحضاري للبيئة هو نتاج قرون من العمل الإنساني والقرارات الإيكولوجية تضرب بجذورها في الماضي السحيق للبيئة الطبيعية من جهة والانتشار الحضاري من جهة أخرى. ولذا لابد من تبني الاتجاه التاريخي لفهم وتفسير التغيُّرات المكانية للجوانب الحضارية المختلفة حيث يساعدنا هذا الاتجاه على فهم الكثير من الحقائق المدفونة في ثنايا التاريخ. فكثير مما نشاهده اليوم من المظاهر الحضارية ينجم عن قوى وظروف لم تعد قائمة الآن. لذا لابد لنا من أن نأخذ عنصر الزمن بعين الاعتبار دائماً.

عالم الإسلام والأقاليم الحضارية الأخرى:

تتكون البشرية من شعوب عديدة يتميز كل منها بأرضه ولغته وعاداته وتقاليده، وتختلف هذه الشعوب في ظروفها التاريخية، وفي صفاتها المادية والمعنوية، وفي لغاتها وعقائدها. ويحصل بين أفراد الشعب الواحد نوع من التآلف الطبيعي والحياة المشتركة ما لايكون بينهم وبين غيرهم. فكما أن التآلف في نطاق الأسرة أمر طبيعي يستند إلى الفطرة، فكذلك التآلف في نطاق كل شعب بسبب التشابه والتعايش الطويل.

وليس اختلاف الشعوب نقمة، بل نعمة، ذلك أن التعاون البشري بين الجماعات يتم على أساس التكامل، وحيث يتم تبادل المنافع بقيام كل شعب بما يجيده ويميل إليه من الماديات والمعنويات.

وإن اختلاف الأقوام في صفاتها وخصائصها ومواهبها وقوتها، لايمنع من تشابهها في القيمة المعنوية والكرامة الانسانية أو لا يمنع من اشتراكها في بناء الحضارة العالمية أو التقائها على صعيد واحد مشترك في كثير من الشؤون. والشعور الوطني، وهو ارتباط المرء بقومه الذين ينتمي إليهم، لا يمنع من وجود النزعة الإنسانية نحو التعاون والالتقاء لتحقيق أهداف مشتركة. وقد كان للأديان السماوية أثر قوي في تقوية هذه النزعة الإنسانية، وفي توطيد الصلات بين الشعوب أو إيجاد نقاط الالتقاء والتقارب بين مجموعة الشعوب التي تدين بدين واحد.

إن الشعوب البشرية وأقوامها المتعددة تندرج تحت عوالم كبرى، يشتمل كل واحد منها على شعوب عديدة، تشترك في بعض المقومات، وترتبط ببعض الروابط التي تقرِّب بينها، وتجعله تلتقي عند بعض أهداف الحياة وقيمها، وهذه الروابط هي روابط الفكرة المشتركة وفلسفة الحياة المتشابهة. والعالم اليوم ينقسم إلى مجموعات حضارية وعقائدية وربما تكتلات سياسية أهمها:

١ ـ عالم إسلامي. ٢ ـ عالم شيوعي.

٣ ـ عالم نصراني. ٣ ـ عالم وثني.

نستطيع بكل سهولة أن نصور على خريطة العالم هذه المجموعات الحضارية والعقائدية وسنجد حينئذ أن كل واحد منها منتشر في رقعة خاصة به من هذه البسيطة. فالعالم النصراني يتكون من بلاد أوروبا وأمريكا، وتقوم فيه حضارة واحدة لها أصولها التاريخية ومفاهيمها الحضارية. فهي تستقي من الديانة النصرانية ومن الثقافة اليونانية القديمة ومن الحضارة الرومانية، وما نشأ عن تفاعل هذه العناصر في الحضارة الحديثة من صناعات ونظم اقتصادية رأسمالية، ومن مفاهيم عن الحرية والديمقراطية.

أما العالم الشيوعي فيقوم على المادية المنافية للعقائد الدينية، وعلى الاقتصاد الموجه والملكية العامة للدولة وكان يسيطر في شرق أوروبا بما فيها الاتحاد السوفيتي سابقاً، كما ينتشر في الصين وبعض أقطار آسيا الأخرى، وقد خرجت كامل أقطار أوروبا الشرقية من هذا الإطار العقائدي، وتحاول العودة تدريجياً إلى العالم الرأسمالي الذي انسلخت عنه قرابة ثلاثة أرباع القرن، كما خرج منها بعض الأقطار الأخرى (جمهوريات وسط آسيا الإسلامية) وانضمت إلى حظيرة العالم الإسلامي. ولا زالت الشيوعية تنتشر بصورة أو أخرى في الصين وبعض أقطار جنوب شرقي آسيا، غير أنها في طريقها إلى الانحسار لصالح المجموعات العقائدية الأخرى.

والعالم الوثني ينقسم ما بين آسيا وأفريقيا في رقعتين منفصلتين، وليست الوثنية في الأصل عقيدة واحدة ولا ديناً واحداً. ،العالم الوثني لا يؤلف وحدة مترابطة، بل هو مؤلف من شعوب عديدة تدين بعقائد متشابهة أو ذات طبيعة وخصائص متقاربة. وفي العالم الوثني دينان كبيران وهما البوذية المنتشرة في الصين واليابان والهند الصينية (مينمار، تايلاند، كمبوديا) والبراهمية (الهندوسية) بفروعها

المنتشرة في الهند. بالإضافة إلى كثير من العقائد الطوطمية في القارة الأفريقية. وتغزو هذا العالم الوثني ثلاثة تيارات هي النصرانية والإسلام والفلسفات المادية الحديثة التي يقوم على أساسها عالم اليوم.

أما العالم الإسلامي فيمتد من شرقي آسيا حتى أقصى غربي أفريقيا، ويتكوَّن من شعوب مختلفة أوجد انتشار الإسلام بينها نظرة مشتركة في المفاهيم المنبثقة عن عقيدة الإسلام وشريعته التي وردت في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ومصادر الثقافة الإسلامية التي تفرعت عنهما.

وهذه النظرة المشتركة أدت وما تزال تؤدي رلى مواقف متماثلة في القضايا المعاصرة والمشكلات الحديثة سواء السياسية منها أو الاقتصادية أو الثقافية، حيث يكون الإسلام جزءاً أساسياً من ثقافة هذه الشعوب، كما تعتبر الشعوب الإسلامية إن تاريخ الإسلام هو تاريخها الذي تعتز بأمجاده وتفتخر بمآثره وآثاره الحضارية. ومثل هذا الاشتراك في العقيدة والثقافة والتاريخ ولَّد في نفوس أبناء هذه الشعوب عواطف متشابهة أو مواقف متماثلة أو أهدافاً مشتركة أو عادات متقاربة، جعلها تختلف عن بقية الشعوب التي لا تشترك معها في هذه المجالات (المبارك: د. ت: ١٢- ١٤).

وبجانب هذه الرقعة الأرضية التي تحمل اسم العالم الإسلامي، هناك جاليات أو أقليات، مسلمة تعيش في أوساط غير إسلامية، ويختلف عدد سكان هذه الأقليات كما تختلف أوضاعها الاقتصادية والاجتماعية ونفوذها السياسي من دولة إلى أخرى. ومن مجموع الأقطار الإسلامية والاقليات المسلمة تتكون خريطة العالم الإسلامي اليوم الذي يشمل الإطار الجغرافي لانتشار المسلمين في أقطار المعمورة (السرياني، ١٤١٧هـ: ١٣- ١٥).

حدود العالم الإسلامي:

إن العالم الرسلامي عالم عقيدة ومبدأ، ولذلك فإن حدوده هي المناطق التي تنتشر فيها هذه العقيدة وهذا المبدأ، وهي حدود تتسع وتضيق عبر الزمان والمكان بمعنى أنها غير ثابتة على الإطلاق، وهناك معايير موضوعية تستخدم لتحديد الدول الإسلامية وتميزها عن الأقليات المسلمة، وأهم هذه المعايير هي:

(أ) **المعيار التطبيقي**: وهي الدول التي تلتزم بتطبيق تعاليم الشريعة الإسلامية في أمور حياتها العامة والخاصة. وقد استعمل الفقهاء تعبيراً خاصاً بذلك هو (دار الإسلام) وهي المناطق التي يطبق فيها شرع الله في الأرض بغض النظر عن عدد سكانها[1].

(ب) **المعيار الرسمي**: وهي الدول التي يُنَص في دساتيرها على أن الدين الإسلامي هو الدين الرسمي لأهل البلاد، أو الدين الرئيس للدولة. فالدولة في هذا الشأن وتحت هذا المعيار (دولة إسلامية) سواء طبقت تعاليم الإسلام أو لم تطبقها.

(جـ) **المعيار العددي**: وهي الدولة التي يزيد فيها عدد المسلمين في مجموع سكانها عن ٥٠٪، فإذا بلغ عدد المسلمين في دولة ما أكثر من خمسين بالمئة، اعتبرت من الدولة الإسلامية، أما إذا كان عدد المسلمين أقل من ذلك فهم أقلية إسلامية في دولة غير إسلامية.

وأصح المعايير من وجهة النظر الرسلامية هو المعيار الأول. فالقطر الإسلامي هو الذي يطبق فيه شرع الله بغض النظر عن عدد السكان أو عقائدهم الأخرى. غير أن استعمال هذا المعيار يخرج معظم أقطار العالم الإسلامي. وبتطبيق المعيار الثاني على الدول والوحدات السياسية في العالم، نجد أن نسبة محدودة من الدول الإسلامية التي تنص دساتيرها الرسمية على أن الدين الإسلامي هو الدين الرسمي أو الرئيس للدولة.

بقي أمامنا المعيار الثالث وهو المعيار العددي الذي يقترن بالأغلبية المسلمة في القطر، وتتحقق الأغلبية بزيادة عدد السكان المسلمين عن النصف في أي قطر من الأقطار، فالدولة التي يزيد عدد المسلمين فيها عن ٥٠٪ هي دولة تدخل ضمن العالم الإسلامي من وجهة النظر الجغرافية.

غير أنه يتوجب علينا أن نقرر بادئ ذي بدء أننا نفتقر كل الافتقار إلى البيانات التي تخول لنا صدق الحكم عند تبنينا لهذا المعيار، فهناك اختلاف كبير في وجهات النظر حول تقدير عدد المسلمين في الدول والأقاليم المختلفة، وهناك جانب كبير من الشك يحيط بكثير من الإحصاءات والتقديرات المتعلقة بالمسلمين ولهذا تعوزنا الإحصاءات الدقيقة في هذا المجال.

وهذه الاعتبارات تجعل من المعيار العددي مقياساً غير ثابت لاختلاف وجهات النظر حوله ابتداءً. ففي غياب الرقم الصحيح تكثر الاجتهادات والآراء وتتدخل النوايا والأطماع لتخرج هذا القطر أو ذاك من العالم الإسلامي أو تدخله فيه. فالأمر لا يعدو وضع رقم يزيد عن ٥٠٪ لإدخال الدولة ضمن قائمة الدول الإسلامية. ووضع رقم آخر يقل عن ٥٠٪ لإخراجها من القائمة وجعلها دولة غير إسلامية بها جالية أو أقلية مسلمة. ولهذا نجد اختلافاً شديداً بين الدول حول الحدود التي يتضمنها الإطار الإقليمي للدول الإسلامية من وجهة النظر الجغرافية(٢).

وخروجاً من الخلاف فإننا سوف نتبنى ما أقرته الموسوعة الحالية بخصوص الأقطار التي يشملها عالم الإسلام حيث تعتمد الموسوعة تعريفاً محدداً للدولة الإسلامية(٣) ينقسم إلى قسمين:

(أ) الدولة ذات الأغلبية المسلمة وهي التي يزيد عدد المسلمين فيها عن ٥٠٪.

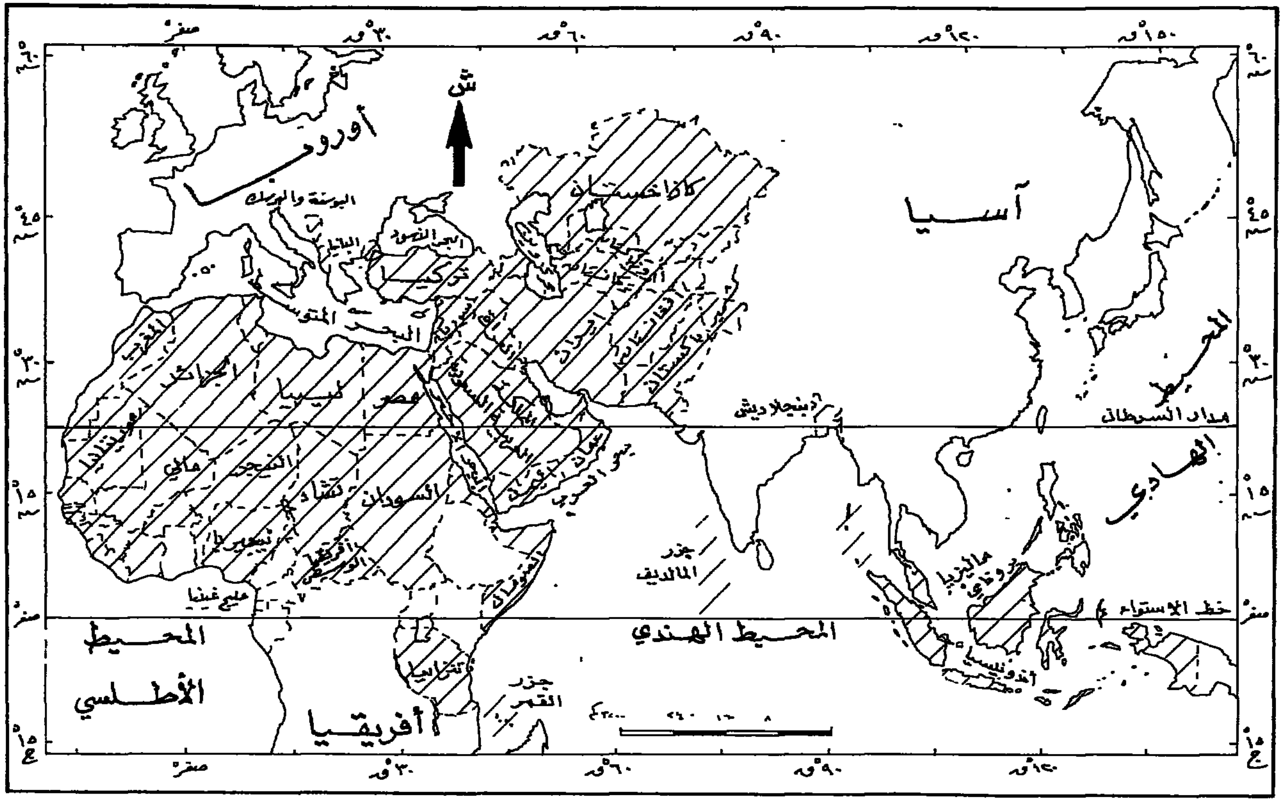
(ب) الدولة التي يمثل المسلمون فيها أكبر الجاليات. وهذا ينطبق على الدول ذات الديانات المتعددة.

وبناء على التعريف السابق فإن الشكل رقم(١) يظهر الأقطار الإسلامية التي تدخل ضمن هذا التعريف، كما يظهر الحدود الخارجية التي تفصل أقطار العالم الإسلامي عما جاورها. ويمكن أن نميز من خلال الشكل السابق وجود نوعين من الحدود هما: الحدود المائية والحدود البرية.

الحدود المائية:

تشكل المسطحات المائية ما يقرب من نصف الحدود الخارجية التي تفصل العالم الإسلامي عن البلاد المجاورة. وتبدأ هذه الحدود غرباً بالجبهة المائية للمحيط الأطلسي ابتداءً من خليج غينيا وحتى مضيق جبل طارق. أما ساحل البحر المتوسط الجنوبي فهو الحد الشمالي للجناح الأفريقي من العالم الإسلامي ابتداءً من المغرب وحتى أقصى حدود مصر شرقاً. وكذلك يحد الساحل الشرقي للبحر المتوسط الجناح الآسيوي من جنوبي فلسطين حتى سواحل تركيا الشمالية الغربية حيث بحر مرمرة ومضيقا الدردنيل والبسفور اللذان يفضيان إلى سواحل البحر الأسود الذي يشكل الحد الشمالي للأراضي التركية والأراضي الإسلامية في وسط آسيا.

أما في الجنوب فنجد مياه المحيط الهندي وبحر العرب تحدد سواحل أقطار أفريقيا الشرقية الإسلامية، وأقطار جنوبي الجزيرة العربية، والسواحل الجنوبية لإيران وباكستان. ويؤلف الجناح الشرقي من العالم الإسلامي جزراً وأشباه جزر تمتد بين المحيطين: الهندي غرباً والهادي شرقاً. ولا تعد مياه البحر الأحمر والخليج العربي وخليج عمان حدوداً خارجية حيث إنها تفصل بين أقطار إسلامية على جانبيها.



شكل (١) موقع العالم الإسلامي وحدوده العامة

هذه الخريطة وكل خرائط البحث لا تعتبر مرجعاً للحدود السياسية.

الحدود البرية:

تتميز الحدود البرية بعدم وضوحها وضوحاً تاماً وخاصة في القارة الأفريقية. وبمراجعة حدود أرض الإسلام الجنوبية في هذه القارة نجد أنها غير واضحة تماماً. ويمكن أن يكون الخط الوارد في الشكل رقم(١) ممثلاً للحد الوهمي التقريبي. ويقع هذا الخط جنوب منطقة السافنا المدارية وعلى أطراف المنطقة الاستوائية.

أما في آسيا فتبدو مشكلة الحدود البرية أكثر تعقيداً، ويمكن القول إنها تبدأ بخط وهمي من شمال شرقي البحر الأسود ثم تسير باتجاه الشرق محاذية أراضي الجمهوريات الإسلامية في آسيا الوسطى بحيث تدخل هذه الجمهوريات ضمن نطاق العالم الإسلامي، ثم تنعطف الحدود باتجاه الجنوب الغربي وتسير بخط شبه مستقيم محاذية هضبة التبت وشمال غربي القارة الهندية، لتلتقي مع الحدود البحرية في بحر العرب في خط الحدود الفاصل بين الهند والباكستان.

الحدود الحضارية:

هذه هي الصورة الرسمية لحدود العالم الإسلامي. ولابد للباحث في الجغرافيا الحضارية من رسم حدود تقريبية لمنطقته الحضارية. غير أنه يجب أن ندرك ابتداءً بأن مثل هذه الحدود غير دقيقة وضبابية في أغلب الأحيان. فحد الإسلام الحضاري ربما يكون أوسع مما رسمناه. فحدود الحضارة الإسلامية في أفريقيا لا تقف عند حدود منطقة السافنا وأطراف المنطقة الاستوائية، بل تتعداه إلى الجنوب شرقاً وغرباً. فالإسلام لا يزال يتوسع في أفريقيا، بل إن أفريقيا هي القارة الوحيدة التي يزحف فيها الإسلام اليوم بعد أن فقد أرضاً في أوروبا وتوقف أو كاد في آسيا. فالإسلام جبهة زاحفة في أفريقيا لا يعرفها في أي قارة أخرى. لذلك نرى أن حد الإسلام الجنوبي في أفريقيا متنقل وغير واضح تماماً (حمدان، ١٩٧١م: ١٧).

أما في آسيا فحد الإسلام الحضاري لايقف عند حدود جمهوريات آسيا الوسطى الإسلامية بل يتعداها ليشمل شمال غربي الصين فيما كان يعرف تاريخياً بتركستان الشرقية (سينكيانج اليوم). ويتكرر الأمر في الحدود البرية التي تفصل الباكستان عن الهند. فقد خططت الحدود السياسية بين الباكستان والهند عبر خط يمتد من كشمير إلى بحر العرب تاركاً جيباً إسلامياً كبيراً من الأراضي الهندية شاملاً ولايتي كشمير وجامو، إضافة إلى تواجد إسلامي كبير في الولايات الهندية المجاورة لباكستان. وبذلك يمكن اقول إن خط الحدود السياسي الذي يفصل الهند عن الباكستان لا يمثل فاصلاً حضارياً صحيحاً للمسلمين عن الهندوس، وحد الإسلام الحضاري هو إلى الشرق من خط الحدود السياسي الحالي.

في الجغرافيا الحضارية لا يتحدث الباحثون عن حدود خطية تفصل بين المناطق الحضارية المختلفة، بل يتحدثون في العادة عن حدود نطاقية Border Zones تفصل بين المناطق الحضارية المختلفة بحيث تظهر في هذه الحدود النطاقية السمات المشتركة للحضارات المتجاورة. وفي العادة تكون المعطيات الحضارية أكثر وضوحاً وبروزاً في نواة المنطقة الحضارية وليس في أطرافها، ثم تتدرج بالضعف والتلاشي في النطاقات الحدودية للمنطقة، حيث ينتقل المرء بصورة متدرجة من نطاق حضاري إلى نطاق حضاري آخر، عبر تدرج بطيء خلال النطاقات الحدودية الفاصلة بين الحضارتين (Jordan & Rowntree, 1976: 14- 15).

إن هذه الحدود بنوعيها- السياسي والحضاري- تضم داخلها دنيا فسيحة الأرجاء وذلك فقط في الوحدات السياسية التي يؤلف المسلمون أكثر من نصف سكانها بإجماع التقديرات. وتربو المساحة الإجمالية لهذه الرقعة عن ٣١,٢ مليون كيلومتر مربع. وتلك المساحة الهائلة أكبر من مساحة القارة الأفريقية وأكبر من مساحة قارتي أوروبا وأمريكا الجنوبية مجتمعتين.

وتتجلى رحابة أراضي العالم الإسلامي في امتداده الكبير قارياً وفلكياً، فلو أخذنا في الاعتبار امتداد الرقعة الأرضية في خط مستقيم لوجدنا أنه يمتد بين المحيط الأطلسي غرباً والمحيط الهادي شرقاً شاملاً أجزاء كبيرة من قارتي أفريقيا وآسيا. وفي هذا الامتداد الكبير يمكن أن نميز وحدتين كبيرتين هما:

(أ) كتلة قارية متراصة البنيان ممتدة من المحيط الأطلسي غرباً وحتى سينكيانج (التركستان الشرقية) شرقاً شاملة معظم أفريقيا وجنوب غربي آسيا ووسطها.

(ب) امتداد جزري يشمل مجموعة من الجزر وأشباه الجزر، في أقصى الجنوب الشرقي من آسيا بين المحيطين الهندي والهادي، شاملاً كلاً من الأراضي الإندونيسية والماليزية، ويمكن أن يلحق بهذا الامتداد الجزري دولة بنغلادش، التي تعتب جزيرة إسلامية وسط بحر من الأديان الأخرى.

وبالنسبة إلى الامتداد الفلكي على أساس خطوط الطول ودوائر العرض يلاحظ أن أراضي العالم الإسلامي تمتد على نحو ١٦٠ درجة طولية، من درجة ١٤٠ شرقاً في شرقي إندونيسيا حتى درجة ١٨ غرباً حيث سواحل السنغال، ويكفي أن نذكر أن العالم الإسلامي يقع ضمن (١٠) نطاقات من نطاقات التوقيت العالمي. فعندما تعلن الساعة الخامسة مساء في جاكرتا بإندونيسيا، تكون عقاربها مازالت تشير إلى التاسعة صباحاً بالعاصمة السنغالية داكار.

وفيما يتعلق بدوائر العرض فإن العالم الإسلامي يمتد على أكثر من (٦٠) درجة عرضية، من أعالي نهر الفولجا وقاراقستان عند دائرة عرض ٥٥ درجة شمالاً، حتى دائرة عرض ٦ درجات جنوباً حيث جزيرة زنجبار، ومن ثمّ تنوعت الخصائص الطبيعية لأرجاء هذا العالم الكبير ما بين عروض إستوائية وأخرى مدارية أو معتدلة (انظر شكل١).

المحور الديني لجغرافية العالم الإسلامي الحضارية

الأوضاع الدينية قبل انتشار الإسلام:

لابد لنا في البداية من وضع تصور جغـرافي تاريخي لأحوال العالم كله في الوقت الذي بدأ فيه تاريخ الإسلام وهو أوائـل القرن السابع الميلادي وعلى الأخص المنطقة التي سوف تصـبح عالم الإسلام فيمـا بعد، وذلك لإظهار الملل والنحل التي كانت تسيطر على المنطقة قبل قيـام الدولة الإسلامية. ومن الجدير بالذكر أن العالم المعروف آنذاك كـان قاصراً على ثلاث قـارات هي التي عرفت بالعـالم القديم وهي أوروبا وآسيا وأفريقيا.

أما أوروبـا في أواخر القـرن السادس وبداية القـرن السابع الميـلاديين فكانت تستوطنهـا جماعات الجرمـان التي استقرت في مواطنـها الجديدة على أرض الدولة الرومانيـة في الغرب، وكـانت جماعـات الأنجلوسكسون قـد استوطنت بـريطانيا، وكانت قبائل الفرنجة قد استقـرت في بلاد غاله (فرنسا) أما القوط فكانوا يستوطنون شبه جزيرة آيبريا وإيطاليا.

لقد أقامت هذه الجماعات ممالك خاصة بها جرمانية الشكل لاتينية الحضارة. ومعظم هذه الممـالك- فيمـا عدا الفرنجـة- كانت نصرانيـة على المذهب الأريوسي المخالف للمذهب الكاثوليكي الذي كانت تبشر به البابوية في روما. غير أن الكنيسة الكاثوليكية بعد صراع طويل مع هذه الجمـاعات نجحت في نشر المذهب الكاثوليكي بين صفوفها.

أما فـي شـرق أوروبا فكـانت الدولـة البيزنطية. وهـي دولة إغـريقيـة الطابع أرثوذكـسيـة المذهــب. وهو المذهـب المعـروف باسم "مـذهب الروم الأرثوذكس" الذي ترأسه كنيـسة القسطنطينيـة. وهكذا وجدت الدولة الرومانيـة في غربي أوروبا والدولة البيزنطية في شرقيها.

أما في الشرق الآسيوي فإن الفرس الساسانيين كانوا عند ميلاد الإسلام سادة هضبة إيران حتى نهر المورغاب شرقاً. وكان قلب إمبراطوريتهم في بلاد العراق وعاصمتهم المدائن (التي تسمى طيشفون) على نهر دجلة. وكان الفرس وثنيين.

وفي الهند قامت منذ القرن الرابع الميلادي دولة زاهرة ذات حضارة بزعامة أسرة هندية هي أسرة كويتا الثانية وهي أسرة براهمية الدين والثقافة، وفي أيامها بلغت السنسكريتية درجة رفيعة من التقدم، وقد قضى على هذه الدولة قبائل الهوف.

وفي القرن السابع الميلادي أقام زعيم هندوكي من أسرة كويتا يسمى هارشا دولة جديدة حدت من سلطة الديانة البراهمية وشجعت على الديانة البوذية التي وفدت إلى الهند من الصين. وبالرغم من الصراع بين الديانة البراهمية (الهندوسية) والبوذية إلا أن الأخيرة انتشرت معابدها وكثر معتنقوها.

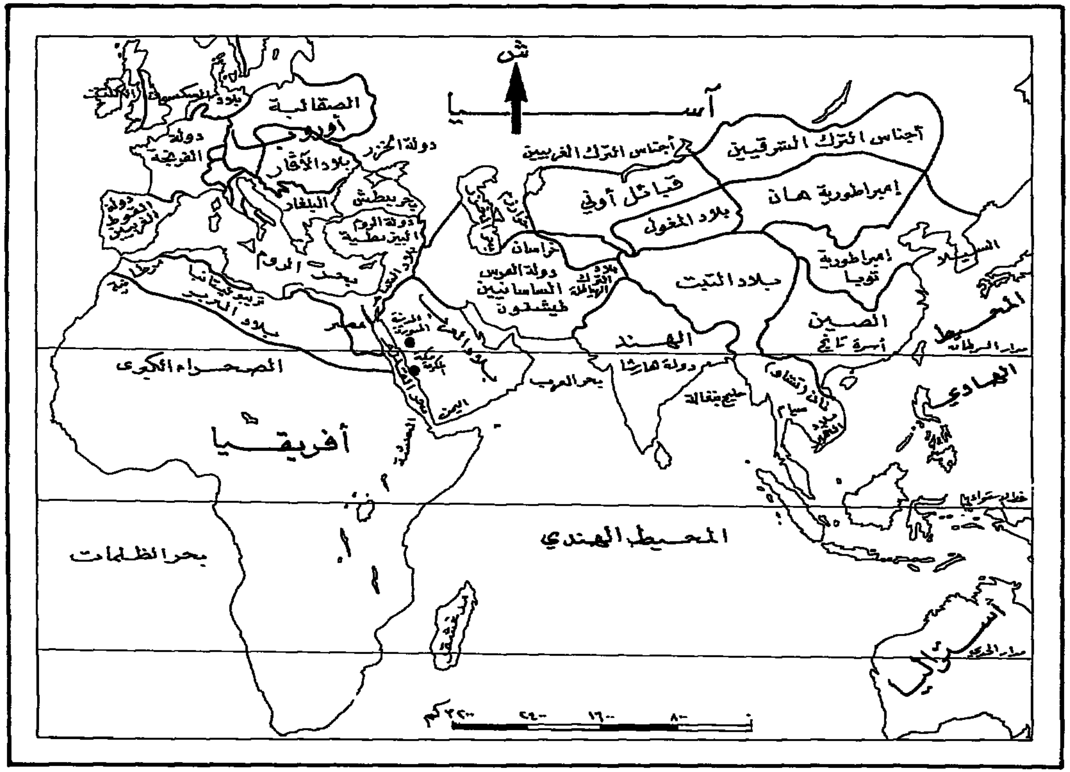
وإلى الشرق من الهند تمتد أراضي التبت وبلاد الصين التي كانت في أوائل عهد البعثة تخضع لحكم أسرة تانج التي قامت بتوحيد الصين. وكان سكانها يعتنقون البوذية والكونفوشية والطاوية (مذهب من مذاهب البوذية). وإلى الشمال من التبت والصين تمتد المناطق التي تخضع لقبائل عديدة من الترك والمغول (انظر شكل رقم٢).

أما ثالث قارات العالم القديم وهي القارة الأفريقية، فإذا استثنينا قسمها الشمالي المعروف الآن ببلاد مصر وشمالي أفريقيا فقد كانت قليلة السكان مجهولة تستوطنها قبائل بدائية ذات ديانات طوطمية وثنية محلية.

أما منطقة جنوب غربي آسيا وشمالي أفريقيا، وهي التي ستصبح فيما بعد بؤرة الإسلام الأولى وموطن الشعوب العربية، فكانت موزعة الولاء بين القوى العظمى آنذاك. لقد كان الروم (الإمبراطورية البيزنطية) يسودون غربي بلاد الشام بما

في ذلك فلسطين وكانوا يضعون تحت حمايتهم دولة عربية موالية لهم وهي دولة الغساسنة، التي كانت تسيطر على ما يعرف الآن ببلاد الأردن وبعض أراضي سوريا، وكانت هذه الدولة تصل جنوباً إلى خليج العقبة. كذلك كانت دولة الفرس تتخذ لها في شرق جنوب العراق دولة عربية هي دولة المناذرة اللخميين، وعاصمتها الحيرة. وكان الحد الفاصل بين جزيرة العرب وبلاد الشام- وهو خط يمتد تقريباً من أيلة إلى الحيرة- مسكوناً بقبائل عربية تسمى في الغرب بعرب الروم أو العرب المتنصرة حيث كانت الديانة النصرانية تنتشر بين هؤلاء بصورة واسعة، أما في الوسط فكانوا يسمون بعرب الضاحية أو ضاحية قضاعة، أما جزيرة العرب في أوائل عهد البعثة فكان جنوبيها المسمى ببلاد العرب السعيدة، والذي قامت فيه حضارات زراعية راقية (السبأية والحميرية) يخضع لحكم الفرس حيناً وللأحباش حيناً آخر، فكان معظم أهله على الوثنية وتنتشر بين بعض سكانها الديانة النصرانية وكذلك اليهودية. أما شمالي الجزيرة فكان أهلها على الوثنية يعبدون الأصنام ويحجون إليها في مكة بعد أن نسوا الحنفية ديانة إبراهيم عليه السلام.

أما الشمال الأفريقي فكان الشريط الساحلي المطل على البحر المتوسط ومعظم أراضي مصر يتبع الدولة الرومانية وكانت تنتشر بين سكانه الديانة النصرانية. أما المناطق الداخلية من المغرب فكانت تستوطنها قبائل البربر والقبائل الأفريقية الأخرى وهي على الديانة الوثنية (شكل رقم٢).



شكل (٢) الأوضاع العالمية عند إنتشار الإسلام

المصدر: مؤنس، حسين، (١٩٨٧م)، أطلس تاريخ الإسلام، دار الزهراء، القاهرة.

انتشار الدين الإسلامي زمانياً ومكانياً:

لقد تطورت خريطة العالم الإسلامي عن طريق موجات متعاقبة تكون خلال كل منها جزء من الرقعة الأرضية للأراضي الإسلامية. وهذه الموجات تفصل بينها فترات زمنية بعضها طويل والآخر قصير. ولقد قام بهذا التوسع أجناس متعددة من تلك التي اعتنقت الدين الإسلامي وحملت رايته وكان لها دور في بناء عالمه (شكل رقم٣).

إن النظرة الشاملة لتطور حدود العالم الإسلامي تظهر أن عالم الإسلام كان يميل إلى السكون بعض الوقت بعد كل موجة من موجات التوسع. وفترات السكون هذه لها بالنسبة لبناء عالم الإسلام الأهمية نفسها التي لفترات التوسع والامتداد؛ لأن الإسلام- خلال فترات السكون- كان يملأ الفراغات التي خلفها وراءه أثناء حركة المد. وللوقوف على موجات التوسع والامتداد في رقعة العالم الإسلامي يمكن الرجوع إلى المجلد الأول من هذه الموسوعة.

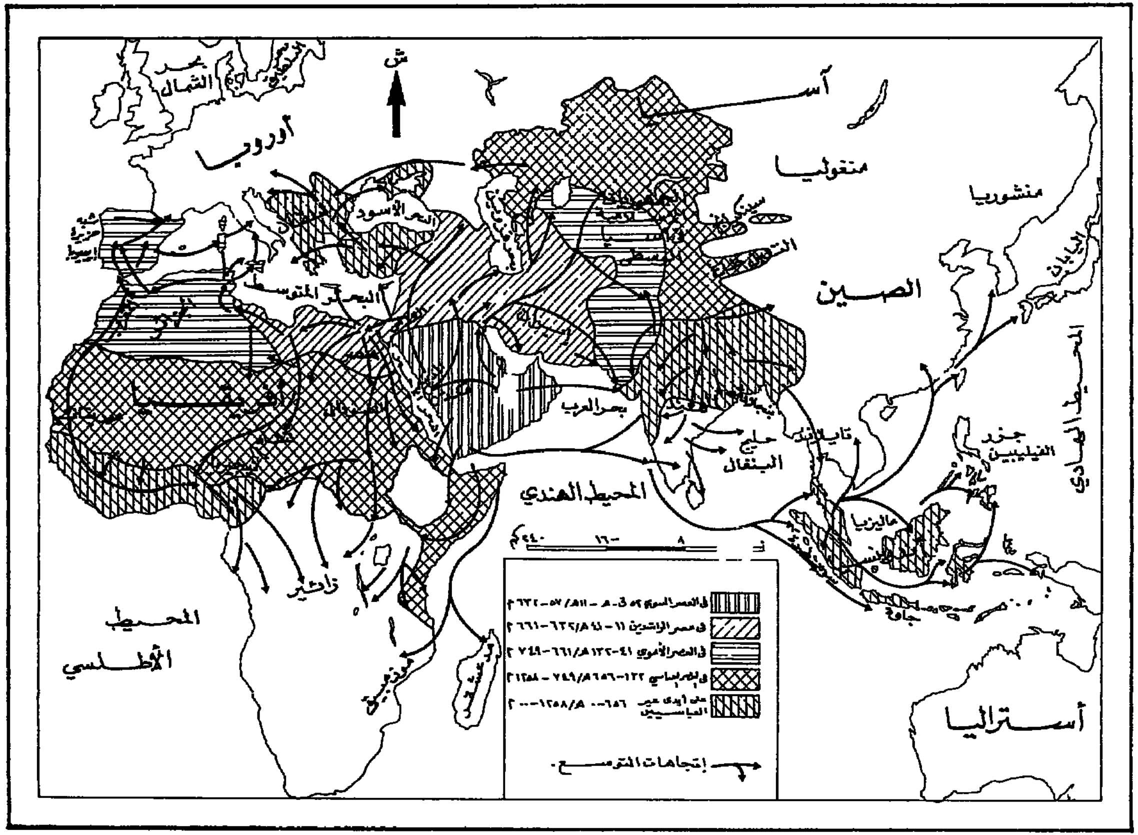
الإسلام والبيئة: التفاعل والانعكاسات:

إن الدين لدى الكثير من الشعوب هو أحد مكوِّنات الحضارة، غير أن الإسلام هو الذي طبع الحضارة الإسلامية بطابعه وذلك عن طريق تعاليمه التي نظَّمت العلاقة بين الفرد وخالقه من جهة وبين الفرد وبقية أفراد المجتمع من جهة أخرى. وهذا ما يميز الإسلام عن غيره من الأديان الأخرى، التي جاءت تعاليمها في الغالب لتنظيم علاقة الفرد بخالقه، دون الاهتمام بتنظيم علاقات المجتمعات التي تركت للأعراف والاجتهادات غير الدينية. ولذلك لم يظهر التأثير الكبير لمثل هذه الأديان في أوساط المجتمعات التي تبنتها على عكس الإسلام الذي كان له من التأثير الفعلي في البيئة بقدر ماله من تأثير وفعالية في تنظيم علاقة الفرد بخالقه. فالإنسان في نظر الدين الإسلامي (هو خليفة الله على هذه البسيطة) ولذا فهو مكلف بإعمارها واستغلالها وصون مواردها بالاعتدال والتعقل والحكمة.

لقد أرسل الله آدم عليه السلام لعمارة الأرض، قال عز وجل: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠]. وضمن الله للإنسان الرخاء على هذه الأرض طالما أطاعه وامتثل أوامره ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ ﴿٥٤﴾﴾ [طه ٥٣- ٥٤].

لقد خلق الله جميع موارد الأرض للإنسان ومن ثمَّ يباح لكل إنسان أن يستفيد منها، أضف إلى ذلك أن هذه الموارد ليست حكراً على جيل دون جيل، بل هي ملك يمتد إلى الأجيال القادمة وعلى كل جيل أن يستغل هذه الموارد بأن يأخذ منها قدر حاجته دون أن يغمط أجيال المستقبل حقها. وهكذا حرم على الإنسان أن يفسد الثروات أو يسيء استغلالها أو يشوهها لأن كل جيل من حقه أن يستمتع بها ولكنه لا يستأثر بها ألى الأبد. وقد منح الله الإنسان الحق في استخدام موارد الطبيعة والاستفادة منها وتسخيرها لنفعه وخيره ولكنه مع ذلك لابد أن يلزم نفسه بصون هذه الموارد كماً ونوعاً (الوليعي، ١٤١٦: ٦١- ٦٢). إن الإسلام لايطلق يد الناس كي يفعلوا ما يشاؤون بموارد الطبيعة بل يضع قيوداً وتحذيرات على هذا الموقف ونادى بزراعة الأرض البور وغرس الأشجار وتشجير الصحراء وإحياء الموات.

إن الإسلام لا ينادي بالإبقاد على الطبيعة شعثاء ولكنه يعتقد بقدرة الإنسان على تحسين وتعديل البيئة. ومع ذلك فإن الإنسان لا يتصرف تصرفات حميدة على الدوام، فهو في بعض الأحيان يعدّل البيئة بطرائق ضارة تؤدي إلى اختلال توازنها. وهذه الآثار الضارة التي يسببها الإنسان للبيئة تتنافى مع تعاليم الإسلام.



شكل (٣) إنتشار الاسلام زمانيًا ومكانيًا

إن مفهوم الصراع مع البيئة المنتشر في الأدب الجغرافي غير مقبول في الشريعة الإسلامية. فليس هناك صراع مع عناصر البيئة بل هناك انسجام وتناغم وتبادل في التأثير. فالأرض خلقت من أجل الإنسان، وأن الله سخرها له، ولذا فهو مستخلف فيها، وعليه إعمارها وتعديلها وفقاً لاحتياجاته ومتطلباته دون الإضرار بها. والفرد المسلم لايشعر أنه محكوم بعناصر البيئة أو خاضع لها وإنما هو قادر على تعديل شروطها وفقاً لرغباته وفي الحدود التي لا تؤثر في تدميرها وتخريبها.

لقد أوجد الإسلام ضابطاً لاستغلال البيئة. وهذا الضابط هو المبدأ الإسلامي المشهور القائل بجلب المنافع ودفع الأضرار. وهذه قاعدة مهمة من قواعد التشريع الإسلامي. هذه القاعدة تفرض نوعين من المسؤولية: إحداهما مسؤولية فردية حول حفظ النعمة من موارد مختلفة، وكذلك حفظ الوقت وحفظ الأفكار. أما الثانية فهي مسؤولية الدولة. فقد أعطي الحاكم سلطات واسعة لتنظيم علاقات الناس بالبيئة. ووضع قواعد عامة لإقطاع الأراضي واستغلالها ولحقوق الرعي والتملك ولاستغلال الثروات المعدنية بما يكفل مصلحة الجميع. ونظراً لأهمية بعض عناصر البيئة وخاصة الموارد الطبيعية الأساسية جعل ملكيتها عامة لعموم أفراد المجتمع، ولم يخصص ملكيتها إلا في حالات محددة وفق ضوابط محددة (الناس شركاء في ثلاث: الماء والكلأ والنار). وفي كل الأحوال تكون المصلحة العامة هي المتقدمة على المصلحة الخاصة إذا لم يكن الجمع بينهما ممكناً.

لقد وضع الإسلام نصوصاً توجيهية للفرد والمجتمع بضرورة المحافظة على الموارد وترشيد استعمالها من خلال الممارسات التعبدية للفرد المسلم. فالمسلم مأمور بعدم الإسراف والتبذير (كلوا واشربوا ولا تسرفوا) ومأمور بالاقتصاد في استعمال الماء حتى في أغراض العبادة والتطهير (لا تسرف في الماء حتى لو كنت على نهر جار). وقد أوصى بالمحافظة على بعض الموارد مثل عدم قطع الأشجار بقصد التخريب، كما ورد في وصية أبي بكر الصديق للجيوش الفاتحة. أو تلويث المكان

المخصص للراحة (التبرز تحت الشجر) بل في بعض الأحيان تقتضي قدسية المكان عدم المساس بالعناصر البيئية. ففي الحرمين الشريفين لا يعضد الشجر ولا ينفر الطير حفاظاً على المكان من أن يطرأ عليه التغيير والتخريب لبيئته العامة التي خلقها الله فيه.

وليس تأثير الدين مقصوراً على المظهر الطبيعي للأرض بل يتعداه إلى المظاهر الأخرى. حيث يحدد الإسلام نوع الزراعة ونوع الثروة الحيوانية التي يتعهدها المزارع، كذلك نوع الطعام والشراب الذي يتناوله الفرد، وكذلك نوع الحرفة التي يعمل بها فعلى سبيل المثال يحرم الإسلام تربية الخنازير. ويحرم زراعة النباتات الضارة (كالحشيش والأفيون و كل أنواع النباتات المخدرة) كما يحرم الإتجار بالمحرمات (المسروق والمنهوب والمغصوب) أو التعامل بغير المشروع (التعامل بالربا وممارسة الاحتكار) وهذا يسمى في العرف الاقتصادي الحديث توجيه استخدام الموارد بما يعود بالنفع للمجتمع وينأى به عن الضرر والأذى.

وبجانب المحافظة على الموارد البيئية جعل الإسلام من عناصر البيئة مصدراً لشحذ همة المسلم نحو الاتجاه نحو خالقه. فقد جعل الإسلام من البيئة مصدر إلهام وتفكر، حيث نجد الدعوة صريحة إلى التفكر في العناصر البيئية من جبال وسهول وبحار ونبات وحيوان وغير ذلك من المظاهر التي تقوِّي الإيمان. إن مظاهر الكون المختلفة وعناصرة لتدل دلالة أكيدة على مبدع هذا الكون وخالقه.

لقد جعل الإسلام من الأضرار البيئية التي تصيب المجتمعات فرصة للتذكير والعودة إلى الله تعالى. فالمسلم يهرع إلى التضرع والصلاة لاستجلاب المطر (صلاة الاستسقاء) وإلى الصلاة، والتسبيح عند حصول بعض الظواهر الفلكية والجوية (صلاة الكسوف والخسوف، والتسبيح عند سماع صوت الرعد. ورؤية البرق) والتضرع والإنابة والاستغفار والابتعاد عن الخطايا عند حصول الكوارث الطبيعية

(الزلازل، البراكين، فيضانات الأنهار المدمرة). فالإسلام يفرض تصوراً بيئياً خاصاً. فالكوارث البيئية ينظر إليها على أنها عقاب من الله تعالى على الذنوب التي يقترفها البشر. أو هي من المحن التي يختبر الله بها عباده ليعرف صبرهم وتمسكهم بعقيدتهم.

نخلص إلى القول أن للدين الإسلامي ضوابط معينة على البيئة الطبيعية وكذلك البيئة البشرية. وهذه الضوابط وإن كان الالتزام بها كلية ليس موجوداً في الأراضي الإسلامية إلا أنها مع ذلك تبقى أموراً مرعية باعتبار أن الالتزام بها عبادة يتقرب بها المرء إلى الله تعالى. فإذا لم يلتزم الفرد المسلم بها فالإسلام يمنح الصلاحية للإمام أو الحاكم أن يوقف ويمنع إقامة ما من شأنه أن يمثل الضرر لبعض عناصر البيئة بأن يمنع إقامة أي مشروع يمثل خطراً على الناس أو على بعض العناصر الطبيعية وأن يوجه الناس إلى استخدام البيئة استخداماً فعالاً حكيماً وأن يعاقب المخالف.

المظهر (اللاندسكيب) الديني للأراضي الإسلامية:

يؤثر الدين في اللاندسكيب الحضاري للمناطق الإسلامية. ويبرز تأثير الدين في أنماط الاستيطان البشري وأنماط استغلال الأرض وملكيتها، كما يبرز في أماكن العبادة وأماكن دفن الموتى والأسماء الدينية للأماكن. وسنتحدث عن تأثير الدين في أنماط الاستيطان البشري واستغلال الأرض لاحقاً، وسيقتصر حديثنا هنا على الموضوعات الثلاثة الأخيرة.

المباني الدينية:

يبرز أثر الدين في اللاندسكيب الأرضي في المباني الخاصة بالعبادة. وفي العالم الإسلامي يبرز المسجد كشاهد عيان على أهمية الدين في الأوساط الإسلامية. وتختلف المساجد في الحجم والوظيفة والطراز المعماري.

ونجد المدن الإسلامية بلا استثناء تلتف في الغالب حول مسجدها الجامع، الذي يشكل أهم المعالم الرئيسة في المدينة. وغالباً ما يتوسطها أو يكون في بؤرة المدينة وقلبها. وتنتشر مساجد الأحياء في جميع مناطق المدينة. وعادة ما تكون أقل مساحة وأكثر تواضعاً من المسجد الجامع. ولاشك أن دالة هذه المساجد هي مناراتها العالية التي تستعمل في الأذان، وهي في الوقت نفسه شواهد حية على ما يتركه الدين من آثار معمارية في البيئة المحلية للمدينة.

وبجانب المساجد في بعض الأقطار الإسلامية توجد الزوايا، وهي أماكن مخصصة لاجتماع بعض الدعاة وأتباعهم. وقد أسهمت هذه الزوايا في بعض عصور التاريخ الإسلامي في نشر الدين الإسلامي بين بعض فئات السكان، حيث كانت تقام على أطراف الصحراء، وعلى طول الطرق التجارية، وخاصة في أطراف الصحراء الكبرى الأفريقية، حيث يأوي إليها بعض الفقراء والمسافرين. ويقوم أولئك الدعاة ومريدوهم بدعوة الناس إلى اتباع الدين الإسلامي وفقاً لمناهج متنوعة حسب ظروف المناطق التي تقدم فيها تلك الزوايا. وقد أثمرت هذه الزوايا باعتناق العديد من أفراد القبائل الأفريقية الإسلام.

أماكن دفن الموتى:

تختلف الأديان في طريقة التعامل مع الناس بعد وفاتهم. فالهندوس والبوذيون ليس لديهم مقابر لأنهم يقومون بإحراق موتاهم، أما أبناء الأديان الأخرى فيدفنون موتاهم في مقابر خاصة. والإسلام يحافظ على الفرد حياً وميتاً، حيث يقوم المسلمون بتخصيص جانب من الأرض بعيد نوعاً ما عن المستوطنات السكانية لدفن الموتى. وتشكل المقابر جزءاً مهماً من اللاندسكيب الأرضي للمدن الإسلامية. ومع توسع هذه المدن بمرور الزمن تتصل هذه المقابر بالكتلة العمرانية، وتصبح مظهراً بارزاً من مظاهر المدينة. وليس أدل على ذلك من مقبرة المعلاة بمكة المكرمة ومقبرة البقيع في المدينة المنورة والقرافة في القاهرة.

لقد نسي الناس أو تناسوا بمرور الزمن القواعد الشرعية للدفن وهي تسوية المقابر بالأرض، وأخذوا يزينون القبور ويبنون عليها القباب. وهذه ظاهرة منتشرة في المدن التاريخية مثل اسطنبول والقاهرة وبغداد وطهران وغيرها. بل ربما يبنون فوقها البيوت التي اتخذها الكثير من الفقراء مساكن يقيمون بها ويعيشون بداخلها. وهذا موجود في بعض المدافن في بعض المدن الإسلامية. وأكبر دليل على ذلك هو حي القرافة بالقاهرة الذي يقع ضمن مقابر الموتى.

إن المقابر وأماكن دفن الموتى تشكل أحد المعالم الرئيسة في اللاندسكيب الطبيعي في مدننا الإسلامية، حيث نجد المدافن القديمة التي تحيط بها الأسوار تقع في قلب المدن. أما المدافن الحديثة فقد ساعد انتشار المواصلات السريعة في إبعادها عن أطراف المدينة، ومع ذلك سوف يأتي الوقت الذي تلتحم فيه هذه المقابر بالكتلة السكنية الجديدة كما التحمت المقابر القديمة من قبل.

الدلالات الدينية لأسماء الظاهرات والأماكن:

يلعب الدين دوراً كبيراً في طبع كثير من المسميات على الظواهر المختلفة في البيئة، سواء أكانت هذه الظواهر طبيعية أم بشرية. والمسميات قد يكون بعضها قديم معروف إلا أنه يرتبط بأمر ديني لاحقاً فيعرف به. وقد يطلق الاسم المرتبط بالأثر الديني لاحقاً.

فمن المسميات القديمة التي تصبح لها دلالات دينية جديدة هي المواقع المرتبطة بأماكن العبادة وإقامة الشعائر. فعلى مستوى العالم الإسلامي حينما تذكر أسماء مثل عرفة أو منى أو مزدلفة تقترن تلك المسميات بأعمال الحج. وعندما تذكر أسماء مثل مكة والمدينة والقدس، يقترن بالأولى ظهور الإسلام ووجود الحرم المكي الشريف، أما الثانية فتمثل عاصمة الإسلام الأولى وموطن الهجرة ومكان قبر الرسول- صلى الله عليه وسلم-، ومكان وجود الحرم المدني الشريف. وما أن تذكر القدس حتى ينصرف الذهن إلى أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين وإلى مسرى الرسول صلى الله عليه وسلم.

بعض المواقع والمسميات تقترن بأحداث عظيمة في تاريخ الأمة مثل مؤتة وبدر وحطين وعين جالوت وبلاط الشهداء فهي مواقع ومسميات تكتسب أهمية خاصة لأنها بصمات حضارية مطبوعة في ضمير الأمة. فمؤتة معركة المسلمين مع الروم، وبدر معركة المسلمين الأولى مع الشرك، وحطين وعين جالوت معركة المسلمين مع الصليبيين والمغول، وبلاط الشهداء أخر معارك المسلمين في أوروبا الغربية.

لا يقتصر الأمر على أسماء المدن بل يتعداه إلى الجبال: فجبل حراء وثور وجبل الرحمة وأُحد لها دلالات دينية مهمة. فالأول شهد تحنث الرسول صلى الله عليه وسلم- قبل البعثة وبين ثنايا هذا الجبل تزل الوحي على الرسول الكريم، والثاني ارتبط بهجرة الرسول وصاحبه أبي بكر، والثالث: الجبل الذي حج بجواره رسول الله- صلى الله عليه وسلم- حجة الوداع. والرابع ارتبط بأحد معارك الإسلام الكبرى. وقد يرتبط الجبل بأحد القصص القرآني مثل جبل الجودي في شمالي العراق حيث يرى بعض المؤرخين أن سفينة نوح عليه السلام استقرت عليه، أو كهف أهل الكهف بجوار عَمَّان في الأردن حسب بعض الروايات التاريخية.

وتبرز الدلالات الدينية للأسماء في بعض مسميات الطرق والدروب التي تصل إلى بعض الأماكن المقدسة. فدرب زبيدة هي طريق الحاج العراقي الموصل بين العراق ومكة ودرب الحاج الشامي والمصري وغير ذلك من الدروب التي كان يسلكها الحجيج في الوصول إلى مكة وكذلك طريق الهجرة الذي سلكه الرسول- صلى الله عليه وسلم- أثناء هجرته إلى المدينة المنورة.

وقد يتعدى الأمر إلى تسمية الشوارع والأحياء بأسماء ذات دلالات دينية. فطريق الحرمين، وشارع المسجد الحرام، وشارع مكة والمدينة وبيت المقدس موجودة في الكثير من مدن العالم العربي والإسلامي. ونجد بعض الأسماء لها دلالات دينية مثل حي الأنصار (في مدينة الزرقاء بالأردن) أو حي الهجرة (مكة المكرمة) وحي الإمام الشافعي والسيدة زينب (في القاهرة).

إن قائمة الأسـماء الدينية لا تنتهي، فالدين جزء من حـياة الأمة ولذلك نراه مطبوعاً في ثنايا حضارات الشـعوب، ويتخلل كافة مناحي حياتها وهو كالفـسيفساء يزين المدن والقرى والمؤسسـات والظواهر المختلفة ويطبعـها بطابعه ويعطيها مـسحة دينيـة ولمسة حـضارية أصـيلة تنبع من شـعور ذاتي بـعظمة تراث الأمـة وتاريخهـا وأمجادها.

آثار الدين في العلاقات الثقافية في الماضي:

عني الدين الإسلامي بـالعلم وتشجيـعه والدعوة إلى تحـصيله. فقـد حرص الرسول صلى الله عليه وسلم- على تعليم الصحابة الكتابة، ففرض على كل أسير من أسرى بدر يجيد القراءة والكتابة ولا يسـتطيع أن يفدي نفسه أن يعلم عشرة من أبناء المسلمين. ثم حث الصـحابة على تـعلم اللغات حين بعث دعـاته ورسله إلى الملوك والأمـراء في خارج الجـزيرة العربيـة، فنصح زيد بن ثابت بأن يتـعلم كتـابة اليهود لأنه لا يأمن جانبهم.

ولم يختص النبي صلى الـله عليه وسلم- الرجال بالعلم والتـعلم، بل كان يحرص على أن يكون حظ المرأة من ذلك موفـوراً ولذلك قال عليه السلام: «طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة».

وكان الرسول يحث الرجال على تعليم أهليهم وذويهم، فعن أبي بردة قال: قال الرسـول- صلى الله عليه وسلم-: «ثلاثة لهم أجـران: رجل من أهل الكتاب آمن بنبـيه وآمن بمحـمـد، والعبـد المملوك إذا أدى حق الله وحق مـولاه، ورجـل كـانت عنـده أمـة فأدبهـا فأحسـن تأديبهـا وعلمهـا فأحسـن تـعليمهـا، ثم أعتـقها فتزوجها فلـه أجـران» (صحيح البخاري، ج١، ص٣٠).

وليس أدل على نصيب المرأة المسلمة من العلم من محاجة إحدى نساء المدينة لعمر بن الخـطاب حين قام ويخطب المسلمين ويحثهم على أن لا يـزيدوا في مهور

نسائهم عن مهور زوجات الرسول، إذ قالت له تلك المرأة: وماذا تقول في قوله تعالى: ﴿وإن آتيتم إحداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئا﴾؟ فقال عمر: أصابت امرأة وأخطأ عمر.

وكان الصحابة أنفسهم مشغوفين بسماع الرسول- صلى الله عليه وسلم- والأخذ عنه، حتى كان الرجل إذا لم يستطع أن يذهب إلى مجلسه أناب عنه صديقاً له ثم يتعلم منه آخر النهار ما قال الرسول. قال عمر: كنت أنا وجار لي من الأنصار في بني أمية بن زيد- وهي من عوالي المدينة- وكنا نتناوب النزول إلى الرسول- صلى الله عليه وسلم-، ينزل يوماً وأنزل يوماً، فإذا نزلت جئته بخبر ذلك اليوم من الوحي وغيره، وإذا نزل فعل مثل ذلك (صحيح البخاري، ج١، ص٢٧).

ولم ينفرد الرسول- صلى الله عليه وسلم- وأصحابه ببث الدعوة وتعليم الناس في المدينة، بل كان يرسل دعاته إلى الجهات النائية من شبه الجزيرة ليعلموا الناس ويوضحوا لهم الطريق إلى ربهم ويقرئوهم القرآن الكريم.

وقد ألقت أفكار الرسول وتعاليمه بذورها في تربة خصبة فأنتجت جماعة من أعظم الرجال قدراً، فكانوا الحفظة على نصوص القرآن المقدسة. وهم وحدهم الذين وعوها عن ظهر قلب، وهم الحراس المتحمسون لحفظ كل ما روي عن النبي- صلى الله عليه وسلم- من كلام ووصايا، والأمناء على تراث محمد الأدبي. وقد تألفت من هؤلاء جماعة الإسلام المبجلة الذين انبثقت منهم طبقة الأجلاء من أوائل الفقهاء والأصوليين والمحدثين في المجتمع الإسلامي.

وقد أفاد كثير من الصحابة من صحبتهم للرسول- صلى الله عليه وسلم-: فنبغ عليٌّ في القضاء حتى كان يقال إذا أشكل الأمر: قضية ولا أبا حسن لها، ونبغ معاذ بن جبل في العلم بالحلال والحرام، وزيد بن ثابت في تقسيم المواريث والأنصبة في الغنائم وما إليها، وأبيّ بن كعب في قراءة القرآن...

وقد تفرق هؤلاء العلماء في الأمصار الإسلامية، فقاموا فيها بحركة علمية والتف حولهم تلاميذ أخذوا العلم عنهم وأذاعوه بين الناس (حسن، ١٩٩١م: ج١، ص٤٠٣- ٤٠٤).

ومما يسترعي نظر الباحث في تاريخ الثقافة الإسلامية أن السواد الأعظم من الذين اشتغلوا بالعلم كانوا من الموالي، وخاصة الفرس. وكانت اللغة العربية هي الوسيلة الوحيدة للتفاهم بين المسلمين إلى أن أزال المغول الخلافة العباسية من بغداد في القرن السابع الهجري، وفي ذلك يقول ابن خلدون: «من الغريب أن حملة العلم في الملة الإسلامية أكثرهم من العجم وإن كان منهم العربي في نسبه، فهو أعجمي في لغته ومرباه ومشيخته. وأما العرب الذين أدركوا هذه الحضارة فشغلتهم الرئاسة في الدولة وما دفعوا إليه من القيام بالملك عن القيام بالعلم والنظر فيه فإنهم كانوا أهل الدولة وحماتها وأولي سياستها» (المقدمة: ص٢٧٠- ٢٧٤).

لقد ميز كتاب المسلمين بين العلوم التي تتصل بالقرآن الكريم وبين العلوم التي أخذها العرب عن غيرهم من الأمم. ويطلق على الأولى العلوم النقلية أو الشرعية. وعلى الثانية العلوم العقلية. وتشمل العلوم الشرعية، علم التفسير وعلم القراءات وعلم الحديث والفقه وعلم الكلام والنحو والبيان والأدب. وتشمل العلوم العقلية: الفلسفة والهندسة وعلم النجوم والطب والكيمياء والتاريخ والجغرافيا.

وكانت عناية المسلمين في صدر الإسلام مقصورة على العلوم الدينية، وهي القرآن وتفسيره وروايته، واستنباط الأحكام الفقهية والفتاوى الشرعية فيما يجد من مشاكل، بخلاف ما كانت عليه الحال في أيام العباسيين الذين اشتغلوا بالعلوم العقلية كالطب والفلسفة والرياضيات وغيرها (حسن، ١٩٩١م: ج١، ص٤٠٥).

وفي هذا العصر انتشرت الثقافة الإسلامية انتشاراً يدعو إلى الإعجاب، ونضجت ملكات المسلمين أنفسهم في البحث والتأليف وتشجيع الخلفاء والسلاطين

والأمراء ورجال العلم والأدب، وكثرة العمران واتساع أفق الفكر الإسلامي بارتحال المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها واتصالهم بالحضارات اليونانية والفارسية والهندية.

لقد كان من آثار ضعف السلطة المركزية في بغداد في العصر العباسي الثاني قيام الكثير من الدول التي استقلت عن الخلافة العباسية. وقد نشطت الحركة الفكرية وراجت الثقافة. وزخر بلاط كل دولة من هذه الدول بالعلماء والشعراء والأدباء. وقد ظهر صدى هذه النهضة العلمية في بلاط كل من السامانيين والغزنويين والبويهيين والحمدانيين في الشرق وفي بلاط الطولونيين والإخشيديين والفاطميين في مصر وفي بلاط الأمويين في الأندلس.

أضف إلى ذلك ظهور الكثير من الفرق التي أخذت الثقافة والعلم وسيلة لتحقيق مآربها السياسية والدينية. وكان للجدال والنقاش الذي قام بين هذه الفرق من ناحية وبين علماء السنة من ناحية أخرى، أثر بعيد في النهضة العلمية والفكرية، على الرغم مما انتاب العالم الإسلامي من تفكك وانحلال، وما أصاب الخلافة من ضعف ووهن.

وكنتيجة لكل ذلك فقد كثرت مراكز الثقافة والعلم في العالم الإسلامي وجذبت تلك المراكز رجال العلم والأدب وتخرج فيها فحول العلماء في كل فنٍ من فنون المعرفة. وأهم تلك المراكز: مكة المكرمة، المدينة المنور، دمشق، بغداد، البصرة، الكوفة، الحلة، النجف، الموصل، حلب، حمص، حماة، الرقة، غزة، القدس، بنيسابور، جرجان، مرو الروز، نسا، طبرسان، طوس، كابل، بلخ، هراة، بخارى، غزنة، خيوة، طشقند، سمرقند، كشغر، محج قلعة، عشق أباد (اشكباد حالياً)، لاهور، دهلى، دلهي، عليكرة، حيدر أباد، أحمد أباد، كاليكت، القاهرة، الإسكندرية، القيروان، فاس، مكناس، شنقيط، تمبكتو، جاو، سنار، مقاديشو، كلوة، ممبسا، مالندى، دار السلام، زيلع، سوكتو، قرطبة، أشبيلية، مجريط (مدريد)، غرناطة، اسطنبول، أضنة، سراييفو إلخ....

معاهد ومراكز الثقافة الإسلامية:

١ ـ **المسجد**: كان المسجد أعظم معاهد الثقافة لدراسة القرآن والحديث والفقه واللغة وغيرها من العلوم. وأصبح كثير من المساجد مراكز مهمة للحركة العلمية. وكان المسجد فوق اعتباره مكان العبادة والمكان الذي يؤم فيه الخليفة أو الإمام الناس في الصلاة، مركزاً لإدارة شؤون الدولة أو الولاية. وكان المنبر يلقى منه بيان الحاكم لسياسة الدولة. وتلقى فيه خطبته الأولى ويبين فيها سياسته في الحكم. وفي المسجد تذاع القرارات المهمة التي تتعلق بالصالح العام، ويستقبل الخليفة السفراء ويدير شؤون الدولة. والمسجد هو المكان الذي يتخذه علماء التفسير والحديث مقراً لهم، وهو المعهد الذي يتلقى فيه الأطفال اللغة العربية وأصول الدين، وهو المكان الذي اتخذه القضاة لعقد جلساتهم، بل لقد اتخذ بعض المساجد أماكن يلجأ إليها المسلمون ويصدون منها الأعداء.

لقد لعب المسجد النبوي في المدينة جميع الأدوار السابقة في حياة الرسول- صلى الله عليه وسلم- وفي حياة الخلفاء الراشدين من بعده. وكان المسجد الأموي في عهد الوليد يقوم بالأدوار السابقة جميعها ومثل ذلك مسجد عمرو بن العاص، ومسجد ابن طولون في القاهرة، ثم أصبح الأزهر في عهد الفاطميين مركزاً مهماً للثقافة ومثابة للعلماء. وأهم خصائص الأزهر أنه وإن كان قد بدأ كغيره من المساجد لم يلبث أن أصبح جامعة يتلقى فيها طلاب العلم الكثير من مختلف العلوم والفنون. وكان الخلفاء والسلاطين يقدمون للدارسين المأكل والمسكن وكل ما يوفر عليهم وسائل الراحة من غير أجر. وأصبح يدرس في الأزهر التوحيد والفقه واللغة والنحو والبيان والطب وغيرها من العلوم (المقريزي في الخطط ج٢، ص٣٦٣، وكذلك حسن، مرجع سابق، ج٤، ص٤٠٠).

ومن هذه المعاهد الثقافية مسجد القرويين بفاس الذي كان مركزاً مهماً من مراكز الثقافة الإسلامية. وقد جذبت مساجد بغداد العلماء والدارسين من مختلف أرجاء العالم الإسلامي، كما جذبت مساجد قرطبة الأوروبيين الذين وفدوا إليها لارتشاف العلم من مناهله والتزود من الثقافة الإسلامية. ومن ثمَّ ظهرت فيها طائفة من الفقهاء والعلماء والشعراء والفلاسفة والمترجمين وغيرهم (حسن، ١٩٩١م: ج٣، ص٣٩٩- ٤٠٠).

٢ - **الزاوية**: من معاهد العلم "الزاوية" وهي مأخوذة من الفعل انزوى بمعنى اتخذ ركناً من أركان المسجد للاعتكاف والتعبد. وقد أدرك خلفاء المسلمين حاجة المعتكفين إلى هذا الانزواء. فأقاموا لهم مساكن ملحقة بالمسجد، كما نشاهد ذلك حتى الآن ببعض مساجد فاس والقاهرة، ثم تطورت الزوايا فيما بعد إلى أبنية صغيرة منفصلة في جهات من المدينة في شكل دور أو مساجد صغيرة يقيم فيها المسلمون الصلوات الخمس ويتعبدون فيها ويعقدون بها حلقات دراسية في علوم الدين، وتنتشر الزوايا في كثير من أنحاء المدن والقرى في بعض بقاع العالم الإسلامي إلى يومنا هذا.

وتطلق كلمة زاوية في المغرب على مسجد خاص بمجموعة معينة من المسلمين، وكثيراً ما تلحق بالزاوية حجرات ينزل بها الضيوف والمنقطعون للعلم أو العبادة وكانت الزاوية المغربية مدرسة دينية وداراً لضيافة الأغراب.

وفي القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) انتشرت الزوايا في المغرب وأنشئت فيها كتاتيب لتحفيظ القرآن الكريم وتعليم الدين ومبادئ العلوم الأمر الذي حدا بملوك بني مرين أن يطوروا هذه الكتاتيب إلى مدارس وكليات تسهم في الحركة العلمية بجانب جامعة القرويين بفاس.

وقد تطورت الزوايا بالمغرب في القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي) حين اشتدت وطأة النصارى على المسلمين في الأندلس، وامتدت أطماعهم

إلى احتلال السواحل المغربية. ولما ضعفت الدولة عن الدفاع عن البلاد أخذ علماء هذه الزوايا يدعون إلى الجهاد ومقاومة الأجنبي، وقد أدت هذه الزوايا دوراً بارزاً في الدفاع عن الإسلام إبان القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي) حيث وقف رجالات هذه الزوايا لطرد النصارى من بعض الثغور المغربية.

وقد تطورت الزوايا في المغرب العربي بخاصة، والكثير من البلاد الإسلامية في أفريقيا بعامة حتى أصبح عددها يقرب من عدد المساجد (حسن، ١٩٩١م، ج٣، ص ص٤٠١- ٤٠٢).

٣ـ **الكُتَّاب والمدرسة**: اسم الكُتَّاب مشتق من كتب، وهو المكان الذي يتعلم فيه التلميذ القراءة والكتابة. ولم تكن هناك مكاتب خاصة يتلقى فيها الطلاب العلوم الدينية بل كانوا يؤمون المساجد ولم تكن المدارس الحالية موجودة في السابق، ولم تنشأ بالصورة المثلى إلا في القرن الرابع الهجري (العاشر الميادي) وكانت المدرسة الأولى بهذا المعنى هي المدرسة البيهقية في نيسابور. وفي القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) أسس نظام الملك وزير السلطان ملكشاه السلجوقي المدرستين المشهورتين في بغداد ونيسابور، وتعرف كل منهما بالمدرسة النظامية. ثم قامت المدرسة الحنفية في بغداد ثم قامت المدارس الأخرى في دمشق وحلب والمدينة المنورة ومكة المكرمة وغيرها من حواضر الإسلام. وكانت هناك جرايات تخصص لهذه المدارس للإنفاق عليها كرواتب للمدرسين وتأمين المسكن والطعام واللباس للطلبة. وكانت هذه المدارس منارات للعلم يحاضر فيها كبار العلماء والفقهاء من شتى أقطار العالم الإسلامي (حسن، ١٩٩١م، ج٤، ص٤٠٢-٤٠٣).

٤ ـ **المارستان**: اهتم المسلمون منذ العصر العباسي بنشر العلوم الطبية، فأسسوا المدارس الطبية والمستشفيات، ودعوا إلى عقد المؤتمرات الطبية التي يجتمع فيها كافة الأطباء من كافة البلاد في موسم الحج، حيث يعرضون نتائج أبحاثهم كما يعرضون نباتات البلاد الإسلامية ويصفون خواصها الطبية. وقد أصبحت بغداد في الشرق وقرطبة في الغرب من أهم مراكز الثقافة الطبية الإسلامية. وقد أقام المسلمون المارستانات ووضع بعض الخلفاء والسلاطين والأمراء في المساجد خزائن للأدوية والأشربة وعينوا لها الأطباء لإسعاف المصابين. وبنوا المارستان للمرضى وأباحوها للناس من غير تمييز في الأديان والمذاهب وقدموا لهم العلاج والطعام بدون مقابل.

ومن أحسن الأمثلة لذلك المارستان الذي أسسه أحمد بن طولون في القاهرة. وأدخل عليها ضروباً من النظم جعلته في مستوى أرقى المستشفيات في الوقت الحاضر. وفي سنة ٣١١هـ أسندت إمارة مارستان الري إلى محمد بن زكريا الرازي أشهر أطباء عصره، ثم أسندت إليه إمارة مارستان بغداد في عهد الخليفة المكتفي. وأسس الأيوبيون في مصر والموحدون بالمغرب الكثير من هذه المؤسسات التي كانت تجمع الجانب العلمي والجانب العملي من الطب إضافة إلى أنها تقوم بأعمال الفندقة الخاصة بالمأكل والمشرب للمرضى.

٥ ـ **المكتبات**: لما نشطت حركة الترجمة والتأليف في العصر العباسي وتقدمت صناعة الورق تبع ذلك ظهور كثير من الوراقين الذين يقومون بنسخ الكتب، واتخذها العلماء والأدباء أماكن يجتمعون فيها للتزود من العلم، فكثرت المكتبات التي تزخر بالكتب الدينية والعلمية والأدبية وغيرها، وأصبحت هذه المكتبات فيما بعد أهم المراكز الثقافية الإسلامية. وقد عمل الخلفاء على إمداد هذه المكتبات وتزويدها بالكتب. ومن أشهر المكتبات بيت الحكمة في بغداد

الذي وضع أساسه هارون الرشيد وتعهده المأمون حيث بنى فيه مرصداً وأقام فيه مكتبة أصبحت من أكبر خزائن الكتب، وظلت هذه المكتبة قائمة حتى استولى التتار على بغداد. ومن أشهر المكتبات مكتبة نوح بن نصر الساماني في بخارى ومكتبة الصاحب بن عباد بأصفهان، ومكتبة السلطان محمود الغزنوي في غزنة، ومكتبة ابن العلقمي ببغداد التي احتوت على عشرة آلاف مجلد من نفائس الكتب، ومكتبة مرو حاضرة خراسان التي كانت تحتوي على ١٢ ألف مجلد.

واتخذ الفاطميون من قصورهم مراكز لنشر الثقافة. وألحقوا بهذه القصور مكتبات تحتوي على مئات الألوف من المصنفات، وروى المقريزي في الخطط (ج١، ص٤٠٧) أنه كان في القصر الشرقي بالقاهرة أربعون خزانة تحتوي خزانة واحدة منها على (٨٠) ألف مجلد في العلوم القديمة. وقد أسس الخليفة الحاكم في سنة ٣٩٥هـ (١٠٠٥م) دار الحكمة في القاهرة على مثال أكاديميات بغداد وقرطبة وألحق بها مكتبة أطلق عليها "دار العلم" حوت ما لم يجتمع مثله في مكتبة من المكتبات أجرى على موظفيها ومن بها من الفقهاء الأرزاق، وجعل فيها ما يحتاج إليه المطالعون والنساخ من الحبر والمحابر والأقلام والورق (حسن، ١٩٩١م: ج٤، ص ص٤٠٨- ٤١٠).

لقد نافس بلاط الأمويين في قرطبة بلاط العباسيين في العراق وبلاط الفاطميين في المغرب ومصر. وقد نافست مدينة قرطبة مدن بغداد والقاهرة وبخارى وغزنة وأصبهان وغيرها من أمهات المدن الإسلامية. فأصبحت حاضرة الأندلس سوقاً نافقة للعلم وكعبة لرجال الأدب. وجذبت مساجدها الأوروبيين الذين وفدوا إليها لارتشاف العلم من مناهله والتزود من الثقافة الإسلامية، ومن ثمَّ ظهرت فيها طائفة من العلماء والشعراء والأدباء والفلاسفة والمترجمين والفقهاء وغيرهم.

وقد زخرت مكتبة قرطبة بكثير من المصنفات في مختلف العلوم والفنون. فقد بذل الحكم المستنصر حتى قبل أن يجلس على عرش الخلافة الأموية سنة ٣٥٠هـ جهوداً بعيدة الأثر في توجيه الدراسة الأندلسية في ميدان العلوم والطب. وكانت المكتبة التي أنشأها في قصره بقرطبة ذات ثراء لا يقارن إذ كانت تضم بين خزائنها ٤٠٠ ألف مجلد في وقت لم تعرف فيه الطباعة، وكانت الفهارس لها في غاية الاختصار، حتى أنها اكتفت بذكر أسماء الكتب ومؤلفيها فحسب. وكانت هذه المكتبة تحتوي على (٤٤) سجلاً كل منها يقع في ٥٠ ورقة. وكانت هناك شبكة محكمة من الباحثين والسماسرة والناسخين يعملون لحساب ذلك الخليفة الأموي في الأندلس. وقد انتشروا في جميع أنحاء العالم الإسلامي سعياً وراء المؤلفات (حسن، ١٩٩١م: ج٣، ص ص٣٤٤- ٣٤٥).

٦ ـ **الرحلات العلمية**: أهم الرحلات في الإسلام هي رحلة الحج وهو الركن الخامس من أركان الإسلام؛ لذا كانت مكة ملتقى المسلمين يأتون إليها من كل أرجاء العالم الإسلامي ويتبادلون الآراء والمنافع والأخبار. ولم يكن الوصول إلى مكة سهلاً لكل المسلمين بل كان بعضهم يقطع الآلاف من الكيلومترات للوصول إليها، كما هو الحال بالنسبة لأهل المغرب. وكان بعض الرحالة يكتبون ما يشاهدون، بل إن كثيراً من الرحالة أمثال ابن جبير وابن بطوطة والتجاني كان هدفهم الأساسي في بداية رحلاتهم حج بيت الله الحرام، لكنهم كانوا يتخلفون في بعض المدن الإسلامية ذات المكانة العلمية للتزود بالعلم والدراسة على أيدي فقهائها. وكان من أبرز ما كتبه هؤلاء الرحالة أنباء الفقهاء والعلماء وكل ماله صفة دينية مما يؤكد أن الدين كان الهدف الأساسي لتلك الرحلات.

وبالإضافة إلى رحلات الحج التي خلفت لنا أدباً وتاريخاً وعلماً نافعاً كان هناك الرحلات العلمية التي كان هدفها السعي إلى طلب العلم عملاً بقول الرسول

الكريم- صلى الله عليه وسلم-: «طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة» لذا نجد أن الارتحال في طلب العلم ظاهرة مألوفة منذ ظهور الإسلام (محمدين: ١٤٠١هـ: ص ص١٢٣- ١٢٤).

يقول الأستاذ نيكلسون: (كان لانبساط رقعة الدولة العباسية ووفرة ثرواتها، ورواج تجارتها، أثر كبير في إنشاء نهضة ثقافية لم يشهدها الشرق من قبل حتى لقد بدا أن الناس جميعاً من الخليفة إلى أقل أفراد العامة شأناً غدو فجأة طلاباً للعلم أو على الأقل أنصاراً للأدب. وفي عهد الدولة العباسية كان الناس يجوبون ثلاث قارات سعياً إلى موارد العلم والعرفان، ليعودوا إلى بلادهم يحملون العلم إلى جموع التلاميذ المتلهفين، ثم يصنفون بفضل ما بذلوه من جهد متصل هذه المصنفات التي هي أشبه بدوائر المعارف، والتي كان لها أكبر الفضل في إيصال العلوم الحديثة إلينا بصورة لم تكن متوقعة من قبل (NICHOLSON, 1913, 281 ؛ أيضاً حسن: ١٩٩١م، ج٢، ص٢٦٣).

كان طلاب العلم يجوبون البلاد الإسلامية شرقاً وغرباً فقد قيل إن أبا القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، الذي ولد بطبرية في سنة ٣٦٠هـ زار العديد من الأقطار الإسلامية خلال مدة تزيد عن ٣٣ سنة سمع فيها من ألف شيخ. كما أثر عن القاضي عبدالله محمد بن أحمد مولى عبدالرحمن الناصر الأندلسي أنه رحل من قرطبة وتنقل ببلاد الحجاز ومصر والشام، وأخذ العلم عن ٢٣٠ شيخاً. ومن هؤلاء العلماء الذين جابوا البلاد الإسلامية وتحملوا المشاق في سبيل اكتساب العلم أبو القاسم بن الدباغ الذي نشأ بقرطبة، وتلقى العلم على شيوخها، ثم رحل إلى بلاد الشرق الإسلامي وتنقل بين مصر والشام يأخذ العلم عن كبار علمائها زهاء ١٥ سنة وقيل إن عدد شيوخه بلغ ٢٣٦ شيخاً (حسن: ١٩٩١م، ج٣، ص٣٤٦).

وهناك أمثلة كثيرة لعلماء مسلمين قطعوا آلاف الكيلو مترات لتصحيح حديث أو ضبط سنده. فقد روى البخاري أن جابر بن عبدالله رحل مسيرة شهر إلى عبدالله بن أنيس في طلب حديث واحد. وقد ساعد على مثل هذه الرحلات تفرق العلماء وانتشارهم في أقطار العالم الإسلامي. وهكذا كانت الرحلة وسيلة اتصال لطلب العلم والتزود من المعرفة.

آثار الدين في العلاقات الثقافية المعاصرة:

إن حال العالم الإسلامي اليوم يشبه إلى حد بعيد حال المسلمين عندما ضعفت السلطة المركزية في بغداد. فقد قام إذ ذاك الكثير من الدول التي استقلت عن الخلافة. والعالم الرسلامي اليوم في ضوء عدم وجود دولة واحدة تجمع شمله وتوحِّد أقطاره يحوي العديد من الأقطار يربو عددها على الخمسين قطراً. وفي كل قطر من أقطار العالم الإسلامي حركة فكرية وثقافية، ويمثل كل قطر علماء وشعراء وأدباء وكتاب.

ولاشك أن اتصال أقطار العالم الإسلامي بالحضارة الغربية وتنوُّع هذا الاتصال أوجد منابع جديدة للثقافة، كانت الثقافة المحية بعيدة عنها. ولاشك أن لهذه الوافدة خيرها وشرها معاً في آن واحد. لقد اتصلت الأقطار الإسلامية عن طريق حركات الاستعمار بدول غربية ذات ثقافات متباينة وديانات مختلفة. فإندونيسيا انفتحت على الثقافة الهولندية وماليزيا وأقطار شبه القارة الهندية وإيران وبعض الأقطار العربية (مصر، السودان، الأردن، فلسطين، العراق) أخذت من الثقافة الأنجليزية. ومعظم دول القارة الأفريقية تأثرت بالثقافة الفرنسية. وهناك الإيطالية في ليبيا وبعض أجزاء الصومال، والأسبانية في بعض نواحى المغرب، والثقافة الروسية في دول وسط آسيا الإسلامية.

لقد وجد هذا الاتصال الثقافي صدى واسعاً لدى الكثير من الشعوب الإسلامية، واستحسنه بعضهم وتبناه ودعى إليه وجاهر بالعداء لتراثه وماضيه الحضاري. وقد أوجد هذا نوعاً من ردة الفعل لدى الغالبية العظمى من فئات الشعوب الإسلامية فانبرت تحارب هذا الاتجاه الرامي إلى صهر المسلمين في البوتقة الحضارية الأوروبية- غربية كانت أم شرقية- لذا تعالت الدعوات إلى العودة إلى التراث الحضاري الذي عاشته الأمة وتبني هذا التراث كأساس للحياة مع الأخذ من معطيات الثقافة الأوروبية ما يناسب البيئات الإسلامية، وما لا يتعارض مع القيم الروحية والأخلاقية للشعوب الإسلامية. ولقد برز هذا التيار أولاً في كل قطر إسلامي على حدة ثم تضافرت الجهود معاً من خلال العديد من المؤسسات الثقافية والدينية التي برزت على مستوى الأقطار الإسلامية أو على مستوى الهيئات الإسلامية التي انضوى تحت لوائها العديد من الدول الإسلامية.

فعلى المستوى المحلي لكل دولة من دول العالم الإسلامي نجد العديد من المؤسسات التي تبرز أثر الدين وتصبغ الثقافة المحلية بالطابع الديني مع المواكبة على الأخذ من معطيات الحضارة الحديثة ما لا يتعارض مع هذه المبادئ. ولعل من أهم هذه المؤسسات:

١ - المسجد: الذي لعب دوراً بارزاً في الماضي، ولا يزال يمارس دوره في تقوية الروابط الدينية، وتوجيه الناس وإرشادهم إلى العمل بمبادئ دينهم، والحرص على قيمهم الثقافية وتراثهم.

٢ - المعاهد والمدارس الدينية: تلعب هذه المدارس دوراً بارزاً في كثير من دول العالم الإسلامي في تقوية الروابط الدينية، وتعمل على تقوية آثار الدين على العلاقات الثقافية المعاصرة. وفي بعض الأقطار الإسلامية كالسعودية نرى أن المدارس المختلفة (ابتدائي، متوسط، ثانوي) تقوم على أساس الالتزام بتعاليم

الشريعة الإسلامية قولاً وعملاً وسلوكاً، وربما لا يتوافر ذلك في المدارس الأخرى في الكثير من أقطار العالم الإسلامي، حيث تتولى المدارس الدينية القيام بهذه الأمور.

٣ ـ الجامعات: يوجد في مختلف أقطار العالم الإسلامي كليات وأقسام مختلفة لتدريس العلوم الشرعية بجانب العلوم العصرية. ولهذه الجامعات دور مهم في إبراز الدين في الثقافة المعاصرة ذات المصادر المتنوعة والاتجاهات المتباينة. ولا تكاد تخلو جامعة من جامعات العالم الإسلامي من كليات الشريعة والدعوة وكليات أصول الدين وكذلك كليات الحقوق التي تخرِّج العلماء والفقهاء والقضاة والمتخصصين في العلوم الشرعية والدينية. وتبرز بعض الجامعات بشهرتها في هذا المجال لما لها من دور أصيل في الدفاع عن الإسلام، ونشر الثقافة الإسلامية عبر الأجيال، مثل الجامع الأزهر في مصر، وجامعة الزيتونة في تونس وجامعات السعودية وبخاصة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية والجامعة الإسلامية في المدينة، كذلك الجامعة الإسلامية العالمية في ماليزيا والجامعة الإسلامية في باكستان وغيرها من الجامعات والمعاهد الأخرى في مختلف أقطار العالم الإسلامي.

٤ ـ الكتاب الإسلامي: يحوي كل قطر من الأقطار الإسلامية مكتبات عامة وخاصة، ولا يخلو أي منها من الكتاب الإسلامي، وبحكم الاتصال الثقافي بين الأقطار الإسلامية، نجد أن الكتاب الإسلامي منتشر بصورة واسعة وبلغات مختلفة، غير أن اللغة العربية هي اللغة التي تضم معظم تراث الإسلام الثقافي. وكثير من كتب الثقافة الإسلامية مترجم عن العربية أو يدرس بها حتى في البلاد الإسلامية الأخرى، نظراً لارتباط المسلم الوثيق باللغة العربية. ويعتبر الكتاب الإسلامي عامل ربط يشد الأمة إلى ماضيها، ويقوي أواصرها بهذا الماضي المجيد.

٥ - إن وسائل الاتصال الحديثة (إذاعة، تلفزيون، صحف) أحدثت تأثيراً ملموساً في نشر الثقافات المختلفة ومن بينها الثقافة الإسلامية. فإذاعات القرآن الكريم والبرامج الموجهة إلى أقطار العالم الإسلامي وما يبث من خلالها من موضوعات إسلامية تعمل على إبراز أثر الدين في العلاقات الثقافية لأقطار العالم الإسلامي. ويكفي أن نذكر جهود منظمة إذاعات الدول الإسلامية المنبثقة عن منظمة المؤتمر الإسلامي التي تعمل على تشجيع الدول على تبني إذاعات خاصة للقرآن الكريم وإذاعات موجهة تبث البرامج الدينية والثقافية، للعديد من الأقطار الإسلامية وبلغاتها الأصلية وكذلك نقل المناسبات الدينية بطريقة مشتركة (نقل يوم عرفة أو صلاة التراويح) لمعظم أقطار العالم الإسلامي.

ومن الجدير بالذكر أن بعض الدول الإسلامية مثل السعودية لها دور بارز في هذا المجال الإعلامي، حيث تخصص برنامجاً يومياً خاصاً بالتوجيه الديني لمختلف أرجاء العالم (برنامج نداء الإسلام) وبرامج خاصة بالتوعية الإسلامية في الحج، إضافة إلى إذاعة القرآن الكريم التي تبث بمختلف الموجات ولمعظم أقطار العالم الإسلامي.

٦ - برز من ثلاثة عقود نوع من التوجه لتكوين مجموعة عمل إسلامية موحدة تكون نواة لوحدة إسلامية جامعة في المستقبل. وقد كان للسعودية دور بارز في إحياء فكرة التقارب الإسلامي. وتجلى ذلك في ظهور رابطة العالم الإسلامي، ومنظمة المؤتمر الإسلامي. ورابطة العالم الإسلامية منظمة ذات طابع ديني يهدف إلى تقوية الروابط الدينية وتعزيز العلاقات الأخوية بين الأقطار الإسلامية. وتشرف على هيئات خاصة تمارس أعمالها في جميع أقطار العالم الإسلامي. فهناك قسم الدعوة الإسلامية في أقطار العالم

المختلفة، وقسم آخر للمساجد وثالث للأقليات الإسلامية ورعاية شؤونها ودراسة أوضاعها، وآخر للإغاثة الإسلامية كما تشرف على مؤتمرات دورية تتعلق بتحفيظ القرآن الكريم، وكذلك المؤتمرات السنوية للفقه الإسلامي الذي يناقش الكثير من القضايا التي تحتاج فتاوى عامة على مستوى العالم الإسلامي.

أما منظمة المؤتمر الإسلامي فلها جانب سياسي وثقافي واضح من خلال محاولات الدول الإسلامية توحيد مواقفها تجاه القضايا والمشكلات الدولية سواء على مستوى الأمم المتحدة أو المنظمات الدولية والإقليمية المختلفة. ومنظمة المؤتمر الإسلامي لها دور بارز في مناقشة قضايا الأقليات الإسلامية، ومحاولة مساعدتها في تحقيق عيش كريم داخل الدول التي تنتمي إليها وكذلك لها دور بارز في القضايا الإسلامية الأخرى كأفغانستان أثناء الاحتلال الروسي، والبوسنة والهرسك أثناء النزاع العرقي في يوغسلافيا السابقة، وكذلك قضية فلسطين والقدس وقضية كشمير... إلخ.

ويرتبط بمنظمة المؤتمر الإسلامي المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم، التي تختص بإحياء التراث الإسلامي والحضاري في مختلف بقاع الدول الإسلامية. وتعمل هذه المنظمة على التعاون مع المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، وكذلك مع منظمة اليونسكو العالمية. وكل هذه المؤسسات هي روافد ثقافية تسهل عملية التبادل الثقافي، وتقوية الأواصر الثقافية على المستويات المحلية والعربية والإسلامية والعالمية.

٧ - لئن حدت الحدود السياسية بين الأقطار الإسلامية حرية الحركة والتنقل بسهولة، إلا أن الاتصال لا يزال موجوداً بين معظم الدول الإسلامية عن طريق عدد من القنوات التي تلعب دورها في العلاقات الثقافية عموماً، ومن هذه القنوات:

(أ) رحلات الحج والعمرة التي تنطلق من مختلف أقطار العالم الإسلامي إلى الديار المقدسة، ولا شك أن هذه الرحلة الدينية لها جوانب ثقافية مهمة، حيث تسهل الاتصال المباشر بين مختلف فئات السكان في العالم الإسلامي، وتساعد على تقوية أواصر الثقة وتقرب وجهات النظر في مختلف القضايا المطروحة.

(ب) هناك علاقات ثقافية بين القسم الأعظم من الأقطار الإسلامية. وبموجب هذه العلاقات ينتقل الطلبة إلى التعليم في معاهد الدول الإسلامية إما عن طريق التبادل الثقافي أو عن طريق المنح التي تقدمها الدول الإسلامية. وفي هذا المجال تبرز السعودية بدور رائد في استقطاب العديد من البعثات من مختلف الأقطار الإسلامية للدراسة الشرعية في معاهدها، كما يلعب الأزهر دوراً ريادياً أيضاً. وفي السنوات الأخيرة برزت إيران في فتح معاهدها العلمية لطلبة الكثير من دول العالم الإسلامي وخاصة الدول الأفريقية.

(جـ) تلعب الهجرة بين أقطار العالم الإسلامي دوراً كبيراً في الاتصال الثقافي والحضاري. ونرى اليوم حدوث هجرات من مختلف أقطار العالم الإسلامي إلى دول النفط في المنطقة العربية، وهذا لاشك مما يقوِّي الشعور الديني، ويعمل على زيادة الاتصال الحضاري، كما يعمل على نشر اللغة العربية لدى فئات المهاجرين. وهذا له انعكاساته الدينية وتأثيراته الثقافية والمسلكية.

والخلاصة أنه في ضوء عدم وجود وحدة سياسية جامعة لأقطار العالم الإسلامي نجد أن هناك العديد من قنوات الاتصال الثقافية التي تبرز الدين فيها كعامل أساسي يساعد على توحيد المشاعر وعلى تقريب الشعوب الإسلامية من بعضها. وربما تؤدي هذه القنوات إلى إيجاد نوع من الوحدة الشعورية التي تسبق في العادة الوحدة والاندماج الكلي بين أقطار العالم الإسلامي وشعوبه وليس ذلك على الله ببعيد.

آثار الدين في تمازج الشعوب الإسلامية:

لقد ظهر الإسلام في الجزيرة العربية التي كان يمتاز سكانها في ذلك الوقت بمميزات ثلاث هي:

١ ـ أنهم يتكلمون لغة واحدة هي اللغة العربية وإن اختلفت لهجاتها.

٢ ـ أن أغلبيتهم تدين بدين واحد هو الدين الوثني.

٣ ـ أنهم من جنس واحد هو الجنس السامي.

غير أن الرسالة المحمدية لم تكن للعرب بخاصة، وإنما كانت إلى البشر بعامة، فقد قال الرسول- صلى الله عليه وسلم-: «إن بلالاً أول ثمار الحبشة، وأن صهيباً أول ثمار الروم». وهكذا صرح الرسول الكريم- صلى الله عليه وسلم- أن الإسلام ليس مقصوراً على الجنس العربي قبل أن يدور بخلد العرب أي شيء يتعلق بحياة الفتح بزمن طويل (حسن: ١٩٩١م، ج١، ص١٣٨).

اتسعت الفتوحات الإسلامية شرقاً وغرباً منذ العهد الراشدي، واستمرت طيلة الحكم الأموي وبعض سنوات العهد العباسي الأول. ورفرفت راية الإسلام على المناطق الممتدة بين الصين شرقا والأندلس غرباً. وقد انضوى تحت راية الإسلام هذه العديد من الشعوب والأقوام الكثيرة التي صهرها الإسلام في بوتقته وصنع منها الأمة الإسلامية الماجدة. وسنلقي الضوء على أحوال هذه الشعوب ومقدار التنوع البشري بين سكانها وأثر الإسلام في تمارج هذه الشعوب وانصهارها. وسنبدأ بالجناح الشرقي للدولة الإسلامية ثم نتبعه بالجناح الغربي.

التنوع البشري في شرقي الدولة الإسلامية:

كانت البلاد التي تلي العراق شرقا تعرف باسم الجناح الشرقي للدولة الإسلامية. وتقع في هذه النواحي الهضبة الإيرانية التي تلي العراق شرقاً. وهذه الهضبة تمتد من جبال هندكوش وسليمان شرقاً حتى جبال البرز وزاغروس غرباً. وكانت تستوطنها العناصر الإيرانية والعناصر التركية على حد سواء. وكانت

الشعوب الإيرانية ذات التاريخ الطويل والتي كان يعـرفها العرب باسم الفرس تنتهي حدودها عند نهـر المرغاب الذي تقع عليـه مدينة مـرو (في أفغانسـتان الآن) وذلك جنوب نهر جيحون ثم تبدأ بعد ذلك شعوب الترك.

والترك أقوام عديدة. فـهناك الأتراك "القراخانية" في التركسـتان الصينية في حوض التاريم وأطراف بحيرة بلكاش. وهنا كانت المواطن الأولى للأتراك "الغزية" وهؤلاء هم أكثـر الأتراك اثراً وأكبرهم دوراً في تـاريخ الإسلام. ومنهم السلاجـقة والعثـمانيون ومـعظم المماليك. وإذا اتجهنـا نحو الغرب قليـلاً إلى بلاد التركسـتان (جمـهوريات آسيـا الوسطى الإسلاميـة) نجد منازل الأتراك "القفـجاق" وذلك في شمال تركستان، ثم الأتراك "الخزر" شمال البحر الأسود وجزيرة القرم. ثم الأتراك "البلغار" فيما بين بحر قزوين والبحر الأسود.

وفي شرق مـواطن الشعوب التركـية كانت تسـتوطن الشعوب المغـولية التي كانت تمتد بلادهم إلى صحراء غوبي ومنغوليا وتنتهي شرقاً عند سور الصين. ويلي ذلك شرقاً شعوب الصين التي تنتمي إلى جنس آخر.

يرجع إلى العرب الفاتحين الفضل في إزالة الحـواجز العنصرية والحضارية بين الطورانيين (الشعوب التركية) والإيرانيين (الفرس). فقد ذاب الجانب الأكبر من تلك الفروق في بوتقة الإسلام وحضارته، وإلى الإسلام يرجع الفضل في إدخالهم عالم الحضارة والتاريخ. وأول دولة كبيـرة منهم هي دولة الغزنويين صاحبة الدور العظيم في تاريخ الإسـلام، ويليهم في الأهميـة الأوزبك الذين دخلوا بلاد مـا وراء النهر واستـقروا فيـها، ثم الغـوريون في جنوب شرق الهضـبة الإيرانيـة وفي أفغانسـتان الحالية.

هذه الشعوب التركة كانت تزحف شيئاً فشيئاً، وتدخل بلاد الإسلام وتتحضر وأحياناً كـانت تدفعها نحو الـغرب جماعات أخـرى كانت تعيش شرقهـا، كما هو الحال في المغول والتتـار، تلك القبائل البدوية المتوحشة التي انـطلقت بقيادة جنكيز

خان المغولي وقضت على الخلافة في بغداد. وما لبث هؤلاء أن دخل معظمهم في الإسلام، لكن ذلك كان بعد أن دمر هؤلاء بلاد الإسلام في هضبة إيران وبلاد ما وراء النهر.

تلك هي صورة التنوع البشري في البلاد التي كانت تلي العراق شرقاً. وهذه الشعوب- بمن فيهم الإيرانيون- هي التي ستدخل الإسلام وتتولى نشره في شرقي الصين وبلاد الهند، وكان انتشار الإسلام شرقاً عملية تتابع بدأها العرب بإدخال الفرس في الإسلام. وقد حمل هؤلاء راية الإسلام إلى القسم الأكبر من الأتراك الطوارانيين، هؤلاء أخذوا الراية من الإيرانيين ونشروا الإسلام في غربي الصين وشبه القارة الهندية. وفي الشمال نشروه في بلاد ماوراء النهر وآسيا الوسطى إلى روسيا وسيبيريا.

إن المسلمين حينما دخلوا بلاد إيران وسهول طوران تركوا الناس على حالهم، فمن أسلم أصبح أخاً مسلماً، وأما من أراد التمسك بعقيدته فقد تركوه وقبلوا منه الجزية، حتى الرؤساء تركوهم على حالهم ما داموا لم يعتدوا على الإسلام. وكان لابد من أن يسلم أولئك الناس فإن الإسلام غلاب.

التنوع البشري في غربي الدولة الإسلامية:

إن الأقطار الممتدة من مصر حتى الأندلس كانت تعرف بالجناح الغربي للدولة الإسلامية. وفي هذه الأقطار نرى أن التنوع البشري أقل على وجه العموم مما كان عليه الحال في المشرق الإسلامي. ذلك أن العرب دخلوا مع السكان واختلطوا بهم منذ بداية الفتح اختلاطاً أدى إلى سيطرة العرب العددية على هذه المناطق.

ففي مصر بعد فتحها أصبح فيها ثلاثة عناصر من السكان: القبط وهم أهل البلاد الأصليون، وكانوا يكوِّنون السواد الأعظم من السكان، والروم وهم بقايا الحكم الروماني الذي قضى عليه العرب، وهؤلاء يكونون أقلية ضئيلة من السكان.

أما العنصر الثالث فهو العنصر العربي الذي يتألف بعد الفتح من الجند العرب ومن القبائل العربية التي نزحت إلى أرض الكنانة (حسن: ١٩٩١م، ج٣، ص٤٣٢).

أما المغرب العربي فكان يستوطنه البربر. وقد كان الإسلام نقطة تحول في تاريخهم، وفي تاريخ الإسلام على حد سواء، فقد أخذ البربر يستعربون مع انتشار الإسلام بينهم، ثم مالبثوا أن اضطلعوا بنشر الإسلام، والجهاد في سبيله فيما يليهم من الأراضي، فكانوا دعامة جيوش الفتح التي اتجهت إلى الأندلس بقيادة طارق بن زياد، كما اضطلعوا بنشر الإسلام في الصحراء الكبرى ولاسيما خلال الفترة بين القرنين الخامس والسابع الهجريين ٠ الحادى عشر إلى الثالث عشر الميلادي) فعلى يد دولة المرابطين في القرن الخامس الهجري ودولة الموحدين في القرن السادس الهجري عبر الإسلام ممالك الصحراء إلى النطاق السوداني وانتشر بين العناصر الزنجية المقيمة على أطراف الصحراء الكبرى.

لقد اختلط البربر بالعرب الذين تتابع قدومهم على البلاد جنوداً وعمالاً وكتاباً وجماعات نازحة للاستقرار والمعيشة الدائمة في بلاد المغرب. وجاور بعضهم بعضاً، وتصاهروا وتشاركوا في الزراعة والتجارة. ونشير هنا إلى هجرتين عربيتين كبيرتين هما: الهجرة التي وفدت مع الفتح وفي أعقابه، ثم الهجرة الثانية التي جاءت في القرن الخامس الهجري وما تلاه وخاصة هجرات بني سليم وبني هلال وقد كان لها الأثر الأكبر في تعريب المغربين الأدنى والأوسط.

أما في الأندلس فكان الشعب يتألف من عدة عناصر من بينها المسلمون من العرب والبربر الذين ساهموا في فتح البلاد، وكذلك من نصارى الأندلس، ومن الأسبان الذين دخلوا في الإسلام بعد الفتح. ومن اليهود الذين رزحوا تحت الحكم القوطي.

وقد تمتع اليهود في الأندلس في ظل الحكم الإسلامي بشيء كثير من التسامح الديني الذي لم يظفروا به تحت حكم القوط، وقد أسند إليهم الكثير من

مناصب الدولة وأصبحت بعض الحرف وخاصة حرفة الطب مقصورة عليهم، وغدوا عنصراً مهماً في الإدارة والتجارة والثقافة، وأصبح كثير من اليهود يتحدثون اللغة العربية ويكتبون بها (حسن: ١٩٩١م، ج٣، ص٤٣٧).

أما النصارى في الأندلس فكانوا فريقين: فريق بقي متمسكاً بدينه القديم. وفريق آخر عرف باسم المستعربين. وعلى الرغم من أنهم ظلوا على عقيدتهم الأولى فقد أظهروا ميلاً إلى تعلم اللغة العربية فتكلموا بها وألفوا بها وتخلقوا بأخلاق العرب وعاداتهم. وكان يحكمهم حاكم من بينهم يسمى "الكونت" يختاره الأمير أو الخليفة ولهم ممثل يمثلهم في البلاط، وآخر يقوم بجمع الخراج. وكان الكثير من هؤلاء يعيَّن في أرقى المناصب المدنية والحربية ويتمتعون بقسط وافر من التسامح (حسن: ١٩٩١م، ج٣، ص ص٤٣٦- ٤٣٧).

لقد كانت حركة التعريب في غربي الدولة الإسلامية أقوى منها في شرقيها، ويعزى ذلك إلى اشتراك العنصر العربي في سكنى البلاد مما ساعد على توطيد اللغة العربية بحيث أصبحت اللغة المسيطرة في جميع بقاع الجناح الغربي من الدولة الإسلامية على عكس الجناح الشرقي.

إن هذه الأمم المتنوعة والشعوب المتعددة التي شكلت دولة الإسلام الأولى امتزجت واختلطت اختلاطاً كبيراً وخصوصاً في الفترة الأولى التي انتشر فيها الإسلام فقد ساوى الإسلام بين الناس على اختلاف أجناسهم: ساوى بين الأسود والأبيض، والبدوي والمتحضر، والحاكم والمحكوم، وبين الرجال والنساء، كما ساوى اليهود والنصارى بالمسلمين ما داموا في سلم معهم (حسن: ١٩٩١م، ج١، ص١٥٢).

لقد كان عدم التقيد بقواعد الدين الحنيف يساعد على إثارة الروح القومية للشعوب المنضوية داخل إطار العالم الإسلامي. فتعصب الأمويين على سبيل المثال للعرب أوجد الضغينة في نفوس الموالي، وكان تفاقم روح العصبية من العوامل التي

ساعدت على إسقاط الحكم الأموي وظهور الحكم العباسي الذي استعان كثيراً بالشعوب الفارسية. ومن ثمَّ قامت المنافسة بين العرب والفرس حتى جاء المعتصم- وكانت أمه تركية- فاعتمد على العنصر التركي وأسند إليهم مناصب الدولة، فبرز إلى الوجود النفوذ التركي في الدولة الإسلامية. وفي عهد الدولة البويهية برز نفوذ أحد الشعوب التركية المسمى بأهل الديلم (مناطق جنوب بحر قزوين) وأصبح لهؤلاء نفوذ كبير. وقد ساد العنصر التركي وامتد سلطانه حتى وصل إلى الحكم في كثير من بلدان العالم الإسلامي ابتداءً من العصر العباسي وانتهاء بالعصر العثماني.

لقد ذابت الفوارق بين هذه الشعوب نتيجة التزاوج والهجرات وانتقال السكان بين حواضر العالم الإسلامي. وقد أثر ذلك في الحياة الاجتماعية فقد تحطم النظام القبلي الذي قام على أساسه المجتمع العربي، فنرى على سبيل المثال أن معظم الخلفاء العباسيين يختارون زوجاتهم وأمهات أولادهم من الفارسيات والتركيات، حتى أنه من بين الخلفاء العباسيين لانجد إلا ثلاثة فقط أمهاتهم عربيات وهم أبو العباس السفاح والمهدي والأمين.

لم يقتصر الأمر على أفراد المجتمع المسلم بل تعداه إلى أهل الذمة الذين شكلوا فئة من فئات المجتمع الإسلامي تقل نسبته أو تكثر حسب طبيعة القطر الإسلامي. فقد سارت حياة هؤلاء مع حياة الفئات المسلمة الأخرى وفق ما يقر الحكم الإسلامي من أسس التعامل معهم. وقد شارك هؤلاء مشاركة جادة في الإدارة والحكم في العصور التي مال فيها الحكام لاستخدامهم. واشتغل هؤلاء بالحرف والصناعات التي توارثوها وظلوا محتفظين بتقاليدها في كثير من المدن الإسلامية حتى وقتنا الحاضر (عثمان: ١٩٨٨م، ص ص٣٢٧- ٣٢٨).

ويعتبر الرقيق من الفئات التي شكلت مجتمع المدينة الإسلامية، وكثر جلب الرقيق إلى قصور الحكام والخلفاء، وراجت تجارة الرقيق فضمت شتى الأجناس (الصقليي والرومي والزنجي والتركي والشركسي) وتنوعت استخدامات الرقيق في

الخدمة بين الزراعة والخدمة فـي القصور. ومنهم من حمل السلاح وترقى إلى أعلى المناصب وخـصوصاً بـعدما يُعـتقـون. وقد كـان ذلك هو السبـيل الذي انطلق منه المماليك إلى السلطة وهو ما أغرى بعض المجتمـعات وخاصة "الشراكسة" على بيع أولادهم طمعاً في أن يصلوا إلى السلطة المملوكية.

ومن الجدير بالذكـر أن الإسلام مهد الطـريق لإلغاء الرق. فتعـاليم الإسلام لاتبيح استرقاق المسلم أصلاً. كما لا تبيح إلا استرقاق أسرى الحروب الشرعية التي تكون لإعـلاء كلمة الله. وقـد رغّب الرسول- صـلى الله عليه وسلم- في تحـرير الرقيق، وأوجد بعض السبل لذلك، وأخـذ بأيدي الأرقاء إلى طريق الحرية وساوى بين الرقيق ومولاه في الطعام والشـراب واللباس، وحذر من الإساءة إلى هؤلاء في المعاملة.

لقد انعكس اختلاط الأجناس البشرية وتمازجـها على طبيعة المجتمع المسلم. فعلى سبـيل المثال كانت أجناس الجند تمثل مـتحفاً بشرياً حـيث نرى بينهم (العربي والكردي والخرساني والتركي والديلمي والرومي والأرمني والعراقي). وقد ذكر ابن الجوزي (المنتظم، ج٩، ص٢٢٨) أن عـامة بغـداد كانوا يؤلفون خليـطاً من العرب والفرس والترك والنبط والأرمن والشركس والأكـراد والكرج والبربر، ولو أن تسمية هولاء جميعاً بالعرب قد غلبت عليهم لانـصهارهم في بوتقة الشعب العربي وسيادة اللغة العربية التي كانت هي اللغة السائدة.

آثار الدين في الفنون والعمارة وتخطيط المستوطنات البشرية:

أولاً: أثر الدين في الفنون:

استـوحى الفن الإسلامي في نشأته وتشكيله روح الإسـلام وتعاليمـه. فمن جهة يلاحظ أن الفن الإسلامي نشأ بدافع الرغبة في الإجادة والإتقان، وهذه الرغبة مستمدة من الإسلام نفسه (إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه). والحق أن هذا الدافع يفسر لنا الدرجة العظيمة من الإتقـان التي بلغتها الفنون الإسلامية. ومن

المعروف أن الإتقان وحسن الصنعة تؤدي بطبيعتها إلى التنميق والتزويق والزخرفة. ومن وجهة أخرى تأثر الفن الإسلامي بدافع آخر هو الرغبة في تجميل الحياة والاستمتاع بها. وهذه الرغبة مستوحاة أيضاً من العقيدة الإسلامية (قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده).

وإذا كانت الفنون تختلف فيما بينها من حيث موقفها من تقليد الطبيعة والقرب من الواقع والميل نحو الزخرفة والمثالية، فإنه يمكن القول بأن الفن الإسلامي كان بطبيعته فناً زخرفياً بالدرجة الأولى. ويتجلى الطابع الزخرفي في الفن الإسلامي بشكل واضح في استخدام الفنانين المسلمين في تزويق منتجاتهم الفنية بشتى أنواع الزخارف الهندسية والنباتية بالإضافة إلى الزخارف الكتابية. ومن الملاحظ أنه في مجال استخدام الكائنات الحية كان الفنان الإسلامي ينحو منحاً زخرفياً بعيداً عن محاكاة الصور المجسمة وخاصة النحت والتصوير المجسم. وقد رأوا أن في ذلك تشبهاً بعبدة الأوثان وهو مانهى الدين عنه، غير أنهم برعوا في استخدام الزخارف النباتية من أشجار وأوراق وغصون وأزهار وثمار، كما طوروا نوعاً من هذه الزخارف النباتية أطلق عليها الأوروبيون اسم "أرابيسك" Arabesque نسبة للعرب وهذا مما انفرد به الفن الإسلامي من غيره من الفنون العالمية. وتتألف هذه الزخرفة من عناصر زخرفية مكونة من أنواع نباتية محوَّرة وأوراق نباتية ذات فصين تتداخل أو تتشابك معاً بطريقة منسقة جميلة (الباشا: ١٩٨٨م، ص ص١٤٦- ١٥٠).

وقد برز في الزخرفة الإسلامية ظاهرة استعمال النقوش الخطية العربية، فكثيراً مانرى آية من آيات القرآن الكريم، أو بيتاً من الشعر، أو عبارة من عبارات التحية والته نئة، تدور حول حافة التحف الأثرية أو تكون شريطاً زخرفياً على أثر من الآثار. وقد ازدهر في الفن الإسلامي ظاهرة النقش على الجدران. ولا تزال هذه النقوش ظاهرة مميزة في كثير من الآثار الإسلامية من مختلف العصور (حسن: ١٩٩١م، ج١، ص ص٤١٩- ٤٢٠).

والفنون الإسلامية شأنها شأن غيرها من الفنون تحمل في طبيعتها بذور التجديد والاختلاف، ومن ثمَّ انقسمت بمرور الزمن إلى عدة طرز متميزة ومتنوعة، غير أن الطابع الإسلامي جعل دائماً عناصر الوحدة فيها أقوى من عناصر الاختلاف. وفي صدر الإسلام الأول نشأ الفن الإسلامي وتطور في كل إقليم من أقاليم الدولة الإسلامية على أساس الفنون السابقة بها. ففي إيران نشأ على أساس الفن الساساني وفي الشام على الفن البيزنطي وفي مصر على الفن القبطي والفرعوني والبيزنطي والهيليني معاً. وقد استمد الفن الإسلامي من التقاليد الفنية في الأقاليم الأخرى الخاضعة للإسلام، والتي أتاح لها الحكم الواحد فرصة الامتزاج، وفي الوقت نفسه كان متمشياً أيضاً مع تعاليم الدين الجديد وروحه وشعائره وكذلك مع الطابع العربي.

وبمرور الزمن ظهرت طرز فنية أموية وعباسية وفاطمية ومملوكية وغيرها. ووجد في الأندلس فن أندلسي اصطلح على تسميته (بالطراز الأموي الغربي) نسبة إلى بني أمية الذين استقلوا بالحكم الأندلسي في الغرب بعد زوال دولتهم في الشرق، واستمر هذا الطراز حتى القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) ثم قام في أعقابه الطراز الأسباني المغربي، ولا يزال المغرب يحتفظ إلى اليوم ببعض الأساليب الفنية المتصلة بهذا الطراز.

أما في مشرق العالم الإسلامي فقد ظهر الفن السلجوقي، وذلك نسبة إلى السلاجقة الذين قدموا إلى آسيا الوسطى وتمكنوا من حكم أفغانستان وإيران والعراق والشام وآسيا الصغرى. وقام في إيران بعد الطراز السلجوقي طرز إيرانية أولها الطراز المغولي والطراز التيموري. ووجد في الهند طراز هندي إسلامي متأثر إلى حد ما بالطراز الإيراني وذو صبغة هندية محلية.

وفي آسيا الصغرى أعقب الطراز السلجوقي طراز فني آخر قام في عصر الأتراك العثمانيين، وانتشر هذا الطراز في البلاد التي خضعت للسيادة العثمانية في مصر والشام والعراق والجزيرة العربية وشمالي أفريقا. وبعد استقلال هذه البلاد عن الدولة العثمانية، أخذت هذه الأقطار تعمل على ابتكار فنون خاصة بها.

ولم يكن الفن الإسلامي في أي فترة من تاريخه فناً راكداً أو جامداً أو منعزلاً، بل كان دائم الاحتكاك بالفنون الأخرى في الشرق والغرب مما ساعد على احتفاظه بحيويته وأدى إلى تطوره. وبفضل العلاقات المختلفة التي قامت بين العالم الإسلامي والشرق الأقصى، نجد أن الفن الإسلامي كان يتبادل التأثير مع فنون الشرق الأقصى بعامة، وفنون الصين بشكل خاص. ومن جهة أخرى ساعدت ظروف كثيرة على انتقال التأثيرات الفنية الإسلامية إلى أوروبا، وإلى الفن الإسلامي يرجع الكثير من الفضل لنشأة بعض الفنون الأوروبية، وخاصة الفن القوطي، وانتقلت التأثيرات الفنية الإسلامية إلى أوروبا عن طريق أسبانيا وصقلية وعن طريق الأتراك العثمانيين في البلقان. كما كانت الحروب الصليبية وقدوم الأوروبيين للحج في فلسطين ذات أثر كبير في تبادل العناصر الفنية بين المسلمين والأوروبيين (الباشا: ١٩٨٨م، ص ص١٥١- ١٥٤).

ومنذ القرن الثامن عشر الميلادي أخذت التأثيرات الأوروبية تتوغل بشكل قوي في البلاد الإسلامية بحيث نرى أثر ذلك واضحاً في مختلف الفنون، وفي جميع الأقطار الإسلامية دون استثناء، بحيث يمكن القول إن الفن الإسلامي بدأ يتراجع أمام طغيان الفنون الأوروبية الحديثة.

ثانياً: أثر الدين في العمارة:

لقد زاول المسلمون بناء جميع أنواع العمائر تقريباً، فخلفوا لنا الكثير من العمائر الإسلامية من مساجد ومدارس وقلاع وأسوار وأربطة ومارستانات وحمامات ومساكن وغير ذلك من المؤسسات الدينية والعسكرية.

لقد وصلتنا أمثلة كثيرة من العمائر من مختلف الأقطار الإسلامية. ويمكن أن نرى من خلالها أن العمارة الإسلامية امتازت بوحدات وعناصر معمارية خاصة كالمآذن والقباب والمداخل والعقود والأعمدة والتيجان والمحاريب. ومن أهم

العناصر المعمارية الإسلامية المقرنصات وهي عبارة عن أشكال زخرفية على هيئة صفوف من الحنيات تشبه خلايا النحل وتجدها بارزة ومتدلية في طبقات مصفوفة بعضها فوق بعض في واجهات المساجد وفي المآذن لإقامة الشرفات التي يدور فيها المؤذن، أو في تيجان بعض الأعمدة الإسلامية أو القباب. وقد استخدمت المقرنصات للزخرفة في السقوف الخشبية فضلاً عن استخدامها في العمائر نفسها. وقد تصنع هذه المقرنصات من الحجر أو الجص أو الخشب أو الخزف أو الزجاج أو المرايا. وتعتبر المقرنصات من العناصر الإسلامية المميزة للعمارة والفن الإسلامي. ووجودها في أي إنتاج فني يدل على تأثر هذا الفن بالفن الإسلامي.

لقد برز في العمارة الإسلامية وخاصة في بناء المساجد طرز خاصة، فقد أدخلت المقصورة في عمارة المساجد لتحجب الخليفة عن سائر المصلين. ودخلت في عمارة المساجد زيادات منها المآذن والمحراب الذي يدل على جهة القبلة، والإيوانات وهي أروقة تحيط بالصحن ذات أقواس مرفوعة على أعمدة، وفي القصور تقدم فن الزخرفة الإسلامية. ومن مميزات هذا الفن استعمال النقوش الخطية العربية فكثيراً ما نرى آية من آيات القرآن الكريم أو بيتاً من الشعر أو عبارة من عبارات التحية والتهنئة تدور حول حافة التحف الأثرية أو تكون شريطاً زخرفياً على أثر من الآثار. وقد أصبحت القصور محلاة بالرسوم والزخارف من الداخل والخارج، وعليها صور من الجص المجسم. كما كانت طبقاتها مغطاة بستور من الديباج مزينة بالرسوم. وقد برزت زخرفة المنسوجات والتحف المعدنية والخزفية والخشبية في الدول الإسلامية قاطبة وقد تطورت هذه الزخرفة لتشكل ما يعرف اليوم باسم الفنون التطبيقية التي دخلت صناعة النسيج من خلال التطريز والوشي وصناعة الفخار والخزف التي امتدت إلى جميع الأقطار الإسلامية وكذلك صناعة الورق (الباشا: ١٩٨٨م، ص ص١٤٤- ١٩٠؛ وكذلك حسن: ١٩٩١م، ج٢، ص ص٢٩١- ٢٩٤).

ثالثاً: أثر الدين في تخطيط المستوطنات البشرية:

أسس العرب المسلمون العديد من المدن منذ هجرة الرسول- صلى الله عليه وسلم- إلى المدينة المنورة. وقد صنفت هذه المدن وفقاً للوظائف التي كانت تؤديها وقت تأسيسها، ويعرف النوع الأول من هذه المدن بالمعسكر أو الفسطاط. وهو مخيم عسكري يظهر في نوعين من المواقع: إما أن يظهر في المناطق المجاورة للمدن القديمة القائمة كالفسطاط أو القاهرة القديمة التي أنشئت بالقرب من حصن بابليون الروماني، أو في مواقع منعزلة نسبياً عن المستوطنات المنافسة مثل البصرة والكوفة في العراق والقيروان في تونس. ويعرف النوع الثاني من هذه المدن بالمدينة المحصنة أو الرباط. ومثل هذه المدن تم تأسيسها كقلاع على الحدود أو داخل البلاد، وذلك لتأكيد نفوذ دار الإسلام (الدولة الإسلامية) وحماية حدودها. وقد نمت هذه النوعية من القلاع التي كانت في الأصل مواقع عسكرية أو حاميات واقعة على الحدود، وبرزت إلى حيز الوجود كمدن محصنة وصارت نويات لمدن مهمة جداً مثل الرباط في المغرب والمنستير في تونس. أما النوع الثالث من المستوطنات العربية الإسلامية فهو ما عرف بالمدينة الأميرية، وهي نتاج ازدياد القوة السياسية، وقد أرادها الحكام تعبيراً عن السلطة السياسية للدولة وذلك بتأسيس عاصمة جديدة خاصة بها. ومن أمثلة ذلك بغداد التي أسسها العباسيون في القرن الثاني الهجري (الثامن الميلادي) وفاس التي أسسها الأدارسة في القرن الثاني الهجري ١٩٣هـ (٨٠٨م) ومراكش التي أسسها المرابطون في القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) والمنصورة التي أسسها المرينيون في القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي). ويمكن أن تشمل هذه الفئة مدناً أخرى مثل تلك التي أسسها حكام رأوا أنه من المستحسن نقل مكان إقامتهم من العاصمة التقليدية. ومن أمثلة هذه المدن: سامراء التي بناها المعتصم حيث انتقل من بغداد في القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) ورقادة وهي مقر دولة الأغالبة وتبعد عشرة كيلومترات عن القيروان. وقد أسسوها خلال القرن

الثالث الهـجري (التاسع الميـلادي) لتحل محل العـباسية التي شـيدت قبلهـا بعدة سنوات، وتبعـد عن القيروان أربعـة كيلومترات فـقط. والنوع الرابع من المدن التي أسسها العرب المسلمون هو المدن الدينية (الهذلول: ١٤١٤هـ، ص ص١٩- ٢٠).

إن العرب المسلمين لم ينشـئوا جميع مدنهم، بل ورثـوا في الواقع عدة مدن إغريقيـة وفارسية مـثل دمشق وحلب وحمص وبيت المقدس. وكـذلك طوروا مدناً عربية أصيلة مثل المدينة المنورة ومكة المكرمة.

لقد تحولت المدن الاغريقية واليونانية والفارسية التي خضعت لسلطة المسلمين بمرور الزمن للنمط العمراني للمـدن الإسلامية، بحيث أصبح تنظيم المدن مـتشابهاً ومتماثلاً في كافة أرجاء العـالم الإسلامي. بحيث اتبعت هذه المدن نموذجا موحَّداً. وتميَّز هذا النمـوذج بمركز يضم المسـجد الجامع ودار الإمـارة والسوق ويحـيط بهذا المركز أحيـاء المدينة المختلفة. لقد أصبـحت المدينة الإسلامية تمتاز بالأحـياء السكنية المسوَّرة القائمة بذاتها، وتحوي نظام البوابات التي تغلق هذه الأحياء أثناء الليل، مع عدم وجود سـاحات مفتـوحة أو ميادين واسـعة ضمن المدينة بوجه عـام، وضمن الأحياء السكنية بوجـه خاص. وتمتاز بوجود الشوارع والممرات المتعرجـة والضيقة. ويتـصف المنزل الإسـلامي في هذه المدن بـأنه بعـيد عـن الشارع ويـطل على فناء داخلي.

والسؤال الذي يطرح في العادة هو كـيف نمت المدن العربية الإسلاميـة لتأخذ نمطاً موحداً وشكلاً مميزاً رغم تعدد وتباين أصولها الأولى التي بدأت منها ؟

والجواب يكـمن في أن اتخاذ نظام الخطة كـوحدة للتـخطيط، هو الذي طبع معظم المدن الإسلامية بطابع مميز. فعملية النمو العمراني قامت على أساس أن المدن قسمت إلى خطط كـانت تعطى للقبائل وكتـائب الجيش والأفراد. وأن هذه الخطط كونت أحياء المدينة الأصلية، ولقد ترك التقسيم الفرعي للخطط والإقطاعات لسكان الحي. ويجب أن لا يدفع هذا إلى الاعتقاد بغيـاب القواعد الخاصة بالتنظيم المكاني للخطة.

لقد اعتمد نظام الخطة على القبيلة كتنظيم أو مؤسسة سابقة الوجود، مع تعيين خطة لكل قبيلة. مع هذا فإن هذه المؤسسة (القبيلة) كانت مرنة بدرجة كافية لتمتد أو تنكمش لتلائم الحجم المطلوب، وهو العدد المعين من الناس، الذي يبدو أنه حدد للخطة الواحدة. وفي هذا النموذج وضعت مسارات الطرق منذ البداية، إلا أن حدودها وعروضها لم تكن محددة أو مرسومة على الأرض لذا فقد أثر ازدياد الطلب على الأرض بالإضافة إلى مفاهيم السكان حول ملكية الأرض، وحق الارتفاق بالأبنية أمام أملاكهم في تشكيل الطرق والشوارع داخل هذه المدن، ونتج عن ذلك الطرق المتعرجة والضيقة التي تميز المدن العربية الإسلامية. ويمكن اقتفاء أصل هذا النموذج، خاصة نظام الخطة، في مفهوم القبائل العربية ونظرتها للحمى حيث اعتادت كل قبيلة على حماية المنطقة التابعة لها. ويمثل الحي منطقة مشاعة تخضع لسيطرة القبيلة وتستخدم تبعاً لاحتياجات أفرادها. ويبدو أن هذا النموذج كان مطبقاً في يثرب قبل الإسلام حيث تكونت من عدة مستوطنات اختصت كل قبيلة بمستوطنة خاصة. وبعد الهجرة النبوية استمر نمط استيطان القبائل، في المدينة في أماكنها السابقة لكن مع نية واضحة في توحيد هذه المستوطنات في مدينة واحدة ويمكن أن نلمس ذلك بشكل جلي في تخطيط مسجد الرسول- صلى الله عليه وسلم- ليكون المسجد الجامع الوحيد، وفي تحديد موقع السوق الرئيس، وبذلك استحدثت بؤرة مركزية للمستوطنات المبعثرة في الأصل. إن نموذج المدينة المنورة كما تطور خلال عهد الرسول- صلى الله عليه وسلم- قد تكرر في مدن الأمصار. فبناء على تعليمات من عمر بن الخطاب- رضي الله عنه-، استمر نظام الخطة في مدن الأمصار عبر قادة الجيش (في البصرة والكوفة والفسطاط). كما اتبع النموذج نفسه في القرنين الثاني والثالث الهجريين (الثامن والتاسع الميلادي) في الخطط الأكثر تنظيماً لبغداد وسامراء.

لقد تأثر تقسيم الأرض داخل الخطة بالمفهوم القبلي، أو المنطقة التي تسيطر عليها القبيلة. فلما كان ينظر إلى الخطة أو المنطقة على أنها ملك للقبيلة فإن أياً من أفراد هذه القبيلة له حق استخدام أجزاء من الخطة أو المنطقة تبعاً لاحتياجاته. كما أن لأفراد القبيلة الذين يصلون فيما بعد الحق في الاستقرار داخل الخطة طالما كانت هناك فراغات باقية داخلها. ولكن بمجرد بناء أحد أفراد القبيلة على قطعة أرض داخل الخطة فإن ملكية هذه الخطة تؤول إليه.

ويمثل التشريع الإسلامي عاملاً مهماً في تشكيل وتحول وتقسيم الأراضي في أحياء المدينة العربية الإسلامية. وهناك عاملان يبدو أنهما لعبا دوراً رئيسا في هذه العملية الأول هو الشفعة الذى يعطي للجار الأفضلية في شراء بيت جاره لو قرر الأخير البيع. وقد ساعد هذا الحق أحياء المدينة كي تحفظ شخصيتها الخاصة. وجعل من السهل على أعضاء الخطة الواحدة استبعاد أي شخص من التملك في الحي. والعامل الثاني الذي لعب دوراً كبيراً في تشكيل الأحياء داخل المدينة هو تقسيم الأراضي والدور تبعاً لقواعد الميراث. إن تأكيد التشريع على وجوب تقسيم العقار عند طلب ذلك من قبل الورثة أو أحدهم يقدم تفسيراً منطقياً لتلك التقسيمات التي قد تبدو غريبة في بعض الأحيان داخل أحياء المدينة ويفسر الكثير من جوانب عملية تقسيم الأراضي والممتلكات في المدينة العربية الإسلامية (الهذلول: ١٤١٤هـ، ص ص٣٥- ٥٤).

من المعلوم أن الدين الإسلامي الحنيف ينظم حياة المجتمع في أدق تفاصيلها فهو يشكل الإطار العام لسلوك المجتمع داخل المدينة، حتى أن المدينة وسمت بالصبغة الإسلامية انطلاقاً من هذا الأثر. ويعكس تخطيط المدينة الإسلامية ومرافقها ونظام إدارتها مدى الالتزام بتحقيق التعاليم الإسلامية.

وانطلاقاً من هذا المنظور فإننا نعرض لقواعد إسلامية اجتماعية عامة انعكس تطبيقها انعكاساً مباشراً على الحياة الاجتماعية في المدينة الإسلامية. وأول هذه القواعد وأهمها هو المبدأ الذي ورد في حديث الرسول- صلى الله عليه وسلم- وهو: «لا ضرر ولا ضرار» هذا المبدأ هو الذي حكم إلى حد بعيد التخطيط المادي للمدينة الإسلامية؛ حيث إن الفقهاء حددوا مظاهر الضرر المادي الناتج من تفاعل النشاطات داخل التكوينات المعمارية للمدينة الإسلامية، فاعتبر الدخان الضار والرائحة الكريهة والصوت المزعج ثلاثة مظاهر تسبب الضرر للآخرين، إذا زاد عن الحد المحتمل الذي قدرته الأحكام الفقهية. وتطبيقاً لمنع هذا الضرر في تخطيط المدينة الناشئة وجب إبعاد المنشآت التي تسبب ذلك (كأفران الفخار والجير والمدابغ والصناعات التي تصدر صوتاً مزعجاً) عن الوحدات السكنية التي تشغل القطاع الأكبر من حيز المدينة.

لقد حكمت القاعدة السابقة تصنيف الأسواق في المدينة الإسلامية، ذلك التصنيف الذي كانت الحكمة الأساسية منه دفع الضرر الذي ربما يحدث إذا تجاورت سلع وحرف متضادة تفسد العرض والسلعة وتتسبب في أذى رواد الأسواق. وتدرج التصنيف من الساحة التي تحيط بالمسجد الجامع في قلب المدينة إلى أطراف شوارعها الرئيسة إلى مداخلها وبواباتها في نظام معين يقوم على التناسب بين السلع والتجارات والحرف وجمهور المتعاملين من داخل المدينة أو خارجها، ومواصفات كل تجارة من حيث الرغبة في وضعها قرب قلب المدينة حيث تزداد درجة كثافة المرور في اتجاه المسجد الجامع- أو في أطراف شوارع المدينة عند بواباتها حيث تقل درجة الكثافة لما قد تسببه من أذى للمارة.

وفي هذا التصنيف فائدة مزدوجة لكل من التجار والحرفيين من جهة، حيث يساعد وجودهم في موضع معين على وصول الراغبين في الشراء بسهولة، كما أنه يوجد نوعاً من الترابط بين تجار وصناع السلعة الواحدة، مما يساعد على رواج تجارتهم. ومن جهة أخرى سهل هذا التصنيف على رواد السوق شراء احتياجاتهم دون عناء، وتحديد السعر المناسب في وقت قصير.

ومن الناحيـة الإدارية سهَّل هذا التصنيف مـراقبة الأسـواق من قبل سلطات المدينة (المحتسب) كمـا ساعد على تخفيف كثافة المرور في شـوارعها، حيث يصل الشخص إلى مكان السلعـة مباشرة دون الحـاجة لمسح شوارع المدينة كلها بـحثاً عن هذه السلعة أو تلك، كـما أن هذا التصنيف سـاعد على أن تكون السلع الضخـمة الحجم والثقـيلة الوزن عند أطراف المدينة وبواباتها حتى لايسـبب نقلها إلى الداخل عرقلة المرور وأذى المارة في الشوارع.

ويلاحظ أن أسواق المدينة تركـزَّت في المنطقة المحيطة بـالمسجد الجامع، كـما اصطفت على جانبي الشوارع الرئيسة دون الطرق الخاصة. والغرض من ذلك حصر النشاط والحركة التجـارية في شوارع عامة متسعة لحركـة المرور، فيتحقق منع الأذى عن النساء اللاتي يرتدن هذه الأسواق، ويمثلن قطاعاً كبـيراً من المستهلكين المتعاملين مع التـجار وأهل الحـرف في الأسواق. وفي الـوقت ذاته فإن تراص الحـوانيت في الأسواق على جانـبي الشوارع العامة المتسـعة لا يتسبب في أذى الوحـدات السكنية بكشف حرمـاتها بعكس الطرقات الخاصـة التي تضيق بالإضافة إلى أن المرور فـيها يتميز بالخصوصية.

لقد اقـتصـرت المنشآت والمرافق العـامة في المدينة على كل مـا هو ضروري ومفيد، فانـعدم وجود المسارح والمنتديات الرياضية وغيـرها من المنشآت التي ميزت غيرها من المدن كالمدينة اليونانية والمدينة الرومانية. وحظرت التعاليم الإسلامية إنشاء المراقص، وحانات الخـمور ودور البـغاء والملاهي وغيـرها من المنشآت التي تفـسد العقيدة وتـتعارض مع القيم الإسلاميـة. وفي المقابل نرى زيادة ملحوظة في المرافق العامـة من المساجـد الجامـعة والمارسـتانات (المسـتشـفيـات) والحمـامات والمدارس والأسواق لتخدم الكثافة السكانية في المدينة الإسلامية.

وبصفة عامة كان نمو السكان في المدينة الإسلامية نمواً عادياً غير مفاجئ ساعد على الاتزان في المدينة الإسلامية. فالزيادة الناتجة من المواليد أو الهجرة كانت تستوعب ببناء مساكن جديدة داخل المحلات السكنية أو بالنمو خارجها على شكل أرباض جديدة وقد تم ذلك بشكل تدريجي. ومع نمو المدينة الإسلامية وزيادة سكانها تظهر الحاجة الملحة إلى زيادة مساكنها وتكويناتها الأخرى، وهو ما دفع أهل الثراء لبناء المنازل والحوانيت وتأجيرها لمن يحتاجون إليها. وقد نظمت الأحكام الفقهية علاقة المالك بالمستأجر تنظيماً دقيقاً يحقق المنفعة ويمنع الضرر ويساعد في ذات الوقت على الإنشاء والعمارة. وقد كان لتغيير الملكيات الناتج من البيع والشراء والإرث أثر واضح في تفسير هيئة التكوينات المادية للمدينة الإسلامية.

آثار الدين في الحياة الاجتماعية:

يقصد بالحياة الاجتماعية من وجهة نظر حضارية طبقات المجتمع من حيث الجنس والدين وعلاقة هذه الطبقات بعضها مع بعض، ثم نظام الأسرة وحياة أفرادها ثم وصف الأعياد والمواسم والولائم والحفلات وأماكن النزهة ووصف المنازل وما فيها من أثاث وطعام وشراب ولباس وما إلى ذلك من مظاهر المجتمع.

كان المجتمع الإسلامي يتألف من المسلمين وأهل الذمة. والمسلمون ينتمون إلى العنصر العربي والفارسي والرومي والقبطي والبربري والتركي والسوداني وغيرهم كثير. وقد كانت الحقوق محفوظة للمسلمين جميعاً في دولتهم. أما أهل الذمة فقد تمتعوا بالحرية الدينية على أن يدفعوا الجزية للمسلمين.

كانت الظروف السياسية في كل عصر من العصور تلعب دوراً بارزاً في تقريب بعض فئات السكان. فالأمويون قربوا العرب واعتمدوا عليهم، والعباسيون اعتمدوا على الفرس أولاً ثم على الأتراك منذ عهد المعتصم، ثم برز دور المماليك في عصور لاحقه، ثم آلت الأمور إلى بني عثمان. وهذا التقريب لا يعني

بحال من الأحـوال هضم حقوق الآخرين. فـفئات السكان الآخـرين كانت تمارس حقوقـها وتقوم بأدوارها في المجتـمع في ظل المساواة العامة التي ترفـرف على بقاع الدولة الإسلامية.

إن هذا الخليط البشري المتعدد الأعراق والجنسيات كـانت له حياته الاجتماعية من مأكل ومـشرب ومسكن وملبس ومن هوايات يمارسهـا وأعمال يقوم بـها. وقد بدأت هذه الأمور بسيطة في حياة المسلمين الأولى ثم أخذت صور هذه الحياة تتعقد وتتعـدد بمرور الزمن وتحوُّل السلطة من شعب إلى شـعب أخر. وسنحاول إجـمال ظروف الحياة الاجتماعية في بلاد الإسلام من خلال المحاور التالية:

قصور الخلفاء والأمراء ودور العامة:

لم تنل دور العـامة في البـلاد الإسلامـية عناية المؤرخين والرحـالة بل إنهم اقتصروا على وصـف قصور الخلفاء والأمراء وغيرهم من كـبار رجال الدولة. وقـد اقتصـرت دور العـامـة علـى سكنـى أصحـابها وكانـوا يؤجـرونها كلهـا أو بعضها، وكانت في الغالـب تبنى من طـابق أو طابقـين وموادهـا الأولية هي الجـص والآجـر والكلـس والنورة (الجير) وكانت السقوف من جـذوع النخل وأغصان الشجر. وكان العامة يزينون بيوتهم بأثاث يتمشى مع حالتهم الاجتماعية.

وتنقسم دور الأغنيـاء إلى ثلاثة أقسام هي مقـاصير الحريم وحـجرات الخدم ومجـالس السلام الخـاصة بالضـيافة ويحـيط بها حـدائق غناء تزرع فيـها الفـواكه والرياحـين. وحليت جدرانهـا وسقوفها بالفسـيفساء المذهبة والرسـوم الملونة، كما كانوا يزينون أسطح دورهم بالقباب المرفوعة على أعمدة، وكانت العمائر في أمهات المدن الإسلامية مؤلفـة من عدة طبقات.

أما قصور الخلفاء والأمراء في دمشق وبغداد والقاهرة وقرطبة فكانت غاية في الأبهة. فقد ازدانت جدرانها بالفسيفساء وأعمدتها بالرخام وسقوفها بالذهب المرصع

بالجواهر، ولطفت أجـواؤها بالنافورات والمياه الخـارجية والحدائق الغناء والأشـجار الظليلة الوارفة. وكان الخليفة يجلس في البهو الكبير وعلى يمينه أمـراء البيت المالك وعلى يساره كبـار رجـال الدولة ويقف أمامـه من يريد التشرف بمـقابلته من الرسل والأعيـان ورؤسـاء النقـابات والشعـراء والفقهاء وغـيرهم (حسن: ١٩٩١م، ج١، ص ص٤٣٧- ٤٣٨؛ وكذلك: ج٢، ص ص٣٤٢- ٣٤٥).

الأعياد والمواسم والحفلات ووسائل التسلية:

يحتفل المسلمون في العادة بالمناسبات الدينية كشهر رمضان الذي يحيون لياليه بتلاوة القرآن وصلاة التراويح. ويحتفلون في نهـايته بعيد الفطر، وكذلك يحتفلون بعيد الأضحى، حيث يخرج الناس صبيحة يوم العيد بملابسهم الجديدة لأداء فريضة صلاة العيد. وكان الخلفاء الأوائل يحتفلون بالعيدين احتفالاً دينياً فيؤمون الناس في الصلاة، ويلقون عليهم خطبة العيد. وكانت مظاهر الإسلام تتجلى في الاحتفالات بهذيـن العيدين فـي الأقطار الإسلاميـة في بغداد وبيـت المقدس ودمشق والـقاهرة والمدينة المنورة ومكة المكرمة.

أما حفلات الزواج فقد تطورت بمرور الزمن تطوراً أخرجها عن قواعد الدين الحنيف، فـقد اقتـرنت حفلات الـزواج بالبذخ والإسراف وحب الظهـور. ويكفي للتدليل على ذلك مقارنة زواج السيدة فاطمة بنت الرسول- صلى الله عليه وسلم- بعلي رضي الله عنه الذي كان في غاية البساطة، بزواج الخلفاء والأمراء فيما تلا من عصـور. لقد كـان صداق فـاطمة ٥٠٠ درهم، وكـان جهـازها سريراً مـشروطاً، ووسادة من أدم حشوها ليف، وتور (إناء للشرب) وقربة ومنخل ومنشفة وقدح وقد أهدتها بعض النساء بردين (حسن: ١٩٩١م، ج١، ص٤٤٦).

أما نفـقات زواج السـيدة زبيدة من الرشـيد فـقد كانت تتـراوح بين خمـسة وثلاثين مليون درهماً وسبعـة وثلاثون مليـون درهـم. وقـد فـاق المأمون أباه الرشيد

في إسرافه، فقد أمهر بوران بنت الحسن بن سهل صداقاً يقدر بمئة ألف دينار وخمسين مليون درهماً، وهذا يعادل نصف مليون دينار (حسن: ١٩٩١م، ج٢، ص٣٦٠) وأعطى أباها عشرة ملايين درهم ومنحه خراج أحد الأقاليم سنة كاملة.

وقد وصف ابن الاثير (الكامل: ج١٠، ص ص٥٩- ٦٠) زواج ابنة السلطان ملكشاه السلجوقي إلى الخليفة العباسي المقتدي (٤٦٧- ٤٨٧هـ) فقال: نقل جهاز ابنة السلطان إلى دار الخلافة على ١٣٠ جملاً محملة بالديباج الرومي و٧٤ بغلاً مجللة بأنواع الديباج، وعلى ستة منها ١٢ صندوقاً من الفضة لا يقدر ما تحتويه من الجواهر والحلي بثمن، كما اشتمل الجهاز على مهد عظيم مزين بطيقة سميكة من الذهب (حسن: ١٩٩١م، ج٤، ص٦١١).

أما وسائل التسلية فكانت متعددة، فقد كان بعض الناس يقضون أوقات فراغهم في الاستماع إلى الغناء أو حضور مجالس الوعظ ومجالس القصص أو مشاهدة حفلات سباق الخيل أو اللعب بالطيور أو الصيد.

ومجالس الوعظ كانت تعقد في المساجد حتى أنشئت المدارس كالمدرسة النظامية (٤٥٧هـ/ ١٠٦٤م) فأصبح الوعظ يقام في المساجد والمدارس. وتمتاز مجالس الوعظ بحضور الناس فيها دون شروط، وهي تعالج مسائل الدين والدنيا. ولا شك أنه كان لمجالس الوعظ أثر ملحوظ في حفظ بعض التراث الإسلامي، ولاسيما مايتعلق منه بالقيم والمثل الإسلامية العليا.

ومجالس القصص تستهوي العامة عادة، وهي تعقد في الطرقات والمنازل وفي المساجد أحياناً ويختلف القاص عن الواعظ في أنه يقص بعض حكايات الأقدمين وما تنطوي عليه من شجاعة أو صفات عالية كالنجدة والكرم والوفاء ونحوها.

وبالإضافة إلى هذه الجوانب الثقافية كان الناس يشغلون أوقات فراغهم ببعض ضروب التسلية كالصيد وسباق الخيل. وهاتان الرياضتان تفضيان إلى مهارات جسمية وعقلية لها آثارها الإيجابية في تكوين المرء واستعداده للحرب والشجاعة.

ومن أنواع التسلية لعبة الشطرنج التي أدخلها الرشيد، ثم انتشرت في الوسط العربي، وكذلك لعبة النرد. والأولى هندية أما الثانية فهي فارسية. ومنها أيضاً اللعب بالحمام على سطوح المنازل.

الطعام والشراب:

كان طعام المسلمين الأوائل بسيطاً وقليلاً ومحدوداً ويظهر ذلك مما أُثر عن حياة الرسول الكريم- صلى الله عليه وسلم- في بيته وبيوت أصحابه وخلفائه. فلما فتحت البلاد وتدفقت خيرات العالم الإسلامي واتسع الثراء وتحسنت الأحوال الاقتصادية تنوعت المطاعم والمأكولات. وأخذ العرب تقاليد الفرس والروم والأمم الأخرى في مآكلهم ومشاربهم. لا بل ظهرت مؤلفات خاصة تصنف الطعام وطريقة تقديمه. وممن ألف في هذا الباب: محمد بن الحسن بن عبدالكريم الكاتب البغدادي الذي ألف كتاب "الطبيخ" في سنة ٦٢٣هـ (١٢٢٦م). وقد قسم هذا المؤلف الطعام على أساس طبقات المجتمع في عصره فذكر طعام طبقة الأغنياء وطبقة الفقراء والطعام الشعبي.

وكان أهل الأمصار الإسلامية يتفننون في الطعام ويسرفون في اجتلاب ألوانه في غير مواعيدها من صيد وفاكهة وخضراوات، كما كانوا يجلبون الطعام مثل السمك والحبوب والجبن وما إلى ذلك من البلاد الأخرى كفارس والهند، وكان لكل بلد إسلامي أنواع خاصة من الطعام معروفة لديهم. فلأهل الشام مآكلهم ولأهل العراق أطباقهم الخاصة، وكذلك الحال في مصر والمغرب. وكانت هناك آداب خاصة بالموائد من حيث استعمال الأسمطة التي توضع ليها أنواع الأطعمة وكذلك الأواني والأكواب والملاعق وغيرها.

الملابس:

الدولة الإسلامية الأولى شملت العديد من فئات السكان وطبقات المجتمع، وطبيعي أن لكل فئة وطبقة لباسها الذي تعرف به. غير أنه في حواضر العالم الإسلامي كانت هناك للخاصة ملابس رسمية تميزهم، أما ملابس العامة فكانت تختلف باختلاف حياة الناس الاجتماعية، فكان الأغنياء يعتنون بملابسهم أكثر من الفقراء وكان الزهاد يعرفون بملابسهم الصوفية الخشنة. وعموماً فالملابس ثلاثة أنواع: ملابس للرأس، وملابس للبدن، وملابس للأرجل والقدمين بالإضافة إلى الحلي.

فملابس الرأس هي العمامة التي تميز الرجال، وقد أخذ العرب العمامة عن آبائهم منذ أيام الجاهلية وورثتها المجتمعات الإسلامية بعد ذلك. وقد حدث عليها تعديلات مختلفة في العصور الإسلامية المتتالية إلا أنها بقيت مميزة لسكان العالم الإسلامي. وكان لا يجوز خلع العمامة وكشف الرأس إلا في مناسك الحج. وفي الدولة العباسية كانت هناك العمامة السوداء تلبس في الاحتفالات الرسمية والمواسم وعند مقابلة الخلفاء لأن السواد كان شعار العباسيين الرسمي.

أما ملابس البدن فكانت تختلف باختلاف طبقات الناس. فالفقراء يلبسون المدرعة (بكسر الميم وسكون الدال وفتح الراء) وهي نوع من الجباب، وتكون في العادة من الصوف. ويلبس الفلاحون الملابس القطنية، أما الأغنياء فيلبسون الملابس الحريرية، وكان الناس يلبسون في أرجلهم الجوارب وفي أقدامهم النعال. وكان من المستحسن لبس الثياب البيض. فقد روي عن النبي- صلى الله عليه وسلم- قوله: «خير ثيابكم البيض تلبسونها في حياتكم وتكفنون بها موتاكم».

وكان للخلفاء لباسهم الخاص المميز، وخاصة في المواكب والمناسبات. فعلى سبيل المثال كان لباس الخليفة العباسي القباء الأسود أو البنفسجي الذي يصل إلى الركبة، وكان مفتوحاً عند الرقبة، فيظهر القفطان زاهياً من تحته، وكانت أكمامه ضيقة حتى عهد المعتصم الذي جعلها فضفاضة. ويتمنطق الخليفة بمنطقة مرصعة بالجواهر ويتشح بعباءة سوداء ويلبس قلنسوة طويلة.

وكان القضاة يلبسون العمامة والطيلسان، كما كانوا يلبسون قلنسوة طويلة حولها عمامة ذات لون أسود وهو شعار العباسيين.

وقد ذكر ابن خلكان عن أبي يوسف قاضي هارون الرشيد أنه أول من غيَّر لباس العلماء إلى هذه الهيئة في هذا الزمان. وكان ملبوس الناس قبل ذلك شيئاً واحداً لا يتميز أحد عن أحد بلباسه (وفيات الأعيان، ج١، ص٣٣). وكانت ثمة فروق ملحوظة في ملابس أصحاب المهن المختلفة (حسن: ١٩٩١م، ج٢، ص ص ٣٤٣- ٣٥٠).

وكان لباس المرأة يتكون من ملاءة فضفاضة وقميص مشقوق عند الرقبة عليه رداء قصير. وإذا خرجت المرأة من بيتها فإنها ترتدي ملاءة طويلة تغطي جسمها. وقد تطورت ملابس النساء في العصر العباسي تطوراً ظاهراً عما كانت عليه في العصر الأموي إذ اتخذت سيدات الطبقة الراقية غطاء الرأس (البرنس) مرصعاً بالجواهر ومحلى بسلسلة ذهبية مطعمة بالأحجار الكريمة. ويعزى ابتكار هذا الغطاء إلى "علية" بنت المهدي وأخت الرشيد. وكان للسيدة زبيدة أثر كبير في تطور الزي وإدخال تغييرات على ملابس السيدات في عصرها. وفي الأندلس تحكم زرياب في ابتداع الأزياء وحث الناس على تغيير الملابس لتكون مناسبة للفصول وعلمهم أن يلبسوا ملابس بيضاء من أول يونيو حتى نهاية سبتمبر كما علمهم أن الربيع هو فصل الملابس الحريرية والقمصان ذات الألوان الزاهية. وأن الشتاء فصل الفراء والملابس الثقيلة (حسن: ١٩٩١م، ج٢، ص٣٥٠).

نخلص إلى القول أن المجتمع الإسلامي قد طرأت عليه تحولات عديدة في حياته الاجتماعية فقد امتلأت الدور والقصور بالخدم، ووجدت عادات الأمم القديمة سبيلها إلى المجتمع الإسلامي فشاع فيه الترف والبذخ والإغراق في اللهو.

المحور اللغوي لجغرافية العالم الإسلامي الحضارية

إن اللغة هي جانب مهم من الحضارة. إنها الوسيلة المهمة التي تصور المعطيات الحضارية من جيل إلى جيل آخر، أو من جماعة معينة إلى جماعة أخرى، كما تطبع الذين يتكلمون بها بطابع خاص مميز يظهر بصورة نمط حياة خاص. ولهذا السبب تكون اللغات علامات مميزة للحضارات المختلفة. فاللغة وسيلة اتصال أساسية وتؤثر في كافة الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية لدى الشعوب التي تتكلم بها.

وغالباً ما تبنى التقسيمات السياسية والحدود الإدارية على أساس اللغة التي تتكلم بها الشعوب المتجاورة. وربما يتعدى ذلك إلى التكتلات الاقتصادية والسياسية. وكما تؤثر اللغة في العديد من المناشط، فإنها تتأثر هي الأخرى بالعديد من العوامل، التي تحد من انتشارها وتوسعها. ويأتي على رأس ذلك العوامل الطبيعية كالجبال والأنهار، التي تقف أحياناً كحدود فاصلة بين اللغات المختلفة. وعلى العموم فالأنماط اللغوية أشبه ما تكون بالفسيفساء الموزعة على مختلف بقاع العالم. وهي تؤثر وتتأثر بالعديد من المفردات الحضارية والعوامل البيئية المختلفة (Jordan and Rowntree, 1976: pp. 184 - 185).

المناطق اللغوية في العالم الإسلامي: الأصول والتوزيع المجالي:

إن الشكل رقم(٤) يظهر توزيع الأصول الأولى لعائلات اللغات المختلفة في العالم. ومن الجدير بالذكر أن لغات العالم المختلفة ليست بالصورة المبسطة التي تظهر من خلال هذا الشكل. فتوزيع وانتشار اللغات أكثر تعقيداً وتنوعاً. فتحت كل نوع من الأنواع السالفة تندرج المئات من اللغات الفرعية واللغات المحلية.

وإذا أعرضنا عن الأقطار الأخرى، وركزنا على الرقعة التي تحوي العالم الإسلامي من تلك الخريطة، نجد أن لدينا العديد من العائلات اللغوية التي تنتشر في ديار الإسلام. ولعل أكبر هذه العائلات وأوسعها انتشاراً هي:

١ ـ العائلة السامية: الحاميّة وتنتشر في شمال أفريقيا وجنوب غربي آسيا.

٢ ـ عائلة الأورال: ألتاي التي تنتشر في الأراضي الممتدة من تركيا غرباً حتى حدود الصين شرقاً.

٣ ـ العائلة الهندية: الأوروبية وتتفرع منها المجموعة الإيرانية- الهندية- وتسودان في المناطق الممتدة من إيران غرباً وحتى بنغلادش شرقاً.

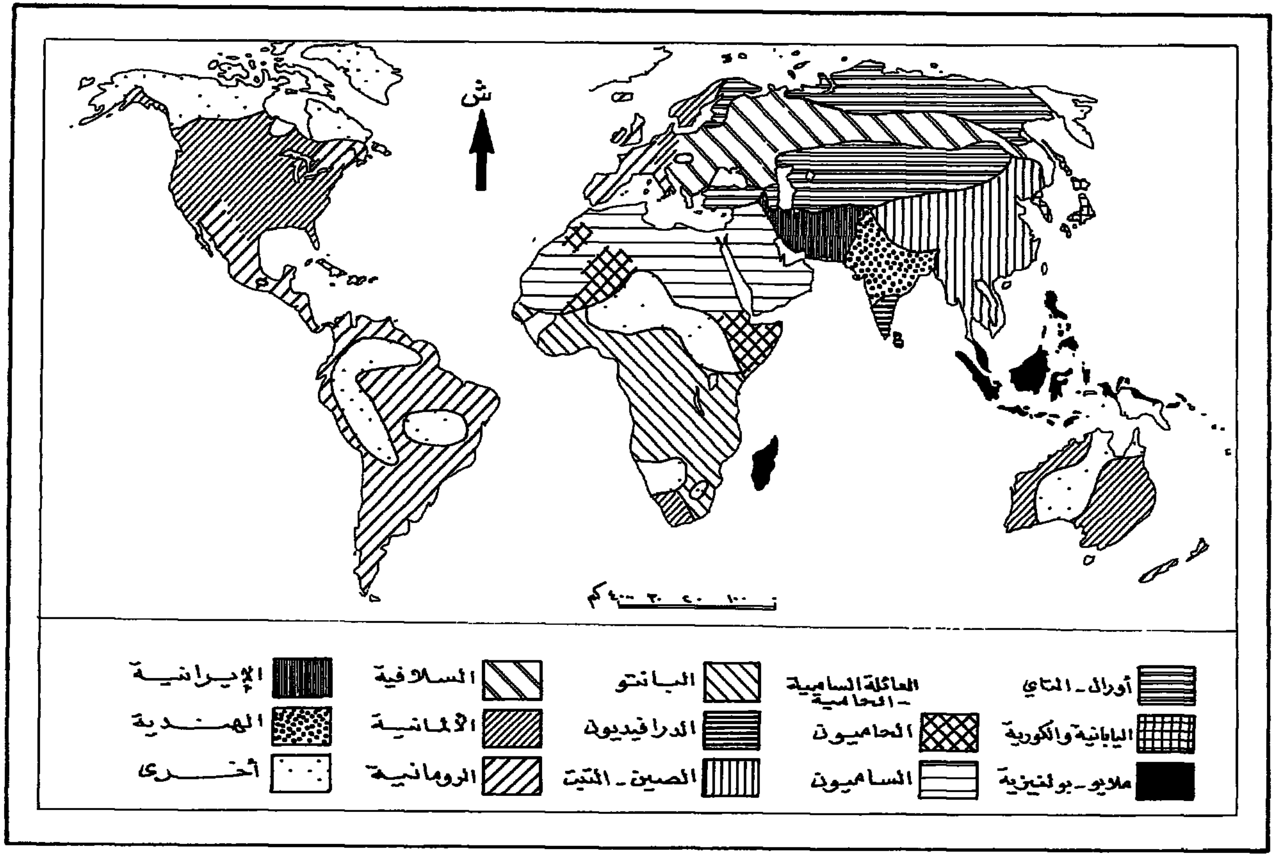
٤ ـ العائلة الملايوية- البولينيزية: وتنتشر بين جزيرة مدغشقر غرباً وأندونيسيا شرقاً.

ويمكن إلقاء بعض الضوء على هذه المجموعات على النحو التالي:

أولاً: العائلة السامية- الحاميّة:

وتمثل العائلة الثانية من لغات العالم بعد العائلة الهندية- الأوروبية. واللغات السامية المتفرعة من هذه العائلة قديمة جداً. فلغات الشعوب البابلية والآشورية والفينيقية سامية الأصل، وتنتشر اللغات السامية على مساحة واسعة من الأرض تشمل الجزيرة العربية وبلاد الشام والعراق وشمالي أفريقيا.

إن اللغة العربية هي أوسع اللغات السامية انتشاراً حيث يزيد عدد المتكلمين بها عن ٢٦٠ مليون نسمة. وبجانب العربية هناك اللغة العبرية، وهي أيضاً لسان سامي. وكانت هذه اللغة إحدى اللغات الميتة ولا تستعمل إلا في المناسبات الدينية لليهود، الذين كانوا مشردين في مختلف مناطق العالم. غير أن الكيان الصهيوني بعد إنشائه عام ١٩٤٧م تبنى اللغة العبرية كلغة رسمية للدولة الجديدة. وقد بذلت جهوداً مضنية لإحياء هذه اللغة وجعلها مسايرة لتطور نظم الحياة والمعاملات اليومية.



شكل (٤) العائلات اللغوية في العالم

لقد حمل المهاجرون القادمون من جنوب غربي شبه الجزيرة العربية قبل ثلاثة آلاف سنة اللسان السامي إلى أثيوبيا، وخاصة المناطق الجبلية المرتفعة. وقد تطور هذا اللسان لينجم عنه اللغة الأمهرية التي تشكل الفرع الثالث من فروع العائلة السامية.

وبجانب السامية توجد اللغات الحامية التي تنتشر جنباً إلى جنب مع السامية، وخاصة في شمالي وشرقي أفريقيا. والشعوب الحامية وجدت أصلاً في آسيا ثم هاجرت إلى أفريقيا. وتشمل العائلة الحامية اللغة البربرية التي يتكلم بها السكان البربر في الجزائر والمغرب وكذلك الطوارق الذين يستوطنون الصحراء الكبرى.

ومن اللغات الحامية اللغة الكوشية التي يتحدث بها سكان شرقي أفريقيا وتضم اللغة الصومالية ولغة الجالا وغيرها من المجموعات اللغوية التي تنتشر في الصومال والقرن الأفريقي.

ثانياً: عائلة الأورال- ألتاي:

وهي مجموعة لغوية كبرى في العالم الإسلامي. وتنتشر بين الشعوب الإسلامية التي تقطن المنطقة الممتدة بين تركيا غرباً والصين شرقاً. لقد نشأت هذه المجموعة اللغوية أولاً بين السكان الذين يعيشون في آسيا الوسطى شرق جبال الأورال. وتتحدث بهذه المجموعة اللغوية الشعوب التي تنحدر من أصل تركي مثل الأتراك العثمانيين والتتار والأوزبك والقازاق والقرغيز والأويجور إلى جانب التركمان والمغول.

ثالثاً: العائلة الهندية- الأوروبية:

وهي أكبر العائلات اللغوية. وتضم تسع مجموعات يندرج تحت كل منها العديد من اللغات. ومن المرجح أن موطن السكان الذين طوروا العائلة الهندية- الأوروبية كان في شرقي أوروبا ووسطها ثم بدأ هؤلاء في الألف الثاني قبل الميلاد في التحرك باتجاه غربي أوروبا حاملين معهم أصول اللغات الأوروبية الحديثة[٤].

بينما تحرك قسم آخر من هؤلاء نحو الشرق والجنوب باتجاه هضبة إيران وشبه القارة الهندية. ولا تهمنا في دراستنا هذه، الشعوب التي استوطنت غربي أوروبا، بل يهمنا أن من توجهوا نحو الشرق والجنوب ووصلوا إلى إيران وأفغانستان وباكستان والهند وبنغلادش قد استأصلوا اللغات التي كانت توجد في تلك البقاع وأحلوا محلها مجموعة لغوية متفرعة من العائلة الهندية- الأوروبية هي المجموعة الإيرانية- الهندية.

ومن أعظم اللغات التي تضمها هذه المجموعة هي الفارسية والبشتو والدري ثم البنجابية والأردية والبلوشية وكذلك الكردية والبنغالية وغيرها من اللغات واللهجات المتفرعة عنها.

رابعاً: العائلة الملاوية- البولينيزية:

من العائلات اللغوية الواسعة الانتشار ويطلق عليها أحياناً أسم العائلة (الأسترونيزية) وتمتد طولياً لتشمل كافة الجزر البحرية الواقعة من جزيرة مدغشقر في شرقي أفريقيا شاملة الجزر الأندونيسية وجزر المحيط الهادي حتى جزر هاواي بطول يقارب أكثر من نصف محيط الكرة الأرضية.

أما الامتداد العرضي لهذا النطاق فيبدأ من دائرة عرض تايوان في الشمال إلى جزيرة نيوزيلندة في الجنوب. وهذا النطاق الجزري الواسع الذي تقطعه البحار الممتدة بين هذه الجزر، هو المجال الذي انتشرت فيه هذه العائلة اللغوية (Jordan and Rowntree, 1976: p. 194) ومن المرجح أن أصول هذه العائلة اللغوية جاءت من السواحل الصينية الجنوبية، بعد أن نفذت إليها من داخل الصين، قبل أن تسود اللغات الصينية الأخرى التي جاءت لاحقاً ثم هاجرت مع السكان في هذه الرحلة الطويلة عن طريق القوارب الصغيرة التي طورها سكان هذه المناطق والتي كانت وسيلة الاتصال التجاري البحري بين هذه الجزر الممتدة لآلاف الكيلومترات.

تضم هذه العائلة العديد من اللغات منها: الملاوية، والجاوية، البورنية، المادورية، السومطرية، السوند، البهاسا ومئات اللغات الأخرى، التي تنتشر في الجزر المنعزلة والنائية في هذا النطاق، وفي الواقع ونتيجة لعزلة هذه النطاق الجزري، فقد تطورت في كل جزيرة لغة خاصة، حملت اسم الجزيرة ذاتها، ولذلك نجد أن عدد اللغات في هذه المجموعة يكاد يكون مستوياً لعدد الجزر. فإذا عرفنا أن أندونيسيا وحدها تضم ستة آلاف جزيرة مسكونة، أدركنا مقدار التنوع اللغوي في هذه المنطقة من العالم.

المظهر اللغوي لدول العالم الإسلامي:

تنقسم دول العالم الإسلامي من حيث تعدد اللغات بين سكانها إلى قسمين متميزين: دول مركبة تختلط فيها اللغات وتتعدد الصور اللغوية إلى درجة أن بعضها يمثل "متحفاً لغوياً" ودول بسيطة يقل فيها التنوع اللغوي الأمر الذي يؤدي إلى تناسق وانسجام كبير بين سكانها.

ويضم القسم الأول عدداً قليلاً من الدول، في حين يضم القسم الثاني الأغلبية العظمى من دول العالم الإسلامي، مما يشير إلى سيادة النمط البسيط من التركيب اللغوي في العالم الإسلامي (المطري: ١٤٠٥هـ، ص٤٩٤).

الدول المركبة اللغات:

تعتبر إندونيسيا المثال التقليدي للتعدد والتنوع اللغوي في العالم الإسلامي. ففيها يوجد أكثر من ١٦ مجموعة لغوية متميزة تضم ما يزيد عن ٢٥٠ لغة ولهجة محلية. ويمكن تفسير هذا التنوع بتعدد الجماعات العرقية، وسعة المساحة العامة للدولة، وترامي أطرافها، وصعوبة الانتقال والمواصلات بين جزرها العديدة.

تتكون إدونيسيا من آلاف الجزر كما ذكرنا سابقاً. وكان لكل جزيرة لغتها الخاصة التي تختلف عن غيرها من لغات الجزر الأخرى. وبالرغم من أنه في كثير

من الأحيان تكونت ممالك ضم كل منها مجموعة كبيرة من الجزر، إلا أنه لم توجه عناية خاصة لتوحيد اللغة. لقد اتجهت عناية الدول إلى الوحدة السياسية والعسكرية، ولم يكن هناك تركيز كافٍ على الوحدة الثقافية، ثم إن توحيد اللغة كان عملاً شاقاً بعيد المنال.

ولم يقف الأمر عند اختلاف اللغات باختلاف الجزر، بل إن الجزيرة الواحدة كانت تعيش فيها جماعات منفصلة بعضها عن بعض. وتختلف اللغة في جماعة عنها في أخرى. فهناك مثلاً في جزيرة سومطرة أكثر من ١٥ لغة محلية يتحدثها الناس بلهجات مختلفة. وجزيرة جاوة التي يعتبرها الأندونيسيون أكثر الجزر تجانساً من حيث اللغة تحوي ثلاث لغات رئيسة تتبع الجماعات الرئيسة في الجزيرة. وهذه الجماعات هي جماعات جاوة في وسط الجزيرة ولغتهم الجاوية، وجماعات السوندا في جاوة الغربية ولغتهم السوندا. وجماعات ما دورا في جاوة الشرقية ولهم لغة تسمى باسمهم كذلك.

ومما يزيد الأمر تعقيداً أن بعض اللغات بها درجات أو مستويات. فاللغة الجاوية مثلاً تحوي ثلاثة مستويات. المستوى الأدنى من اللغة وهو الذي يستعمل بين الأصدقاء وفي داخل الأسرة ويسمى (نجوكو) والمستوى الأعلى وهو الذي يستخدم مع الأكبر سناً أو الأعلى مركزاً ومنزلة، وهذا النوع يسمى (كراما). وهناك لغة جاوية أعلى شأناً وهي تستعمل في القصور وبين رجال البلاط وهي لغة خاصة الخاصة (شلبي: ١٩٨٣م، ج٨، ص٤٢١).

يعزو علماء الأنثربولوجيا التعدد اللغوي في المكان الواحد إلى وجود الحواجز الطبيعية. فالجبال الشاهقة، والغابات الكثيفة، والبحيرات الواسعة، والمستنقعات الفسيحة كانت كلها حواجز مانعة بين الجماعات البشرية في إندونيسيا. وربما كانت الجماعة التي تعيش بجانب أكمة تظن أنه ليس هنلك جماعة أخرى خلف تلك الأكمة. ويروي أحد الباحثين قصة تفسر مدى العزلة التي كانت تعيشها الجماعات

الأندونيسية حتى داخل الجزيرة الواحدة، فيقول: «بلدة صولو في وسط جزيرة جاوة يقع بجانبها جبل شاهق اسمه "توانج مالجو" يصعد له السكان هربا من الحر. وعلى بعد حوالي ١٠٠ كيلومتر تقع مدينة "مديون" ولها جبل اسمه "سرانانج" يصعده سكان مديون من حين لآخر كذلك. ومنذ حوالي منتصف القرن العشرين الميلادي فقط اتضح أن جبل توانج هو نفسه جبل سرانانج وأن صولو تقع على سفحه من جانب ومديون تقع على سفحه من جانب آخر. وعلى طول التاريخ القديم قامت بصولو ومديون جماعات كانت قليلة الصلة بالجماعات التي تقع على السفح الأخر. وكانت هذه الجماعات وتلك تصل في الصعود إلى قرب القمة حيث تواجه الغابات الكثيفة ثم تتوقف كل منها ظانة أنها وصلت إلى آخر الشوط. وقد شق حديثاً طريق يخترق الغابات في القمة فيربط بين الجبلين (شلبي: ١٩٨٣م، ج٨، ص٤٢٣).

كان الإحساس قوياً بمشكلة اختلاف اللغات في الوطن الواحد وخاصة بعد الاستقلال. وكان الحل يكمن في اللغة الملاوية التي كانت متداولة بين التجار، وأصحاب الأعمال وبين الكثير من سكان الجزر الأندونيسية وحتى في الملايو والفلبين. وكانت أشبه باللغة السواحلية بأفريقيا. وكانت هذه اللغة تستمد أصولها من اللغات الأصلية بتلك البلاد، وتقتبس من اللغات المختلفة كلمات سرعان ما تصبح أصيلة في هذه اللغة، وقد ساعد تطور الاتصال التجاري والديني والثقافي بين سكان هذه المنطقة وبين التجار الهنود والعرب والصينيين على تطور هذه اللغة وازدهارها، ثم أسهمت اللغات التي فرضها المستعمر أثناء احتلاله لتلك المناطق في ثراء هذه اللغة حيث دخلتها العديد من الكلمات الأسبانية والبرتغالية والهولندية.

وصدر قرار بأن تكون اللغة الأندونيسية التي تنحدر جذورها من اللغة الملاوية لغة لجمهورية إندونيسيا. وتعرف هذه اللغة باسم "البهاسا". وقد كانت تكتب

بحروف عربية. وقد حاولت هولندا أثناء استعمارها لإندونيسيا إلغاء هذه الأبجدية غير أنها لم تجرؤ على ذلك. ولكن عندما ألغيت الخلافة العثمانية واستبدال أتاتورك بالأحرف العربية الحروف اللاتينية تجرأت هولندا على ذلك واستعملت الأبجدية اللاتينية للغة "البهاسا" الإندونيسية.

بعد أن أصبحت البهاسا اللغة الرسمية للدولة، عم انتشارها بين كافة المواطنين من مختلف اللغات، واستعملت في الصحف والمجلات والدوائر الرسمية. وحلت محل الهولندية التي كانت اللغة الرسمية أثناء عهد الاستعمار، وبمرور الزمن ستحل هذه اللغة الوطنية محل معظم اللغات المحلية في الأقاليم والجزر المختلفة، وستكون عنصر اتحاد بين هذه الأقاليم جميعاً.

تتكرر المشكلة نفسها في أفغانستان. فالسكان الأفغان يتكونون من أجناس أربعة هم: الأفغان، الفرس، الترك المغول وسكان هندوكوش الآريون.

إن هذا التنوع مرده إلى التاريخ الذي عاشته منطقة أفغانستان. فقد كانت منطقة التقاء بين الحضارة الفارسية في الغرب والتركية وخاصة إقليم تركستان في الشمال، والحضارة الصينية في الشمال الشرقي، ثم الحضارة الهندية في الجنوب الشرقي.

ويمكن القول أن اللغات الأفغانية ترتبط بالأصول العرقية للسكان، فهناك البشتون الذين يشكلون ٦٠٪ من مجموع السكان، ويمثلون خليطاً من العناصر التركية والإيرانية. وهناك الطاجيك وهم عناصر إيرانية تمثل حوالي ٣٠٪ من مجموع السكان، وبجانب هؤلاء العناصر التي تنحدر من أصول تركية (الأوزبك، والتركمان، القرغيز، والقازاق) ويشكل الأوزبك قرابة ٥٪ من إجمالي السكان. وبجانب هؤلاء هناك قبائل الهزارة ذوي الأصول المغولية والبلوشيين والكافير.

إن هذا التنوع العرقي أوجد تنوعاً لغوياً حيث يعتبر الاختلاف اللغوي ظاهرة بارزة. ففي أفغانستان توجد ثلاث مجموعات لغوية كبرى: الأولى هي الإيرانية- الهندية. وتضم لغة البشتو والداري وهما اللغتان الرسميتان في الدولة. والثانية هي مجموعة الأورال- ألتاي وتشمل اللغات الأوزبكية، والقرغيزية وغيرها من اللهجات التركية، إلى جانب المغولية التي تتحدث بها الجماعات المغولية المتناثرة. أما المجموعة الثالثة فهي المجموعة الدرافيدية التي تسود بين بعض فئات الشعب الأفغاني الذي ينحدر من أصول هندية أو إيرانية (المطري: ١٤٠٥هـ، ص٤٩٦).

وعلى العموم هناك ١٨ لغة محلية مختلفة تتحدث بها جماعات سكانية تشكل ٢٠٪ من سكان البلاد. أما غالبية السكان فتنتشر بينهم لغتا البشتو والداري اللتان تعدان اللغتين الرسميتين في البلاد، إلى جانب الإيرانية التي يتحدث بها عدد كبير من السكان، والأردو التي تستخدم في الأسواق التجارية والعربية التي هي لغة الثقافة الدينية. وقد تسرب إلى لغة البشتو والداري كثير من المصطلحات العربية يقدرها بعضهم بـ٤٠٪ من الكلمات المستخدمة في اللغتين، كما أن كلتا اللغتين تكتبان بحروف عربية (شاكر: ١٩٧٤م، ص٦٧).

وتلحق باكستان بأفغانستان من حيث التنوع والتعقيد اللغوي. فباكستان جزء من شبه القارة الهندية التي ذكر غوستاف لوبون أن بها ٢٤٠ لغة و٣٠٠ لهجة. ولاشك أن باكستان لها نصيب من هذه اللغات واللهجات. وقد ساعد هذا التنوع اللغوي فمهد الطريق للغة الإنجليزية لتكون اللغة العامة والرسمية في كافة أقطار شبه القارة الهندية، ومن جملتها باكستان إلى أن تبنت الدولة الباكستانية اللغة الأردية كلغة وطنية للبلاد بجانب اللغة الإنجليزية التي هي اللغة الرسمية للدولة. ففي باكستان هناك اللغة البنجابية وهي اللغة الإقليمية في منطقة البنجاب وتسود المنطقة المثلثة التي تحدها مدن روالبندي، مولتان وأمبالا- وتنقسم إلى عدة لهجات.

وبجانب البنجابية هنـاك اللغة الكشميرية وهي لغة جبليـة يتحدث بها سكان إقليم كشمير، وتتميز بأنها من أصل سنسكريتي ولكنها تأثرت بالفارسية.

وهناك البلوشـية التي تنتشـر في الجنوب الغربي من البـلاد، كما تنتـشر في شرقي إيران وبعض مناطق أفـغانستان. وهي ليـست لغة للأدب والبلوشية الشـرقية وهي اللغة التي يتحـدث بها السكان في الباكستان تظهـر شبهاً في النطق مع اللغات الهندية، مـع أنها من أكثر اللغات محافظة، حيث إنها لم تتطور كثيراً.

وهناك لغة أخرى تكونت في القرن الخـامس عشر الميلادي وأصلها آري، ثم دخلت عليها كلمات كثيرة من اللغات الفـارسية والعربية والهندية والتركية، وتسمى الآن اللغة الأردية نـسبة إلى (الأُردو) وهو المعـسكر، حيث كـانت لغة مـعسكرات المغول الذين حكموا الهند قبل خمسة قرون. وانتشرت هذه اللغة بين المسلمين وغير المسلمين، وكانت تمثل أداة الاتصال بين السلطة والجيش الذين يستخدمون الفارسية، وبين السكان من ناحيـة أخرى باعتبـارها اللغة الوطنية لهم. فلمـا تناقصت السلطة المغوليـة قل استخدام الفـارسية واكـتسبت الأردية مكانتـها في القرنين الثامن عـشر والتاسع عشر الميلاديين فأصبـحت لغة المجتمع والإدارة المحلية. ولما تم تقسيم الهند اعتبرت هذه اللغة لغة إسلامية حيث احتضنتها باكستان.

تعتبر الأردية في الـوقت الحاضر اللغة الوطنية لباكـستان، ومع ذلك فإن ٨٪ فقط من سكان باكستان يعتبرونها لغتـهم الأصلية. ومعظم فئات الشعب الباكستاني يعتبرونها لغتهم الثانية بعد لغـاتهم المحلية. ومنذ عهد الاستقلال عم انتشار الأردية بين كافـة المواطنين، واستعـملت في الصحف والمجلات ووسـائل الإعلام والدوائر الرسمية، غير أن اللغة الإنجليزية لا زالت اللغة الرسمية للدولة الباكستانية.

من ناحيـة أخرى يسكن بلاد إيران أقـوام من أجناس متبـاينة تتعـدى مواطن سكناهم أو تحركاتهم القبلية الحدود الفـعلية للبلاد، وبسبب تباين الأجناس تعددت اللغات في إيران وإن كانت الفارسية أوسعها انتشاراً.

وقد بقي تعدد اللغات حتى العهد الحاضر بسبب الحياة الانعزالية التي تعيشها طوائف الفلاحين في مناطق الأودية بين المرتفعات الشاهقة، وكانت الروابط قليلة بين كل طائفة من هذه الطوائف وبين جيرانهم وكانت الجماعات المختلفة تسد حاجتها بنفسها، مما حافظ على سلالات بشرية متعددة وعلى لغات مختلفة لذا تزخر إيران بالعديد من اللغات واللهجات من أصول متباينة. فالفارسية يتكلمها أكثر من ثلثي السكان وهي اللغة الرسمية للدولة. وبجانب الفارسية هناك العديد من اللغات ذات الأصول التركية مثل اللغة الآذرية التي يتحدث بها سكان أذربيجان في شمالي إيران، وكذلك التركمانية والقازاقية في جبال زاغروس. كما توجد لغة خاصة لكل جماعة سلالية مثل الأكراد الذين يتحدثون في إيران اللغة الكردية باللهجة السورانية التي يتحدث بها معظم أكراد العراق وإيران، وهي لغة الأدب الأولى في الكردية، وبجانبها لهجات كردية أخرى. غير أنها أقل انتشاراً من السورانية وذلك مثل الكرمانجية والماشو.

وهناك لغة اللور تتحدث بها قبائل البختيار من سكان منطقة اللور في جنوب غربي إيران، وهي إحدى اللهجات الفارسية التي تمثل لغة عهد الساسانين أو ما تسمى بالفارسية الوسطى، وتشتمل على قدر كبير من الحروف العربية والتركية.

وتنتشر البلوشية في الجزء الجنوبي الشرقي من إيران. والبلوشية عدة لهجات تنتشر اللهجة الغربية في إيران، أما اللهجة الشرقية فيتحدث بها البلوشيون في باكستان.

وهناك العربية التي يتحدث بها العرب في إقليم الأهوار إلى جانب بعض اللغات الآشورية والأرمنية والدرافيدية والعبرية التي تتحدث بها أقليات عرقية صغيرة.

ومع هذا التنوع الشديد في اللغات واللهجات تبقى اللغة الفارسية هي اللغة الأم. وهي لغة الثقافة والأدب واللغة الرسمية للدولة وتكتب بحروف عربية. وقد طرأت على هذه اللغة تطورات عديدة اقترنت بانتشار الإسلام في بلاد فارس.

وإلى الجنوب من المنطقة التي تسودها اللغات السامية- الحامية في أفريقيا تبرز العديد من المجموعات اللغوية. وقد اختلفت الاجتهادات حول تصنيف هذه المجموعات اللغوية، غير أن معظم الباحثين يرون أن المجموعات اللغوية لجنوب الصحراء الكبرى تندرج جميعها تحت مسمى "عائلة البانتو" التي تتكون من أكثر من ٨٣ لساناً ولغة يتحدث بها السكان الأفريقيون في مختلف مناطق القارة. وأشهر هذه اللغات هي اللغة السواحلية التي تسيطر على معظم سواحل أقطار شرقي أفريقيا وتتخذها بعض الدول لغة رسمية لها.

وبين عائلة البانتو التي تسيطر على معظم أفريقيا جنوب الصحراء وبين العائلة السامية- الحامية التي تسود في القسم الشمالي من أفريقيا هناك منطقة انتقالية تحوي العديد من المجموعات اللغوية الصغيرة التي تتأثر بصورة أو بأخرى بالعائلتين اللغويتين الكبيرتين وتصنف تبعاً لذلك إلى إحداهما وأحياناً إلى كليتهما معاً. ونشاهد ذلك في أقطار غربي أفريقيا من السنغال شمالاً حتى الكمرون جنوباً كما نشاهد ذلك في جنوبي السودان وكينيا وأوغندا وتشاد والنيجر وشمالي نيجيريا.

ومن الغريب أن نجد دولاً صغيرة في القارة الأفريقية يسود فيها التنوع اللغوي ليبلغ حد الاستغراب. ففي ساحل العاج توجد أكثر من ٦٠ لغة ولهجة. وفي توغو هناك مايزيد عن ٤٤ لغة ولهجة محلية. وفي الكمرون يتكلم السكان أكثر من ١٠٠ لغة محلية. وفي نيجيريا هناك مايقرب من ٢٥٠ لغة محلية متميزة تعتبر الهوسا أوسعها انتشاراً إلى جانب لغات اليوربا والفولاني.

إن هذا التنوع اللغـوي أوجـد مشـكلات قوية لدول القـارة الأفـريقـية بعـد الاستقلال، الأمر الذي فرض أن تبقى لغة المستعمر هي اللغة الرسمية لمعظم أقطار أفريقيا عموماً ومن جملتها الأقطار الأفريقية الإسلامية.

لقد بقـيت الفرنسية هي اللغـة الرسميـة لدول مالي والنيجر وتشـاد وبوركينا فاسو والسنغال وغينيا وبنين وتوجو وساحل العاج وأفريقيا الوسطى والجابون وجزر القمر. كـما بقيت الإنجليزية لغـة رسمية في النيجـر وأوغندا وغامبيا وسـيراليون. وأصبحت اللغة البرتغالية هي لغة غينيا بيساو.

الدول البسيطة اللغات:

والبساطة تعنى عـدم تعدد اللغات داخل البلد الواحد، بحيث تتكلم الغـالبية العظمى من سكان البلد لغة واحدة مشتركة. وإذا نظرنا إلى خريطة العالم الإسلامي نجد أن جمـيع أقطار العالم العربي تنتـمي إلى الدول ذات التركيب اللغوي الـبسيط حيث تسود فيـها اللغة العربية كلغة يتـحدث بها السكان، كما تمثل اللغـة الرسمية لهذه الدول. وقد تطورت العربية في شكلين متـميزين، الأول: العربية الكلاسيكية وهي لغة الأدب والثـقافة ولغة الدين الإسـلامي وهي التي يتحدث بهـا ويكتب بها عبر كافة البـلاد العربية. وتعتبر أداة ربط بين جميع العـرب دون استثناء. والثاني: العربية العامية وهي لغة الكلام غير الرسمية التي تزخر باللهجات العديدة. وهنا نجد بعض الاختلاف، فأهل الشام لهم لهجة خاصة بهم متميزة عن لهجة أهل العراق، وفي دول شبه الجزيرة العربية لهجة عربيـة مميزة. وهذه اللهجات الثلاث متقاربة من بعضها البـعض على عكس اللهجة المصرية التي لها طابعها الخـاص وكذلك اللهجة المغربيـة التي تسود في أقـطار شمالي أفـريقيـا (ليبـيا، تونس، الجـزائر، المغرب، موريتانيا). ومن الجدير بالذكر أن هذه اللهجات مفهومة من قِبَل جميع سكان العالم العربي، ولا يبتـعد هذا الاختلاف كثـيراً عن ذلك الاختلاف الموجود بين مـتحدثي اللغة الإنجليزية في بريطانيا واسكتلندا وإيرلندة الشمالية.

وإذا نظرنا إلى داخل الأقطار العربيــة ذاتها وجدنا فروقاً فــي اللهجات داخل هذه اللغات العــامية فسكان الصعــيد لهجتــهم تغاير لهجة سكان الوجــه البحري. وسكان المدن في الشام يختلفون في عاميتــهم عن العامية المنتشرة في الريف. وهذه أمور معروفة تفرضها طبيعة البيئات المختلفة.

غيــر أنه من الجدير بالذكــر أن سيادة وســيطرة اللغة العربــية في كافــة البلاد العربية سيطرة تامة مما يجعل العربية اللسان القومي لكافة البلاد العربية دون استثناء.

بجانب البلاد العــربية هناك تركيا التي تعــتبر هي الأخرى ذات تركيــبة لغوية بسيطة وتشترك مــعها دول وسط آسيا الإسلامية التي انفصلــت عن الإتحاد السوفيتي وهي: (أذربيجان، قاراقســتان، تركمانستان، أوزبكستان، طاجيكســتان، قرغيزيا). وهذه الدول جميعــها تسود في كل منها لغة واحدة تمثل اللغة الرســمية ولغة الأدب والثقافة واللغة التي يتحدث بها معظم السكان.

ففي تركيا تسود اللغة التركية الأنــاضولية. وقد قدمت إلى آسيا الصغرى في الألف الثانية قــبل الميلاد، لتحل محل اللغــة الإغريقية. ولم يكن للتركــية حروف أبجدية فتــبنت الحروف العربية إلــى أن قام أتاتورك في عام ١٩٢٨م بإحداث تغــيير فيــها بإدخاله الحــروف اللاتينية. وقد حــاول تتريك اللغة بتــخليصهــا من الكلمات المشتقة مــن العربية والفارسية لتــحل محلها كلمات تركية قــديمة أو كلمات أوروبية فرنسية أو إنجليزية بهجاء تركي (المطري: ١٤٠٥هـ، ص٤٦٨).

وعلى سيــاسة أتاتورك سار الاتحــاد السوفيــتي (السابق) لتقــسيم المسلمين في الأقطار التي دخلت ضــمن الستار الحــديدي. ففرضت ســياسة لينين القــائمة على تقسيم السكان إلى مناطق عرقية وقبلــية لقطع الاتصال والشعور بالوحدة التي كانت تعيشها هذه القبائل التي كان الإسلام يوحد بينها. ففي أذربيجان فرض اللغة الآذرية وفي أوزبكســتان فرض الأوزبكيــة وكذلك الحــال في قاراقــستان، وتركــمانســتان، وقرغــيزيا، ومنع كــتابة هذه اللغــات بالحروف العربــية التي كانت تكتــب بها هذه

اللهجات وفرض كتابتها بالحروف السيريليكية Cyrillic وهي الحروف التي تشكل الأبجدية الروسية. وبالرغم من وجود أقليات عرقية ضمن هذه الجمهوريات، إلا أن هؤلاء بجانب لغاتهم الأصلية يتحدثون باللغة الرسمية للبلاد مما يحملنا على القول أن هذه الأقطار بسيطة في تركيبها اللغوي.

ومن البلاد الإسلامية ذات التركيبة اللغوية البسيطة بنغلادش حيث تسيطر اللغة البنغالية مع أقلية ضئيلة تتحدث السنسكريتية، وكذلك ماليزيا التي تبنت الملاوية، وألبانيا التي تتحدث الألبانية. وجزر المالديف التي تتحدث المالديفية.

ومن الجدير بالذكر أن هذه الدول ذات التركيب اللغوي البسيط تشبه من بعض الوجوه الدول ذات التركيب اللغوي المعقد والتي تبنت لغة المستعمر، كما هو الحال في دول غربي أفريقيا أو باكستان. فهذه الدول برز فيها تأثير لغة المستعمر بحيث إن لغة المستعمر بقيت اللغة الثانية في هذه الدول. ففي مصر والعراق والأردن لا تزال الإنجليزية هي اللغة الثانية بعد العربية وفي سوريا ولبنان ودول المغرب العربي تسود اللغة الفرنسية كلغة ثانية ونجد في الصومال ثلاث لغات هي الإيطالية والفرنسية والإنجليزية وتسود الإيطالية في ليبيا، والهولندية في إندونيسيا. وفي فلسطين المحتلة وجدت اللغة العبرية بعد الاحتلال الصهيوني لفلسطين، وانتشرت اللغة الروسية انتشاراً واسعاً في جمهوريات وسط آسيا الإسلامية.

دور اللغة العربية في انتشار الحضارة الإسلامية:

إن اللغة العربية والدين الإسلامي متلازمان ومرتبطان معاً برباط وثيق. فإذا انتشر الإسلام انتشرت معه ومن خلاله اللغة العربية. وعلى هذا فالعربية تسير في ركاب الإسلام فأنىَّ حل الإسلام يحل القرآن والحديث ولغتهما العربية، وتحل الدراسات الإسلامية وأكثر مراجعها باللغة العربية. ويقضي الدين الإسلامي بكثير من التعاون والألفة مما يجعل التفاهم بين معتنقيه وبخاصة في المكان الواحد حتمياً.

ويظهر مدى ارتباط الإسلام بالعربية أنه حتى المسلم غير العربي تشكل اللغة العربية جزءاً مهماً من حياته اليومية. فالصلاة لا تجوز إلا بالعربية لذا نجد أن المسلم لابد له من تعلم هذه اللغة التي هي وعاء الإسلام. لذا لا عجب أن تكثر في لغات الأقطار الإسلامية التعابير والكلمات العربية وخاصة المصطلحات الدينية التي لا نظير لها في لغات هذه الأمم. ويبرز التلازم بين العربية والإسلام أن هذه اللغة لابد أن تنتشر حيث انتشر الإسلام. ولهذا توسعت رقعة العربية بتوسع حدود دولة الإسلام. لقد أثر الدين الإسلامي على تطور هذه اللغة فجعلها لغة عظيمة غنية فيها كل عناصر الجمال. وهذا انعكاس لمصدر الإلهام الأساسي لهذه اللغة وهو القرآن الكريم. ولهذا لا عجب أن تصبح أداة التواصل الحضاري بين الشعوب الإسلامية المختلفة.

أثر الدين في تطور اللغة:

رأى العرب في بلاغة القرآن وروعة أسلوبه ما بهرهم وأثار إعجابهم، فانساقوا إلى تقليده ومحاكاته، وبلغ من افتتان العرب بالقرآن وإعجابهم به أن امتنع بعضهم عن قول الشعر. كما فعل لبيد بن ربيعة الذي استغنى بالقرآن وقراءته عن شعره الذي نبغ فيه. وكان إذا سئل عن شعره تلا سورة من القرآن وقال: أبدلني الله خيراً منه.

شاعت ألفاظ القرآن وعباراته في جميع القبائل العربية، وأصبحت معروفة لديهم فيما ينشئون من خطب وأشعار. وقد ساعد ذلك على إيجاد لغة عامة وحَّدت مشاربهم وخلقت فيهم خيالاً ومتجانساً ومثلاً عليا متحدة.

يقول الأستاذ كرد علي: "والقرآن أبلغ كتاب للعرب، ولولاه لما كان لهم أدب ولا شريعة. عجز فصحاء العرب عن الإتيان بمثله مع أنهم خصوا بالتحدي. وكان للفصاحة عندهم المكان الأرفع، واعترفوا بعد جدال طويل. أن نظم القرآن خارج عن المعهود من نظام جميع كلامهم، وله أسلوب يختص به ويتميز في تصرفه عن أساليب الكلام المعتاد (حسن: ١٩٩١م، ج١، ص١٥٧).

لقد أثرى القرآن اللغة العربية عن طريق العديد من العلوم التي ارتبط وجودها بالقرآن الكريم. وأول هذه العلوم التي وسعت دائرة العـربية هو علم القراءات الذي اشتغل به المسلمون. ويعتبر علم القراءات المرحلة الأولى لـتفسير القرآن حيث تتركز النواة التي بدأ بهـا هذا العلم في القرآن وفـي نصوصه نـفسهـا وبعبـارة أوضح في قراءته، وهذا لاشك هو البدايات الأولى لعلوم التفسير.

هذه القراءات تدور حـول المصحف العثمانـي الذي جمع الخليفة عـثمان بن عفان رضي الله عنه المسلمين عليه. وقد فـرضت طبيعة الخط العربي الذي نرى أن من خصائصه أن الرسم الواحـد للكلمة الواحدة قد يقرأ بأشكال مخـتلفة، كما أن عدم وجـود الحركات النحـوية وفقـدان التشكيل في الخط العـربي آنذاك كانت من الأسبـاب الداعيـة لظهور حـركة القـراءات فيـما أهمل شكله أو نقطه مـن القرآن الكريم.

ثم ظهر لدى العرب المسلمين أمـر آخر ارتبط بالقرآن الكريم، وذلك هو علم التفسير وهو أحد العلوم التي اشتغل بها المسلمون لفهم معاني القرآن الكريم. واتجه المفسرون في تفسير القرآن الكريم اتجاهين يعرف أولهما باسم التفسير بالمأثور وهو ما أثر عن الرسـول- صلى الله عليه وسـلم- وكبـار الصحـابة، ويعرف الثـاني باسم التفسير بالرأي وهو ماكان يعتمد على العقل أكثر من اعتماده على النقل.

وقد اعـتنى المسلمون بحـديث رسول الله- صلـى الله عليه وسلم- وقـاموا بتدوينه مما أتاح الفـرصة لظهور طائفـة من أئمة الحديث الذين ظهروا في مـختلف مراحل التـاريخ الإسلامي وطوروا أصول وقـواعد الرواية من حيث الضـبط والدقة وبيان الأحاديث القوية من الأحاديث الضعـيفة مما يمتاز به المسلمون وحدهم في هذا المجال.

إن العلوم الشرعيـة وضبطها عجلت في نشوء وتطـور علم النحو، الذي نشأ وترعرع في البـصرة والكوفة اللـتين صارتا من أهم مراكـز الثقافـة منذ القرن الأول الهجري. وكان يقيم في هاتين المدينتين جالية تنتـسب إلى قبائل عربية مختلفة ذات لهجات متعددة، والآلاف من الصناع والموالي الذين كانوا يتكلمون الفارسية وغيرها من اللغـات. ومن ثمَّ تعرضت العـبـارات العربيـة إلى شيء من الفسـاد. ودعت الضرورة إلى تقويم اللسان العربي، حتى لا يتعرض القرآن الكريم للتحريف، فكان هذا مدعاة لظهور علم النحو الذي وضع أسسه أبو الأسود الدؤلي ثم تطور على يد أبي عمرو بن العلاء والخليل بن أحمد وسيـبويه والكسائي وغيرهم من النحاة الذين برزوا في كل مناطق العالم الإسلامي.

ومع توسع الدولة الإسلامـية وانتشار الإسلام خـارج الجزيرة تطورت الإدارة الحكومية وتعـددت حاجاتها، مما دعا إلى إنشاء الـدواوين المختلفة، التي بدأت منذ عهد الخليـفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، واسـتمرت طوال العهود الإسـلامية المختلفة. ولعل مـن أبرز الدواوين التي لها مساس بتطور العـربية هو ديوان الإنشاء والرسائل فهـو أقرب الدواوين اتصالاً بالحيـاة الأدبية. فقد أوجد نوعـاً من النثر لم يكن للعرب عهـد به، وهو ما يسمى بالنثر الفني. والمقـصود به تلك الرسائل التي كانت تحـرر باسم الخليفـة، وتصدر إلى ولاته وعمـاله في الأقاليم. ومـهنة كاتب الرسائل إذاعة المراسيم والبراءات وتحرير الرسائل السياسية ومراجعة الرسائل الرسمية ووضعها في الصيغة النهائية ومكاتبة الملوك والأمراء عن الخليفة.

ولقد حرص الخـلفاء على أن تدوَّن هذه الرسائل بأسلوب شيق وبلـيغ، كما حرصـوا على اختيار كـتابهم من رجال الأدب، ممن عـرفوا بسعـة العلم، ورصانة الأسلوب، بحيث يمكن القول إن هؤلاء الـكتاب قد وضعوا أصول وقـواعد الكتابة الفنية في اللغة العربية.

نخلص إلى القول أن الدين الإسلامي ساعد على:

١ـ ثراء اللغة العربية بحيث وسَّع مضمونها عن طريق القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وما ارتبط بهما من علوم كالتفسير والقراءات وعلوم الحديث المختلفة مثل علم الرجال وعلم الجرح والتعديل وأسس الضبط والعدالة وغيرها.

٢ـ فرض الحرص على التعاليم الإسلامية ظهور قواعد تنظيمية طوَّرت اللغة مثل ظهور التنقيط للحروف، وكذلك ظهور التشكيل، وظهور النحو والاشتقاق والتصريف، ووضع المعاجم ووضع قواعد للكتابة الأدبية، وغير ذلك مما نقل اللغة العربية نقلة حضارية في جميع بقاع العالم الإسلامي وبذلك تبوَّأت مكانة عالية مرموقة.

اللغة العربية والفتح الإسلامي:

بالرغم من أن اللغة العربية قديمة جداً حيث ظهرت إشارات استخدامها في أول الأمر في وثائق الحروب منذ المائة التاسعة قبل الميلاد، إلا أنها بقيت محدودة الانتشار، وكانت مقصورة على الجزيرة العربية وبعض مناطق محدودة من بلاد الشام والعراق.

ومع ظهور الإسلام في القرن السابع الميلادي زاد انتشارها، فقد حملها الفاتحون إلى بلاد الشام والعراق وفارس ومصر والمغرب العربي. ولم يمض سوى قرن واحد على ظهور الإسلام حتى وصل المسلمون إلى الاندلس غرباً والصين شرقاً.

لقد كان المسلمون بعد فتحهم الممالك والأقطار يتركون الناس على حالهم، فمن أسلم أصبح أخاً مسلماً، وأما من أراد التمسك بعقيدته فقد تركوه وقبلوا منه الجزية، حتى الرؤساء تركوهم على حالهم ما داموا لم يعتدوا على الإسلام. وكان لابد أن تسلم هذه الشعوب لأن الإسلام غلاَّب.

لقد صاحب حركة الفتوح حركة الإسلام وصاحب حركة الإسلام حركة الاستعراب والتحول نحو اللغة العربية. لقد كانت حركة الاستعراب تسير سيراً طيباً حتى نهاية الدولة الأموية، فقد كان للجيوش العربية الموجودة في شتى بقاع الدولة الإسلامية أثر في نشر العربية، كما أن الداخلين في الإسلام كانوا بحاجة إلى تعلم العربية لأنها لغة والعبادة ولغة الدين الجديد.

لقد تأثرت حركة الاستعراب بالعديد من العوامل، أولها انتشار الجيوش العربية في شتى بقاع العالم الإسلامي المفتوحة تلا ذلك هجرات عربية إلى مختلف مناطق الدين الجديد، وقد تبع ذلك حركة تزاوج بين العرب وسكان المناطق المفتوحة. وقد أدى ذلك إلى سيادة اللغة العربية وانتشارها على نطاق واسع. فإذا ما أضفنا إلى ذلك أن من أسلم من سكان البلاد المفتوحة أقبل على تعلم اللغة العربية لممارسة شعائره الدينية، ومن لم يسلم أقبل على تعلم العربية بهدف الحصول على الوظائف الإدارية الجديدة. وبجانب هؤلاء وأولئك هناك المتجهون للثقافة والمعرفة، الذين طمعوا في أن يكتبوا لا لأقوامهم وحدهم بل للمسلمين جميعاً، وقد كان الاتجاه إلى الترجمة إلى اللغة العربية خلال القرنين الثاني والثالث الهجريين سبباً في دفع الكثيرين إلى إجادة اللغة العربية ليعملوا في الترجمة.

إزاء هذه العوامل السالف ذكرها كانت حركة الاستعراب تسير سيراً طيباً في كافة البلاد المفتوحة. فقد حلت العربية محل اللغات الموجودة في مصر وليبيا وشمالي أفريقيا وبلاد الشام والعراق وفارس وشرقي الدولة الإسلامية وكذلك الأندلس.

ولم تكتف اللغة العربية بالتفوق بل أخذت تغزو اللغات الأخرى وتدخل فيها عن طريقين أولهما: عن طريق المفردات العربية التي كانت أيسر من مرادفاتها في اللغات الأخرى. والثاني: عن طريق الكلمات التي تحمل معنى إسلامياً ليس له مقابل في اللغات الأخرى.

ولئن كانت العربية قد سيطرت على معظم الأقطار الإسلامية المفتوحة إلا أنه كان للظروف التي عاشـها المسلمون في شرقي الدولة الإسلاميـة أثر في عدم انتشار العربيـة وسيادتها في هـذه المناطق. فـعندما قامت الدولة العـباسية ضـعف العنصر العربي في إيران وما يليها شرقاً. ولما كـان العرب هم أساس التعريب، فقد تراخت حركة التـعريب في شرقي الدولة بل توقفت وحدث الـعكس، حيث بدأت الأقلية العـربية هناك تتكلـم الإيرانية، أمـا أولادهم فقـد نـشأوا لا يعـرفون العـربيـة لأن أمهاتهـم كن إيرانيات، وكذلك كانت البيئـة كلها إيرانية. وهنا أخذت اللغة العربية تتـراجع أمام اللغـة الإيرانية وبدأت سـيطرة العنصـر الإيراني على الوزارة ودواوين الدولة، وتراخت الدولة العباسيـة مع حكام النواحي في إيران، فظهرت دول إيرانية مختلفة في شـرقي الدولة الإسلامية، تقدم بعضهـا وفرض سلطانه على الخليفة في بغداد. وهكذا تراجعت العـربية أمام الإيـرانية الحديثـة في شرقي الدولة الإسلامـية تلك اللغة التي عرفت فيما بعد بالفارسية، وهي لغة جديدة بها من العربية وبها من الفهلوية، وقد استعـارت الرسم العـربي لكتابتها، وتحـوي مـا يزيـد عـن ٤٠٪ من مفرداتها من اللغة العربية (شلبي: ١٩٨٣م، ج٨، ص ص٢٩- ٣٠).

وكما عجـز العرب عن تعريب ألسنة الفرس، فقد عـجزوا أيضاً عن تعريب ألسنة الترك، الذينلعبوا دوراً مهماً في التاريخ الإسلامي منذ عهد المعتصم العباسي، وكان تأثير الفارسية في ألسنة الترك قـوياً نظراً لأن مناطق تركستان (موطن العناصر التركية) قد خضعت للدويلات الإيرانية، حتى أن الممالك التركية في تلك البقاع قد اتخذت اللغة الفارسية، وتقمصت الحضـارة الإيرانية. غير أن التأثير العربي نفذ إلى مجموعة اللغات التركية. كمـا نفذ من قبل إلى مجموعة اللغات الإيرانية عن طريق التعابير العربية التي تمثل نسباً تتراوح بين ٣٠- ٤٠٪ من مجموع ألفاظ هذه اللغة. وكانت هذه اللغـة تكتب بحروف عربيـة حـتـى وقـع معظم تركـستان تحت قبـضة روسيـا فأجـبرت السكان على كـتابة لغـتهم بالروسـية. (الأوزبكيـة، القازاقـية،

التركمانية، القرغيزية. . . إلخ) ثم جاء أتاتورك فاستبدل الحروف العربية بالحروف اللاتينية وقام بإلغاء الكثير من المفردات العربية بهدف محو التأثير العربي من الثقافة التركية الحديثة.

اللغة العربية والتواصل الحضاري:

امتدت الدولة الإسلامية واتسعت وانضوى تحت جناحيها عناصر وأجناس وأمم وقبائل لكل منها لغتها وعاداتها وتقاليدها ومعرفتها وثقافتها. وتمازجت هذه الشعوب بالتزاوج والتسري، وبالتناسب والولاء، كما تمازجت بالمعارف والثقافات، وكانت العربية هي اللسان السائد المعبر عمَّا تمَّ من تمازج المعارف وعن ثقافات هذا الخليط الكبير من الناس.

لقد تم اتصال العرب المسلمين بثقافات الفرس واليونان والهند وبثقافات النصارى واليهود، وأخذ المسلمون من كل ذلك وأعطوا، وكان ذلك بطرق عديدة كان منها:

(أ) الاتصال المباشر الذي تم عن طريق المعايشة والمخالطة اليومية، والتي يرى فيها المسلم معارف الآخرين وهي تطبق تطبيقاً حياً أمام ناظريه في الدين والأدب والزراعة وتربية الحيوان، وفي التجارة والصناعة، وفي التطبيب والمعالجة، وما سوى ذلك من أوجه النشاط الحيوي واليومي. وكثيراً ما يكون المسلم طرفاً في هذا التطبيق المباشر (بيلو: ١٤٠٨هـ، ص٢٠).

(ب) ما كان يجري من مجادلات ومحاورات بين العرب المسلمين وأصحاب الديانات وأصحاب الملل والنحل المختلفة من يهود ونصارى ومجوس نتيجة اختلاط الشعوب المختلفة. وقد استفاد المسلمون من ذلك وتضرروا في آن واحد. فقد كان أصحاب هذه الديانات يستخدمون في جدلهم ومناقشاتهم فلسفة اليونان ومنطقهم وهذا كان جديداً على المسلمين. فكان لابد من

استعمال هذا السلاح، فاضطر المسلمون للتعرف على فلسفة اليونان ومنطق أرسطو بقصد الدفاع عن الدين، ثم تطور الأمر إلى أن أصبحت هذه الأمور غاية في ذاتها، بعد أن كانت وسيلة. وقد ساعد ذلك على نشوء علم الكلام وعلم العقائد والمناظرات مع الزنادقة وأتباع المبادئ الأخرى. لقد أسلم كثير من الفرس والملل الأخرى عن عقيدة وإيمان وحَسُن إسلامهم. وهناك آخرون دخلوا في الإسلام لأغراض خاصة، وأظهروا الإسلام كارهين. وبقوا على ديانتهم القديمة. وقد وجد هؤلاء بعد أن قوي نفوذهم أن الفرصة سانحة لإعلان عقيدتهم على رؤوس الأشهاد. وقد تحرك العلماء لمواجهتهم وذلك فيما عرف بمقاومة حركة الزندقة، التي حاربتها الدولة عن طريق إنشاء دوائر خاصة لملاحقة هؤلاء من جهة، ثم تكوين هيئات علمية أعضاؤها من المتكلمين للقيام بالرد على هذه الحركة بالوسائل الفكرية وتأليف الرسائل في مناظرتهم والرد على أباطيلهم (بيلو: ١٤٠٨هـ، ٣٦، ص ص١٤- ٣٧).

(جـ) الترجمة والنقل لاسيما من الثقافات الفارسية واليونانية والهندية. وكان لابد لهذه الثقافات وقد تجمعت في صعيد واحد وتمازجت معاً في داخل المجتمع الإسلامي من أن تؤتي أكلها، وتؤثر تأثيرها الكبير في الحركة العلمية والتأليف. وقد تعدى تأثيرها إلى فكر الناس وعواطفهم وعقولهم وعقائدهم وكذلك أدبهم (بيلو: ١٤٠٨هـ، ص ص٢٠- ٢١). ويمكن تقسيم بواعث الترجمة والنقل إلى بواعث وأسباب عامة، وأخرى خاصة صحبت ترجمة ونقل كل نوع من المعارف والعلوم ودفعت الخلفاء وأولي الأمر إلى الاهتمام بها وتشجيعها. وأول هذه البواعث العامة هو اتساع الدولة وتقدم أسباب العمران، وتعدد وتنوُّع المرافق، وتشعب شؤون الحياة ومتطلباتها في الدولة الإسلامية وهذا يحتاج إلى تنظيم دقيق، ولذا لابد من الإفادة من تجارب الأمم الأخرى وخبراتها. هذا إلى جانب أن اللغة العربية كانت غالبة على

البلاد المفتوحة، والتي انتشر الإسلام فيها، وأن وحدة الدين تستوجب وحدة اللسان والحضارة والعمران، وأنه لابد أن تضمن معارف هذه الأمم وثقافاتها في اللسان العربي.

أضف إلى هذه البواعث الميل الشخصي والرغبة الفردية عند بعض الخلفاء لبعض هذه العلوم المترجمة، فشجعوا على ترجمتها، وأجزلوا العطاء للمترجمين، وتابعهم آخرون.

(د) التأثير الحضاري في مجال اللغة والأدب: وجد المجتمع الإسلامي نفسه إزاء تعدد الشعوب أمام أشياء جديدة في كثير من مناحي الحياة، في المأكل والمشرب والملبس وأدوات الزينة وفي الدواوين ونظامها، وما إلى ذلك من أشياء لم يكن للعرب بها سابق معرفة. وبدهي أن لايكون في ألفاظ العربية مايدل عليها وما يعبر عنها، فسلكوا سبيل التوسع في مدلولات الكلمات العربية لتؤدي المعنى الجديد أو أخذوا الكلمات الأجنبية وصقلوها بما يتفق ولسانهم. وفي أحوال قليلة أخذوا الكلمات الأجنبية كما هي. وقد كان ذلك سبباً من أسباب ثراء اللغة العربية وزيادة منابعها.

وفي الجانب الآخر قامت حركة تعريب المعارف والعلوم والآداب المدونة باللغات الأخرى (الفارسية، اليونانية، الهندية، السريانية). وحين ننظر في هذه الكتب المترجمة نجد أكثرها في الحكمة والأدب والأخلاق والسير والعلوم والطب والهندسة والحساب وغيرها. وقد وجد في جميع المجتمع الإسلامي من يتقن اللغة العربية وإحدى اللغات الأخرى كالفارسية واليونانية والهندية، ولاشك أن هذا قد أثرى الحركة العلمية في المجتمع الإسلامي، كما أثرى اللغة العربية التي استوعبت هذه المعارف والعلوم، بعد أن كانت لغة أدب وثقافة.

ويبرز تأثير اتصال الثقافات والحضارات المختلفة في مختلف مناحي الأدب من شعر ونثر. فصار مما يتطلبه الأدب أن يعرف الأديب حكم برزجمهر الفارسي كما يعرف أقوال أكثم بن صيفي العربي، وأن يعرف المؤرخ تاريخ الفرس واليونان والهند كما يعرف تاريخ العرب. وأن يلم بأقوال كسرى وسابور كما يعرف أقوال الخلفاء الراشدين. ولابد للفقيه من أن يلم بمنطق أرسطو للرد على الزنادقة وأصحاب الملل والنحل.

إن بوتقة هذا الامتزاج الحضاري كانت اللغة العربية، إذ لم تستطع لغة من لغات الموالي- وقد كانوا كثراً- أن يكون لها وجود مذكور إلى جانب اللغة العربية بل لقد استخدمت العربية الموالي لصالحها استخداماً حسناً، وطوعتهم لإفادتها وخدمتها، فخدموها في كل فنونها. وهم حين جعلوا هذه اللغة لغة لهم، لم يستطيعوا أن يخرجوا بحال من الأحوال عن قواعدها وقوانينها، كما أن الدين ظل مرفوع الرأس، مشرق الجبين وضاحه، مع كثرة المحاولات التي بذلت لتشويهه، أو لنشر المبادئ المخربة، وبث العقائد الدخيلة (بيلو: ١٤٠٨هـ، ص ص١٧- ١٨).

والخلاصة أن المجتمع الإسلامي انفتح على الأمم التي دخلت فيه وكذلك على الأمم المجاورة. وهذه الأمم لها عاداتها وتقاليدها فكان هناك اليونان بفلسفتهم وعلمهم ومنطقهم، والفرس بتدبيرهم وسياستهم ولهوهم وزندقتهم وإلحادهم، والهنود بحكمتهم وحسابهم وأسرار طبهم وزهدهم وصناعاتهم.

لقد تلاقت هذه الأمم كلها في دولة الإسلام، تلاقت بميزاتها وثقافاتها وعلومها ومعارفها واجتمعت جميعها في صعيد واحد مع العرب المسلمين وثقافتهم بما لها من لغة وأدب ودين. وتفاعلوا تفاعلاً عميقاً، كان من نتاجه وثمراته هذا الصرح الحضاري العظيم الذي عليه الدولة الإسلامية في عصورها المختلفة وانبثق منه المجتمع الإسلامي الذي كان هو البوتقة التي تجمعت فيها هذه العناصر فصهرها وتمثلها وأعطاها الشكل الذي يلائم عقليات ونفسيات كل هذه الأمم والشعوب التي ضمها هذا المجتمع الإسلامي (بيلو: ١٤٠٨هـ، ص ص١٢١- ١٢٢).

الدلالات اللغوية لأسماء الأماكن والظاهرات:

أسماء الأماكن والظاهرات الطبيعية والبشرية من أهم عناصر البيئة. وهي شديدة الصلة باللغات التي يتكلمها سكان تلك البيئة. ولذا نجد أن ثراء اللغة في المسميات يعتمد على وجود وتنوع الظاهرات المختلفة في البيئة الواحدة. فعلى سبيل المثال تكثر في اللغة العربية الأسماء المرتبطة بالإبل. ولو أحصيت المفردات التي ترتبط بالإبل لوجدت أنها كثيرة جداً والسبب في ذلك هو توافر الإبل في البيئة العربية وكثرة استعمال الإبل في حياة العرب.

ولو نظرنا في أسماء النبات، وأخذت مثلاً فصائل النخيل وأنواعها وأسماءها لوجدت أن اللغة العربية تعطيك رصيداً بالغ الأهمية تتعدد فيه الكلمات والأنواع. ويمكن أن يقال الشيء نفسه عن السيف والخيل العربية ونحوها. ولو نظرنا إلى المعاجم الإنجليزية لم نظفر سوى بكلمات محدودة تبرز معاني هذه الأنواع من الحيوان والنبات.

وإذا نظرنا إلى بيئة أضيق كالمدينة والقرية لوجدنا في المدن على سبيل المثال أن الكلمات الدالة على الشوارع مثلاً كثيرة ومتنوعة، فهناك الطريق الرئيس والطريق الفرعي والشارع المزدوج والشارع المغلق (Dead End). وهناك الدخلة والرصيف وممرات العبور والإشارات الضوئية وعلامات الطرق وغير ذلك من الأمور المرتبطة بحركة السير على الطرق. ولن نجد كثيراً من هذه التعابير مفهوماً عند ابن القرية الذي لا يعرف سوى شارع رئيس واحد وبجانبه شوارع ضيقة ذات صفات متشابهة ومتماثلة.

وبالمقابل يحدثك الريفي بطلاقة عما يقع تحت ناظريه من أنواع الأعشاب والحشائش والمزروعات وأنواع الطيور وغير ذلك مما تحويه بيئته المحيطة به. وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على أن التعمق في مفهوم اللغة لدى المواطن العادي ليس مرده إلى التعليم فحسب. بل إلى مايحيط بالمرء من ظاهرات وما يستعمله من أدوات وما يطلبه من حاجات.

وفي هذا المجال تستعير اللغات من بعضها البعض ما ينقصها من تعابير يحتاج إليها متكلموها. فعلى سبيل المثال دخلت إلى لغات العالم الإسلامي أجمع الكلمات العربية التي تحمل معاني إسلامية، لأنه لم يكن لها نظير في لغاتهم الخاصة، لذا نجد أن كلمات الوضوء والزكاة والصلاة والحج والعمرة والصيام وغير ذلك من الكلمات أصبحت جزءاً لايتجزأ من لغات العالم الإسلامي غير العربي.

وحتى العربية استعارت من الفارسية بعض تعابيرها خاصة في الأمور المرتبطة ببعض النواحي الاجتماعية مثل بعض أنواع الطعام وكذلك اللباس وأنواع الفرش والأثاث التي لم يكن لها نظير في حياة العرب الاجتماعية. ونرى اليوم أن لغات العالم المختلفة تتبنى كلمات عديدة تظهر حديثاً خاصة تلك المرتبطة بالمخترعات العلمية التي تأخذ المسمى نفسه تقريباً في جميع دول العالم.

نخلص إلى القول أن البيئة المحيطة بالجماعات البشرية، وما يحيط بهذه الجماعات من ظاهرات، وما لديها من اختراعات، يحفزها على إطلاق المسميات على هذه الأمور. وما أن تظهر الحاجة إلى هذه الأمور في بيئات أخرى تنتقل هذه الأمور حاملة معها أسماءها واشتقاقاتها إلى اللغات الأخرى، وتدخل في تراث هذه الأمة الحضاري، إما بمسمياتها الحقيقة أو بمسميات تنحت لها من اللغة المضيفة أو تدخل بعد أن يطرأ عليها بعض التعديلات التي توافق النطق واللسان لأصحاب اللغة المضيفة.

الدلالات اللغوية لأسماء الأماكن والظاهرات المختلفة تتأثر بالبيئة تأثراً كبيراً. ويتجلى هذا التأثير البيئي في مفردات اللغة وفي توزيع وانتشار اللغة ذاتها. فعلى سبيل المثال إذا نظرت في تاج العروس أو في القاموس المحيط لوجدت أن مايزيد عن ربع مفردات كل منها يرتبط بأسماء الأماكن الجغرافية الموجودة في شبه الجزيرة العربية، ولا غرابة في ذلك فالبيئة الطبيعية تنعكس في اللغة، وفي المفردات

اللغوية التي تعبر عن هذه البيئة. فاللاندسكيب أو المظهر الحضاري، وهو البيئة التي طورتها يد الإنسان، يحمل في ثناياه الآثار اللغوية. وأكثر الأمور بروزاً في هذا الشأن هي الأسماء التي يطلقها الإنسان على مظاهر الأرض المختلفة ومظاهر المستوطنات البشرية وخصائص الأرض وغير ذلك مما يحيط بالإنسان وبيئته.

وتتنوع وتتعدد طرائق وأشكال التسميات. ففي بعض الأحيان يكون في الاسم الذي يطلق على الظاهرة بعض خصائص هذه الظاهرة فمسمى نجد وتهامة تتضمن الارتفاع والانخفاض على التوالي، وتعبير حجاز أطلق على المناطق التي تحجز تهامة عن نجد. وأحياناً يكون العكس هو الصحيح فمفازة التي تطلق على الصحراء هي في الواقع مهلكة، وكذلك كلمة "سليم" التي تطلق على من تلدغه الأفعى والذي يكون مصيره الموت غالباً هي من باب التيمن والفأل.

وتعرف الأماكن أحياناً بسكانها مثل ديار ربيعة ومضر وديار غامد وزهران وديار طيء وعنزة. وأحياناً يكون للون الظاهرة أثر في التسمية كالريان التي تعني اليانع، وكسواد العراق التي أطلقت لشدة الخضرة التي تشبه السواد في هذه المناطق لكثرة الزراعة في المنطقة.

ويلعب التاريخ دوراً بارزاً في أسماء المواقع ودلالات الألفاظ، حيث تعكس هذه الأسماء الأصول الأولى التي انحدرت منها الشعوب. فهناك العديد من أسماء المواقع تتألف من مقطعين أحدهما تاريخي (Generic) له معنى موحد والثاني له معنى خاص. فمثلاً في كثير من الأقطار العربية نجد أسماء مثل كفر الشيخ (في مصر) وكفر الدوار (في مصر) وكفر قدوم (في فلسطين) وكفر أسد (في الأردن). فكلمة كفر هي المقطع التاريخي. وكفر باللغة الآرامية تعني القرية. أما المقطع الثاني وهو الخاص الذي يميز القرية عن غيرها. والمقطع الخاص يكون اسماً لشخص (الشيخ) أو موقع (الدوار) أو أداة (قدوم) أو حيوان (أسد)... إلخ.

وهذه الأسماء التاريخية لها أهمية كبيرة في دراسة المجموعات اللغوية، ذلك لأنها تتكرر كثيراً وتتعدد مواقعها، ولاتقتصر على بلد دون آخر داخل المنطقة الحضارية الواحدة، وربما تعدتها إلى مناطق حضارية أخرى.

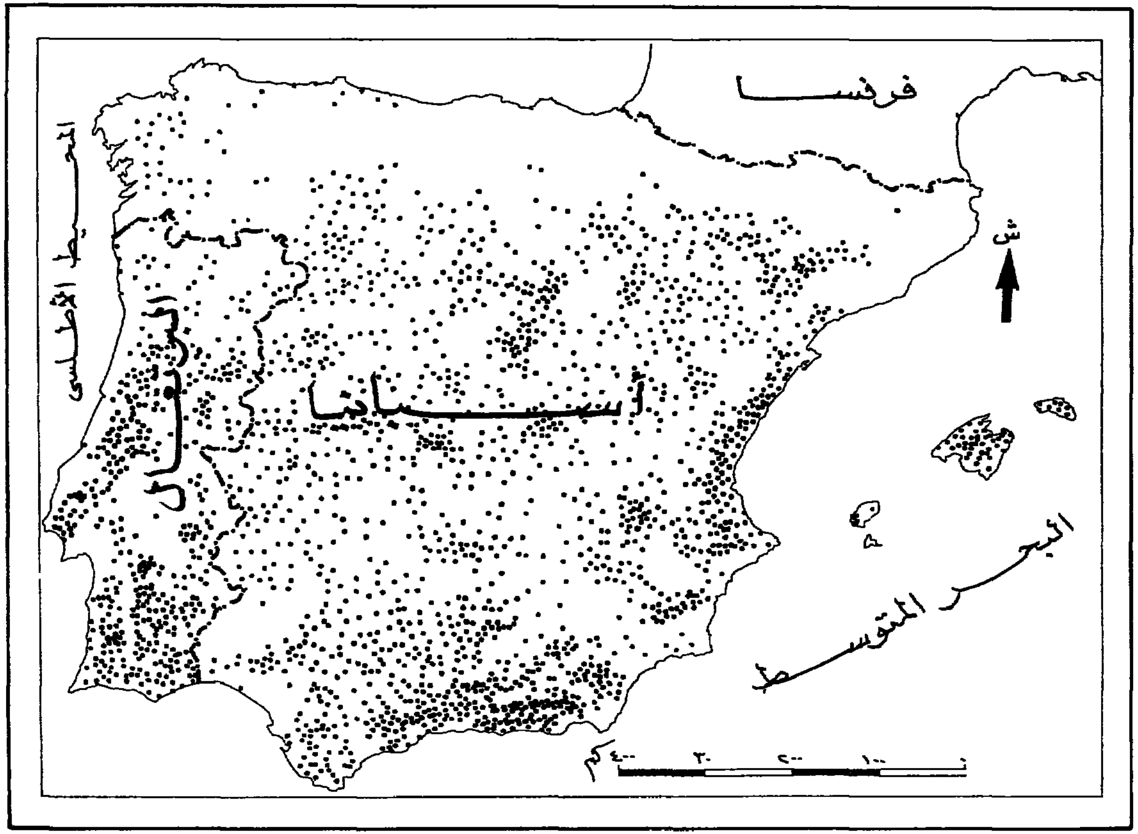
وفي كل لغة نجد العديد من هذه الأسماء التاريخية التي تعتبر علامات حضارية مميزة. فعلى سبيل المثال نجد أن كلمة (ستان) بالفارسية والتركية تعني (أرض) أو (بلد) أو (دولة). لذا نجد العديد من الأقطار التي يدخل فيها هذا المصطلح كجذر أو أصل تاريخي (باكستان- أرض الأطهار، أفغانستان- بلد الأفغان، أوزبكستان- بلاد الأوزبك، طاجكستان- بلد الطاجيك... الخ). وفي اللغة الفارسية والأُردية هناك مصطلح (أباد) ومعناه المدينة أو المستوطنة البشرية ونجد هذا المصطلح يدخل في أسماء العديد من المدن (حيدر أباد، إسلام أباد، الله أباد... إلخ).

إن مثل هذه الجذور التاريخية للكلمات المركبة يمكن من خلالها معرفة كيفية انتشار الحضارة وغالباً ما تساعدنا هذه التعابير على تتبع الماضي الحضاري لمنطقة ما وملاحظة التغيرات التي طبعها الإنسان على محيطه البيئي المجاور.

إن أسماء المواقع تبقى حقباً طويلة حتى بعد ذهاب الحضارات والدول التي وضعتها. وأسماء مثل هذه الأماكن تبقى شواهد حية ودلالات تاريخية على الماضي الحضاري الذي عاشته هذه الأقطار. فعلى سبيل المثال خضعت أسبانيا للحكم الإسلامي مدة تزيد عن ثمانية قرون. وقد ترك المسلمون أسماء مئات المواقع التي بقيت إلى يومنا هذا كشواهد على حكم المسلمين لتلك الديار. والشكل رقم(٥) يظهر المواقع ذات الأسماء العربية في أسبانيا والبرتغال. ومن خلال هذا الشكل الذي تصور كل نقطة منه اسماً عربياً يظهر لنا أن المواقع ذات الأسماء العربية محفورة في ذاكرة التاريخ، لتظهر مقدار النفوذ العربي في تلك الأقطار بالرغم من

زوال هذا التأثير منذ عهد بعيد جداً. فمثلاً البادئة Guada بالأسبانية تشير إلى كلمة نهر أو وادي. وهذه الكلمة Guada هي تحريف للـكلمة العربيـة "وادي" فمـثلاً Guada Iguivir ماهي إلا تحريف للكلمة العربية الوادي الكبير.

نخلص إلى القـول أن الدلالات اللغـوية لأسمـاء الظاهرات والأمـاكن تلقي الضوء على طبـيعة المـكان وعلى التغيـرات البيئـية التي أجراهـا الإنسان على هذا المكان. وتبرز أهمية الأسـماء كشواهد تاريخية نحتـاج إليها في بعض الأوقات التي تنقصنا فيها الوثائق والبراهين التاريخي.



شكل (٥) المواقع ذات الأسماء العربية في أسبانيا والبرتغال

المحور الاقتصادي لجغرافية العالم الإسلامي الحضارية

هناك ثورتان اقتصاديتان أسهمتا في تطور الحضارة البشرية تطوراً ملموساً وأحدثتا فيه تغيرات جذرية أولاهما: الثورة التي صاحبت قيام الزراعة واستئناس الحيوان والتي حدثت في أوائل العصور التاريخية. وقد طبعت هذه الثورة بصماتها على الأرض بصورة مناطق حضارية مختلفة. وبالرغم من أن المظهر الزراعي هو في تغير دائم إلا أنه مع هذ يبقى نافذة نطل منها على ماضي هذه المناطق ونتعرف من خلالها على الماضي الحضاري للسكان.

أما الثورة الثانية فهي الثورة الصناعية التي حدثت منذ قرنين من الزمن ولا يزال مفعولها سارياً حتى يومنا هذا. وقد كان لهذه الثورة أبعاد مهمة تفوق أبعاد الثورة الأولى، فقد دخلت مجتمعات العالم المختلفة في سباق محموم من أجل زيادة الإنتاج، وتصاحب ذلك مع ظهور المخترعات الحديثة والاكتشافات العلمية المتنوعة التي ساهمت في تطوير حاجات الإنسان وبخاصة الصناعية منها. وقد ترافق كل ذلك مع زيادات كبيرة في أعداد السكان تبعها هجرات واسعة إلى مختلف مناطق العالم. وقد اقترن كل ذلك بتعديل وتطوير البيئات الطبيعية في مختلف مناطق العالم.

إن غرضنا الذي نهدف إليه هو دراسة المحور الاقتصادي للعالم الإسلامي من وجهة نظر حضارية. ولذا سوف نحاول دراسة أثر كل من الزراعة والصناعة في تكوين المناطق الحضارية السائدة في العالم الإسلامي. وتأثير كل منهما في تشكيل البيئات الحضارية المميزة والمؤثرات الدينية والاجتماعية التي صاغت هذه البيئات في ربوع عالمنا الإسلامي.

الأقاليم الزراعية وأنماطها الحضارية:

الزراعة نمط حياة يمكن من خلالها الحصول على الغذاء والكساء ومتطلبات الحياة الأخرى، وهي حرفة البشرية الأولى خلال القسم الأكبر من تاريخها. وقد عمل الإنسان من خلال مهنة الزراعة على إجراء الكثير من التغييرات والتعديلات على البيئة الطبيعية، مما نجم عنه مظهر حضاري مميز لكثير من بيئات العالم، تحمل بصمات الزراعة، وما تتضمنه من محاصيل متنوعة وأساليب زراعية متباينة، وأنماط حياة مختلفة.

إن حرفة الزراعة وتربية الحيوان قد انتشرت من قلب العالم القديم إلى مختلف أجزاء العالم الأخرى. وبمرور الزمن تطورت الأساليب الزراعية في كل منطقة من مناطق العالم بصورة تختلف عن المناطق الأخرى، تبعاً لاختلاف الظروف الطبيعية والمقوِّمات البشرية، الأمر الذي نجم عنه تغييرات مكانية في الحضارات الزراعية المختلفة. وفي العادة يحاول المتخصصون في الجغرافيا الزراعية أن يلقوا الأضواء على المفارقات الإقليمية من خلال مفهوم المناطق الحضارية الزراعية.

لقد فرض تنوع المناطق المناخية في العالم الإسلامي تنوع المزروعات، الأمر الذي أدى إلى وجود أقاليم زراعية متعددة. ومن الجدير بالذكر أن أقطار العالم الإسلامي لا تزال بلادا زراعية على الرغم من التقدم الصناعي الذي أخذ طريقه إلى بعض هذه الأقطار. ولا تزال الزراعة تحتل أكبر نسبة من الأرض. ويشتغل فيها معظم السكان. ومعظم المشروعات الاقتصادية هي مشروعات زراعية، وهي عماد غذاء السكان، وهي المادة الأولية للصناعة، والمادة الأولى في قائمة الصادرات لمعظم الدول الإسلامية.

ويظهر الشكل رقم(٦) الأقاليم الزراعية المميزة لمختلف مناطق العالم الإسلامي. ومن هذا الشكل يمكن رؤية أنواع متعددة من المناطق ذات الطابع الحضاري المميز والذي يضم أنشطة الزراعة والرعي معاً وذلك على النحو التالي:

أقاليم الزراعة المتنقلة البدائية: تمارس في بعض المناطق المحدودة الانتشار بالعالم الإسلامي نوع من الزراعة المتنقلة التي تظهر مدى ارتباط الإنسان بالملامح البيئية الطبيعية لبساطة احتياجاته وقدراته على حد سواء، حيث تقتصر الاحتياجات هنا على المأكل والملبس والمسكن. وتقوم الزراعة هنا على إحراق أجزاء من الغابة بهدف زراعتها بمحاصيل ذات طابع غذائي لعدد من السنوات، حيث تضعف خصوبة التربة، فيهجرها السكان إلى مناطق أخرى مجاورة يستصلحونها ويستغلونها بالطريقة السابقة نفسها مما يتيح الفرصة للنباتات الطبيعية للظهور مرة أخرى فوق الأرض المهجورة فتعود لها خصوبتها تدريجياً.

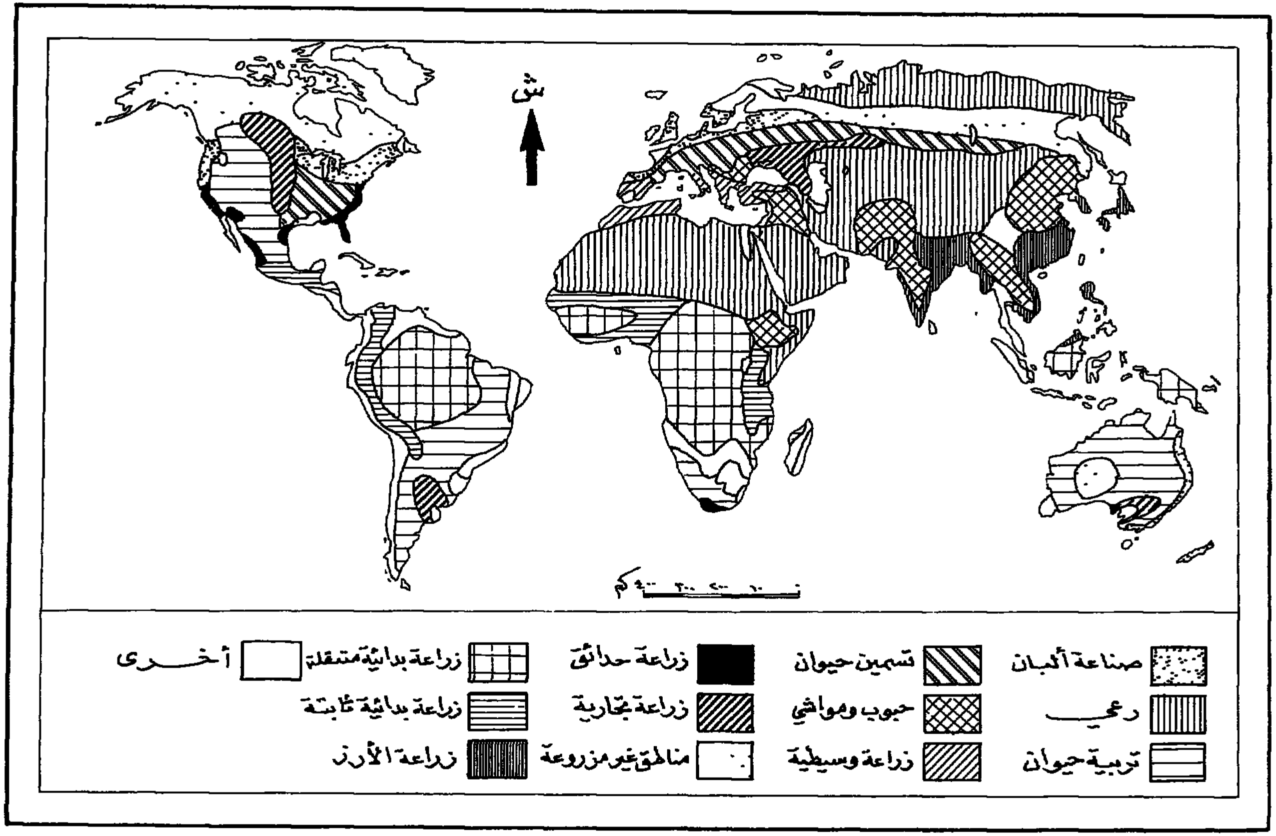
ويوجد هذا النوع من الزرعة البدائية المتنقلة في نطاقات متفرقة تتوزع على الجانبين الآسيوي والأفريقي من العالم الإسلامي، وإن كانت أكثر انتشاراً في الجانب الأفريقي، حيث توجد في بقع متناثرة تتوزع في الأقاليم المدارية الممتدة بين ساحل المحيط الأطلسي في الغرب وهضبة البحيرات في الشرق. وفي آسيا توجد في الأجزاء الداخلية من شبه جزيرة الملايو ونطاقات مبعثرة من جزر سلبيس وبورنيو وسومطرة في أندونيسيا.

وتتباين المحاصيل المزروعة في نطاقات الزراعة البدائية، غير أن كلها محاصيل غذائية تتراوح بين الأرز وبعض المحاصيل الدرنية في الجانب الآسيوي، والدخن والذرة واليام والكسافا والفول السوداني في الجانب الأفريقي. وقلما يعتمد السكان هنا على تربية الحيوان، بل يقومون بالاعتماد على الصيد البري من الغابة أو الصيد البحري البدائي من المناطق البحرية المجاورة. ومن الجدير بالذكر أن معظم النشاطات الزراعية تقع على عاتق النساء، بينما يتولى الرجال الصيد البري أو البحري لتأمين بعض الاحتياجات الضرورية.

إقليم الزراعة البدائية المستقرة: هناك نوع من الزراعة المدارية التقليدية يعرف باسم الزراعة البدائية المستقرة Rudimentary Sedentary Cultivation. ويوجد هذا النمط من الزراعة في المرتفعات والأودية الجبلية في المناطق المدارية وفي سهول بعض الأنهار. ويختلف هذا النوع من الزراعة عن الزراعة المتنقلة بأن المزارع والحقول ثابتة ودائمة. ويحتفظ المزارعون بقطعان من الثروة الحيوانية للمساعدة في توفير الاحتياجات الأساسية، غير أنهم يعتمدون على الزراعة بصورة رئيسة. ويندر عند هؤلاء الصيد البري أو البحري. وبالرغم من أن النساء لهن دور بارز في هذا النمط الزراعي، فإن الرجال وحدهم في الغالب هم الذين يقومون بهذه الخدمة.

وترتفع الكثافات السكانية لدى هؤلاء السكان إذا ما قورنت بالزراعة المتنقلة. والحضارة عند هؤلاء أكثر تقدماً وتعقيداً من سابقتها. وتقوم الزراعة هنا على محاصيل الذرة والدخن وعلى تربية بعض الأبقار والأغنام وبعض حيوانات الحمل. ويوجد هذا النمط الزراعي في بعض مناطق أفريقيا الإسلامية وخاصة في بعض مناطق الهضبة الاستوائية (تنزانيا، أوغندا) وفي المناطق الداخلية من أقطار خليج غينيا (نيجيريا، بنين، بوركينافاسو، ساحل العاج وسيراليون)، (انظر الشكل ٦).

وبتأثير الاستعمار دخلت مزروعات مهمة إلى هذه الأقاليم كان الغرض منها إنتاج محاصيل لا تتوافر في الدول المستعمرة، فظهرت أنماط من زراعة الحدائق Farm gardening لإنتاج الفول السوداني (أقطار غربي أفريقيا)، والكاكاو (نيجيريا)، والتوابل (جزيرة زنجبار في تنزانيا)، والبن (أوغندا وتنزانيا إضافة إلى اليمن وأثيوبيا).



شكل (٦) الأقاليم الزراعية في العالم

إقليم الزراعة الوسيطية: تشكل الأراضي المحيطة بالبحر المتوسط نمطاً زراعيا خاصًا مـن الزراعة المعاشيـة التي وجدت منذ أقدم عصـور التاريخ ، ولا يزال هذا النظام الزراعي سائداً إلى يومنا هذا. وتقوم الزراعـة في هذا الإقليم الحضاري على زراعة القمح والشعيـر في الفصول المطيرة وبجانبها زراعة الأشجـار المثمرة والفواكه (الزيتون، التين، العنب، الحمضيات) إلى جـانب الثروة الحيوانية المكونة من الأغنام والماعز وبعض الأبقار. وقد سـاعد استعمال الري على توسـيع النطاقات الزراعية، وزيادة محـاصيل الحـبوب (١٠٪ من الإنتاج العـالمي) والأشجـار المثمرة وخـاصة الحمضيات والفواكه.

ومن الجدير بالذكر أن المزارع فـي حوض البحر المتوسط وبخـاصة في الشرق الإسلامي لا يقوم بتربية الماشـية داخل المزرعة ليغذيها على محاصـيل يقوم بزراعتها خصيصاً لذلك، بل إن قطعان الماشية لها رحلة يومية إلى سفوح الجبال والمناطق غير المزروعة لتنال غذاءها للاحتفاظ بأكبر مساحة ممكنة من الأراضي الزراعية.

إن المناشط الثـلاثة التي يستـعملهـا الفلاح في حـوض المتوسط وهـي زراعة الحبوب والأشجار المثمرة وتربية الحيوان تقدم له كافة متطلبات الحياة، حيث يحصل على الطعـام والشراب واللباس. وقـد أوجد هذا لدى سكان هذه المناطـق نوعاً من الرفاه الاقتصادي مقارنة مع مناطق أخرى من العالم.

ومنذ منتصف القرن الـتاسع عشر الميلادي طرأت تغـيرات جوهرية على نظم الزراعة الـوسيطيـة في كثيـر من أقطار الشـرق الأوسط الإسلامـية، حيث قـامت زراعات تجارية هدفهـا الحصول على عوائد اقتصادية مجـزية. فقامت مزارع العنب في أقطار شـمالي أفريقـيا التي يصـدر معظم إنتـاجها إلى فـرنسا، كـذلك مزارع الحمضيات في بلاد الشام واستصلحت مساحات واسعة من الأراضي الجبلية وسفوح المنحدرات لزراعة الزيتـون في المغرب العربي والهلال الخصيب. ولم يعـد الكثيرون

من المزارعين يقومون بالأعمال الزراعية الوسيطية مجتمعة وهي: (زراعة الحبوب وزراعة الأشجار المثمرة وتربية الماشية) بل أصبح الكثير منهم يتخصص في جانب واحد يحقق له دخلاً أعلى مما لو جمع بين هذه الأنماط معاً، وقد توسع هذا النمط الزراعي الجديد الذي دخل إلى الأراضي الصحراوية وشبه الصحراوية، حيث نجد أن هذا النمط الزراعي أخذ يغزو الكثير من مناطق السعودية والأردن والمناطق الهامشية الجنوبية من أقطار المغرب العربي ومصر، وخاصة في المناطق التي يتوافر فيها الماء الجوفي، حيث أقيمت مزارع حديثة متخصصة في إنتاج الحبوب والخضراوات والفواكه والزيتون على أسس علمية بهدف تجاري وتصديري. ويحتل العالم الإسلامي المرتبة الأولى في إنتاج العنب والزيتون والحمضيات الذي يأتي معظمه من أقطار هذا الإقليم (تركيا وأقطار المغرب العربي وبلاد الشام).

إقليم زراعة الأرز: إن المناطق الرطبة من القارة الآسيوية قد طورت نوعاً من النشاط الزراعي يقوم على زراعة الأرز. وهذا النطاق يشمل في آسيا الأقاليم الممتدة من السواحل الموسمية في شبه القارة الهندية إلى التلال الجنوبية الشرقية من بلاد الصين والمناطق الدافئة من اليابان. ويقع جزء من هذا النطاق الزراعي ضمن الأراضي الإسلامية في بنغلاديش وبعض مناطق باكستان وإندونيسيا. ومعظم الزراعة تقوم على السهول الفيضية أو على المدرجات الجبلية.

تتصف الزراعة هنا بأنها من النوع الكثيف حيث المزارع محدودة المساحة لاتزيد في الغالب مساحة المزرعة الواحدة عن ثلاثة أفدنة، وغالباً ماتقوم الزراعة على أكتاف الأسرة. ويعتمد المزارع على تعدد دورات المحصول، حيث تزرع الأرض عدة مرات، وذلك لضمان الحصول على أكبر إنتاج. كما يعتمد المزارع على الأسمدة الطبيعية لزيادة إنتاج الأرض. وفي السنوات الأخيرة طرأ تحسن على كمية الإنتاج نظراً لتطوير وتحسين البذور الخاصة بزراعة الأرز في هذه المنطقة بحيث أصبح إنتاج العالم الإسلامي من الأرز يوازي ١٨٪ من إجمالي إنتاج العالم.

تقوم بين ثنايا حقول الأرز الممتدة في هذا الإقليم لآلاف الكيلومترات بعض المحاصيل التجارية التي اكتسبت شهرة عالمية، وذلك مثل المطاط الذي تنتج الأقطار الإسلامية منه أكثر من ٥٣٪ من الإنتاج العالمي وتتركز زراعته في إندونيسيا وماليزيا التي تحوي أيضاً جوز الهند (٣٠٪ من الإنتاج العالمي) وكذلك نخيل الزيت (٨١٪ من الإنتاج العالمي) والقطن الذي يزرع بكثرة في هذا الإقليم ومختلف الأقاليم الأخرى، ويبلغ حجم المنتج منه في العالم الإسلامي أكثر من ٦٧٪ من جملة الإنتاج العالمي. والجوت الذي تسهم بنغلادش وحدها بـ٨٩٪ من كميته المطروحة في الأسواق العالمية. وكذلك قصب السكر الذي تسهم كل من باكستان وإندونيسيا إضافة إلى مصر بأكثر من ٧٪ من الإنتاج العالمي. وأخيراً الشاي الذي تحتل إندونيسيا المرتبة الرابعة في إنتاجه عالمياً بعد كل من سريلانكا، والهند، والصين وتنتج منه مايقرب من ٧٪ من جملة الإنتاج العالمي.

وبجانب الزراعات السابقة تربي معظم أقطار هذا الإقليم الأبقار والأغنام وكذلك الدواجن ويقوم الناس بامتهان حرفة الصيد البحري من المناطق البحرية المجاورة.

أقاليم الرعي: يعتبر الرعي من الحرف الواسعة الانتشار في العالم الإسلامي، حيث تحتل المراعي الطبيعية مايقرب من خمس مساحة العالم الإسلامي (٢١٪). وتنتشر هذه المراعي في الأقاليم الشمالية على هيئة مراعٍ معتدلة، حيث تنمو حشائش الاستبس في جهات واسعة من وسط آسيا الإسلامية وغربيها إضافة إلى المناطق الشمالية من قارة أفريقيا. أما في المناطق الجنوبية فتنمو حشائش السافنا المدارية حيث المراعي الحارة التي تنتشر فوق مساحات واسعة من أفريقيا الإسلامية. وهناك المراعي الصحراوية التي تنتشر في المناطق الوسطى من العالم الإسلامي وتفصل بين المراعي المعتدلة في الشمال والمراعي الحارة في الجنوب وهي أكثر فقراً وأقل تنوعاً وترتبط بالمناطق الصحراوية حيث تعيش الجماعات البدوية المتنقلة (انظر شكل ٦).

وتختلف حيوانات الرعي بين منطقة وأخرى. ففي مناطق السافنا وأطراف المنطقة الاستوائية والبقاع المستنقعية تكثر الأبقار والجواميس وتكون قيمتها كمظهر اجتماعي أكثر من قيمتها الاقتصادية كما هو الحال في السودان. ومن الجدير بالذكر أن معظم قطيع العالم الإسلامي من الأبقار لا يأتي من هذه المناطق الرعوية بل يأتي من مناطق زراعة الأرز مثل باكستان وبنغلادش إضافة إلى تركيا وقازاقستان.

أما في مناطق الاستبس وأطراف البوادي وعلى هامش السافنا فتكثر الأغنام والماعز. ويعيش معظمها على نطاق واسع في تركيا وقازاقستان وإيران وأفغانستان. وتكثر في البلاد العربية في المغرب والعراق والسودان. وتحوي تركيا وقازاقستان وإيران أكثر من نصف قطيع الأغنام والماعز الموجودة في كافة بقاع العالم الإسلامي.

أما الإبل فموطنها صحاري العالم الإسلامي، لذا تكثر في الصومال وتشاد والسودان والسعودية.

إن حرفة الرعي البدوي المتنقل في تضاؤل مستمر. فقد أقرت الحكومات سياسات خاصة بتوطين هؤلاء منذ أيام الاستعمار الفرنسي والبريطاني في مناطق شمالي أفريقيا وجنوب شرقي آسيا. وقد مارس الاتحاد السوفيتي السابق ضغطاً كبيراً على سكان وسط آسيا الإسلامية لحملهم على الاستقرار والتوطن.

وبجانب التوطين المخطط هناك التوطين والاستقرار التلقائي، حيث يهجر هؤلاء حرفة الرعي للعمل في المدن وبخاصة في مناطق إنتاج البترول في آسيا وأفريقيا. وقد لعبت الظروف الطبيعية السيئة مثل الجفاف وانحباس الأمطار دوراً كبيراً في هلاك الثروة الحيوانية، الأمر الذي أجبر عدداً كبيراً من هؤلاء على التوطن والاستقرار.

إذا نظرنا إلى المناطق السابقة نجد أن الزراعة وتربية الحيوان هي التي طبعت كلا منها بطابع مميز. ويظهر هذا الطابع في استعمالات الأرض المختلفة في كل إقليم من الأقاليم السابقة. وإذا أخذنا اختلاف العوامل البيئية لكل إقليم بعين

الاعتبار، وجدنا أنه داخل هذا الإطار المكاني الذي نطلق عليه العالم الإسلامي أطر حضارية متعددة لعبت الزراعة بأنواعها المختلفة وحاصلاتها المتباينة وأنماطها المتعددة دوراً كبيراً في تشكيلها.

الصناعة والأنماط الحضارية المرتبطة بها:

إذا حاولنا دراسة الأقاليم الصناعية في العالم الإسلامي كما فعلنا عند دراستنا للأقاليم الزراعية ذات الطابع الحضاري فلن يكون التوفيق حليفنا لأن الصناعة لاتشكل نطاقات جغرافية مميزة كالزراعة، بل تحتل في عالمنا الإسلامي نقاطاً مبعثرة لاتشكل في مجموعها إقليماً موحَّداً. وحتى في داخل البلد الواحد نجد أن المناطق الصناعية تنتشر على هيئة نقاط متباعدة. وكلما تتقارب هذه النقاط لتشكل إقليمًا واحدًا كالأقاليم الصناعية في أوروبا وأمريكا واليابان. ولذلك من الصعب أن نتحدث في العالم الإسلامي عن مناطق صناعية، لها سمات حضارية مميزة، كالتي تحدثنا عنها عند دراستنا للزراعة. وقد يكون الحديث عن بؤرات صناعية بدلاً من أقاليم أو مناطق صناعية أكثر توفيقاً. وسنحاول دراسة الصناعة في العالم الإسلامي من وجهة نظر حضارية، وبعبارة أخرى الوجه الحضاري للصناعة في عالمنا الإسلامي. إن المظهر الحضاري للبشرية في الوقت الحالي يرتبط بالصناعة وما ينجم عنها من خدمات ومنتجات. وتظهر الفروق الحضارية الواسعة بين الأقطار الصناعية وغير الصناعية كما تظهر في الاختلافات الواسعة في أنواع الصناعات المنتشرة، وفي نظام المواصلات، وفي التغيرات التي تحدثها الصناعة في مظاهر البيئة ومظاهر الحياة المختلفة.

تنقسم الصناعة إلى ثلاث مراتب هي:

١ـ الصناعات الأولية: وهي التي ترتبط باستخراج المواد الطبيعية من الأرض ولذلك تعرف أحيانا باسم الصناعات الاستخراجية، وتشمل قطع الأخشاب، وصيد الأسماك، والتعدين وبعضهم يرى أن الزراعة أيضاً تدخل هذا المسمى.

٢ـ الصناعات الثانوية: وتعرف باسم التصنيع أو الصناعات التحويلية وهي تحويل المواد الأولية وتطويرها إلى خامات مصنعة صالحة للاستعمال. فالحديد الخام يتحول من خلال التصنيع إلى فولاذ، والأسماك المصادة تدخل عالم الحفظ والتعليب، وأخشاب الغابة تتحول إلى مواد صالحة لصناعة الأثاث أو لبناء البيوت والمصانع.

٣ـ النشاطات الصناعية من الدرجة الثالثة: وهي لاتشمل الصناعات الاستخراجية ولا الصناعات التحويلية بل تشمل توزيع المنتجات والخدمات. ولهذا فهي ترتبط بأمور البنوك والخدمات المالية والأعمال الثقافية والصحية والخدمات الحكومية ورجال الأعمال وخدمات النقل والاتصالات وغير ذلك من الأمور الخدمية.

ومن الجدير بالذكر أنه يجب أن ينظر إلى هذه النشاطات الاقتصادية سواء أكانت صناعية أولية أو ثانوية أو نشاطات ثالثة على أنها وحدة متكاملة ومترابطة، ويؤثر كل منها بالآخر ويتأثر به لكننا سنركز حديثنا على النوعين الأولين فقط وذلك على النحو التالي:

أولاً: الصناعات الأولية:

تقوم الصناعات الأولية على استخراج الموارد الطبيعية المتجددة وغير المتجددة، فالموارد المتجددة تشمل قطع الغابة والصيد البحري. أما الموارد غير المتجددة فتقوم على استخراج المعادن ومصادر الطاقة التي تنتهي باستخراجها من الأرض.

تنتشر الصناعات الأولية في معظم الأقطار الإسلامية بصورة أو بأخرى، ويختلف حجمها وطريقة استغلالها على مدى تقدم الدولة التي تحوي هذه المادة من جهة، وعلى الحاجة العالمية لهذه المادة من جهة أخرى وعلى تكلفة المواصلات اللازمة لنقلها نحو مناطق التصنيع أو التصدير من جهة ثالثة.

ويمكن أن نميز في عـالمنا الإسلامي مناطق لقطع الأخـشاب، وأخرى لصـيد الأسمـاك، وثالثة لاستـخراج المعـادن والطاقة. وسنطلق على هذه البـؤرات تجاوزاً تعبيـر مناطق أو أقاليم نظراً لتشتتـها في التوزيع وعدم تكوينها نطاقـات ممتدة ومميزة كما يلي:

(أ) مناطق قطع الأخـشاب: إن تنوع المنـاخ في العالم الإسـلامي أعطى الفرصـة لانتشار الغابات وتنوعها. فهناك الغابات المدارية الحارة ذات الأخشاب الصلبة في الأقاليم الجنوبية، بينما تنتشر الـغابات المعتدلة في الأقاليم الوسطى حيث الغابات الوسيطية والغابات النفضيـة، وتمتد الغابات المخروطية ذات الأخشاب اللينة في الأقاليم الشمالية والنطاقات الجبلية العالية من العالم الإسلامي.

ومعظم إنتاج الأخشاب في العالم الإسلامي يأتي من الأقاليم المدارية الجنوبية وخاصة من إندونيسيا وماليزيا في آسيا ونيجيريا وغينيا وأفريقيا الوسطى وتنزانيا في أفريقـيا. وتمتاز الأخشـاب الآسيوية في إندونيـسيا ومالـيزيا بإنتاج أخشـاب الساج (التك) الصلبة التي تتميز باحتوائها علـى نسبة عالية من الزيوت التي تعطيها القدرة على مقاومـة المياه المالحة ومقاومة العـفونة والبلل ومقاومة الحشـرات وخاصة النمل الأبيض لذلك تستخدم في صناعة بناء السفن وفي دعامات أنفاق المناجم.

أما الأخشاب الأفريقـية التي تنتجها نيجيريا وغينيـا وأفريقيا الوسطى وتنزانيا والسودان فمـعظمها من نوع الأبنوس المهوجني الصلبـة الغالية الثمن وتسـتعمل في إنتاج الأثاث الخشـبي الممتاز، والغابات المعتـدلة في الأقاليم الشمالية يتـركز القسم الأعظم منها على المرتفعـات خاصة في تركيا وإيران وبلاد الشـام والمغرب العربي. والأخشاب هنا خفيـفة وسهلة التشكيل لذلك يستخدم مـعظمها في صناعة صناديق التعبئة المختلفة بالإضافة إلى الأغراض الأخرى.

(ب) مناطق صيد الأسماك: يمتاز العالم الإسلامي بوجود سواحل بحرية طويلة على المحيط الأطلسي والهادي والهندي، وكذلك سواحل البحار الكبرى مثل البحر المتوسط والبحر الأحمر والخليج العربي والبحر الأسود وآرال وقزوين إضافة إلى مياه الأنهار والبحيرات التي تنتشر في ربوع العالم الإسلامي.

غير أنه على الرغم من طول هذه السواحل وتعدد البحار المحيطة بها وكثرة المياه الداخلية إلا أن إنتاج العالم الإسلامي محدود لايتجاوز ٧٪ من الإنتاج العالمي. ولعل ضيق الرصيف القاري لكثير من البلاد الإسلامية، إضافة إلى ارتفاع درجة حرارة المسطحات المائية، واقتران ذلك كله بالأساليب البدائية في الصيد، جعل إنتاج العالم الإسلامي محدوداً في هذا المجال. وأكثر مناطق الصيد البحري انتاجاً هي إندونيسيا وبنغلادش وماليزيا ثم المغرب ونيجيريا وباكستان ومصر.

(جـ) مناطق التعدين: تتنوع المعادن المستخرجة من أراضي العالم الإسلامي تبعاً لتنوع التكوين الصخري والتركيب الجيولوجي وعوامل التعرية والحركات التكونية التي أصابت القشرة الأرضية. وكل هذه العوامل لعبت دوراً بارزاً في اختلاف نوعية وطبيعة الموارد المعدنية الموجودة في أراضي العالم الإسلامي.

أهم الثروات المعدنية في العالم الإسلامي. هو البترول المصدر الرئيس للطاقة في العالم ويوجد البترول في أربع مناطق متفرقة في العالم الإسلامي هي:

١ـ منطقة الخليج العربي في إيران والأقطار العربية المطلة على الخليج العربي (العراق، الكويت، السعودية، قطر، البحرين، الإمارات، عُمان).

٢ـ منطقة أطراف الصحراء الكبرى في أفريقيا حيث توجد أحواض الجزائر وليبيا ومصر وسواحل خليج غينيا ونيجيريا.

٣ـ منطقة بحر قزوين حيث توجد أحواض باكو في أذربيجان وغروزني في بلاد الشاشان، وفي قاراقستان وتركمانستان.

٤ـ منطقة الشرق الأقصى في إندونيسيا وماليزيا.

ويبلغ إنتاج الأقطار الإسلامية مايقرب من ٦٠٪ من الإنتاج العالمي، كما يبلغ الاحتياطي مايزيد عن ٨٠٪ من اجمالي احتياطي العالم (شاكر: ١٤٠٣هـ، ص ص١٢٦- ١٢٧). وتتصدر السعودية الإنتاج في العالم الإسلامي، تليها إيران ثم الكويت وليبيا ونيجيريا والجزائر وباقي الأقطار الأخرى.

وبجانب البترول هناك الغاز الطبيعي الذي تتركز حقوله في الدول العربية التي تنتج وحدها قرابة ٥٠٪ من الإنتاج العالمي. وتتصدر الجزائر والسعودية قائمة الدول المنتجة للغاز. أما خارج الدول العربية فهناك أوزبكستان وتركمانستان اللتان تحويان كميات لابأس بها من الغاز.

أما المعادن ومصادر الطاقة الأخرى فهي محدودة نسبياً، حيث ينتج العالم الإسلامي أقل من ٣٪ من الإنتاج العالمي من الفحم، والذي يأتي معظمه من أقطار وسط آسيا الإسلامية (قازاقستان، وأوزبكستان، وقرغيزيا). إضافة إلى تركيا. وكذلك ٣٪ من الحديد الخام ويأتي من قازاقستان وموريتانيا وتركيا وبلاد المغرب العربي (الجزائر، المغرب، تونس) ومصر. وهناك النحاس الذي يكون ٤٪ من الإنتاج العالمي، ويستخرج من ماليزيا وتركيا والمغرب. وبجانب المعادن السابقة هناك معادن لها أهميتها على المستوى العالمي منها المغنزيوم الذي ينتج العالم الإسلامي منه قرابة ٢٤٪ من الإنتاج العالمي، ويأتي معظم الإنتاج من المغرب ومصر وأذربيجان وكذلك معدن الكروم ويسهم العالم الإسلامي بـ٤٠٪ من إنتاجه العالمي ويأتي من تركيا، والبانيا، وقازاقستان وإيران وتسهم تركيا وحدها بما يزيد عن خُمس الإنتاج العالمي من هذا المعدن. ويمثل القصدير ثروة مهمة على مستوى العالم الإسلامي حيث ينتج العالم الإسلامي قرابة ٤٦٪ من جملة الإنتاج العالمي، يأتي قرابة ٦٠٪ منها من دولة ماليزيا والباقي يأتي من إندونيسيا ونيجيريا. أما البوكسيت (الألمونيوم) فبالرغم من توزيعه الجغرافي المحدود في العالم الإسلامي حيث يوجد في أقطار وسط آسيا الإسلامية (قازاقستان وأذربيجان) وفي غينيا فإن المنتج منه يقارب ٢٠٪ من الإنتاج العالمي.

ثانياً: الصناعات التحويلية:

تمارس الدول الإسلامية الصناعات التحويلية على مستويات متباينة ويرجع ذلك إلى عوامل كثيرة أهمها مدى توافر الموارد اللازمة للصناعات، وكذلك وجود الكوادر الفنية الوطنية، ووجود الرساميل، والغرض من الإنتاج: هل هو لسد احتياجات السوق أم لأغراض التصدير؟

وجل الصناعات التحويلية التي تقوم في العالم الإسلامي بسيطة تعتمد على الموارد الخام المتوافرة في أقاليمه المختلفة. وهي عادة تخصص للاستهلاك المحلي، وقلما يصدر منها إلا القليل، وهذا شأن أكثر الصناعات الغذائية، كالسكر والزيوت والمعلبات وحلج القطن وغزله وطحن الحبوب وقطع الأخشاب ودبغ الجلود وصبغها وانتاج الصوف وغزله. وهذه الصناعات واسعة الانتشار وتوجد في معظم الأقاليم الزراعية في العالم الإسلامي.

وفي الجانب المعدي تقوم صناعات تعتمد على تركيز المعادن بعد استخلاصها من خاماتها قبل تصديرها إلى الأسواق الخارجية، وذلك مثل صناعة تركيز النحاس والقصدير والزنك وفصل الشوائب من معدن البوكسيت وغيرها وتكرير قسم من النفط الذي سيستخدم محلياً.

أما الصناعات الحديثة والمتطورة، فتتمثل في معامل تشكيل الحديد والصلب، ومعامل تصنيع الألمونيوم وبعض الصناعات الحربية الخفيفة، والعديد من الصناعات الكيماوية (الأدوية، الأسمنت، الأسمدة، الإسفنج والصابون). وتنتشر في معظم الأقطار الإسلامية ظاهرة الصناعة التجميعية، حيث تستورد معظم القطع الرئيسة وتصنع القطع الثانوية محلياً وتستفيد الدولة بذلك من تشغيل الأيدي العاملة الوطنية. وتشجع الدول الغربية هذا النوع من الصناعات للاستفادة من رخص الأيدي العاملة المحلية، وفتح أسواق جديدة لصناعاتها، واحراز نفوذ قوي داخل هذه الدول، ومنع منافسة دول أخرى لها في هذا المجال. ومن ذلك صناعة السيارات باختلاف أنواعها، والآلات الزراعية، والأجهزة الكهربائية والإلكترونية.

بعد استعراض أهم المجالات الصناعية في العالم الإسلامي لابد من أن نطرح سؤالاً مهماً وهو مامدى تأثير الصناعة على الطابع الحضاري للعالم الإسلامي؟ وأين برز تأثير الصناعة في النواحي الحضارية؟ وهذا سوف ينقلنا إلى دراسة الآثار الحضارية والبيئة للصناعة.

الآثار الحضارية والبيئية للصناعة:

ذكرنا آنفاً أنه لايوجد في العالم الإسلامي أقاليم صناعية كالأقاليم الصناعية في أوروبا أو أقاليم الصناعة بشرقي الولايات المتحدة أو المناطق الصناعية في اليابان. والموجود في العالم الإسلامي هو صناعات ثانوية ناشئة وحديثة. وقد بدأت هذه المصانع كبؤرات إنتاج أولي للمواد اللازمة للدول الصناعية، ثم تطورت في محاولة لتطوير قدرات صناعية لتحويل بعض المواد الخام التي كانت ولاتزال تزود بها الدول الصناعية لتستردها مصنعة بأسعار باهضة. ويمكن أن تكون تركيا وإيران ومصر وإندونيسيا وماليزيا وأقطار آسيا الوسطى التي كانت تحت الحكم السوفيتي أمثلة لتلك الأقطار التي بدأ عالم الصناعة يأخذ طريقه إليها. ولقد نجحت بعض الأقطار المصدرة للنفط في تبني سياسة تصنيع ناجحة كالسعودية وإيران، واستفادت من وجود النفط ومن عوائده، فأقامت مشاريع صناعية حديثة لتطوير العديد من الصناعات الثقيلة والخفيفة على حد سواء.

غير أن الغالبية العظمى من أقطار أفريقيا الإسلامية وبعض دول آسيا ليس لديها المقومات التي تدعم وجود التصنيع. وإذا استثنينا الصناعات الاستخراجية أو الصناعات القائمة على الموارد الزراعية الأولية نجد أن قلة الموارد الطبيعية مضافاً إليها عدم وجود الرساميل الكافية، وعدم وجود الخبرات الفنية، وطرق المواصلات الجيدة. كل هذه العوامل تقف حائلاً دون تطور هذه الأقطار في المجالات الصناعية المختلفة في المستقبل المنظور على الأقل.

إن الصناعة في الدول الإسلامية، وكذلك الصناعة في الدول النامية عموماً توطنت في المدن وإذا كان من غير الممكن الحديث عن أقاليم صناعية فإن من الأهمية بمكان الحديث عن مدن صناعية كانت بؤرة للنشاط الصناعي في مختلف دول العالم الإسلامي. فعلى سبيل المثال لايوجد في مصر إقليم صناعي مميز، ولكن يمكن الحديث عن مدن القاهرة وضواحيها والإسكندرية والسويس كمدن صناعية ذات شهرة فائقة وعراقة في مجال الصناعة. وبالمثل يمكن القول أن أسطنبول وأنقرة وأزمير هى مدن صناعية مهمة، وكذلك الرياض، وجدة والجبيل في السعودية، وحلب ودمشق في سوريا، وبغداد والبصرة في العراق، والماآتا، وكراجندا، وبلكاش في قازاقستان وبخارى وسمرقند وطشقند في أوزبكستان إلى غير ذلك.

إن الموقع الصناعي يتأثر بالعديد من المعطيات البيئية والبشرية والاقتصادية. ومعظم هذه المعطيات والمستلزمات توفرها المدن، لذا فإن المدن هي بؤرات الصناعة، وحتى إذا وجدت نطاقات التصنيع في مناطق ريفية فإنها تتحول بمرور الزمن إلى مدن. وأقرب الأمثلة على ذلك أن الدمام كان ميناء صيد صغير في بداية هذا القرن الميلادي، وما أن اكتشف النفط حتى أصبح نواة لمدينة ضخمة اتصلت مع ضواحي أخرى مثل الخبر والظهران لتشكل مجمعاً حضرياً يزيد عدد سكانه عن المليون وربع المليون نسمة، ولهذا فالمدن تنشئ الصناعة، والصناعة تنشئ بدورها المدن.

لقد أحدثت الصناعة الكثير من التغيرات المهمة التي لها دور حضاري بارز مثل زيادة التجارة الدولية والإقليمية، وزيادة الاتصال الثقافي، وتغيير أنماط العمل والاستخدام، والهجرة من الأرياف إلى المدن، وخروج المرأة إلى ميدان العمل، واختفاء ظاهرة تشغيل الأطفال نظراً لالتحاق معظمهم بالمدارس، وزيادة معدلات النمو السكاني، والحكة السكانية والتنقل بين المناطق المختلفة داخل الأقاليم (الهجرة الداخلية) وانخفاض حجم الأسرة، وانقراض الأسرة الممتدة كنمط حياة، وزيادة

فرص التعليم لمتوسطي الدخل وحتى الفقراء، وزيادة تأثير الحكومات المحلية. ومعظم هذه التغيرات تحدث في المدن وتتأثر بالصناعة. ولذا نجد أحياناً بعض الصعوبات في تحديد المؤثر هل هو الصناعة أم هو المدن أم هو جماع أمرهما معاً.

وربما التغير المهم والملموس الذي حصل نتيجة التطور الصناعي هو طرق الحصول على الدخل. فمع وجود الصناعة تزداد نسبة العاملين في الصناعات الاستخراجية، الأمر الذي ينجم عنه ثروة كبيرة للبلد، مما يؤدي إلى زيادة الخدمات أو النشاطات الصناعية الثالثة، وهذا بدوره يفتح أبواباً جديدة وفرصاً جديدة للعمل. وبالمقابل سينخفض العمل في المجالات الزراعية والرعوية وبالتالي سيقضي ذلك على البطالة المقنعة الموجودة في المجالات الزراعية.

والقاعدة العامة أن الشعوب تتجنب دائما وتحرص على عدم تغيير أنماط حياتها الحضارية، إلا إذا كان هناك منافع يمكن الحصول عليها من جراء هذا التغيير. وقد حققت الثورة الصناعية الكثير من المنافع التي دفعت بالكثير من الشعوب لتغيير مناحي حياتها الحضارية وتبني جوانب حضارية جديدة تتلاءم وظروف الحياة الاقتصادية التي فرضتها الثورة الصناعية (Jordan & Rowntree, 1976: p. 352).

من أبرز آثار التصنيع زيادة حجم المبادلات التجارية الإقليمية سواء بين الدول الإسلامية أو بين الدول الإسلامية وغيرها، لأن الصناعة بطبيعتها تؤدي إلى التجارة والتبادل التجاري، فبعض الأقطار تعتمد على الموارد الخام الموجودة لدى أقطار أخرى، والبعض الآخر يعتمد على العمالة الوافدة من مناطق أخرى، ومعظم الصناعات تعتمد على الأسواق الخارجية. ومثل هذه الاتصالات التجارية بين الشعوب ذات الثقافات المتبادلة، والأنماط الاجتماعية المختلفة، ستزيد بطبيعة الحال من سرعة الانتشار الحضاري وتكسر الحواجز القائمة بين الحضارات المختلفة، وتقرب عادات الشعوب من بعضها البعض. وقد يكون هذا السلاح ذا حدين، فقد

يزيد العداوة بين الشعوب إذا حدث خلاف ما حول استيراد المواد الأولية أو حول أسواق التصريف، أو حول رفع أسعار المواد الخام أو المواد المصنعة دون التنسيق بين الدول المشاركة. فعلى سبيل المثال زاد استياء الغرب عموماً عندما قطع العرب النفط عنهم إبان الحرب العربية الإسرائيلية في السبعينات الميلادية.

الآثار الجانبية على البيئة والمحيط العمراني: اللاندسكيب أو المظهر الصناعي هو جزء من حياتنا اليومية. وهذا المظهر ليس مصمماً للجمال، ولا تبدو فيه الآثار الفنية الجميلة، بقدر ما هو مصمم من أجل الاستخدام. حتى أن البعض يرى أن المظهر الصناعي هو مظهر بشع.

إن كل مرحلة من مراحل التصنيع تنتج نمطاً معيناً من اللاندسكيب أو المظهر الأرضي. فالصناعات الاستخراجية لها دور كبير على سطح الأرض، وغالباً مايكون هذا الدور مشوِّهاً للبيئة الطبيعية التي خلقها الله، حيث نجد أنفاق التعدين وأكوام الصخور والمعادن والحفر التي يجري فيها الاستغلال والآلات التي تنفث الدخان وتسبب الضجيج.

وإذا كانت الصناعة تحويلية يكون اللاندسكيب من طراز آخر. وغالباً مايكون هذا الطراز على شكل مصانع كبيرة تضم العديد من المباني، التي يخصص جزء منها للآلات، والآخر للتخزين، وثالث للسكن. وكلها مصممة بطريقة تحقق أكبر قدر من الفائدة والاستخدام دون مراعاة للنواحي الجمالية في أغلب الأحوال.

وفي الجانب الآخر نرى إدارات هذه المصانع في المدن تقوم في أعلى العمارات العالية ذات الذوق الجمالي في التصميم والفن المعماري. ونجد البنوك التي تمول هذه الصناعات تقع في أرقى الأحياء ونرى أصحاب هذه المصانع يعيشون في ضواحي خاصة تجمع بين مناظر الطبيعة الخلابة وأرقى النظم المعمارية في طراز البيوت والمساكن والطرقات والخدمات العامة والمناشط الترفيهية المتنوعة من حدائق ومسابح وملاعب وغيرها.

وعلى العموم لقد تنبه الناس إلى الآثار البيئية غير الحميدة التي تجلبها الصناعة. وإذا كان من غير الممكن الآن تصحيح الأخطاء البيئية في البيئات الصناعية القديمة فإن التخطيط للمصانع الحديثة يأخذ بعين الاعتبار جميع الأخطاء السابقة لتداركها بحيث تبدو البيئة الصناعية أكثر جمالاً وراحة مما كانت عليه في السابق.

دور الدين في تفسير الواقع الاقتصادي في العالم الإسلامي:

تلعب الأديان عموماً دوراً بارزاً في تفسير وجود انتشار بعض الظواهر الاقتصادية والاجتماعية. كما يبرز تأثيرها في منع وتحديد بعض الظاهرات الأخرى، باعتبار الأديان منظمة لقواعد السلوك البشري. ويبرز تأثير الدين الإسلامي واضحا في الأقطار الإسلامية جميعا في المناشط الزراعية والصناعية والتجارية، نظراص للتعاليم الدينية التي تحدد قواعد الملكية، وقواعد استغلال الأرض وشروط التعامل المشروع وغير المشروع، وقواعد تنظيم العمل والإنتاج والاستهلاك، وغير ذلك من الأمور التي توثر بصورة مباشرة أو غير مباشرة في كافة مناحي الحياة، ومنها الظروف الاقتصادية.

يقوم النظام الإسلامي في الاقتصاد على عدة اعتبارات منها:

١ـ الإنسان مستخلف والأرض مسخرة له ليقوم بواجب الاستخلاف:

الإنسان مستخلف في هذه الأرض لعمارتها، واستثمار خيراتها، وأن هذا الاستخلاف عام لكل بني البشر لا تختص به جماعة دون أخرى. وبالمقابل فالأرض مسخرة للإنسان ومذللة له ليقوم بواجب الاستخلاف.

فقد أرشد الإسلام إلى وفرة الموارد الطبيعية، وإمكانية الإفادة منها بلا حدود في خدمة الأهداف الإنسانية المختلفة. فقد بين لنا أن الله سخر الكون كله للناس. وبينت تعاليم الإسلام، إلغاء الاستحالة والعجز والكسل من السلوك الإنساني، وما يستدعيه ذلك من البحث في أسرار الكون والإفادة منها في تقدم المجتمعات

البشرية. يقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِش﴾ [الأعراف. ١٠]. ويقول أيضاً: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ٢٩]. ويقول جل شأنه: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ﴾ [الملك. ١٥]، ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان ٢٠]، ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ﴾ [النحل ١٤].

نخلص إلى القول أن الله سخر الكون كله من أرض وبحار وأنهار وسماء وغيرها للإنسان ومنَّ عليه بذلك. وليس لهذا التسخيرة ميزة، ولا داعي لهذا المن، إن كانت هذه الأكوان الفسيحة غير مفيدة للإنسان، وليس له منها حظ إلا نسبة من اليابسة يعيش عليها ويقيم عليها نشاطه الاقتصادي والاجتماعي. هذا التسخير يعني أن في إمكان الإنسان الإفادة من هذه الأكوان والعوالم، وأن إفادته منها على قدر سعيه لاستخدامها. فإذا عجزت وسائله المتاحة، عليه أن يعمل على اكتشاف أدوات ووسائل جديدة تعينه على هذا الاستخدام. فليست مشكلة الإنسان الاقتصادية إذاً في ندرة الموارد وعدم تحقيقها لحاجاته المتعددة والمتجددة كما هو الحال في الفكر الرأسمالي، أو مشكلة التناقض بين شكل الإنتاج وعلاقات التوازن كما في الفكر الاشتراكي، إذ إن الإسلام ينظر إلى المشكلة الاقتصادية على أنها قصور في الوسائل المتاحة للإنسان في تسخير الموارد الممكن له استخدامها والإفادة منها في إشباع حاجاته وتطوير طاقاته، علاوة على كسل الإنسان وتجاوزه الحد في تقدير احتياجاته (عفر: ١٤٠٠هـ، ص ص٨٢- ٨٦).

٢ ـ واجب السعي والعمل:

من لزوم الاستخلاف فرض الله العمل على الإنسان. وفي العمل امتثال لأمر الله. والقصور عن طلب الرزق أمر منهي عنه . وطلب الرزق ليس غاية في ذاته، وإنما هو وسيلة يستطيع الإنسان من خلالها أن يؤدي واجبه، كما أن فطرة الإنسان

تتطلب العــمل والإنتاج. والدولة مســؤولة عن عمل الناس ومنعــهم من التكاسل، وبالمقـابل إيجـاد فـرص عــمل لهم إن عجزوا عــن توفير ذلك (شــاكر: ١٤٠٣هـ، ص ص٩٧- ٩٨).

ويشترط الإسلام للعمل اشتــراطات تنبع من النظرية الإسلامية الشاملة للبناء الاجتماعي، بحيث لايكون العمل محرماً وفق الأصول الإسلامية، وليس فيه ضرر للناس كالاحتكار والغش والربا، ولـيس فيه شغل عن العبادة. وبهـذا يتسق العمل مع متطلبات العقيدة وحاجات المجتمع.

وغاية الـعمل الاستـغناء عن الناس، ونفع الأمـة المسلمة بخـاصة والبـشرية بعامة، والإفادة مما أباح الله من طيبات الرزق.

وإذا كان الناس جـميعاً متـساويين في الحقوق والواجـبات، إلا أن إمكاناتهم تختلف من فرد لآخر. وقدراتهم تتبـاين بين إنسان وآخر. ولذا فإن أجورهم تفترق وتختلف. وحسب قدرة المرء ينال أجره. وليس العمال في الإسلام طبقة خاصة من المجتمع، وإنما جزء منه، لأنه ليس في الإسلام طبقات. فالمجتمع بكامله يتألف من تعاون العــاملين فيه. وكل من في المجـتمع الإسلامي عــامل ومستخلف (شــاكر: ١٤٠٣هـ، ص ص٩٨- ٩٩).

٣- قواعـد التملـك:

(أ) **الملكيـة الفردية:** يقوم نظام الإســلام الاقتصــادي على أساس حـرية التملك، وحرية النشاط الاقـتصادي، الذي يمارسه الفرد في العــمل والإنتاج، شريطة التوافق بين مصــلحة كل من الفرد والمجتمع. إذ يجب أن يـكون نشاط الفرد نافعاً لـه ولمجتــمعـه، ولا يتعارض مـع احتياجـات المجتمع ولا مع أهدافه. وأن يسلك في استغلال موارده ما يعود بالنفع عليه وعلى مجتمعه. وأن يمتنع عـن كـل مـا مـن شأنه إهـدار الموارد، وسـوء استخدامها (كإنـتاج المحرمات أو استهلاكها أو العمل بها).

أباح الإسلام الملكية الفردية، وجعل الإسلام للفرد ثمرة جهده يتملكها ويستغلها وينميها في منفعته هو وأسرته ومنفعة المجتمع. وضمن له نقلها لورثته من بعده حتى يكون ذلك حافزاً ودافعاً للنشاط الاقتصادي مادامت نتائجه محفوظة للفرد ولمن يعول في حياته وبعد مماته (عفر: ١٤٠٠هـ، ص٣١).

وباكتساب الإنسان للثروة، فقد أوجب الإسلام عليه تنميتها وتكثيرها، ولذا منع من اكتناز الثروات وذلك لضمان تنشيط الاقتصاد بالإنفاق. وأوجب على الفرد عدم الإسراف، بل دعا إلى التوسط والاعتدال، وكذلك فرض عليها الزكاة لاستيفاء حق المجتمع من هذه الثروة.

(ب) الملكية العامة: وقد حدد الإسلام مجالات معينة للملكية العامة هي مجال الثروات الطبيعية والمرافق والمنافع العامة، وبعض المنشآت القائمة على إنتاج بعض الاحتياجات الضرورية للمجتمع، والتي يتطلب تأمين توفيرها للناس مباشرة الدولة لعمليات إنتاجها. قال الرسول- صلى الله عليه وسلم- الناس شركاء في ثلاث: الماء والكلأ والنار، وفي رواية اخرى الملح فهذه الأصناف من الضروريات والتي تشير في عصرنا هذا إلى مصادر الثروة المائية والمراعي الطبيعية ومصادر الطاقة وغيرها من الثروات الطبيعية، وهي خاضعة لمبدأ الملكية العامة في رأي البعض من الفقهاء.

أما ما عدا ذلك فإنه خاضع للملكية الفردية. والملكية الفردية حق ثابت لايمس ولا تنزع إلا لمصلحة راجحة مع التعويض العادل عنها. وقد أجاز الإسلام تفاوت الثروات المكتسبة، بأساليب مشروعة ولم يضع حدوداً لها أو قيوداً (عفر: ١٤٠٠هـ، ص ص٣٣- ٣٤).

(جـ) التوفيق بين مصلحة الفرد والمجتمع: المجتمع الإسلامي مجتمع متكافل متعاون، يقوم أفراده برعاية مصالح بعضهم البعض. وقد نهى الإسلام أتباعه عن كل مايضر بالمجتمع، ويمنع توظيف موارده، ويزيد من تكلفة الإنتاج،

وآثاره الضارة على الاستثمار، فقد نهى عن الإنتاج والتبادل والعمل بأشياء تضر المجتمع صحياً كالميتة، أو تذهب العقل وتمنع الفكر السليم والعمل المنتج كالخمر، أو تذهب الثقة من التعامل كالغش وبيع الغرر، أو تحرم المجتمع من توظيف موارده في أعمال نافعة كالربا. كذلك فقد نهى عن كل كسب لا يقابله عمل منتج كالسرقة والاحتيال والرشوة والسحر والمقامرة والاحتكار.

وقد جعل تأكيداً لتضامن المجتمع في العمل مبدأ تحمل الضرر الخاص لدفع الضرر العام، وجعل للمجتمع حقاً على أفراده، وهو كفالة الضروريات العامة للمجتمع. فقد أعطى الإسلام الدولة حق التدخل في النشاطات الاقتصادية لمنع إلحاق الضرر بالمجتمع من خلال التصرف الخاص. فهناك نظام الحسبة الذي تقوم الدولة على أساسه بمراقبة النشاط الاقتصادي، لضمان سيره بموجب أحكام الشريعة. وهناك نظام الزكاة وهي حق المجتمع في المال الخاص.

وقد منع الإسلام توزيع العوائد المتحققة في بعض الفترات على الأغنياء، وقصرها على الفقراء. وقد قال عمر بن الخطاب- رضي الله عنه- في عام المجاعة لو لم أجد للناس ما يسعهم إلا أن أدخل على كل بيت عدتهم فيقاسموهم أنصاف بطونهم لفعلت فإنهم لن يهلكوا على أنصاف بطونهم (عفر: ١٤٠٠هـ، ص ص٣٤- ٣٥).

التركيز على تنمية كافة القطاعات الاقتصادية:

دعا الإسلام إلى العناية بقطاعات الاقتصاد المختلفة الرئيسة منها وهي الزراعة والصناعة والتجارة، ففي مجال الزراعة دعا الإسلام إلى التنمية الرأسية، والتنمية الأفقية لكافة مناحي الزراعة. كما دعا إلى العناية بكل من الإنتاج النباتي والإنتاج الحيواني. فقال الرسول- صلى الله عليه وسلم-: مامن مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً فيأكل منه طير أو أنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة (رواه البخاري). وقال- صلى الله عليه وسلم- من عمَّر أرضاً ليست لأحد فهو أحق بها (رواه البخاري).

وقد شملت الدعوة أيضاً إلى جانب الإنتاج النباتي كلاً من الثروة الحيوانية والثروة المائية فقال تعالى: ﴿وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ [النحل:٥]، ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ﴾ [النحل. ١٤].

وفي مجال الصناعة أرشدنا الإسلام إلى صناعات الغزل والنسيج والملبوسات والأثاث والتعدين والصناعات العسكرية وبناء السفن ووسائل الانتقال وإقامة المباني والسدود وهي بذلك تشمل كلاً من الصناعات الخفيفة والثقيلة على حد سواء. قال تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ﴾ [الأعراف ٢٦]. ويقول تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ ...وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴾ [النحل: ٨٠- ٨١]. وقال الله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ [الحديد. ٢٥]، ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا ﴾ [هود:٣٧]. وحينما طلب الناس مساعدة ذي القرنين: ﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴾ أجابهم بقوله: ﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ [الكهف: ٩٤- ٩٥].

وفي مجال التجارة رغب الإسلام في التجارة وحث عليها، وقد بين أنها من أعمال الرسل، وذلك لمنفعتها للفرد والمجتمع ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان. ٢٠]. ولا يقتصر العمل في التجارة على الأسواق بل إن الاستيراد لاستيفاء حاجات المجتمع مرغوب فيه لقول الرسول- صلى الله عليه وسلم-: «الجالب مرزوق والمحتكر خاطئ»، وقوله أيضاً: «ما من جالب يجلب طعاماً من بلد فيبيعه بسعر يومه إلا كانت منزلته عند الله منزلة الشهداء» ثم قرأ رسول الله- صلى الله عليه وسلم-: (وأخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله، وآخرون يقاتلون في سبيل الله).

وفي مجال النقل فإن الله تعالى يقول: (واصنع الفلك بأعيننا)، ويقول: (والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة)، وهو يفيد تسخير هذه الدواب للنقل. وقد خلق الله أشياء جديدة لتيسير أداء هذه الخدمة نفسها للناس.

هذه الآثار جميعها تظهر اهتمام الإسلام بكافة قطاعات الاقتصاد المختلفة فهو يشجع على العمل في الزراعة لتوفير الغذاء وغيره من منتجات الزراعة والمواد الخام اللازمة للمجتمع، وكذلك يوجه الاهتمام إلى الصناعة والاهتمام بها واستيفاء متطلباتها، ويدعو إلى القيام بالتجارة وذلك لأهمية هذا القطاع لتنمية الإنتاج الزراعي والصناعي بتوفيره للمواد الخام، وتسويقه للمنتجات، وتوفيره المال اللازم للتمويل والاستثمار.

التركيز على التنمية الإقليمية:

تهدف التنمية الإقليمية إلى تحقيق العدالة في توزيع الموارد والثروات بين أفراد المجتمع. ويتضح ذلك من التزام الدولة نيابة عن المجتمع بتحقيق هذه العدالة في كل بقاع الدولة وأقاليمها المختلفة، ولكافة أفراد الدولة أياً كان مركزهم أو ديانتهم أو عملهم في المجتمع، وهذا واضح من قوله تعالى: ﴿**وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ**﴾ [النساء: ٥٨]. ويقول الرسول- صلى الله عليه وسلم- مبيناً التزام الدولة تجاه جميع أفرادها وإن اختلفت أديانهم ومراكزهم: «لهم مالنا وعليهم ما علينا». ويقول الرسول- صلى الله عليه وسلم-: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، فالإمام راع وهو مسؤول عن رعيته».

وقد وجدت هذه التعاليم تجسيداً لها في قول عمر بن الخطاب- رضي الله عنه: (لو أن شاة عثرت على شاطئ الفرات لسئل عنها عمر يوم القيامة). ويبين هذا القول التعاليم الإسلامية التي توجب العناية بكافة أقاليم الدولة الإسلامية من أقصاها إلى أدناها، يستوي في ذلك الأقاليم الرئيسة والأقاليم الفرعية. وهذه العناية

الشمولية واجب ديني يفرضه الإسلام لتنمية كافة أرجاء البلاد، بحيث تحقق التوازن المكاني العادل لجميع فئات الشعب ومناطقه (عفر: ١٤٠٠هـ، ص ص٨٠- ٨١). سواء أكانت دانية أو قاصية، ريفية أو حضرية حتى تتحقق الرفاهية لكافة أفراد المجتمع وقطاعاته المختلفة.

تشجيع الاستثمار:

يعمل الإسلام على توجيه رؤوس الأموال نحو زيادة طاقة المجتمع الإنتاجية وحسن إدارتها. وتنظيم الاستهلاك بما يناسب ظروف المجتمع واحتياجاته الحاضرة والمستقبلة ويتم ذلك في ضوء القواعد التالية:

(أ) ترشيد الإنفاق:

تقوم قواعد ترشيد الإنفاق الاستهلاكي في الإسلام على توفير الاحتياجات الاقتصادية والاجتماعية التي تناسب العصر. ولا تتعارض مع قواعد الإسلام وأصوله. وتتلخص بصفة عامة بالمأكل والمشرب والملبس والمسكن وأدوات الاتصال والانتقال وتكوين الأسرة والتعليم ومواجهة الأحداث والكوارث وتحقيق الأمن والقوة الحربية وغيرها (عفر: ١٤٠٠هـ، ص٤١).

وإذا ما توافرت هذه الاحتياجات الأساسية اتجه المجتمع نحو الاستثمار في الاحتياجات شبه الضرورية ثم في الاحتياجات الكمالية. مع مراعاة تحريم إنتاج السلع والخدمات الممنوعة شرعاً.

(ب) توفير مدخرات كافية:

رغب الإسلام في التوسط في الانفاق الاستهلاكي، ورغب في الادخار، دعماً للقدرة الاقتصادية للفرد والمجتمع، حتى يتمكن من تحسين مستويات المعيشة، يقول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: ٦٧].

وإذا توافرت المدخـرات لدى الفرد والمجتـمع، فإن الإسلام يقـضي بضرورة توجيهها نحو الاستثمار والإنتاج. ونلمح ذلك من قواعد عامة فرضها الشرع، وهي عدم الاكتناز واحتكار الثروة وتعطيلها وحبـسها. وقد توعَّد الله المخالفين بالعقوبات الشديدة: (والـذين يكنزون الذهب والفضـة ولا ينفقونهـا في سبـيل الله فبـشرهم بعذاب أليم).

وقد فرض الإسلام الزكاة على المال. وإذا لم يستـثمر المال أكلته الزكاة بطول الأمد. فالزكـاة وسيلة غير مباشـرة لدفع الناس بأموالهم إلى مجالات الاستـثمار. وأخيـرا نرى أن الإسـلام ألغـى الفائدة علـى رأس المـال وجـعلهـا محـرَّمة، وهـذا لاشك يبعد المسلم عن تجميد أمواله لقاء فوائد يتقاضاها على رأس المال، ويدفـع به إلـى حلبـة الاسـتثـمار في المجـالات المختلفـة المشروعـة (عفـر: ١٤٠٠هـ، ص ص٦٤- ٦٧).

أبعاد التنمية في الإسلام:

من خـلال العرض السـابق نخلص إلى القـول أن الإسلام يركـز على ثلاثة مبادئ مهمة في الواقع الاقتصادي:

(أ) الاستخدام الأمثل للموارد والبيئة الطبيعية التي وهبها الله للإنسان.

(ب) الالتزام بأولويات تنميـة الإنتاج والتي تقوم على توفير الاحتـياجات الضرورية لجميع أفراد المجتمع دون إسراف أو تقتـير قبل توجيه الموارد لإنتاج غيرها من السلع.

(جـ) إن تنميـة ثروة المجتمـع وسيلـة لتحقـيق رفاهيـة المجتمع، وعدالة التوزيع بين أفراده هي حق أساسي للمجتمع على أفراده (عفر: ١٤٠٠هـ، ص٤٠).

علاقة المظهر الزراعي بالدين:

إن أفضل وسيلة للتعرف على المظهر الزراعي هي رؤية سطح الأرض من الطائرة حيث تبدو المظاهر الأرضية المختلفة بأبعادها الطبيعية والبشرية، ولما كانت الزراعة تمارس في معظم مناطق العالم الإسلامي، لذا نرى أن المظهر الزراعي هو المسيطر، حيث تطبع الزراعة وما يرتبط بها من أعمال بصماتها على الأرض. والزراعة كما هو معروف هي تفاعل بين الأرض من جهة والإنسان من جهة أخرى. وفي العادة نرى أن الزراع هم المعدلون لبيئاتهم المختلفة لتستجيب لاداء متطلبات حياتهم ويتأثر الزراع أثناء استغلالهم للبيئة بالعديد من المعطيات الحضارية والاجتماعية والخلفيات التاريخية والإمكانات الاقتصادية. ويلعب الدين باعتباره أحد المعطيات الحضارية دورا بارزاً وأساسياً في توجيه استغلال المزارعين لبيئاتهم. ولذا نرى أن للدين صلة قوية بالمظهر الزراعي في عالمنا الإسلامي. ويبدو أثر الدين الإسلامي بارزاً في أنماط استغلال الأرض وكذلك أنماط ملكية الأرض. وفيما يلي تفصيل أثر الدين في هذين العاملين.

الدين وأنماط استغلال الأرض:

شجع الإسلام على استغلال الأرض وعمارتها وزيادة ثرواتها، وجعل ذلك أحد موجبات الاستخلاف الذي خص الله به بني البشر لهذه البسيطة. وأوجب السعي والعمل باعتباره أحد لوازم هذا الاستخلاف وفيه امتثال لأمر الله سبحانه وتعالى.

وقد حرص الإسلام على استغلال الأرض وتنميتها وزيادة الموارد المتاحة فيها. وقد سلك الإسلام سبلاً عدة منها:

(أ) إصلاح الأراضي القابلة للزراعة وذلك عن طريق:

١ـ إحيـاء الأرض الموات: والأرض الموات هي الأرض التي لم تعمـر ولم تستصلح. وقـد شجع الإسلام على استـصلاحها فقـال الرسول- صلى الله عليـه وسلم-: «من أحـيا أرضـاً ميـتـه فهي له» (رواه أحـمـد والترمـذي وصححه). وقـال أيضاً: «من عمَّر أرضاً ليست لأحـد فهو أحق بها» (رواه البخاري). فـالإحياء طريق لعمـارة الأرض وإدخالها في الأراضي الإنتـاجية فتزداد بذلك مـساحة الإنتاج الزراعي وتتوسع الملكيـة الزراعية ويزداد الدخل الزراعي. وقد أعـطى الإسلام للإحيـاء مدة. فـإذا لم يقم من تحجـر أرضاً بإحيـائها فإن الدولـة تأخذها منه لما روي عن عمـر بن الخطاب- رضي الله عنه- أنه قـال: (ليس لمحتجـر حق بعد ثلاث سنين) (أبو عـبيـد: الأموال، ص٣٦٣).

٢ـ الإقطاع: أجاز الإسـلام إقطاع الأرض الموات لمن يقوم بعمـارتها وإصلاحـها فقـد أقطع النبي- صلى الله عليه وسلم- والخلفـاء من بعـده. ويراعـى فـي الإقطـاع مصلحـة المجتمـع وقـدرة الفـرد علـى استغـلال ما أقطع لـه. ففـي ذلك خير كثير للبـلاد. يقول أبو يوسف: "ولا أرى أن يترك الإمام أرضاً لا ملك لأحد فـيهـا ولاعمـارة حتـى يقطعـها فإن ذلك أعـمـر للبـلاد وأكـثر للخـراج" (أبو يوسف: الخـراج، ص٦٦). فـتـقـوم الـدولة بمنح المزارعين القادرين على الاستثمار الزراعي ما يقـومون باستثماره وزراعته من الأراضي القابلة للزراعة (النمري: ١٤١٦هـ، ج٢، ص٢١١).

(ب) تنمـية وتطوير الأراضي الصـالحة للزراعـة: أي زيادة الإنتاج وتطوير وسـائله وتحسين أنواعه ويكون ذلك عن طريق:

١ـ الاستثمار الذاتي: حيث يقـوم المالك نفسه بالزراعة. وقد دلت الشريعـة على فضل ذلك فقال الرسول- صلى الله عليه وسلم: «ما من مسلم يغرس غرساً

أو يزرع زرعاً فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة» (رواه البخاري)، «ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من عمل يده» (رواه البخاري). وهذا دليل على تشجيع الاستثمار، وزيادة الإنتاج، ونيل الأجر في الدنيا والآخرة.

٢ـ الاستثمار بنظام المزارعة والمساقاة حيث يقدم المزارع أرضه لمن يجيد زراعتها في مقابل جزء من المحصول.

٣ـ إجارة الأرض بقصد استغلالها واستثمارها سواء أكانت مملوكة للأفراد أو الدولة، إلا آن أرض الدولة إذا لم يقم أحد بزراعتها فينفق عليها من بيت المال لمن يقوم بزراعتها. فقد روي عن عمر بن عبدالعزيز- رضي الله عنه- أنه كتب لأحد ولاته: (أنظر ما قبلك من أرض الصافية فأعطها بالمزارعة بالنصف، وما لم تزرع فأعطها بالثلث، فإن لم تزرع فأعطها حتى تبلغ العشر، فإن لم تزرع فامنحها. فإن لم تزرع فانفق عليها من بيت مال المسلمين) (النمري: ١٤١٦هـ، ص٢١٣ نقلاً عن يحيى بن آدم: الخراج، ص٥٩). وهذا يدل على أنه لا يجوز تعطيل الأرض الصالحة للزراعة حرصاً على تحقيق حاجات، المجتمع لأن الإسلام نهى عن تعطيل الموارد.

(جـ) ضوابط الاستثمار الزراعي: من أهم الضوابط في مجال الاستغلال الزراعي إنتاج ما أحل الله والابتعاد عن ما حرم الله في كافة أنواع الإنتاج النباتي والحيواني. ومن هنا فقد حرم في مجال الإنتاج الزراعي:

١ـ إنتاج المسكرات ومشتقاتها: حيث يحرم إنتاج المسكرات وان اختلفت مسمياتها كالحشيش والأفيون والمخدرات بأنواعها، فيحرم إنتاجها وصناعتها، كما يحرم بيعها وشراؤها وتداولها.

٢ـ تحريم إنتاج اللحوم المحرمة مثل لحم الخنزير، ولذا لا يجوز تربيته وإنتاجه. ونرى ذلك واضحاً في جميع المناطق الإسلامية، حيث لا يكون الخنزير من مصادر الثروة الحيوانية في كافة بقاع العالم الإسلامي.

الدين وأنماط ملكية الأرض:

إن التاريخ الحضاري للعالم الإسلامي شهد العديد من التصنيفات الخاصة بالملكية بشكل عام والملكية الزراعية على وجه الخصوص، ويمكن تصنيف صور التملك في الشريعة الإسلامية على أساس ارتباطها بما يفرض عليها من حقوق، أو ارتباطها بالعين المملوكة (محل الملك) أو ارتباطها بالمالك نفسه، وفي أوائل التاريخ الإسلامي قسم الفقهاء ملكية الأرض باعتبار خضوعها للمسلمين وباعتبار ما يفرض عليها من حقوق مالية إلى نوعين:

(أ) أراضي عشرية وهي التي آلت ملكيتها إلى المسلمين، وهي التي تؤخذ منها الزكاة كما هو مقرر في زكاة الزروع والثمار.

(ب) أرض خراجية وهي التي بقيت بأيدي أهلها من غير المسلمين وفرض عليها الخراج[٥].

وتنقسم الملكية باعتبار محلها إلى ما يلي:

(أ) الملكية التامة: وتشمل ملك العين والمنفعة. وهنا يقع التملك على ذات العين ومنافعها. ويكون ذلك في الأراضي المملوكة لفرد معين أو جماعة معينة، بحيث يكون للمالك حق التصرف شرعاً من بيع وإجارة ووقف ووصية وغير ذلك من حقوق التصرف بالمملوك.

(ب) الملكية الناقصة: وتختص إما بملكية العين أو ملكية المنفعة والانتفاع فقط. فالمالك في الحالة الأولى له الحق بملكية الأرض الزراعية فقط. وفي الحالة

الثانية يكون له حق استغلالها والانتـفاع بها دون ملكها. وتكتسب الملكية هنا عن طريق الإعارة والإجارة والوصية بالمنفـعة والوقف، فقد يوقف شخص ما أو يوصي بملكية أرض معينة لفرد معين، ويوصي بحق استغلالها واستثمارها لفترة معينة لشخص أخر[٦].

إن التطور التاريخي لصور الملكية الزراعية في العالم الإسلامي، قد أفضى في النهاية إلى أن تصنف المـلكية وفق ارتباطهـا بالمالك نفسه. ويمكننا القـول إن الملكية الزراعية في عـصرنا الحاضر في جـميع بقاع العالم الإسلامـي لاتخرج عن الصور الثلاث التالية:

(أ) الملكية الخـاصة: أو كمـا يعبر عنه فـقهاء الشـريعة باسم الملك المتمـيز، وهو مايتعلق بالأراضي المحددة والمعروفة والمنفـصلة عما جاورها سواء أكان المالك لها واحداً أو مـتعدداً. ويكون للمالك حـق الاستئثار بالمنافـع والتصرف في المملوك.

(ب) الملكية الشـائعة: وهي مايعرف عند الفـقهاء بشركة الملك. ويـسمى المشاع أو الحصة الشـائعة. وهنا تكون ملكية الأرض لأكثـر من فرد، ويكون لكل فرد سهم معين دون أن يكون محدداً ومعروفاً، وإنمـا هي حصة شائعة في مساحة واسعة من الأرض، وينطبق ذلك على أراضي القبائل والحمى وغير ذلك من الأراضي المملوكة ملكاً جماعياً.

(جـ) الأراضي الحكومية أو الأمـلاك العامة: وتشمل جميع الأراضي البـاقية والتي تقع تحت حوزة الـدولة وكان يصنفهـا الفقـهاء على أنهـا أملاك بيت المال أو أملاك الدولة. ويتصرف بها الإمام لتحقيق المصلحة العامة.

لقد نظم الإسلام ملكية الأراضي وطرق حيازتها وفق أحكام الشريعة دون تعد أو ظلم لأحد. فقد جاء في الحديث: «من اقتطع أرضاً ظالماً لقي الله وهو عليه غضبان» (الإمام مسلم، ج١، ص١٢٤). وكذلك: «من أخذ من الأرض شيئاً بغير حقه خسف به يوم القيامة إلى سبع أرضين» (الإمام البخاري، ج٥، ص١٠٣). وقد أوجد الإسلام أسباباً لملكية الأراضي الزراعية ومنها الإحياء الذي هو منشأ التملك ابتداءً كما شرع العقود الناقلة للملكية كالبيع والهبة والإقطاع والإرث والوصية والوقف.

نخلص إلى القول أن نظام الملكية الزراعية في الإسلام هو الذي ساد في ربوع العالم الإسلامي منذ أوائل ظهور الإسلام وحتى عصرنا الحالي، وإذا نظرنا في صور التملك الموجودة الآن نجد إنها هي ذات الصور التي استمدت أصولها من الشرع الإسلامي الحنيف، بحيث يمكن القول أن الطابع الإسلامي في الملكية الزراعية هو المسيطر.

علاقة المظهر الصناعي بالدين:

لقد ارتبطت الصناعة في ديار المسلمين بالمدن الإسلامية حيث يحدثنا التاريخ الإسلامي أن معظم أصحاب الصنائع كانوا يعيشون في المدن، وأن معظم الصناعات كانت تقوم في هذه المدن أو على أطرافها. لذا نجد أن التشريع الإسلامي عالج الكثير من المشكلات المرتبطة بالصناعة من خلال القواعد العامة التي تنظم حياة المدن. وقد تأثر اللاندسكيب أو المظهر الصناعي في المدن الإسلامية بالمؤثرات الدينية وخاصة فيما يتعلق بموقع الصناعة وأنواعها وضوابط إنتاجها واستثمارها وفيما يلي بيان ذلك.

أثر الدين في تحديد مواقع الصناعة:

حددت كتب الحسبة ثلاث مبادئ تعتبر أساساً للتنظيم المتعلق بمواقع الصناعات والسلع والخدمات داخل المدن الإسلامية. ويختص الأول منها بمبدأ التماثل حيث يجب تخصيص أماكن خاصة للسلع المتشابهة بحيث تكون قريبة من بعضها. وهذه الظاهرة من سمات المدن الإسلامية حيث إن لأهل كل صنعة وسلعة سوقاً يختص بها. وفي هذا يقول الشيزري: أن على المحتسب أن يجعل لأهل كل صنعة سوقاً يختص بهم، وتعرف صناعتهم فيه، فإن ذلك لقصادهم أرفق، ولصنائعهم أنفق. ومن كانت صناعته تحتاج إلى وقود نار فالمستحب أن تبعد حوانيتهم عن العطارين والبزازيين لعدم المجانسة بينهم وحصول الأضرار (الهذلول: ١٤١٤هـ، ص ص٦١- ٦٤؛ وانظر أيضاً الشيزري: نهاية الرتبة في طلب الحسبة، بيروت، دار الثقافة، ١٩٦٩م، ص ص١١- ١٢).

أما المبدأ الثاني فهو مبدأ الحاجة كعامل أساسي لتحديد موقع السلعة بالنسبة للمدينة، ويقصد به التكرار النسبي لحاجة الناس إلى سلع معينة ولزوم توافر تلك الأنشطة التي توفر مثل تلك السلع. ولهذا تنص كتب الحسبة على وجوب نقل المنتجات والحرف التي لايوجد عليها طلب رئيس في منطقة السوق، إما إلى خارج أسوار المدينة أو إلى مواقع أخرى يسهل الوصول إليها لمن يحتاجها، على أن لايكون في ذلك ضرر في الموقع الجديد. فقد ذكر الفقهاء أن الموارد ذات الحجم الكبير يجب أن تباع في مواقع معينة بعيدة عن المنطقة المزدحمة من السوق.

أما المبدأ الثالث فهو مبدأ تجنب الأذى والضرر. ولقد كان لهذا المبدأ أثر حاسم في تحديد مواقع الصناعات. وقد قام الفقهاء بتنظيم هذا المبدأ وتطويره معتمدين في ذلك على قول الرسول- صلى الله عليه وسلم-: «لا ضرر ولا ضرار».

لقد بحث الفقهاء المسلمون مصادر الضرر وحددوا منها الدخان والرائحة الكريهة والضوضاء والاهتزاز، وهذه بمفهوم اليوم هي مصادر التلوث البيئي الناجم عن الصناعة. فقد اعتبروا الدخان بكافة أنواعه جالباً للضرر. وقد عولجت الحالات الخاصة بالدخان بشكل مستفيض في كتب الفقه. وميز الفقهاء بين الضرر القديم والضرر المحدث. وكيف يجب أن تمنع المنشأة المؤدية إلى الدخان، أو يزال الضرر عن الناس المجاورين.

وقد اعتبرت الروائح الكريهة من الأمور الضارة التي يجب ازالتها. فالصناعات المرتبطة بذلك لابد من وقفها أو منع الروائح الكريهة من أن تنبعث منها بشتى الوسائل. ويلحق بذلك الضوضاء والاهتزاز الناجم عن بعض الصناعات حيث يرى الفقهاء أن الصوت والدوي والضوضاء تسبب الأذى الذي يجب منعه.

لقد لعبت هذه المبادئ الثلاثة دورا مهماً في تحديد مواقع الاستعمالات الصناعية، فمن خلال مبدأ تلبية احتياجات الناس، ومبدأ دفع الأذى والضرر، استطاع الفقهاء التوفيق بين مناطق الأنماط المحددة للاستعمالات الصناعية، حيث يعطى الفقهاء الأولوية للنشاط الأصلي سواء كان سكنيا أم صناعياً، إذ بمجرد نشأة استعمال معين يسمح بجواز إقامة الاستعمالات الأخرى المماثلة بجواره شريطة أن لاتلحق أذى أو ضرراً بالاستعمالات السابقة. وتجدر الإشارة هنا إلى نزعة الفقهاء دائماً لترجيح مصلحة السكان على مصلحة الأنشطة الصناعية. وهذا مايفسر الميل السائد لدى الأنشطة الصناعية للانتقال إلى مناطق الضواحي وأطراف المدن (الهذلول: ١٤١٤هـ، ص ص٦٩- ٧٠).

أثر الدين في تحديد النشاطات الصناعية:

مقياس الرفاهية الاقتصادية في الإسلام هو وفرة الإنتاج وسهولة الحصول عليه مرتبطاً بالأمن والطمأنينة للفرد والمجتمع في الداخل والخارج، ولايكون ذلك إلا في مرحلة من مراحل الإنتاج الوفير الذي يتحقق بأقل تكاليف اجتماعية،

والـذي يفـي في الوقت نفسه باحتياجات الفـرد والمجـتمع المعيشيـة وتحقيـق الأمـن له داخلياً بالعدالة الاجتـماعية والسلام الاجتماعـي وخـارجياً بالقـدرة التـي تكفـل حمـاية المجتمـع من أعـدائه (عفـر: ١٤٠٠هـ، ص ص٤١- ٤٢).

يقرر الإسلام أولويات خاصة للاستثمار الصناعي، وهذه الأولويات تقع على ثلاث مراتب متتالية:

(أ) الاستثمار فـي الاحتياجات الأساسية للفـرد والمجتمع: وهي السلع الضرورية التي يتم بها حفظ الحياة، وأداء الواجبـات، وحماية المجتمع، وتحقيق الأمن، ووجوب تعاون أفـراد المجتمع جميـعهم في توفيرها، علاوة على قـيام الفرد بأداء الحقوق المفترضة عليه فيها.

(ب) يلي ذلك الاستثمـار في الاحتياجات شبه الضرورية للفـرد والمجتمع: وتشمل هذه الاحتيـاجات كل مامن شأنه تيسيـر تحمل أعباء الحياة وواجـباتها، وهذه الاحتيـاجات من الأشياء التي يتفـاوت فيها الناس تبـعاً لمنزلتهم الاجتمـاعية وقدراتهم وظروفهم وأعـبائهم المعيشية علاوة على ظـروف المجتمع الإسلامي ككل.

(جـ) تقع الكماليات في المرتبـة الثالثة: وهي التي تدخل الجمال والمتـعة على الحياة الإنسانيـة دون إسراف أو ترف. وهي من المبـاحات من الطيبـات والنعم التي وهب الله عباده ليتمتعوا بهـا ويشكروه عليها. على أن يكون استهلاكهم منها بالقـدر الذي يتـفق ودخلهم دون إسراف أو تقـتـير ودون تأثـير على إنتـاج الضروريات اللازمـة للمجتمـع، وهذا من شأنه توجيه رؤوس الأمـوال نحو زيادة طاقة المجتـمع والإنتاجية وحسن إدارتها. وتنظيم الاسـتهلاك بما يناسب ظروف المجتمع واحـتياجاته الحـاضرة والمستقـبلية مع الابتعاد كليـة عن إقامة المصانع المرتبـطة بالكماليات قـبل توفير الضـروريات، وهذا من شأنه توفـير مدخـرات الأفراد والمجتمع وتوجـيهها نحـو الاستخدام الأمـثل للموارد التي وهبها الله للإنسان.

أثر الدين في تحديد ضوابط الاستثمار الصناعي:

وضعت الشريعة ضوابط للحصول على الأموال اللازمة لتمويل المشاريع الصناعية، سواء أكان هذا التمويل ذاتياً أو بالمشاركة، أو كان التمويل من مصادر خارجية عن المشروع من طريق مساهمة الشركات الأخرى أو عن طريق التسليف أو الاقتراض. ويشترط لكل ذلك أن يكون رأس المال المستثمر مباحاً، مع البعد عن كافة المعاملات الربوية والمعاملات التي ترتبط بالغش والاحتكار ووسائل الإعلان والدعاية الكاذبة وغير ذلك من الأمور التي تؤدي إلى ضرر الفرد أو المجتمع.

نخلص إلى القول إن المظهر الصناعي للعالم الإسلامي قد تأثر بالتعاليم الدينية الإسلامية حيث نلمس أثرًا واضحا في تحديد مواقع الصناعات. وكذلك في تحديد أنواع النشاطات الصناعية المقامة وطريقة تمويلها وتسويقها وتحديد مجالات الاستثمار فيها. غير أنه بمرور الزمن وخاصة في العصور الحديثة أخذ التأثير الديني يقل في مجال الصناعات الحديثة سواء في ميادين التمويل أو مجالات الموقع الصناعي وغيرها وذلك لارتباط الصناعة الحديثة أساساً بالنمط الغربي من الاستثمار.

دور المرأة في العملية الإنتاجية:

القاعدة الأساسية في تنظيم الأسرة في الإسلام أن المرأة مكانها البيت، فهي ربة المنزل وراعيته والمسؤولة عن تدبير شوونه وعن تربية أولادها: «المرأة راعية على بيت زوجها وهي مسؤولة عن رعيتها» (البخاري: ج٩، ص٢٩٩). وقد أذن الإسلام للمرأة أن تخرج من بيتها في بعض الأحوال. جاء في صحيح البخاري: «قد أذن أن تخرجن في حاجتكن» (البخاري: ج١، ص٢٤٩). ويقول أبو الأعلى المودودي: ومثل هذا الأذن قد منحته المرأة مراعاة للأحوال والضرورات فحسب، كأن لايكون لها قيم من الرجال، أو تضطر إلى العمل خارج البيت لخصاصة

قيِّم الأسرة أو ضآلة معاشه أو مرضه أو عجزه والإذن لها بالخروج لايغبر شيئا من القاعدة الرئيسة في نظام الاجتماع الإسلامي وهي أن دائرة عمل المرأة في البيت. (المودودي: ١٤٠١هـ، ص٢٣٦).

لقد ساهمت المرأة في بقاع العالم الإسلامي في كافة الأعمال الإنتاجية. وللمرأة الريفية بخاصة دور مهم في الأعمال الزراعية. وقد برز هذا الدور للمرأة المسلمة منذ وقت مبكر. وفي حديث أسماء بنت أبي بكر- رضي الله عنهما- الذي رواه البخاري مايدل على مشاركة المرأة المسلمة الميدانية في الأعمال الزراعية وغيرها منذ صدر الإسلام الأول(٧). ومشاركة المرأة في الريف تبدو واضحة في المزرعة والأعمال الزراعية كالعناية بالزرع وحصده ونقله وتخزينه وعلف الحيوانات والعناية بها. وإعداد الوسائل المساعدة لجلب الماء لا بل تعدى دورها إلى بعض أنواع الصناعات الخفيفة مثل صناعة الحصر والنسيج وصناعة حفظ الأغذية وتجفيفها وغير ذلك من الأمور التي تسهم في زيادة الإنتاج، وخفض تكاليف العمالة، وتوفير فائض من العمالة الزراعية من الرجال للعمل في قطاعات إنتاجية أخرى، وفي هذا زيادة لدخل المرأة أولاً ولدخل الأسرة ثانياً. ولاشك أن عمل المرأة ساعد على تخفيض تكاليف الإنتاج الزراعي، بخاصة في المواسم التي ترتفع فيها الأجور مما يساعد على رخص هذه المنتجات في أسواق التجارة.

وقد أتاح التعليم للمرأة فرصاً أكبر في الحصول على وظائف أخرى غير العمل في البيت والمزرعة. واقترن ذلك بسيادة وشيوع المفاهيم الغربية المتعلقة بحرية المرأة وضرورة خروجها لميادين العمل المختلفة. وقد نتج عن ذلك التوسع في استخدام المرأة في معظم المجالات الوظيفية وخاصة مجالات التعليم والصحة والخدمة الاجتماعية وبعض المهن الأخرى. ولايزال المجتمع الإسلامي في الكثير من قطاعاته المختلفة لديه تحفظات قوية على خروج المرأة إلى العمل. ويقرن هذا الخروج بمبررات كافية وضوابط معينة بحيث لاتفقد المرأة رسالتها كسيدة أولى للبيت ومربية للجيل وحارسة للقيم.

المحور البشري لجغرافية العالم الإسلامي الحضارية

أنماط الاستيطان البشري:

في عالمنا الإسلامي يمكننا أن نجد ثلاثة أنماط للاستيطان البشري. الأول يقوم على حياة الظعن والرحيل طلباً للماء والكلأ. ويمكن أن نطلق عليه النمط البدوي، والثاني يقوم على الزراعة وما يرتبط بها من أعمال، وهو النمط الريفي. أما الثالث فهو النمط الحضري الذي يختص بسكان المدن. ويرتبط بهذه الأنماط الثلاثة وينبثق منها ثلاث صور حضارية للحياة هي سكنى الخيام وسكنى القرى أو الأرياف ثم سكنى الحواضر أو المدن. وترتبط الصورة الأولى بالمسكن المتنقل أما الصورتان الأخريان فيمثلهما البيت الريفي والبيت المدني، ولكل منهما صور وأشكال وأغراض ووظائف تمليها طبيعة الحياة ومتطلباتها. وسنحاول فيما يلي أن نلقي الضوء على هذه الصور الحضارية لأنماط الاستيطان البشري.

نمط الاستيطان البدوي:

يرتبط هذا النمط في بوادي العالم الإسلامي. والبوادي جمع بادية، وهي خلاف الحاضرة. وهي اسم للأرض التي لا حضر فيها. وقيل للبادية بادية لظهورها وبروزها، وهي بمعنى البرية. (لسان العرب: ١٩٥٦م، ص ص٦٧- ٦٨). والملاحظ أن العرب ربطوا البادية بمعنى حضاري صرف. فقد جعلوها مواطن أقوام يعيشون على الظعن والرحيل. طلباً للماء والكلأ. ولما كان الظعن والرحيل يرتبطان ارتباطا وثيقاً بقلة المراعي والمياه، وهذه من خصائص الصحراء، وجدنا أن متأخري أهل اللغة لايترددون في القول بأن البادية هي الصحراء (المنجد: ص ص٢٩- ٣٠).

ومهما بدت لنا الصعوبة واضحة في تحديد المفهوم الصحراوي، فإن مما لاسبيل إلى إنكاره أن أعظم مظهر للصحراء هو القحولة والجدب. إذ تتفق الصحاري في كل العروض في قحولتها وجدبها وعجزها المستمر عن إعالة جماعات مستقرة تعتمد على نفسها.

تشغل الصحاري حيزاً كبيراً من مساحة العالم الإسلامي يمتد من المحيط الأطلسي غرباً إلى صحراء ثار على أطارف باكستان شرقاً، كما تضم صحاري وسط آسيا التي تمتد من بحر قزوين غرباً حتى منغوليا شرقاً.

إن هذه المنطقة الصحراوية الشاسعة. لم تكن قاحلة منذ بداية أمرها. فقد دلت الأبحاث الحديثة على أن هذه المنطقة كانت في يوم من الأيام غزيرة المطر، وافرة الخير، زاخرة بأنواع النبات والحيوان. وكان سكانها يعيشون على صيد الحيوان والتقاط الثمر(٨). ولسبب لم يعرف كنهه حتى الآن أخذ الجفاف يظهر بمرور الزمان. وقد جوبه سكان المنطقة بمشكلة لم يعهدوها من قبل، فقد أخذ مجال الرزق يضيق عليهم تدريجياً، وبدأوا يفكرون في إيجاد مورد آخر للرزق، فالحياة المطمئنة التي نعموا بها أذنت بالزوال.

لقد اضطرت الحاجة سكان المنطقة إلى ابتداع طريقتين جديدتين للعيش، تختلفان عن الطريقتين القديمتين- جمع الثمار والصيد- التي اعتادوا عليها، وهاتان الطريقتان هما، الرعي والزراعة. فالذين آثروا البقاء في الصحراء اتخذوا طريقة تربية الأنعام وأخذوا يترحلون فيها سعياً وراء المرعى. أما الآخرون فقد ذهبوا إلى الأنهار القريبة يستصلحونها للزراعة وبهذا نشأت لديهم الحضارة (Toynbee, vol. 1, pp 68- 78).

ولما كان جمع الثمار والصيد يقتضيان التنقل وعدم الاستقرار وهو ميزة البداوة الرئيسة فيمكننا القول إن البداوة حالة حضارية قديمة كانت تمثل منذ القدم حضارة ما قبل التاريخ. فالإنسان نشأ بين أحضان البداوة. وما عصر الاستقرار الذي كان سببه الأول وجود الزراعة، إلا عصر حديث جداً بالنسبة إلى تاريخ الإنسان.

فالوثائق التي عثر عليها على شواطئ دجلة والفرات وفي حوض النيل، وعلى أنهار الهند والصين لاتكاد ترقى إلى أبعد من ٦٠٠٠ سنة قبل الميلاد. (الجميل: ١٩٦٣م، ص١١). وهذا يعني أن البشرية عاشت في مرحلة البداوة معظم أزمانها. ولم تعش في مرحلة الاستقرار إلا في الـ٨٠٠٠ سنة الأخيرة (رزقانة: ١٩٦٥م، ج٢، ص٣٣١).

إن بداوة الرعي هي التي تنطبق على الصحاري وحدها. وعلى هذا فبداوة الرعي هي الصورة التقليدية للبداوة في المنطقة العربية والأقطار الإسلامية. والبداوة الرعوية نشاط يستمد واقعه الاجتماعي والاقتصادي من نشاط الصيد، فالصياد الذي كان يعدو خلف الحيوان ليقتله، بدأ بالملاحظة والخبرة يعرف الكثير عن طباعه، فبدأ يستأنسه ويربيه، ويكيف حياته وتنقله من أجل خدمته، حتى أصبحت البداوة الرعوية نمط حياة، أو وجهاً حضارياً، وليست مهنة تربية فقط. فالحياة المشتركة للإنسان والحيوان في حالة البداوة هي شيء شامل وكلي لدرجة أنه إذا غاب الحيوان من حياة البدوي فإنه يستقر أو يقرب من الاستقرار.

ولعل ارتباط البداوة العربية بالصحراء، وتصورنا الرعوي للبداوة العربية هو الذي حمل على الاعتقاد بأن الصحراء وحدها هي مسرح البداوة من ناحية، وأن الجمل وحده هو حيوان هذه البداوة. مع أن المفهوم العام للبداوة- كما أسلفنا- يفتح مجال تصور أنماط أخرى من البداوة في مسارح غير الصحراء ونجد في إقليم السافنا في آسيا بداوة قائمة على تربية الخيول، وفي أفريقيا بداوة قائمة على تربية الأبقار (السرياني: ١٩٧١م، ص ص٥٨- ٦١).

وهناك تصور آخر في الأذهان هو أن البداوة مرتبطة بالعروبة، أي أن البداوة لاتكون إلا في العرب، وربما كان هذا الانطباع منبعثاً من حقيقة الدور الحضاري الذي قام به البدوي في التاريخ الإسلامي والعربي، وما ترسب في تراثنا واندفع إلى تفكيرنا من التأثير بهذا كله. وفي الحقيقة فإن حضارة بدوية ما، لم تقدم للعالم

مثل ما قدمت البداوة العربية من قيم إنسانية باقية. ولعل هذا يفسر الارتباط الوثيق بين تصور البداوة مرتبطة بالصحراء من ناحية والعرب من ناحية أخرى (الجميل: ١٩٦٣م، ص ص١١- ١٢).

أن البداوة ليست قصراً على العرب بل تضم ديار الإسلام، فهناك بداوة لدى الأكراد والأتراك والفرس والأفغان والبلوش والباكستان وأهالي وسط آسيا الإسلامية وأقطار غربي شرقي أفريقيا، غير أن البداوة العربية ربما تكون أكثر عدداً وأعمق أثراً. فلا تزال صحاري الجزيرة العربية (وخاصة السعودية وعُمان) وبلاد الشام وصحاري شمالي أفريقيا تحوي أعداداً تتراوح بين ٥- ١٠٪ من إجمالي سكان دول هذه المنطقة وربما تزداد هذه النسبة لتشمل ١٥٪ من سكان ليبيا وقرابة ٢٥٪ من سكان السودان. وقد تتعدى ٥٠٪ من إجمالي سكان موريتانيا وأكثر من ٦٠٪ من إجمالي سكان الصومال.

وفي أقطار الصحراء الكبرى في مالي والنيجر وتشاد نجد بجانب الطوارق الذين يمثلون جزءاً من البداوة العربية نجد عناصر الفولاني والمور وغيرها من القبائل الأفريقية المرتحلة. وفي تركيا وإيران نجد بداوة كردية غير أنها تعيش في المرتفعات، وكذلك الحال أفغانستان حيث ترتفع نسبة البداوة إلى أكثر من ١٥٪.

إذا نظرنا إلى الأقطار السابقة التي ترتفع نسبة البداوة بين سكانها نجد أن حياة البداوة في هذه الدول هي انعكاس مباشر لعوامل معظمها مرتبط بظروف البيئة وبعضها مرتبط بنواحي أخرى بشرية وذلك على النحو الآتي:

(أ) فنظام سقوط الأمطار هو العامل الأول الذي يتحكم في التوزيع العام للنباتات الطبيعية والإنتاج الزراعي والرعوي. فأمطار المناطق الصحراوية قليلة في معظمها الأمر الذي يؤدي إلى تناقص كمية الحشائش وتدني قيمتها الرعوية ويجعل بالتالي الجفاف هو المسيطر.

(ب) ليست كـمية الأمطار وحدها هي التي تجبر الرعاة على التنقل والتـرحال وإنما نظام سقوطها وتوزيعها عاملان أساسيـان يترتب عليهما اختلاف قيمة المراعي حتى في المنطقة الواحدة من شهـر لآخر، ومن سنة لأخرى، مما يجعل حياة الرعاة أشبـه بحركات كثـيفة مسـتمرة الغرض منهـا البحث عن مناطق رعي جديدة.

(جـ) يمكننا تصور الموارد الدائمـة من المياه في الصحـراء، على شكل آبار عادية أو ينابيع وعيـون أو آبار ارتوازية. وندرة هذه الموارد بطبيعـة الحال تعتبـر عاملاً أساسيـاً في تحديد النجعـة. أما قلتها أو عـدم وجودها فهو عـامل مهم من عوامل التنقل والترحال.

(د) إن تنـوع النبـاتات الطبيـعيـة وتوزيعها مـرتبـط كـذلك بتـوزيـع المطـر. إذ تتناقص الحيـاة النباتية تبـعاً لتناقص المطر، الذي يحدد هذه النبـاتات ببعـض أعشاب الاستبـس الفقيـرة، وبعـض أعشاب الصحـراء، التي لا تصلح غالباً إلا لرعي الإبل. وتوجد هـذه النباتات في مناطق متـباعدة مما يجـعل التنقل والترحال واجباً للوصول إلى هذه النباتات.

(هـ) تلعب المظاهر الطبيعـية والتربة دوراً مهماً مع كمـية المطر في تحديد هذا الغطاء النباتي وامتداد المرعى فـيه، فقد تكون هناك منحدرات طبيعـية، أو مساحات صخرية، أو صحاري حصوية أو رملية متنقلة وكلها تقلل من صلاحية المنطقة الصحراوية للاستقرار وتجعل التنقل والترحال حاجة ملحة وضرورة قصوى.

وبوجه عام فـالتفاعل الموجود بين هذه العـوامل الطبيعية المخـتلفة من أمطار وحرارة وتنوع التضاريس يخلق ظروفاً خـاصة تفسر توزيع المراعي وأنواع الحشائش الموجودة فيها. هذه الظروف لاتسمح للبدو بأن يربطوا حـياتهم ببقعة أرضية واحدة بل تفرض عليهم التنقل المستمر للمحافظة على حياتهم وحياة قطعانهم.

هذا في الجانب الطبيعـي أما في الجانب البشري فالبداوة التي بدأت جـغرافياً كحالة ملاءمة بشرية بين البداوة وبين ظروف البيئة الطبيعية الجافة، انتهت نفسياً إلى حالـة تنظيم اجتـماعـي يعتبر عاملاً مـساعداً على كثرة التنقل والترحـال. فقد نشأ النظام القبلي الذي حـدد لكل قبيلة مجـالها الطبيعـي ورقعتها المعـروفة من الأرض التي لهـا وحـدها حـق التجـول والاستـغلال على نطاق جـماعي، مما لا يفـسح المجـال للاستغـلال الفـردي، بل بقـيـت الملكية جماعيـة (مشاع) في المناطق الغنيـة نوعـاً مـا مـن أراضـي الإستـبس. ووجود ملكية جـماعية بحـد ذاته يعمق ويرسخ مفهوم البـداوة، والنظام القبلي. أما المناطق القاحلة فلا توجـد بها أي ملكية وهذه هي مناطق رعاية الإبـل. هذه الإبل التي هي بحق ركـن مهـم وخطـيـر من أركان الحياة البدوية، فـهذه البوادي المقفرة هي كالبحر لا يُعْـبَر دون مركب. فكان الجمل مركبها. ولولاه لامتنع على البـدوي العيش في البادية والتنقل الواسع بين أرجائها. فالجـمل أبو البداوة العريقـة الحقيقـية وسبب استـمرارها وإنها تتـلاشى وتنتهي إذا حرمته.

نخلص إلى القول بأن البيئة الطبيعية والإنسان والحيوان عناصر ثلاثة اشتركت في صنع ظاهرة البداوة الرعـوية. ومن الصعب تحديد مسؤوليـة كل عنصر من هذه العناصر في صنع هذه الظاهرة.

ومهما يكن من أمر فإن حياة البداوة الرعوية تقوم على هذه العناصر جميعاً. وقد اشترك كل عنصـر مع العناصر الأخرى بنسبة أو بأخـرى، بحيث كان جداء أو عطاء العـوامل هو البداوة القـائمة على الـتنقل والترحـال، وهو نمط حيـاة يناقض مفهـوم الحياة الحضرية القائـمة على الاستقرار. ومن هنا وجـد التباين بين البـداوة والحـضـارة، الأمر الذي نجم عنه الصـراع والتنازع بينهـما. ولا عـجب أن يوصف تاريخ غربي آسـيا بأنه صراع بين البدو والحـضر على امتلاك الأراضي الخصـبة التي تحف بالصحراء. وإذا كـان هنتنغتون (Huntington) يربط هذا الصراع بنظريته في

الجفـاف، ويعتـبر أن هذا الصـراع إنما دعى إليه تغـيرات في الحـالة المناخية، فـإننا لانستطيع آن نقـبل بهذا الرأي. فكثيـر من أشكال هذا الصراع لم يكن بحـاجة إلى تغيرات مناخية في المناطق الصحراوية. إذ إن مجرد التباين بين غنى الأرض الزراعية وبين فقر المناطق الصحـراوية كافٍ لأن يغري البدوي أن يغير على الجـهات الزراعية عندما يلمس في حكام المناطق الزراعية المجاورة ضعفاً.

وعلى هذا فالبـداوة تتذبذب قوة وضـعفاً تبعـاً لضعف الدولة وقوتهـا. فإذا كـانت الدولة قـوية قادرة على حـفظ الأمن وضـبط النظام ازدهر الإنتـاج الزراعي والتجاري والصناعي وعمرت المدن وانصرف الناس إلى أعـمالهم لا يخشون شيئاً. وحين تضـعف الدولة عن حمـاية أرواح الناس وأمـوالهم يقوى التـمسك بالبـداوة وتنقلب الكفة راجحـة لها. وهذا ما يمكن أن نسميـه بظاهرة المد والجزر بين البداوة والحضارة. وقد شهد العالم الإسـلامي والمنطقة العربية منه بشكل خاص ظاهرة المد والجزر في كـافة العصـور حتى مطلع القرن العـشرين الميلادي حين اسـتتب الأمن وقويت شوكة الدول فضعفت سيطرة البـداوة وانحسرت انحساراً شديداً (السرياني: ١٩٧١م، ص ص٥٨- ٥٦). وقد أثر تخطيط الحـدود السياسية بين الدول ومـراقبة هذه الحدود ومنع الدخول إلى البلاد أو الخروج منهـا إلا من معابر خاصة تقع تحت حراسـة شديدة على تحـديد نجعـة هؤلاء وعلى قصـر حركتـهم داخل البلدان التي أصبحـوا فيها. وقد أضـعف ذلك من شوكتهم. فإذا أضـفنا ألى ذلك انحسار دور الإبل كوسيلة للتنقل، إثر ظهور وسائل المواصلات الحديثة، وسيادة الجفاف وانقطاع المطر لسنوات عديدة الأمر الذي ساهم في ضياع الثروة الحـيوانية، وهي عماد الحياة لدى هولاء فاتجهوا إلى الريف أو إلى المدن المجاورة وتركـوا حياة التنقل والترحال. وفي الآونة الأخيرة بذلت الحكومات جهوداً كبيرة في سبيل توطين هؤلاء وإقرارهم في أماكن ومـشاريع خـاصة صـممت لهـذا الغرض. ويمكن القـول أن البداوة في طريقها إلى الانحسار التام غير أن ذلك يحتاج إلى بعض الوقت.

نمط الاستيطان الريفي:

إن كلمة ريف ليست بالحديثة العهد في اللغة العربية، فقد جاءت على لسان الرسول الكريم- صلى الله عليه وسلم- في الحديث النبوي الشريف: «كنا أهل ضرع ولم نكن أهل ريف» وكان يراد بها المناطق التي تشيع فيها الزراعة تمييزاً لها عن المناطق التي يسود فيها الرعي. وقد استخدمت أيضاً بمعنى ما قارب الماء من أرض العرب (ابن منظور: مادة ريف). فهذا المعنى جاء في كتاب الخليفة عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبي وقاص في موضع إشارته إلى اختيار مواقع معينة يقيم فيها العرب في الأمصار: (فلا تجعل بيني وبينهم بحرًا وعليك بالريف).

وقد أعطى العرب تعاريف معينة لمصطلح الريف فقالوا: (إن الريف أرض فيها زرع وشجر وخصب). وميزوا مناطق الريف المختلفة طبقاً لمعيارين أساسين هما طبيعة الأرض وخصائص الموقع وسموها تسميات تتماشى وهذين المعيارين (البطيحي وخطاب: ١٩٨٢م، ص١١).

وهناك تداخل بين معنى "الريف" ومعنى "السواد" في الكتابات العربية الأولى. فقد كان مفهوم السواد عند العرب بمعنى خضرة الشجر والنخيل فيها. ولكن تطور المدن العربية أضفى على مفهوم السواد سمات تماثل الريف إلى حد التطابق بين المفهومين. وصار السواد المحيط بأي مدينة من المدن يراد به ريفها لما يضمه من قرى ومزارع وفلاحين (البطيحي وخطاب: ١٩٨٢م، ص١٢).

أما المفهوم المعاصر للريف فقد ارتبط بالظواهر التي يمكن أن تسمى ريفية كتعريف المناطق الريفية والسكان الريفيين، وهناك خلاف شديد بين الباحثين حول تعريف هذه المصطلحات. وقد وضعت الدوائر الإحصائية التابعة للأمم المتحدة معايير يمكن التمييز من خلالها بين الريف والحضر. وقد نهجت منهجاً يقوم على أساس تحديد المناطق الحضرية في ضوء معايير معينة واعتبار ما عداها "مناطق ريفية".

ولعل المعايير التي وضعها كل من تايلر وجونز لتمييز الريف عن الحضر تساعدنا على تحديد مفهوم الريف في العالم الإسلامي. فمن هذه المعايير الحرفة، حيث يحترف السكان الريفيون الزراعة، أما السكان الحضريون فيعتمدون حرفاً أخرى صناعية أو تجارية أو يعملون في الخدمات المختلفة. يلي الحرفة البيئة حيث تطغى الطبيعة في المناطق الريفية، والتي يعيش الريفي دائماً بين أحضانها، على عكس المناطق الحضرية التي يعيش الإنسان فيها في عزلة عن الطبيعة، وهناك حجم المجتمع حيث تسود المجتمعات الصغيرة في الريف، على عكس المناطق الحضرية التي تتصف أحجام مجتمعاتها بالسعة مقارنة مع الأرياف المجاورة.

أما السكان فهم في الريف أكثر تجانساً وأقل كثافة، وتقل بينهم الفروق الاجتماعية، على عكس ما عليه الحال في المدن. وتمتاز المناطق الريفية بعلاقات بسيطة تسود فيها العلاقات الشخصية ذات الطابع الإنساني، على عكس المناطق الحضرية التي يكون فيها التفاعل أوسع مما هو عليه في المناطق الريفية وتسود فيه العلاقات غير الشخصية، والتي تتمثل بعلاقات سببية ذات عمر قصير ومحدود (Taylor & Jones 1964: pp. 50- 52).

لقد كان للمعايير الآنفة الذكر أثرها في تحديد المناطق الريفية عن غيرها من المناطق الحضرية وسوف نعتمد على معايير الدول الإسلامية ذاتها في تحديد نسبة الحضرية فيها واعتبار ما عدا ذلك من مناطق الريف بعد إنزال النسب المقدرة لفئات البدو في هذه المجتماعات.

إن الجدول رقم(١) يظهر نسبة السكان الحضر في أقطار العالم الإسلامي المختلفة، ومن هذا الجدول نرى أن بعض أقطار العالم الإسلامي يغلب على سكانها طابع الحياة الريفية. ويمكن القول إن كافة الأقطار التي تنخفض فيها نسبة الحضرية عن ٣٠٪ من سكانها هي أقطار ريفية الطابع. وتضم هذه الأقطار ما يزيد عن ٢٢ دولة من دول العالم الإسلامي، ومنها ١٥ دولة في القارة الأفريقية تضم غالبية دول أفريقيا الإسلامية عدا الدول العربية. وتتوزع هذه الدول على مختلف أرجاء القارة.

وتشمل كل دول شرقي أفريقيا عدا جيبوتي (أرتيريا، إثيوبيا، أوغندا، تنزانيا، جزر القمر) كما تضم دول الصحراء الكبرى (تشاد، النيجر، مالي، بوركينافاسو) وبعض دول غربي أفريقيا (غينيا، غينيابيساو، غامبيا، نيجيريا). وفي آسيا تضم هذه المجموعة سبع دول تشمل أقطار شبه القارة الهندية (باكستان، بنغلادش، المالديف) وقطران من أقطار شبه الجزيرة العربية (عُمان واليمن) وكذلك أفغانستان وطاجكستان. ويمكن أن يضاف إلى هذه المجموعة إندونيسيا. وبالرغم من تدني نسبة سكان الريف في كل من مصر والجزائر والمغرب وسوريا وتركيا وإيران إلا أن هناك الحجم العددي لسكان الأرياف في هذه الأقطار كبير، وهذه الأرياف هي التي تدفع بالسكان إلى الهجرة إلى مختلف مدن هذه المنطقة بنسبة كبيرة حيث تتضخم المدن على حساب هذه الأرياف.

جدول رقم (١) نسبة السكان الحضر في دول العالم الإسلامي

الحضرية ٪	عدد الدول	أسماء الدول
أقل من ٢٠	٩	بوركينافاسو، النيجر، نيجيريا، أوغندا، تشاد، عُمان، أفغانستان، بنغلادش، أريتريا.
٢٠- ٢٩	١١	السودان، غامبيا، غينيابيساو، مالي، جزر القمر، الصومال، تنزانيا، اليمن، باكستان، طاجكستان، جزر المالديف.
٣٠- ٤٩	١١	مصر، المغرب، الجزائر، موريتانيا، السنغال، سيراليون، بنين، أوزبكستان، تركمانستان، إندونيسيا، الكمرون.
٥٠ - ٧٥	١٠	الجابون، تونس، سوريا، العراق، أذربيجان، تركيا، إيران، قازاقستان، ماليزيا، بروناي.
٧٥ فأكثر	١١	جيبوتي، ليبيا، قطر، البحرين، الكويت، الإمارات، السعودية، الأردن، فلسطين.

المصدر: World Population Data Sheet 1996

إن نسبة سكان الأرياف آخذة في الانخفاض التدريجي بالرغم من ارتفاع العدد المطلق للعاملين في القطاع الزراعي، ويعود هذا الانخفاض إلى اختلاف التوازن بين المناطق الريفية والمناطق الحضرية مما ينعكس بدوره على توسيع الهوة بينهما، الأمر الذي يفرض النزوح من الأرياف إلى المدن أملاً في تحسين الأوضاع المعاشية للفرد المهاجر.

وبالرغم من انخفاض مساهمة الزراعة في إجمالي الناتج الوطني إلا أنها مع ذلك تساهم بجانب كبير من الدخل الوطني لكثير من دول العالم الإسلامي. كما أن للزراعة دورها المهم في التنمية الصناعية خاصة في الصناعات القائمة على الإنتاج الزراعي. غير أن تفاقم ظاهرة انعدام التوازن بين نمو الغذاء ونمو السكان في كثير من بقاع العالم الإسلامي يهدد بعض الأقطار بتزايد تدني مستوى المعيشة وزيادة الفقر والفاقة الأمر الذي ينعكس بوضوح على المناطق الريفية هذه.

إن العيش في الأرياف يستلزم بالضرورة سكن المستوطنات البشرية التي تتواجد في الريف. ويمكن أن نميز في الأرياف عموماً نوعين من المستوطنات البشرية هما: العزبة والقرية وذلك على النحو التالي:

(أ) **العزبة (القرية الصغيرة)** وتختلف مسمياتها من منطقة إلى أخرى ومن بلد لآخر. ففي مصر تعرف باسم العزبة وفي بلاد الشام تسمى الضيعة. وهي تقابل الكلمة الإنجليزية Hamlet. والعزبة تمارس وظيفة زراعية بحتة، ونمط المباني فيها لا يتعدى إلى جانب المساكن القليلة العدد بعض مخازن الغلال أو أدوات الزراعة. وقد يوجد محل تجاري صغير في بعضها دون الآخر.

وتوجد العزبة في المناطق ذات الممتلكات الصغيرة في العالم الإسلامي على عكس العزبة في دول العالم الجديد. وتوجد هذه القرى الصغيرة أصلاً لأسباب تتعلق بقدرة الأرض المحدودة لإعالة سكانها. والظروف التضاريسية في المناطق الجبلية حيث تندر الأرض الصالحة لاستثمار والاستيطان، كما توجد في المناطق

المستنقعية حيث تقل الأرض الصالحة للزراعة. ولعل أفضل الأمثلة على ذلك نمط القرى الصغيرة الموجودة في جبال السروات في السعودية. ففي إمارة الباحة مثلاً نجد أن هناك ما يزيد عن ١٢٠٠ مستوطنة بشرية ٩٣٪ منها لايزيد عدد سكان كل منها عن ٢٠٠ نسمة في المتوسط، لابل إن ٥٠٪ منها لا يتجاوز سكان كل منها ١٠٠ نسمة فقط (السرياني: ١٩٨٨م، ص ص٤٢- ٤٤). ويمكن أن نجد بعض النويات الاستيطانية المشابهة في بعض أودية أفغانستان المنعزلة الموجودة في جبال هندكوش حيث توفر هذه الأودية الدفء خلال شهور الشتاء الشديدة البرودة غير أن قلة الناتج الزراعي يحدد حجم هذه المستوطنات البشرية. وفي جنوبي العراق حيث تكثر المستنقعات والأهوار يسود هذا النمط القزمي من الاستيطان.

(ب) **القرية**: الاسم الشائع للمستوطنات الريفية عموماً هو القرية، وقد ذقال لها (الكفر) وهي كلمة آرامية قديمة تعني القرية، وقد تعرف باسم (الحلة) كما في السودان، ويقابلها في الإنجليزية Village. وبصفة عامة فإن القرية أكبر من العزبة سواء من حيث الكتلة السكنية أو من حيث عدد السكان. وعلى الرغم من أن غالبية السكان بها تعمل في الزراعة إلا أنه توجد وظائف أخرى وخدمات لا تتوافر في العزبة (مركز بريد، مدارس، محطة بنزين إلخ..).

ويمكن أن نميز عادة بين نمطين من القرى على النحو التالي:

١- القرى المنعزلة: وتوجد في معظم بقاع العالم الإسلامي في قرى الأقاليم الجبلية التي توجد بها أودية ضيقة مثل ما نجده في القرى الجبلية في أذربيجان، أو بين ثنايا الأودية الجبلية في أفغانستان، وعلى سفوح جبال كردستان العراق، أو في وسط الجزر النائية بإندونيسيا. وحتى عهد قريب كانت هذه القرى هي النمط السائد في جبال لبنان والجزائر والمغرب، غير أن ظروف استتباب الأمن ساعدت على زوال العزلة عن هذه المستوطنات البشرية الموجودة في الجبال. وعدد السكان في القرية محدود بتأثير قلة الأراضي الزراعية أو موارد المياه في الأودية الجبلية.

٢ـ القرى المتكتلة: وتمتاز بكثـرة سكانها على عكس القرى المنعزلة، وتنـتشر في بيئـات الحضارات الزراعـية في سهـول الأنهار الكبرى، فـي دلتا النيل ووادية بمصـر والسودان، وفي سـهول الرافـدين في العراق وسـوريا وتركيـا، وعلى ضفاف السند في باكستان، وفي دلتا الجانج في بنغلادش، وعلى ضفاف نهري (سرداريا وامودداريـا) في جمهوريات آسيـا الوسطى الإسلامية. وفـي السهول الساحليـة والفيـضية بإيران وتركـيا والمغـرب العربي. وتأخـذ القرى في هذه البيئات شكل المستـوطنة المحتشدة في مباني متلاصقـة ومتجاورة وتلتف حول المسجد الجامع فيها الذي يعتبر قلب القرية وتتجمع من حوله المحلات التجارية والخدمات المخـتلفة ثم تأتي بيوت المواطنين التي تشمل أمـاكن خاصة للسكن وأخرى مجاورة لقطيع الحيوان وغالباً ما يكون الأخير على شكل ملحق بالدار (زريبة).

ويظهر التـركيـز الشديد لهذه الـقرى على طول أودية الأنهار. فـقرى مـصر والسودان تتصف بتجـمع القرى وتلاصقها بسبب توافـر المياه والأمان النسبي، على عكس إيران وتركيا حيث يكـون احتشاد القرى وتركزها بقصـد الحماية التي توفرها القرية كمواضع خاصة أوقات الاضطرابات. وقد كانت قرى إيران حتى وقت قريب محـاطة بأسوار من أجـل الحماية والأمن. وقـد ساعـد مد شـبكة من قنوات الري متفرعة من نهـري سيحون وجيحون (سرداريا وأمودداريـا) في وجود وانتشار العديد من القرى في أوزبكستان وتركمانستان وقرغيريا.

ويمكن القول إن الاسـتيطان الريفي يتأثر كـماً ونوعاً بالموارد المائية المتـاحة، وكذلك بوجود الأراضي الخصبة المنتجة. أما مـواضع القرى فتختار في أماكن معينة توفر الحماية والدفاع لسكانها وتبعد عنهم الأخطار الطبيعية المحتملة.

نمط الاستيطان الحضري:

يعرف التحضر لأغراض إحصائية تحليلية بأنه مجموعة السكان الذين يقيمون في تجمعات بشرية تقع في تصنيف المدن. ويشير إلدرج (Eldrige) إلى عنصرين يتضمنهما مفهوم التحضر الأول: تعدد محاور التمركز والثاني زيادة حجم الكثافة البشرية، الأمر الذي يؤدي إلى ارتفاع نسبة السكان في المدن (Spengler & Duncan, 1956: p. 388).

وتخضع تصنيفات التجمعات السكانية الريفية والحضرية إلى عدة اعتبارات منها الإدارية والسياسية والثقافية والديمغرافية (السكانية). وتختلف دول العالم الإسلامي في تصنيف السكان إلى ريفيين وحضريين، فلكل دولة معيار قد يختلف عن الدولة الأخرى. فعلى سبيل المثال هناك المعيار الاقتصادي الذي يعتبر كل مجتمع يشتغل القسم الأكبر من قوته العاملة في مهن غير زراعية هو مدينة؛ وهناك المعيار الإداري ففي السعودية يعتبر كل تجمع سكاني فيه بلدية هو مدينة؛ وفي مصر كذلك تعتبر كل عواصم المراكز إلى جانب عواصم المحافظات مدناً؛ وهناك المعيار العددي الذي يحدد عدداً معيناً للمجتمع البشري ليأخذ صفة واسم المدينة. ففي الأردن كل تجمع يزيد عن ٥٠٠٠ نسمة يسمى مدينة، وفي مصر يرتفع العدد إلى ١١٠٠٠ نسمة. وتختلف الدول الإسلامية في تحديد الحد الأدنى والأعلى اللازم لبلوغ مواصفات المدينة العددية.

لقد نشأت مناطق الاستقرار الأولى في الأراضي الخصبة ذات الماء الوفير والمناخ المعتدل الدافئ وقد تكاثف الإعمار في مناطق التبادل التجاري. لقد كان استئناس الحيوان وتعلم الزراعة العاملين الأساسيين في الاستقرار البشري. وقد ساعد على ذلك تعلم طرق الري والحراثة واستخدام الحيوانات في حمل الأثقال وغير ذلك من المخترعات التي مهدت وساعدت على الاستقرار البشري.

لقد نشـأ عن الاستـقرار البـشري نوع من التنظيم الاجـتماعي الـذي يضبط الظروف الاقتصادية والأمور السياسيـة، وأصبح فائض المحصول يرد إلى مستوطنات بشرية وإلى مناطق استقرار تفرغ معظم سكانهـا للقيام بأعمال أخرى غيـر الـزراعـة مثل الخدمة في الجـيش والحكومة والزعمال الحرفية الأخـرى. وقـد أصبحـت هـذه المستـوطنـات البشرية نواة لقيـام المـدن وانتشـارها (Jordan & Rowntree, 1976: pp. 90- 95).

لقد كانت أراضي الرافدين ووادي النيل ووادي السند هي المناطق التي ظهرت فيها المدن الأولى في العـالم الإسلامي. وقد كانت المدن في هذه المناطق تلعب دور التبـادل التجاري والتفـاعل الحضاري مع المناطق المجـاورة، كما كـانت تمثل النقاط الرئيسـة وعقـد المواصـلات علـى الطـرق التـجارية الطويلـة. ويتفق المؤرخون على أن الموطن الأول لنشوء المدن هو أرض الرافدين بالعـراق التـي شهـدت نشوء أوائل المـدن. وقـد انتقلـت حضـارة المدن من بـلاد الرافدين إلى المناطـق المجـاورة لها في وادي النيل في مصر ووادي السند بشبه القارة الهندية، ومـن ثمَّ انتشرت إلى مناطق العالم المختلفة (Jordan & Rowntree, 1976: 99).

لقد ارتبط انتشـار المدن بقيام الإمبراطوريات الكبرى في العـالم، وكما يقول جوبيرج في كتابه "مدينة ما قـبل الصناعة" أن توسع سلطان أصحاب القوة والنفوذ من خلال إقـامة الإمبراطوريات القـديمة ساعد على إيجـاد المدن العديدة في المناطق الريفيـة. ولقد حملت بذور التـحضر وقيـام المدن مع موجات التـوسع التي كانت تشهـدها هذه الإمبـراطوريات (Jordan & Rowntree, 1976: 100) بينمـا تقوم الجيـوش باحتـلال مناطق جـديدة، تحـدد مناطق معـينة لإقامـة الجند أو للإدارة أو لجمع المحاصيـل أو لجـمـع الضـرائب المستحقـة التـي سترسل إلى عـاصمة الجيش الفاتح. وبمرور الزمن تزول الصـبغة العسكرية عن هـذه النقـاط وتتحـول إلى مـدن تخـدم المناطـق المحيطة بها. وهكذا تنمو المدن ويكـثر عددهـا كلما توسعت حـدود الإمبـراطوريات وضمت أملاكاً جديدة إلى ممتلكاتها القديمة.

لقد تكرر نمط بناء المدن في مختلف عصور التاريخ، وشهد العالم الإسلامي قيام مدن عديدة ارتبط وجودها بقيام الدول المحلية أو الدول الغازية. وقد لعبت التجارة البرية والبحرية دوراً كبيراً في نشوء هذه المدن. فعلى طول الطرق البرية قامت مدن عديدة مثل نزوى في عُمان وصنعاء في اليمن واليمامة في نجد ومكة والمدينة في الحجاز والقدس في فلسطين ودمشق وحلب في سوريا ومكناس في المغرب. والذين استخدموا البحار في التجارة أقاموا مدناً تجارية على طول السواحل وربطوها بمدن التجارة في الداخل وهكذا أقام الفينيقيون على سواحل الشام مدن بيروت وصيدا وصور وعكا وعسقلان وعلى السواحل الإفريقية للمتوسط قامت مدن تونس والجزائر وطرابلس الغرب والإسكندرية. وظهرت على سواحل شبه الجزيرة العربية مدن تجارية مثل القطيف ومسقط وعدن وجدة وغيرها.

وحينما جاء الإسلام ازدهرت حركة المدن الجديدة فقامت مدن الجند مثل البصرة والكوفة والفسطاط والقيروان، كما قامت مدن العواصم مثل بغداد وسامراء وفاس ومراكش. وازدهرت المدن الدينية مثل مكة المكرمة والمدينة المنورة ثم ظهرت مدن لها صفة دينية مثل النجف وكربلاء ومشهد. أما المدن القديمة فقد ازدهرت في ظل الإسلام واصطبغت مظاهرها العامة بالصبغة الإسلامية وبرزت فيها خصائص المدينة الإسلامية بكل أبعادها.

وتتابع بناء المدن في الأقطار الإسلامية بمرور الزمن. وشهدت بعض المدن اضطراداً في النمو وتضاءلت أهمية بعض المدن الأخرى وهذه سنة الحياة. وحينما خضعت الأقطار الإسلامية للاستعمار الغربي أقام المستعمر مدناً خاصة تخدم أغراضه. لقد أنشأ المستعمرون سلسلة من الموانئ على شواطئ أفريقيا الغربية، وجعلوها عواصم لدول المنطقة، وهذه العواصم تمثل موقعاً هامشياً بالنسبة لدولها. وقد ركز المستعمر في هذه العواصم الوظائف الاقتصادية والإدارية. وما هذه العواصم إلا مراكز تجميع لحاصلات البلاد تمهيداً لنقلها إلى الدول المستعمرة.

وهكذا نشأت مدن متعددة مثل داكار، بانجول، كوناكري، فريتاون، لومي، لاجوس في غربي أفريقيا وجاكرتا وكراتشي ودكا في جنوب شرقي آسيا (السرياني: ١٤١٧هـ، ص٢٣٢).

وقد شهد العالم الإسلامي ازدهاراً في نمو المدن بعد الحرب العالمية الثانية فقد ظهرت مدن جديدة كانت بالأصل قرى أو موانئ صيد صغيرة. وكان لظهور الثروات البترولية أثر كبير في قيام هذه المدن مثل الكويت، الأحمدي، الدمام، الظهران، وعبدان، ومدن الخليج العربي الأخرى.

يمكن القول إن عملية التحضر في العالم الإسلامي بشكل خاص والدول النامية بشكل عام أخذت ثلاثة اتجاهات عامة، الاتجاه الأول ديموغرافي والاتجاه الثاني اقتصادي والاتجاه الثالث اجتماعي. ويرتبط الاتجاه الأول وهو الاتجاه الديموغرافي بنمو المدن السريع الذي شهدته دول العالم الإسلامي بعد الحرب العالمية الثانية وترجع أسباب هذا النمو إلى:

١ـ التصنيف الجديد للمراكز العمرانية الذي شمل العديد من المدن التي كانت أصلاً في عداد القرى.

٢ـ الزيادة الطبيعية للسكان الناجمة عن الفرق بين المواليد والوفيات.

٣ـ الهجرة إلى المناطق الحضرية من الأرياف والبوادي.

ويعتبر العامل الثالث العنصر الرئيس في النمو الحضري في دول العالم الثالث، ومنها الدول الإسلامية. وحتى نتمكن من التعرف على الأسباب التي تؤدي إلى الهجرة لابد من تقييم الجوانب الاقتصادية لعملية التحضر. وهذا ينقلنا إلى الاتجاه الثاني وهوالاتجاه الاقتصادي، وأبرز مظاهره التحول من الاقتصاد الزراعي، إلى الاقتصاد غير الزراعي الأمر الذي يؤثر في التركيب المهني للقوى العاملة. فقد طرأت على البناء الوظيفي للسكان تغيرات مهمة حيث انتقلت أعداد كبيرة من

القـوى العاملة من العـمل في الزراعـة وما يرتبط بهـا من أعـمال إلى العـمل في الصناعات والخدمـات المتنوعة وذلك من خلال الحركة السكانية المسـتمرة من المناطق الريفية إلى المناطق الحضرية.

أما الاتجاه الاجتـماعي للتحضر فقد برز من خـلال دور المدن في توليد ونشر التغيرات الاجتماعيـة على المستويين المحلي والوطني. وفي هذا فقد أصبحت المدينة مركزاً ونقطة انتشـار للأفكار والأعمال الجديدة والوسائل التقنيـة المعاصرة التي تؤثر في تغيير الأوضاع التـقليدية السائدة في المجتمعات الريفيـة المحيطة. وهذا ما يؤكد بصورة جلية وجهة النظر القائلة بأن للمدن نظاماً اجتماعياً يؤثر في تشكيل شخصية مميزة للأشخاص القاطنين فيها.

نخلص إلى القول أن التـحضر هو عملية من عـمليات التغير الاجـتماعي تمّ بواسطتـها انتقـال أهل الريف إلى المدن واكتـسابهم تدريجـياً أنماط الحـضر. أو هو عملية يتـحول بمقتضاها المجتـمع الريفي إلى مجتمع حضـري أو تأخذ القرية طابع المدينة ويظهر هذا التحضر من خلال صورتين متكاملتين هما:

- **التحضر الطبيعي**: والذي يعني أماكن الإقامة الدائمة في المناطق الحضرية.
- **التحضر الاجتماعي**: والذي يعني العمليات الاجتماعية التي يكسب الناس عن طريقهـا عناصر الثقـافة المادية وغـير المادية وأنماط السلوك والتفكـير التي تمثل خصائص مميزة للمدينة (السرياني: ١٩٩٠م، ص١٣٠).

بلغ عـدد سكان العـالم الإسـلامي عـام ١٩٩٦م (١٢٦٠) مليون نسـمـة. وتخـتلف نسبـة سكان الحضـر بين دولة وأخرى حـيث نجد أن بعض أقطار العـالم الإسلامـي يغلـب على سكانها الحيـاة ذات الطابع الريفـي والقـروي، فـي حين نجد أن بعضها الآخر ترتفع فيه نسبة سكان المدن ارتفاعا ملموساً (انظر جدول رقم ١).

ويمكننا تقسيم دول العـالم الإسلامي إلى ثلاث مجموعات على أسـاس نسبة السكان الحضر في كل منها:

(أ) المجموعة الأولى: والتي تقل فيها نسبة سكان الحضر عن ٣٠٪ من مجموع سكان الدولة. ويطلق عليـها دول متدنيـة التحضـر. وتشمل هذه المجمـوعة مايزيد عن ٢٢ دولة، منه ١٥ دولة في القارة الأفريقـية وسبع دول في القارة الآسيوية وقد تحدثنا عن هذه الدول فيما سبـق باعتبارها دولاً ترتفع فيها نسبة سكان الريف وتعيش على هامش الحياة الحضرية.

(ب) المجموعة الثانية: وتضم تلك الدول التي تتراوح فيها نسبة التحضر من ٣٠-٥٠٪ وتشمل هذه المجـموعة ١١ دولة من دول العالم الإسلامي مـنها أربعة من الأقطار العربـية (مصـر، المغرب، الجزائر، مـوريتانيـا) وأربعة من أقطار غـربي أفريقـيا (السـنغال، سـيراليـون، بنين، الكمـرون) إضافـة إلى أقطار أوزبكستان، وتركماستان، ويمكن أن نكرر ماسبق وذكرناه من أن بعض أقطار هذه المجموعة أيضـاً مثل مصر، الجزائر، سوريا، وأوزبكسـتان تحوي العديد من سكان المدن غير أن كبر حجم السكان الكلي يخفي وراءه هذا العدد الكبير من سكان المدن.

(جـ) المجمـوعة الثـالثة: وهي ذات المستـوى الحضري العـالي حيث تزيد نسـبة التحضر عن ٥١٪ وتدخل ضمن هذه المجموعة كافة أقطار العالم العربي في آسيا عدا اليمن وعُمان، وأقطار غربي اسيا (تركيا، إيران، أذربيجان) وكذلك قاراقستان وماليزيا وبروناي في شرقي اسـيا، وليبيا وتونس وجيبوتي والجابون من قـارة أفـريقـيـا. ومن الجـدير بالذكـر أنه يمكننـا رؤية نموذجين من هذه المجموعة: نموذج الدول البترولية ذات التحضر السريع (أقطار الخليج العربي والعراق وليـبيا وإيران وأذربيـجان وماليـزيا وبروناي والجابون) ونموذج الدول السياحية (لبنان، الأردن، فلسطين، وتونس).

وعند النظر في الظروف التاريخية التي صاحبت عملية التحضر يمكن أن نقسّم أقطار العالم الإسلامي بموجب هذه الظروف إلى ثلاثة أنواع متباينة هي:

(أ) التحضر البدائي: ويعكس ذلك حياة دول: إما أنها لم تدخل في الحياة الحضرية أو أنها تخلت عن اللحاق بسلسة التطورات الحضرية الواسعة التي شهدها العالم. فتطور قطاعاتها الإنتاجية بقي محدوداً أو مرتبطاً أساساً باقتصاديات بسيطة غير متطورة كالزراعة. ومما يزيد من التخلف الحضري لهذه الدول أن أدوات الإنتاج وأساليبه تكون بدائية إلى درجة لاتسمح بتكوين فائض إنتاجي يسمح بتوسع القاعدة الاقتصادية الحضرية، كما أن مثل هذه الدول بحكم ظروفها الطبيعية والاقتصادية الصعبة فإن احتمال نمو وتطور نويات حضرية كبيرة سوف يستغرق وقتاً طويلاً، ولذا ستبقى هذه الدول لفترة ليست بالقصيرة مرتبطة بانخفاض نسبة الحضرية بين سكانها. وتعتبر معظم المجموعة الأولى أمثلة بارزة لهذا النوع من التحضر.

(ب) التحضر القاعدي: وهو عملية النمو الحضري التي يكون فيها التطور تدريجياً ارتقائياً. والنمو الحضري القاعدي يكون عادة انعكاساً للتناسق في التحول الذي تشهده القطاعات الصناعية والزراعية والتجارية. فالتوازن في نمو هذه القطاعات يؤدي إلى اتساع مستمر في أنشطتها مما يخلق لديها قدرات استيعابية لامتصاص المزيد من الأيدي العاملة التي تتحول مع الأيام إلى سكان حضر وتعتبر مصر وسوريا والعراق والجزائر والمغرب وإيران وتركيا كأمثلة تقليدية لهذا النوع من التحضر.

(جـ) التحضر الفجائي: إن النمو الحضري في هذا النمط من التحضر يكون سريعاً وفجائياً، بحيث يخرج عن المعدلات المألوفة. والتحضر السريع يأتي نتيجة تغيرات فجائية كالتطورات في أساليب الإنتاج كأن يحدث تطور تقني يؤدي إلى تطور اقتصادي سريع. وهذا التطور الاقتصادي يؤدي إلى جذب

آلاف المهاجرين الذين يتحولون إلى سكان حضر. وتأتي هذه التغيرات الفجائية أحيانا نتيجة اكتشافات جديدة لمصادر الثروة مما يؤدي إلى اندفاع السكان بحثا وراء فرص اقتصادية جديدة.

ففي الأقطار النفطية أخذ الاندفاع الشديد وراء اكتشاف النفط يغير من ملامح الخريطة الاقتصادية والسياسية والاحتماعية والسكانية للمناطق التي اكتشف فيها النفط. فشهدت مدن النفط حركة نمو سكاني سريعة نتيجة الباحثين عن حياة اقتصادية أفضل، وزادت الهجرة إلى هذه المدن، وزادت نسبة سكان الحضر بشكل مفاجئ وسريع، وكان نموها أقرب إلى الطفرة منه إلى النمو الطبيعي، وظهر ذلك جليا في أقطار دول الخليج العربية وليبيا وبروناي وماليزيا وإيران، التي تحوّلت قراها السابقة خلال سنوات قليلة إى مدن عامرة ومزدهرة خلال فترة زمنية وجيزة. وقد حصل مايشبه ذلك أيضاً في قازاقستان حيث أحدث اكتشاف الثروات المعدنية وقيام الصناعة على هذه الثروات أثراً مشابها لما أحدثه النفط في تلك البلاد.

إن صور التحضر الثلاثة السابقة (البدائية والقاعدية والفجائية) تُظهر أمرين أساسيين توصل إليهما دنكان وجبز Duncan & Gibbs وهما:

١- إن درجة التحضر في المجتمع تتناسب بصورة طردية مع طبيعة نظام تقسيم العمل.

٢- تتناسب درجة التحضر في المجتمع تناسباً طردياً مع التطور التقني، ربعبارة أخرى كلما زاد تقسيم العمل من حيث الشكل والمضمون، واتجه نحو زيادة التخصص وتوزيع الأدوار بشكل دقيق تزداد الحاجة إلى التخصصات الدقيقة في مختلف قطاعات الإنتاج الصناعي والزراعي والخدمات الصحية والتربوية والترويحية... الخ. ومثل هذه التخصصات تتطلب مؤسسات ومعاهد ومكاتب وإدارات وهيئات ترتبط بكل مهنة. وغالباً ما تتخذ هذه الهيئات والمؤسسات المدن كمراكز لهم لمزاولة نشاطهم الاقتصادي والاجتماعي.

كما أن درجة التحضر تتـأثر طردياً بالتطور التقني سواء أكان التطور نابعاً من إنتـاج المجتمـع أو في حالـة استيراد التقنيـة واستخدامها. والتحضر يزداد مع توسع استخدام التقنيـة والاعتماد عليها سواء أكانت هذه التقنية للأغـراض الاستهلاكية أو الإنتاجية أو لتوفير الخدمات للفـرد والأسرة وللهيئات وللمجتمع بصـورة عامـة، إذ إن إنتـاج التقنـية أو استيـرادها يتطلـب مؤسـسات عـديدة من ورش للصيانة ومراكز للتدريـب ومكاتب ومؤسسـات الإعلان وشـركات التـسويق والتـوريد والوسطـاء اللازمـين لكـل مرحلة مـن مراحل الأخذ بأسبـاب التقنية إلى مـراحل توطينها في البلدان النامية (أبو عياش وزميله: ١٩٨٠م، ص ص١٣٣- ١٣٤).

نخلص إلى القول أن المجـتمع الحضـري ظاهرة بارزة ومميزة في المجتمـعات الإسلامـية وتشتـرك هذه المجتمـعات الحضـرية في العديد من الخـصائص والملامح الحضارية سواء في الفن المعـماري أو المعطيات الثقافية الإسلامـية والتراث الحضاري المشتـرك. كما تشتـرك في العوامل التي ساهمت في التـحضر السريع سـواء كانت العوامل الجاذبة أم العوامل الطاردة وكذلك نمو المراكـز الحضرية بصورة أسرع من نمو المجتمعـات الريفية. ونتيجة لهـذا النمو غير المتوازن نجد أن المدن الإسـلامية تواجه العديد من المشكلات الـفنية والإدارية والاجتـماعية والتـنظيميـة التي تتطلب إجراء الدراسات المختلفة بقصد تشـخيص المشكلات وتحديد أبعادها ووضع الحلول المناسبة ومراحل تنفيذها (أبو عياش وزميله: ١٩٨٠م، ص١٢٧).

ومهما قـيل من عدم مواكبة المدن الإسلامية لـنواحي التطور والتقدم فإن هذه المدن ستبقى كما يرى (فريدمان):

(أ) مراكز نشر الأفكار والمخترعات المستحدثة ومراكز للتغيير والإشعاع الحضاري.

(ب) مراكز اتخاذ القرارات والسلطة.

(جـ) مراكز للهجرة الداخلية والخارجية.

(د) مراكز للاستثمارات المادية والبشرية (Freedmen, 1975: p2).

انعكاسات الثقافة الدينية على مخططات المساكن وأنماط الاستيطان.

إن أنماط الاستيطان الريفية التي تحدثنا عنها في السابق والتي لاتعدو أن تكون قرية صغيرة أو قـرية كبيرة تحدد أشكالها المواضع التي تبنى فوقـها المراكز السكنية. ومفهوم الموضوع هنا يرتبـط بالعلاقة المباشرة بين المساكن والبيئة الطبـيعية التي تبنى فوقها.

إن مواضع القرى تكون إما على التلال المنـبسطة أو السفوح المنحدرة أو على طول الأودية في أمكنة مـرتفـعـة قليـلاً عن خطر السـيـول، ويحكم هذه المواضع ويقيدها مواقع الأراضي الزراعية وموارد المياه والأغراض الدفاعية والعوامل الأسرية والعائلية.

فالأرض الزراعيــة ومقدار سعتـها وضيقهـا عامل محدد لنمـو القرية، لأنها كانت في السابق هي مـصدر الرزق الوحيد للمزارع، ولهـذا فإن القرى تتناسب في حجـمها مـع إمكـاناتهـا من الأرض الزراعيـة سـواء أكان ذلك في السـهول أو في مناطق المدرجات التي تنتشر على السفوح أو على طول الأودية.

أما عامل الـدفاع والحماية فيـفرض اختيـار المواضع الحصينة والوعـرة أحياناً للدفاع عن المسـتوطنة في المناطق الجبليـة، والارتفاع عن مستـوى السيل في مناطق الأودية لدرء خطر الفيضانات والسيول.

يرتبط بالموضـوع شكل المستوطنة والنسـيج العمـراني فيهـا، وفي هذا المجال يمكن أن نرى في الغـالـب المسـتـوطنات ذات الشكل المندمج حـيث المظهـر الريفي التقليدي هو تحلق المساكن حول مركز القـرية وفوق مساحة صغيرة من الأرض تضم جميع المساكن بشكل متقارب ومـتلاصق تماما. وكل القرى في الغالـب تأخذ شكلاً متحد المركز وتلتف القرية حول المسـجد الذي يمثل نقطة المركز ومحور القرية ويقوم السوق بجانبه.

وتمتاز القرية بوجود قطع من الأراضي مختلفة الزحجام تقوم عليها منازل متباينة الأبعاد تفصلها شوارع ضيقة ومتعرجة وتختلط استعمالات الأرض هنا اختلاطاً كبيراً يصعب تمييزه.

ومما يميز القرية ويعكس أثر الجانب الديني على الاستيطان مقدار الترابط الأسري بين السكان حيث نجد أن جميع الأقارب يعيشون في حي واحد من القرية، وربما تكون مساكن القرية لأفراد أسرة واحدة سكنتها ابتداءً. ويلعب عامل الإرث دوراً بارزاً في تفتيت الملكية، وجعل المساكن والدور تتضاءل ويصغر حجمها بمرور الزمن. أما عامل الشفعة فيساعد على إبعاد العناصر الغريبة والأجنبية عن السكن في الحي الواحد.

أما أنماط الاستيطان الحضري فتمثلها المدينة بكل أبعادها ومعانيها. والمدينة غنية عن التعريف سواء أكانت صغيرة أم كبيرة فلها من الخصائص المميزة ما يجعلها منارة يعرفها القاصي والداني.

ويحدد مواضع المدن ومواقعها، العديد من العوامل التي لايتسع المجال لذكرها، وتستوي في ذلك المدن الإسلامية وغيرها من المدن الأخرى.

إن ما يميز المدن الإسلامية في العادة أن شكلها يتركز حول النواة التي تمثل المسجد الذي يشكل نقطة الارتكاز وبؤرة الدائرة وتلتف الأسواق حول المسجد وتحيط به ثم تأتي المساكن المختلفة.

إن التكوينات المعمارية في المدن أكثر تعقيداً وأكثر رقياً من القرية. والذي يهمنا من هذه النكوينات تلك التي تعكس الثقافة والتأثير الديني في المدن الإسلامية وتطبعه بطابع مميز. وهذا ينقلنا مباشرة إلى المسكن الذي ترتبط به حياة الأسرة المسلمة ويمثل أصدق تمثيل تأثير العقيدة على حياة الناس ذلك التأثير المرتبط بمبدأ الخصوصية المميزة للحياة الاجتماعية في المدينة الإسلامية وفي تكويناتها المعمارية المختلفة.

لقد حددت التعاليم الإسلامية نظام الحياة الأسرية بما يحفظ الحرمات والعرض، وأصدر الفقهاء والقضاة أحكاماً مختلفة تدعم الخصوصية، ولم يتسامحوا في كشف حرمات المنازل بالنظر من أبوابها آو أثناء المرور في الشارع، أو بجرحها من خلال الاطلاع على المنازل المجاورة من الأسطح والكوى التي تكشف بيوت الآخرين. وكان لتمسك السكان بالتستر عل حرماتهم، وحرص السلطة على تمكينهم من ذلك أثر مباشر في الشكل المادي للمدينة الإسلامية. وقد أخذ مظاهر متعددة من بينها تحديد شروط معينة لارتفاع المباني، وتنظيم المطلات على الشوارع بطريقة خاصة وكذلك فتح الأبواب عليها، وتنظيم استغلال الأسطح بشكل يحول دون كشف البيوت المجاورة.

لقد أثرت الأحكام الفقهية المحققة "للخصوصية" وعدم كشف الحرمات في تخطيط المنزل الإسلامي. فوجبت المعادلة بين ضيق الشوارع والطرقات الجانبية وبين منع فتح النوافذ والمطلات عليها حتى لاتكشف البيوت المجاورة. وتمثل الحل في الاقتصار على استخدام الشارع كشريان اتصال واعتمد على الفناء الداخلي لفتح النوافذ والمطلات. ومن هنا ساد الفناء كعنصر رئيس في تخطيط المنزل الإسلامي. وأصبح يمثل محور النشاط الرئيس في المساكن والمباني الإسلامية الأخرى. والفناء عنصر أساسي في تخطيط المنزل الشرقي باعتبار ملاءمته المعمارية لمناخ المنطقة الحارة، فهو يساعد على خفض درجة الحرارة نتيجة الظلال الناتجة من تقابل أضلاعه ونتيجة تبخير نسبة من الماء من النوافير التي توضع فيه وتعمل المزروعات التي تزرع أحياناً في الفناء على تلطيف الجو أيضاً.

لقد استخدم الفناء في فتح النوافذ تجنباً لصعوبة فتحها على الشوارع الخارجية، واستخدم كعنصر اتصال وحركة للربط بين أجزاء المنزل المختلفة بالإضافة إلى استخدامه في الأغراض المعيشية الأخرى. وهذه الميزات حتمت استمرارية استخدامه في التكوينات المعمارية بالمدينة الإسلامية، بل إنها دفعت إلى تطور استخدامه وظيفياً وجمالياً ليتناسب والحياة الأسرية المسلمة التي تقضي معظم وقتها داخله وخصوصاً النساء.

وكان تنكيب الأبـواب الخارجيـة المطلة على الشوارع وطرقات المـدينة مظهراً معمارياً مـستوحى من أحكام الفقه الإسلامي، التي دعت إلى عـدم كشف حرمات المنازل من خلال هذه المداخل. ولضيق النـسبة الغالبة على شوارع المدينة الفـرعية، وحرصـاً على حـماية أهل المنزل من عـيون المارة أو من عـيون أهل المنازل المقـابلة خططت مداخل المنازل بطريقة تمنع هذا الكشف. وتمثل تخطيطهـا في هيئة دهليز أو ممر ملتو أو منكسر يؤدي إليه الباب المطل على الشارع. ويوجد في أحد جانبي الممر باب ثان يؤدي إلى الصحن أو فناء المنزل وبذا توافرت الحماية لمن بفناء المنزل.

وفي حالة امكانيـة فتح النوافذ على الشوارع كـان الحرص شديداً على أن لا تفسد هذه النوافذ خـصوصية هذه المنازل بالكشف. ومن ثمَّ برزت السواتر الخـشبية المصنوعة من خشب انخرط على هيئة سـواتر أو مشربيات تمكن من خلفها من روية الشـارع ولا تمكن من في الشارع من رؤية داخلهـا، إضافـة إلى ميـزاتهـا الأخرى كتقليل نسبة الأشعة المارة من خلالها وتلطيف الهواء الحار أثناء مروره من خلالها.

ولمزيد من الخصـوصية فقـد صممت قاعـات الاستقـبال في المنازل تصميـماً خاصًـا بحيث وضعت غـالباً بعيـداً عن غرف المعيشـة والنوم. وفي بعض الأقطار خصص أعلى طابق لاستقبال الضيـوف والاجتماعات والراحة. وفي هذا جمع بين استـقلالية غرف الاسـتقبال عن بقـية الوحدات الأخـرى في المنزل والإشراف على المدينة ومناظـرها الطبـيـعـية الأخـرى. وقـد تطور هذا الاتجـاه في تـخطيط المنزل الإسلامي بحيث أصبح المنزل يشمل على قسم مخصص للرجال واستقبالاتهم وهو مايطلق علـيه "السلاملك" وقـسم آخر يشتـمل على غرف المعـيشة وقـاعات النوم ومرافقها وهو ما يطلق عليه اسم "الحرملك" نسبة إلى الحريم.

نمو السكان في العالم الإسلامي:

يظهر الجدول رقم(٢) تطور أعداد السكان في دول العالم الإسلامي خلال الفترة ١٩٠٠- ٢٠٢٥م ،ومنه تظهر الزيادة الكبيرة التي طرأت على أعداد السكان. فقد قفز عدد سكان العالم الإسلامي من ٢٢٠ مليون نسمة في بداية القرن العشرين الميلادي إلى مايزيد عن مليار وربع المليار نسمة في نهايته أي أن الزيادة كانت ٦٠٠٪. وإذا استمرت الزيادة السكانية بهذا المستوى فإن العدد سيصل وفقاً لتقديرات الأمم المتحدة رلى ٢٢٣١ مليون نسمة في نهاية ربع القرن الميلادي القادم (٢٠٢٥م).

جدول رقم(٢) تطور أعداد السكان في العالم الإسلامي

السنة	عدد السكان
١٩٠٠م	٢١٩
١٩٣٠م	٢٧٠
١٩٥٠م	٣٧٧
١٩٧٠م	٦١٩
١٩٩٦م	١٢٦٠
٢٠٢٥م	٢٢٣١

إن عوامل النمو السكاني تنحصر في ثلاثة أمور هي المواليد والوفيات والهجرة. ويعرف الفرق بين المواليد والوفيات بالزيادة الطبيعية، التي هي العامل الحاسم في نمو السكان لمعظم دول العالم. أما الهجرة فتلعب دوراً مهماً في الزيادة غير الطبيعية للسكان، والتي يظهر أثرها في الدول المستقبلة للمهاجرين أو الدول المرسلة لهم. وفيما يلي لمحة موجزة عن هذه العوامل:

المواليد: يبلغ المعدل العالمي للمواليد ٢٤ بالالف (١٩٩٦م) ويرتفع هذا المعدل في الدول النامية إلى ٣١ بالألف. والناظر إلى الجدول رقم(٣) الذي يظهر معدل المواليد في العالم الإسلامي يرى أن الغالبية العظمى من أقطاره ترتفع بها نسبة المواليد عن المعدل العالمي، لا بل إن أكثر من نصف أقطار العالم الإسلامي يرتفع فيها معدل المواليد عن المعدل العام للدول النامية وهو ٣١ بالألف. إن معظم أقطار أفريقيا المدارية يزيد فيها معدل المواليد عن ٤٠ بالألف. وهناك بعض الدول تصل فيها الخصوبة أقصاها بحيث تزيد نسبة المواليد عن ٥٠ بالألف وهو الرقم الذي يمثل الحد الأقصى لمعدل المواليد (مالي، النيجر، الصومال، اليمن، وأفغانستان وغيرها) (جدول رقم ٤).

جدول رقم(٣) معدل المواليد بالألف في دول العالم الإسلامي

المعدل	عدد الدول	أسماء الدول
أقل من ٢٩	١٩	المغرب، تونس، البحرين، الكويت، قطر، الإمارات، لبنان، فلسطين، تركيا، أذربيجان، إندونيسيا، ماليزيا، بروناي، قازاقستان، أوزبكستان، طاجكستان، قرغيزيا، الجابون، البانيا.
٣٠- ٣٩	١٠	الجزائر، مصر، موريتانيا، جيبوتي، الأردن، السعودية، بنغلادش، إيران، باكستان، تركمانستان.
٤٠- ٤٩	١٩	ليبيا، السودان، سوريا، العراق، بنين، بوركينافاسو، غينيا، غينيابيساو، نيجيريا، السنغال، سيراليون، جزر القمر، أريتريا، أثيوبيا، الكمرون، تشاد، المالديف، تنزانيا.
٥٠ فأكثر	٧	مالي، النيجر، الصومال، أوغندا، عُمان، اليمن، أفغانستان.

المصدر: World Population Data Sheet, 1996

وإذا قارنا أرقام المواليد الحالية (١٩٩٦م) بنظيرتها قبل ربع قرن (١٩٧١م) نجد أن هناك انخفاضاً ملموساً في معدلات المواليد في الكثير من دول العالم الإسلامي وأقطاره (جدول رقم ٤). ونرى أن معدلات هذا الانخفاض كبيرة في بعض الدول مثل أقطار شمالي أفريقيا (المغرب والجزائر وتونس ومصر) وأقطار الخليج العربي (الكويت، قطر، الإمارات، البحرين، والسعودية) إضافة إلى الأردن ولبنان وفلسطين وتركيا وإيران وإندونيسيا وماليزيا. ويرتبط انخفاض معدلات المواليد في أقطار الخليج العربي بارتفاع سن الزواج نظراً لظروف التعليم التي حصلت للمرأة الخليجية الأمر الذي ساعد على انخفاض معدلات المواليد. أما الأقطار الأخرى فيعزى انخفاض معدلات المواليد لبرامج تنظيم الأسرة المتبعة في تلك الدول[٩]. وإذا استثنينا الدول الإسلامية التي استقلت عن الاتحاد السوفيتي (السابق) وسط آسيا والتي تقل فيها معدلات المواليد نسبياً، فإننا نجد أن بقية أقطار العالم الإسلامي ذات معدلات مواليد مرتفعة.

جدول رقم(٤) الإحصاءات الحيوية لدول العالم الإسلامي

(١٩٧١م - ١٩٩٦م)

الدولة	السكان بالمليون		المواليد بالألف		الوفيات بالألف		الزيادة الطبيعية بالألف		الحضرية (٪)	
	١٩٩٦م	١٩٧١م	١٩٩٦م	١٩٧١م	١٩٩٦م	١٩٧١م	١٩٩٦م	١٩٧١م	١٩٩٦م	١٩٧١م
الجزائر	٢٩,٠	١٤,٥	٣٠,٠	٥٠,٠	٦,٠	١٧,٠	٢,٤٠	٣,٣٠	٥٠,٠	---
مصر	٦٣,٧	٣٤,٩	٣٠,٠	٤٤,٠	٧,٠	١٥,٠	٢,٢٠	٢,٨٠	٤٤,٠	---
ليبيا	٥,٤٠	١,٩٠	٤٥,٠	٤٦,٠	٨,٠	١٥,٠	٣,٧٠	٣,١٠	٨٥,٠	---
المغرب	٢٧,٦	١٦,٣	٢٩,٠	٥٠,٠	٦,٠	١٥,٠	٢,٢٠	٣,٣٠	٤٧,٠	---
السودان	٢٨,٩	١٦,٣	٤٢,٠	٤٩,٠	١٢,٠	١٨,٠	٣,٠٠	٣,٢٠	٢٧,٠	---
تونس	٩,٢٠	٥,٣٠	٢٣,٠	٤٥,٠	٦,٠	١٤,٠	١,٧٠	٣,١٠	٦٠,٠	---
بنين	٥,٦٠	٢,٨٠	٤٩,٠	٥١,٠	١٨,٠	٢٦,٠	٣,١٠	٢,٦٠	٣٦٠	---
بوركينافاسو	١٠,٦	٥,٥٠	٤٧,٠	٤٩,٠	١٩,٠	٢٨,٠	٢,٨٠	٢,١٠	١٥,٠	---
غامبيا	١,٢٠	٠,٤	٤٨,٠	٤٢,٠	٢١,٠	٢٣,٠	٢,٧٠	١,٩٠	٢٦,٠	---
غينيا	٧,٤٠	٤,٠	٤٤,٠	٤٧,٠	٢٠,٠	٢٥,٠	٢,٤٠	٢,٣٠	٢٩,٠	---
غينيا بيساو	١,١٠	---	٤٣,٠	---	٢١,٠	---	٢,١٠	---	٢٢,٠	---
مالي	٩,٧٠	٥,٢٠	٥٢,٠	٥٠,٠	٢٠,٠	٢٥,٠	٣,١٠	٢,٤٠	٢٦,٠	---
موريتانيا	٢,٣٠	١,٢٠	٣٩,٠	٤٥,٠	١٤,٠	٢٣,٠	٢,٥٠	٢,٢٠	٣٩,٠	---
النيجر	٩,٥٠	٤,٠٠	٥٣,٠	٥٢,٠	١٩,٠	٢٣,٠	٣,٤٠	٢,٩٠	١٥,٠	---
نيجيريا	١٠٣,٩	٥٦,٥	٤٣,٠	٥٠,٠	١٢,٠	٢٥,٠	٣,١٠	٢,٦٠	١٦,٠	---
السنغال	٨,٥٠	٤,٠٠	٤٣,٠	٤٦,٠	١٦,٠	٢٢,٠	٢,٧٠	٢,٤٠	٤٣,٠	---
سيراليون	٤,٦٠	٢,٧٠	٤٦,٠	٤٦,٠	١٩,٠	٢٢,٠	٢,٧٠	٢,٣٠	٣٥,٠	---
جزر القمر	٠,٦٠	---	٤٧,٠	---	١١,٠	---	٣,٦٠	---	٢٩,٠	---
جيبوتي	٠,٦٠	---	٣٨,٠	---	١٦,٠	---	٢,٢٠	---	٧٧,٠	---
أريتريا	٣,٦٠	---	٤٣,٠	---	١٥,٠	---	٢,٨٠	---	١٧,٠	---

تابع جدول رقم (٤)

	السكان بالمليون		المواليد بالألف		الوفيات بالألف		الزيادة الطبيعية بالألف		الحضرية (٪)	
	١٩٩٦م	١٩٧١م	١٩٩٦م	١٩٧١م	١٩٩٦م	١٩٧١م	١٩٩٦م	١٩٧١م	١٩٩٦م	١٩٧١م
اثيوبيا	٥٧,٢	٢٥,٦	٤٦,٠	٤٦,٠	١٦,٠	٢٥,٠	٣,١٠	٢,١٠	١٥,٠	---
الصومال	٩,٥٠	٢,٩٠	٥٠,٠	٤٦,٠	١٩,٠	٢٤,٠	٣,٢٠	٢,٤٠	٢٤,٠	---
تنزانيا	٢٩,١	١٣,٦	٤٣,٠	٤٧,٠	١٤,٠	٢٢,٠	٣,٠٠	٢,٦٠	٢١,٠	---
أوغندا	٢٢,٠	٨,٨٠	٥٢,٠	٤٣,٠	١٩,٠	١٨,٠	٣,٣٠	٢,٦٠	١١,٠	---
الكمرون	١٣,٦	٥,٩٠	٤١,٠	٤٣,٠	١٢,٠	٢١,٠	٢,٩٠	٢,٢٠	٤١,٠	---
تشاد	٦,٥٠	٣,٨٠	٤٤,٠	٤٨,٠	١٨,٠	٢٣,٠	٢,٦٠	٢,٤٠	٢٢,٠	---
الجابون	١,٢٠	٠,٥	٢٩,٠	٣٥,٠	١٤,٠	٢٦,٠	١,٥٠	٠,٩	٧٣,٠	---
أدربيجان	٦,٧٠	---	٢١,٠	---	٧,٠	---	١٤,٠	---	٥٣,٠	---
البحرين	٠,٦٠	---	٢٩,٠	---	٣,٠٠	---	٢,٦٠	---	٨٨,٠	---
العراق	٢١,٤	١٠,٠	٤٤,٠	٤٩,٠	٧,٠٠	١٥,٠	٣,٧٠	٣,٤٠	٧٠,٠	---
فلسطين	٥,٨٠	٣,٠	٢١,٠	٢٦,٠	٦,٠٠	٧,٠٠	١,٥٠	٢,٤٠	٩٠,٠	---
الأردن	٤,٢٠	٢,٤٠	٣٢,٠	٤٨,٠	٦,٠٠	١٦,٠	٢,٦٠	٣,٣٠	٧٨,٠	---
الكويت	١,٨٠	٠,٨	٢٦,٠	٤٣,٠	٢٠,٠	٧,٠٠	٢,٣٠	٨,٢٠	٩٦,٠	---
لبنان	٣,٨٠	٢,٩٠	٢٥,٠	---	٥,٠٠	---	٢,٠٠	---	٨٦,٠	---
عمان	٢,٣٠	٠,٧	٥٣,٠	٤٢,٠	٤,٠٠	١١,٠	٤,٩٠	٣,١٠	١٢,٠	---
قطر	٠,٧٠	---	١٨,٠	---	٢,٠٠	---	١,٦٠	---	٩١,٠	---
السعودية	١٩,٤	٨,٠٠	٣٦,٠	٥٠,٠	٤,٠٠	٢٣,٠	٣,٢٠	٢,٨٠	٧٩,٠	---
سوريا	١٥,٦	٦,٤٠	٤٤,٠	٤٧,٠	٦,٠٠	١٥,٠	٣,٧٠	١,٥٠	٥١,٠	---
تركيا	٦٣,٩	٣٦,٥	٢٣,٠	٤٣,٠	٧,٠٠	١٦,٠	١,٦٠	٢,٧٠	٦٣,٠	---
الإمارات	١,٩٠	---	٢٣,٠	---	٤,٠٠	---	١,٩٠	---	٨٢,٠	---

تابــع جــدول رقـــم (٤)

الدولـة	السكان بالمليون		المواليد بالألف		الوفيات بالألف		الزيادة الطبيعية بالألف		الحضرية (٪)	
	١٩٩٦م	١٩٧١م	١٩٩٦م	١٩٧١م	١٩٩٦م	١٩٧١م	١٩٩٦م	١٩٧١م	١٩٩٦م	١٩٧١م
اليمن	١٤,٧	٥,٩٠	٥٣,٠	٥٠,٠	٢١,٠	٢٣,٠	٣,٢٠	٢,٨٠	٢٣,٠	---
أفغانستان	٢١,٥	١٧,٤	٥٠,٠	٥٠,٠	٢٢,٠	٢٦,٠	٢,٨٠	٢,٥٠	١٨,٠	---
بنغلادش	١١٩,٨	---	٣١,٠	---	١١,٠	---	٢,٠٠	---	١٦٦,٠	---
إيران	٦٣,١	٢٩,٢	٣٦,٠	٤٨,٠	٧,٠٠	١٨,٠	٢,٩٠	٣,٠٠	٥٨,٠	---
قازاقستان	١٦,٥	---	١٨,٠	---	٩,٠٠	---	٠,٩٠	---	٥٦,٠	---
قرغيزيا	٤,٦٠	---	٢٥,٠	---	٨,٠٠	---	١,٦٠	---	٣٥,٠	---
المالديف	٠,٣٠	---	٤٣,٠	---	٧,٠٠	---	٣,٦٠	---	٢٦,٠	---
باكستان	١٣٣,٥	١٤١,٦	٣٩,٠	٥٠,٠	١٠,٠	١٨,٠	٢,٩٠	٣,٣٠	٢٨,٠	---
طاجكستان	٥,٩٠	---	٢٨,٠	---	٧,٠٠	---	٢,١٠	---	٢٨,٠	---
تركمانستان	٤,٦٠	---	٣٢,٠	---	٨,٠٠	---	٢,٤٠	---	٤٥,٠	---
أوزبكستان	٢٣,٢	---	٢٩,٠	---	٧,٠٠	---	٢,٣٠	---	٣٩,٠	---
بروناي	٠,٣٠	---	٢٧,٠	---	٣,٠٠	---	٢,٤٠	---	٦٧,٠	---
إندونيسيا	٢٠١,٤	١٢٤,٩	٢٤,٠	٤٧,٠	٨,٠٠	١٩,٠	١,٦٠	٢,٩٠	٣١,٠	---
ماليزيا	٢٠,٦	١١,١	٢٨,٠	٣٧,٠	٥,٠٠	٨,٠٠	٢,٤٠	٢,٨٠	٥١,٠	---
ألبانيا	٣,٣٠	٢,٢٠	٢٣,٠	٣٦,٠	٦,٠٠	٨,٠٠	١,٧٠	٢,٧٠	٣٧,٠	---
البوسنة والهرسك	٣,٦٠	---	١٣,٠	---	٧,٠٠	---	٠,٦٠	---	٠,٠٠	---

(---) غير متوافر.

المصدر : World Population Data Sheet, 1996

الوفيات: يبلغ المعدل العالمي للوفيات ٩ بالألف، ويرتفع في الدول النامية إلى ١٠ بالألف، ويبلغ أقصى مدى لمعدل الوفيات في أفريقيا بحيث يصل إلى ١٣ بالألف. والجدول السابق رقم(٤) إضافة إلى جدول رقم(٥) يظهر معدل الوفيات في أقطار العالم الإسلامي. ولابد لنا قبل مناقشة محتويات هذا الجدول، أن نبرز أن الأرقام الإحصائية للوفيات بشكل خاص، وللإحصائيات الحيوية بشكل عام، هي أرقام غير دقيقة بالنسبة لكثير من الدول النامية، ومن جملتها أقطار العالم الإسلامي. وليس أدل على ذلك من أن إحصاءات عام ١٩٩٦م سجلت أن معدل وفيات الدول المتقدمة هو ١٠ بالألف، أما وفيات الدول النامية فهو ٩ بالألف. وهذا مخالف تماماً للواقع، وسببه عدم الدقة في بيانات الوفيات في الدول النامية عنها في الدول المتقدمة. فأغلب الدول النامية إحصاءاتها الحيوية غير مكتملة، وتبنى في الغالب على تقديرات خاصة. لذا فإن بيانات الوفيات المنشورة من قبل الدوائر السكانية العالمية ستستخدم كمؤشرات إحصائية تعطي دلالات معينة دون أن تكون حقائق أكيدة.

جدول رقم(٥) معدل الوفيات (في الألف) في دول العالم الإسلامي (١٩٩٦م)

المعدل بالألف	عدد الدول	أسماء الدول
أقل من ٩	٢٩	السعودية، قطر، البحرين، الإمارات، عُمان، الكويت، لبنان، الأردن، فلسطين، العراق، سوريا، المغرب، الجزائر، تونس، ليبيا، مصر، تركيا، إيران، أذربيجان، قازاقستان، أوزبيكستان، تركمانستان، طاجكستان، قرغيزيا، المالديف، إندونيسيا، ماليزيا، بروناي، ألبانيا.
١٠- ١٩	٢٠	باكستان، بنغلادش، موريتانيا، السودان، الصومال، جيبوتي، أريتريا، أوغندا، أثيوبيا، جزر القمر، تشاد، النيجر، بوركينافسو، الكمرون، الجابون، بنين، السنغال، سيراليون، نيجيريا.
٢٠- ٢٢	٦	أفغانستان، اليمن، مالي، غينيابيساو، غينيا، غامبيا.

المصدر: World Population Data Sheet, 1996

يظهر الجدول السابق رقم(٤) أن هناك انخفاضاً ملموساً في نسبة الوفيات العامة خلال ربع القرن الماضي من (١٩٧١- ١٩٩٦م)، ومع ذلك فإن الدول الإسلامية لم تشهد كلها هبوطاً ملحوظاً في الوفيات بدرجة متساوية حيث كان الهبوط ضئيلاً في بعضها مثل أفغانستان واليمن ومالي وغينيا، ومتوسطاً في أقطار أخرى مثل باكستان وبنغلادش وكافة دول أفريقيا المدارية. أما الهبوط الشديد في الوفيات عموماً وفي وفيات الأطفال على وجه الخصوص فنجده في معظم الأقطار العربية والأقطار الإسلامية في الاتحاد السوفيتي سابقا إضافة إلى تركيا وإيران وإندونيسيا وماليزيا.

الزيادة الطبيعية: هي الفرق بين معدل المواليد والوفيات، وقد ألمحنا إلى كل من المواليد والوفيات آنفاً. وإن نظرة تحليلية لأرقام الزيادة الطبيعية الموجودة في الجدولين رقم(٤ و٦) تظهر لنا أن معدلات الزيادة الطبيعية في العالم الإسلامي تتسم بالارتفاع الكبير سواء على مستوى العالم، أو على مستوى العالم النامي. تبلغ الزيادة الطبيعية على مستوى العالم ١,٥٪ سنوياً. أما على مستوى الدول النامية فتبلغ الزيادة الطبيعية ٢,٢٪. وإذا نظرنا إلى أقطار العالم الإسلامي نجد أن كافة أقطار العالم الإسلامي باستثناء أذربيجان (٤ بالألف) هي أعلى في الزيادة الطبيعية من المستوى العالمي وهو ١,٥٪. أما باقي أقطار العالم الإسلامي فتزيد فيها هذه النسبة عن المتوسط العالمي للدول النامية وهو ٢,٢٪. وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على أن دول العالم الإسلامي ستشهد نمواً سكانياً كبيراً يفوق معدل النمو السكاني العالمي خلال ربع القرن الميلادي القادم. وأن تقديرات السكان لعام ٢٠٢٥م الموجودة في الجدول السابق تؤكد أن العالم الإسلامي سيرتفع عدد سكانه إلى ٢٢٣١ مليون نسمة مقابل ١٢٦٠ مليون نسمة عام ١٩٩٦م.

جدول رقم(٦) معدل الزيادة الطبيعية في دول العالم الإسلامي

النسبة المئوية	عدد الدول	أسماء الدول
٢,٢ فأقل	١٥	المغرب، تونس، جيبوتي، فلسطين، قطر، الإمارات، الجابون، غينيابيساو، تركيا، أذربيجان، قازاقستان، قرغيزيا، طاجكستان، إندونيسيا، ألبانيا.
٢,٢ -٢,٩	٢٣	الكويت، لبنان، البحرين، الأردن، الجزائر، مصر، السنغال، سيراليون، غامبيا، غينيا، موريتانيا، تشاد، الكمرون، بوركينافاسو، أريتريا، أفغانستان، إيران، باكستان، بنغلادش، تركمانستان، أوزبكستان، ماليزيا، بروناي.
٣,٠ -٥,٠	١٧	ليبيا، السودان، الصومال، سوريا، العراق، السعودية، عُمان، اليمن، أثيوبيا، جزر القمر، بنين، مالي، النيجر، نيجيريا، تنزانيا، أوغندا، المالديف.

المصدر : World Population Data Sheet, 1996

نخلص إلى القول أن العالم الإسلامي شهد زيادة سكانية كبيرة خلال العقدين الماضيين. وأنه من المحتمل أن يواصل هذه الزيادة خلال العقدين القادمين بسبب ماهو ملاحظ من انخفاض في معدلات الوفيات في السنوات الأخيرة، مع عدم انخفاض معدلات المواليد بالنسبة نفسها، الأمر الذي ينجم عنه زيادة كبيرة لأعداد السكان.

وبموجب تقديرات الأمم المتحدة عن مدة تضاعف السكان نجد أن ٢٤ دولة من دول العالم الإسلامي سيتضاعف عدد سكان كل منها خلال ٢٥ عاماً، و١٢ دولة أخرى يتضاعف عدد سكانها بين ٢٦- ٢٩ عاماً وما يزيد عن ٢٠ دولة أخرى يتضاعف سكان كل منها خلال فترة زمنية لا تتجاوز ٤٠ عاماً.

الدلالات الحضارية والدينية لنمو السكان: ترجع ظاهرة ارتفاع معدلات المواليد في العالم الإسلامي إلى عدة أسباب منها: طبيعة المجتمعات الإسلامية الزراعية، التي تشجع استخدام الأطفال في العمل الزراعي وفي الحرف اليدوية منذ وقت مبكر، واعتماد الآباء الطاعنين في السن على أبنائهم الشباب لضمان الاستقرار عند الكبر. والقيمة الكبيرة للأطفال في الاقتصاد التقليدي أكثر منه في الاقتصاد الموجه، إلى جانب العوامل ذات الطابع الديموغرافي أو الاجتماعي أو السياسي. كذلك فإن المجتمعات القبلية تفضل زيادة أبناء القبيلة كوسيلة للتفاخر والمباهاة من جهة وللاستفادة من أفراد القبيلة في العمل من جهة أخرى، كما تحرص الأمهات على زيادة الإنجاب كوسيلة لاستقرار الحياة الزوجية تضمن للمرأة الحماية والأمان من الطلاق حيث يفكر الزوج كثيرا قبل أن يقدم على الطلاق أو الزواج بأخرى إذا كان لديه أسرة كبيرة وأولاد كثر (المطري: ١٤٠٥هـ، ص٧١).

ويعتبر الزواج المبكر من أسباب ارتفاع معدلات المواليد في العالم الإسلامي. وهناك دلائل على أن نسبة كبيرة من الفتيات في أقطار العالم الإسلامي يتزوجن في سن مبكرة نظراً لعدم التحاق الفتيات بالمدرسة، أو خروجهن منها بعد الدراسة المتوسطة، وللخوف من تقدم السن قبل الزواج وارتباط ذلك بنظرة المجتمع للفتاة العانس. وهناك أمر آخر يرتبط بالأقاليم الحارة عموماً وهو نضوج الفتاة في سن مبكر حيث سن البلوغ أقل بكثير من المناطق الأخرى.

ويلعب الدين الإسلامي دوراً بارزاً في زيادة الإنجاب أولها أن الإسلام لايشجع على تحديد النسل بالطريقة التي تسود في الغرب. صحيح أن الإسلام أباح العزل في ظروف خاصة غير أنه لا يقر الإجهاض، ولا يقر الكثير من الأسباب التي يتعلل بها المتحمسون لسياسة تحديد النسل. ومن جهة ثانية يسمح الإسلام بتعدد الزوجات كما يسمح بإعادة زواج الأرامل والمطلقات على عكس بعض الديانات

الأخرى. ويشجع الإسلام على الزواج المبكر رغبة في حفظ النفس من الوقوع في الزلل، وحفاظاً على صيانة عرض المرء وشرفه، سواء أكان ذكراً أم أنثى. ورغبة في كثرة الولد (تزوجوا الولود الودود)، (تكاثرو تناسلوا فإني مباهٍ بكم الأمم يوم القيامة)[١٠].

نخلص إلى القول أن الواقع الحضاري للعالم الإسلامي وكذلك التعاليم الدينية تشجع كلها على زيادة الإنجاب، فمكونات المجتمع الإسلامي تحوي كافة العناصر المشجعة لزيادة النسل. فالزراع أكثر إنجاباً من الصناع، والعمال غير المهرة أكثر إنجاباً من العمال المهرة، وأصحاب الثقافة الدنيا والمتوسطة أعلى إنجاباً من المتعلمين وأصحاب الثقافة العالية، والنساء غير العاملات أكثر إنجاباً من العاملات، والمناطق الزراعية أكثر إنجاباً من المناطق الصناعية، وسكان الريف أكثر إنجاباً من سكان المدن. وإذا نظرنا إلى العالم الإسلامي نجد أن العوامل التي تساعد على زيادة الإنجاب هي السائدة بل المسيطرة فيه دون العوامل المحددة للمواليد والإنجاب.

التباينات الدينية والعرقية والاجتماعية:

يقيم في أقطار العالم الإسلامي قرابة مليار وربع المليار نسمة يؤلف المسلمون منهم نسبة تتراوح ما بين ٩٠- ٩٥٪ وهناك أعداد أخرى من المسلمين يعيشون كأقليات في بقية أقطار العالم، وتتجمع الكثرة الكاثرة من المسلمين في قارتي آسيا بواقع ٢٧٪ من سكانها، و في أفريقيا بما يزيد عن نصف سكانها، أما بقية القارات فحظ الإسلام فيها قليل ونادر.

إن هذا العدد الكبير من السكان تتعدد أجناسه، وتتنوع شعوبه، وتكثر لغاته، وتتباين عاداته وتقاليده وطرق معاشه وأحواله الاجتماعية والاقتصادية، ويعتبر الإسلام أصل البشر واحداً ابتدأ بخلق آدم عليه السلام ثم توزع الناس من بعده وتفرقوا في الأرض، فأثرت فيهم البيئات التي وجدوا فيها، فأعطتهم ألوانا حسب

حرارتها، كما أثرت في أجسامهم، فأعطتهم ملامح خاصة، وطبعتهم بسمات معينة، وسادت بينهم لغات منفصلة عن بعضها البعض، وأديان متباينة بعضها إلهي والآخر من صنع البشر أنفسهم، واختلفت استجابتهم للبيئات المختلفة فبعضهم طور هذه البيئات لصالحه، وتحكم فيها، واستفاد منها، والبعض الآخر عجز أو قصر في استغلال موارد بيئته، وهكذا وجدت الألوان المعروفة اليوم، كما وجدت السلالات الحالية، واللغات القائمة، والأديان المتباينة والأوضاع الأقتصادية والاجتماعية المختلفة، وسنحاول أن نلقي الضوء على هذه التباينات الموجودة في المجتمعات الإسلامية ونحصرها في ثلاثة عناوين رئيسة هي:

١- التباينات الدينية.

٢- التباينات الإثنية.

٣- التباينات الاجتماعية والاقتصادية.

أولاً: التباينات الدينية:

يجب أن نسجل بادئ ذي بدء أن الأرقام الإحصائية غير متوافرة عن التركيب الديني للسكان، فمعظم أقطار العالم الإسلامي لا تنشر إحصاءات للسكان بموجب العقائد الدينية، ولذا فإن البيانات المتوافرة لدينا محدودة في هذا المجال، والأرقام المعطاة هي تقريبية تختلف وجهات النظر حولها زيادة ونقصاً، ويجب أن تؤخذ كمؤشرات تقريبية لا كحقائق مسلمة.

وقد ساعدت حركات الفتوح الإسلامية على نشر العقيدة الإسلامية إلى كافة الأقطار التي فتحها المسلمون خلال القرنين الأول والثاني الهجريين (السابع والثامن الميلاديين) وتبع ذلك سيادة المسلمين العددية بتوالي الزمن، وتقلص معتنقوا الديانات الأخرى نظراً لدخول هؤلاء في الإسلام، غير أنه بقي بعض الناس على عقائدهم السابقة، وعاشوا كرعايا في كنف الدولة المسلمة، غير أن أعداد هؤلاء قليلة إذا ما

قورنت بأعداد المسلمين، إذ تشير التقديرات التقريبية التي حصلنا عليها إلى أن نسبة المسلمين في أغلب الأقطار الإسلامية تتراوح بين ٩٠- ٩٥٪ من إجمالي السكان على نحو ما ذكرنا في صدر هذا البحث، وهذا يعني أن أصحاب العقائد الدينية الأخرى يشكلون نسبة تتراوح بين ٥- ١٠٪ من إجمالي سكان العالم الإسلامي، وهذه النسبة تزيد وتنقص تبعاً للأقطار المختلفة. فقد تصل إلى ما يقرب من نصف السكان كما في لبنان ونيجيريا، وقد لا تتعدى ١ ٪ كما في تركيا وليبيا.

ثانياً: التباينات العرقية:

يضم العالم الإسلامي مجموعة من الأجناس البشرية المتعددة فهناك القوقاريون من الجنس النوردي في جنوب غربي آسيا وشمالي أفريقيا وبلاد القوقاز، وهناك المغول في شرقي وجنوب شرقي آسيا، والزنوج في المنطقتين المدارية والاستوائية من أفريقيا، وعلى أرض العالم الإسلامي توجد ألوان عدة من أبيض وأصفر وأسود، وتنتسب إليه عدة أقوام وشعوب من عرب وترك ،مغول وفرس وهنود وماليزيين وهوسا وفولاني وأثيوبيين وبانتو وماندج وغيرها كثير، وقد تعايشت هذه المجموعات واختلطت مع بعضها البعض في ظل الإسلام، الذي لا يختص بعرق دون آخر ولا بجنس ولا بلون وإنما يشمل الناس كافة، فكل الناس سواء لا يتفاضلون إلا بالتقوى، قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ**﴾ [الحجرات. الآية ١٣].

كان لموقع العالم الإسلامي أعمق الأثر في التركيب العرقي والسلالي لسكانه، فقد تعرض هذا الموقع لهجرات عديدة من الجنس النوردي الأبيض وبخاصة من سلالة البحر المتوسط أحد فروع المجموعة القوقارية، وامتدت فروع هذه السلالة إلى الجنوب لتؤثر في الأقاليم الواقعة على البحر الأحمر كما أثرت السلالة الألبية والأرمينية التي تقطن أعلى هضاب أرمينيا وشرق الأناضول تأثيراً

كبيراً في سكان الإقليم الجبلي يطوق الأقطار العربية الآسيوية من الشمال، وقد وصل هذا التأثير إلى بلاد عُمان في جنوب شرقي شبه الجزيرة العربية، كذلك يظهر تأثير المجموعة الكردية في مناطق شرق الأناضول.

كذلك فإن قرب موقع العالم الإسلامي من مناطق الجنس الزنجي بأواسط أفريقيا قد أثر في التركيب السلالي لسكان الشطر الأفريقي من هذا العالم، وسكان شبه الجزيرة العربية وخاصة القسم الجنوبي منها، وقد جاء هذا التأثير الزنجي نتيجة للاتصالات الوثيقة بين بلاد العرب وأفريقيا سواء عن طريق تجارة الرقيق أو عن طريق الاتصال المستمر بين التجار العرب وسكان شرقي أفريقيا بوجه خاص.

أما تأثير الجنس المغولي فيتضح بشكل خاص في سكان جنوب شرقي آسيا ووسطها وجنوبي شبه الجزيرة العربية، بسبب موقع العالم الإسلامي القريب من مواطن هذا الجنس في شرقي آسيا،وقد ظهر هذا التأثير بسبب الهجرات الكثيرة التي خرجت من مواطن هذا الجنس إلى أنحاء متفرقة من العالم الإسلامي عبر التاريخ، وبسبب تزاوج الكثير من العرب من نساء أهل الملايو وجزر الهند الشرقية واصطحابهن إلى بلادهم عند العودة إليها.

ومن جهة أخرى خرجت الكثير من الموجات البشرية من جزيرة العرب لتؤثر في التركيب الجنسي للبلاد الإسلامية، فقد شهد العالم هجرات قديمة مثل هجرات الآشوريين والبابليين والكنعانيين والفينيقيين وهجرات أخرى حدثت بعد الإسلام كان لها أعمق الأثر في تغيير التركيبة السكانية لكثير من البلاد المجاورة..

إن هذه الأجناس والسلالات البشرية قد اختلطت وتمازجت وفقدت نقاءها الأصلي بحيث أصبحت مضامين هذه السلالات فارغة لا معنى لها، فعلي سبيل المثال فإن كلمة الأتراك لا تعني من الناحية السلالية نمطاً أو جماعة بشرية محددة واضحة المعالم بل هي تشمل كل المتكلمين باللهجات التركية، أما من الناحية

السلالية فليست أكثر من تحديد غامض غير واضح للجماعات المتداخلة التي تمثل شعوب الاستبس والتي ظهرت في وسط آسيا كقبائل متعددة في أوائل العصور الوسطى، (المطري١٤٠٥- ٢٧٤- ٢٧٧).

من أجل ذلك سوف لن ندرس التفصيلات الدقيقة للنواح السلالية لأنها مفاهيم خالية من المضامين، وسنكتفي بعرض سريع للمجموعات السلالية الكبرى، حيث يضم العالم الإسلامي ثلاث مجموعات سلالية كبرى هي المجموعة القوقارية ذات اللون الأبيض، والمجموعة المغولية ذات اللون الأصفر، والمجموعة الزنجية ذات اللون الأسود.

وينتشر القوقاريون في جنوب غربي آسيا (الأقطار العربية في آسيا وإيران وأفغانستان وباكستان وبنغلاديش) وشما أفريقيا (الأقطار العربية الأفريقية) ومنطقة القوقار (القفقاس) الواقعة بين البحر الأسود وبحر قزوين ويعيش ٧٤٪ من القوقاريين في آسيا و ٢٥٪ منهم في أفريقيا، و١٪ منهم في أوربا، والمغول يعيشون في أواسط آسيا وجنوبها الشرقي أي في تركيا ووسط آسيا (قازاقستان، تركمانستان، أوزبيكستان، طاجكستان، وقرغيزيا) وإندونيسيا وماليزيا، ويعيش المغول جميعهم في آسيا، أما الزنوج فيقطنون في أفريقيا المدارية والاستوائية في المنطقة التي تقع جنوب الخط الواصل من مصب نهر السنغال غرباً عبر تمبكتو وبحيرة تشاد والخرطوم بتعمق نحو الجنوب على طول الحدود الغربية من إثيوبيا ومنها إلى الجنوب الشرقي نحو مصب نهر جوبا في الصومال.

تنقسم كل مجموعة سلالية إلى عدة عناصر بشرية أو عروق، ففي المجموعة القوقارية هناك الآريون في باكستان وإيران وأفغانستان وأذربيجان أي أن جميع الآريين إنما يقطنون آسيا، على حين نجد الساميين، وهم فرع من المجموعة القوقارية يعيشون في آسيا وأفريقيا وهؤلاء هم العرب سكان البلدان العربية في جنوب غربي آسيا شمالي أفريقيا ويزيد عددهم في أفريقيا عن ضعف عددهم في آسيا وقد رحلوا

إلى شمـال أفريقيا من شـبه الجزيرة العربيـة كفاتحين في القرن السـابع الميلادي، ثم تكاثر عددهم في أفريقيا نتيجة الهـجرات المستمرة، وخاصة الهجرات التي تمَّت بين القرنين الحادي عشـر والرابع عشر الميلاديين وقد اختلطوا مع البـربر الحاميين بدرجة كبيرة.

أما الحاميون فقد قدموا أيضاً من منطقة إرسال حول البحر الأحمر في عصور سابقـة لقدوم الساميين، وينقـسم هؤلاء إلى فرعين: الحاميـون الشماليون ويـضمون عناصر البربر في المغرب العربي وكذلك عناصر الفولاني في دول الصحراء الكبرى، ثم الحاميون الشـرقيون ويشملون المصريين والصومـاليين ومعظم الإثيوبيين والنوبيين في مصر والسودان.

وفي المجموعة الزنجـية هناك عناصر متعددة منها: الزنوج الحقـيقيون (الزنوج السودانيون) والنيليون ثم النيليون الحاميون ثم البـانتو، وينتشر الزنوج الحقيقيون في غربي ووسط أفـريقيا جنوب الصـحراء الكبرى، أمـا النيليون فيـعيشون كـما تدل تسميتـهم في غرب أعالي حوض النيل في السودان الجنوبي وأوغندا وكـينيا وغربي أثيوبيا، وهناك النيليون الحاميون الذي يمثلون اختـلاط الدماء الحامية بالدماء الزنجية، ويعيش هؤلاء في الجنوب الشـرقي من السودان وكذلك في أوغندا وكينيـا وتنزانيا، أما عناصر البانتو فـتعيش في أطراف المنطقة الإسلامية الجنوبية في أفريقـيا غير أنها تمثل أكثر العناصر الزنجية انتشاراً وعدداً في أفريقيا كلها.

ثالثاً: التباينات الاجتماعية و الاقتصادية:

بجانب التباينات الدينيـة والعرقية هناك تباينات اجتماعيـة واقتصادية تتلخص باختلاف الظروف الاجتماعية التي تحياها الأقطار الإسلامية، وكذلك بالظروف التي تعيشها، ومظاهر الحـياة الاجتماعية تبدو في التعلـيم وانتشار الأمية، وفي النواحي الصحـية، أمـا الظروف الاقتصـادية فتـبدو من خلال النشـاط الاقتصـادي للسكان وكذلك من خلال الحرف التي يعمل بها هؤلاء في المناشط الاقتصادية المختلفة.

إن الحديث عن الظروف الاجتماعية والاقتصادية للأقطار الإسلامية هو الذي يوضح مقدار المفارقات والاختلافات بين هذه الأقطار، ولما كان هدفنا هو إجمال الصورة العامة دون الدخول في التفاصيل، لذا آثرنا أن نتحدث عن مؤشر واحد تلتقي فيه ومن خلاله جميع التباينات والفروقات الاجتماعية والاقتصادية ذلك المؤشر هو مؤشر دخل الفرد في العالم الإسلامي، فدخل الفرد هو صدى وانعكاس للظروف الاقتصادية والاجتماعية في الدول الإسلامية فمجموع الدخول الفردية هو في الواقع حجم الدخل الوطني للدولة، وحجم الدخل الوطني يمثل كلاً من حجم الاستهلاك وحجم الاستثمار لهذه الدولة.

وترجع أهمية الدخل الوطني إلى أنه أحد المؤشرات الاقتصادية التي تستخدم لتتبع تطور النشاط الإنتاجي في الدولة، فتطور الدخل الوطني الحقيقي خلال فترة زمنية معينة يعكس حالة نمو أو ركود الاقتصاد الوطني خلال هذه الفترة الزمنية، فمعدل الزيادة السنوية في الدخل يعد أحد المعايير للتنمية الاقتصادية.

ومن جهة أخرى يعد مستوى الدخل سواء الوطني أو الفردي من العوامل المهمة التي تحدد مستوى الرفاهية الاقتصادية لأفراد المجتمع، فعلى سبيل المثال لو زاد الدخل العام بمعدل أكبر من معدل الزيادة السكانية خلال فترة معينة يزيد متوسط نصيب الفرد من هذا الدخل، وبالتالي تزيد الرفاهية الاقتصادية لأفراد المجتمع، وهذا معناه أن مستوى معيشة الفرد قد ارتفع في المتوسط، أي أصبح الفرد بإمكانه أن يحصل على كميات أكبر من السلع والخدمات، وبالتالي تزيد قدرته على إشباع حاجاته عن ذي قبل

سنستخدم الدخل الفردي كمؤشر يمكن من خلاله دراسة الفروق الاجتماعية والاقتصادية بين أقطار العالم الإسلامي وشعوبه، والجدول (٧) يظهر معظم الدول الإسلامية التي توافر لنا عنها إحصاءات خاصة بالدخل الفردي لعام ١٩٩٦م، ومنه نستطيع أن نتبين بعض الأمور المهمة فيما يخص الدخل الفردي المقدر بالدولار الأمريكي.

الجدول رقم (٧) متوسط الدخل الفردي السنوي لسكان العالم الإسلامي (١٩٩٦م)

مقدار الدخل بالدولار الأمريكي	عدد الدول	أسماء الدول
أقل من ٢٥٠	٨	غينيابيساو، النيجر، سيراليون، أثيوبيا، تنزانيا، أوغندا، تشاد، بنغلادش.
٢٥٠ – ٥٠٠	١١	بنين، بوركينافاسو، مالي، موريتانيا، نيجيريا، السودان، اليمن، باكستان، طاجكستان، ألبانيا، غامبيا.
٥٠٠ – ٧٥٠	٨	مصر، غينيا، السنغال، جزر القمر، أذربيجان، قرغيزيا، الكمرون.
٧٥٠ – ١٠٠٠	٤	جيبوتي، المالديف، أوزبكستان، إندونيسيا.
١٠٠٠– ٢٥٠٠	٦	الجزائر، المغرب، تونس، الأردن، تركيا، قازاقستان.
٢٥٠٠– ٥٠٠٠	٢	الجابون، ماليزيا.
٥٠٠٠ فأكثر	٧	البحرين، الكويت، عُمان، قطر، السعودية، الإمارات، بروناي.

المصدر: World Population Data Sheet, 1996

ومن الجدول رقم (٧) يمكن ملاحظة الآتي:

١ ـ هناك (١٩) دولة من دول العالم الإسلامي يقل متوسط دخل أفرادها عن ٥٠٠ دولار أمريكي في العام، منها (٨) دول لا يصل متوسط الدخل لأفرادها إلى ٢٥٠دولاراً، ومن هذه الدول بنغلادش والنيجر. ومن الجدير بالذكر أن عدد سكان هذه الفئة يقدر بـ (٤٥١) مليون نسمة وهذا ما يعادل ٤٣٪ من مجمل سكان العالم الإسلامي.

٢ ـ هناك (١٢) دولة أخـــرى يتـراوح دخل أفـــرادها بين ٥٠٠- ١٠٠٠دولار، وبعض هذه الدول كثيرة السكان مثل إندونيسيا ومصر، ويقدر عدد سكان هذه الفئة مجـتمعة بـ (٣٣١) مليون نسمة بواقع ٢٦ ٪ من مجمل سكان العالم الإسلامي.

٣ ـ بجانب الفئـتين السابقتين هناك (٨) أقطار يتراوح دخل أفرادها بين ١٠٠٠- ٥٠٠٠ دولار، ومنها ٦ أقطار لايـزيد دخلها عن ٢٥٠٠دولار، ويبلغ عدد سكان هـذه المجـموعـة ١٧٢ مليـون نسمـة يشكلون ١٤٪ من جملة سكان العالم الإسلامي.

٤ ـ وأخـيـراً هناك ٧ دول يرتفع الـدخل لدى أفـرادها عن ٥٠٠٠دولار، وهذه الدول قليلة السكان لاي يزيد عددهم في هذه المجموعـة عن ٢٧ مليون نسمة بواقع ٢٪ من إجمالي سكان العالم الإسلامي.

وحتى نضع صورة دخـل الفرد في إطارها الصحيح نذكـر أن متوسط الدخل الفـردي في العـالم هو (٤٧٤٠) دولاراً وهذا يعني أن ٣٨ دولة من دول العـالم الإسلامي من أصل ٤٦ دولة توافـر لنا عنها إحـصـاءات دخلها أقل من المتـوسط العالمي للدخل الفردي أما عـلى مستوى الدول النامية فيـبلغ متوسط الدخل الفردي (١٣٢٠) دولاراً وبمقارنة أرقام الدخول في العـالم الإسلامي مع هذا الرقم نجد ٣٦ دولة من دول العالـم الإسلامي يقل دخل الفرد فـيهـا عن متوسط دخـل الفرد في الدول النامية.

هناك دول محدودة العـدد، وقليلة السكان يتمتع أفرادها بدخـول عالية وهذه الدول هي دول النفط في الخليج العربي إضافة إلى بروناي وماليزيا والجابون.

نخلص إلى القول أن غالبية سكان العالم الإسلامي ذوو، دخول متدنية أدني من المتوسط الـعالمي، وكذلك أدنى من مـتوسط الدول النامـية وهذا يجـعل معظم السكان في العالم الإسلامي تحت خط الفقر.

إن مستـوى الدخل الفردي في المستقبل المنظور هو في انخفاض مسـتمر من منطلق حقيقي، وإن لم يكن كذلك من منطلق نظري، وسنكتفي بضرب مثال واحد يمكن تعميميه على بقية أقطار العالم الإسلامي ذات الدخول المنخفضة.

فإذا استعرضنا تطور الدخل الفردي خلال السنوات العشر الماضية لمعظم أقطار العـالم الإسلامـي نجد أن هذا الدخل قـد ازداد بمرور الزمن. ولكن يـبقى السـؤال الأكثر أهمية وهو هل انعكست هذه الزيادة على الفرد إيجابا؟ بمعنى أنه هل ازدادت رفاهية الشعوب تبعاً لازدياد دخلهـا الفردي؟ فعلى سبيل المثال ارتفع دخل الفرد في الأردن من ٢٥٠ دولاراً عام ١٩٧٠م إلى ٧١٠ دولاراً في عام ١٩٧٩م وبلغ الدخل عام ١٩٩٦م ١٣٩٠ دولاراً. وعلى هذا الأساس يبلغ متوسط الزيادة السنوية لدخل الفرد ٥- ٦٪.

غيـر أن هذه الزيادة في الدخل يقـابلها زيادة أكـبر في ارتفـاع أسعـار السلع والخدمـات. إن زيادة الأسعار ظاهرة عالميـة ولا يبدو ضررها واضحـاً إلا إذا كانت هذه الزيادة أكبر من الزيادة في الدخل، وحينئـذ تلتهم زيادة الأسعار الزيادة السنوية للدخل، بحيث لايتـمكن الفرد من تلبيـة احتياجـاته السابقة بمستـوى دخله الحالي نفسه. وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على تدهور مستـويات المعيشة نحو الأسوأ بمرور الزمن نظراً لقـصور الدخل عن تلبيـة الاحتيـاجات، فإذا مـا عرفنا أن الدول النامية لا تستطيع التـحكم كلية بالأسعار نظراً لأن معظم احتياجـاتها تأتي مستوردة من الخارج، ويحكمها السـوق العالمي، أدركنا أن مستويات المعيـشة قد تتدنى بمرور الزمن إذا لم تتـدارك هذه الدول الأمـور الاقـتـصادية في بـلادها عن طريق برامج التنمية المخـتلفة. وحتى هذه تحتاج إلى رسـاميل كبيرة تضـطر الدول النامية إلى أن ترزح تحت طائلة الديون الكثيرة من الدول المتقدمة التي تفرض عليها فوائد عالية.

مؤشرات مستقبلية

إن المستقبل- القريب منه والبعيد- يحمل في ثناياه تغييرات مهمة في كافة المجالات الطبيعية والاقتصادية والبشرية. وسيشهد العالم الإسلامي مزيداً من هذه التغيرات بحكم الزمن وعامل التطور وسنلقي لمحة موجزة عن الآثار المستقبلية لبعض المعطيات المهمة مثل البيئة والسكان والاقتصاد.

الآثار المستقبلية للبيئة:

البيئة هي الوسط الطبيعي الذي تعيش فيه الكائنات الحية بما فيها الإنسان. وتتضمن بمعناها الواسع العوامل الطبيعية والبشرية التي توثر في الأفراد والجماعات وتحدد علاقاتها وبقاءها لذلك يطلق العلماء المحدثون عليها اسم النظام البيئي، ويقسمون النظام البيئي العام إلى نظامين رئيسين هما: النظام الطبيعي والنظام الحضاري. ويتكون كل نظام من عدد من النظم الفرعية والعناصر المكونة لتلك النظم.

فالنظام الطبيعي أو (البيئة الطبيعية) تشمل التربة والتكوين الجيولوجي والمناخ والغطاء النباتي والحيواني.

أما النظام الحضاري (البيئة البشرية) فيشمل نوعية استعمالات الأرض والبنية التحتية والخدمات العامة وأماكن تجمعات السكان وظروف الإسكان الخاص بهم إضافة إلى الطبيعة الاقتصادية للمناطق ومستويات تلوث الهواء والماء الناجمة عن ذلك.

تتفاعل النظم الطبيعية والنظم الحضارية عبر سلسلة معقدة من العلاقات السببية ويترتب على التفاعل المستمر بينهما نتائج إيجابية ونتائج سلبية. أما النتائج الإيجابية فتتمثل في كل مايفيد المجتمعات البشرية في بيئاتها المختلفة. أما النتائج السلبية فهي التي تعرف بالأخطار البيئية.

والأخطار البيئية موجودة بشكل دائم حتى في الماضي البعيد. ففي المراحل الأولى للحضارة الإنسانية كان حدوث فيضان أو جفاف كافياً للقضاء على جماعة صغيرة من الناس. ومع تقدم الحضارة والتكنولوجيا وزيادة عدد المراكز العمرانية أصبح الجفاف أو الفيضان أكثر خطورة وتدميراً. ويتضح ذلك من الأخطار البيئية التي تتعرض لها جهات كثيرة من العالم يومياً. ويتوقف امتصاص المجتمعات لنتائج الأخطار البيئية على ظروفها الاقتصادية والتقنية والاجتماعية (غرايبه وزميله: ١٩٨٧م، ص ص١٣٦- ١٣٩).

وقد زاد الإنسان من خلال تقدم وسائل استغلاله لبيئته ومن خلال التطورات التقنية التي أحدثها من الآثار السلبية بحيث أصبحت المخاطر البيئية التي يحدثها الإنسان أشد فتكاً وأكثر تدميراً من الكوارث الطبيعية. وعلى مقدار تقدم المجتمعات يزداد التدهور البيئي وتزداد معدلات التغير في نوعية البيئة كزيادة طرح النفايات والفضلات والملوثات المختلفة التي تؤدي إلى تدهور البيئة. ففي المجتمعات الزراعية على سبيل المثال تكون مساهمة الأنشطة الاقتصادية في تدهور نوعية البيئة ضئيلاً بالمقارنة مع دورها في المجتمعات الصناعية المتقدمة. ففي الأخيرة تتعاظم مشكلات تلوث التربة والماء والهواء والأزمات البيئية الأخرى.

هناك بعض الأمور المهمة التي تؤثر في الأوضاع البيئية في عالمنا الإسلامي. ولعل من أهم هذه الأمور ما يلي:

١ ـ الجفاف:

الجفاف هو المسؤول الأول عن تحويل ٣٠٪ من مساحة اليابسة إلى صحراء، ويسود المناخ الصحراوي الجاف بين دائرتي عرض ١٥ و٣٥ درجة شمال خط الاستواء وجنوبه، وتتصف هذه المناطق الصحراوية بالرطوبة النادرة والجفاف الشديد كما تمتاز بالفقر والإمحال وندرة النبات.

ويقع على هامش المناطق الصحراوية نطاق شبه صحراوي تسقط عليه كميات قليلة من الأمطار تسمح بنمو الأعشاب. فالجفاف درجات وهناك دائماً نطاقات انتقالية بين الصحراء والمناطق الزراعية.

والعالم الإسلامي يقع القسم الأكبر منه في هذا النطاق الجاف الصحراوي وشبه الصحراوي ويمكن أن نذكر أن الصحاري العربية تشكل وحدها أكثر من ٩٠٪ من جملة مساحة الوطن العربي (أبو شيخة وآخرون: ١٤٠٤هـ، ص ص١٨- ١٩) وربما تصل مساحة الأراضي الصحراوية في العالم الإسلامي لما يزيد عن ٣٥٪ من جملة صحاري العالم الإسلامي أجمع.

تتمتع بيئات هذه المناطق الجافة بسمات مناخية وأنماط من الحياة الفطرية والأشكال التضاريسية التي أثرت في طريقة استغلال الإنسان لهذه البيئات. ومن السمات الشائعة في الأراضي الجافة هو نقص الماء الذي يؤدي في كثير من الأحيان إلى ندرة الغطاء النباتي أو انعدامه. ويعيش الإنسان في المناطق الجافة منذ آلاف السنين، ويستخدم مواردها الضئيلة، ويتعلم من التجربة حدود هذه الموارد. وهو لم ينجح في العيش فيها إلا بالقدرة التي منحه إياها الباري عز وجل بأن يفهم ويتأقلم مع عناصر البيئة الطبيعية والثقافية والاقتصادية. والتوازن البيئي بين الإنسان والبيئة في الأراضي الجافة من الهشاشة بحيث أن مجرد زيادة طفيفة في عدد الناس أو الحيوانات فوق طاقة الغطاء لموارد المنطقة قد يخل بهذا التوازن، ولايمكن أن يعود هذا التوازن إلا بإنقاص عدد الناس والحيوانات عن طريق الهجرة إلى مناطق أخرى أو بالموت جوعاً إن بقوا في أماكنهم، وبذا يتم التقليل من الاختلال بالتوازن، وبغض النظر عن القسوة في هذه العملية فقد عرف الناس الذين يسكنون هذه المناطق ذلك من تجاربهم. وصارت كل تجربة جديدة درساً تعليمياً للجيل الجديد. ومن سوء الطالع أن الإنسان اليوم لا يستسلم لتقلبات البيئة الجافة مما أحدث آثاراً سلبية دائمة هلى وجه هذه الأراضي من خلال استعمال التقنية الحديثة (الوليعي: ١٤١٦هـ، ص٣٧).

وقد أحدث البشر في معظم مناطق العالم الإسلامي عن غير قصد منهم تأثيرات ضارة على البيئة أثناء سعيهم وراء العيش، وصار الإنسان عاملاً قوياً جداً في تغيير وجه الأرض بعد أن تمكن من نقل التقنية إلى الأراضي الجافة، وساعد ذلك على تحريره من آثار البيئة، وزادت حركة الإنسان ونشاطاته بصورة كبيرة بسبب هذه التقنية. ومن بين النشاطات البشرية التي أحدثها في البيئات الجافة:

(أ) الزراعات المروية القائمة على استخدام الماء الجوفي. وقد حقق السكان نجاحات طيبة في استزراع الأراضي التي كانت قاحلة، إلا أنه نجم عن ذلك إسراف شديد في استخدام المياه الجوفية المحدودة الموارد وغير القابلة للتجديد. وقد ارتبط بالزراعة المروية أيضاً مشكلات أخرى مثل تملح التربة التي لها آثار سيئة على نوعية المزروعات، وكذلك غزو الرمال للأراضي الزراعية وإحداث أضرار بليغة فيها.

(ب) الإسراف في الرعي وذلك لسهولة الحركة والتنقل، فأصبحت السيارات هي الوسيلة لنقل قطعان الماشية من مكان إلى آخر. وقد أدى ذلك إلى القضاء على كثير من الرعي الجائز، يضاف إلى ذلك أيضاً الإسراف في قطع الأخشاب وجمعها وخاصة من الشجيرات الصحراوية (الاحتطاب الجائر) الذي قضى على البقية الباقية من هذه الشجيرات الصحراوية.

٢ ـ التغيرات الدورية في المناخ:

كان الطقس ولايزال يتعرض لتغيرات دورية، فتتعرض بعض جهات العالم للجفاف، ثم يليه دورة ماطرة. وفي عصرنا الحاضر يرى العلماء أن هذه التغيرات تتزايد. فعلى سبيل المثال بدأت موجة من الجفاف خلال الفترة من ١٩٦٨ - ١٩٧٣م وعملت حزاماً واسعاً حول البلدان الأفريقية القريبة من الصحراء، وشملت ١٥ بلداً أفريقيا معظمها من الدول الإسلامية واستمرت هذه الموجة سبع سنوات أدت إلى

حدوث كوارث ذهب ضحيتها ما بين ١٠٠- ٢٥٠ ألف نسمة، كما مات ما بين ٥٠- ٩٠٪ من ماشيتها. وفي سنة ١٩٧٢م تعرضت بلدان أخرى غير جافة لموجة من الجفاف منها الهند وبنغلادش وتركيا (أبوشيخة وآخرون: ١٤٠٤هـ، ص ص١٩- ٢٠؛ الوليعي: ١٤١٦هـ، ص٥٠).

إن هذه التغيرات الدورية توثر تأثيراً سيئاً على كل المناطق الحدية التي تقع على أطراف الصحاري. ومن سوء الطالع أن العلم الحديث لايستطيع التنبؤ بمقدار الزمن الذي تستغرقه هذه الذبذبات المناخية. ومن هنا فإن الأضرار التي تحدثها هي أضرار محققة وكبيرة.

٣ ـ التصحر:

يقصد بالتصحر اتساع رقعة الأراضي غير الصالحة للزراعة أو الرعي وتدهور قدراتها الإنتاجية، والاختفاء التدريجي لمظاهر الحياة النباتية والحيوانية وتدهور عناصر البيئة، ومايتبع ذلك كله من هجرة السكان. واتساع مساحة الصحراءله صلة بالجفاف والتغيرات المناخية التي ذكرناها آنفاً. كما أن له صلة بالإنسان وممارساته غير الرشيدة في مجالات الزراعة والصناعة والتعدين وإزالة الغابات وتدميرها وتلوث الهواء والماء والتربة وارتفاع نسبة الملوحة وسوء استخدام التربة وانجرافها مما أدى إلى تحويل قسم كبير من الأراضي الزراعية إلى أراضي جرداء من الصعب إعادة تعميرها. لذلك فقد تمددت رقعة الصحاري عن ذي قبل.

وإذا كانت ظاهرة التصحر عالمية بصفة عامة، فإنها مع الأسف مشكلة العالم الإسلامي بصفة خاصة. فالتصحر غالباً ما يظهر بصورة جلية في المناطق التي يبلغ المتوسط السنوي للمطر فيها من ١٠٠- ٢٠٠ ملم أو من ٥٠- ٣٠٠ ملم على أقصى تقدير. وهذه السمة تميز معظم أراضي العالم الإسلامي. حيث إن القسم الأكبر من مساحة العالم الإسلامي حالياً يقع ضمن هذا النطاق المطري الحرج.

وقد أثبتت بعض الدراسات أن تقدم الصحراء نحو الجنوب في السودان يبلغ ٩كم سنوياً. كما زحفت الصحراء على الأراضي الزراعية المجاورة لها في ليبيا والمناطق الشرقية من الأردن وكذلك في الصومال وإيران والنيجر ومالي والسنغال (أبو شيخة: ١٤٠٤هـ، ص ص٢١- ٢٢).

إن المستقبل البيئي في العالم الإسلامي مرهون بمكافحة ظاهرة التصحر. ولا شك أن ذلك يقتضي القيام بالعديد من الأمور لعل من أهمها:

-(أ) إجراء مسح لتحديد المناطق التي حدث فيها اختلال في التوازن البيئي ومعرفة الأسباب التي أدت إلى ذلك، ومن ثمَّ وضع الأسس العلمية لصيانة تلك المناطق وإعانتها على العودة إلى التوازن البيئي.

(ب) تنمية قدرة الأرض على الإنبات وذلك لأن الغلاف النباتي يعد الحامي الأول للتربة من الانجراف، وهو الذي يغني التربة بالعناصر العضوية، ويمكن تنمية قدرة الأرض على الإنبات بمساعدتها على الاحتفاظ بأكبر كمية من المياه الساقطة.

(جـ) ضبط الرعي عن طريق وضع خطة للرعي تقوم على أساس مراعاة قدرة الأرض على إنتاج الأعشاب، وتوجيه المستفيدين منها إلى العناية باستخدامها وإعطائها القدرة على التوازن.

(د) العناية بالأراضي البعلية التي تقع على حواف الصحراء عن طريق تحسين طرق الزراعة كاستخدام البذور والآلات الزرعية المناسبة لظروف التربة وإدخال دورات زراعية تحتوي على التبوير ومحاولة الجمع بين الزراعة وتربية الماشية والعمل على تثبيت الغطاء النباتي وزراعة مصدات الرياح لإقامة خطوط دفاع ضد رمال الصحراء، وصيانة النباتات الطبيعية على حافة الصحراء والمناطق المنحدرة والمواظبة على أعمال التشجير وتقديم الخدمات الإرشادية للمستفيدين من الأرض.

(هـ) العناية بأراضي الري عن طريق الاستخدام المناسب للماء باستخدام الري بالرش والتنقيط وتقنين استخدام الماء حسب نوعية التربة بحيث تتفق كمية الماء المستخدم مع الحاجة الفعلية للمحاصيل وزراعة بعض المحاصيل التي تتحمل نسبة عالية من الملوحة (أبو شيخة وآخرون: ١٤٠٤هـ، ص ص٢١-٢٢).

٤ ـ التوسع الحضري:

تعتبر ظاهرة امتداد أراضي البناء والتحضر من أبرز العوامل البشرية التي تهدد الوسط البيئي، وبخاصة التجمعات الحيوية، إذا أخذ بعين الاعتبار تزايد نمو المناطق الحضرية بسبب الهجرة المتزايدة للسكان من الريف إلى المدن، وارتفاع معدلات المواليد وزيادة السكان. وعملية التحضر تعتبر من الضغوط البيئية الرئيسة المزمنة التي تهدد النظام البيئي إذ يؤدي تزايد السكان في المدن إلى تزايد الطلب على الأراضي في ضواحي المدن للانتفاع بها للأغراض المختلفة مثل السكن والخدمات وإنشاء المجمعات الصناعية وغيرها.

إن نمو المدن وتوسع المناطق الحضرية لايتم فقط على حساب الأراضي الزراعية المجاورة، وإنما يتم في بعض المدن على حساب ردم الخلجان البحرية الضحلة مما يؤدي إلى تدهور الموارد الحيوية البحرية كالأسماك والطيور وغيرها (غرابية وزميله: ١٩٨٧م، ص٨١).

ويربط بالتوسع الحضري أمور عديدة على رأسها مشكلة توفير المساكن لإيواء الأعداد المتزايدة من المهاجرين إلى هذه المدن إضافة إلى سكان المدن الأصليين. كما يرتبط به أيضاً مشكلات المرور والحركة داخل المدن الإسلامية التي فرض التطور التقني ووجود السيارة عليها ضغوطا أكبر لم تكن مؤهلة لاحتمالها أو مواجهتها. لقد حدت هذه الضغوط من قدرات المدن الإسلامية على التكيف والتأقلم مع التغيرات الجديدة.

وتبرز في المدن الإسلامية مشكلات أخرى تتمثل في أزمات المرافق والخدمات العامة، مثل أزمات نقص مياه الشرب، وأزمات الصرف الصحي، وأزمات الخدمات الصحية والاجتماعية، وأزمات انقطاع التيار الكهربائي. وهذه الأمور تكاد تستشري في معظم المدن الإسلامية. فالتزايد السكاني المستمر للمدن، والهجرة المتدفقة من الأرياف إلى مراكز المدن وأطرافها، والنمو الحضري المبكر، يضع الإدارات الحكومية والأجهزة البلدية أمام ضغوط شديدة لا تستطيع تلبيتها، مما يؤدي إلى زيادة تدهور الأحوال في معظم المدن الحضرية في العالم الإسلامي. فعدم وجود المجاري والإعتماد على الحفر الامتصاصية يؤدي إلى تلوث المياه الباطنية. ووجود المجاري العاجزة عن استيعاب حمولات المباني يؤدي إلى طفح المياه الآسنة في الأحياء والشوارع. ولا يخفى مدى الأخطار التي تحملها مثل هذه الملوثات والأوبئة والأمراض التي تنشرها بين السكان. وتزداد حدة التلوث عندما تتجه المدينة نحو الصناعة وتبدأ بإلقاء نفاياتها في مجاري الأنهار وعلى الشواطئ البحرية فيؤدي ذلك إلى تهديد مياه الشرب وتدمير الثروات البحرية. ويقترن بتلوث الماء مشكلة تلوث الهواء نتيجة الدخان المتصاعد من الصناعات والغازات السامة التي تنفثها ملايين السيارات في مختلف مناطق العالم الإسلامي الحضري (أبو عياش: ١٩٨٠م، ص ص١٨١- ١٨٣).

ولعل مشكلة توفير مياه الشرب للمدن بشكل خاص في معظم مناطق العالم الإسلامي تأخذ أهمية خاصة في المستقبل المنظور. فقد زاد ضغط الإنسان على الماء واستهلاكه في الوقت الحاضر خاصة لأغراض الشرب. لقد بلغ متوسط الاستهلاك الفردي من الماء يوميا (٢٠٠) لتر في الدول العربية ويرتفع هذا الرقم في دول الخليج إلى (٣٠٠) لتر.

لقد ترتب على زيادة استهلاك الماء أن أصبحت بعض جهات العالم تعاني نقصاً حاداً في سد احتياجاتها. فإذا عرفنا أن حجم الماء العذب لايشكل سوى ٣٪ من حجم الماء الكلي، وأن المياه العذبة السطحية والجوفية لا تعادل سوى ٦٪ من حجم الماء العذب، وأن هذه الكمية لا تتوزع بالتساوي على سطح الكرة الأرضية، فبينما تعاني بعض المناطق من الغرق نجد جهات أخرى تعاني من شدة الجفاف، أدركنا أهمية مشكلة الماء بالنسبة لمعظم الأقطار الإسلامية.

لقد قدر خبراء الأمم المتحدة الذين اجتمعوا في باريس عام ١٩٨٠م لدراسة قضية الماء أن أكثر من ألفي مليون إنسان لا يجدون الماء الكافي، ولهذا فإن العالم يعاني من أزمة مياه، الأمر الذي يتطب المحافظة على موارد المياه وترشيد استهلاكها وإعادة استخدام المياه العادمة بالإضافة إلى تحلية مياه البحر. إلا أن هذه الوسائل التقنية لا تتوافر في جميع جهات العالم الإسلامي بسبب ارتفاع تكاليفها لذلك ستبقى الدول الفقيرة عاجزة عن استخدام مواردها المائية بطرق فعّالية مما يزيد في عجزها عن تنمية مواردها الغذائية لاسيما إذا علمنا أن معظم الأقطار الإسلامية يقع في نطاق المناطق الجافة أو شبه الجافة في آسيا وأفريقيا (أبو شيخة وآخرون: ١٤٠٤هـ، ص ص١٧- ١٩).

نخلص إلى القول أن المستقبل يحمل في ثناياه أموراً عديدة سيكون لها تأثير سلبي على البيئة في العالم الإسلامي وتتمثل الآثار المستقبلية للبيئة في:

(أ) زيادة التصحر الناجم عن الظروف الطبيعية أو الظروف البشرية السابق ذكرها.

(ب) الزيادة الهائلة لأعداد السكان الأمر الذي يؤدي إلى ضغط شديد على الموارد البيئية وكذلك إلى نقص الخدمات والمرافق سيما في المدن والمراكز الحضرية مما يؤدي إلى مزيد من التدهور البيئي.

(جـ) التقدم الصناعي وما يرتبط به آثار سلبية على البيئة الطبيعية، إضافة إلى إنتاج موارد غريبة عن البيئة لا تتحلل بسهولة وعدم معالجة المخلفات الناتجة عن نشاطات الإنسان المختلفة، إضافة إلى ما يلقى في الأنهار والبحار من مخلفات كيماوية وصلبة، إضافة إلى تدفق البترول الناجم عن تحطم الناقلات وغير ذلك من الأخطار البيئية المرتبطة بالتصنيع.

٤ـ لعل مما يخفف من الآثار السلبية السابقة أن الفرصة لا زالت سانحة في أيدي معظم الدول لتطوير الوسائل المختلفة لمنع التلوث البيئي والمحافظة على بيئتها النقية من خلال اعتماد أساليب التخطيط البيئي في جميع الأنشطة البشرية والاستفادة بالخبرات العالمية في هذا المجال والاهتمام بتوعية المواطن بأهمية حماية البيئة وإقناعه أن حماية البيئة ليست مسؤولية الدولة فحسب بل مسؤوليته هو كذلك واعتماد مبدأ تحمل مسببي التلوث مسؤولية معالجة التلوث الناتج، من منطلق القاعدة الشرعية لا ضرر ولا ضرار.

الآثار المستقبلية للاقتصاد وانعكاساته على الأوضاع الاجتماعية:

إن المتمعن في واقع الاقتصاد في الدول الإسلامية يبدو له جانبان مهمان من جوانب هذا الاقتصاد. أحدهما جانب إيجابي يعمل على تقدم الاقتصاد وتنميته وتحسينه نوعاً وكماً، والآخر جانب سلبي يعمل على إعاقة النمو الاقتصادي وتخلفه وجموده. ويتوقف نماء الدول الإسلامية وازدهارها على مدى ما تبذله الدولة من تخفيف آثار العوامل السلبية، وزيادة وتنمية العوامل الإيجابية. ومن محصلة التفاعل بين هذين الجانبين، ومقدار تغلب أحدهما على الآخر، نستطيع الحكم على مدى التطور الذي تحرزه الدول الإسلامية مستقبلاً إزاء تقدمها الاقتصادي ورفاه شعوبها وتحسن أحوالهم الاقتصادية والاجتماعية. وسنحاول دراسة هذين الجانبين لمعرفة أثرهما على الأوضاع المستقبلية للاقتصاد في الدول الإسلامية.

العوامل الإيجابية:

سيشهد العالم الإسلامي بحكم التطور كغيره من أقطار العالم الأخرى نمواً اقتصادياً وكذلك تنمية اقتصادية. أما النمو الاقتصادي فهو نمو تلقائي يفرضه عامل الزمن، الذي يؤدي إلى نمو طبيعي، دون تغيير إرادي في عمل وأداء الاقتصاد. وبجانب النمو الطبيعي هناك التنمية الاقتصادية التي تعني تدخلاً إرادياً من الدولة لإجراء تغييرات جذرية في هيكل الاقتصاد، ودفع المتغيرات الاقتصادية نحو النمو بأسرع وأنسب من النمو الطبيعي لها، وعلاج ما يصاحب ذلك من اختلال.

وفي ضوء ذلك سيشهد العالم الإسلامي نمواً في كافة قطاعاته الاقتصادية. الزراعية والرعوية والتعدينية والصناعية على النحو الآتي:

(أ) ففي المجال الزراعي سيشهد العالم الإسلامي نمطين من التطور.

أولاهما: زيادة مساحة الأراضي الزراعية عن طريق التوسع الأفقي في المساحات المزروعة.

ثانيهما: زيادة الكفاءة الإنتاجية للأرض عن طريق التوسع الرأسي أي زيادة غلة الفدان من المحاصيل المختلفة.

إن زيادة مساحة الأراضي الزراعية وزيادة القدرة على مضاعفة الإنتاج في العالم الإسلامي يمكن أن تتم عن طريق:

١ ـ استخدام طرق الري المختلفة التي تعتمد على المياه السطحية أو المياه الجوفية. وقد أقيمت بعض مشاريع الري في كثير من الدول الإسلامية مثل أقطار شمال غربي أفريقيا في مالي والنيجر ونيجيريا وغيرها من أقطار أفريقيا المدارية، كما أقيمت بعض مشاريع الري في السودان وباكستان وأقطار وسط آسيا الإسلامية (قازاقستان، تركمانستان، أوزبكستان، طاجكستان، وقرغيزيا). ومع هذا

فالمساحات المروية لا تشكل سوى نطاق محدود من الأراضي القابلة للزراعة، فهي لا تزيد عن ٢٠٪ من جملة الأراضي الزراعية في العالم الإسلامي. فعلى سبيل المثال تقدر جملة الأراضي المروية في السودان بـ١٥٪ من جملة الأراضي الزراعية، وفي سوريا لا تزيد عن ١٢٪ وفي نيجيريا لا تصل إلى ٣٪. والتوسع في مشاريع الري سيزيد من المساحات القابلة للزراعة ثم سيزيد من كفاءة الإنتاج في المحاصيل المختلفة.

٢ - تجفيف المستنقعات وصرف المياه الزائدة في الجهات التي يزيد فيها معدل الأمطار عن معدل التبخر والتسرب كما يزيد عن حاجة النبات. وتوجد في المناطق المطيرة كبنغلادش وماليزيا وإندونيسيا وبعض المناطق المعتدلة كالعراق. وهذا لا شك سيزيد من مساحة الأراضي الزراعية ويوسع دائرة إنتاج المحاصيل المختلفة كماً ونوعاً.

٣ - زراعة الأقاليم الحدية سواء في الأقاليم المدارية أو المعتدلة، وذلك عن طريق اتباع وسائل الزراعة الجافة، واستخدام الدورات الزراعية الملائمة، واستنباط أنواع من المحاصيل الجديدة التي تلائم الجفاف، فيصبح بالإمكان توسيع نطاق الزراعة في الجهات شبه الصحراوية. فإذا علمنا أن ٩٠٪ من جملة مساحة العالم العربي على سبيل المثال هي صحراء أدركنا الفائدة من هذه الأساليب الجديدة.

٤ - تشجيع الهجرة إلى المناطق القليلة السكان والتي بها إمكانات الاستغلال الزراعي وغيره من الثروات كبعض مناطق إندونيسيا وماليزيا وبعض مناطق قازاقستان ومصر، وبذلك تتسع المساحات القابلة للزراعة، بجانب التقليل من الكثافة السكانية العالية في بعض المناطق، وتوفير مناطق سكن جديدة كما هو الحال في جزيرة جاوة أو في بعض أراضي الدلتا المصرية مع العلم أن مثل هذه الخطوات قد لا يحالفها النجاح إلا إذا درست دراسة وافية قبل البدء بها.

٥ ـ زيادة الكفاءة الإنتاجية للأرض وللعمال الزراعيين أي العمل على مضاعفة الإنتاج وزيادته ويتم ذلك عن طريق زيادة الخبرة الفنية ورفع المستوى الفني لعمال الزراعة، واختيار البذور المنتقاة، ومكافحة أمراض وآفات النبات، وكذلك العمل على وقف تدمير الموارد الطبيعية المؤثرة في الإنتاج الزراعي مثل الحفاظ على التربة ومصادر المياه.

(ب) وفي مجال الثروة الحيوانية والثروة السمكية سيشهد العالم الإسلامي تطوراً لهذه القطاعات. فهناك أماكن مهمة يمكن استغلالها في ضوء عجز الثروة الحيوانية عن سد حاجة السكان في معظم الأقطار الإسلامية. فالثروة الحيوانية يجب أن تلعب دوراً كبيراً في تدعيم اقتصاديات الدول الإسلامية، وهي جديرة بعناية السكان لأنها تقدم مصدراً مهماً من مصادر الغذاء ذلك هو اللحوم ومنتجات الألبان.

والنهوض بالثروة الحيوانية يمكن أن يتم في اتجاهين: اتجاه مضاعفة الأعداد الموجودة حالياً من الحيوانات المختلفة، واتجاه الارتفاع بمستوى الإنتاج الحيواني، بحيث تتضاعف أحجام الحيوان ومقادير الألبان ويرتفع مستوى الصوف والجلود وغير ذلك مما ينتجه الحيوان. ويمكن أن يتحقق ذلك باتباع القواعد العلمية الخاصة بتحسين النسل والتغذية والوقاية من الأمراض.

وفي مجال الثروة السمكية يمكن تطوير وسائل الصيد وطرق الحفظ والتبريد وزيادة الإنتاج والاستفادة من تجارب الدول في عمل مزارع السمك للتحكم في أنواعه وحجمه وطرق الإفادة منه.

(جـ) وفي مجال الثروات المعدنية هناك إمكانات كبيرة للتوسع في استغلال، المعادن ومصادر الطاقة، والثروات الطبيعية الأخرى. فمن المعلوم أن مساحة العالم الإسلامي كبيرة جداً. ولكبر المساحة علاقة وثيقة بتنوع التركيب الجيولوجي وأنواع الصخور التي تحتوي في ثناياها على موارد معدنية أو خامات صناعية

كثيرة. ولاشك أن كميات الاحتياطي من هذه الموارد لاتزال غير معروفة معرفة دقيقة. وفي ضوء التقدم العلمي والتطور التقني سيكون هناك إمكانات كبيرة في زيادة المعرفة بالمخزون الجوفي من المعادن ومصادر الطاقة المختلفة الموجودة في باطن الأراضي الإسلامية.

(د) هناك إمكانات لا بأس بها للتصنيع في مختلف أرجاء العالم الإسلامي. ولعل أهم هذه الإمكانات وجود الكثير من الموارد الطبيعية التي يمكن استغلالها وتصديرها. وعن طريق تصدير هذه المواد يمكن الحصول على رأس المال اللازم. ويوجد في بعض الدول موارد مهمة للطاقة، وكذلك يتوافر في بعضها الآخر قوى مائية كامنة يمكن استغلالها، بجانب توفير الأيدي العاملة وانخفاض مستوى الأجور الذي يساهم في رخص المنتجات الصناعية، ومن المعلوم أن التصنيع له آثاره الإيجابية في:

١ ـ زيادة الناتج الوطني وارتفاع الدخل الفردي.

٢ ـ يساعد التصنيع على زيادة المعروض من فرص العمل.

٣ ـ يساعد التصنيع على تحقيق الاستقرار في الميزان التجاري.

ثانياً: العوامل السلبية:

بجانب العوامل الإيجابية السابق ذكرها هناك سلبيات عديدة موجودة في الواقع الاقتصادي الإسلامي ومنها:

(أ) انخفاض مستويات الإنتاج في ميادين النشاطات الاقتصادية المختلفة، وسوء استغلال الموارد المتاحة لانخفاض مستويات المعرفة الفنية وبطء التقدم العلمي.

ففي مجال الزراعة لازالت الزراعة المعاشية هي أساس الاقتصاد الزراعي، ولا يزال الإنتاج يتصف بالمحدودية مع تخلف وسائل الإنتاج وعدم اتباع الأساليب الحديثة.

والإنتاج الرعوي لا يزال يقوم على البداوة المتنقلة، وعدم التخصص في تربية وإنتاج أنواع معينة من الحيوانات التي لها شهرة بإنتاج اللحوم أو الألبان أو الأصواف، وفي كثير من الأقطار يكون الهدف هو كثرة عدد الرؤوس بصرف النظر عن إنتاجها، لأنها دليل على المكانة الاجتماعية أكثر من الأهمية الاقتصادية.

وفي مجال الثروة السمكية نرى بدائية الأساليب المستخدمة في الصيد البحري، فالسفن قديمة وصغيرة وغير مجهزة بوسائل الحفظ والتبريد وغير قادرة على الصيد إلا في المناطق الساحلية القريبة.

والصناعة لا زالت تواجهها العديد من العقبات تتمثل في صغر حجم المؤسسات الصناعية، وأن معظمها يعتمد على الإنتاج الزراعي، ويعاني من مشكلات فنية ومالية وتسويقية، وهذا بدوره يؤدي إلى انخفاض إنتاجية العمل وتعطيل جزء من الطاقة المتاحة للإنتاج.

(ب) ضيق الأسواق المحلية وعدم القدرة على المنافسة في الأسواق العالمية، نظراً لقيام التكتلات الاقتصادية الكبرى بين الدول الصناعية، التي تتحكم في أسعار السلع بالشكل الذي يحقق لها أكبر العائدات.

(جـ) تعاني معظم الدول الإسلامية من انخفاض دخولها الوطنية، وكذلك الدخل الفردي لمواطنيها. وينعكس ذلك على معدلات الادخار والاستثمار، الأمر الذي تلجأ معه الدول إلى الاقتراض والاستدانة من الدول الكبرى، ومن المؤسسات المالية الدولية. فإذا عرفنا محدودية هذه المساعدات والقروض وأنها تعطى لقاء فوائد عالية وربما مقابل تنازلات سياسية معينة، أدركنا أن هذا العامل قد يؤدي إلى التبعية الاقتصادية وإلى الضغوط السياسية الدولية. ومن الجدير بالذكر أن غالبية الدول الإسلامية ترزح تحت طائلة هذه الديون التي لا تستطيع دفعها، ولا بل لا تستطيع دفع الفوائد المترتبة عليها. وإزاء محدودية رؤوس الأموال استطاعت الدول الصناعية عن ذريق شركاتها السيطرة على وسائل الإنتاج في معظم الدول النامية ومن بنها بعض الدول الإسلامية.

تقييم المستقبل الاقتصادي:

في ضوء العوامل الإيجابية والسلبية لمناحي الاقتصاد المختلفة يمكن أن نقسم الأقطار الإسلامية إلى ثلاث فئات هي:

(أ) الدول التي تتسم بنمو اقتصادي مضطرد: وهي في الغالب الدول النفطية التي يرتفع فيها معدل دخل الفرد وتقل فيها نسبة الأمية ويرتفع المستوى الصحي لدى أبنائها وتقل نسبة البطالة بينهم وترتفع نسبة الحضرية لإجمالي السكان. وقد قطعت هذه البلاد شوطاً واسعاً في تبني الصناعة وتطوير الزراعة وتحسين كافة الخدمات. ويتوقع لهذه الدول عوائد اقتصادية مستمرة في ضوء الأوضاع الراهنة تجنبها الهزات الاقتصادية التي تتعرض لها الدول الفقيرة، وهي على العموم في أعلى درجات سلم الدول النامية ولم تصل بعد إلى مصاف الدول المتقدمة.

(ب) في المقابل هناك الصورة الأخرى التي يقل فيها معدل الدخل الفردي والوطني وترتفع فيها نسبة الأمية وتضعف فيها الأحوال الصحية وترتفع نسبة البطالة ويعتمد إنتاج السكان على الرعي والزراعة البدائية وإذا وجدت الصناعة فهي صناعة استخراجية أو تحويلية متخلفة. وتشمل هذه الدول معظم دول أفريقيا عدا الدول العربية وبعض أقطار آسيا الإسلامية (بنغلادش، أفغانستان، اليمن وغيرها). وستواجه هذه الدول مزيدا من المصاعب الاقتصادية مستقبلاً ولا أمل لها إلا بإعادة هيكلة الاقتصاد ليتناسب والأوضاع التي تساعدها على البقاء والاستمرار مع محاولة الأخذ بوسائل التقدم والرفاهية. ويمكن أن نقول أن هذه الدول هي في أدنى درجات السلم الاقتصادي.

(جـ) بين النهايتين الدنيا والعليا في سلم الدول النامية تقع العديد من دول آسيا الإسلامية ودول أفريقيا حيث نجد أن هذه الدول قطعت شوطاً مميزاً في

استغلال الموارد فنجد فيها إمكانات زراعية جيدة ونواة لقاعدة صناعية متينة. وتمتاز بأوضاع صحية وتعليمية لا بأس بها مع وجود نسبة عالية من البطالة المقنعة وترتفع نسبة الحضرية إلى حد كبير. وقد فتح القسم الأكبر من هذه البلاد أبوابه للاستثمارات الأجنبية الأمر الذي ساهم في امتصاص قطاعات الأيدي العاملة الزائدة في مجتمعات تلك الدول غير أن المشكلة الكبرى التي تواجهها تلك الدول هي مشكلة الديون المترتبة عليها للدول المتقدمة، ولاشك أن هذا سوف لن يحقق لها فرص التقدم السريع وتطوير مؤسساتها الاقتصادية بحيث تلبي احتياجات المواطنين.

الآثار المستقبلية للزيادة السكانية:

تحدثنا فيما سبق عن مراحل النمو السكاني في العالم الإسلامي، وأردنا الزيادة المضطردة في أعداد السكان خلال الفترات السابقة واللاحقة. ويحسن بنا أن نسجل النقاط المهمة التالية حول الآثار المستقبلية للزيادة السكانية وانعكاساتها على الفرد والمجتمع وردود الفعل تجاهها.

١ - إن العدد الكبير للسكان يكون في حد ذاته قوة في المجالات العسكرية، حتى برغم التطورات التقنية التي طرأت على وسائل الدفاع والحرب. إن وجود الدول لا يتحقق إلا بسكانها، فعدد هؤلاء السكن وتوزيعهم الجغرافي وخصائصه الديموغرافيةوتطورهم الاقتصادي وتراثهم الحضاري من الأمور المهمة في بناء الكيان السياسي للدولة.

٢ - إن العدد الكبير من السكان يعطي للدولة طاقات اقتصادية كثيرة في مجال استغلال الموارد المتاحة، ومجال التسويق، فهو يزيد من حجم السوق ويضاعف من عدد الفرص المتاحة للإنتاج الكبير، حيث يعتمد استثمار الموارد الطبيعية على العنصر البشري ويتوقف عليه (رياض: ١٩٧٩م، ص١٨٩).

٣ ـ يؤدي النمو السكاني السريع إلى زيادة صعوبات التنمية. وذلك لأن جزءاً مهماً من الاستثمار يجب أن يوجه إلى تزويد السكان الجدد بالموارد والخدمات التي يتمتع بها السكان الموجودون. ومن هنا يقل الجزء المتبقي من الدخل القومي المتاح لإحداث التنمية والتقدم. فعلى سبيل المثال يقدر الاستثمار المطلوب لمواجهة النمو السكاني بالنسبة لكل ١ ٪ من الزيادة السكانية بما يعادل ٣ ٪ من الدخل الوطني للدولة (حسين وحبيب: ١٩٧٥م، ص٧).

٤ ـ إن معدلات النمو السكاني المرتفعة تؤثر في مستوى دخل الأفراد أنفسهم. فزيادة عدد أفراد الأسرة يعني ارتفاع معدلات الإعالة، التي تصل في معظم الدول الإسلامية إلى أكثر من ٥٠ ٪ مقارنة مع ٢٤ ٪ في أوروبا و٣٠ ٪ في الولايات المتحدة. وعلى هذا فإن نسبة عالية من دخل الأفراد يصرف للمحافظة فقط على المستوى الحالي للأسرة، دون النظر إلى زيادة رفاهيتها وتقدمها الاقتصادي.

٥ ـ في ضوء ما سبق بيانه هناك حجم أمثل للسكان Optimum Population وهو الحجم الذي يساعد على تحقيق أعلى مستوى للعيش في مساحة معينة من الأرض وفي ظل ظروف خاصة. ومن مؤشرات هذا الحجم الأمثل مستوى المعيشة المرتفع، ومن الملاحظ أن هذه المؤشرات تختلف في الزمان والمكان كما تختلف بين شعب وآخر ولذا من الصعب توضيح هذا المفهوم بدقة.

٦ ـ يرتبط بالمفهوم السابق وينبثق عنه مفهومان أكثر وضوحاً، هما الحجم الزائد للسكان Over Population والحجم الناقص للسكان Under Population والأول يعرف بالتضخم أو الانفجار السكاني ويحدث عندما يكون هناك تزايد سكاني بدرجة تفوق نسبة الزيادة في الموارد المستغلة أو الكامنة. أما الثاني فيسود حينما يكون عدد السكان قليلاً بدرجة لاتسمح بالاستغلال الكامل

للمـوارد، أو حـيث تستطـيع الموارد أن تمد عدداً أكـبـر من السكان بالغـذاء والاحتيـاجات الأخرى، دون أن يؤدي تزايدهم إلى نقص في مستوى المعـيشة أو زيادة في معدلات البطالة (أبو عيانه: ١٩٨٣م، ص ص٥١٤- ٥٢٠).

٧ ـ إن الوضع السكاني الحالي لأقطار العالم الإسـلامي يدخل تحت مسمى الدول ذات الحجم الـزائد للسكان، وهو أن معظم دول العـالم الإسلامي تعـاني من زيادة في أعداد سـكانها مقـارنة بالموارد المتاحـة. ويمكن أن يستـثنى من ذلك بعض أقطار النفط ذات العدد القليل من السكان مثل ليبيا ودول الخليج العربي بروناي وماليزيا والجابون، فهذه الدول يمكن أن تدخل تحت مسمى الدول ذات الحجم الناقص للسكان، حيث يرتفع الدخل ولاتستطيع القوى البشرية المحلية أن تغطي كافة جوانب القطاعات الاقتـصادية والتنموية الأمر الذي ساعد على فتح أبواب الهجرة الخارجية من دول العالم الإسلامي ودول العالم الأخرى.

٨ ـ إن المستقبل القريب سيشهد اكتظاظاً سكانياً في معظم أقطار العالم الإسلامي. هذا الاكتظاظ ليس في الكثافة العامة لأن مسـاحة العالم الإسلامي كبيرة جداً (٣١,٢ مليون كيلومتـر مربع) غير أن معظم هذه المساحات صحـاري شاسعة قليلة الموارد ضعيفة الإنتاج. والاكـتظاظ هنا مرده عدم تناسب الأعداد البشرية مع الإمكانات الاقتصـادية المتاحة. فالنمو السكاني السـريع سيكون له تأثيراته السلبية في بعض الأقطار الزراعـية مثل بنغلادش وباكستان ومصـر وإندونيسيا (خاصة جزيرة جاوه) حـيث يزداد الضغط على الأرض، وبخاصة في المناطق التي تعاني من تعرية التربة أو استخدام السفوح شديدة الإنحدار، أو الأراضي الحدية والهامـشية الأخرى، وانخفاض إنتـاجية المحاصيل نظراً لإجـهاد التربة بكثرة الزراعة وقلة فترات الراحـة للأرض التي تجدد خصوبة التربة. وينعكس ذلك على البطالة المقنعـة والكامنة في المجتمـعات الزراعـية. ويؤثر بدوره في تيارات الهـجرة النازحـة من الريف إلى المدن الأمر الذي يؤدي إلـى مزيد من التدهور في الضواحي الحضرية.

٩ ـ إن المستقبل المنظور في معظم الأقطار الإسلامية تأسيسًا على الواقع الحالي يظهر أن النمو السكاني الكبير سيترافق مع نمو في الموارد أقل من النمو السكاني. وهذا يعني انخفاضًا في مستوى الخدمات المقدمة تدريجياً. ومعنى ذلك أن الدول تنحدر تدريجياً إلى مستوى الفقر، بحيث تزداد الهوة بين هذه الدول والدول المتقدمة، وتكثر أعباء الديون والقروض المالية التي تقدمها الدول الغنية للدول الفقيرة، وهذا يزيد من مشاكل الدول الفقيرة ويجعلها أكثر استجابة لمطالب الدول الغنية وأكثر خضوعاً واستسلاماً لرغباتها، مما يزيد من تأخير النمو الاقتصادي ويؤكد الفقر المستمر بحيث لا يمكن توقع حل اقتصادي سريع في المستقبل المنظور.

١٠ ـ إن استقراء المواقف في العالم الإسلامي يظهر لنا أن هناك اتجاهين متعارضين متباينين تجاه مسألة النمو السكاني الأول: مؤيد للنمو السكاني بكل أبعاده دون ضوابط. والثاني: معارض يميل إلى تقييده وضبطه. فأولئك الذين يعارضون الزيادة السكانية يهتمون عادة بمستويات معيشة الأفراد، ويعتقدون بأن تقييد الأعداد سيكون ذا فائدة كبيرة. وهم يخافون زيادة السكان والتضخم السكاني. ولذلك يرون أنه يجب أن يكون هناك عدد محدود من الأفراد خوفاً من الفقر وانخفاض المستوى، وأن البطالة والأجور المنخفضة ترتبط بالسكان الفائضين. وهذا الاتجاه يعرف بالاتجاه المتشائم.

أما الفريق الثاني فهم المتفائلون الذين يرون أن السكان هم ثروة الدولة وأن هؤلاء السكان سيحددون مستواهم الخاص بصورة طبيعية، ويتهمون الفريق المتشائم بعدم الأخلاقية بسبب نظرتهم وفرديتهم المتزايدة. وفريق المتفائلين يطلق عليهم اسم "المعسكر السكاني" (حسين وحبيب: ١٩٧٥م، ص١٩).

لقد تباينت نظرة الدول الإسلامية الرسمية إزاء النمو السكاني. ومن الجدير بالذكر أن الأمم المتحدة قد وضعت مقياساً لقياس اتجاهات الدول بخصوص الزيادة السكانية المستقبلية والأوضاع الحالية للسكان. والمقياس بسيط مصاغ على شكل سؤال هو:

ماهي وجهة نظر الدولة تجاه عدد السكان الحالي للدولة ذاتها ؟

والإجابة هي إحدى ثلاثة خيارات هي: إن سكان الدول من وجهة نظرنا الرسمية هو:

(أ) مرتفع جداً. (ب) مناسب. (جـ) منخفض جداً.

ومن الجدير بالذكر أن ثلاث دول فقط هي التي أشارت إلى أن عدد سكانها منخفض جداً وهذه الدول هي العراق وفلسطين المحتلة ودولة الجابون فيما أشارت كل دول الخليج العربية (السعودية، البحرين، عمان، الكويت، الإمارات) وبعض البلاد العربية الأخرى (ليبيا، موريتانيا، جيبوتي، الصومال، سوريا، لبنان) ومعظم دول وسط آسيا الإسلامية (قازاقستان، تركمانستان، أوزبكستان، قرغيزيا، أذربيجان)، إضافة إلى كل من تشاد وبنين في أفريقيا الإسلامية غير العربية وكذلك المالديف وبروناي من وسط جنوب شرقي آسيا إضافة إلى دولة ألبانيا في أوروبا، أشارت جميع هذه الدول إلى أن عدد سكانها مناسب لظروف الرقعة الأرضية والأوضاع الاقتصادية. ومن الجدير بالذكر أن جيع هذه الدول ذات أعداد سكانية قليلة بالنسبة لموارد تلك الدول وخاصة النفطية منها، لا بل إن بعضها يشكو من نقص سكاني حاد، لذا يمكن أن تصنف هذه الدول على اعتبار أنها قليلة السكان وهي بحاجة إلى المزيد من السكان لاستغلال ثرواتها الكبيرة أو لإعمار مساحاتها الواسعة.

أما باقي دول العالم الإسلامي الأخرى فقد أظهرت أن عدد سكانها مرتفع جداً إما بالنسبة لمواردها أو بالنسبة لمساحتها الإجمالية. وقد تبنى معظم هذه الدول سياسة ضبط النسل وشجع برامج تنظيم الأسرة بهدف التخفيف من أعداد السكان المستقبلي لتلك الدول.

إمكانات التكامل الجيو- حضارية في العالم الإسلامي:

يرجع التكامل بين البلاد الإسلامية إلى أن الأصل في العقيدة الإسلامية هو وحدة الأمة الإسلامية، واتحاد كافة أفرادها وقيامهم بكافة متطلبات هذه الأمة مهما اختلفت المواطن والأزمنة وفي هذا يقول الله تعالى: ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ [المؤمنون: ٥٢].

وقال أيضاً: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات: ١٠]. وقال الرسول - صلى الله عليه وسلم-: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولايسلمه. من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته» (رواه البخاري). وقال أيضاً: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا» (رواه البخاري). وقال- صلى الله عليه وسلم-: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر» (رواه البخاري). فالإسلام يفرض على أتباعه التناصح والتعاون والاتحاد في كافة أمور المسلمين من اقتصاد واجتماع وسياسة وغيرها، لأن بلاد الإسلام وطن لكل مسلم أيًا كانت جنسيته أو محل ميلاده أو هويته.

تتوافر للتكامل بين البلاد الإسلامية كافة الأسس اللازمة للنجاح نظراً لوجود العديد من الدعامات التي تجعل منه واحداً من أرقى سبل التكامل الموجود في العالم وتشمل هذه الدعامات العديد من الجوانب الدينية والتاريخية والجغرافية والاقتصادية على النحو التالي:

١ ـ إن العقيدة الإسلامية هي أساس اللقاء بين الجماعات البشرية التي تستوطن العالم الإسلامي. فالأمة الإسلامية هي مجموعة البشر التي تعيش بعقيدة الإسلام، لذا نجد أن رباط العقيدة هو الذي يربط هذه المجموعات السكانية المتباينة ويقرب بينها ويوحِّد مشاعرها تجاه كافة القضايا العالمية.

إن الوحدة الدينية تؤدي إلى سهولة قيام التكامل نظراً للترابط بين جزئيات الوطن المختلفة ومواطنيه لما بينهم من أساليب حياة واحدة. ويتوافر للأقطار الإسلامية مثل هذه الروحية على أوسع نطاق. فأغلب سكان البلاد الإسلامية مسلمون متحدون في العقائد والأركان. وباقي السكان يجمع بينهم وبين السكان وحدة الوطن والتاريخ المشترك، مما لايجعل وجودهم بين المسلمين مؤثراً في أسباب وحدتهم ولا معكراً لصفاء توافر الاتحاد الديني بين المواطنين المسلمين.

ومن المعلوم أن الإسلام يدفع معتنقيه إلى الاتحاد، ويوجب عليهم التضامن وترك الفرقة والانقسام، حيث يدعو القرآن الكريم وأحاديث الرسول- صلى الله عليه وسلم- إلى الوحدة بين المسلمين على اختلاف أشكالها من دينية واجتماعية وسياسية واقتصادية. وقد وضع الإسلام من الأسس والتشريعات ماهو كفيل بجعل أمة الإسلام أعظم الأمم وأكثرها قوة ونظاماً وحضارة ورفاهاً، ويجعل مجتمع المسلمين مجتمعاً إنسانيا متكاملا. ولا شك أن سيادة هذه الجوانب في الأمة الإسلامية هي الضمان لنجاحها واستمرارها قوية موحدة.

٢ ـلقد أثر رباط العقيدة على روابط أخرى مثل اللغة، فعندما انتشر الإسلام عمت اللغة العربية كل مكان دخله الإسلام، فالعبادة من صلاة وتلاوة للقرآن لا تتم إلا بها حيث أنزل بها القرآن الكريم، ولأن الإسلام يفرض تعلم أمور الدين وهذا لايكون أيضاً إلا بالعربية حيث دونت بها أكثر كتب التفسير والحديث والفقه، واستمر هذا طيلة العهد الإسلامي. وامتزجت العربية باللغات واللهجات المحلية واتخذ معظم الشعوب الإسلامية الأبجدية العربية وبرز أثر

العربيــة في اللغات المتداولة في العــالم الإسلامي عن طريق الكلمات العــربية الموجــودة في كل لغة وتشكــل نسبــة كبــيرة قــد تصل في بعض اللغــات إلى النصف مــثل لغــات الفطاني في شــبه جـزيرة الملايو، والأردو في باكــستــان والفارسية في إيران والبــشتو في الأفغان ولغات بعض الشعوب الأفــريقية مثل الفــولاني والولوف والماندنج وغــيرهــا. . . (شاكــر: ١٣٩٦هـ، ص ص١٩-٢٠). ولا شك أن ذلك يشكل ملمحاً بارزاً من آثار التكامل الجــيو- حضاري بين أقطار العالم الإسلامي.

٣ ـ وبجانب اللغة العربية هناك التاريخ المشترك حــيث تعتبر الشعوب الإسلامية أن تاريخ الإسلام هو تاريخها الذي تعتز بأمــجاده، وتفتخر بمآثره وآثاره الحضارية وفتــوحاته المحررة للبشــر من الأساطير والخــرافات والعقائد الوثنيــة والعادات الذميــمة، الناشرة للعــقائد الصحــيحة والمــفاهيم الراقيــة والؤسسات العلمــية والأنظمــة العادلة، وترى في أبطال هذا التــاريخ أبطالاً للإنسانيــة، وترى في اشتراكها في هذا التاريخ وفي دخول الإسلام إلى بلادها سلماً أو حرباً اشتراكاً في تحريــر البشرية وتقــدمهــا وأخذها في طريق الخــير والســعادة للإنســانية، ويعتــبرون الفاتحين الأولين والناشــرين للإسلام أعــلام هذه المعركة التــحريرية وأبطالاً وأنصاراً لله يتــقرب إليه بذكر ســيرتهم ودراستهــا (المبارك: ب. ت، ص٢٤).

٤ ـ لقد أوجد الإسلام بتعــاليمه العملية، وأحكامه المتعلقــة بأمور الحياة من طعام وشراب ولباس وتنظيم لــلمعاملات وللأسرة عــادات متشابهة جــداً في جميع هذه الميادين، وذلك أن المسلم يراعي في طعــامه أحكام الشريعة فــيما يؤكل، وكذلك في استعماله للأشياء وفي حكمه عــليها حسناً أو قبحاً. كما أن تنظيم الزواج والطلاق والإرث وعــلاقــات أفــراد الأسرة المادية والمــعنوية تدخل في نطاق أحكام الإسلام ويــطبقهــا المسلمون فعــلاً. ولذلك نشأت في الشــعوب

الإسلامية عادات متشابهة في حياتهم اليومية، وفي حياة الفرد والأسرة في البيت وفي المجتمع، وعلى اختلاف ألوانهم وأشكالهم وبيئاتهم. وهذا الاشتراك في العادات اليومية العملية إذا أضفناه إلى تلك الروابط المشتركة في العقيدة والثقافة والتاريخ ولد في نفوس أبناء هذه الشعوب عواطف متشابهة ومواقف في الحياة متجانسة وآمالاً وأهدافاً مشتركة، سواء أكانت هذه الأهداف نظرية مثالية كانتشار عقيدة التوحيد والإيمان بالله تعالى وبمحمد- صلى الله عليه وسلم- نبياً ورسولاً إلى العالمين، وبالقرآن كتاباً إلهياً أم كانت أهدافاً عملية كتحرير المقدسات، ومكافحة الاستعمار والعنصرية، ومناصرة القضايا الإنسانية وغيرها من الأمور التي تفرض التقارب والتشابه والتعاطف والتعاون وهذا بحد ذاته يمهد لاشتراك أوثق وتقارب أكمل وتكامل أعمق بين هذه الشعوب والأقطار الإسلامية جميعاً (المبارك: د. ت، ص ص٢٢- ٢٦).

٥ ـ تمتد الأقطار الإسلامية على رقعة واحدة تشمل ثلثي مساحة أفريقيا وأكثر من ثلث مساحة آسيا. ولا شك أن تجاور الأقطار الإسلامية يساعد على تكاملها كما يسهل اتحادها، وهذا يعطي عمقاً إقليمياً للعالم الإسلامي. فإذا عرفنا أن العالم الإسلامي يشرف على أكبر ثلاث محيطات عالمية هي الأطلسي والهندي والهادي وتتخلله أهم البحار ذات الاستراتيجية المهمة وهي البحر المتوسط والبحر الأحمر والخليج العربي والبحر الأسود وأطراف بحر قزوين، وفيه أهم المضائق والممرات المائية مثل جبل طارق وقناة السويس وباب المندب ومضيق البسفور والدردنيل وملقا. وهذا يجعل المياه حلقة وصل لطرق الملاحة العربية ويجعل منطقة الرقعة الإسلامية منطقة عبور وحركة وملتقى للتجار والتجارة من الشرق والغرب فإذا ما أضفنا إلى ذلك شبكة الدروب البرية التي تكمل شرايين الملاحة البحرية أدركنا أن التجاور الجغرافي يفرض مزيداً من التكامل بين الأقطار الإسلامية ويسهم في إمكانية وحدة العالم الإسلامي مستقبلا كما كان عليه الحال سابقاً.

٦ ـ توافر الموارد الاقتصادية: تتوافر في العالم الإسلامي كافة الموارد الاقتصادية اللازمة لتطوير اقتصادياته وتنمية موزعة بين أجزائه المختلفة. فالعالم الإسلامي غني بموارده الطبيعية والبشرية على حد سواء.

هناك إمكانات كبيرة من الموارد حيث الأرض الشاسعة التي تزخر بإمكانات هائلة، وتنتج الكثير من المحاصيل الزراعية والرعوية والغابية. إضافة إلى أن الأرض الإسلامية تحتوى العديد من الثروات المعدنية وموارد الطاقة التي لم يتسن لكثير من الدول الإسلامية استغلالها الاستغلال الأمثل حيث يتجه جانب كبير من هذه الموارد وقسم أكبر من رساميلها إلى الدول المتقدمة غير الإسلامية للاستثمار فيها بدلاً من الإفادة بها في جهود التنمية ومواجهة التخلف الاقتصادي لدول العالم الإسلامي، وبالطبع فإن هذه الأموال والثروات سوف تتجه إلى المسار الطبيعي لها في تنمية العالم الإسلامي في رطار التكامل المقترح بين هذه الدول.

وبالرغم من توافر كافة الموارد الاقتصادية على النحو المذكور فإنه ليس بين دول العالم الإسلامي دولة واحدة تملك بمفردها من هذه الموارد والإمكانات وتكامل عناصر الإنتاج مايمكِّنها من تحقيق قوة اقتصادية كبرى. إذ إن كل بلد منها يصطدم في تطوير اقتصادياته بأكثر من عقبة واحدة كالنقص في عنصر من هذه العناصر أو ضيق السوق اللازمة للاستغلال الاقتصادي الأمثل لهذه العناصر.

وبتحقيق حرية انتقال عناصر الإنتاج بين أرجاء الوطن الإسلامي في ظل تكامل اقتصادي فإنه يمكن إقامة بنيان اقتصادي إسلامي متين يعمل على زيادة مستوى الرفاهية الاقتصادية والاجتماعية للبلدان الإسلامية عن طريق زيادة الناتج الإجمالي لمختلف عناصر الإنتاج، وتحقيق الكفاءة الاقتصادية في استخدام هذه العناصر (عفر: ١٤٠٠هـ، ص١٣١).

٧ ـ اتساع حجم السوق: يمكن التعرف على حجم السوق على أساس عدد السكان أو على أساس المساحة الجغرافية للدول المتكاملة. غير أن أفضل المقاييس هو استخدام معيار الناتج الوطني. وبتقدير حجم السوق فإنه يمكن الحكم على مدى الفائدة المتوقعة من التكامل، إذ كلما زاد حجم السوق كلما زادت المكاسب الممكن تحقيقها من التكامل. كذلك فكلما كبرت الزيادة النسبية في حجم السوق، كلما زادت الفائدة التي تجنيها البلدان المشتركة، وذلك لأن زيادة حجم السوق يرفع الإنتاجية إلى مدى أكبر إذا كان حجم السوق الخاص بكل بلد صغيراً. وعلى ذلك فإن قيام التكامل بين عدد من البلدان الصغيرة قد يؤدي إلى مزيد من الفوائد على البلدان المشتركة، ومزيد من التحسين في الكفاءة الإنتاجية لهذه البلدان. فإذا عرفنا أن حجم السوق على مستوى العالم الإسلامي يقدر بربع سكان المعمورة وأن مساحة هذه السوق هي أكثر من مساحة قارة أوروبا وأمريكا الجنوبية مجتمعين أدركنا أهمية التكامل الاقتصادي لدول العالم الإسلامي.

٨ ـ إن عناصر التكامل السابقة الموجودة بين الأقطار الإسلامية قلَّ أن توجد بين مجموعات أخرى من الدول. ولاشك أن ذلك يجعل إمكانية قيام قوة إسلامية عالمية لها تأثيرها في المجال الدولي أمراً ممكناً نظراً للإمكانات التي تؤهل الدول الإسلامية لتشكل مثل هذه القوة فهناك العقيدة الواحدة والتاريخ المشترك، والآمال والأماني الوحداة وهناك المساحة الكبيرة والموارد المتعددة والموقع الاستراتيجي والتنقل السكاني الكبير وكل ذلك عوامل سياسية في بناء القوة العالمية التي أصبحت الآن ضرورية في مقابل التكتلات والتحالفات الدولية في النظام العالمي الجديد.

الهوامش

(١) بسط فقهاء الشريعة الإسلامية أسس العلاقات الدولية بين الدول فقالوا: ثمة دار إسلام، ودار حرب ويميز بينهما كالتالي:

(أ) دار الإسلام: هي البلاد التي يسود فيها الحكم الإسلامي، أي تكون القوة والعزة فيها للمسلمين، سواء أكان أكثرية السكان بها من المسلمين، أم من غير المسلمين. وتعتبر هذه الدار وطن كل مسلم مهما كانت جنسيته، أو مكان ولادته، فهو يتمتع بجميع الحقوق المدنية والدينية، وهو ملتزم إزاءها بالدفاع عنها، ورد العدوان، وردع الطامعين وكسر شوكتهم، والحفاظ على دينه وعرضه وماله، وتوفير العزة والكرامة لكل فرد يعيش فوق أرضها. وقد ينعتها بعض الفقهاء باسم "دار العدل" لأن الحكام يعملون فيها على تطبيق العدل المطلق بين الناس. ولعل هذه الصلة هي الميزان الصحيح للحاكم المسلم.

(ب) دار الحرب: يذهب فريق من الفقهاء إلى أن (دار الحرب) هي البلاد التي لايكون فيها السيادة والمنعة للحاكم المسلم. ولا يقوى فيها المسلمون على تطبيق الأحكام الإسلامية، وليس بين أهلها وبين المسلمين عهد يحدد أسس العلاقة بين الطرفين، ويؤكد عدم الاعتداء على المسلمين، وحماية أرواحهم وأموالهم وأعراضهم (عفيفي، محمد الصادق، الإسلام والعلاقات الدولية، سلسلة دعوة الحق، عدد (٣٦) السنة الرابعة، ١٤٠٥هـ، ص ص٢٩- ٣٨).

(٢) يمكن أن تقسم أقطار العالم على أساس الوزن النسبي أو الثقل النسبي للإسلام فيها إلى:

(أ) دول يمثل فيها الإسلام الأغلبية المطلقة.

(ب) دول حدية يتعادل فيها الإسلام مع الأقليات الأخرى.

(جـ) دول يتواجد فيها المسلمون كأقليات.

في الفئتين الأولى والثالثة تبدو الأمور واضحة ومحسومة فالأولى أقطار إسلامية والأخيرة أقطار أقليات. وتكمن المشكلة في الأقطار الحدية التي تتراوح نسبة المسلمين فيها بين ٤٠- ٦٥ ٪ فهـذه الدول تختلف وجـهات النظر حـولها تبعـاً للمطامع والأهواء. فإذا علمنـا أن معظم هذه الأقطار لا تتوافـر لها الإحصاءات الدقـيقة التي تحدد أعـداد المسلمين، لأن معظم هذه الدول لا تدرج في إحصاءاتها تعدادات خاصة بالعقائد الدينية، أدركنا صعوبة تقدير عدد المسلمين في هذه الأقطار، ويزداد الأمر صعوبة في الأقطار الأفريقية بوجود من يسمون بأصحاب الديانات البدائية (المحلية) فنتيجـة اختلاط هؤلاء بالمسلمين ربما أضافت بعض المصادر الإسـلامية أعداداً منهم إلى أعداد المسلـمين مما ينجم عنه اختـلاط الإحصاءات بين مـصدر وآخـر. وفي الجانب المقـابل نجد المصادر الغربية تميل إلى المبالغة في أعداد هؤلاء الوثنيين على حساب أعداد المسلمين؛ الأمر الذي يظهر فرقاً كبيراً بين المراجع الإسلامية والمراجع الـغربية. ويبدو أن الحقيقة تقع بين هذا وذاك غير أنه لا سبيل إلى القطع بها نهائياً في ضوء غياب الأرقام الصحيحة التي تظهر الوضع الراهن على ماهو عليه فـعلاً. ففي تشاد تتـراوح تقديرات المسلمين بين ٤٠- ٨٨ ٪ وفي سيرالـيون تتراوح التقديرات بين ٢٥- ٧٥ ٪. وفي توغو وبنين والـكمرون وأفريقـيا الوسطى تتـباعد التـقديرات بحيث تتراوح بين ١٠- ٦٥ ٪ (للمقارنة بين التـقديرات الغربية والمراجع الإسـلامية انظر The times guide of the Nations of the World, Times Book and Bartholomew, London, 1994 وكذلك سلـسلة مواطن الشـعوب الإسلامـية لمحـمود شاكر).

(٣) التقسيم الإقليمي والقطري المعتمد لأغراض الموسوعة الحالية هو كالآتي:

- إقليم شبه الجزيرة العربية (أ): السعودية، الكويت، قطر، البحرين.
- إقليم شبه الجزيرة العربية (ب): الإمارات، عُمان، اليمن.
- إقليم الهلال الخصيب: العراق، فلسطين، سوريا، لبنان، الأردن.
- إقليم النطاق الجبلي في غربي آسيا: تركيا، إيران، أفغانستان، أذربيجان.

- إقليم شبه القارة الهندية: باكستان، بنغلادش، المالديف.

- إقليم جنوب شرقي آسيا. ماليزيا، بروناي، إندونيسيا.

- إقليم حوض النيل: مصر، السودان، أثيوبيا، أوغندا.

- إقليم شمالي أفريقيا. ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب.

- إقليم شرقي أفريقيا: الصومال، جيبوتي، جزر القمر، تنزانيا، أريتريا.

- إقليم الصحراء الكبرى: تشاد، النيجر، مالي، موريتانيا.

- إقليم غربي أفريقيا (أ): السنغال، غامبيا، غينيابيساو، غينيا، سيراليون.

- إقليم غربي أفريقيا (ب): نيجيريا، بنين، الكمرون، الجابون، بوركينافاسو.

(٤) إن الشعـوب الهندية- الأوروبية التي نزحت باتجاه غـربي أوروبا طوَّرت ثمان مجمـوعات لغوية هي أصل اللغات الحديثة في أوروبا بأسرها وأهم هذه المجموعات هي:

(أ) الجرمانية، وتشمل: (الإنجليزية، الألمانية، الهولندية، الفلمنج، الإسكندنافية).

(ب) اللاتينية أو الرومـانسية، والتي تشـمل: (الفرنسيـة، الاسبانيـة، البرتغاليـة، القطالونية، الإيطالية، الرومانية).

(جـ) القلطية، وتشمل: (الغالية، الويلز، البريتون).

(د) السلافونية، وتشـمل: (الروسية، البولندية، التشيكية، السلوفاكـية، السلوفين، الصربية، الكرواتية، البلغارية).

(هـ) البلطية، وتشمل: (اللثوانية، اللتفيه، الأستونية).

(و) اليونانية.

(ز) الألبانية.

(حـ) الأرمنية.

(٥) بدأت ملكية الأراضي تتطور تدريجياً منذ السنوات الأولى لصدر الإسلام. وظهر في الفقه الإسلامي بعض التصنيفات لأنواع الأراضي المملوكة، والأحكام المترتبة عليها. وقد قسم الفقهاء المسلمون الأرض بادئ ذي بدء باعتبار خضوعها للمسلمين إلى:

(أ) أرض أسلم أهلها طوعاً بلا قتال: كأرض المدينة المنورة واليمن والطائف فهي مملوكة لأهلها ولا يجب عليهم فيها سوى الزكاة.

(ب) أرض صالح المسلمون أهلها كأرض البحرين ونجران وتعتبر هذه الأرض خراجية يجب عليها الخراج.

(جـ) أرض جلا عنها أهلها خوفاً من المسلمين وبدون قتال كأرض بني النضير فهذه تعتبر أرضاً خراجية.

(د) أرض لم تكن ملكاً لأحد.

(هـ) أرض فتحها المسلمون عنوة كأرض مصر والشام والعراق. فهذه الأرض خراجية وعشرية. فإذا قسمت بين الفاتحين المسلمين فهي أرض عشرية يجب عليها الزكاة. وإذا وقفت على جميع المسلمين فهي خراجية (النمري: ١٩٩٥م، ص١٨٢).

وكانت الأراضي الزراعية تقسم على الفاتحين في أوائل عهد الفتوح غير أن الخليفة الراشدي عمر بن الخطاب- رضي الله عنه- رأى عدم تقسيم الأراضي المفتوحة عنوة ووقفها على جميع المسلمين، وضرب عليها الخراج وذلك للأسباب التالية.

(أ) تأمين موارد ثابتة لبيت مال المسلمين.

(ب) توزيع الثروة وعدم حصرها في فئة معينة.

(جـ) عمارة الأرض بالزراعة وعدم تعطيلها لأن أهلها أقدر عليها من الفاتحين (النمري: ١٩٩٥م، ج١، ص٢٦٣).

وقد استشار الخليفة عمر الصحابة- رضي الله عنهم- في أرض العراق بعد فتحها، فمنهم من قال بقسمتها بين المحاربين، ومنهم من قال بوقفها على المسلمين. وقد اجتهد عمر بوقفها على جميع المسلمين (أملاك للدولة) ووضع عليها الخراج، وهو مايشبه الضريبة المفروضة على الأرض، والدولة هي التي تحدد نسبته وتجمعه وتنفق حصيلته في أوجه النفقات العامة. وقد ذكر عمر في حديثه مع الأنصار والمهاجرين بعد أن جمعهم واستشارهم في أرض العراق والشام فقال: "أرأيتم هذه الثغور، لابد لها من رجال يلزمونها، أرأيتم هذه المدن العظام- الجزيرة والشام والعراق ومصر- لابد لها أن تشحن بالجيوش وإدرار العطاء عليهم، فمن أين يُعطى هؤلاء إذا قسمت الأرض؟". وقال الكاساني في بدائع الصنائع (ج٢، ص٩٥٩): "وأما مصرف الخراج فعمارة الدين، وإصلاح مصالح المسلمين وهو رزق الولاة والقضاة وأهل الفتوى من العلماء والمقاتلة ورصف الطرق وعمارة المساجد والرباطات والقناطر والجسور وسد الثغور وإصلاح الأنهار التي لا ملك لأحد فيها". وهذا يعني أن الخراج أحد مصادر التمويل للنفقات العامة للدولة، كما قرره الخليفة الثاني عمر بن الخطاب وكما رآه الفقهاء من بعده، والتي تشمل الإنفاق على المرافق العامة وكذلك المرتبات والأرزاق (المواد الغذائية) وإعداد القوةالعسكرية، وغير ذلك مما فيه مصلحة للمسلمين، ويدخل في ذلك المشروعات الزراعية العامة كالطرق والسدود وحفر الآبار وبناء الجسور وإصلاح الأراضي الزراعية.

نخلص إلى القول أن الأرض الزراعية قد صنفت ملكيتها باعتبار خضوعها للمسلمين وباعتبار مايفرض عليها من حقوق إلى نوعين:

(أ) أرض عشرية وهي الأرض التي تؤخذ فيها الزكاة، كما هو مقرر في زكاة الزروع والثمار.

(ب) أرض خراجية وهي التي فرض عليها الخراج.

(٦) للفقهاء تفصيل في محل الملكية وقد ذكر محمد أبو زهرة في كتابه الملكية ونظرية العقد في الشريعة الإسلامية أن الملك ينقسم باعتبار محله إلى أربعة أنواع:

- ملك عين ومنفعة: وهو الملك التام لأنه يقع على ذات العين ومنافعها فيعطي للمالك حق التصرف السائغ شرعاً من بيع وإجارة ووصية ووقف وغير ذلك.

- ملك عين بلا منفعة: وهو ملـك ناقص لأنه يقع على الرقبة وحدها من غيـر ملك المنفعة مثل إذا أوصـى المالك لشخص بمنفـعة سكنى الدار والآخـر يملك رقبـتها فـإن الموصي له بالرقبة يكون مالكاً للرقبة وحدها في مدة انتفاع الموصى له سواء كانت لها نهاية معلومة أم تنتهي بالموت.

- ملك منفـعـة بلا عين: وهو أيضاً مـلك ناقص لأنه يقع على المنفـعة وحـدها ويكتـسب بالإجارة والإعارة والوصية بالمنفعة والوقف.

- ملك انتفــاع من غير ملك الرقـبة: وهو يشمل حقـوق ملك المنفعة. وحق الانتـفاع وهو مبـاشرة الشـخص الانتفـاع بنفسـه فقط كـالجلوس في المدارس والأسواق، والمبـيت بدار الضيافة ونحو ذلك فلمن أذن له في ذلك أن ينتـفع بنفسه فقط، ولا يجوز له أن يؤجر أو يأخذ معاوضة أو يأذن لغيره في الانتفاع بها بمقابل ويثبت حق الانتفاع بسببين:

الأول: أن تكون الأعيـان المنتفع بها مـخصصة لمنفـعة الكافة ولا يملكهـا واحد من الناس كالأنهر والترع التي تشقها الدولة والمدارس.

الثاني: الإباحة فإنهـا تعطي للمباح له حق الانتفاع ولا تعطيه ملك المنفعـة لغيره بعوض، أو بغير عوض كمن يخصص داراً لإيواء من انقطع به الطريق فليس للمنتفعين بها إلا حق الانتفاع فقط (محمد أبو زهرة: الملكية ونظرية العقد في الشريعة الإسلامية، ص ص٧٤- ٧٧؛ النمري: التنمية الزراعية في ضوء الشريعة الإسلامية، ج١، ص ص٥٢٩- ٥٣٠).

(٧) روى البخـاري حديث أسماء بنت أبـي بكر- رضي الله عنهما- قـالت: «تزوجني الزبير وماله في الأرض من مال ولا مملوك ولا شيء غير ناضح وغير فرسه فكنت أعلف فرسه، واستـقي الماء وأخرز غـربه وأعجن ولم أكن أحـسن الخبز. وكـان يخبـز جارات لي من الأنصار، وكن نسـوة صدق. وكنت أنقل النوى من أرض الزبير التي أقطعـه رسول الله- صلى الله عليه وسلم- علـى رأسي وهي مني على ثلثي فرسخ فجـئت يوماً والنوى على رأسي، فلقيت الرسول- صلى الله عليه وسلم- ومعـه نفر من الأنصار، فدعاني ثم قال: إخ إخ (بكسر الهـمزة وسكون الخاء) ليـحملني خلفـه فاستـحيت أن أسيـر مع الرجال،

وذكرت الزبير وغيرته- وكان أغير الناس- فعرف رسول الله- صلى الله عليه وسلم- أني قد استحيت، فمضى، فجئت الزبير فقلت لقيني رسول الله- صلى الله عليه وسلم- وعلى رأسي النوى ومعه نفر من أصحابه فأناخ لأركب، فاستحيت وعرفت غيرتك فقال: والله لحملك النوى كان أشد علي من ركوبك معه» (البخاري، ج٩، ص٣١٩) فهذه القصة تدل على مشاركة المرأة المسلمة في الأعمال المنزلية والأعمال الميدانية في المزرعة.

(٨) يرى علماء الجيولوجيا أن المنطقة كانت على مثل الوضع في أواخر العصر الجيولوجي الرابع. ففي ذلك التاريخ كانت الرياح القطبية تجتاح الصحاري العربية في معظم فصول السنة فيغزر المطر من جراء ذلك ويكثر النبات والحيوان. ولسبب لم يعرف كنهه حتى الآن بدأ الجليد بالانحسار تدريجياً. لهذا أخذ المطر يقل في المنطقة شيئاً فشيئاً حتى صار الجفاف هو الحالة السائدة في المنطقة (غلاب وزميله: ١٩٦٨م، ص ص٤٦٥- ٤٦٦).

(٩) لمعرفة موقف الإسلام من تحديد النسل انظر أبو الأعلى المودودي: حركة تحديد النسل مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠١هـ. فقد ناقش المؤلف بإسهاب غاية تحديد النسل وسياقها التاريخي ونتاجها وردود الفعل تجاهها في دول أوروبا الغربية ثم تعرض لمبادئ الإسلام وأبرز دلائل المؤيدين والمعارضين لحركة تحديد النسل ثم ناقش مشكلات تنظيم الأسرة. انظر كذلك الإمام محمد أبو زهرة: تنظيم الأسرة وتنظيم النسل، دار الفكر العربي، القاهرة (د.ت).

المـراجــــع

أولاً: المراجع العربية:

- أبو الحجاج، يوسف (١٩٨٤م): نمط انتشار الإسلام في أفريقيا، المجلة الجغرافية المصرية، ع١٦، س١٦، القاهرة.
- أبو الحجاج، يوسف (١٩٥٩م): العـالم الإسلامي: مكانته في الاقتـصاد العالمي وارتبـاطه بالأطماع الاسـتعـمارية، حـوليـات كلية الآداب عين شـمس، المجلد الخامس ص٥٩- ١١٧.
- أبو الحـجاج، يوسـف (١٤٠٤هـ): مسـالك انتـشار الإسـلام، بحـوث المؤتمر الجغرافي الإسلامي، مركز البحوث، جامعـة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المجلد الرابع، ص٣٣- ٤٧.
- أبو زهرة، الإمـام مـحمـد (د. ت): تنظيم الأسـرة وتنظيـم النسل، دار الفكر العربي.
- أبو السـعود، محـمود (١٤٠٤هـ): الإصـلاح الزراعي في البـلاد الإسلامـية، بحوث المؤتمر الجغرافي الإسلامي الأول، مركز البحوث، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المجلد الأول، ص٤٤٧- ٤٨٧.
- أبو شيخـة، عيسى. وعبـدالرحمن، رشيد. ودبور، مـرشد والخطيب، إبراهيم (١٩٨٤م): مشكلات عـالمية مـعاصـرة، دار العدوي للطبـاعة والنشـر والتوزيع عمان، الأردن.
- أبو العلا، محـمود طه (١٩٨٣م): جغرافـية العالم الإسلامي، مكتـبة الفلاح، الكويت.
- أبو عياش، عبدالإله (١٩٨٠م): أزمة المدينة العربية، وكالة المطبوعات الكويت.
- أبو عياش، عبـدالإله والقطب، إسحاق يعقوب (١٩٨٠م): الاتجـهات المعاصرة في الدراسات الحضرية، وكالة المطبوعات، الكويت.

- أغا، حسين. والخالدي، أحمد سامح. وجعفر، قاسم (١٩٨٢م): بعض المسائل الاقتصادية في الأقطار النامية، سلسلة الدراسات الاستراتيجية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.
- ألب تكين، عيسى (١٣٩٨هـ): قضية تركستان الشرقية، ترجمة إسماعيل حقي شن كولر، مؤسسة مكة للطباعة والإعلام.
- الاندونيسي، أبو هلال (١٤٠٠هـ): غارة تبشيرية على إندونيسيا، دار الشروق، جدة، ط٤.
- الباشا، حسن (١٩٨٨م): دراسات في الحضارة الإسلامية، دار النهضة العربية القاهرة.
- باقادر، أبو بكر. والصباغ، عبداللطيف توفيق الشيرازي. والجلند، محمد السيد. والسامرائي موئل يوسف (١٤٠٣هـ): دراسة عن حماية البيئة في الإسلام. نشرة مشتركة للاتحاد الدولي لصون الطبيعة والموارد الطبيعية ومصلحة الأرصاد وحماية البيئة بالمملكة العربية السعودية. جلاند، سويسرا.
- بحيري، صلاح الدين، والسرياني، محمد محمود (١٩٨٣م): جغرافية الوطن العربي، مديرية المناهج الأردن، المطبعة الوطنية.
- بحيري، صلاح الدين (١٩٧٤م): أرض فلسطين والأردن، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، معهد البحوث والدراسات العربية.
- البطيحي، عبدالرزاق محمد وخطاب، عادل عبدالله (١٩٨٢م): جغرافية الريف، جامعة بغداد، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، بغداد.
- بكار، يوسف (١٩٨٤م): جوانب من الحضارة الإسلامية، منشورات مركز الدراسات الإسلامية بجامعة اليرموك، إربد.
- بكر، سيد عبدالمجيد (١٤٠٥هـ): الأقليات المسلمة في آسيا واستراليا، ح(١) سلسلة دعوة الحق، رابطة العالم الإسلامي، العدد (٤١) السنة الرابعة. (أ)

- بكر، سيد عبدالمجيد (١٤٠٥هـ): الأقليات المسلمة في أفريقيا، ح(٢) سلسلة دعوة الحق، رابطة العالم الإسلامي، العدد (٤٢) السنة الرابعة. (ب)
- بكر، سيد عبدالمجيد (١٤٠٥هـ): الأقليات المسلمة في أوروبا، ح(٣) سلسلة دعوة الحق، رابطة العالم الإسلامي، العدد (٤٣) السنة الرابعة. (جـ)
- بكر، سيد عبدالمجيد (١٤٠٥هـ): الأقليات المسلمة في الأمريكتين والبحر الكاريبي، ح(٤) سلسلة دعوة الحق، رابطة العالم الإسلامي، العدد (٤٤) السنة الرابعة. (د)
- البنا، علي (١٤٠٤هـ): مستقبل الموارد الأولية الزراعية في العالم الإسلامي، بحوث المؤتمر الجغرافي الإسلامي الأول، مركز البحوث، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المجلد الثاني، ص١٤٩- ١٩١.
- بيلو، صالح آدم (١٤٠٨هـ): الثقافات الأجنبية في العصر العباسي وصداها في الأدب، المملكة العربية السعودية، مكة المكرمة.
- ترمنجهام، سبنسر (١٩٧٣م): الإسلام في شرق أفريقيا، ترجمة وتعليق محمد عاطف النوادي، ط١.
- الجميل، مكي (١٩٦٣م): البداوة والبدو في البلاد العربية، عمان.
- جوان، جوزيف (١٩٨٤م): الإسلام في ممالك أفريقيا السوداء، ترجمة مختار السويفي، دار الكتب الإسلامية، القاهرة- بيروت، ط١.
- جودة، جودة حسنين (١٤٠٤هـ): عصور المطر في صحاري العالم الإسلامي، بحوث المؤتمر الجغرافي الإسلامي الأول، مركز البحوث، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المجلد الأول، ص٢٤٣- ٢٨٨.
- الجوهري، يسري والزوكة، محمد خميس (١٩٧٩م): دراسات في جغرافية العالم الإسلامي، دار الجامعات المصرية، الإسكندرية.

- الحداد، السيد علـوي بن طاهر (١٩٨٥م): المدخل إلى تاريخ الإسلام في الشرق الأقصى، تحقيق محمد ضياء شهاب، عالم المعرفة جدة، ط١.
- حزين، سليمـان أحمد (١٩٦٨م): المشرق العربي بين الماضي والحـاضر، دراسة في الجغرافيا الحضارية، المجلة الجغرافية العربية، الجمعية الجغرافية المصرية، السنة الأولى، العدد الأول، ص٤- ٢٧.
- حسن، حـسن إبراهيم (١٩٦٤م): انتشـار الإسلام في القـارة الأفريقـية، ط٢، القاهرة.
- حسن، حســن إبراهيم (١٩٥٧م): انتشار الإسلام والعـربية فيما يلـي الصحراء الكبرى وشرق القارة الأفريقية وغربها، القاهرة.
- حســن، حسن إبراهيم (١٩٩١م): تاريخ الإسـلام السيـاسي والديني والثقـافي والاجتماعي (أربعة أجزاء) منشورات دار الجيل- بيـروت، ومكتبة النهضة العربية بالقاهرة.
- حسونه، محمد أحمد (١٩٦٠م): أثر العوامل الجـغرافية في الفتوح الإسلامية، القاهرة.
- حسين، منصور، وحبيب، كرم (١٩٧٥م): السكان والبناء الاجتماعي، القاهرة.
- حمدان، جمال (١٩٧١م): العالم الإسلامي المعاصر، عالم الكتب، القاهرة.
- حمـيدة، عـبدالرحـمن (١٤٠٠هـ): جـغرافـية التـخلف، مجلة كليـة العلوم الاجتماعية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد الرابع.
- خاطر، سليمان (١٤٠٤هـ): أثر الضوابط الجغرافية في الانتشار الإسلام وتوزيع أقلياته، بحوث المؤتمر الجغرافي الأول، مركز البحـوث، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المجلد الرابع، ص٥١- ٨٢.

- خاطر، سليمان (١٩٧٦م): أفريقيا الإسلامية- دراسة للدول الإسلامية والمسلمون بأفريقيا "أفريقيا" مجلة معهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة.
- ربيع، حامد (١٤٠٣هـ): مستقبل الإسلام السياسي، معهد البحوث والدراسات العربية، بغداد.
- رزقانه، إبراهيم (١٩٦٥م): أسباب ظاهرة البداوة وحجمها، بحث مقدم إلى مؤتمر رعاية البدو تحضيرهم وتوطينهم المنعقد في القدس (أعمال المؤتمر، ج٢، ص٣٣١).
- زكي، عبدالرحمن (١٩٦٤م): بعض المدن العربية على ساحل أفريقيا الشرقي في العصور الوسطى، المحاضرات العامة للجمعية الجغرافية المصرية، القاهرة، الموسم الثقافي لعام ١٩٦٤م.
- زكي، عبدالرحمن (١٩٧٦م): تاريخ انتشار الإسلام في غرب أفريقيا.
- زكي، عبدالرحمن (١٩٦٠م): المسلمون في العالم اليوم.
- الزوكة، محمد خميس (١٩٩٥م): جغرافية العالم الإسلامي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.
- الزوكة، محمد خميس (١٩٨٨م): جغرافية شرق أفريقيا، الإسكندرية.
- الزوكة، محمد خميس والجوهري، يسري عبدالرزاق (١٩٧٩م): دراسات في جغرافية العالم الإسلامي، الإسكندرية.
- الزوكة، محمد خميس (١٤٠٤هـ): الزراعة في أفريقيا الإسلامية- دراسة لخصائصها العامة، بحوث المؤتمر الجغرافي الإسلامي الأول، مركز البحوث، جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية، المجلد الثاني، ص٨١- ١١٦.
- الساداتي، أحمد محمود (١٩٧٠م): تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندوباكستانية، مطابع سجل العرب، ط٢.

- السامرائي، قاسم (١٩٨٣م): الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية، منشورات دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع، ط١.

- السباعي، مصطفى (١٩٧٩م): الاستشراق والمستشرقون مالهم وما عليهم، المكتب الإسلامي، ط٣.

- ستودارد، لوثرب (١٩٧١م): حاضر العالم الإسلامي، نقلة إلى العربية، عجاج نويهض وعلق عليه شكيب أرسلان، دار الفكر، ط٣.

- السرياني، محمد محمود (١٩٩٠م): ملامح التحضر في المملكة العربية السعودية، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، العدد (٢٣) السنة (١٦)، ص١٢٩- ١٨٠.

- السرياني، محمد محمود (١٩٨٨م): السمات العامة لمراكز الاستيطان الريفية في منطقة الباحة/ المملكة العربية السعودية، وحدة البحث والترجمة، قسم الجغرافيا بجامعة الكويت.

- السرياني، محمد محمود (١٩٧١م): البداوة في الأردن، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القاهرة، كلية الآداب، قسم الجغرافيا.

- السرياني، محمد محمود (١٤١٧م): الوجيز في جغرافية العالم الإسلام- دراسة لملامح الأقطار الإسلامية ومشاكل الأقليات المسلمة في العالم، دار الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض.

- السماك، محمد أزهر (١٤٠٤هـ): قياس الأهمية النسبية لمصادر الطاقة الحديثة في العالم الإسلامي وآفاقها المستقبلية، بحوث المؤتمر الجغرافي الإسلامي الأول، مركز البحوث، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المجلد الثاني، ص٥٢١- ٥٤٦.

- سنكري، محمد نذير (١٤٠٤هـ): الثروات الرعوية في العالم الإسلامي ومشكلة الأراضي الجافة، بحوث المؤتمر الجغرافي الإسلامي الأول، مركز البحرث، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المجلد الأول، ص٣٤٢- ٣٤٨.
- شاكر، محمود (١٩٧٤م): أفغانستان، سلسلة مواطن الشعوب الإسلامية في آسيا رقم(١١) مؤسسة الرسالة، بيروت.
- شاكر، محمود (د. ت): تركيا، سلسلة مواطن الشعوب الإسلامية في آسيا رقم(١٢) مؤسسة الرسالة، بيروت.
- شاكر، محمود (د. ت): إيران، سلسلة مواطن الشعوب الإسلامية في آسيا رقم(١٣) مؤسسة الرسالة، بيروت.
- شاكر، محمود (١٩٧٩م): المسلمون تحت السيطرة الشيوعية، منشورات المكتب الإسلامي، دمشق، ط٢.
- شاكر، محمود (١٩٨١م): اقتصاديات العالم الإسلامي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣.
- شاكر، محمود (١٩٨١م): سكان العالم الإسلامي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢.
- شاكر، محمود (١٩٧٧م): المسلمون تحت سيطرة الرأسمالية، منشورات المكتب الإسلامي، بيروت، ط١.
- شاكر، محمود (١٩٨٠م): العالم الإسلامي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١.
- شاكر، محمود (١٩٧٨م): جغرافية البيئات، المكتب الإسلامي، دمشق.
- الشامي، صلاح االدين، وعبد المقصود، زين الدين (١٩٧٤م): جغرافية العالم الإسلامي، منشأة المعارف بالإسكندرية.

- شريف، إبراهيم (١٩٨٣م): جغرافية الصناعة، مكتبة الفلاح، الكويت.
- الشريف، أحمد إبراهيم (١٩٨١م): دراسات في الحضارة الإسلامية، دار الفكر العربي.
- شلبي، أحمد (١٩٨٣م): موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية- الإسلام والدول الإسلامية جنوب صحراء أفريقيا منذ دخولها الإسلام وحتى الآن، مكتبة النهضة المصرية، ط٤.
- شلبي، أحمد (١٩٨٣م): موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية- الإسلام والدول الإسلامية غير العربية بآسيا، مكتبة النهضة المصرية، ط١.
- شلبي، إسماعيل عبدالرحمن (د. ت): التكامل الاقتصادي بين الدول الإسلامية، وزارة الإعلام، المملكة العربية السعودية، مطابع الاتحاد الدولي للبنوك الإسلامية.
- الشيال، جمال الدين (١٩٦٨م): تاريخ أباطرة المغول، منشأة المعارف بالإسكندرية.
- الشيخ، عبدالرحمن عبدالله (١٩٨٣هـ): دول الإسلام وحضارته في أفريقيا، دار اللواء، الرياض، ط١.
- صادق، دولت (١٩٨٣م): أطلس العالم الإسلامي، دار البيان العربي، جدة.
- صادق، دولت (١٤٠٤هـ): شرقي أفريقيا- دراسات في جغرافية الإسلام، بحوث المؤتمر الإسلامي الأول، مركز البحرث، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المجلد الرابع، ص٣٠- ٩٢.
- صالح، حسن عبدالقادر (١٤٠٤هـ): تنمية الريف في العالم الإسلامي، بحوث المؤتمر الجغرافي الإسلامي الأول، مركز البحرث، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المجلد الأول، ص١٧١- ٢٢٢.

- صالح، حسن عبدالقادر (١٩٧٧م): الغذاء والسكان في العالم الإسلامي، مجلة كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد الأول.
- الصقار، فؤاد محمد (١٩٨٢م): الملامح الاقتصادية للدول النامية، وكالة المطبوعات، الكويت، ط١.
- الصواف، محمد محمود (١٩٧٥م): رحلاتي إلى الديار الإسلامية، القسم الأول، أفريقيا المسلمة، بيروت.
- الطرازي، عبدالله مبشر (١٩٨٣م): موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية لبلاد السند والبنجاب (باكستان الحالية في عهد العرب) تقديم أبي الحسن الندوي، جزءان، ط١ عالم المعرفة، جدة.
- عامر، محمد عبدالمجيد (١٩٨٢م): الثروات المعدنية في العالم الإسلامي، دراسة في الجغرافية الاقتصادية، منشأة المعارف بالإسكندرية،
- عبدالجبار، إبراهيم (١٤٠٤هـ): مشكلة الأراضي الجافة في العالم الإسلامي، بحوث المؤتمر الجغرافي الإسلامي الأول، مركز البحوث، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المجلد الأول، ص٤٠٣- ٤٣٢.
- عبدالسلام، عادل (١٤٠٤هـ): مشكلة الأراضي الجافة في العالم الإسلامي، بحوث المؤتمر الجغرافي الإسلامي الأول، مركز البحوث، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المجلد الأول، ص٣٤٩- ٤٠٢.
- عبدالمقصود، زين الدين (١٤٠٤هـ): مشكلة التصحر في العالم الإسلامي، بحوث المؤتمر الجغرافي الإسلامي الأول، مركز البحوث، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المجلد الأول، ص٨٥- ١٢٣.
- عثمان، محمد عبدالستار (١٩٨٨م): المدينة الإسلامية، سلسلة عالم المعرفة (١٢٨)، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت.

- عفر، محمد عبدالمنعم (١٤٠٠هـ): التنمية الاقتصادية لدول العالم الإسلامي، دار المجتمع العلمي، جدة.

- العقيلي، نعمان دهش (١٤٠٤هـ): التكامل الغذائي في العالم الإسلامي، بحوث المؤتمر الجغرافي الإسلامي الأول، مركز البحوث، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المجلد الأول، ص٢٨١- ٢٩٢.

- عبيد، عاطف محمد (١٩٧٣م): التصنيع- مبرراته ومشاكله في الدول النامية (نظرة إدارية)، منشورات جامعة بيروت العربية.

- غرابيه، سامح والفرحان، يحيى(١٩٨٧م): المدخل إلى العلوم البيئية، دار الشروق عمان، الأردن.

- غلاب، محمد السيد والجوهري، يسري (١٩٦٨م): الجغرافيا التاريخية، عصر ماقبل التاريخ وفجره، مكتبة الأنجلو المصرية.

- غلاب، محمد السيد، وصالح، حسن عبدالقادر، وشاكر محمود (١٣٩٩هـ): البلدان الإسلامية والأقليات المسلمة في العالم المعاصر، المؤتمر الجغرافي الأول، الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

- فايد، يوسف عبدالمجيد (١٤٠٤هـ): الخلفية المناخية للأراضي الجافة في العالم الإسلامي، بحوث المؤتمر الجغرافي الإسلامي الأول، مركز البحوث، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المجلد الأول، ص٢٢٣- ٢٤١.

- فراج، عز الدين (١٩٨٦م): الموارد المائية في الوطن العربي دار الفكر العربي، القاهرة.

- فروخ، عمر، والخالدي، مصطفى (١٩٧٣م): التبشير والاستعمار، المكتبة العصرية، بيروت، صيدا، ط٥.

- الفضلي، عبده خليل (١٤٠٤هـ): التنمية الصناعية في العالم الإسلامي، بحوث المؤتمر الجغرافي الإسلامي الأول، مركز البحوث، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المجلد الثاني، ص٥٦٥- ٦٢٩.
- فلاديمير، فاسيلي وبارثولد، نتش (١٩٨١م): تركستان، نقله عن الروسية، صلاح الدين عثمان هاشم، الكويت، ط١.
- قداح، نعيم (١٩٦٠م): أفريقيا الغربية في ظل الإسلام، كونكري.
- القضماني، محيي الدين (١٩٨٢م): صفحات من حاضر العالم الإسلامي، مطابع الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة.
- كامل، عبدالعزيز (١٩٦٦م): وجهة الإسلام في القارة الأفريقية، السياسة الدولية، السنة الثانية، ص٩٤- ١١١.
- كامل، عبدالعزيز (١٩٦٧- ١٩٦٨م): جغرافية الإسلام في أفريقيا، محاضرات معهد الدراسات الإسلامية، القاهرة.
- كامل، عبدالعزيز (١٩٩٢م): الجغرافيا والدين، سلسلة رسائل جغرافية تصدرها الجمعية الجغرافية الكويتية بالتعاون مع قسم الجغرافيا بجامعة الكويت عدد رقم(١٤٠).
- كلكجي، شانتال وبنيعسن، الكسندر (١٩٨١م): المسلمون في الاتحاد السوفيتي، تعريب إحسان حقي، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- كوتسمان، لويس (د. ت): الإسلام في أمريكا، ترجمة أحمد سعد، قسم الإعلام والنشر، مكتبة رابطة العالم الإسلامي، نيويورك.
- ماجد، عبدالمنعم (د. ت): الأطلس التاريخي للعالم الإسلامي في العصور الوسطى، ط٢، دار الفكر العربي، القاهرة.

- الماوردي، أبي الحسن علي بن محمد البصري البغدادي (د. ت): الأحكام السلطانية والولايات الدينية، دار الفيصلية، مكة المكرمة.
- المبارك، محمد (د. ت): الأمة والعوامل المكونة لها، دار الفكر، دمشق، الطبعة الثانية.
- محمد، أسماء أبو بكر (١٤١٠هـ): المسلمون في دوائر النسيان، سلسلة دعوة الحق، رابطة العالم الإسلامي، س٩، عدد (٩٦).
- محمد، محمد عوض (د. ت): الشعوب والسلالات الأفريقية، الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة.
- محمدين، محمد محمود (د. ت): التراث الجغرافي الإسلامي، مطبعة شريف وشركاه، الإسكندرية.
- محمود، حسن أحمد (١٩٦٨م): الإسلام والحضارة العربية في آسيا الوسطى بين الفتحين العربي والتركي، دار النهضة العربية.
- مخول، قيصر أديب (د. ت): الإسلام في الشرق الأقصى، تعريب نبيل صبحي، دار العربية، بيروت.
- المدني، أحمد توفيق (د. ت): المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا، مطبعة أ. م. ن، سركور، الشركة الوطنية، الجزائر.
- المصري، جميل عبدالله محمد (١٩٨٩م): حاضر العالم الإسلامي وقضاياه المعاصرة، ط٢، دار أم القرى/ عمان.
- المطري، سيد خالد (١٩٨٤م): دراسات في سكان العالم الإسلامي، لجنة البحث العلمي، جامعة الملك عبدالعزيز، جدة.
- مكين، محمد (١٣٥٣هـ): نظرة جامعة إلى تاريخ الإسلام في الصين وأحوال المسلمين فيها، المطبعة السلفية.

- المودودي، أبو الأعلى (١٩٨١م): حركة تحديد النسل، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- مؤمن، مصطفى (١٩٧٤م): قسمات العالم الإسلامي المعاصر.
- مؤنس، حسين (١٤٠٩هـ): الإسلام الفاتح، سلسلة دعوة الحق، رابطة العالم الإسلامي، س١، ع٤.
- مؤنس، حسين (د. ت): أطلس تاريخ الإسلام، منشورات دار الزهراء، القاهرة.
- مؤنس، حسين (١٩٧٣م): عالم الإسلام- دراسة في تكوين العالم الإسلامي وخصائص الجماعات الإسلامية، دار المعارف، القاهرة.
- مؤنس، حسين (١٣٩٨هـ): الحضارة- دراسة في أصول وعوامل قيامها وتدهورها، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، عدد (١).
- الندوي، مسعود (د. ت): انتشار الإسلام في الهند، تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند، نشر وتوزيع الدار العربية.
- النفوري، أمين (١٤٠٤هـ): المسالك والدروب التي انتشر عليها الإسلام، بحوث المؤتمر الجغرافي الإسلامي الأول، مركز البحوث، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المجلد الرابع، ص٨٥- ١١٣.
- النمري، سليمان بن صالح بن خضر (١٤١٦هـ): التنمية الزراعية في ضوء الشريعة الإسلامية، سلسلة بحوث الدراسات الإسلامية، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي جامعة أم القرى، مكة المكرمة.
- الهذلول، صالح بن علي (١٤١٤هـ): المدينة العربية الإسلامية: أثر التشريع في تكوين البيئة العمرانية، دار السهن، الرياض.

- يكن، فتحي (١٩٨١م): العالم الإسلامي والمكائد الدولية خلال القرن الرابع عشر الهجري، مؤسسة الرسالة، ط١.

- يوسف، عز (١٩٧٣م): تاريخ القوقاز، تعريب فوسنوفة عبدالحميد غالب بك، عيسى البابي الحلبي، مصر.

- يونس، عادل طه (١٩٨٠م): المسلمون في العالم، أضواء على توزيعهم ومشكلاتهم، ط١، دار البحوث العلمية، الكويت،

- يونس، عادل طه (د. ت): المسلمون في العالم اليوم، دار البحوث العلمية، الكويت.

ثانياً: المراجع الأجنبية:

- Blake, G. H. 1972 "Morocco, Urbanization and Concentration of Population", In : PopUlation of the Middle East and North Africa".
- Caldwell, M., 1973 "Economic Survey, Malaysia", In: South-East Asia- An introduc tion, London.
- Carlson, L., 1967 "Africa' s Iands and Nations, Mc Graw-Hill,
- Church, R. J. H and others 1973 "Africa and the islands", third edition, London.
- Church, R. J. H, 1968. "West Africa, a Study of the Environment and of Man's Use of it" sixth edition, London.
- Clark, B. D., 1972 "Iran, Changing Population Patterns", in: Population of the Middle East and North Africa, London.
- Clark, C., 1967 "Population growth and Iand Use", New York.
- Clarke, J. I. and fisher, W. B. 1972 "Population of the Middle East and North Africa,a geographical approach", London.
- Clarke, J. I., 1974 "Population Geography and the Developing Countries", Oxford.
- Cressey, G. B. 1975 "Asia's Iands and Peoples", Mc Graw-Hill, Columbia University Press, New York.
- De Carvalno, M., d., 1962 "the Geography of Languages" in Philip L. Wagener and Marvin W. Mikesell (eds.) Readings in Cultural Geography, Chicago: University of Chicago Press, PP. 75- 93.

- Dowdney, J. c, (1972) "Turkey: Recent Population Trends" in: Population of the Middee East and North Africa, London.
- Fickeler, P., (1962) "Fundamental Questions in the Geography of Religions" in Philip L. Wagener and Marvin W. Mikesell (eds.) Readings in Cultural Geography, Chicago: University of Chicago Press, PP. 99- 117.
- Fisher, C. A. and Others, (1973) "South- East Asia- An introduction, Essays on the Geography, History and Economy of the Region", Reprinted from the Far and Australasia", London.
- Fisher, C. A. (1971), "South- East Asia- a Social, Economic and Political Geography", London.
- Fisher, C. A. (1971), "Indonesia, Physical and Social Geography" in South- East Asia- a Social, Economic and Political Geography", London.
- Fisher, W. B. (1971), "The Middle East, a Physical, Social and regional Geography", London.
- Freedman, J. (1975): Urbanization Planning and National Development, London Sage Foundation.
- Hance, W. A. (1975) "The Geography to modern Africa", second edition, Columbia University Press, New York.
- Hatem, M. A. K. (1977), "Land of the Arabs", London.
- Hiernaux, J. (1974), "The people of Africa", London.
- Hill, A. G. (1972), "The Gulf states- petroleum and Population growth", in: Population of the Middle East and North Africa, London.

- Johstone, T. M. (1970), "The Ianguages of the Middle East" In: peoples and culture of the Middle East, an anthropological reader, Vol, I, New York.
- Jordan, T. G. & Rowntree, L, (1976) The Human Mosaic, A Thematic Introduction to Cultural Geography, Canfield Press, New York.
- Lind, I. (1962), "Geography and Placenames" in Philio L. Wagener and Marvin W. Mikesell (eds.) Readings in Cultural Geography, Chicago: University of Chicago Press. PP. 118-128.
- Mansfield, P. (1973), "The Middle East, a Political and Economic Survey", Oxford University Press, fourth edition.
- Mc Gregor, R. (1972), "Saudi Arabia: Population and the Making of a Modern State", in: Population of the Middle East North Africa, London.
- Neill, W. T. (1973), "Twentieth century Indonesia", Columbia University Press, New York.
- The Population Reference Bureau, (1995) "world Population Data Sheet", Prepared by Tomas Takane, Washington.
- Reveile, R. (1974), "Food and Population" in: The human Population, a Scientific American Book, San Francisco.
- The Royal Geographical Society, (1977) "The Country of the Turkomans", London.
- Shafi, M. (1984), "Agriculture and Grazing in the Islamic world", Proceedings of the first Islamic Geographical Conference, "Research centre, Imam Mohammed ibn Saud University, PP. 231- 244.

- Taylor and Jones, A. R. (1964), Rural Life and Urbanized society, Oxford University Press.
- The Times Guide of the Nations of the wortd, (1994), Times books, Harper Collins publishers.
- Umoh, O. E. "Demographic statistics in Nigeria" (1974),in Population Growth and Economic Development in Africa, London.
- Wagner, P. L. & Mikesell, M. W. (1962), Readings in Cultural Geography, Chicago, University of Chicago Press.
- Weiss, R., "Cultural Boundaries and Ethnographic Map" in Philip L. Wagener and Marvin W. Mikesell (1962) (eds.) Readings in Cultural Geography, Chicago: University of Chicago Press PP. 62 - 74 .
- World Muslim Gazetteer, (1975) Umma Publication House, Karachi.

فهرس الأشكال

فهرس الجداول

مقومات التكامل الاقتصادي بين دول العالم الإسلامي

الأستاذ الدكتور: إسماعيل عبد الرحيم شلبي

فهرس الموضوعات

مقدمة

يشهد العالم في الوقت الحالي تغيرات واسعة النطاق في النظام الاقتصادي الدولي تتمثل في سياسة قواعد تحرير التجارة الدولية على النطاق العالمي في إطار «الجات»، وهيمنة الإدارة العالمية على برامج التصحيح الهيكلي والاستقرار الاقتصادي عبر صندوق النقد أو البنك الدوليين، والاتجاه نحو تأسيس التكتلات الاقتصادية الإقليمية، مثل الاتحاد الأوروبي ومنطقة التجارة الحرة لأمريكا الشمالية، وتراجع دور المنظمات الدولية الجماعية مثل المنظمات الاقتصادية للأمم المتحدة وبخاصة « الأنكتاد »، وتدهور تأثير المنابر الاقتصادية لمجموعة الدول النامية مثل مجموعة الـ ٧٧، واهتزاز مكانة المنظمات الاقتصادية الأضيق التي تضم عدداً من البلدان النامية ذات الموارد الاقتصادية المهمة عالمياً، وخاصة منظمة « الأوبك ».

والجديد في النظام الاقتصادي الدولي يكمن في نتائج التقنية الصناعية التي أدت إلى تهميش مجموعة بلدان ماسمي بالعالم الثالث، وتدهور أهمية صادرات تلك الدول من المواد الأولية، وتراجع أهمية أسواقها للمنتجات الجديدة، وضعف اندماج اقتصاداتها في العملية المتسارعة لتعميق النمو الاقتصادي.

وعلى الرغم من ثراء مجموعة من الدول المصدرة للنفط، فإن ضعف مقوِّمات اللحاق بالثورة الصناعية « التكنولوجية » رغم ماحققته من إنجازات صناعية، بخاصة في مجال البتروكيماويات، قد أبقى هذه الدول تحت ضغط عوامل التهميش، من خلال الهيمنة العلمية والصناعية والاقتصادية للمراكز الصناعية المستوردة للنفط.

ويمثل موقع العالم الإسلامي أهمية قصوى بالنسبة للتجارة الدولية والمواصلات البحرية العالمية، حيث تقع معظم الدول الإسلامية على الممرات المائية الدولية، ابتداء من أرخبيل الملايو، فخليج البنغال، فبحر العرب، فمضيق هرمز،

والخليج العربي، فباب المندب، والبحر الأحمر، فخليج السويس، فمعظم سواحل البحر المتوسط الشرقية والجنوبية، فمضيق البوسفور والدردنيل، فمضيق جبل طارق فجزء كبير من سواحل أفريقيا الغربية على المحيط الأطلسي والسواحل الشرقية لأفريقيا على المحيط الهندي.

ولايقتصر موقع العالم الإسلامي على أهميته للتجارة، بل تمتد أهميته إلى التأثير الاستراتيجي على العلاقات السياسية الدولية.

ويتميز العالم الإسلامي بالعديد من المقوِّمات، كالثروات الطبيعية الهائلة «زراعية ومعدنية ونفطية» والطاقة البشرية الهائلة، التي يمكن أن تمكِّنه من تكوين هياكل إنتاج ضخمة وسوقاً واسعة للتبادل التجاري، والتي يمكن أن تخلق منه مراكز مالية عالمية للتمويل والاقتراض والاستثمار.

وباستعراض البيانات الاقتصادية المجمعة المتاحة عن دول العالم الإسلامي، نجد أن معدلات النمو في هذه الدول قد تجاوزت نسبة ٤٪ في عامي ١٩٩١م، ١٩٩٢م، إلا أنها انخفضت إلى ٣,٥٪ عام ١٩٩٣م، وإلى أدنى من ٣٪ عام ١٩٩٤م.

وأدى هبوط ميزان التجارة في هذه الدول في أوائل التسعينات الميلادية إلى عجز تجاري في عام ١٩٩٣م، ثم تحسَّن في عام ١٩٩٤م، مما أدى إلى ارتفاع كبير في ميزان التجارة. وسجلت هذه الدول خلال الفترة ١٩٩١ - ١٩٩٤م عجزاً في الحساب الجاري، وقد انخفض هذا العجز عام ١٩٩٣م، باستثناء حدوث زيادة بسيطة.

واتسم صافي التحويلات الجاري للدول الإسلامية بالسلبية عام ١٩٩١م بسبب الإنفاق ذي الصلة بحرب الخليج، ثم تحسَّن الوضع عام ١٩٩٢م، وأصبحت هذه التحويلات إيجابية حتى عام ١٩٩٤م، إلا أن هذه التحويلات كانت في عامي ١٩٩٣م، ١٩٩٤م أدنى مما كانت عليه في عام ١٩٩٢م.

وارتفع مستوى الديون الخارجيـة للدول الإسلامية، حيث زاد بنحو ٧٪ عام ١٩٩٣م، وبأكثر من ١٪ عام ١٩٩٤م. وعلى النقـيض من ذلك، نلاحظ أنه وبعد أن كان مستوى معدلات خدمة الديون نحو ١٦٪ عامي ١٩٩٢م، ١٩٩٣م، قفز إلى ٢٠٪ عام ١٩٩٤م.

والمتوقع أن يتجه نمو إجمالي الناتج المحلي نحو الانتعاش في الدول الإسلامية عام ١٩٩٥م، وأن يحقق الميزان التجاري تحـسناً ملموساً أيضاً. ومع ذلك يتوقع أن يزداد العجـز في ميـزان الحسـاب الجاري وأن يظل صـافي التحويلات الجـارية عند مسـتوى عـام ١٩٩٤م. ومن المتوقع أن تزداد الديون الخـارجية زيادة بـسيطة، وأن ينخـفض مـعدل خـدمـة الدين إلى أقل من ١٤٪ . ومن المحتـمل أن تؤدي هذه التطورات، وبخاصة العجز المتوالي في الحـساب الجاري مع ركود صافي التحويلات الجارية، إلى بطء النمو الاقتصادي (البنك الدولي، ١٩٩٥م).

لهذا فإن اقتصاد الدول الإسلامية يتـميز ببعض سمات، تجعل طابعه الرئيس هو التخلف الاقتصادي، ومن بين هذه السمات ماهو مشترك بين الدول الإسلامية، ومنها ما تختص به بعض هذه الدول دون البعض الآخر.

وأهم مايتسم به الاقـتصاد الإسلامي، ضعف هيـاكل الإنتاج الداخلي وتركُّز معظم النشاط الإنتاجي فـي قطاعي الزراعة والصناعة الاستخراجيـة، وصغر حجم القطاع الصناعي، وتخلف الفن الإنتـاجي، ومن ثمَّ صعـوبة قيام تنمـية اقتـصادية انفرادية لكل دولة من هذه الدول لانخفاض مستوى الإنتاجية وضيق نطاق الأسواق المحلية، وندرة بعض عنـاصر الإنتاج، وانخـفاض معدلات الادخـار والاستثـمار، وبطء معدلات نمو الصادرات، واتجاه معدلات التبادل الدولي لغير صالحها، باستثناء الدول الإسلامية المصدرة للنفط.

كما أن الدول الإسلامية لم تستفد من الاستثمارات الدولية خلال الفترة السابقة إلا بقدر ضئيل، حيث إن معظم رؤس الأموال تنقل من الدول الصناعية المتفرقة والغنية إلى الدول المتقدمة، حيث كان يحكمها الطابع السياسي. وعندما فتح الله على بعض الدول الإسلامية بالدخل الكبير من النفط، نجد أن هذه الدول قد استثمرت هذه الفوائض لدى الدول الصناعية المتقدمة، بخاصة أسواق المال والبنوك، ومن ثمَّ حرمت منها الدول الإسلامية الفقيرة والتي تعاني من العجز الدائم والمستمر، والتي هي في حاجة إلى هذه الأموال من أجل إجراء تنمية اقتصادية، مما يضطرها إلى الحصول على ماتحتاجة من أموال عن طريق الدول المتقدمة الغنية بأسعار فائدة مرتفعة بالإضافة إلى ماينتج من آثار سياسية كبيرة، تجعل من الدول الإسلامية المقترضة تابعة اقتصادياً وسياسياً لها.

ولكن رغم ذلك، فإن الدول الإسلامية مجتمعة لديها من الإمكانات المادية والبشرية والطبيعية التي تؤهلها لتكون تكتلاً اقتصادياً عالمياً، ينافس كل التكتلات الاقتصادية الموجودة حالياً، ومن ثمَّ ينمو اقتصادها بمعدلات كبيرة وتحقق التقدم والرفاهية.

نبذة تاريخية مبسطة عن التجارة الدولية والتكتلات الاقتصادية :

إذا ما أمعنا النظر في تاريخ ماسارت عليه الدول غير الإسلامية من خطوات من أجل إقامة التكتلات الاقتصادية فيما بينها، نجد أن ذلك قد بدأ منذ القرن الميلادي الماضي، حيث ازدهرت التجارة الدولية وتقدمت منذ منتصف القرن التاسع عشر الميلادي حتى عام ١٩١٤م. ولكن بعد الحرب العالمية الأولى، بدأت هذه الدول في اتباع سياسة العزلة الاقتصادية، بتحصين نفسها بسياج جمركي يعوق تداول السلع (شلبي، ١٩٨٠م : ٣٥).

وفي عام ١٩٢٩م ظهرت الأزمة الاقتصادية العالمية، وفي عام ١٩٣١م ظهرت الأزمة النقدية، ومن ثم اضطر بعض الدول لرفع الرسوم الجمركية، كما

عمل البعض الآخر على تخفيض قيمة النقد لتشجيع الصادرات واتباع نظام الحصص، مما دفع الدول الأخرى والتي حافظت على ثبات قيمة نقدها إلى فرض رسوم تعويضية على سلع هذه الدول.

وقد بذلت الهيئات الدولية مجهودات كبيرة لأجل العمل على تخفيف حدة الأضرار الناشئة عن الإفراط في سياسة الحماية، ومن ثمَّ عقدت هذه الهيئات عدة مؤتمرات دولية [1]، ونظراً لعدم نجاح هذه المؤتمرات، فقد رأت بعض الدول المتجاورة عقد اتفاقات فيما بينها لتخفيف وطأة الرسوم الجمركية، وكان أولها اتفاق أوشي في يوليو ١٩٣٢م بين هولندا وبلجيكا ولوكسمبرج، والذي اتفق فيه على عدم دفع الرسوم الجمركية وإجراء تخفيضات لها تصل إلى ١٠٪، على أن يتبعه تخفيض آخر بمقدار ١٠٪ سنوياً لمدة أربع سنوات.

وبانتهاء الحرب العالمية الثانية، ظهرت اتجاهات قوية بين الدول نحو تكامل اقتصادي، وذلك بقصد مواجهة المشكلات الاقتصادية التي خلفتها الحرب، وكان أول اتفاقيات التكامل الاقتصادي هي اتفاقية البنلوكس عام ١٩٤٧م بين دول أوشى، ثم تبع ذلك اتفاقية السوق المشتركة للفحم والصلب بموجب معاهدة باريس عام ١٩٥١م بين دول البنلوكس وألمانيا وإيطاليا وفرنسا، ثم تبع ذلك أكبر تكتل اقتصادي دولي وهو السوق الأوروبية المشتركة « أو الوحدة الاقتصادية الأوروبية »، وذلك بمقتضى معاهدة روما عام ١٩٥٨م بين الدول الست وقيام منطقة التجارة الحرة عام ١٩٥٩م بمعاهدة ستوكهولم بين إنجلترا والسويد والنرويج والدنمرك والنمسا وسويسرا والبرتغال، ثم انضمت إليها أيسلندا. ولم تقتصر التكتلات الاقتصادية على أوروبا الغربية، حيث قامت دول أوروبا الشرقية عام ١٩٤٩م بإنشاء مجلس المعونة الاقتصادية والمعروف باسم « الكوميكون ».

كما عقدت دول أمريكا عام ١٩٦٠م معاهدة التكامل الاقتصادي وإنشاء سوق مشتركة ويرمز لها بـ (C . A . C . M)، وكذلك قامت دول أمريكا اللاتينية عام ١٩٨١م بإنشاء منطقة للتجارة الحرة بموجب معاهدة مونتيفيديو عام ١٩٦٠م، ويرمز لها بـ (L A F T A)

كذلك قامت دول شرقي أفريقيا بإنشاء سوق مشتركة عام ١٩٢٠م ويطلق عليها « المجتمع الاقتصادي لشرقي أفريقيا ». وفي عام ١٩٦٦م أنشئ الاتحاد الجمركي الاقتصادي لأفريقيا الوسطى، وكذلك الاتحاد الجمركي لغربي أفريقيا.

وفي عام ١٩٦٥م قامت بعض الدول العربية بإنشاء السوق العربية المشتركة من أجل تحقيق التكامل الاقتصادي وتوحيد الجهود لتحقيق أفضل الشروط لتنمية ثروات الأطراف المتعاقدة ورفع مستوى المعيشة وتحسين ظروف العمل، ولكن هذه السوق لم تأت بالثمار المرجوة منها، كما أقامت ست من دول الخليج العربية مجلس التعاون الخليجي، وكذلك أقامت الدول العربية بالمغرب الاتحاد المغاربي العربي، ويضم ليبيا وتونس والمغرب والجزائر وموريتانيا.

وأخيراً ظهر تكتل اقتصادي آخر يجمع بين أمريكا وكندا والمكسيك وهو ما يسمى بالنافتا (N . A . F . T . A) أو منطقة التجارة الحرة لأمريكا الشمالية.

وكل هذه التكتلات تعمل من أجل مصلحة الدول المشتركة فيها، ومن ثمَّ تجني ثمارها بالنمو الاقتصادي والرفاهية.

فهل تقف الدول الإسلامية مكتوفة الأيدي أمام مايحدث في العالم من سباق كبير لأجل الانتعاش والرفاهية الاقتصادية، وبخاصة أن العالم يتجه الآن نحو إقامة التكتلات الاقتصادية الكبيرة إذ لامجال للكيانات الصغيرة في عالم اليوم. وهل هناك مجال لتكامل اقتصادي بين الدول الإسلامية ؟، وماهي مقومات ذلك التكامل؟ وهذا يمثل محور الدراسة الحالية.

الإسلام والاقتصاد[٢]

جاء الإسلام منذ أربعة عشر قرناً كرسالة سماوية للعالم أجمع، هي خاتمة الرسالات، ليعالج الجوانب المختلفة للحياة البشرية، سواء من الناحية الروحية أو من الناحية المادية، والإسلام لم يكن مجرد عقيدة دينية، بل هو أيضاً تنظيم اجتماعي وسياسي واقتصادي للبشرية جمعاء، ولم يكن الرسول صلى الله عليه وسلم نبياً هادياً فحسب، بل كان بجانب ذلك حاكماً ومنفذاً، فالإسلام دين ودنيا معاً، أي أنه (عقيدة وشريعة).

ومن هنا كان منشأ الاقتصاد الإسلامي، حيث جاء الإسلام بأصول وقواعد اقصادية تنطوي على سياسة اقتصادية متميزة. فالإسلام لم يأت كرسالة خاصة معينة شأن الديانة اليهودية، ولا مجرد الهداية الروحية كالديانة النصرانية، وإنما جاء كخاتم الأديان السماوية للبشرية كافة منظماً لمختلف نواحي حياتهم ومعيشتهم الأخلاقية والعقائدية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية، ومن ثمّ فإن الاقتصاد الإسلامي قديم قدم الإسلام.

التعرف على الاقتصاد الإسلامي :

يعرف البعض الاقتصاد الإسلامي بأنه المذهب الاقتصادي للإسلام الذي تتجسد فيه الطريقة الإسلامية في تنظيم الحياة الاقتصادية، بما يملك هذا المذهب ويعول عليه من رصيد فكري، يتألف من أفكار الإسلام الأخلاقية العلمية والاقتصادية والتاريخية، التي تتصل بمسائل الاقتصاد السياسي أو بتحليل تاريخ المجتمعات البشرية (الصدر، ١٩٧٣م : ٩).

ويعرفه آخرون بأنه مجموعة الأصول العامة الاقتصادية التي نستخرجها من القرآن والسنة، والبناء الاقتصادي الذي نقيمه على أساس تلك الأصول بحسب كل بيئة وكل عصر (العربي، د.ت : ٢١).

وفي تعريف آخر يرى البعض أنه هو الذي يوجه النشاط الاقتصادي وينظمه وفقاً لأصول الإسلام ومبادئه الاقتصادية (الفنجري، ١٩٨٥م : ١١).

ويتبين من التعريفات السابقة أن الاقتصاد الإسلامي يتكوّن من قسمين، أحدهما مستخرج من القرآن والسنة وهو ماسبق أن ذكر بأنه مجموعة الأصول العامة الاقتصادية، ومن ثمَّ فهذا القسم ثابت لأن مصدره كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، ليلتزم بها المسلمون في كل زمان ومكان، بغض النظر غن درجة التطور الاقتصادي للمجتمع أو أشكال الإنتاج السائدة فيه.

والقسم الثاني متغير، وهو البناء الاقتصادي الذي نقيمه على أساسي تلك الأصول حسب كل بيئة وكل عصر، ويمكن توضيح ذلك على النحو التالي :

أولاً : القسم الثابت :

هو الذي مصدره القرآن والسنة مثل قوله تعالى: ﴿ **أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً** ﴾ [لقمان: ٢٠]، ومثل قوله تعالى : ﴿ **هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا** ﴾ [البقرة: ٢٩]، فهاتان الآيتان تضعان مبدأ اقتصادياً وهو أن طريق الكسب مباح. وعلى كل البشر أن يسعوا في طلب الرزق والكسب والضرب في الأرض.

وقوله تعالى: ﴿ **وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا** ﴾ [البقرة: ٢٧٥]. وهذه الآية تضع مبدأ مهماً وعاماً، وهو أن الله أحل البيع وحرّم الربا، ومن ثمَّ فقد أوضح الله لعباده ماهو الحلال وماهو الحرام. وقوله تعالى: ﴿ **لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ** ﴾ [النساء: ٣٢].

ومن هذه الآية يتبين قاعدة مؤداها أن ثمرة العمل تعود على صاحبه، لا فرق في ذلك بين ذكر أو أنثى، كلٌ بما اكتسبت يداه. وقوله تعالى : ﴿ **كَيْ لا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ** ﴾ [الحشر: ٧]. وقوله تعالى: ﴿ **اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ** ﴾

[المائدة: ٨]. ففي الآيتين يضع المولى عز وجل، قاعدة عامة، بأن على ولي الأمر أن يعيد توزيع الثروة في المجتمع في حالة عدم وجود توازن بين رعاياه، بحيث لاتستأثر قلة بسيطة بثروة المجتمع وتبقى الغالبية فقيرة في حاجة للقمة العيش، أي حفظ التوازن الاقتصادي، سواء بين الأفراد على مستوى الوطن الواحد أو بين الدول على المستوى العالمي، حيث إن التوازن هو قانون الحياة الرشيدة كما أرادها الله، إذ أن المغالاة في ناحية تكون على حساب الجوانب الأخرى، مما يخل ويفسد أمرها، وأن المسلم الحق هو المسلم المتوازن المعتدل، سواء في مجال إشباع الحاجات الطبيعية أو الغرائز أو في مجال العبادات والمعاملات، أي لايكون هناك تفاوت كبير في توزيع الثروات تستأثر من خلاله فئة معينة من الأفراد أو دول معينة بالخير كله، بل يجب أن يعم الخير الجميع، بحيث يكون التفاوت منضبطاً ومتوازناً، فلا يكون هناك ثراء فاحش وبجواره فقر مدقع.

وفي السنة النبوية من ناحية الثبات الكثير من الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم منها : (كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله)[٣].

وهذا الحديث مبدأ عام في حرمة الاعتداء على مال المسلم. وفي حديث آخر عن عبدالله بن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (المسلم أخو المسلم لايظلمه ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته. ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة)[٤]، وهذه الأحاديث تضع مبدأ عاماً هو حرمة الاعتداء على مال المسلم، وأن المسلم أخو المسلم فلا يجب عليه أن يظلمه، وعليه أن يعاونه في حاجاته، ومن يفعل ذلك صلى الله عليه وسلم سينال خيراً في الدنيا وثواباً في الآخرة.

وتتميز خاصية الثبات هذه بأنها غير قابلة للتغيير أو التبديل وأنها صالحة لكل زمان ومكان، دون النظر لدرجة التقدم الاقتصادي أو أشكال الإنتاج أو درجة التطور في المجتمع، ويعبر البعض عنها باصطلاح « المذهب الاقتصادي الإسلامي » (الفنجري، ١٩٧٨م : ١٨).

ويلاحظ أن هذه المبـادئ والأصول الاقتـصادية التي وردت بنصـوص القرآن والسنة محدودة وعامـة، ومن ثمَّ فقد ألزم الإسلام بالاجتهاد في إعمـالها وملاءمة تطبيقها باختلاف ظروف الزمـان والمكان. وقد قررها الإسلام كخاتم الأديان لتكون دليلاً للإنسانية من أجل الحركة المتطورة نحو أهدافها، فهي نور يهتدي به العقل عند تفكيره وليست في النهـاية إلا معالم وخطوط عريضة تصل بالفرد إلـى سعادة الدنيا والآخرة. كما أن هذه الأصول أو المبادئ الاقتصادية لاتتعلق إلا بالحاجات الأساسية اللازمـة لكل فـرد أو مجـتـمع، بغض النظر عن درجـة تطوره أو مـدى النشـاط الاقتصادي أو نوعية أدوات و وسائل الإنتاج.

ثانياً : القسم المتغير :

أما القـسم الثاني المتغـير فهو أن الاقـتصاد الإسـلامي وإن ارتبط منذ البداية بمبـادئ أصول اقـتصـادية صـالحة لكل زمـان ومكان، إلا أن إعـمال هذه المبـادئ والأصول يفتح باب الاجتـهاد على مصاريعه ليختار كل مـجتمع إسلامي الأسلوب الذي يراه متفقاً مع مـصالحه وظروفه. فهو مجموعة التطبيـقات والحلول الاقتصادية التي يتوصل إليها المجتهدون في الدول الإسلامية، تطبيقاً للمبادئ الشرعية وإعمالاً لها، فهي قابلة للتـغير تبعاً لتغير المكان والزمان من بـيئة لأخرى حسب ظروف كل بيئة، وفي البـيئة الواحدة تتـغير من زمن إلى زمن حسب التغـيرات التي تطرأ على البيـئة من وقت لآخر. ومن ثمَّ تتـعدد التطبيـقات الاقتصـادية الإسلاميـة بحسب ظروف كل مجتمع، وذلك في إطار المبادئ والأصول الاقتصادية الإسلامية. ويطلق البعض على هذه التطبيقات المتغـيره في المجال الاقتصادي اصطلاح «النظام أوالنظم الاقتصادية الإسلامية».

ومما سبق، يتـضح لنا أن السياسـة الاقتصـادية الإسلاميـة هي سياسـة ثابتة وخالدة في أصـولها التي لاترتبط بمرحلة تاريخـية معينـة أو بتطور أشكال الإنتاج، وهو ماعـبر عنه البعض باصطلاح المذهب الاقـتصادي الإسلامي الواحـد، الصالح

لكل زمان ومكان، وهي سياسة مرنة ومتطورة في تطبيقاتها لأصول ومبادئ الإسلام الاقتصادية، بحسب ظروف ومتطلبات المجتمعات المختلفة، وهو ماعبر عنه البعض بتعدد النظم الاقتصادية الإسلامية بحسب ظروف الزمان والمكان، بحيث تختلف النماذج أو التطبيقات ولكن في إطار الأصول والمبادئ الاقتصادية الإسلامية.

نظرة الإسلام للمشكلة الاقتصادية :

يبحث علم الاقتصاد - ضمن مايبحث في كيفية إشباع أكبر قدر ممكن من حاجات الإنسان غير المحدودة، وذلك في إطار الموارد المتاحة والمحدودة، وهذه تعتبر أهم قضية يدور فيها البحث في الفكر الاقتصادي وهي محدودة الموارد ولا نهائية الحاجات. وقد تأثرت مختلف الموضوعات الاقتصادية بهذه القضية الجوهرية ونتج عن ذلك ظهور مايسمى بالمشكلة الاقتصادية، أي مشكلة المواءمة بين الحاجات غير المحدودة والموارد الممحدودة.

والسؤال هنا هو : هل يشخص الإسلام المشكلة الاقتصادية على هذا النحو؟.

لاشك أن الإسلام يقر بتعدد الحاجات لكنه يدعو إلى الاعتدال في إشباعها.

إن تعدد الحاجات الإنسانية حقيقة واقعية لايمكن إنكارها. والإسلام وهو دين الفطرة يقر هذا الواقع، فيعترف بتعدد الحاجات الإنسانية وتطورها الدائم ونموها المستمر (الروبي، ١٩٨٥م).

ونظرة القرآن الكريم لهذا الأمر تبدو واضحة من إقراره لغرائز الجنس والتناسل والأبوة وحب الظهور والاقتناء، وهي بلاشك أهم الغرائز التي تتطلب معظم الحاجات لدى الإنسان، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ **زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ** ﴾ [آل عمران. ١٤].

لكن نجد أن القرآن يحث الإنسان على عدم الانسياق وراء غرائزه الجنسية والمادية وعدم التفريط في ذلك، وحثه على تنظيم هذه الحاجات، ومن ثمَّ ينال الجزاء الطيب في الآخرة، ومنها قوله تعالى : ﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران: ١٥] فالآية الكريمة تؤكد وجود هذه الغرائز والحاجات لكن مع تحفظ مهم وهو الاعتدال والترغيب في عدم المبالغة في الاستجابة لها حتى لاتلهي الإنسان عن عمل الخير الدائم الذي ينتظره في آخرته. ودعوة الإسلام للاعتدال والتحذير من الإسراف مثل قوله تعالى : ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُوراً﴾ [الإسراء: ٢٧].

ومع اعتراف الإسلام بتعدد الحاجات الإنسانية وإدراكه لإمكانية الشطط فيها وحثّه على الاعتدال في إشباعها، فقد استثنى منها الحاجات الخبيثة وجعلها محرمة، مثل قوله تعالى: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾ [الأعراف. ١٥٧]، والخبائث المحرمة مثل الزنا والخمر والميسر والكسب الحرام والميتة والدم ولحم الخنزير، وهذا ما يضفي على مفهوم الحاجة في الإسلام معنى أخلاقياً. كما أن علماء المسلمين يصنفون الحاجات ويحددون أولوياتها حيث تنقسم لمصالح ثلاث هي (البري، ١٩٧٢م : ١٤٤ - ١٦٥):

١ - المصالح الضرورية :

تمثل الحاجات لحياة الإنسان، المتمثلة في المحافظة على المقاصد الخمسة حسب أهميتها وهي : الدين والنفس والنسل والمال. وقد شرع الإسلام حدود المحافظة على إشباع هذه الحاجات الضرورية.

٢ - المصالح الحاجية :

وهي التي يحتاج إليها الناس لرفع المشقة والضيق عنهم، بحيث إذا لم يحصلوا عليها لايختل نظام حياتهم، ولكن تتسم حياتهم بالمشقة والضيق فقط، ومثال ذلك الأجهزة والآلات والمخترعات الحديثة، التي تيسر القيام بالأعمال المشروعة.

٣ - المصالح التحسينية أو التكميلية :

وهي الأمور التي لايختل بافتقارها نظام الحياة ولا يوقع غيابها مشقة أو حرج للناس، ولكن تخلو الحياة من مظاهر الجمال، مثال ذلك الحاجة للتطيب والملبس النظيف وغير ذلك من متع الحياة المباحة.

والحاجات التي يجب توفيرها لكل مسلم تدخل في مفهوم (حد الكفاية)، وهو يمثل الحد الأدنى من الغنى الواجب توفيره لكل فرد. وقد حصرها البعض من فقهاء المسلمين في تسع حاجات، وهي المطعم والملبس والمسكن وأدوات الإنتاج اللازمة ووسائل الانتقال والتعليم وقضاء الدين والزواج والنزهة أو السياحة المشروعة (إبراهيم، ١٩٨١م، ٣٨٠-٣٨٩).

والبعض الآخر من علماء المسلمين قد أقروا باختلاف حد الكفاية تبعاً للزمان والمكان، حيث أنه قابل للارتقاء كلما زاد تطور المجتمع [٥].

المنظمات
الاقتصادية الإسلامية المعاصرة

أبدى عدد كبير من الدول الإسلامية الرغبة في إحياء روح الوحدة الإسلامية وتقوية التعاون فيما بينها على جميع المستويات، ومن ثمَّ قاموا بتأسيس منظمة المؤتمر الإسلامي عام ١٣٨٩هـ الموافق ١٩٦٩م. ومنذ ذلك التاريخ، بذلت جهود كبيرة لربط وتقوية العلاقات الاقتصادية بين الدول الأعضاء في المنظمة، مع الأخذ في الاعتبار اختلاف ظروف هذه الدول واختلاف مستويات التنمية الاقتصادية والاجتماعية فيها.

ومن أجل تحقيق أهداف التعاون الاقتصادي بين الدول الإسلامية، تم إنشاء بعض المؤسسات الاقتصادية لأداء بعض الخدمات للدول الأعضاء، مما يساعدهم على سرعة التنمية الاقتصادية وتحقيق التقدم والرفاهية للدول الإسلامية.

المنظمات الاقتصادية :

١ - البنك الإسلامي للتنمية :

وقد تم توقيع الاتفاق المنشىء له في أغسطس ١٩٧٤م بجدة، وكان البنك يضم ثمانية وثلاثين عضواً في بداية إنشائه ثم زاد العدد إلى ثلاثة وأربعين عضواً، جميعهم من الدول الإسلامية. ويبلغ رأس مال البنك المرخص به ٢٠٠٠ مليون دينار إسلامي[٦]. ويبلغ رأس المال المكتتب فيه حتى عام ١٩٨٤م حوالي ١٨٥٠ مليون دينار إسلامي.

يهدف البنك إلى تعبئة الموارد المالية لتمويل التنمية الاقتصادية والاجتماعية للدول الأعضاء والمجتمعات الإسلامية وفقاً لأحكام الشريعة الإسلامية، والبنك يقبل الودائع ويعمل على جذب الأموال بأية طريقة أخرى. كما يعمل على توظيف موارده المالية بالمساهمة في رؤوس أموال المشروعات وتقديم القروض غير الربوية للمؤسسات والمشروعات الإنتاجية الخاصة والعامة للدول الأعضاء.

هذا بجانب تقديم المساعدة المالية لهذه الدول في أشكال أخرى من أجل التنمية، ومنها على سبيل المثال مشروعات الهياكل الأساسية والاقتصادية والاجتماعية. كما يعمل البنك على إنشاء وتشغيل صناديق خاصة لأغراض محددة لمساعدة المجتمعات الإسلامية في البلدان الأعضاء، كما يعمل على تمويل التجارة الخارجية للدول الأعضاء ويعمل على تنميتها. كما يوفر البنك وسائل التدريب للعاملين في مجال التنمية، ويقدم المساعدات الفنية اللازمة، ويقوم بالأبحاث اللازمة لممارسة النشاط الاقتصادي والمالي المصرفي في الدول الإسلامية طبقاً للشريعة الإسلامية.

٢ - مركز الأبحاث الاقتصادية والاجتماعية والإحصائية والتدريب للدول الإسلامية :

أسس المركز تبعاً لقرار منظمة المؤتمر الإسلامي وبدأ نشاطه عام ١٩٧٨م، ومقره أنقره بتركيا، يعمل المركز على جمع وتقييم الإحصاءات والمعلومات في المجالا الاقتصادية على نطاق العالم الإسلامي، كما يقوم المركز أيضاً بإجراء الدراسات حول التجارة الخارجية للدول الأعضاء، لبيان كيفية التعاون ورفع مستوى التبادل بينها.

٣ - الغرفة الإسلامية للتجارة والصناعة وتبادل السلع :

أنشئت الغرفة عام ١٩٧٩م بناءً على قرار صادر من المؤتمر العاشر لوزراء خارجية الدول الإسلامية بفاس، وقد تم اتخاذ مدينة كراتشي بباكستان مقراً لها.

تهدف الغرفة إلى تنمية التعاون وتشجيع التبادل التجاري بين الدول الإسلامية الأعضاء، والعمل على حماية المصالح التجارية للعالم الإسلامي، بوضع التوصيات اللازمة لذلك، كما تعمل على تشجيع الدول الأعضاء على منح شروط تفضيلية لبعضها في تبادلها التجاري، كذلك تبادل الخبرات في مجال التجارة، والعمل على إنهاء المنازعات التجارية، وتنظيم الأسواق التجارية والمعارض، والسعي لإنشاء « المجموعة الإسلامية ».

٤ - المركز الإسلامي لتنمية التجارة بالدار البيضاء :

في عام ١٩٧٩م تقدم فريق من الخبراء في جدة باقتراح لإنشاء مركز إسلامي لتنميـة التجارة بهـدف تدريب وإعادة توزيع المسـؤولين الأكفاء في أسـاليب تحسين التجارة والتسويق، وكذلك القيام بأبحـاث لتسويق ودراسات الجدوى اللازمة لتقدير إمكانات التـصدير والاسـتـيراد بين الدول الإسـلاميـة الأعـضاء في منظمـة المؤتمر الإسلامي.

وفي عام ١٩٨١م، صدر قرار مؤتمر القمـة الإسلامي المنعقد في مكة المكرمة بإنشاء المركز، وأن يكون مقره في المملكة المغربية.

وتتركز أهم أهداف ووظائف المركز في الآتي :

أ - تشجيع المبـادلات التجارية بين الدول الأعضاء وجـمع المعلومات ذات الطابع التجاري.

ب - مساعدة الدول الأعضاء على تنسيق سياساتها التجارية.

جـ - تشجيع الاستثمارات الموجهة نحو تنمية المبادلات التجارية.

ويلاحظ أن هذه الأهداف لاتعبر عما جاء في اقتراح لجنة الخبراء عام ١٩٧٩م بل تختلف معـها، كما أنها تشابه أهداف مركـز الأبحاث الاقتصادية والاجتـماعية بأنقرة.

الاتفـاقـيـات مـتـعـددة الأطراف بـين الدول الأعـضـاء في مـنظمـة المؤتمر الإسلامي:

عقدت عدة اتفاقيات بين الدول الأعضاء في منظمة المؤتمر الإسلامي من أجل التنسيق بين هذه الدول وتسهـيل التعاون فيما بينها من أجل المـصلحة العامة وهذه الاتفاقيات هي :

١ - الاتفاقية العامة للتعاون الاقتصادي والفني والتجاري :

اعتمد المؤتمر الثاني عشر لوزراء خارجية الدول الإسلامية المنعقد عام ١٩٨١م الاتفاقية العامة للتعاون الاقتصادي والفني والتجاري، التي تستهدف تشجيع رأس المال والاستثمارات (المشروعات المشتركة)، وتبادل الخبرات والقدرات الفنية والتقنية بين الدول الأعضاء وتسهيل وتطبيق المعاملة المتساوية في تجارة حرة بينها، مع إعطاء اهتمام خاص للدول الأعضاء الأقل نمواً. وقد أصبحت الاتفاقية نافذة المفعول بعد أن وقعت عليها ٣٧ دولة، وصدقت عليها ٢٦ دولة من الدول الأعضاء في المنظمة حتى نهاية عام ١٤١٣هـ (الأمانة العامة لمنظمة المؤتمر الإسلامي، ١٩٧٧م).

كما أوصت الاتفاقية بإقامة مراكز للتنمية التجارية بين الدول الإسلامية، وإقامة معارض لعرض وتسويق منتجاتها وكذا المشاركة في المعارض الدولية. ويلاحظ أنه عادة مايوقع على الاتفاقيات عدد كبير من الدول ولكن يصدق عليها عدد أقل. ورغم ذلك، فإننا نرى أن عدد الدول التي صدقت على الاتفاقية لابأس به كبداية للتعاون الاقتصادي والفني بين الدول الإسلامية، وتحرير التجارة فيما بينها، وذلك بدلاً من إجراءات الحماية التي تحد من انسياب وتنشيط التجارة. ومن ثمّ نجد أن هذه القواعد التي شملتها هذه الاتفاقية مؤشر طيب لتحسين العلاقة بين الدول الإسلامية وبداية للتنسيق والتعاون فيما بينها من أجل الهدف الأكبر وهو التكامل الاقتصادي بينها.

٢ - اتفاقية تشجيع وحماية وضمان الاستثمارات :

اعتمد المؤتمر الثاني عشر لوزراء خارجية الدول الإسلامية المنعقد عام ١٩٨١م، اتفاقية تشجيع وحماية وضمان الاستثمارات بين الدول الأعضاء في منظمة المؤتمر الإسلامي. وقد تضمنت المبادئ الأساسية، لتشجيع رؤوس الأموال بين الدول الأعضاء، وحماية هذه الدول من المخاطر غير التجارية، وضمان تحويل رأس المال مع الأرباح دون أن يخضع المستثمر لأية معاملة غير ملائمة. كما توحي الاتفاقية بإقامة مؤسسات إسلامية للتأمين على الممتلكات المستثمر فيها للشريعة الإسلامية على مستوى الدول الأعضاء.

وقد أصبحت الاتفاقية نافذة المفعول منذ فبراير ١٩٨٨م، بعد أن صدقت عليها أكثر من عشر دول (البنك الإسلامي للتنمية، ١٩٩٤م، ٦٣).

وتعتبر هذه الاتفاقية مهمة جداً، حيث إنها تعمل على تشجيع حركة رؤوس الأموال والاستثمارات بين الدول الأعضاء، ووضع الضمانات المناسبة لها، والتأمين عليها وفقاً للشريعة الإسلامية. كما أنها تشجع الاستثمارات الإسلامية المشتركة داخل الدول الإسلامية.

٣ - الاتحاد الإسلامي للاتصالات السلكية واللاسلكية :

وافق المؤتمر الخامس عشر لوزراء خارجية الدول الإسلامية عام ١٩٨٥م على النظام الأساس للاتحاد الإسلامي للاتصالات السلكية واللاسلكية، ولم يصبح هذا الاتحاد نافذ المفعول بعد، نظراً لأنه لم يوقع عليه سوى إحدى عشرة دولة وصدقت عليه تسع فقط من الدول الأعضاء.

أما النظام الأساسي للمجلس الإسلامي للطيران المدني، فقد وقعت عليه سبع دول حتى نهاية عام ١٩٩٣م، وهذا العدد غير كاف لجعل هذا النظام ساري المفعول.

٤ - اتفاقية تأسيس المؤسسة الإسلامية لتأمين الاستثمار وائتمان الصادرات :

في ١٦ شعبان عام ١٤١٣هـ الموافق ٩ فبراير ١٩٩٢م، أُعتمدت اتفاقية إنشاء المؤسسة الإسلامية لتأمين الاستثمار وائتمان الصادرات من قِبل محافظي البنك الإسلامي للتنمية، وذلك في اجتماعه السنوي الثالث عشر.

تهدف هذه الاتفاقية إلى أن تقدم المؤسسة - وفقاً لأحكام الشريعة الإسلامية - تأميناً للصادرات أو إعادة التأمين للسلع التي تتوافر فيها الشروط المحددة في الاتفاقية، وذلك بأن تدفع لحملة سندات التأمين (البوالص) تعويضاً ملائماً بالنسبة للخسائر الناجمة عن المخاطر المحددة في الاتفاقية أو المخاطر التي يحددها مجلس الإدارة.

وقد وقعت على الاتفاقية ثلاثون دولة وصدقت عليها إحدى عشرة دولة، فأصبحت الاتفاقية سارية المفعول اعتباراً من أغسطس ١٩٩٤م، وبدأت أعمالها التنظيمية بمقر البنك الإسلامي للتنمية في ٢١ يوليو ١٩٩٥م.

٥ - اتفاقية نظام الأفضلية التجارية بين الدول الأعضاء بالمنظمة :

وقعت على هذه الاتفاقية ١٦ دولة وصدقت عليها ست دول فقط، وقد طلب الاجتماع التاسع للجنة الدائمة من الأمانة العامة لمنظمة المؤتمر الإسلامي، الاتصال بالدول الأعضاء من أجل التعجيل بإتمام إجراءات انضمامها للاتفاقية، ودعوة جميع الدول الأعضاء إلى البدء بتبادل قوائم الامتيازات المقترحة، وإجراء اتصالات غير رسمية بشأنها، استعداداً للمفاوضة المستقبلية حول الامتيازات.

وتهدف هذه الاتفاقية إلى تشجيع التجارة بين الدول الأعضاء في منظمة المؤتمر الإسلامي عن طريق تبادل التجارة على أساس المبادئ التالية :

أ - ضمان معاملة متساوية وغير تمييزية بين جميع الدول المشتركة :

ب - تحقيق منافع متبادلة لكافة الدول المشتركة بما يكفل استفادة جميع الدول المشاركة من نظام الأفضليات.

جـ - تبادل المعاملة التفضيلية مع مراعاة مبدأ الدولة الأكثر رعاية طبقاً لجداول زمنية وعن طريق اتباع أسلوب تدريجي.

د - إتاحة إمكانية المشاركة أمام التجمعات التي تتكون من الدول الأعضاء فقط، والتي يمكن أن تشارك في المفاوضات التجارية بتمثيل موحّد.

هـ - قصر الأفضليات المتبادلة بمقتضى هذه الاتفاقية على الدول المشتركة فقط.

و - لاتقتصر الأفضليات المتبادلة على التعريفات الجمركية، بل تمتد بصورة تدريجية لتشمل التسهيلات الجمركية وغير الجمركية.

ز - امتداد الأفضليات التجارية إلى جميع المنتجات ومنها المنتجات الزراعية والحيوانية والمصنعة ونصف المصنعة.

ح - وضع اختلاف مستويات التنمية الاقتصادية بين الدول الأعضاء في الاعتبار عند منح معاملة خاصة.

مما سبق يتبين لنا أن المنظمات الاقتصادية الإسلامية المعاصرة قد تعددت، ونتج عنها بعض الاتفاقيات متعددة الأطراف بين الدول الأعضاء في منظمة المؤتمر الإسلامي.

ولكن يلاحظ على معظم هذه المنظمات، أنها لم تأت بالثمرة المرجوة منها حتى الآن، وأنها تفتقد إلى التمويل المادي المطلوب لأدائها لعملها، ومنها على سبيل المثال البنك الإسلامي للتنمية، حيث قام بعمل دراسة لمعرفة مدى احتياجه للتمويل اللازم لعملياته المختلفة، وأخذ في الاعتبار احتياجات الدول النامية الأعضاء في البنك وظروف التضخم. وقد تبين له أنه سيواجه عجزاً في التمويل مقداره أحد عشر بليوناً من الدينارات الإسلامية خلال الفترة ١٩٨٩م - ١٩٩٥م.

ولكن البنك قد عمل على إنشاء علاقة قوية مع البنوك الإسلامية داخل الدول الأعضاء، حيث استطاع عن طريق برنامج لودائع الاستثمارات أن يحصل على موارد مالية من بعض هذه البنوك، لاستخدامها في تمويل التجارة الخارجية، كما يعمل حالياً بالاشتراك مع هذه البنوك في إيجاد طرق جديدة لتنمية مصادر التمويل وذلك بهدف زيادة المساهمة في تمويل مشروعات التنمية الاقتصادية والاجتماعية.

كذلك نجد أن مركز الأبحاث الاقتصادية والاجتماعية ومقره أنقره، يعاني أيضاً من عدم انتظام المدفوعات المالية للدول الأعضاء للمركز، مما يعوقه عن أداء مهامه العملية، وكذلك يواجه نقصاً في كوادر البحث العلمي اللازمة له.

أما الغرفة الإسلامية للتجارة والصناعة وتبادل السلع، فإن نشاطها محدود ويجب أن تعمل على التنسيق والتعاون مع الغرف التجارية لدى الدول الإسلامية الأعضاء، لتنشيط الأعمال التجارية، ورواج التجارة بين الدول الإسلامية.

كما يلاحظ أن أهداف هذه المنظمات متداخلة ومزدوجة، ولهذا يجب عمل تنسيق مركزي بين هذه المؤسسات من قبل منظمة المؤتمر الإسلامي، بحيث تلتزم كل مؤسسة بأعمال محددة، طبقاً لأهدافها واختصاصاتها، ومن ثم تستطيع الدول الإسلامية أن تجني ثمار أنشطة هذه المؤسسات.

ويجب على البنك الإسلامي للتنمية بجدة أن يتبنى فكرة إنشاء بنك مركزي إسلامي، يكون له دور فاعل في عملية التنسيق بين البنك الإسلامي للتنمية والبنوك الإسلامية لدى الدول الأعضاء، وكذا عمل خريطة استراتيجية للدول الإسلامية الأعضاء، مدعمة بدراسات اقتصادية لمشروعات مشتركة من أجل تنمية الدول الإسلامية بعامة، والدول الإسلامية الفقيرة بخاصة، وبذلك يستطيع هذا البنك أن يقوم بدور رئيس في عملية التنمية الاقتصادية، ومن ثم دفع عجلة التعاون والتكامل الاقتصادي بين الدول الإسلامية. وحتى تتم إقامة أو إنشاء البنك المركزي الإسلامي، يمكن أن يقوم البنك الإسلامي للتنمية بهذا الدور.

أما بالنسبة للاتفاقيات بعامة، فيلاحظ أنها تأخذ طريق وأسلوب الاتفاقيات الدولية، ومن ثمَّ يلاحظ الموافقة عليها بعدد من الدول ثم يتم التصديق عليها من عدد أقل من الدول نفسها. وبذلك قد لاترى بعض هذه الاتفاقيات النور نظراً لأن عدد الدول المصدقة عليها أقل من المطلوب.

ونظرا لعدم اهتمام بعض الدول الأعضاء بمنظمة المؤتمر الإسلامي بهذه الاتفاقيات، فقد وجهت اللجنة الدائمة في اجتماعها العاشر الذي عقد في أكتوبر ١٩٩٤م النداء للدول الأعضاء التي لم توقع أو تصادق على مختلف النظم الأساسية والاتفاقيات التي تهدف إلى تعزيز التعاون الاقتصادي الإسلامي، بأن تسرع في التوقيع أو التصديق في أقرب وقت ممكن.

ومن الملاحظات المهـمة أيضـاً، أن العمليـة ليست فـي كثرة الاتـفاقـيات أو المؤسسـات ولكن الحقيقـة تكمن في مدى جدية الدول الإسـلامية في إقامـة صرح اقتصادي إسلامي. وأن تبتعد بمشكلاتها السيـاسية عن مشروعاتها الاقتصادية. وإذا خلصت النيـة، خلص العمل لوجه اللـه ولمصلحة بلادنا ووطننا الإسـلامي وأمتنا، التي لن يقوم لها قائمة إلا بالاتحاد والتعاون والإخلاص لوجه الله ومن أجل التنمية والنمو والوحدة.

مفهوم التكامل الاقتصادي

التكامل الاقتصادي يعتبر نوعاً من التعاون الاقتصادي، إلا أنه يتميز عنه بأنه أعمق في أساليبه ودرجته، حيث إن التعاون الاقتصادي يشتمل على درجات متعددة من الإجراءات البسيطة - كتقرير مميزات تجارية مثل إجراء تخفيضات أو إعفاءات أو رفع القيود الكمية - إلى درجات كبيرة من التقارب الاقتصادي، وذلك لتحقيق الوحدة أو الاندماج. أما التكامل الاقتصادي، فهو عبارة عن عملية توحيد للأقطار والدول للوصول إلى وحدة اقتصادية واحدة. فكلمة تكامل من الناحية اللغوية تعبر عن ربط أجزاء بعضها إلى بعض، كي تكون شيئاً واحداً.

وعلى ذلك، فالتكامل الاقتصادي يحمل معنى الربط الذي يتم نتيجة تنظيمات أو ترتيبات معينة، تتخذها حكومات الدول المتكاملة، باتفاق بينها. ويتم التكامل عادة بين بلدين أو أكثر تجمع بينهما أمور معينة، هي التي تحفزها على أن تتكامل فيما بينها، كأن تكون تلك البلاد متجاورة بحيث تنتمي جميعها إلى منطقة جغرافية واحدة، أو أنها تنتمي إلى سلالة مشتركة أو ثقافة واحدة، أو أنها بلاد تسعى إلى النمو وتشعر بضرورة التكاتف فيما بينها حتى تتغلب على الصعوبات التي تجدها في طريقها من أجل تنمية مواردها، والرقي بأحوالها الاقتصادية، أو تهدف تلك البلاد من تكاملها إلى تحقيق أغراض سياسية معينة، كأن تتخذ من التكامل الاقتصادي سبيلاً إلى تحقيق نوع من الوحدة السياسية بينها.

وبناءً على التعريف السابق، لايعتبر من قبيل التكامل ما كان يقوم من قبل بين البلد المستعمر ومستعمراته من صلات اقتصادية، فضلاً عن أن المستعمرات في ذلك الحين لم تكن دولاً بل أقاليم تابعة للدولة المُستعمرة فالعلاقة مابين الدولة المُستعمرة ومستعمراتها كانت تنظم على نحو يفيد الأولى، أما الثانية فكانت تُمتص ثرواتها من قبل المستعمرين ولايعود الأمر عليها إلا بنفع ضئيل. كما لايعتبر من قبيل التكامل بالمعنى الدقيق المجموعات أو الهيئات التي تتكون من بعض الدول، إذا

لم يكن من حقها اتخاذ قرارات ملزمة لأعضائها في الشؤون التي تتعرض لها، كأن يقتصر دورها على تبادل أوجه النظر في المسائل التي تهم الأعضاء، أو على أغراض استشارية أو تكوين قوة ضاغطة على دول أو مجموعات دول أخرى.

ومثال ذلك : مجموعة البلاد التي في سبيلها للنمو في الأمم المتحدة وبعض منظماتها، وهي المعروفه بمجموعة الـ ٧٧، وكذلك دول عدم الانحياز.

ولاينفي ذلك ما لهذه المجموعات من أثر غير مباشر في إحداث التعاون بين أعضائها، وفي توحيد صفوفهم إزاء الدول المتقدمة، وذلك بما تقدمه من آراء وتوجيهات يستعان بها في تسيير سبل التكامل، وما لها من آثار أدبية على أعضاء المجموعات الأخرى، حتى وإن لم يكن لها قوة الإلزام.

أما من الناحية الاقتصادية، فقد تميَّزت تعريفات التكامل الاقتصادي بعدة اتجاهات سنشير إليها بإيجاز حسب رأي وتعريف كل اقتصادي.

تعريف التكامل الاقتصادي :

١ – تعريف الاقتصاديين :

يعرف " تنبرجن " (Tinbergen) التكامل الاقتصادي على أساس احتوائه على جانبين، أحدهما إيجابي والآخر سلبي، فيحتوي الجانب الإيجابي على الإجراءات التدعيمية التي يراد بها إزالة عدم الاتساق في الضرائب والرسوم بين البلاد الرامية إلى التكامل، وبرامج إعادة التنظيم اللازمة لعلاج مشاكل النمو والتحول، وأن أفضل صورة ممكنة للعلاقات الاقتصادية بين الدول المختلفة، تكون بإزالة العقبات أمام التعاون الاقتصادي بين هذه البلاد.

ويحتوي الجانب السلبي على إلغاء واستبعاد أدوات معينة في السياسة الاقتصادية الدولية (Tinbergen , 1954 , 122).

أما بندر(PINDER) فيرى أن التكامل الاقتصادي يشمل إلغاء التمييز بين الوحدات الاقتصادية للأقطار المتكاملة في الجانب السلبي، وإنشاء وتطبيق سياسات مشتركة منسقة على نطاق كافٍ لتحقيق الأهداف الاقتصادية (PINDER, 1969).

أما ميردال (MYRDAL) فقد عرَّف التكامل بأنه عبارة عن عملية اقتصادية وأخرى اجتماعية، بمقتضاها تزال الحواجز بين الوحدات الاقتصادية المختلفة، لتحقيق تكافؤ الفرص على المستوى الوطني أو الدولي أمام عناصر الإنتاج (MYRDAL , 1956).

ويرى فاينر (VINER) أنه ينتج عن التكامل الاقتصادي ظاهرتان : الأولى إقامة التجارة والثانية هي تحويل التجارة. وتظهر مزايا التكامل الاقتصادي إذا ترتب عليه حدوث نمو للتجارة لدى الدول ذات النفقة الإنتاجية المنخفضة (الدول الأكثر كفاية أو كفاءة). وهذا مايسمى بالأثر الإنشائي، بينما تقل فائدته إذا حدث وتحولت التجارة للدول ذات النفقة الإنتاجية المرتفعة (أي الدول الأقل كفاية أو كفاءة)، وهذا مايسمى بالأثر التحويلي (Viner , 1950)

وعلى ذلك فإن نجاح التكامل يقاس طبقاً لنظرية فاينر بالموازنة بين الأثر الإنشائي والأثر التحويلي الذي يترتب على الاتحاد الجمركي. فإذا تغلب الأثر الإنشائي، يكون الاتحاد الجمركي مفيداً، وإذا تغلب الأثر التحويلي، فإن الاتحاد الجمركي قد يترتب عليه بعض المساوئ.

وقد أكمل ميد (Mead) نظرية فاينر في بحثه عام ١٩٥٥م عن نظرية الاتحادات الجمركية، حيث أشار فيه إلى أنه يجب ألا نتجاهل الديناميكية في الاتحاد الجمركي، حيث يكون الأثر الذي بدأ تحويلياً في بداية التكامل قد انقلب إلى أثر إنشائي فيما بعد، كما أسهب في عرضه لكيفية قياس كل من الأثرين الإنشائي والتحويلي (Mead , 1959) .

أما بالاسا (Ballassa) فإنه يعرِّف التكامل الاقتصادي بأنه عملية وحالة، وهو عملية لأنه يتضمن كافة تدابير إلغاء التمييز بين الوحدات الاقتصادية المنتمية إلى الدول الساعية للتكامل، وهو حالة لأنه يشير إلى إلغاء مختلف صور التفرقة بين الاقتصاديات القطرية (Ballassa , 1961 , 1-2) .

ويقدم بالاسا صوراً للتكامل الاقتصادي بناءً على هذا التعريف كالآتي :

أ - منطقة التجارة الحرة (FREE TRADE AREA) :

حيث تلغى التعريفات والحواجز الجمركية على تبادل السلع بين الدول الأعضاء في المنطقة الحرة، على ألا يكون منشؤها أجنبياً عن تلك الدول، ويبقى لكل دولة منها حرية تحديد تعريفاتها الجمركية قبل الدول الأخرى غير الأعضاء في منطقة التجارة الحرة.

ب - الاتحاد الجمركي (CUSTOMS UNION) :

بالإضافة إلى ماسبق ذكره في منطقة التجارة الحرة، تعمل الدول الأعضاء بالاتحاد على توحيد المعاملة الجمركية تجاه الدول غير الأعضاء.

جـ - السوق المشتركة (COMMON MARKET) :

بالإضافة إلى ماسبق ذكره بالاتحاد الجمركي، يتم إلغاء جميع القيود الخاصة بحركة عوامل الإنتاج فيما بين الدول أعضاء السوق المشتركة، أي حرية أعضاء السوق في نقل وانتقال عوامل الإنتاج فيما بينها.

د - الاتحاد الاقتصادي (ECONOMIC UNION) :

بالإضافة إلى ماسبق ذكره في السوق المشتركة، يعمل أعضاء الاتحاد الاقتصادي على تنسيق السياسات الاقتصادية والخاصة بدولهم على نحو يلغي أثر هذه السياسات في التمييز بين السلع محل التبادل وعوامل الإنتاج في حركتها بين هذه الدول.

هـ - الاندماج الاقتصادي الكلي Total Economic Integration :

وفيه يتم توحيد السياسات الاقتصادية والمالية والنقدية وسياسات مواجهة التقلبات الاقتصادية والسياسات الاجتماعية ذات الأبعاد الاقتصادية، وكذا إنشاء سلطة عليا تعلو السلطة الوطنية لجميع الدول الأعضاء Super - National Authority ، وتكون قراراتها ملزمة للدول الأعضاء.

وعلى كل مجموعة من الدول أن تأخذ صورة من هذه الصور تبعاً لمدى أخذها بمبادئ التكامل الأساسية.

٢ - تعريف الفكر الاشتراكي للتكامل الاقتصادي :

أما الفكر الاشتراكي، فإنه يرى أن التكامل الاقتصادي عبارة عن عملية توحيد لاقتصاديات الدول الاشتراكية تدريجياً، لأجل القضاء على المشاكل الاقتصادية، وذلك بتعميق تقسيم العمل بينها - والتنسيق بين سياساتها المختلفة. ويبدأ التكامل بين الدول الاشتراكية بإجراء تطوير للتجارة فيما بينها، ومن خلالها يجري تطوير هياكل الإنتاج الداخلية.

٣ - تعريف التكامل في الدول النامية :

أما في الدول النامية فإن التكامل الاقتصادي يختلف عنه في الدول الرأسمالية والاشتراكية، وذلك لاختلاف أساليبه ودوافعه، حيث إن التكامل في الدول النامية يجري من أجل تنمية اقتصاديات هذه الدول ويعتبر التكامل حالياً من أحدث الأساليب الخاصة بإجراء تنمية اقتصادية لهذه الدول، نظراً لظروفها وإمكاناتها.

وعلى ذلك، فإن التكامل يختلف مابين كل مجموعة من هذه الدول، إذ يجب أن يراعى فيه ظروف هذه الدول من النواحي الاقتصادية والاجتماعية وغيرها، حتى يمكن خدمة أهدافها في التطور والتنمية. ويقاس مدى نجاح التكامل الاقتصادي في هذه الدول، بآثاره الإنمائية على اقتصادياتها.

هذا وقد اختلف نظر الاقتصاديين بالنسبة للتكامل الاقتصادي في فترة الخمسينات الميلادية عنه في الستينات، حيث إن الاقتصاديين في الفترة الأولى كانوا يرون أنه فرع من نظرية التجارة الدولية، يرتبط بالتفصيلات الجمركية، ويرجع ذلك إلى تأثرهم بتجربة أوروبا الغربية في إيجاد نوع من التكامل الاقتصادي بينها [٧]. وقد أطلق على ماكتب في ذلك الحين بالنظرية التقليدية للتكامل الاقتصادي.

إلا أن الاتجاه الذي برز في الستينات الميلادية وازداد ظهوراً في الفترة الأخيرة، هو اهتمام الاقتصاديين بمشكلات كل الدول المختلفة، واتجاهها إلى إمكانية علاجها عن طريق التكامل الاقتصادي، والذي أصبح ينظر إليه بنظرة أخرى خلاف النظرة التقليدية، باقتصاره فقط على التخفيضات الجمركية، بل أصبح ينظر إليه كأسلوب من أحدث الأساليب الفعالة والرامية إلى التنمية الاقتصادية، حيث إنه في ظل التكامل تسهل عملية انتقال عناصر الإنتاج من رأس المال والعمل والتنظيم، كما يوجد تنسيق للسياسات الاقتصادية للدول المشتركة، بالإضافة إلى إيجاد سوق كبيرة، وبذلك يمكن القضاء على أحد العوامل الرئيسة في عدم إمكان إحداث تقدم وتنمية لدى الدول المتخلفة وذلك لضيق السوق المحلية والتي تعد من المشكلات التي تواجه معظم الدول المتخلفة وتعوقها عن التنمية.

مما سبق يتضح لنا أن التكامل الاقتصادي عملية ديناميكية تتم على دفعات وفقاً لبرنامج زمني محدد، يرتبط بالظروف الاقتصادية المختلفة للدول المكونة للتكامل، وأن التكامل الذي يحدث مابين الدول الرأسمالية يختلف عنه بين الدول الاشتراكية، حيث يرتكز في الأولى على مقومات النظام الرأسمالي، والمعروف بحافز الربح وحرية انتقال عوامل الإنتاج وآلية جهاز الثمن، فيتجه أولاً إلى مجال التجارة الخارجية، أما الدول الاشتراكية، أي دول التخطيط المركزي، فقد اتجهت إلى تحقيق تكامل بين خطط الإنتاج والاستثمار بها، نظراً لأن التجارة الخارجية بين بلدان هذا المعسكر تتم عن طريق الاتفاقيات الثنائية، لاسيما وأن الحواجز الجمركية تختلف في طبيعتها في الدول الاشتراكية عن الدول الرأسمالية.

أهمية ومبررات التكامل الاقتصادي للدول الساعية للنمو :

لاشك أن الدول الساعية للنمو تعاني من الكثير من المشكلات الاقتصادية ومن ثمّ فهي في حاجة ماسة إلى إقامة صورة من صور التكامل الاقتصادي فيما بينها، وذلك يرجع لعدة أسباب ومبررات، منها مايلي :

١ - اختــلاف الموارد بين الدول الساعــية للنمــو، فمنهــا دول كثــيفة السكــان مثل بنجلاديش والهند وسيريلانكا حيث تبلغ الكثافـة السكانية لكل كيلو متر مربع ٧٤١، ٢٥٨، ٢٥٨ نسمة على التُوالي، بينما توجد دول أخرى تعاني من قلة السكان مثل : موريتانيــا وليبيا وعُمان والسعودية حـيث تبلغ الكثافة السكانية لكل كيلو مــتر مربع ٢,٣، ٠,٢، ١,٨ نسمـة على التوالي. كمــا تختلف أيضاً الموارد المادية بين الدول السـاعية للنمو، فـبعضهــا ذات دخول وفوائض مالية متراكمة (كالدول النفطية)، بينما الغالبية يعاني من ندرة رؤوس الأموال والمديونيات الكبيرة كذلك تتفاوت الموارد الطبيعية سواء من حيث عدد السكان أو المواد الأولية أو الأراضي الصالحة للزراعة أو الموارد المائية اللازمة للزراعة.

ولاشك أن أي صــورة من صــور التكامل بين هذه الدول ســيـســاعــدها في التخفيف من حدة مشكلة عدم التناسب في الموارد الطبيعية.

٢ - ضــيق نطاق الأســواق المحلية لــلدول الساعــيــة للنمــو، ومن ثمَّ عــدم قيــام المشروعات الحديثة في معظم مجالات النشاط الاقتصادي.

٣ - عدم قدرة الدول السـاعية للنمو على القــيام بالمشروعات الحديـثة منفردة والتي يتصف مــعظمها بعــدم القابلية للتــجزئة، سواء من الناحــية الفنية أو الناحــية الاقتــصادية، وذلك لاعتــبارات تتــعلق بالحجم الأمثل لــلمشروع من جــهة، ولاعتبارات تتعلق بالتقنية من جهة أخرى.

٤ - ضعف المركز التــفاوضي والتنافسي للدول الساعــية للنمو في مجــال المعاملات الاقتصادية ومــايرتبط بها من قواعد تنظيميــة وأخرى مؤسسية، حــيث يعتمد معظم هذه الدول على تصــدير منتجات أولية زراعيــة أو استخراجــية، ويتسم عرض هذه المنتــجات بانخفــاض مرونته في حين يتمــيز الطلب عليهــا بارتفاع مرونته، كذلك تعــتمد هذه الدول على استيراد معظم مــستلزمات الإنتاج من الخارج، وذلك يرجع لانخــفاض الإنتاج فــيها في جمــيع المجالات، ومن ثمَّ ارتفاع قيــمة الاستيــراد بصفة مســتمرة، وهو مايؤدي إلى حــدوث عجز دائم ومرتفع في الميزان التجاري وميزان المدفوعات.

٥ - التبعيـة الثقافية والعلمـية والفنية للدول الساعية للنمـو لدول العالم الخارجي، وارتفاع نسبة الأمية، وتركيز التعليم في النواحي النظرية، بالإضافة إلى غياب التكنولوجيـا الحديثة ومن ثمَّ انخـفاض الإنتاج والكفـاءة الإنتاجية، وفـقدان المناعة في مقاومـة أو تحمل آثار التقلبات الاقتصاديـة التي تشهدها دول العالم المتقدمـة، وتدهور معدلات التبادل التـجاري وتفاقم مشكلة الديون الخـارجية على نحو يهـدد مستقـبل استقلالـها السياسي واسـتقرارها الاجتـماعي، هذا بالإضافة إلى ضعف القدرة التفاوضية في مجال تحديد السياسات التجارية.

آثار ومزايا التكامل الاقتصادي :

هناك العديد من المشـكلات الاقتصادية الـتي تواجه الدول المتخلفـة · ومنها الدول الإسلامية - في سعيها من أجل التنمـية الاقتصادية ومن أبرزها العجز المزمن والمتزايد في الميزان التجاري وميـزان المدفوعات، وبعض الأيدي العاملة الفنية المدربة ونقص رؤوس الأموال الأجنبية والمحلية في بعض المجالات، والاعتماد على تصدير المواد الأولية غـير المصنعـة، بالإضافـة لضيق الأسـواق المحلية، وتخلف الهـياكل الاقتصادية، وافتقـارها للبنية الأساسية اللازمة للتنمية الصناعيـة والاجتماعية، ومن ثمَّ اتجاه معدلات التبادل الدولي في غير صالحها، نظراً لارتفاع أسعار السلع المصنعة الواردة من الخارج، وانخفاض أسعار صادراتها من المنتجات الأولية.

ولهذا كـان انطلاق الدول المتخلفـة نحو إجراء تكامل اقـتصـادي فيمـا بينها بهدف التنمية الاقـتصادية، وذلك بدعم مركزها في التجـارة الدولية، والمساومة في مواجهة التكتلات الاقتصادية الدولية، وتوسيع السوق أمام خطط التنمية.

ولاشك أن حيـوية عمليـتي التكامل والتنمـية بالدول النامية، تتوقف على مدى ترشيـد الإنتاج وتوجيهـه طبقاً للمزايا النسبية، وكذا تعبئة الموارد في إطار خطة مشتركة، وبذلك يمكن تحقيق المزايا التالية من التكامل الاقتصادي :

١ - تقسيم العمل الدولي :

من أهم نتائج التكامل الاقتصادي تقسيم العمل بين الدول الأعضاء وذلك على أساس التخصص، حيث تقوم كل دولة بإنتاج السلعة ذات الميزة النسبية (أي النفقة الإنتاجية الأقل). ومن ثمَّ فإن الإنتاج يقام بمعرفة أفضل المنتجين كفاية، مما يؤدي إلى زيادة كمياته وانخفاض أسعاره، بالإضافة إلى رفع الكفاءة الإنتاجية له، وبهذا يستفيد المستهلك بالحصول على سلعة منتجة بكفاءة عالية وبسعر منخفض. كذلك يستفيد المنتج باتساع سوقه وزيادة إنتاجه، ومن ثم زيادة أرباحه، وقد كان المستهلك قبل التكامل يضطر لشراء السلعة نفسها من المنتج الوطني داخل بلاده حتى ولو كانت بتكلفة كبيرة ومستوى أقل في الجودة.

وكِبَر السوق يساعد على قيام التكامل التجاري وتخصص كل دولة في إنتاج السلع التي لها فيها ميزة نسبية، فكلما كان حجم الإنتاج كبيراً، كلما كانت هناك فوائد محققة من التكامل الاقتصادي.

ويترتب على التكامل الاقتصادي آثار على الدول الأعضاء، وكذلك على الدول الأخرى غير الأعضاء، وتتراوح هذه الآثار بين القوة والضعف تبعاً لصورة التكامل أو درجته، ولمدى تنافس اقتصاديات الدول الأعضاء أو تكاملها وللتكاليف النسبية للمنتجات محل التبادل لهذه الدول، فيما بينها أو فيما بينها وبين الدول الأخرى خارج نطاق التكامل. وعادة ماتدرس آثار التكامل من خلال مايعرف بنظرية الاتحاد الجمركي، على أساس أن الاتحاد الجمركي درجة متوسطة من درجات التكامل الاقتصادي. فالاتحاد الجمركي يحقق نوعين من الآثار المرتبطة بالتجارة الخارجية، وهما :

أ - الأثر الإنشائي للتجارة، حيث تتحول التجارة من مصدر عالي التكلفة للمنتجات والسلع إلى مصدر آخر منخفض التكلفة. ويتم هذا التحول داخل إطار الاتحاد الجمركي، فإذا كانت السلعة (س) تنتجها كل من الدولة (أ) والدولة (ب)، ولكن تكلفة إنتاجها في الدولة (أ) أكبر من تكلفتها في

الدولة(ب)، فـإنه على إثر قيـام الاتحاد الجـمركي وإلغـاء الرسوم والحـواجز الجمركية، فإن دول التكامل سوف تتجه إلى شراء السلعة (س) من الدولة (ب) وليس من الدولة (أ) ذات التكلفـة المرتفعة، بما فـيهم مـواطنو الدولة (أ). هذا التحول ينتج عنه زيادة التجارة بين دول أعضاء الاتحاد الجمركي، بالإضافة إلى أنه يعيد تخصص الموارد في هذه الدول على نحو يرفع كـفاءة استخدامها ويزيد في كـمية السلع والخـدمات التي يمكن إنتـاجهـا بقدر مـعين من موارد تمتلكها الدول الأعضاء، فإلغاء الرسوم والحواجـز الجمركية سيؤدي في النهاية إلى التخصص وتقسيم العمل بين دول التكامل، حيث تتخصص كل دولة في إنتاج السلعة ذات الميزة النسبية، أي التكلفة المنخفضة.

ب - الأثر التحويلي للتجارة : وهو تحول التجـارة من مصدر منخفض التكلفة قبل قيـام الاتحاد الجمركي إلى مـصدر مرتفع التكلفـة بعد قيام الاتحـاد. حيث إن الدولة (أ) كانت تسورد السلعة من دولة أجنبية (ج) نظراً لأن تكلفتها أقل من تكلفة السلعـة نفسها بالدولة (ب)، وذلك قـبل قيام الاتحاد الجـمركي. وبقـيام الاتحـاد الجمركـي، تضطر الدولة (أ) إلى شراء السلعـة (س) من الدولة (ب) ذات التكلفة العالية، وهذا يعني أن قيام الاتحاد الجمركي قد نتج عنه تحوُّل التـجارة من خارج الاتحـاد الجمركي إلى داخله، مع انخـفاض في كفاءة استخدام الموارد على مستوى الدول الثلاث. وعادة مايكون هذا التحوُّل في اتجاه زيادة التجارة بين الدول أعضاء الاتحاد على حساب تجارتها مع الدول الخارجية، التي تتجه للانخفاض.

ولهذا يمكن القول بأنه كلما كانت الآثار الإنشائيـة أكبر من الآثار التحويلية، فـإن الاتحاد الجـمركي يؤدي إلى تـخصـيص أفضل للـموارد على مـستـوى الدول الأعضاء وعلى مستوى الاقتصـاد الدولي ككل، كما يؤدي إلى زيادة كفاءة استغلال الموارد المتاحة على المسـتويين المذكورين آنفاً، ومن ثمَّ زيادة الدخل الحقـيقي، سواء للمستـهلك أو المنتج، وكلما كانت الآثار التحـويلية أكبر من الآثار الإنشـائية، فإن

الاتحاد الجمركي يؤدي - في الأجل القصير - إلى سوء تخصيص الموارد على مستوى الدول الأعضاء بالاتحاد، أو على مستوى الاقتصاد الدولي، وبذلك يكون له أثر سلبي على الرفاهية المنشودة على المستويين. ويجب أن يلاحظ، أن عنصر الزمن قد يكون له تأثير فعَّال في حدوث تغييرات حيوية في اقتصاديات الدول الأعضاء، ومن ثمَّ يؤدي إلى تغيير هذه النتائج.

وينتج عن الاتحاد الجمركي آثار توزيعية، من حيث أنه يؤثر على عوائد عوامل الإنتاج، وكذا على توزيع الدخل، سواء على المستوى الوطني للدول أعضاء الاتحاد أو على مستوى شركائهم من الدول الأخرى.

٢ - اتساع السوق وكبر حجم المشروعات :

ينتج عن قيام التكامل الاقتصادي اتساع السوق وميل حجم المشروعات داخله إلى الكبر، وينتج عن ذلك حدوث وفورات في الإنتاج وزيادة المنافسة بين المشروعات في الدول التي كانت بمعزل عن بعضها من قبل،ومن ثمَّ حدوث دفعة قوية لاقتصاديات الدول الأعضاء بالتكامل.

إن ضيق السوق ووجود صعوبات للتصدير للخارج، يحد من إمكانات الدول الساعية للنمو من السير قدماً في التصنيع بشكل منفرد، نظراً لعدم توافر مميزات الإنتاج الكبير، ومن هنا يبرز دور ومزايا الاندماج الاقتصادي، حيث يوفر السوق الكبير الذي يعتبر شرطاً جوهرياً من أجل قيام تنمية اقتصادية سليمة للدول الساعية للنمو. كما أن تحقيق مزايا الإنتاج الكبير، من أهم العوامل المؤدية لنجاح التكامل الاقتصادي، بالإضافة إلى إيجاد مزايا التخصص بين دول التكامل، حيث تتركز المشروعات في المناطق الملائمة لها.

كما أن الميزة المترتبة على كبر حجم المشروع في السوق لاتقتصر على ماينتج من وفورات على هذا النحو، بل يمتد إلى مايحدثه من المزيد من المنافسة بين المشروعات الموجودة لدى الدول المنضمة للتكامل، كما يترتب عليه أيضاً مناهضة للإجراءات الاحتكارية والتعقيدات التي تسود اقتصاديات بعض الدول.

وتعزيز المنافسة على هذا النحو يخفض من ثمن السلع، ويسمح بتوزيع أفضل للدخول لدول التكامل، مما يقلل من الفروق المادية بينهم، كما أن اتساع السوق من شأنه أن يزكى لدى المنتجين روح المبادرة والاختراع والبحث العلمي والدخول في الاستثمارات المهمة وتطبيق أحدث الطرق العلمية قي الإدارة والتخطيط كما يزيد من ثقة وجراءة البعض على مباشرة آفاق جديدة في الإنتاج واستخدام أحدث المعدات، ومن ثمَّ تنعكس هذه الآثار والتغيرات على دول التكامل بمساعدتها على التنمية وتنسيق سياساتها الاقتصادية ويخفف من أضرار التقلبات الاقتصادية الناجمة عن الانكماش والتضخم.

٣ - أثر التكامل على الاستثمار :

يزداد حجم الاستثمار داخل التكامل عما كان عليه قبل قيامه، حيث إن قيام التكامل يعمل على توفير إمكانات كبيرة للاستثمار، كما يُحدث تغييرات جوهرية في هيكل اقتصاد الدول الأعضاء. ونظراً لكبر السوق ومن ثمَّ الإنتاج، فإنه يستخدم آلات ومعدات حديثة، مما يساعد على إيجاد استثمارات إضافية.

وينتج عن زيادة النشاط الاقتصادي زيادة في الدخول ومن ثمَّ زيادة المدخرات، مما يساعد على زيادة الاستثمارات.

أما عن توزيع الاستثمارات جغرافيا داخل إطار التكامل، فقد يُظَن أن التكامل يُحسن توزيعها، فتتجه رؤوس الأموال للدول ذات الحاجة أكثر من غيرها، وهي الدول ذات العجز المالي وضعف الإنتاج وزيادة السكان، وإن توافرت لديها بعض الموارد الطبيعية، إلا أنه من المعروف أن رؤوس الأموال تتجه عادة للدول الأكثر نمواً للاستثمار فيها لكي تأتي بالعائد الأكبر. ولذا، ففي مثل هذه الحالة، يجب أن يقوم المسؤولون عن التكامل بتوجيه رؤوس الأموال في صورة مشروعات مشتركة لدى الدول ذات العجز، بخاصة أنه يتوافر لديها العمالة الرخيصة الفائضة، وكذلك بعض المواد الأولية الطبيعية اللازمة للصناعة. ويلاحظ أنه في حالة زيادة دخول الدول الفقيرة وذات العجز وارتفاع مستوى معيشة مواطنيها، فإن الفائدة

تكمن في ارتفاع استهلاك المواطنين لكثير من السلع التي كانوا محرومين منها، ومن ثم فإن زيادة الاستهلاك تؤدي إلى زيادة الإنتاج وكبر حجم السوق، وعلى ذلك يجب على السلطات العليا في التكامل الحرص على حسن تغيير وتوزيع مسارات الاستثمار داخل دول التكامل.

أما عن توزيع الاستثمارات داخل المشروعات المختلفة، فإن الاتجاه الطبيعي لها هو المشروعات الصناعية الكبيرة الحجم والأكثر كفاءة، حيث يُفضل أصحاب هذه الأموال استثمارها في الصناعات الثقيلة، طويلة الأجل.

ونود أن نشير إلى أنه يجب أن يكون هناك عدالة في توزيع المشروعات الاستثمارية، حتى يتم حدوث إنماء اقتصادي عادل بين دول التكامل، وأنه يجب الاهتمام بالدول الأقل نمواً حيث يمكن منحها دفعات أكثر من باقي الدول من أجل إحداث تنمية سريعة، تتمكن عن طريقها من الوقوف أمام التيارات الاقتصادية المختلفة، سواء داخل دول التكامل أو خارجها.

٤ - انتقال رأس المال والعمل :

قد يمتد التكامل ليشمل حرية انتقال رأس المال والعمل، وعادة يتم الانتقال من البلد الذي تقل فيه إنتاجيته الحدية إلى البلد الذي ترتفع فيه هذه الإنتاجية، مما يؤدي إلى ارتفاع الدخل الفردي في الدولتين، ومن ثمَّ تكون الهجرة في صالح البلدين وبالتالي في صالح جميع دول التكامل، حيث ينتج عنها استخدام عنصر العمل استخداماً حسناً.

ولكن إذا حدث خلاف ذلك وانتقل رأس المال والعمل من الدولة التي يقل وجودهما فيها نسبياً لدولة أخرى ذات وفرة في العنصرين، فسينتج عن ذلك أضرار للدولتين المتكاملتين، لهذا يجب على السلطات المختصة في هذه الحالة أن ترسم السياسة التي من شأنها ضمان تحقيق النتائج المرغوب فيها والمطلوبة، والتي على أساسها تم الاتفاق على حرية انتقال العنصرين.

٥ - قدرة دول التكامل على المساومة والحد من عدم استقرار صادراتها :

من عوامل عدم تحسين أحوال التجارة الخارجية للدول الساعية للنمو عدم قدرتها على المساومة. ولاشك أن التكامل يعطي الدول داخل إطاره من القوة مايجعلها قادرة على المساومة، حتى تستطيع تحقيق مصالحها.

والقدرة على المساومة تؤدي إلى تحسن معدل التبادل الدولي مع الدول الخارجية ودل التكامل الاقتصادي، حيث تستطيع دول التكامل استيراد السلع الأجنبية بأسعار منخفضة، مع إمكانها رفع أسعار سلعها الوطنية المصدرة للخارج، ومن ثم تستطيع الدول الساعية للنمو والداخلة في إطار التكامل وضع حد لتقلبات الأسعار الخاصة بصادراتها وذلك في مجال التجارة الخارجية، والتي تحدث نتيجة لتقلبات دورية في مستوى التشغيل والإنتاج بالدول الصناعية المتقدمة.

هذا ونود الإشارة إلى أن المكاسب الناتجة عن التكامل الاقتصادي · بخاصة إذا كان بين دول ساعية للنمو - تختلف في الأمد القصير عنها في الأمد الطويل، كما تختلف باختلاف النظم الاقتصادية والاجتماعية المتبعة في هذه الدول المنتجة، وكذا بالنسبة للمستوى الاقتصادي والاجتماعي وصورة التكامل التي عليها هذه الدول.

وعلى ذلك، ففي ظل حرية السوق فإن مكاسب الدول الساعية للنمو من التكامل محدودة في المدى القصير، نظراً لاقتصار التكامل على تحرير التبادل التجاري بين الدول المتكاملة. ولكن في حالة تغيير أنماط التجارة والانتاج بين هذه الدول على أساس المزايا النسبية والإنتاج الكبير، وهذا مايمكن تحقيقه في المدى الطويل، فإن ذلك يؤدي إلى تقوية الهياكل الاقتصادية الداخلية نتيجة زيادة معدلات النمو الاقتصادي، مما ينتج عنه اتجاه التجارة من منطقة التكامل إلى العالم الخارجي، مما يحقق مكاسب كبيرة للدول المتكاملة.

المفهوم الإسلامي للتكامل الاقتصادي :

لقد جاء الإسلام بمنهج كامل للحياة، فـهو يهتم بالجانب المادي بقدر ما يهتم بالجانب الروحي في حـياة البشر، لأنه لا قـوام لجانب دون جانب آخر، وكـلاهما يتأثر بالآخر ويؤثر فيه. ولذلك نجد أن الإسلام اهتم اهتـماماً كبيراً بمشكلة التخلف والفقر أي بالمشكلة الاقتصادية، ولهذا فإنه يعتبر أن طلب المال الحلال فريضة وجهاد في سبيل الله، بل ساوى بين الفقر والكفر، ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (كاد الفقر أن يكون كفراً)[٩] ، ويقول عليه الصـلاة والسلام : (اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقـر) قال رجل (« أيعدلان »[١٠] قال « نعم »، والإسلام عندما وجه الناس للعبادة وذكـر الله، علله في القرآن بقوله تعالى : ﴿ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴾ [قريش. ٣، ٤].

وأن سيدنـا موسى عليه السلام حين دعـا الله بقوله : ﴿ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴾ [طه ٢٥، ٢٦]. قرنه بقوله : ﴿ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيراً وَنَذْكُرَكَ كَثِيراً ﴾ [طه. ٣٣، ٣٤].

ولعل من أهم مـاجـاء به الإسـلام في مـجال الاقـتـصـاد مـبدأ الضـمـان الاجتماعي، حـيث يكفل للفرد مستوى لائقاً للمـعيشة، وهو ماعرفـه علماء الفقه الإسلامي بحد الكفاية، حيث إن لكل إنسان في مجتمع إسلامي الحق في الحصول على احتياجاته الضرورية للحياة، وأنه إذا لم يستطع بقدراته العادية الحصول عليها، فإن بيت المال يتكفل بذلك مهـما كانت جنسيته أو ديانتـه، وفي ذلك يقول الرسول عليه الصلاة والسلام : (من ترك ديناً أو ضـياعاً - أي أولاد ضائعين لامال لهم - فاليّ وعلىّ[١١] أي من ترك أولاداً أو ذريةً فقيـرةً وضعيفةً فأنا مسـؤول عنهم وكفيل بهم.

ويختلف حـد الكفاية من مكان لآخر ومن زمـان لآخر، حيث إن مسـتوى الحياة والمعيشة يختلف من بلد لآخـر، ومن ثمَّ يختلف حد الكفاية من بلد مستوى معيشته منخفض لبلد آخر مستوى مـعيشته مرتفع، وكذلك يختلف حد الكفاية في

البلد الواحد نفسه من عام لآخر قد ترتفع فيه الأسعار بصورة كبيرة، بل قد تتحول بعض الحاجيات من مستوى الكماليات إلى الضروريات التي لايستطيع الإنسان أن يستغني عنها، ومن ثم تكفل الدول الإسلامية للإنسان الذي يعيش على أرضها الحد الأدنى الذي يستطيع أن يعيش به عيشة كريمة إذا ما عجز عن تحقيق ذلك بعمله واجتهاده لظروف خارجة عن إرادته.

ويعتبر التكافل الاجتماعي من أبرز المبادئ التي دعا إليها الدين الإسلامي وذلك مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ وَلا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴾ [الماعون: ١ - ٣]، وقول الرسول صلى الله عليه وسلم : (ليس بمؤمن من بات شبعاناً وجاره جائع إلى جنبه وهو يعلم)[١٢].

وتعتبر الدولة مسؤولة بصورة مباشرة عن تطبيق مبدأ التكافل الاجتماعي. وتقوم الدولة عادة بالإنفاق، إما من موارد الدولة المالية (الملكية العامة للدولة) أو من فريضة الزكاة والفيئ، وهو مانُص عليه في الآيات الكريمة : ﴿ وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ ﴾ [الحشر: ٦، ٧].

ومن الحقائق التي لاتقبل الجدل أن الناس يتفاوتون في الصفات الجسدية والفكرية والنفسية وقوة العزيمة والقدرة على الشجاعة والصبر، كما يختلفون في سرعة البديهة والذكاء، إلى غير ذلك من مكونات الشخصية، وقد اعتبر الإسلام أن أساس الملكية هو العمل. ومن ثمَّ فإن كل هذه العوامل تؤدي في النهاية إلى تفاوت الثروة بين الأفراد. ولهذا يعمل الإسلام على تقريب الفوارق بينهم ولهذا شرع الإرث تفتيتاً للثروة، وشرعت الزكاة حقاً معلوماً للسائل والمحروم، وأوجب على الحاكم المسلم سد حاجات الفقراء وذوي الحاجة، ونهى عن الإسراف والتبذير حتى يتقارب أفراد الأمة في مستوى المعيشة ويتحقق التوازن الاجتماعي.

وقد تم تحقيق التكافل الاجتماعي منذ ظهور الإسلام بالمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، حتى أنهم تقاسموا كل شيء بينهم.

وفي الكافل الاجتماعي ورفع مستوى معيشة الطبقة الفقيرة مايؤدي في النهاية إلى زيادة دخل المواطنين، ومن ثمَّ يزداد دخل الأسرة والدخل الوطني، وهو مايؤدي إلى أن الأسرة الفقيرة تبدأ تمارس حياتها على مستوى أعلى من مستوى الفقر، وبذلك يرتفع مستوى الغذاء والكساء والسكن والتعليم والثقافة والصحة، فيزداد الطلب على السلع المختلفة ويرتفع مستوى الأداء والإنتاج. كل هذه العوامل تؤدي في النهاية إلى زيادة دخل الفرد أو الأسرة وهو مايؤدي إلى زيادة الطلب على السلع وزيادة الإنتاج وارتفاع الكفاءة الإنتاجية لدى المنتج الذي يزيد الطلب على سلعه، كما أن رب الأسرة الذي يعيش عيشة رغدة يبدأ في التفكير في تطوير إنتاجه وزيادته، كل ذلك يؤدي في النهاية إلى زيادة الإنتاج ومن ثم زيادة الناتج الوطني والدخل الوطني والإنفاق العام والدخل الفردي. وهكذا تدور عجلة التنمية والتقدم والرفاهية.

مما سبق نصل إلى نتيجة جوهرية وهي أن التكافل الاجتماعي يؤدي إلى رفع مستوى معيشة الأسرة ومن ثمَّ رفع مستوى معيشة المجتمع. ورفع مستوى معيشة المجتمع يؤدي إلى زيادة الإنتاج ورفع الكفاءة الإنتاجية، ومن ثمَّ تحقيق فائض في الإنتاج وخفض أسعار الإنتاج رغم ارتفاع الكفاءة الانتاجية. كل ذلك في النهاية يؤدي إلى زيادة الناتج الوطني والدخل الوطني وهكذا تسير الدولة في طريق التنمية الاقتصادية ويتحقق النمو الاقتصادي ومن ثمَّ الرفاهية الاقتصادية في ظل تعاليم الدين الإسلامي، وذلك بما أوجب على المسلمين من المحبة والإخاء والرحمة فيما بينهم، والإحسان للمحتاج.

وما يحدث بالنسبة للفوارق بين أفراد المجتمع الواحد من ثروات يحدث كذلك بالنسبة للدول المختلفة، نظراً لاختلاف كل دولة عن الأخرى من ناحية الموارد البشرية ومستوى التعليم والثقافة والتكنولوجيا، ومن ناحية الموارد الطبيعية

التي وهبها الله لكل دولة من معادن وأراضٍ زراعية خصبة وموارد مائية وطقس ملائم للزراعة وتربية الحيوانات، وكذا ما لديها من موارد طبيعية تساعدها على إقامة صناعة في مجال واحد أو عدة مجالات. وهكذا نجد أن الدول تختلف في مواردها لظروف كل دولة وموقعها الجغرافي في القارة التي توجد فيها.

إن مايحدث من فروقات واضحة في الثروة بين الأفراد يحدث كذلك بالنسبة للدول، حيث إن العامل الفعَّال في زيادة الثروة والتطور والتنمية والتكنولوجيا هو العامل البشري المنظم والمخترع، والدؤوب على رفع الكفاءة الإنتاجية بالأبحاث العلمية لنظم الإنتاج المختلفة.

وإذا رجعنا إلى ديننا الحنيف، نجد أن هناك الكثير من الحقائق والتشريعات التي تحثنا على التضامن والتكافل والتكامل، ومن ذلك أن الله فضل صلاة الجماعة على صلاة الفرد، وأن المسلمين يجتمعون في يوم من كل أسبوع لصلاة جماعة وهي صلاة الجمعة، وكذلك يجتمع المسلمون في أكبر حشد يشهده العالم مرة واحدة في العام وهو يوم عرفة في موسم الحج. كل ذلك معناه أن الله يحث المسلمين في عبادتهم على التكافل والتكامل وأداء مناسك العبادة والصلاة والحج، وكذا قضاء مصالحهم المشتركة.

والحقيقة الربانية الأخرى هي أن الأصل في الإسلام هو وحدة الأمة الإسلامية، فهي وطن واحد وإن قُسِّم إلى أقاليم مختلفة، يتولى أمر كل إقليم منها حاكم ينوب عن أمير المؤمنين، الذي يحكم الأمة الإسلامية.

وكل حاكم مسؤول عن شعب وأموال وأراضي إقليمه حيث يحكم بما أنزل الله ومن ثمَّ يعمل على توفير الأمن والأمان للإقليم، ويعمل على تحصيل موارد الدولة المالية من أملاك الدولة، وكذا جمع الزكاة والخراج والعشور والفيئ، وينفق منها على إقليمه في إطار تعليمات الشريعة الإسلامية. ومايفيض عن حاجة شعبه يوضع في بيت مال المسلمين لدى أمير المؤمنين، بعد أن يكون قد سد حاجة كل

محتاج وكل فقير وكل ذي عسرة من مأكل وملبس ومسكن ودابة وخادم. ومن بيت مال المسلمين ينفق أمير المؤمنين على الأقاليم التي لديها عجز في مواردها المالية وتحتاج إلى سد هذا العجز نتيجة لمجاعة أو نقص في محاصيلها.

إن دعوة الإسلام تهدف إلى تحقيق الوحدة الكاملة بين جميع الناس، وهي أرقى صور التكامل، ولكن اختلاف هؤلاء الناس وبغيهم وبعدهم عن شرع الله جعلهم أشتاتاً وفرقهم إلى جماعات. وفي ذلك يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلاَّ الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ﴾ [البقرة: ٢١٣].

وفي آية أخرى يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلاَّ أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا ﴾ [يونس: ١٩].

ولهذا فقد حث الإسلام على الوحدة والتماسك لمواجهة الأزمات المختلفة فقال تعالى: ﴿ وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٥].

كما أكد الإسلام وحدة الأمة الإسلامية وأنها أمة واحدة فقال تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٩٢]. ثم أكدها في آية أخرى حيث قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون: ١]. وتكرار هذه الآيات فيه تأكيد وإصرار من المولى عز وجل على أن الأمة الإسلامية أمة واحدة، وأن على المسلمين أن يعملوا على ذلك، ويلتزموا بما جاء بكتاب الله. فالأمة الإسلامية هي أمة واحدة متكاملة وأن تعددت دولها، ولذلك شبهها رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجسد الواحد حيث قال: (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)[١٣].

كما حث الإسلام على تأكيد الأخوة بين أفراده من أجل الوحدة والتماسك والقوة والنمو، فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات: ١٠].

وقد حث الإسلام على عمل الخير في الأمة الإسلامية والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران ١٠٤].

كل هذه الآيات تؤكد أن الأمة الإسلامية أمة واحدة، متكاملة وليست متفرقة، والتكامل يجمعها في وطن واحد، لا يشتكي فيه حاكم من فقر أو عجز أو حتى من فائض مالي، بل يحدث انتقال فوري من صاحب الفائض إلى من لديه العجز. وكان بيت مالي المسلمين بمثابة المصرف المركزي للدولة الإسلامية (أومصرف الدولة)، حيث كانت ترد إليه الأموال من جميع الولايات الإسلامية، فيتم حفظها والإنفاق منها على شوون الدولة المختلفة، ومن أمثلة أوجه الصرف، إقامة المشروعات الجديدة أو التحصينات[١٤]، أو تلافي حدوث مجاعة أو قحط أو غلاء بإحدى الولايات[١٥]. كما كان يقدم الأموال للزراع والتجار عن طريق القروض الحسنة.

والتكامل الاقتصادي لم يكن في هذه المجالات فقط، بل كان على مستوى جميع عناصر الإنتاج، من انتقال الأفراد من بلد لآخر دون أية قيود ونقل رؤوس الأموال سواء للاستثمار أو التجارة، ولم يتقيدوا بأي قيود حكومية بين الولايات المختلفة، كما كان حق الملكية مكفول لكل مسلم في بلاد الأمة الإسلامية، فالأمة الإسلامية رغم اتساعها أمة واحدة.

لهذا كانت صورة التكامل الاقتصادي في تلك الآونة من أحسن وأرقى الصور حيث كانت وحدة كاملة تحكم بكتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام وأمير مؤمنين واحد تحت لوائه عدة حكام لأقاليم يتبعونه ويسيرون على هدى دستور الإسلام وشريعة الله، لهذا كانوا في أحسن حياة وأفضل معيشة، واتسعت رقعة الإسلام والأمة المسلمة لأنهم كانوا يتمسكون بكتاب الله وسنة رسوله، وفي ذلك

يقول الرسول عليه الصلاة والسلام : (تركت فيكم ما إن تمسكتم به فلن تضلوا أبداً كتاب الله وسنة نبيه)[١٦] صدق رسول الله فلو رجع المسلمون إلى هذه الثروة المباركة والهدى الإلهي النبوي، ما كان حال المسلمين قد وصل إلى ما صل إليه الآن، من ضعف وهوان، ولهذا يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ ﴾ [الحشر: ١٩]، وفي النهاية نذكر قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ ﴾ [الحديد: ١٦] .

السند الشرعي للتكامل في الإسلام :

وهكذا يتبين لنا أن الإسلام يحض على الوحدة والتكامل وينبذ التفرقة والتنافر، ففي الوحدة قوة وعزة. وقد سبق أن أشرنا إلى الكثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تنبه إلى ذلك، ونضيف إليها البعض الآخر مثل قوله تعالى: ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴾ [آل عمران ١٠٣]. وهنا يذكرنا الله سبحانه وتعالى بفضله علينا حيث كنا فرقاء وأعداء ولكنه سبحانه وتعالى جعلنا إخوة أحباء وألَّف بين قلوبنا ولهذا يحثنا على أن نتمسك ونعتصم ونحتمي بكتاب الله ولانفترق أبداً ونكون آمة واحدة لأن في الوحدة والجماعة ومن ثمَّ الأمة قوة وعزة وكرامة. ولابد أن نذكر دائماً نعمة الله علينا حيث إن بنعمته هذه أصبح المسلمون إخواناً في الدين وألَّف بين قلوبنا جميعاً وأصبحنا متحدين متآخين.

وقال تعالى : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ [المائدة: ٢] ، فيجب أن نتعاون ونتآخى وهو أمر لجميع الخلق على التعاون بالبر والتقوى في إطار كتاب الله وسنة رسول صلى الله عليه وسلم، وأن يعملوا بما جاء بهما وأن ينتهوا عن مانهى الله عنه، وقد قرن الله التعاون على البر بالتعاون على التقوى لأن في التقوى رضا الله سبحانه وتعالى وفي البر رضا الناس، ومن جمع بين رضا الله ورضا الناس فقد تمت سعادته وعمت نعمته.

وقول الله تـعالى: ﴿إنَّ هَذه أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُون﴾ [الأنبياء:٩٢]. ثم تكرارها في آية أخرى : ﴿وَإنَّ هَذه أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُون﴾ [المؤمنون. ٥٢] . فالله سبحانه وتعالى يـعني بذلك أن الأمة الإسلامية أمة واحدة تدعو للتوحيد والطاعة لله، وتؤكد الآيتان على التضامن والوحدة والتعاون. فالوحـدة بين المسلمين أساس في الشريعـة مهما تناثرت الديار، والوحـدة لاتعرف الحدود المصطنعة لأنهـا ذات جذور عميقة في نفس المسلم، ومن ابتـعد عنها أصبح مشاقاً للرسول صلى الله عليه وسلم مصداقاً لقوله تعالى : ﴿وَمَن يُشَاقق الرَّسُولَ منْ بَعْد مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّه مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْله جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً﴾ [النساء: ١١٥].

ولاننسى أن في بداية الهجرة للرسول صلى الله عليه وسلم من مكة للمدينة طبق هذه المبادئ وضرب المثل الحي في أن الأمة الإسلامـية أمة واحدة، حيث آخى بين المهـاجـرين والأنصـار، بين قوم تركـوا ديارهم وأرضـهم وأهلهم وزراعـتـهم وتجارتهم ومايمتلكون من أموال حبـاً في دعوة الرسول وحباً في الله وفي الإسلام، وذهبوا إلى إخوان لهم في المدينة مستقرين في أوضـاعهم الاجتماعية والمالية، ومن ثمَّ فهم أفضل حالاً من المهاجرين، ولذا كانت هناك فـروقات كبيرة مابين المهاجرين والأنصار في النواحي الماليـة والاقتصادية والاجتـماعية. وقـد ضرب الرسول المثل الحي الذي يحـتذى به، وهو أنه آخى بينهـما، وتقـاسمـوا كل شيئ بصـدر رحب وبإيمان قوي وبكرم وتسامح وقد خفف هذا الموقف الكثـير من معاناة المهاجرين من غربتـهم في ديار إسلامـية أخرى من فـراقهم لأهلهم وذويهم، ومن ثمَّ لم يشـعر المهاجرون بالغربة ولا بالفرقة، حيث استقبلهم الأنصار بالحب والترحاب، وهذا هو السلوك الإسلامي الصحيح، فالمسلم أخو المسلم ومن كان في حاجة يجب أن يسرع أخاه في قضاء حاجته، فنحن كالجـسد الواحد إذا اشتكى منه عضو لابد أن يتداعى سائر الأعضاء له بالسهر والحمى.

مقومات التكامل
الاقتصادي بين دول العالم الإسلامي

إن المشكلات والصعوبات الاقتصادية التي تواجه الدول المتخلفة - ومنها الدول الإسلامية - من أجل إجراء تنمية اقتصادية، يرجع للعجز في الميزان التجاري وميزان المدفوعات ونقص الأيدي العاملة الفنية والمدربة أحياناً، ونقص رؤوس الأموال الأجنبية والمحلية أحياناً أخرى، فضلاً عن اعتماد هذه الدول على تصدير مواد أولية غير مصنعة أو نصف مصنعة وضيق السوق المحلية وتخلف الهياكل الاقتصادية وافتقارها إلى البنية الأساسية اللازمة للتنمية الصناعية والاجتماعية. وينتج عن ذلك اتجاه معدلات التبادل الدولي لغير صالحها نظراً لارتفاع أسعار السلع المصنعة والواردة من الخارج، وانخفاض أسعار صادرتها من المنتجات الأولية، ووقوف الدول المتقدمة لحماية سلعها أما منافسة السلع المماثلة، الواردة من الدول النامية. كل ذلك أدى إلى اختلاف التوازن في العلاقات الدولية بين الدول المتقدمةوالدول النامية.

ولهذا لجأت بعض الدول إلى إقامة تكامل اقتصادي وتعاون اقتصادي فيما بينها لأجل الإسراع في التنمية الاقتصادية ودعم مركزها الاقتصادي في التجارة الدولية والمساومة في مواجهة التكتلات الاقتصادية الدولية، وإجراء التصنيع على المستوى الإقليمي والوطني، بالإضافة إلى توسيع السوق أمام خطط التنمية.

ولاشك أن حيوية عمليتي التكامل والتنمية بالدول النامية تقتضي ترشيد الإنتاج وتوجيهه طبقاً للمزايا النسبية، وكذا تعبئة الموارد في إطار خطة مشتركة، وبذلك يمكن تحقيق عدة مزايا للتكامل. فالدول بقيامها بإحداث تكامل اقتصادي تهدف إلى تحقيق هدفين رئيسين، أحدهما سياسي والآخر اقتصادي.

والهدف الاقتصادي يتلخص في رفع مستوى معيشة سكانها وزيادة معدل نموها وتقوية مركزها قبل التكتلات الاقتصادية الأخرى، حيث إن العصر الحالي أصبح عصر التكتلات الاقتصادية، والتكتل يخلق فرصاً أمام الدول المتكاملة كي تقوِّي اقتصادها داخلياً وخارجياً.

كما يلاحظ أن العلاقة بين السياسة والتكامل الاقتصادي وثيقة، حيث تعتبر المصالح السياسية أهم الأسباب التي تعمل على إتمام التكامل الاقتصادي ودوامه، ومن الأمثلة على ذلك، اتحاد « الزولفرين » والذي كان تمهيداً لتحقيق وحدة ألمانيا سياسياً (Deniaw , 1964 : 18 - 19)، وكذلك التجمع الاقتصادي الأوروبي والذي حدث عقب الحرب العالمية الثانية، حيث يرى الكثيرون بأنه كان رداً على التحديات السياسية التي جابهت أوروبا خلال تلك الفترة. ومن نص المادة الثانية من معاهدة روما، يتضح أن هذه المعاهدة تعمل على أن يتطور التجمع الاقتصادي الأوروبي إلى وحدة سياسية.

لهذا فإننا نرى أنه لايمكن توحيد البلاد الإسلامية سياسياً دون توحيدها اقتصادياً في الوقت نفسه، إذ إن كلاً من الوحدتين الاقتصادية والسياسية ضرورية لوجود الأخرى وأن خدمة الاقتصاد الإسلامي هي في الوقت نفسه خدمة للسياسة الإسلامية.

هذا ولاننسى مايحيط بالبلاد الإسلامية من أخطار جسيمة في الوقت الراهن لأطماع الدول الكبرى للسيطرة على هذه البلاد، بخاصة الدول النفطية منها، بالإضافة إلى خطر إسرائيل ووجودها داخل الوطن الإسلامي. فهذه الأخطار جميعاً يصعب صدها إذا مابقي اقتصاد الدول الإسلامية مفككاً، كما هو عليه الحال الآن، بالإضافة إلى تفككها سياسياً.

أما بالنسبة للمزايا الاقتصادية للتكامل الاقتصادي فهي كثيرة (U . N . 1975 : 12)، ومنها على سبيل المثال تحقيق الرفاهية وزيادة الإنتاج وتقسيم العمل

الدولي، ومن ثمَّ التخصص وارتفاع الكفاءة الإنتاجية وانخفاض أسعار السلع، وتحول مشروعات التكامل لمشروعات كبيرة الحجم والإنتاج، وكذلك اتساع السوق وكبر حجم المشروعات (Robihson , 1960 : 21)، حيث إن ضيق نطاق السوق ووجود صعوبات في التصدير للخارج يحد من إمكانات البلاد النامية في السير قدماً فرادى في التصنيع، نظراً لعدم توافر مميزات الإنتاج الكبير، ومن ثمَّ إيجاد مزايا التخصص بين بلاد التكامل.

كذلك نلاحظ أن التكامل يعمل على إيجاد إمكانات كبيرة أمام الاستثمار، كما يحدث تغييرات في هيكل اقتصاد البلاد الأعضاء ويستخدم آلات ومعدات كبيرة وحديثة، مما ينتج عنه استثمارات إضافية. هذا بالإضافة إلى أن التكامل يمتد ليشمل حرية انتقال رأس المال والعمل، كذلك يساعد على تعظيم قدرة المساومة للدول المشتركة في التكامل والحد من عدم استقرار صادراتها مع الدول الأخرى خارج التكامل، بخاصة الدول المتقدمة (Robinson , 1967) , (Onu , 1975 : 5) .

وقد لاحظنا أن الدول المتقدمة - رغم تقدمها - قد سبقت بقية دول العالم في عملية التكامل الاقتصادي، حيث اتخذت عدة صور من التكامل، منها السوق الأوروبية المشتركة ومجموعة النافتا.

ونحن نرى أن التكامل الاقتصادي بين الدول الإسلامية أصبح ضرورة من أجل الإسراع في تحقيق تنميتها الاقتصادية والاجتماعية. والتكامل في هذه الحالة ليس هدفاً في حد ذاته، بل يعتبر من أحسن الوسائل لإنجاح التنمية. ورغم أن الدول الإسلامية تعد من الدول النامية - رغم ارتفاع متوسط الدخل الفردي في السنوات الأخيرة للبعض منها (الدول النفطية النامية) إلا أننا نرى أن هذه البلاد لديها من الإمكانات الذاتية مايؤهلها لأحداث تكامل اقتصادي سليم، إذا ماوضع تصور شامل للمحاور الاقتصادية المختلفة التي يمكن الارتكاز عليها، وتوافرت الإرادة السياسية لتحقيقه (شلبي، ١٩٨٣م).

وسوف نشير فيما يلي لأهم مقوّمات التكامل الاقتصادي بين الدول الإسلامية، حيث تتضمن هذه المقومات مايلي :

أولاً : الموادر الطبيعية :

تمتد الدول الإسلامية في ثلاث قارات هي أفريقيا وآسيا وأوروبا، ولذلك نجد اختلاف الموارد الطبيعية بين هذه الدول.

وسوف نشير فيما يلي إلى هذه الموارد :

١ - **الغابات** : تبين أن الدول الإسلامية لديها مساحات قليلة من الغابات وذلك يرجع إلى طبيعة الظروف المناخية لهذه الدول، حيث إن غالبيتها يسوده المناخ الحار الجاف مما لايساعد على ظهور مساحات كبيرة من الغابات.

بلغت المساحة الإجمالية للغابات في هذه الدول حوالي ٣٥٥٥ ألف كيلو متر مربع عام ١٩٨٠م، وانخفضت هذه المساحة إلى ٣١٦٩ ألف كيلو متر مربع عام ١٩٩٠م :

أ - أن هناك ثلاث دول لاتوجد لديها أي مساحات تذكر للغابات، وهي مصر والكويت والإمارات.

ب - أن هناك خمس عشرة دولة لاتتوافر بيانات عنها بالنسبة لمساحات الغابات.

جـ - أن هناك عشرين دولة انخفضت مساحة الغابات لديها عام ١٩٩٠م عن عام ١٩٨٠م.

د - أن هناك تسع دول لم تنقص مساحات الغابات فيها عام ١٩٩٠م على ماكانت عليه عام ١٩٨٠م وهي عُمان، اليمن، الأردن، إيران، موريتانيا، ناميبيا، بوركينا فاسو.

هـ - تبين أن المغرب هي الدولة الوحيدة التي زادت فيها المساحة الإجمالية للغابات عام ١٩٩٠م عن عام ١٩٨٠م بحوالي ١٢ ألف كيلو متر مربع، وهذه ظاهرة طيبة.

و - أن أندونيسيا أكبر الدول الإسلامية من حيث مساحة الغابات، حيث كانت المساحة عام ١٩٨٠م حوالي ١٢١٧ ألف كيلو متر مربع، أي بنسبة ٣٣,٤٪ من إجمالي مساحة الغابات في الدول الإسلامية، وقد انخفضت هذه المساحة إلى ١٠٩٥ ألف كيلو متر مربع أي بنسبة ٣١,٧٪ من إجمالي مساحة الغابات لدى الدول الإسلامية.

هذا ولا ننسى فضل الغابات في زيادة دخل الدول، حيث إن تجارة الأخشاب من أهم أنماط التجارة التي تعود على الدول بالدخل الكبير. كما أن تصنيع الأخشاب من أهم الصناعات التي تحتاج إلى عدد كبير من العمالة، بخاصة لدى الدول الفقيرة والمكتظة بالسكان. كذلك يكون العائد أكبر بكثير كلما كانت نوعية الأخشاب من الأنواع الراقية التي تدخل في صناعة الأثاث أو القوارب أو ماشبه ذلك من الصناعات المرتفعة الثمن.

يمكن الاستفادة من توافر المساحات الكبيرة من الغابات لدى بعض الدول الإسلامية في قيام مشروعات مشتركة إسلامية لتصنيع الأخشاب، بخاصة إذا كانت من الأخشاب العالية الجودة، ومن ثمَّ يمكن الاستفادة من رأس المال لدى الدول ذات الفائض واستثمارها في تصنيع هذه المادة ويستفيد منها جميع الأطراف المشتركة في المشروع : أصحاب رأس المال وأصحاب الغابات وأصحاب العمالة (جدول رقم ١)، والشكل رقم ١).

٢ - **الأراضي المحمية** : كان لدى بعض الدول الإسلامية أراضٍ محمية تبلغ مساحتها حوالي ١١٤٧,٧ ألف كيلو متر مربع عام ١٩٩٣م. وتتميز خمس دول بكبر المساحات لديها وهي :

- أندونيسيا حوالي١٨٥,٧ كيلو متر مربع.
- تنزانيا حوالي ١٣٨,٩ ألف كيلو متر مربع.
- الجزائر حوالي ١١٩,٢ ألف كيلو متر مربع.

- تشاد حوالي ١١٤,٩ ألف كيلو متر مربع.

- إيران حوالي ٨٣,٠ ألف كيلو متر مربع.

وهذه الدول الخمس تمثل٥٥,٩٪ من مساحة الأراضي المحمية لدى دول العالم الإسلامي (جدول رقم ٢، والشكل رقم ٢ ».

٣ - **الأرض** : تمثل مساحة الدول الإسلامية (حسب تعريف الموسوعة) حوالي ٢٢,٤٪ من مساحة العالم، ويلاحظ أن السودان أكبر الدول مساحة حوالي (٢,٥٠٦ ألف كيلو متر مربع) يليه الجزائر (٢,٣٨٢ ألف كيلو متر مربع)، ثم السعودية (٢,١٥٠ إلف كيلو متر مربع).

٤ - **السكان** : يمثل سكن الدول الإسلامية حوالي ٢٠,١ ٪ من سكان العالم، وأكبر الدول سكاناً هي أندونيسيا حيث بلغ تعدادها ١٨٧,١٥ مليون نسمة عام ١٩٩٣م، يليها باكستان ١٢٢,١٣ مليون نسمة، فبنجلاديش ١١٦,٧ مليون نسمة، فنيجيريا ١٠٥,٣ مليون نسمة .

وسوف نشير بشيء من التفصيل للسكان عند الحديث عن الموارد البشرية .

٥ - **النفط** : الدول الإسلامية لديها حوالي ٧٣,١ ٪ من احتياطي النفط الخام في العالم عام (١٩٩٤م)، كما أنها تنتج حوالي ٣٨,٥ ٪ من الإنتاج العالمي، وتعد منطقة الخليج أكبر منطقة تستحوذ على النفط وتأتي السعودية في مقدمة دول الخليج المنتجة للنفط (منظمة الأقطار العربية المصدرة للبترول « أوبك ») .

وسوف نشير بشيء من التفصيل إلى النفط عند الحديث عن الطاقة .



شكل (١) المساحة الإجمالية للغابات بالدول الإسلامية

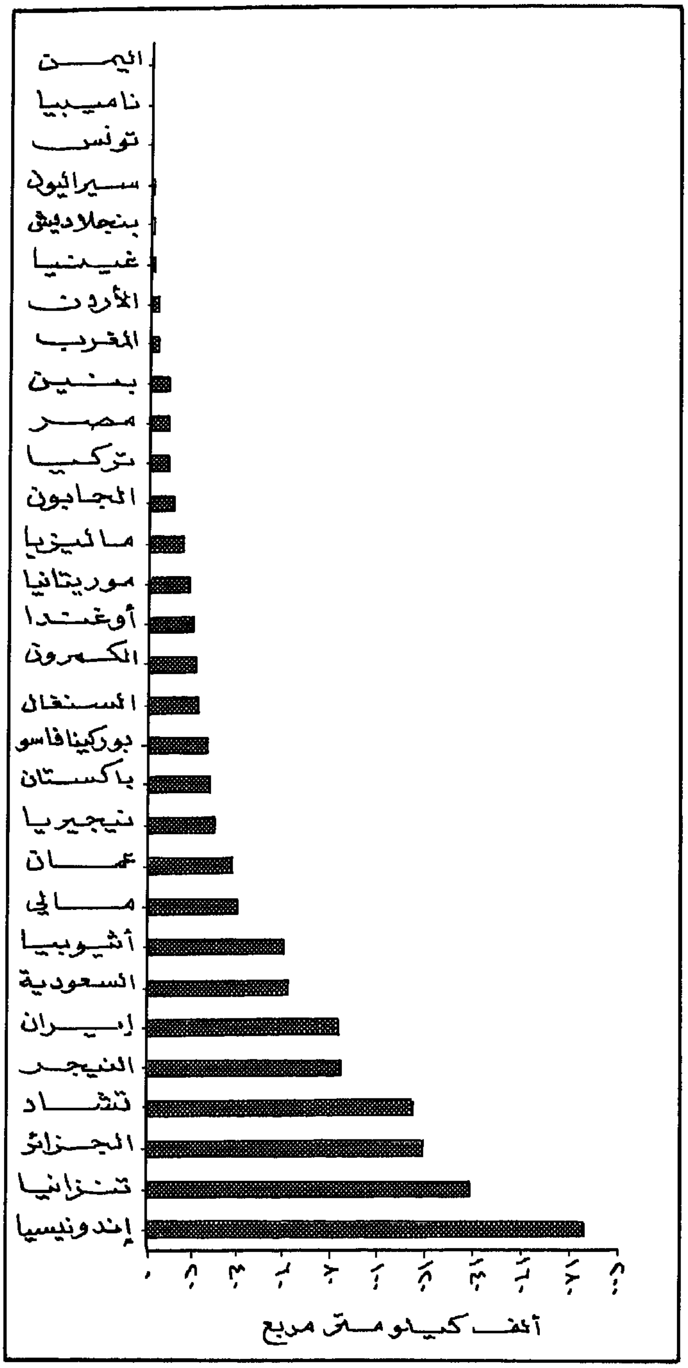
المصدر : البنك الدولي - ١٩٩٥م

٦ - **الغاز الطبيعي** : أما عن الغاز الطبيعي، فإن الدول الإسلامية لديها من الاحتياطي منه حوالي ٣٩,٧ ٪ من الاحتياطي العالمي، وتأتي إيران في مقدمة هذه الدول بما لديها من ١٤٪ من الاحتياطي من الإنتاج العالمي، وتأتي إيران وأندونيسيا ودول الخليج في مقدمة الدول المنتجة .

وسوف نشير بشيء من التفصيل إلى الغاز الطبيعي عند الحديث عن الطاقة.

٧ - **المراعي والثروة الحيوانية** : توجد مساحات لا بأس بها من المراعي لدى بعض الدول الإسلامية، وهناك دولتان لديهما أكبر هذه المساحات هما : السعودية (حوالي ١٧٠ ألف هكتار)، والسودان (حوالي ١١٠ ألف هكتار) . كذلك توجد في الدول الإسلامية أعداد كبيرة من الماشية والأغنام والإبل والماعز والجاموس وغيرها من مكوِّنات الثروة الحيوانية .

٨ - **الأراضي الزراعية** : معظم الدول الإسلامية دول زراعية ولكن تختلف مساحة الأرض التي لدى كل منها عن الأخرى ويأتي في مقدمتها السودان ولديه حوالي ١٦,٨٤٦ ألف هيكتار أرض زراعية، يليه المغرب لديه ٩,٢٩١ ألف هكتار أرض زراعية، ثم الجزائر ٨,٠٤٣ ألف هيكتار، ثم العراق ٦,٣٤٧ ألف هيكتار (المجموعة الإحصائية للوطن العربي، ٨٨/ ١٩٩٤م : ٥٩ - ٦٢) .



شكل (٢) مساحة الأراضي المحمية بالدول الإسلامية (١٩٩٣م)

المصدر: البنك الدولي - ١٩٩٥م

(جدول رقم ١)

مساحة الغابات فى الدول الاسلامية عام ١٩٩٠م

(بالألف كيلو متر مربع)

السنة / الدولة	١٩٨٠م	١٩٩٠م	السنة / الدولة	١٩٨٠م	١٩٩٠م
السعودية	١٢	١٢	تنزانيا	٢٧٩	٢٣٦
الكويت	صفر	صفر	تشاد	١٢٣	١١٤
الإمارات	صفر	صفر	النيجر	٢٥	٢٤
عُمان	٤١	٤١	مالي	١٣٢	١٢١
اليمن	٤١	٤١	موريتانيا	٦	٦
الأردن	١	١	السنغال	٨١	٧٥
تركيا	٢٠٢	٢٠٢	غامبيا	١	١
باكستان	٢٦	١٩	غينيا بيساو	٢٢	٢٠
بنجلاديش	١١	٨	سيراليون	٢٠	١٩
ماليزيا	٢١٥	١٧٦	غينيا	٧٦	٦٧
أندونيسيا	١٢١٧	١٠٩٥	بنين	٥٦	٤٩
اثيوبيا	١٤٦	١٤٢	نيجيريا	١٦٨	١٥٦
أوغندا	٧٠	٦٢	الكمرون	٢١٦	٢١٤
تونس	٥	٧	بوركينافاسو	٤٧	٤٤
الجزائر	٤٤	٤١	الجابون	١٩٤	٨٢
المغرب	٧٨	٩٠			

المجموع : عام١٩٨٠م = ٣٥٥٥ ، عام١٩٩٠م = ٣١٦٩

ثانياً : الموارد البشرية :

تعتبـر القوى البشرية الدعـامة الرئيسة للنظام الاقـتصادي لكل دولة من دول العالم، ولذا تهتم الدول السـاعية للنمو بدراسة هذه القوى، لما لهـا من آثار اقتصادية وسياسـية واجتمـاعية، حيث إنهـا أحد العوامل الرئيسـة للإنتاج في الوطن، ويبلغ سكان الدول الإسلامية حوالي ٢٠٪ من جملة سكان العالم (١٩٩٣م) بينما تبلغ المساحة الكلية لتلك الدول ٢٢,٤٪ من مساحة اليابس (شكل رقم ٣) .

ويلاحظ أن هناك تبـايناً في حجم القـوى البشـرية لدى الدول الإسلامـية، فبعضهـا يعاني من عجز كبير في الأيدي العاملة رغم توافـر مجالات العمل، مثل الدول النفطية، فـي حين أن هناك دولاً أخرى تمتلك مسـاحات صغـيرة من الأرض الزراعية ولديها عمالة فائضة عن الحاجـة، ومن ثمَّ توجد بطالة مقنعة وموسمية في هذا المجال من العمل (١٧، ١٨) .

وتبلغ نسبـة القوى البشـرية بالدول الإسلاميـة حوالي ٦٣,٤٪ من إجمالي السكان، منها ٣٥,٣ ٪ قوى العمـل الحقيقيـة والباقي وهو ٢٨,١ ٪ خارج قوى العمل، بينمـا يوجد ٣٦,٦ ٪ من الاجمـالي خارج قوى العمل البـشرية (١٩) . وهذه ظاهرة غير صحية حـيث لايعمل حقيقة إلا ٣٥,٣ ٪ من جملة سكان العالم الإسـلامي، أي أقل من ثلث تعداد الـسكان وباقي السكان عـالة على هذه النسبـة البسيطة العاملة، وهي إحدى مشكلات الإنتاج والتنمية لدى دول العالم الإسلامي. ومن جملة الـقوى العاملة نجـد أن نسبة الـعاملين في قطاع الزراعة يمـثلون حوالي ٥٣,٦ ٪، وهذا يرجع إلى أن مـعظم الدول الإسلامـية دول زراعيـة، ولكن رغم ذلك فإن إنتاجيتها منخفضة، كما أن الكفاءة الإنتاجية أيضاً منخفضة . ويلاحظ أن هناك بطالة مقنعة بنسبة كبيـرة في قطاع الزراعة، لكن بعض الدول ترتفع فيها نسبة العمالة الزراعية للقوى العاملة إلى مستوى كبير مثل (Europa Year , 1995):

- النيجر : العمالة الزراعية ٩٢,٨ ٪ من إجمالى العمالة بالدولة .

- تنزانيا : العمالة الزراعية ٩١,٢ ٪ من إجمالى العمالة بالدولة .

- مالي : العمالة الزراعية ٨٦,٣ ٪ من إجمالى العمالة بالدولة .

- أوغندا : العمالة الزراعية ٨٥,٢ ٪ من إجمالى العمالة بالدولة .

- تشاد : العمالة الزراعية ٨١,٢ ٪ من إجمالى العمالة بالدولة .

- الكمرون : العمالة الزراعية ٨٠,٥ ٪ من إجمالى العمالة بالدولة .

- السنغال : العمالة الزراعية ٨٠,٢ ٪ من إجمالى العمالة بالدولة .

أما بالنسبة للعمالة الصناعية فإن نسبة العاملين في الصناعة لإجمالي سكان الدول الإسلامية تصل إلى ٣,٢ ٪، كما أن نسبة العاملين في الصناعة لإجمالي القوى العاملة في الدول الإسلامية تصل إلى ٩,٢ ٪، وهذه ظاهرة غير طيبة ومؤشر على بُعد الدول الإسلامية عن الدخول في مجال الصناعة وإهمال هذا القطاع الحيوي المهم والذي تقوم عليه عملية التنمية الاقتصادية الحقيقية والسريعة .

ويلاحظ أن عدد العمالة الصناعية في بعض الدول الإسلامية أكبر من عدد العمالة الزراعية، وهي كأمثلة لذلك :

- ماليزيا ١,٥ مليون عمالة زراعية مقابل ١,٧ مليون عمالة صناعية .

- الإمارات ٤٣ ألف عمالة زراعية مقابل ٦٣ ألف عمالة صناعية .

- الكويت ٩٠ ألف عمالة زراعية مقابل ٥٤ ألف عمالة صناعية .

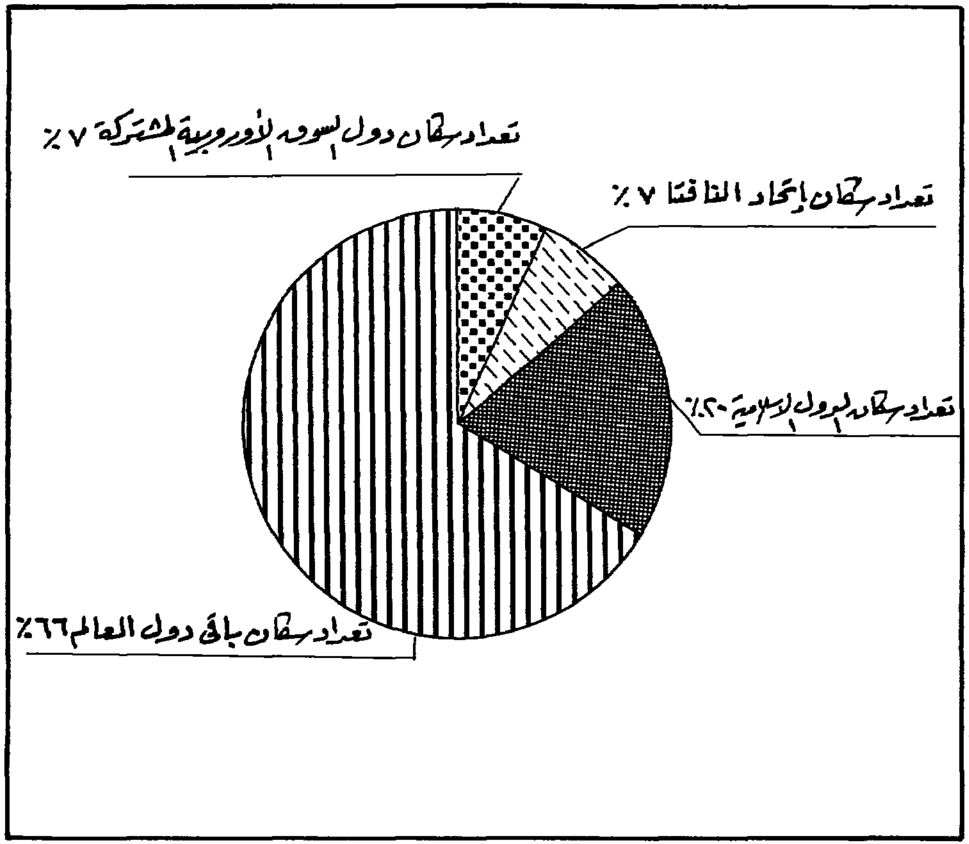
وذلك يرجع إلى أن هذه الدول ليس لديها إمكانات زراعية وتعتمد اعتماداً كبيراً على قطاع استخراج وتصدير النفط(Europa Year , Book , Dp Cit , P.P 1984 , 1801-2013) .

وتعاني معظم الدول الإسلامية من ندرة الأيدي العاملة الماهرة، وذلك يرجع لانخفاض مستوى التدريب والتعليم والفن الإنتاجي .

جدول رقم (٢) مساحة الأراضى المحمية في الدول الإسلامية

(ألف كيلو متر مربع)

الدولة	المساحة المحمية	الدولة	المساحة المحمية
تنزانيا	١٣٨,٩	مصر	٧,٩
أثيوبيا	٦٠,٢	اليمن	٠٠
سيراليون	٠,٨	أندونيسيا	١٨٥,٧
أوغندا	١٩,١	السنغال	٢١,٨
تشاد	١١٤,٩	الكمرون	٢٠,٥
بنجلاديش	١,٠	المغرب	٣,٦
غينيا بيساو	٠٠	الأردن	٢,٩
مالي	٤٠,١	تونس	٠,٤
النيجر	٨٤,٢	الجزائر	١١٩,٢
بوركينا فاسو	٢٦,٢	تركيا	٨,٢
نيجيريا	٢٩,٧	يران	٨٣,٠
غامبيا	٠,٢	ماليزيا	١٤,٨
بنين	٧,٨	عُمان	٣٧,٤
باكستان	٢٧,٢	الجابون	١٠,٥
غينيا	١,٦	السعودية	٦٢,٠
موريتانيا	١٧,٥	الكويت	صفر
الإمارات	(غير متوافر)		



شكل (٣) توزيع سكان العالم (بالتكتل)

ولكن يلاحظ أن بعض الدول الإسـلامية ذات الاكتظاظ السكاني سـاهمت بقدراتها البشرية في مواجهة الاحتـياجات لدى الدول الإسلامية النفطية، وأنه يوجد منذ عدة سنـوات تحرك تلقائي غـير منسق وغـير مخطط، يتـمثل في انتـقال بعض المهارات والخبـرات من دول مثل : مصر وباكستـان وأندونيسيـا وبنجلاديش واليمن ... إلخ، غير أن بعـض الدول الإسلامية النفطية عـملت على الاستعانة بـالعمالة الآسـيوية والتي يلاحظ أن البـعض منهـا لايدين بالدين الإسلامي، بل إن البـعض الآخر لادين له، وهذه ظاهرة غير طيبة، وإن كـانت هذه العمالة رخيصة الأجر إلا أن المسلمين من العـمال أولى بهذه الوظائف، وأنه يجب أن يتم التـنسيق في جلب العمالة للدول ذات الحاجة في إطار نظرة هادفـة للتكامل الاقتصادي الإسلامي، من أجل التنمية الاقتصادية للأمة الإسلامية ككل .

مما سبق يتضح لنا أن بعض البـلاد الإسلامية، وبخاصـة النفطية، تعاني من نقص رأس المال البشـري بينما يتوافر هذا العنصـر لدى البلاد الإسلامـية الأخرى، كما يلاحظ أيضاً أن القـوى العاملة الإسلامية تتركز أساسـاً في قطاع الزراعة ونسبة قليلة في قطاع الصناعة، مع ملاحظة انخفاض إنتـاجية العمل والتي ترجع لأسباب كثيرة منها عدم كفاية التدريب، وانخفاض التعليم، وارتفاع نسبة الأمية والتي بلغت في المتوسط لدى الدول الإسلامـية حوالي ٥٠,٦٪ من تعدادالسكان، بينما ترتفع هذه النسبـة إلى أكثر من ذلك لدى بعض الدول الإسلامـية مثل : الصومـال حيث تبلغ ٧٦٪، والسودان ٥٣٪، وأفغانستان حوالي ٧١٪، ويضاف إلى كل ذلك عدم اهتمـام الدول الإسلامـية بالتـعليم العملي وتركـيزها على التـعليم النظري (البنك الدولي، ١٩٩٥م: ٢٨).

ولهذا نرى أنه من عوامل مـقوِّمات التكامل الاقتصادي بين الـدول الإسلامية والعمل على نجاحه من الناحية الفنية، الاهتمام برأس المال البشري والعمل على رفع كفاءته الإنتاجـية بالتدريب والتعليم وذلك بالتنسيق على مسـتوى العالم الإسلامي،

عن طريق الارتقاء بالعمالة والخبرات الفائضة لدي بعض البلاد ذات الاكتظاظ السكاني، وذلك في إطار وإحداث تكامل مابين رأس المال البشري ورأس المال المادي، بخاصة وأن تكوين رأس المال البشري يحتاج لفترات طويلة تتراوح مابين عشر إلى خمس عشرة سنة، يصعب تعويضها عن طريق الاستعانة بالخبرات الأجنبية، نظراً لوجود عدة عوائق منها اختلاف اللغة والعادات والتقاليد .

ثالثاً : موارد الطاقة :

يتوافر لدى دول العالم الإسلامي كثير من موارد الطاقة أهمها النفط والغاز الطبيعي .

١ - **النفط** : لاشك أن النفط من أهم موارد الطاقة لدى الدول الإسلامية، حيث تشتهر منطقة الخليج ودول أخرى بهذه المادة الاستراتيجية والتي كان لها آثار اقتصادية كبيرة على الدول المنتجة والمصدرة له .

ولقد شهد عام ١٩٩٤م انتعاشاً كبيراً في الطلب العالمي عليه بعد التراجع الذي حدث خلال عام ١٩٩٣م، وقد ارتفع الاستهلاك بنسبة ١,٦ ٪ بمقدار ١,١ مليون برميل يومياً ليصل إلى ٦٨,٢ مليون برميل يومياً بالمقارنة بعام ١٩٩٣م حيث كان ٦٧,١ مليون برميل يومياً .

ولا ننسى ماحدث في فترة الثمانينات الميلادية والتي شهدت تراجعاً في صادرات الدول الإسلامية من النفط الخام والمنتجات البترولية، حيث بلغت أدنى مستوى لها خلال عام ١٩٨٥م عند ٩ ملايين برميل يومياً، وذلك نتيجة لسياسات الدول الصناعية الرامية لتخفيض الطلب على النفط من الدول الإسلامية والتحول عن استيراده من الخارج وذلك بقصد الضغط على الدول الإسلامية المنتجة والمصدرة للنفط، مع تشجيع إنتاجه في الدول الأجنبية الأخرى .

وقد حـدث انخـفاض كـبيـر في أسعـار النفط في تلك الآونة، إلا أن هذه الصادرات عادت للتحسن التدريجي فارتفعت إلى ٢ ,١٥ مليون برميل يومياً خلال عـام ١٩٩٢م، ثم إلى ١٦ مليون برمـيل يومـياً عـام ١٩٩٣م . ولقد بلغ نصـيب السـعودية من هذه الصـادرات حوالي النصف، ودولة الإمـارات ١٤٪ ، والكويت ١٢٪، وليبيا ٩٪، والجزائر ٧٪، وباقي الدول ٩٪ .

وحالياً تساهم الدول الإسلامية بإنتاج ١ ,٣٨ ٪ من إجمالي إنتاج النفط الخام العالمي عام ١٩٩٣م وارتفـعت النسبة إلى ٥ ,٣٨ ٪ عام ١٩٩٤م (بينما بلغ إنتاج الولايات المتحدة الأمريـكية عام ١٩٩٣م حوالي ٢ ,١٣٪ من الإنتاج العالمي، وعام ١٩٩٤م حوالي ٨ ,١٢ ٪)[٢] .

أما بالنسبة لاحتياطي النفط الخام لدى الدول الإسلامية فبلغ حوالي ٦ ,٧٣ ٪ من إجمالي الاحـتياطي العالمي عـام ١٩٩٣م ثم انخفض إلى ١ ,٧٣٪ من إجمالي الاحتياطـي العالمي عام ١٩٩٤م (بينما الولايات المتحدة الأمـريكية حوالي ٣ ,٢ ٪ من الاحتياطي العالمي عام ١٩٩٣م ١ ,٢ ٪ من الاحتياطي العالمي عام ١٩٩٤م) .

كل هذه الكمـيات التي تحـوزها الدول الإسلاميـة من النفط الخـام سواء من إنتاج عالمي يصل إلى ٥ ,٣٨ ٪ أو ١ ,٧٣ ٪ من الاحتياطي العالمي، إنما تدل على أن الدول الإسلامية تسـتحوذ على مقدرات الإنتاج والتوزيع والتـصنيع لهذه السلعة الاستراتيجيـة، وأنها تعتبر أكبر مورد مالي للدول المنتـجة والمصدرة لها، حيث تبلغ نسبة النفط كسلعة مصدرة لدى معظم الدول الإسلامية المنتجة له أكثر من ٩٠٪ من جملة صادرات هذه الـدول، ولكن يا حبذا لو استطاعت هذه الدول الإسـلامية أن تقوم بتـصنيع النفط بدلاً من تصديره خاماً حـيث إنها ستحـصل عندئذٍ على عوائد مالية مضاعفـة عشرات المرات، بالإضافة إلى أنها ستعمل على تشـغيل أعداد كبيرة من أبناء الدول الإسـلامية في عـملية التـصنيع . كل ذلك سيؤدي في الـنهاية إلى فائدة مـشتركة للعـالم الإسلامي، بزيادة دخل الدول الإسلامـية النفطية من عـملية التـصنيع وتصدير منتـجات النفط بدلاً من تصـدير النفط خـاماً، وحصـول الدول

الإسلاميـة غير النفطيـة على عوائد مادية نتيـجة تشغيل عـمالتها الفـائضة في هذه المشروعات الصناعـية، وهذه أولى خطوات مقومات التكامل الاقتـصادي الإسلامي في أبسط صورة وهي المشروعات المشتركة .

كـمـا نود أن نوضح إلى أننا قـد أشـرنا في صـدد عمليـة إنتـاج وتصـدير احتياجات النفط إلى موقف الولايات المتـحدة بما لديها من احتياطي وإنتاج، وذلك حتى يعلم المسؤولون بأن لدينا في هذا المجال ما يفـوق ما لدى أكبر دولة في العالم حتى يعملوا على حسن استغلال هذا المورد الحيوي في الصناعة وفي التجارة، ومن ثمَّ تحصل الدول صـاحبته على أكـثر عائد يسـاهم في التنمية الاقتـصادية، في ظل تشغيل أكبر عدد ممكن من العمالة الإسلامية .

وفيما يتعلق بـعوائد النفط فقد حدثت طفرة كبيرة في أسـعار النفط في فترة حرب أكـتوبر ١٩٧٣م (العاشـر من رمضان)، حـيث برزت في تلك الآونة روح التضامن والإخـاء بين دول العالم الإسلامي، ونادى البعض منها باسـتخدام سلاح النفط من أجل مصلحة القضيـة الفلسطينية ومشكلة الشرق الأوسط، وكان على أثر ذلك أن ارتفع سـعـر برمـيل النفط حـتى بلغ ٤٠ دولاراً ولكن اسـتطاعت الدول الأجنبية المستوردة والمنتجة له أن تقف حائلاً ضد هذه الزيادة، وعملت على محاربة الدول الإسلاميـة المنتجة والمصدرة للنـفط، ومن ثمَّ شهدت الأسواق العـالمية خلال النصف الأول من الثمانينات الميلادية تراجعاً مسـتمراً في أسعار النفط الخام، انتهى بانهيارها في صـيف عام ١٩٨٦م، وقد استمرت الأسعـار بالتذبذب خلال النصف الثاني من الثمانينيـات الميلادية عند مستويات متدنية، الأمـر الذي أدى إلى استمرار تراجع القيم الأسمية والحقيقية للعوائد النفطية الإسلامية .

إن أسعار البـترول الخام كانت منذ عام ١٩٧٠م حـتى ١٩٧٣م تتراوح مابين دولارين و ١٤ ,٣ دولارات للبـرميل الواحـد، ثم حدثت حـرب أكتـوبر ١٩٧٣م ولبت الدول الإسلامية النفطية النداء الإسلامي باستخدام البترول كسلاح ضد الدول

الأجنبية المؤيدة لإسرائيل المناهضة لحقوق الشعب الفلسطيني وتم فعلاً السيطرة للدول الإسلامية المنتجة للنفط على إنتاجه وتسويقه، فارتفع سعر البرميل من ٢,١٤ دولارين عام ١٩٧٣م حتى وصل إلى حوالي ٣٦ دولاراً في أوائل الثمانينيات الميلادية وظل ثابتاً تقريباً حتى عام ١٩٨٥م، حين بدأت الدول الأجنبية بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية في العمل على ضرب هذه الأسعار بإنشاء منظمة تعمل على ترشيد استهلاك الطاقة وتجميع أكبر كميات ممكنة وتخزينها داخل الدول الأوروبية، مع الاحتفاظ بالاحتياطي من نفط هذه الدول، ثم فاجأت الدول الإسلامية المنتجة للنفط بتخفيض الكمية المطلوبة من نفطها، ومن ثمَّ انخفض سعر البرميل عام ١٩٨٦م إلى ثُلث ثمنه عام ١٩٨٥م، ثم بدأ في التذبذب منذ تلك الفترة، حيث استطاعت الدول الأجنبية أيضاً أن تخترق منظمة « الأوبك »، ومنظمة « الأوابك العربية » وتحدث خلافاً كبيراً بين الدول الإسلامية أعضاء تلك المنظمات عن كميات الإنتاج والتصدير، وهكذا استطاعت الدول الأجنبية أن توقف ارتفاع الأسعار وتحد من عائدات الدول الإسلامية المصدرة للنفط، حيث إن العوائد كانت حتى عام ١٩٧٢م منخفضة، ثم تضاعفت عشرات المرات منذ بداية عام ١٩٧٣م، وبلغت ذروتها أوائل الثمانينات الميلادية، ثم بدأت في الانخفاض والتذبذب . ولكن حالياً أصبح هناك إلى حد ما استقرار في الأسعار والعوائد لدى الدول الإسلامية، ونرجو أن تكون الدول الإسلامية استوعبت واستفادت من الدرس الذي حدث لها خلال تلك الفترة، وألا تمكن الدول الأجنبية مرة أخرى من التلاعب في مقدراتها وصادراتها، بخاصة بالنسبة لمثل هذه السلعة الاستراتيجية . ولايتم ذلك إلا باتحادها ووعيها بأهمية النفط في التجارة العالمية .

٢ - **الغاز الطبيعي** : تعمل الدول الإسلامية حالياً على إنتاج الغاز الطبيعي وهو إحدى السلع المهمة كمصدر للطاقة عالمياً؛ حيث استحوذت على إنتاج حوالي ١٨,٤ ٪ من الإنتاج العالمي خلال عام ١٩٩٣م، وارتفعت هذه النسبة إلى ١٩,٨ ٪ من الإنتاج العالمي عام ١٩٩٤م[٢١] .

كما أن الدول الإسلامية كان لديها من الاحتياطي العالمي من الغاز الطبيعي حوالي ٣٩ ٪ عام ١٩٩٣م، بينما بلغت هذه النسبة حوالي ٣٩,٧ ٪ من الاحتياطي العالمي عام ١٩٩٤م .

وتقوم بعض الدول الإسلامية بتصدير مايفيض لديها من إنتاج، وفي مقدمة تلك الدول الجزائر وليبيا والإمارات، حيث يتم تصدير الغاز الطبيعي للدول الصناعية، إما مسالاً ويتم شحنه بالناقلات، أو في صورة غاز يتم نقله بالأنابيب .

ولقد عملت الدول الإسلامية على زيادة طاقاتها لأسالة الغاز، حيث تبلغ طاقتها في الوقت الحاضر حوالي ٢٩,٤ مليون طن سنوياً، أي مايوازي ٤١٪ من الطاقة العالمية .

وقد بلغت جملة صادرات هذه الدول من الغاز المسال ٢٥,٢ مليار متر مكعب خلال عام ١٩٩٣م، وذلك للولايات المتحدة الأمريكية وبلجيكا وفرنسا وإيطاليا وأسبانيا واليابان . كما صدَّرت الجزائر كميات أخرى بواسطة الأنابيب، بلغت حوالي ١٤,٤ مليار متر مكعب عام ١٩٩٣م لإيطاليا، فضلاً عن كميات أخرى لتونس بلغت حوالي ٥٥٠ مليون متر مكعب .

كما تم تصدير كميات أخرى من الغاز الطبيعي بمعرفة الدول الإسلامية بواسطة الأنابيب والناقلات بلغت حوالي ٣٩,٦ مليار متر مكعب عام ١٩٩٣م، منها حوالي ٣٤,٧ مليار مت مكعب صُدِّرت من الجزائر (أي بنسبة ٨٧,٦ ٪ من الكمية)، وقد بلغت نسبة ماتم تصديره من الدول الإسلامية خلال عام ١٩٩٣م حوالي ٤١١,٤٪ من إجمالي صادرات الغاز العالمية والتي تبلغ حوالي ٣٤٧ مليار متر مكعب سنوياً (التقرير الاقتصادي العربي الموحد، ١٩٩٥م) .

ومن الممكن التوسع في مجال التجارة البينية للغاز الطبيعي بين الدول الإسلامية، وذلك بإقامة منظمة إسلامية لنقل وتوزيع هذه السلعة الجوهرية داخل الأمة الإسلامية، وبينها وبين الدول الأخرى، وذلك على غرار منظمة الدول العربية المصدرة للبترول « أوابك » .

٣ - **الفحم الحجري** : تستحوذ بعض الدول الإسلامية على كميات قليلة من مادة الفحم كاحتياطي حيث يوجد لدى المغرب حوالي ٧٥ مليون طن، والجزائر حوالي ٤٠ مليون طن، ومصر حوالي ٣٦ مليون طن، وأندونيسيا حوالي ٢٧,٥ مليون طن، وتركيا حوالي ٣ ملايين طن، (Europa Year Boor , 1995)، أما الاحتياطي العالمي فبلغ حوالي ١٠٣٩,١ مليار طن عام ١٩٩٣م، حيث تتركز أكبر كمية منه لدى الولايات المتحدة الأميريكية وهي تبلغ حوالي ٢٣,٢٪ من الاحتياطي العالمي، ثم يليها دول الكومنولث المستقلة بنسبة ٢٣,٢٪، ثم الصين بحوالي ١١,٠٪ .

ولكن يلاحظ أن الدول الإسلامية لاتعتمد في استخدمها للطاقة على الفحم الحجري، نظراً لقلة الاحتياطي لديها، وسهولة استخدام المصادر الأخرى مثل البترول والغاز الطبيعي .

٤ - **الفحم النباتي** : يوجد الفحم النباتي لدى تركيا بكمية بلغت حوالي ٤٢ مليون طن، وباكستان بحوالي ٣,١ ملايين طن عام ١٩٩٣م .

مما سبق يتضح أن الدول الإسلامية تنتج حوالي ٣٨,٥ ٪ من الإنتاج العالمي للنفط ولديها احتياطي يقدر بحوالي ٧٣,١ ٪ من الاحتياطي العالمي (عام ١٩٩٤م)، كما أن هذه الدول تستحوذ على إنتاج ١٩,٨ ٪ من الإنتاج العالمي من الغاز الطبيعي، ولديها حوالي ٣٩,٧ ٪ من الاحتياطي العالمي (عام١٩٩٤م) .

كل هذه الإمكانات لاشك أنهـا تعطي هذه الدول مكانة كـبيـرة في النواحي الاقتصادية وذلك بالسيطرة على أهم سلعة استرتيجية في العالم، وذلك لو أحسنت هذه الدول استـغلالـها الاستـغلال الأمـثل . ولاننسى الدول الإسـلامية فـي عام ١٩٧٣م عندما وحَّدت الدول المصدرة للنفط كلمتـها واستطاعت السيطرة على إنتاج وتصدير هذه المادة الحيوية، ولذلك فقد جنـت ثمارها بارتفاع الأسعار وزيادة دخلها ومن ثم تحسنت حالتـها الاقتصادية، كمـا لفتت النظر إلى ضرورة الاهتمام بقـضية الشرق الأوسط وحقوق الشعب الفلسطيني .

وهكذا نجـد أن في الاتحاد والتـعاون والتكامل آثاراً طيـبة سـواء في النواحي الاقتصـادية أو السياسـية تستطيع الدول الإسلامـية أن تجنيها لو اتحـدت وتوحَّدت، واستطاعت جمع شملهـا في إطار ديننا الحنيف وتحت مظلة الإسلام ووحدانية الله، حتى نكون خير أمة أخرجت للناس .

رابعاً : الموارد المالية :

يلاحظ أن الدول الإسـلامـية تـنقسم لطـائفتين - إحـداهمـا تشـمل الدول الإسلاميـة المصدرة للبترول، وتتمـيز بوجود فائض من العمـلات الأجنبية يأتي من إيراداتها النفطـية، والطائفة الثـانية تعاني من وجـود عجز في مـوازين مدفوعـاتها وتعتمد على مصادر التمويل الأجنبية .

إن اخـتلاف القـدرات الماليـة بالمقـارنة بالإمكانات الاسـتثـمـارية بين الدول الإسلامـية على النحو السابـق يعتبر في رأينا من أهـم العوامل المساعدة على قـيام تكامل اقتصادي إسلامي .

تقديرات عوائد البترول في بعض السنوات :

من أحد التقديرات الخاصة بالإيرادات النفطية لبعض الدول الإسلامية (عدد ١١ دولة فقـط) خلال الفتـرة ١٩٩١م - ١٩٩٤م يتضح أنـها كالآتي: جـدول رقم (٣).

(جدول رقم ٣)

الإيرادات النفطية لبعض الدول الإسلامية

للأعوام ١٩٩١ - ١٩٩٤م « بالمليون دولار »

	١٩٩١م	١٩٩٢م	١٩٩٣م	١٩٩٤م
حصيلة الدول	٨٥٥٨٢	٩٢٥٧٢	٨٣٢٩٥	٨٣٠٠٠
نصيب كل دولة كنسبة مئوية من الحصيلة الكلية	السعودية ٥٠,٩٪	السعودية ٥٠,٣٪	السعودية ٤٦,٤٪	السعودية ٤٥,٢٪
	الإمارات ١٧,٣٪	الإمارات ١٥,٧٪	الإمارات ١٤,٥٪	الإمارات ١٤,٨٪
	ليبيا ١١,٧٪	ليبيا ٩,٩٪	الكويت ١٢,٠٪	الكويت ١٢,٥٪
	الجزائر ١١,٢٪	الجزائر ٨,٨٪	الجزائر ٩,٦٪	الجزائر ١٠,٤٪
	قطر ٢,٦٪	الكويت ٦,٧٪	ليبيا ٩,١٪	ليبيا ٨,٦٪
	سوريا ٢,٢٪	قطر ٣,٥٪	قطر ٣,١٪	قطر ٢,٩٪
	مصر ١,٥٪	سوريا ٢,٣٪	سوريا ٢,٣٪	سوريا ٢,٢٪
	الكويت ١,٢٪	مصر ١,٤٪	مصر ١,٤٪	مصر ١,٦٪
	البحرين ٠,٨٪	البحرين ٠,٨٪	البحرين ١,١٪	البحرين ١,٢٪
	العراق ٠,٤٪	العراق ٠,٤٪	العراق ٠,٤٪	العراق ٠,٤٪
	تونس ٠,٤٪	تونس ٠,٣٪	تونس ٠,١٪	تونس ٠,١٪

المصدر : المجموعة الإحصائية لدول الوطن العربي، ١٩٩٤م .

من الجدول السـابق (رقم ٣) يتضح لنا أن إيرادات بعض الدول الإسلامـية من النفط كانت حـوالي ٨٥٥٨٢ مليون دولار أمريكي عـام ١٩٩١م، ارتفعت إلى ٩٢٥٧٢ مليـون دولار أمريكي عـام ١٩٩٢م، ثم انخفـضت إلى ٨٣٢٩٥ مليون دولار عام ١٩٩٣م، ثـم بلغت ٨٣٠٠٠ مليون دولار عـام ١٩٩٤م، ومن ثم تبلغ جملة هذه العوائد ٣٤٤,٤ مليار دولار خلال الفترة ١٩٩١ - ١٩٩٤م .

كما يتـضح من البيانات السابقـة أن السعودية تملك أكبـر نسبة من الإيرادات النفطية خلال تلك الفترة بمتوسط ٤٨,٢ ٪، أي حوالي النصف، ثم تليها الإمارات بمتوسط ١٥,٦ ٪ ثم الجزائر بمتوسط ١٠ ٪،فالكويت ٨,١ ٪، ثم قطر بنسبه ٣ ٪، فسوريا ٢,٢ ٪، فمـصر ١,٥ ٪، ثم البحرين ١,٠ ٪، فالعراق ٠,٤ ٪، ثم تونس ٠,١ ٪ .

فوائض رؤوس الأموال للدول الإسلامية :

في إحصائـية عن استثمـارات دول مجلس التعاون الخليـجي (وحدها) في الخارج قدرت بحوالي ٣٤٩,٤ مليار دولار أمريكي عام ١٩٨٩م، منها ٤٤,٦ مليار دولار أمريكي في الدول النامية (بنسبة ١٢,٧ ٪)، و ٢٧ مليار دولار في صندوق النقـد الدولي والبنك الدولي (بنسـبة ٧,٨ ٪)، والباقي وقـدره حوالي ٢٧٧,٨ مليار دولار في الدول الأوروبية والولايات المتحـدة الأمريكية (بنسبة ٧٩,٥ ٪) و (هلال، د.ت : ٤٨) .

وفي إحصـائية أخرى عن فوائض رؤوس الأمـوال للدول الإسلاميـة النفطية لدى الدول الأجنبية، تبين وجود حوالي ٨٠٠ مليار دولار أمريكي لدى بنوك بعض الدول الأجنبية الأوروبية والأمريكية (زكي،١٩٩٦م:١١).

من الاحصاءات السـابقة يتضح لنا مدى استـفادة الدول الأوروبية والولايات المتحدة الأمـريكية والمنظمات الدولية من الفـوائض المالية الإسلامية الضـخمة، ولو

قدر لهذه الفوائض أن توجه للاستثمار لدى الدول الإسلامية ذات العجز والتي لديها القدرة على استيعابها، لكان للعالم الإسلامي شأن آخر من التنمية، ولكن المستفيد الوحيد من هذه الفوائض هي الدول الأجنبية، بخاصة إذا علمنا بأن بعض الدول النفطية غير قادرة على استيعاب الفوائض [٢٢] . وذلك يرجع لعدة أسباب، منها إعتماد بعض الدول الإسلامية النفطية على قطاع أولّي واحد وهو قطاع استخراج النفط، حيث إن هذا القطاع يمثل نسبة كبيرة من صادرات هذه الدول (شلبي، ١٩٨١م) . كما يلاحظ صغر حجم السكان بمعظم البلاد الإسلامية النفطية عن الحجم الأمثل اللازم لاستغلال الموارد المتاحة، ومن ثمَّ صغر حجم السوق مما يؤدي إلى عدم إمكان تصريف الصناعات الثقيلة . كما يلاحظ ضعف فرص الاستثمار خارج القطاع النفطي وافتقار هذه البلاد إلى الإمكانات الزراعية أو المنجمية الأخرى والتي بدونها يصعب إحداث حركة تصنيع شاملة .

وإذا مانظرنا إلى باقي الدول الإسلامية (ذات العجز)، نجد أن لديها بعض الخصائص التي تؤدي إلى ارتفاع قدرتها الاستيعابية من ناحية وإلى ارتفاع قدرة العالم الإسلامي ككل من ناحية أخرى، أي أن أوجه القصور الموجودة لدى الدول النفطية لها حل وعلاج لدى الدول الإسلامية غير النفطية، مما يؤدي إلى ارتفاع القدرة الاستيعابية للأمة الإسلامية ككل .

تحويلات العاملين بالدول الإسلامية في الخارج :

تعمل الدول الإسلامية ذات الكثافة السكانية على تشغيل جزء من عمالتها لدى الدول النفطية أو الدول الأجنبية، وتجني الدول الإسلامية من وراء ذلك مكاسب مادية من تحويلات العاملين من مواطنيها في الخارج، وفي الوقت نفسه سنجد أن بعض الدول الإسلامية (بخاصة النفطية) تدفع مبالغ نقدية كبيرة للدول الإسلامية صاحبة العمالة، وذلك مقابل تشغيلها لديها والجدول رقم (٤) يوضح صافي تحويلات العاملين في الخارج للدول الإسلامية عام ١٩٩٣م .

جدول رقم (٤) : تحويلات العاملين في الخارج للدول الإسلامية عام ١٩٩٣م « بالمليون دولار »

الدولة	جملة التحويلات	الدولة	جملة التحويلات	الدولة	جملة التحويلات
أثيوبيا	٢٤٨	نيجيريا	٢٢	الأردن	١٠٤٠
تشاد	-٣٥	غينيا	-٢٠	تونس	٥٩٠
بنجلاديش	٩٤٢	موريتانيا	٢٣	الجزائر	٩٩٣
بوركينا فاسو	٧١	اليمن	٣٤٧	تركيا	٢٩١٩
غينيا بيساو	-٢	مصر	٤٩٦٠	عُمان	-١٣٢٩
مالي	٨٧	إندونيسيا	٣٤٦	السعودية	-١٥٧١٧
النيجر	-٣٣	السنغال	٤٠	الكويت	-١٢٢٩
بنين	٨٧	المغرب	١٩٤٥	الجابون	-١٤١
باكستان	١٥٦٢				

المصدر : البنك الولي . ١٩٩٥ .

من الجدول السابق رقم (٤) يتضح أن الدول المصدرة للعمالة قد حققت عائداً وعلى رأس هذه الدول مصر حيث حققت ٤٩٦٠ مليون دولار أمريكي، وتركيا ٢٩١٩ مليون دولار، والمغرب ١٩٤٥ مليون دولار، وباكستان ١٥٦٢ مليون دولار، والأردن ١٠٤٠ مليون دولار، وبنجلاديش ٩٤٢ مليون دولار، والجزائر ٩٩٣ مليون دولار، وتونس ٥٩٠ مليون دولار .

أما الدول المستوردة للعمالة فقد صدَّرت تحويلات لهذه العمالة للخارج وعلى رأسها الدول المصدرة للنفط مثل السعودية والكويت(شكل رقم٤).

ومن هذه البيانات يتضح لنا أن هناك نوعاً من التعاون والتكامل غير المنسق بين الدول الإسلامية في قطاع العمالة، حيث إن الدول النفطية في حاجة دائمة للعمالة نظراً لقلتها لديها، والدول الإسلامية لديها فائض من العمالة فتصدره للدول النفطية .

وحتى نقف على حقيـقة الوضع المالي للدول الإسلامية، فسـوف نشير إشارة سريعة على نـصيب الفرد من الناتج الوطني الإجمـالي ثم نلقي الضوء على الديون الخـارجيـةللدول الإسـلاميـة ومن ثمّ نتـعرف على حـقيـقـة الوضع المالي للدول الإسلامية.

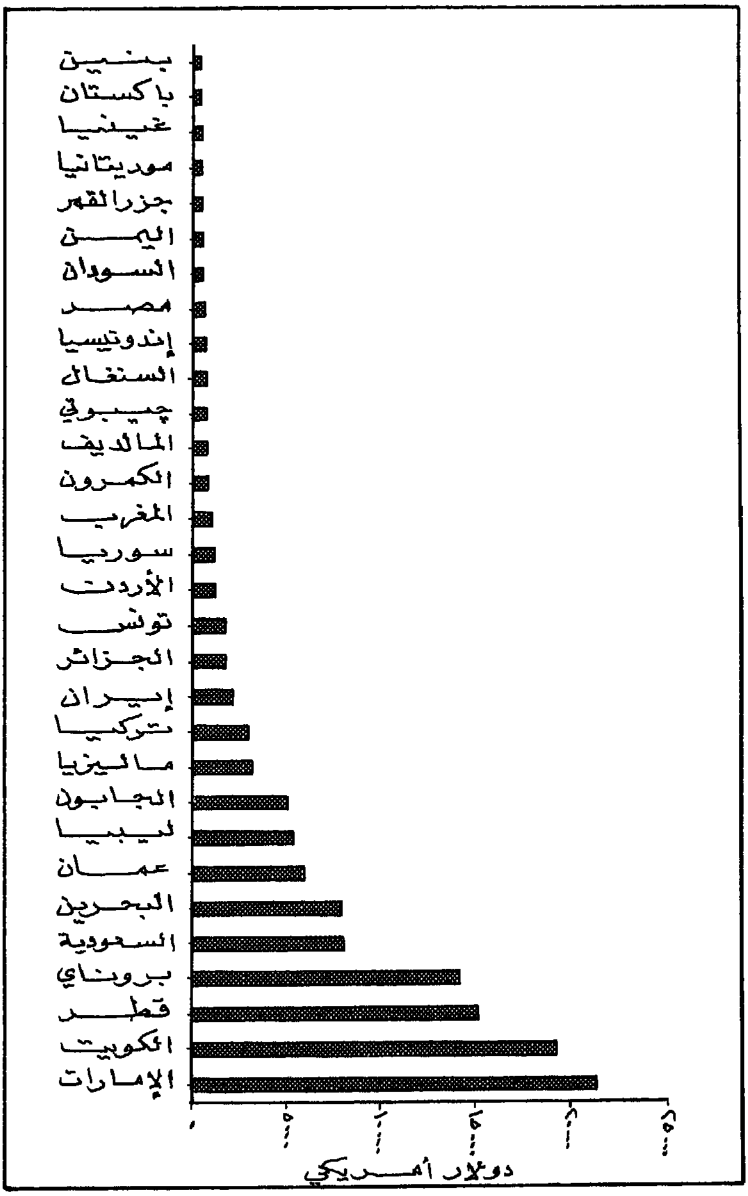
نصيب الفرد من الناتج الوطني :

بلغ مـتوسط دخل الفـرد من الناتج الوطني الإجـمالي عـام ١٩٩٣م للدول الإسلامية بالدولار كما هو مبين في جدول رقم (٥) .

(جدول رقم ٥) : متوسط نصيب الفرد من الناتج الوطني الإجمالي في الدول الإسلامية عام ١٩٩٣م « بالدولار الأمريكي »

الدولة	متوسط دخل الفرد	الدولة	متوسط دخل الفرد	الدولة	متوسط دخل الفرد
الأردن	١١٩	محاميا	٣٥	الكويت	١٩٣ ٠
الإمارات	٢١٤٣	الجزائر	١٧٨	ليبيا	٥٣١
اندونيسا	٧٤	جيبوتي	٧٨	المالديف	٨٢
أوغندا	١٨	المغرب	١ ٣	مالي	٢٧
إيران	٢١٩	البحر	٢٧	ماليريا	٣١٤
باكستان	٤٣	السعودية	٧٩٤	مصر	٦٦
البحرين	٧٨٧	السنغال	٧٥٠	موريتانيا	٥١
بروناي	١٤٢٢	السودان	٥٤٠	اليمن أثيوبيا	٥٢
بنجلاديش	٢٢	سوريا	١١٧	ترابيا	١
بنين	٤٣٠	سيراليون	١٥	بيحريا	٩
بوركينافاسو	٣	الصومال	١٥	عيبيا	٣
تركيا	٢٩٧	عُمان	٥٨٥		٥ ٠
تشاد	٢١	غينيابيساو	٢٤	قطر	١٥١٤
تونس	١٧٨	جزر القمر	٥٢		
الجابون	٤٩٦	الكمرون	٨٢		

المصدر : البنك الإسلامي للتنمية ٤٩ - ٥٩٩١م - البنك الدولي



شكل (٥) متوسط دخل الفرد من الناتج الوطني الإجمالي بالدول الإسلامية لعام ١٩٩٣م

المصدر: البنك الدولي – ١٩٩٥م

من الجدول السابق رقم (٥) يتضح الآتي :

١ - أن متوسط الدخل الفردي من الناتج الوطني الإجمالي للدول الإسلامية حوالي ٢٩٥٦ دولاراً، ويعتبر هذا الدخل متوسطاً حسب تقدير البنك الدولي.

٢ - أكبر دخل فردي يوجد في دولة الإمارات، حيث يبلغ ٢١٤٣٠ دولاراً، ثم الكويت ١٩٣٠٠ دولاراً، ثم قطر ١٥١٤٠ دولاراً، ثم بروناي ١٤٢٢٠ دولاراً .

٣ - أقل دخل في تنزانيا وهو ٩٠ دولاراً، يليها أثيوبيا ١٠٠ دولاراً، فأوغندا ١٨٠ دولاراً، فسيراليون ١٥٠ دولاراً، فالصومال ١٥٠ دولاراً .

٤ - يتبين أيضاً أن الدول التي يقل دخل الفرد فيها عن ٣٦٥ دولاراً في العام (أي بمعدل دولار واحد في اليوم) عددها عشر دول . أما الدول التي يقل دخل الفرد فيها عن ٧٢٠ دولاراً في العام (أي بمعدل دولارين في اليوم فعددها ٢٣ دولة . أما الدول التي قل دخل الفرد فيها عن ١٩٥٠ دولار في العام (أي بمعدل ثلاثة دولارات في اليوم) عددها ٢٦ دولة . أما الدول التي قل دخل الفرد فيها عن ٢٠٠٠ دولار في العام ٣١ دولة.

أن نصيب الفرد من الناتج الوطني الإجمالي هو المعيار المستخدم لدى البنك الدولي لتصنيف اقتصاديات الدول بعامة وفي التمييز بين مختلف مراحل التنمية الاقتصادية . وعموماً يعتبر الدخل منخفضاً إذا كان ٦٩٥ دولاراً فأقل، ويوجد على مستوى العالم حوالي ٤٥ دولة تنطبق عليها هذه الصفة، منها ٢١ دولة إسلامية، أي حوالي النصف . كذلك يعتبر الدخل متوسطاً إذا كان يتراوح بين ٦٩٦ ، ٨٦٢٥ دولاراً، وينطبق ذلك على ٦٣ دولة على مستوى العالم، منها ١٧ دولة إسلامية .

ويعتبر الدخل مرتفعاً إذا بلغ ٨٦٢٦ دولاراً فأكثر، وينطبق ذلك على ٢٤ دولة في العالم، منها عدد ٤ دول إسلامية، هي الكويت والإمارات وبروناي وقطر (شكل رقم ٥) .

ويتبين أن متوسط الدخل الفردي من الناتج الوطني الإجمالي على مستوى العالم يبلغ ٤٤٢٠ دولاراً (١٣٢)، بينما متوسط الدخل الفردي من الناتج الوطني الإجمالي على مستوى الدول الإسلامية ٢٩٥٦,١ دولاراً (٤٣ دولة)، أي أن متوسط الدخل الفردي في الدول الإسلامية يساوي ٦٦,٨ ٪ من متوسط الفرد على مستوى العالم، وهذه ظاهرة غير صحية، بخاصة إذا لاحظنا أن هناك فروقاً كبيرة بين الدول الإسلامية .

فمتوسط الدخل الفردي من الناتج الوطني الإجمالي لعشر دول إسلامية مرتفعة الدخل يبلغ حوالي ٩٣٩٥ دولاراً (٢٣)، بينما يبلغ متوسط الدخل الفردي من الناتج الوطني الإجمالي لعشر دول إسلامية منخفضة الدخل حوالي ١٨٨ دولاراً، أي أن متوسط الدخل لدى عشر الدول الإسلامية منخفضة الدخل يبلغ ٢٪ من متوسط الدخل لدى الدول الإسلامية مرتفعة الدخل (٢٤). وهذه ظاهرة غير صحية . وتتميز الدول المرتفعة الدخل بأنها دول منتجة ومصدرة للنفط، ودولة واحدة أصبحت من دول النمور الآسيوية (ماليزيا)، حيث تطور إنتاجها تطوراً كبيراً في السنوات القليلة الماضية، بالإضافة إلى تركيا .

كما يلاحظ أن الدول الأكبر دخلاً هي الدول الأقل سكاناً (عدا تركيا)، والدول الأقل دخلاً هي الدول الأكثر سكاناً . وأن الدول الغنية مادياً فقيرة بشريًا والدول الغنية بالطاقة البشرية فقيرة مادياً، ولكن إذا أُحسن استغلال الفوائض المادية لدى الدول الإسلامية في مشروعات إنتاجية داخل الوطن الإسلامي مستغلين الطاقات البشرية الفائضة لديها، لزاد الإنتاج لهذه الأمة وزاد الدخل الفردي لدى الدول الفقيرة منها، ومن ثمَّ ارتفع مستوى المعيشة واستفادت الدول صاحبة الفوائض، وضاقت الفجوة الكبيرة بين دخول الدول الإسلامية، حيث يستفيد الجميع من إقامة هذه المشروعات بالتعاون والتكافل والتكامل بينها .

الديون الخارجية للدول الإسلامية :

أرتفع مستوى الديون الخارجية للدول الإسلامية، حيث زادت الديون بنسبة ٧٪ عام ١٩٩٣م في حين بلغ معدل خدمة الديون ١٦ ٪، وارتفع إلى ٢٠ ٪ عام ١٩٩٤م (البنك الدولي، ١٩٩٥م: ٢٥٢ - ٢٥٣) (جدول رقم ٦ وشكل رقم ٦).



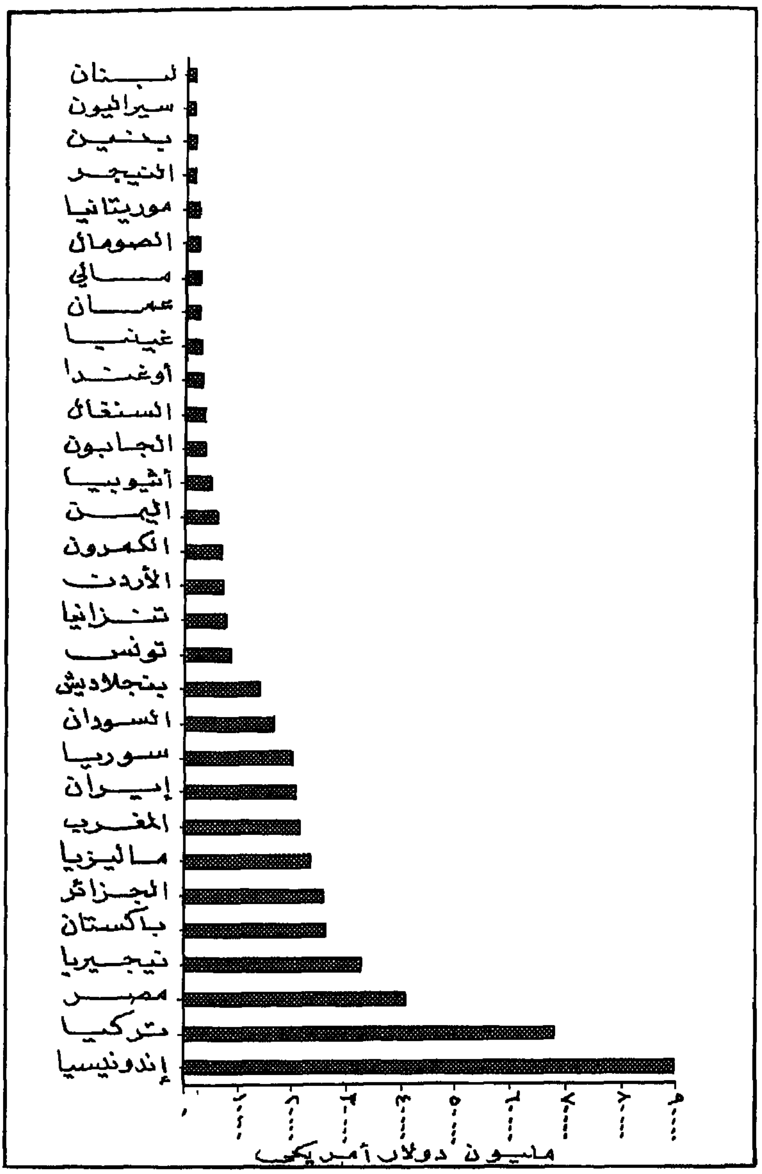
شكل (٤) صافي تحويلات العاملين في الخارج للدول الإسلامية لعام ١٩٩٣م

المصدر : البنك الدولي - ١٩٩٥م

(جدول رقم ٦) : مؤشرات الديون الخارجية للدول الإسلامية لعام ١٩٩٣م

البلد	الديون الخارجية بملايين الدولارات الأمريكية	إجمالي خدمة الدين بملايين الدولارات الأمريكية	مجموع الديون الخارجية		مدفوعات الفائدة كنسبة مئوية من صادرات السلع والخدمات	مجموع خدمة الديون كنسبة مئوية من صادرات السلع والخدمات
			كنسبة مئوية من صادرات السلع والخدمات	كنسبة مئوية من إجمالي الناتج الوطني		
أثيوبيا	٤,٧٢٩	--	--	--	--	--
ألبانيا	٧,٥٢٢	--	--	--	--	--
الأردن	٦,٩٨٢	٥٦٩	١٧٨,٥	١٤٢ر٩	٥ر٥	١٤ر٦
أفغانستان	--	--	--	--	--	--
الإمارات	--	--	--	--	--	--
إندونيسيا	٨٩,٥٣٩	١٣,٢٩٨	٢١٩,٤	٦٥ر٩	١١ر٣	٣٢ر٦
أوغندا	٣,٠٥٦	٣٠٢	١,٢٢٧,	٧٧ر٠	٢١ر٦	١٢١ر٣
إيران	٢٠,٥٥٠	١,٢٥٥	٢	--	٥ر٠	٧ر٢
باكستان	٢٦,٠٥٠	١,٤٦٠	١١٨,٥	٤٩ر٧	١٠ر٦	٢٤ر٧
البحرين	--	--	٢٦١,٣	--	--	--
بروناي	--	--	--	--	--	--
بنجلاديش	١٣,٨٧٩	٥٣٣	--	٥٦ر٣	٤ر٣	١٣ر٥
بنين	١,٤٨٧	٣٤	٣٥٢,١	٧٠ر٥	٣ر٤	٧ر٢
بوركينافاسو	١,١٤٤	٣٤	٣١٦,٥	٤١ر١	٣ر٦	٧ر٥
تركيا	٦٧,٨٦٢	٨,٦٠٠	٢٣٤,٨	٥٥ر٣	١٣ر١	٢٨ر٣
تشاد	٧٥٧	١٣	٢٢٣,٤	٦٤ر١	٥ر٢	٥ر٢
تونس	٨,٧٠١	١,٣٥٠	٤٥٢,٠	٥٩ر٩	٧ر٥	٢٠ر٢
الجابون	٣,٨١٨	١٤٧	١٣٠,٢	٨٠ر٣	٣ر٣	٦ر٠
جامبيا	٣٨٦	٢٨	١٥٤,٧	١١٠ر٢	--	--
نيجيريا	٣٢,٥٣١	--	--	--	--	--
الجزائر	٢٥,٧٥٧	٩,١٤٦	--	٥٧ر٤	١٥ر٠	٧٦ر٩
جيبوتي	٢٢٥	١٠	٢١٦,٦	٤٨ر٣	١ر٢	١ر٢
السعودية	--	--	٦٣ر٣	--	--	--
السنغال	٣,٧٦٨	١١٨	--	٦٨ر٣	٣ر١	٩ر٠
السودان	١٦,٥٦٠	٢٠	٢٨٨ر٢	--	--	--
سوريا	١٩,٩٧٥	٢٨٣	--	--	٣ر٤	٥ر٣
سيراليون	١,٣٨٨	٢٠	٣٧٤ر٧	٣١٨ر٨	٥ر٣	١١ر٩
الصومال	٢,٥٠١	--	٨٣٩ر٨	--	--	--
العراق	--	--	--	--	--	--
سلطنة عمان	٢,٦٦١	٦٠٧	--	٣٤ر٩	--	--
غينيا	٢,٩٦٤	٨٤	--	٩٤ر٠	٦ر١	١٢ر٧
غينيا بيساو	٦٩٢	٤	٤٣٥ر٥	٢٩٢ر٠	٥ر٨	١٠ر٠
فلسطين	--	--	٢٩١,٣ر ١	--	--	--
قطر	--	--	--	--	--	--
جزر القمر	١٨٤	٣	--	٦٦ر٨	١ر٢	٩ر٥
الكاميرون	٦,٦٠١	٤٤٤	--	٧١ر٨	٨ر٦	٢١ر٨
الكويت	--	--	٣٦١ر٧	--	--	--
لبنان	١,٣٥٦	١٣٥	٣٢٣ر٨	١٦ر٩	٤ر٣	٦ر٥
ليبيا	--	--	--	--	--	--
المالديف	١١٥	٨	٦٥ر٢	٦١ر٤	١ر٢	٣ر٨
مالي	٢,٦٥٠	٢٦	--	١٠٠ر٥	٢ر٥	٦ر١
ماليزيا	٢٣,٣٣٥	٤,٢٢٩	٥٢ر٢	٣٧ر٨	٢ر٤	٧ر٩
مصر	٤٠,٦٢٦	٢,٤٠٧	٦١٩ر٨	١٠٤ر٨	٨ر٥	١٥ر٢
المغرب	٢١,٤٣٠	٢,٦١٤	٤٣ر٨	٨١ر٧	١٢ر٥	٣٠ر٧
موريتانيا	٢,٢٠٣	١٢٥	٢٥٧ر١	٢٤٥ر١	١٠ر١	٢٧ر٣
النيجر	١,٧٠٤	٩٣	٢٥١ر٣	٧٨ر٦	٨ر٤	٣١ر٤
اليمن	٥,٩٢٣	١٢٠	٤٧٨ر٤	٥٦ر٤	٢ر٦	٧ر٥

المصدر : البنك الدولى ١٩٩٥م - البنك الإسلامى للتنمية ٩ - ١٩٩٥م (-) غير متوافر



شكل (٦) الديون الخارجية

المصدر: البنك الدولي ١٩٩٢م

ومن الجدول رقم (٦) يتبين لنا مايلي :

١ - أن هناك عشر دول إسلامية لايتوافر عنها أي مؤشرات للديون الخارجية، وقد يرجع ذلك إلى أن بعضها غير مدين، كالدول الخليجية النفطية - الإمارات والبحرين ... إلخ، والبعض الآخر قد يكون مديناً ولكن لاتتوافر عنها بيانات لظروفها الاستثنائية مثل : العراق وأفغانستان .

٢ - يبلغ مجموع ديون ٣٧ دولة إسلامية حوالي ٤٧١٥٠١ مليون دولار أمريكي، أي بمتوسط يبلغ ١٢٧٤٣,٢٧ مليون دولار أمريكي لكل دولة.

٣ - أكبر الدول المدينة هي : أندونيسيا بمبلغ ٨٩,٥٣٩ مليون دولار، ثم تركيا بملبغ ٦٧٨٦٢ مليون دولار، فمصر بمبلغ ٤٠٦٢٦ مليون دولار، فنيجيريا بمبلغ ٣٢٥٣١ مليون دولار، فالجزائر بمبلغ ٢٥٧٥٧ مليون دولار .

٤ - أصغر الدول المدينة هي المالديف بمبلغ ١١٥ مليون دولار، ثم جزر القمر بمبلغ ١٨٤ مليون دولار .

٥ - يلاحظ أن بعض الدول النفطية مدينة مثل : الجزائر ونيجيريا وإيران وأندونيسيا، والجابون، وذلك يرجع لظروف طارئة غير عادية، مثل : الحروب أو التنمية الطموحة أو مشكلات التصدير والإنتاج . عموماً فإن وجود دول منتجة ومصدره للنفط ومدينة، يعد ظاهرة غير طيبة .

٦ - إجمالي خدمة الدين لـ ٣٣ دولة يبلغ ٤٩١٢٨ مليون دولار أمريكي، أي بمتوسط يبلغ ١٤٩١,٤ مليون دولار لكل دولة .

٧ - أكبر دولة لها نصيب في خدمة الدين هي : أندونيسيا بمقدار ١٣٢٩٨ مليون دولار، تليها الجزائر بمبلغ ٩١٤٦ مليون دولار، فتركيا بمبلغ ٨٦٠٠ مليون دولار أمريكي .

٨ - متوسط مجـموع الديون الخارجية كنسبة مئـوية من صادرات السلع والخدمات هي٢ , ٣٨٠ ٪، وأكبر نسبة لأوغندا (١٢٢٧ ٪)، ثم غينيا بيساو(٣ , ١٩٢١٪)، ثم سيراليون(٨ , ٨٣٩٪)، ومـالي(٨ , ٦١٩٪)، بينما أقــل نسبــة لماليزيـا (٨ , ٤٣ ٪)، والمالديف (٢ , ٥٢٪)، ثم لبنان (٣ , ٦٥ ٪) .

٩ - يبلغ مـتوسط مـجـموع الدين الخـارجي كنسـبة من إجـمـالي الناتج الوطني ٩ , ٨٦٪، وأن أكبـر نسبـة من نصيب غـينيا بيـساو (٢٩٢ ٪)، وموريتـانيا (١ , ٢٤٥ ٪)، وسيراليون (٨ , ٢١٨٪)، والأردن (٩ , ١٤٢٪)، والجابون (٢ , ١١٠ ٪)، وأقل نسبة لبنان (٩ , ١٦ ٪) .

١٠- يبلغ متـوسط مدفوعـات الفائدة كنسبة مـئوية من صادرات السلع والخـدمات ٥٥ , ٦٪، وكـانت أكـبر نسـبـة لأوغندا (٦ , ٢١ ٪)، والجزائر (١٥ ٪)، والمغرب (٥ , ١٢ ٪)، وتركيا (١ , ١٣ ٪)، وأقل نسبة لجيبوتي (٢ , ١٪)، وجزر القمر (٢ , ١ ٪)، والمالديف (٢ , ١٪)، واليمن (٦ , ٢ ٪) .

١١ - يبلغ متوسط مجموع خدمة الدين كنسبة مئوية من صادرات السلع والخدمات ٢ , ١٩ ٪، وكانت أكبر نسبة لأندونيسيا (٣ , ١٢١٪)، فالجزائر (٩ , ٧٦ ٪)، وأقل نسبة المالديف (٨ , ٣ ٪)، وجيبوتي (٢ , ١ ٪)، وسوريا (٣ , ٥ ٪)، وجزر القمر (٩ , ٥ ٪) .

من هذا المنطق يتـضح لنا أن الدول الإسـلامـيـة النفطيـة لديها الكـثيـر من الفوائض المالية، وأنها ذات قدرة محدودة على اسـتيعابها، كما أن النفط هو المصدر الرئيس لهذه الأموال، وأن الدول الإسلامـية غير النفطية لديها عجز دائـم ومستمر في موازين مدفوعاتها وموازينها التجارية ولكن لديها من الإمكانات مايجعلها قادرة على استيعاب فوائض الأموال الإسلامـية، كما وضح لنا أن بعض الدول الإسلامية تحصل على عوائد مالية من تحويلات المواطنين العاملين في الخارج، حيث إن الدول المصدرة للعمالة الإسلامية هي الدول الفـقيرة، والدول المستوردة للعمالة هي الدول

النفطيـة ذات الفوائـض المالية. كـما يـتبين لنا أن نصـيب الفـرد من الناتج الوطني منخفض لكل الدول الإسـلامية عدا الدول النفطيـة الإسلامية . أما بالنـسبة لديون العالم الإسلامي، فنجـد أن كل الدول الإسلامية مدينـة، عدا الدول النفطية (وإن كان يستثنى من ذلك عدد قليل منها) .

لهذا فإننا نرى أن من صالح العالم الإسلامي أن يتم استغلال الفوائض المالية الخاصة بالدول النفطية داخل الدول الإسلامية، وذلك من أجل إجراء تنمية اقتصادية في إطار التكامل الاقتصادي ولضمان عدم تعرض هذه الأموال للمخاطر لدى الدول الأوروبية والولايات المتـحدة الأمـريكية، ويوم الاثنين الأسود ليـس ببعيـد، حيث حـدث انهيـار في البـورصة (يوم الاثـنين الموافق ١٩/ ١٠/ ١٩٨٧م)، ونتج عنه خسائـر للأسهم تقدر بحوالي ٥٠٠ مليـار دولار،وقدر نصيب الدول العربيـة منها بحوالي ٦٠ مليـار دولار . كذلك تحملـت بعض الدول العربية خـسائر كبـيرة في انهـيــار بـنك الاعـتــمــاد والتــجــارة الدولـي في أواخــر عــام١٩٩١م (الخضراوي،١٩٨٨م٣٧).

إن انسياب رؤوس الأمـوال الإسلامية داخل الوطن الإسلامي فيـه الكثير من الفوائـد الاقتصـادية والاجتـماعيـة والتنموية لـهذه البلاد، حـيث إن بعض الدول الإسلاميـة لديها إمكانات كبيرة في مـجال الاستثمار في الزراعـة، والبعض الآخر لديه إمكانات الاستثمار في مجـال الصناعة، ولاينقص هذه الدول الإسلامية سوى رؤوس الأموال اللازمة لتمويل هذه القطاعات الرئيسة من أجل التنمية والنمو، ومن ثمَّ فـإن في انسـيـاب هذه الفـوائض من الدول ذات الفـائض للدول ذات العـجـز والاستعـانة بالعمالة اللازمة لاسـتثمار هذه الإمكانات من دولة أخـرى، لهو الواقع الحقيقي لقيام تكامل اقتصادي بين الدول الإسلامية، ومن ثمَّ نحد من العجز الدائم والمستمـر في موازين المدفوعات للدول الإسلاميـة، وكذلك نحد من ازدياد الديون وإمكانية تسـديدها، حيث سيـرتفع الناتج الوطني للدول الإسلامـية ومن ثمَّ يرتفع الدخل الفردي للمواطنين في العالم الإسلامي .

خامساً : الموارد الأخرى :

١ - الزراعـــــة :

تعتـمد معظم الدول النامـية - ومنها الدول الإسـلامية - أساسـاً على إنتاج القطاع الزراعي، ويعـرقل تخلف هذا القطاع سيـر التنمـية في القطاعـات الأخرى ويهدد سلامة النشاط الاقتصادي العام، لذا احتلت خطط التنمية في القطاع الزراعي مكان الصدارة في خطط التنمية الشاملة في البلاد النامـية بخاصة بعد ظهور مشكلة تزايد السكان وتفاقم مشكلة نقص الغذاء وزيادة الطلب على المواد الأولية الزراعية، بالإضافة إلى التصنيع في البلاد النامية يعتمد أساساً على المنتج والخامات الزراعية .

والواقع أن هناك ارتباطاً كبيراً بين التنمية الزراعية والتنمية الصناعية وأن تطور كل منها شرط أساس لنجاح وتطور الآخـر، حيث إن في تطور الصناعة فائدة تعود على تطور الزراعـة بتزويدها بالمعـادن والآلات ومسـتلزمات الإنـتاج، كـالجرارات والأسمدة والمبيدات الحـشرية، بجانب تصنيع المنتجات الزراعية وامـتصاص العمالة الزراعية الزائدة عن الحاجة والي تمثل نسبة كبيرة من البطالة المقنعة والموسمية .

كما أن تنمـية القطاع الزراعي تعود بالفائدة على القطاع الـصناعي من ناحية توفير الخامات والمواد الأولية للتـصنيع، وكذا المواد الغذائية اللازمة للسكان والعاملين بقطاع الصناعة، وتوفير العملات الحرة اللازمة لاستيراد المواد الغذائية من الخارج .

ويواجه الكثيـر من البلاد صعوبات كبيـرة لتحقيق التنمية الزراعـية الشاملة، لاعتمـادها على مواردها الذاتية وعدم توافر إطار تكاملي مع دول أخـرى يمكن معه تحقيق معدلات عالية من النمو في هذا المجال .

تباين الإمكانات الزراعية :

من الملاحظ أن البلاد الإسـلامية تتبـاين لديها الإمكانات الزراعية، فـمعظم الدول الإسلاميـة النفطية تفتقر إلى هذه الإمكانات، عـلى عكس بعض الدول غير

النفطية والتي تتوافر لديها الإمكانات الزراعية . لكن إذا نظرنا للأمة الإسلامية ككل نجدها ذات وفرة للموارد الطبيعية المختلفة، مما يسهل عملية التخصص في العمل بينها، وذلك في حالة ما إذا قامت بإجراء تكامل اقتصادي وقطعت فيه شوطاً كبيراً، حيث تستطيع هذه الأمة أن تخطو قدماً نحو التنمية الاقتصادية الكاملة باستغلال المميزات النسبية لكل دولة .

كما تتوافر لدى بعض الدول الإسلامية مساحات من الأراضي القابلة للزراعة ولم تستغل بعد، وتبلغ مساحتها حوالي ٨٠ مليون هكتار، وهي تمثل ٨٥,٤ ٪ من جملة المساحة الصالحة للزراعة في هذه البلاد .

القيمة المضافة في الزراعة :

بلغت جملة القيمة المضافة في الزراعة لدى الدول الإسلامية عام ١٩٩٣م حوالي ١٥١٠٧٤ مليون دولار أمريكي، أي بمتوسط حوالي ٤٥٧٨ مليون دولار للدولة الواحدة، وبذلك ارتفعت القيمة المضافة عن عام ١٩٨٠م بحوالي ١٥ ٪ حيث كانت عندئذٍ ١١٦٧٢٨ مليون دولار [٢٥] .

وتبين أن هناك مفارقات كبيرة بين الدول الإسلامية في القيمة المضافة في الزراعة، حيث إن أربع دول منها وهي : أندونيسيا وإيران وتركيا ونيجيريا تبلغ القيمة المضافة لها عام ١٩٩٣م حوالي ٥٧,٥ ٪ من جملة القيمة المضافة للدول الإسلامية سالفة الذكر، وإذا ما أضيفت لها أربع دول أخرى وهي : بنجلاديش ومصر والجزائر وماليزيا، فإن القيمة المضافة للدول الثمانية تبلغ ٧٣,٧٪ من جملة القيمة المضافة للدول الإسلامية، وهذا يدل على انخفاض القيمة المضافة لباقي الدول الإسلامية، ومنها دول حققت انخفاضاً كبيراً، كغامبيا التي حققت ٨٣ مليون دولار وغينيا بيساو ١٠٨ مليون دولار، والكويت ١١٠ مليون دولار، وعُمان ٣٧٤ مليون دولار والجابون ٤٤٧ مليون دولار، ومن المعروف أن الدول الثلاث الأخيرة هي من الدول المنتجة والمصدره للنفط (الجدول رقم ٧، والشكل رقم ٧) .

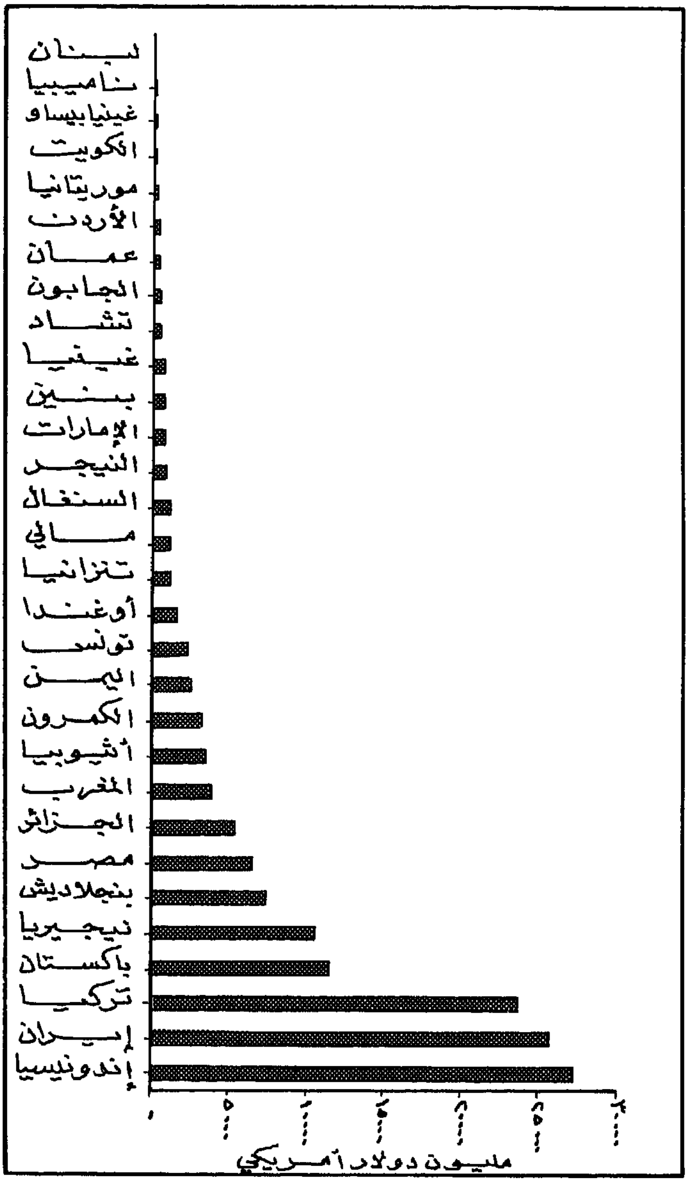
(جدول رقم ٧) : القيمة المضافة في الزراعة « بملايين الدولارات »

المصدر : البنك الدولي : مؤشرات اقتصادية، ١٩٩٥م .

الدولة / السنة	١٩٩٣م	١٩٨٠م
تنزانيا	١١٦٨	٢٠٣٠
أثيوبيا	٣٤٧٦	٢٦١٧
سيراليون	٠٠	٣٣٤
أوغندا	١٥٩٩	٨٩٢
تشاد	٤٩٤	٣٨٨
بنجلاديش	٧٣٠٦	٦٤٢٩
غينيابيساو	١٠٨	٤٧
مالي	١١٢٨	٩٥١
النيجر	٨٥٥	١٠٨٠
بوركينا فاسو	٠٠	٥٤٨
نيجريا	١٠٥٠٥	٢٤٦٧٣
غامبيا	٨٣	٦٤
بنين	٧٦٠	٤٩٨
باكستان	١١٥٠٠	٦٢٧٩
غينيا	٧٥٩	٠٠
موريتانيا	٢٣٨	٢٠٢
مصر	٦٣٩٦	٣٩٩٣

الدولة / السنة	١٩٩٣م	١٩٨٠م
اليمن	٢٥١١	٠٠
أندونيسيا	٢٧١٨٩	١٨٧٠١
السنغال	١١٢٦	٥٦٨
الكمرون	٣١٧٠	٢٠٨٩
المغرب	٣٨٠٩	٣٤٦٨
الأردن	٣٥٣	٠٠
تونس	٢٢٨٧	١٢٣٥
الجزائر	٥٣٦٦	٣٤٥٣
تركيا	٢٣٦٠٩	١٢١٦٥
إيران	٢٥٦٥٣	١٦٢٦٨
ماليزيا	٠٠	٥٣٦٥
عُمان	٣٧٤	١٥٢
الجابون	٤٤٧	٢٨٩
السعودية	٠٠	١٦٧٥
الكويت	١١٠	٥٢
الإمارات	٧٧٣	٢٢٣

المصدر : البنك الدولي ، مؤشرات اقتصادية ، ١٩٩٥م



شكل (٧) القيمة المضافة في الزراعة لعام ١٩٩٣م

المصدر: البنك الدولي ١٩٩٥م

كما لوحظ أن هنــاك دولتين انخفضت القيمــة المضافة لهمــا في الزراعة عام ١٩٩٣م عن ما كانت عــليه عام ١٩٨٠م، وهما نيجــيريا والنيجر حــيث كانت في حوالي ٢٤٦٧٣ مليون دولار عام ١٩٨٠م، وانخـفضت إلى ١٠٥٠٥ مليون دولار عام ١٩٩٣م، وبذلك بلغت نســبة الانخفــاض حوالي ٥٧,٤ ٪، وذلك للأحداث السياسية والاضطرابات الداخلية التي شهــدتها، وكذلك في النيجر حيث كانت عام ١٩٨٠م حوالي ١٠٨٠ ملــيون دولار وأصبــحت عام ١٩٩٣م حوالــي ٨٥٥ مليون دولار، أي انخفضت القيمة المضافة بحوالي ٢٠,٨ ٪، وهذا مؤشر سلبي .

ومما سبق يتضح لنا أن الدول الإســلامية لديها مساحــات كبيرة من الأراضي الزراعيــة الصالحــة للزراعة ولكن لايتم زراعــتها بالكامل . أمــا الأراضي التي يتم زراعتها فــإنها تزرع بالطرق البدائية، ومن ثمَّ فإن الناتج العــام لها منخفض رغم أن معظم سكان هذه الدول يعملون بالزراعة .

معدل مساهمة الزراعة في الناتج المحلي الإجمالي :

بلغ إجمــالي الناتج المحلي الإجمالي للدول الإســلامية عــام ١٩٩٣م حوالي ٩٤٥٧٩٥ دولار (٢٦)، ويبلغ متوسط الناتج المحلي الإجــمالي على متوسط الدولة الواحدة حوالي ٢٨٦٦٠,٤٥ مليون دولار، ويلاحظ أن هناك مفارقــات كبيرة بين الدول الإسلامية في الناتج المحلي الإجــمالي، البعض منها حقق نتائج كــبيرة، مثل تركيا حــيث بلغ الناتج المحلي الإجمالي لها حوالي ١٥٦٤١٣ مليــون دولار، يليها أندونيســيا حوالي ١٤٤٧٠٧ مليــون دولار، ثم السعودية حــوالي ١٢١٥٣٠ مليون دولار، ثم إيران حوالي ١٠٧٣٣٥ مليــون دولار، بينما توجد دول إسلامــية أخرى لم تحقق إلا القليل، مــثل : غينيا بيــساو ٢٤١ مليون دولار ونامــيبيــا ٣٠٣ مليون دولار وسيراليون ٦٦٠ مليون دولار (الجدول رقم ٨ ، والشكل رقم ٨) .

أما عن قطــاع الزراعة، فقــد حقق على مــستوى الدول الإســلاميــة حوالي ٢٧,١٪ من الناتج المحلي الإجــمالي عام ١٩٩٣م، وهذه نســبة قليلة وظاهرة غــير

صحية إذا ماعلمنا بأن الدول الإسلامية دول زراعية، وتعتمد على الزراعة في إنتاجها الوطني، وأن معظم سكانها يعملون بالزراعة، حيث تصل نسبة العاملين في الزراعة أكثر من نصف تعداد السكان في بعض هذه الدول .

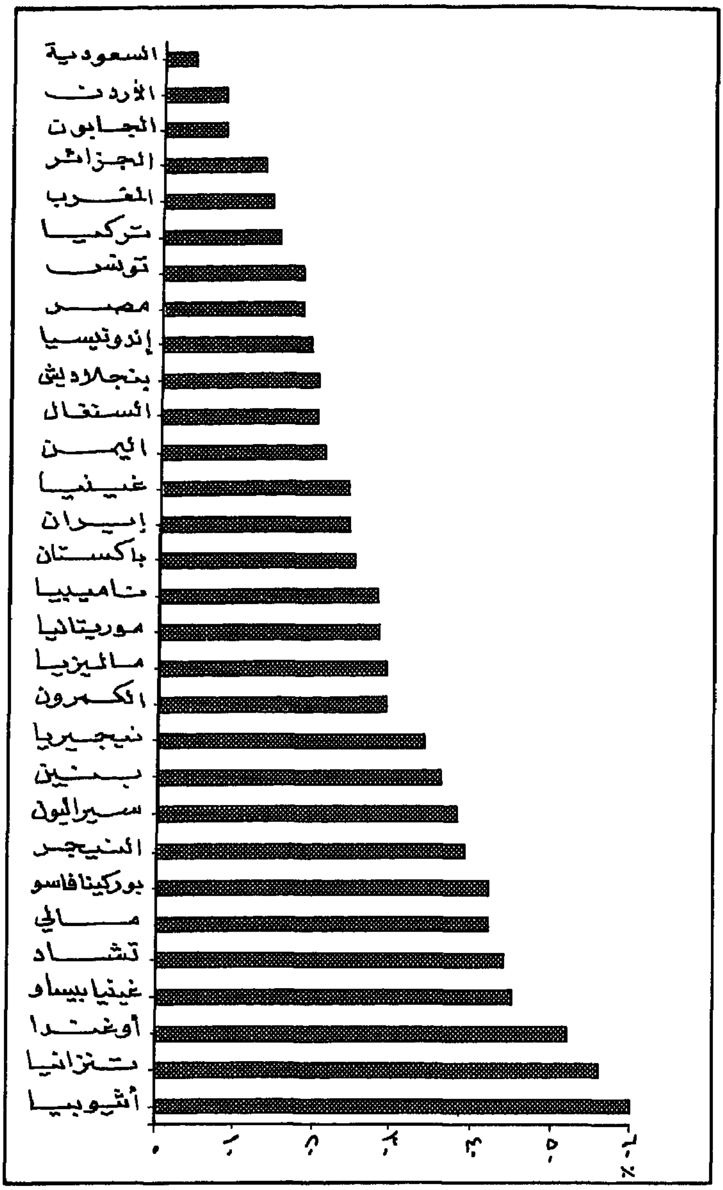
كما يلاحظ أن بعض الدول الإسلامية قد ساهم قطاع الزراعة لديها بنسب ضئيلة في الناتج المحلي الإجمالي عام ١٩٩٣م، كالإمارات ٢٪، وعُمان حوالي ٣٪، والأردن والجابون ٨٪، بل أن الكويت لم يساهم قطاع الزراعة فيها بشيء يذكر في ذلك العام .

(جدول رقم ٨) : نصيب الزراعة من توزيع الناتج المحلي الإجمالي (٪) عام ١٩٩٣م في بعض الدول الإسلامية

الدولة	الناتج المحلي (ملايين الدولارات)	نصيب الزراعة (٪)	الدولة	الناتج المحلي (ملايين الدولارات)	نصيب الزراعة (٪)
تنزانيا	٢٠٨٦	٥٦	اليمن	١١٩٥٨	٢١
أثيوبيا	٥٧٥٠	٦٠	أندونيسيا	١٤٤٧٠٧	١٩
سيراليون	٦٦٠	٣٨	السنغال	٥٧٧٠	٢٠
أوغندا	٣٠٣٧	٥٢	الكمرون	١١٠٨٢	٢٩
تشاد	١١٣٣	٤٤	المغرب	٢٦٦٣٥	١٤
بنجلادش	٢٣٩٧٧	٢٠	الأردن	٤٤٤١	٨
غينيابيساو	٢٤١	٤٥	تونس	١٢٧٨٤	١٨
مالي	٢٦٦٢	٤٢	الجزائر	٣٩٨٣٦	١٣
النيجر	٢٢٢٠	٣٩	تركيا	١٥٦٤١٣	١٥
بوركينا فاسو	٢٦٩٨	٤٢	إيران	١٠٧٣٣٥	٢٤
نيجريا	٣١٣٤٤	٣٤	ماليزيا	٦٤٤٥٠	٢٩
غامبيا	٣٠٣	٢٨	عُمان	١١٦٨٦	٣
بنين	٢١٢٥	٣٦	الجابون	٥٤١٠	٨
باكستان	٤٦٣٦٠	٢٥	السعودية	١٢١٥٣٠	٤
غينيا	٣١٧٢	٢٤	الكويت	٢٢٤٠٢	صفر
موريتانيا	٨٥٩	٢٨	الإمارات	٣٤٩٣٥	٢
مصر	٣٥٧٨٤	١٨			

المصدر : تقرير البنك الدولي ، ١٩٩٥م ، ص : ٢١٨-٢١٩.

الإحصائية خاصة بعام ١٩٩٣م عدا ثلاث دول عام ١٩٧٠م وهي : بوركينافاسو وماليزيا والسعودية .



شكل (٨) نصيب الزراعة من توزيع الناتج المحلي الإجمالي للدول الإسلامية (نسبة مئوية) لعام ١٩٩٣م

المصدر: البنك الدولي ـ ١٩٩٥م

ويلاحظ أن هذه الدول الأخيرة نفطية (عدا الأردن)، ومن ثمَّ تركز اهتمامها على إنتاج وتصدير النفط .

وكما توجد دول ارتفعت فيها نسبة مساهمة قطاع الزراعة في الناتج المحلي الإجمالي إلى مستوى كبير، مثل أثيوبيا ٦٠٪، وتنزانيا ٥٦٪، وأوغندا ٥٣٪، وغينيا بيساو ٤٥٪، وتشاد ٤٤٪ . ويلاحظ أن هذه الدول هي من الدول الأقل دخلاً والأكثر فقراً في الدول الإسلامية، وأن تركيزها في الإنتاج ينصب على قطاع الزراعة بصفة أساسية، نظراً لعدم وجود نشاط آخر يعمل فيه المواطنون ولديهم الخبرة فيه مثل خبرتهم في قطاع الزراعة، ومن ثمَّ نجد أن هناك بطالة مقنعة وموسمية بنسب كبيرة لدى هذه الدول . كما أن نصيب الفرد الواحد في هذه الدول من الناتج المحلي الإجمالي متدنٍ حيث يبلغ في أثيوبيا حوالي ١١٠,٧ دولاراً، وتنزانيا حوالي ٧٤٥ دولاراً وغينيا بيساو حوالي ٢٤١ دولاراً .

متوسط نصيب الفرد من الناتج الزراعي :

بلغ متوسط نصيب الفرد من الناتج الزراعي في الدول الإسلامية عام ١٩٩٤م حوالي ٢٨١ دولاراً . ويلاحظ أن هناك تفاوتاً كبيراً في متوسط نصيب الفرد من الناتج الزراعي، فنجد أن أعلى معدل للناتج الزراعي في العراق، حيث وصل نصيب الفرد عام ١٩٩٤م إلى حوالي ١٣٥٩ دولاراً، بينما أقل نصيب حصل عليه الفرد في العام نفسه في جيبوتي حيث وصل إلى حوالي ٢٢ دولاراً فقط . أما الدول التي يتراوح المتوسط لديها فوق ٢٠٠ دولار، فهي ليبيا والإمارات والسعودية وسوريا وتونس ولبنان والمغرب، أما باقي الدول الإسلامية فهي دون ذلك (جدول رقم ٩) .

العمالة الزراعية :

سكان الريف في بعض الدول الإسلامية يمثلون ٤٨٪ من مجموع السكان، حيث يعتمد معظمهم على الزراعة كمورد رزق أساس . وقد بلغت جملة العمالة الزراعية في هذه الدول حوالي ٣٦ ٪ من القوى العاملة الكلية عام ١٩٩٣م، وذلك بانخفاض ٢٪ عن عام ١٩٩٠م، وذلك يرجع للهجرة من الريف للمدن وانخفاض أجور العمل في الزراعة، بالإضافة إلى هجرة الكثير منهم للعمل لدى الدول الأخرى . وقد ارتفعت هذه النسبة لدى بعض الدول الإسلامية، حيث بلغت ٣٪ في العراق ولبنان عام ١٩٩٣م مقارنة بعام ١٩٩٠م، وكذلك ارتفعت بنسبة ٢ ٪ في المغرب وتونس ومصر واليمن .

ويشغل عمال الزراعة نسبة كبيرة من إجمالي العمالة في القطاعات الاقتصادية الأخرى، ويختلف ذلك من دولة لأخرى، وتواصل هذه النسبة الارتفاع حتى تصل إلى ثلثي القوى العاملة في موريتانيا والصومال، بينما يمثلون نصف القوى العاملة في اليمن والسودان، وحوالي ٣٩ ٪ في مصر، ٣٧ ٪ في السعودية، ٣٤٪ في المغرب، ١٨٪ في العراق . ولاتتجاوز هذه النسبة ٣٪ في الدول الإسلامية ذات الإمكانات الزراعية المحدودة، مثل الإمارات والبحرين والكويت وقطر (البنك الدولي، ١٩٩٥م : ٢٢٣) .

الفجوة الغذائية :

يلاحظ أن الإنتاج والاستهلاك من القمح والأرز والذرة والشعير في بعض البلاد الإسلامية يحقق عجزاً كبيراً في الإنتاج عن معدل الاستهلاك، وقد أدى ذلك إلى وجود فجوة غذائية في معظم هذه السلع بلغت قيمتها في المتوسط حوالي ١٢,٥ مليار دولار خلال الفترة ١٩٨٥ - ١٩٩٠م . وتقدر قيمة تلك الفجوة عام ١٩٩٣م بحوالي ١١ مليار دولار . وينتج عن ذلك زيادة العبء على موازين المدفوعات لمعظم الدول الإسلامية، وبخاصة الدول ذات الدخل المنخفض والتي تضطر أحياناً لتخصيص جزء كبير من أرصدتها بالعملة الأجنبية لاستيراد تلك السلع على حساب مشروعات التنمية والاستثمار الوطني .

(جدول رقم ٩) : متوسط نصيب الفرد من الناتج الزراعي

الدولـــة	الناتج الزراعي (مليون دولار)			نصيب الفرد من الناتج الزراعي بالدولار ١٩٩٤م
	١٩٩٣م	١٩٩٤م	نسبة التغيير ٩٣ - ٩٤٪	
نصيب الدول الإسلامية	٦٤٫٩٤٢	٦٨٫٨٨٥	٦٫١	٢٨١
الأردن	٣٩٥	٤١٢	٤٫٣	١٠١
الإمارات	٨٦	٩٢٧	٧٫٨	٣٨٨
البحرين	٤٩	٤٩		٨٨
تونس	٢٫٢٨٧	٢٫١٩٦	- ٤٫	٢٥٢
الجزائر	٥٫٤١٤	٤٫٠٤٥	-٢٥٫٣	١٤٨
جيبوتي	١٢	١٢	٠٫٠	٢٢
السعودية	٨٫٠٧٠	٨٫٤٤١	٤٫٦	٤٧٣
السودان	١٫٩١٣	٢٫٠٦٢	٧٫٨	٧١
سوريا	٤٫٠٩٣	٤٫٣٥١	٦٫٣	٣١٥
الصومال	--	--	--	--
العراق	٢٥٫٤٣٧	٢٧٫٠٤٧	٦٫٣	١٫٣٥٩
عُمان	٣٧٤	٣٧٤	٠٫٠	١٧٩
فلسطين	--	--	--	--
قطر	٧٧	٧٩	-٢٫٦	--
الكويت	٦٧	٧٢	٧٫٥	٤٩
لبنان	٤٩٠	٦٦٠	٣٤٫٧	٢٢٦
ليبيا	٢٫٨ ٩	٢٫٧٣٥	٢٫٦	٥٥٨
مصر	٧٫٤٣٩	٨٫٣٧٧	١٢٫٦	١٤٥
المغرب	٤٫ ٣٩	٦٫٠٥٥	٤٩٫٩	٢٢٨
موريتانيا	٢٢٢	٢٤٠	٨٫١	١٠٨
اليمن	٨٩٤	٧٥٠	١٦٫١	٥٦

المصدر : البنك الدولي ، ١٩٩٥م .

(-) = غير متوافر .

وترجع هذه الظاهرة لعـدة عوامل، منها انخـفاض إنتاجيـة المحاصيل بعـامة والحبـوب بصفة خـاصة عن حاجـة الاستهـلاك، والزيادة المضطردة في السكان مما يضطر هذه الدول إلى الاستـيراد من الدول الأجنبية وذلك رغم أنهـا دول زراعية. كذلـك نلاحظ أن بعض الدول الإسلامـية مـازالت بدائية في عـملية الزراعـة ولم يحدث أن تمت ميكنة الزراعة في الدول الإسـلامية بالكامل حتى الآن، ولم تدخل التكنولوجيا والهندسة الوراثية فـي الزراعة حتى الآن إلا بنسب بسيطة، وبذلك نجد أن هناك مجالات واسعـة لدى الدول الإسلامية للارتفاع بمستوى إنتاجـيه المحاصيل الزراعيـة بوجه عام، وذلك بإدخـال بعض التحسـينات الفنية على أسـاليب الإنتاج الزراعي وتحسين الأراضي الضعـيفة والاهتمام بمشروعات الري والصـرف واستخدام الأساليب العلمية الحديثة .

ولذلك نجد أن الصادرات الزراعية لبعض الدول الإسـلامية قد انخفضت عام ١٩٩٣م بنسبة ٢ ٪ تقريبـاً عن العام السابق، حـيث بلغت حوالي ٥,٢ مليارات دولار، وذلك يرجع لانخفاض أسعار السلع الغذائيـة في الأسواق العالمية، والقيود الجمـركيـة الي تفرض على السـلع المستوردة، والمـنافسة الـعالمية لـصادرات الدول الإسلاميـة، وتعامل التكتلات الدولية مع بعض الدول دون البـعض الآخر، وعدم التنسـيق بين الدول الإسلامـية في عمـليات التصـدير مما يحدث تنـافساً بينـها في الأسواق العالمية، كذلك عدم إتقان عمليـة التغليف والتجهيز النهائي للمنتج وحسن دراسة الأسواق العـالمية، وعدم رفع الكفاءة الإنتاجيـة للسلع المصدرة ومن ثمَّ عدم ارتفاع جودتها .

ومن ناحـية أخـرى، ارتفـعت قيـمة الواردات الـزراعيـة لدى بعض الدول الإسلامية خلال عام ١٩٩٣م بنسبة ١,٤ ٪ وبلغت مليار دولار ولهذا سجل الميزان التجـاري الزراعي لهذه الدول تراجـعاً ملحـوظاً خلال عام ١٩٩٣م، حـيث ارتفع العجز بمعدل ٢,٣ ٪ ليبلغ ماقيمته ١٩,١ مليار دولار، حيث أن الصادرات لاتمثل سوى ٢١ ٪ من قيمـة الواردات، باستثناء موريتانيـا والسودان، ولم تحقق أي دولة إسلامية فائضاً في ميزانها التجاري للسلع الزراعية خلال ذلك العام .

وتتميز الدول الإسلامية بتوافر المواد الخام اللازم لإقامة صناعات الآلات الزراعيــة كالجرارات وآلات الحـرث والري والحصاد، كـما تتوافـر لديها المواد الأولية التي تدخل في تصنيع مـستلزمات الإنتاج الـزراعي، كالأسمدة والمبـيدات الحشرية، إلا أن حـاجة الدول الإسلاميـة أكبر مما هو متوافـر لديها الآن، ومن ثمَّ تعمل على استيراد كميات كبيرة من المدخلات الصناعية وكذا الأسمدة والمبيدات .

٢ - الصناعــة :

إن اقتصاد الدول الإسلامية في مجموعه اقتصاد متخلف أو نامٍ، ويتمثل ذلك في الارتفاع الكبير فـي نسبة المشتغلين بالأنشطة الأولية كـالزراعة، وفي الانخفاض الكبير في نسبة المشتغلين بالنشاط الصناعي، بخـاصة في مجال الصناعات التحويلية فضــلاً عن انخفاض الكفاية الإنتـاجية وبدائيـة الأدوات المستخدمـة في الإنتاج مع انتشار الأمية .

سياسة إحلال الواردات :

لقد قطعت الدول الإســلامية شوطاً كـبيراً في التـصنيع في ظل استراتيجـية إحلال الواردات، غـير أن سيـاسة إحلال الواردات سـرعان ما كـشفت عن بعض الجوانب السلبية التي تتمثل في تضاءل فرص التنمـية الصناعية لصغر حجم الأسواق المحلية، ومعـالجة مشكلة البطالة الهيكلية وتخـفيض درجة اعتماد الدول الإســلامية على العالم الخـارجي وتصدير واستيـراد أو توفير فرص الاسـتثمار المنتج المـضمون لدول الفائض .

ولقد سارت الصناعــة في الدول الإسلامية على أساس سد الحـاجات المحلية المتـزايدة وإحلال الواردات، فـقامت وحدات إنـتاجيـة صغـيرة الحـجم في الفنون الإنتاجية، مسـتخدمة الأيدي العاملة غير الفنية والتي تعمل بالأســاليب العقيمة في الإنتاج .

ونظراً لضعف القدرة الشرائية لغالبية المستهلكين المحليين، بالإضافة إلى ضيق وصغر حجم السوق، فقد أدى ذلك إلى تشغيل الصناعات بأقل من طاقتها الاقتصادية حتى ارتفعت نسبة الطاقات العاطلة في معظم البلدان الإسلامية مابين ٢٥ ٪ ، وبلغت ٥٠ ٪ لعدد قليل من البلاد الإسلامية، بينما لم تستطيع الدول النفطية تطوير قطاع محلي للصناعة التحويلية، وذلك لاعتمادها على فائض عوائد النفط في سد حاجتها المتزايدة بالاستيراد من الخارج، أو بسبب ضعف الطاقات الاستيعابية والتي تقف حائلاً أمام قيام صناعة تحويلية ناجحة .

قيمة مساهمة الصناعة في الناتج المحلي الإجمالي :

يتكوّن القطاع الصناعي لدى الدول الإسلامية من الصناعة الاستخراجية - وهي عنصر رئيس بخاصة للدول النفطية - والصناعة التحويلية . وعادة مايتأثر نشاط القطاع الصناعي بشكل كبير بأي تغيرات تحدث في الصناعة الاستراتيجية، بخاصة النفط والغاز الطبيعي، حيث إنهما يساهمان بقدر كبير في ناتج القطاع الصناعي .

وقد ساهمت الصناعة بنسبة ٢٨,٣ ٪ من قيمة الناتج المحلي الإجمالي للدول الإسلامية عام ١٩٩٣م، وكانت الدول التي ساهمت الصناعة فيها بأكبر نسبة في الناتج المحلي الإجمالي هي(٢٧) :

الإمارات ٥٧ ٪، الكويت ٥٥ ٪ ، السعودية ٦٩ ٪ (عام ١٩٧٠م)،
عُمان ٥٣ ٪، الجابون ٤٥ ٪ ، والجزائر ٤٣ ٪ .

ويلاحظ أن جميعها من الدول الإسلامية المصدرة للنفط .

أما الدول التي ساهمت الصناعة فيها بأقل نسبة في الناتج المحلي الإجمالي فهي :

أثيوبيا ١٠ ٪ ، وأوغندا ١٢ ٪ ، بنين ١٣ ٪ ،
تنزانيا ١٤ ٪ ، مالي ١٥ ٪ ، وناميبيا ١٥ ٪

وهي من الدول المنخفضة الدخل والتي يرتكز معظم نشاطها على القطاع الزراعي .

أما الصناعة التحويلية فقد ساهمت بنسبة ١١ ٪ من الناتج الوطني الإجمالي عام ١٩٩٣م وذلك للدول الإسلامية . وبذلك نجد أن مجموع نشاط القطاع الصناعي قد حصل على نسبة حوالي ٣٩ ٪ من الناتج المحلي الإجمالي للدول الإسلامية عام ١٩٩٣م . وهذه ظاهرة غير صحية، نظراً لأن قطاع الصناعة الاستخراجية يستحوذ على أكبر نسبة من قطاع الصناعة، والتي تتركز أساساً لدى الدول النفطية (الجدول رقم ١٠، والشكل رقم ٩) .

القيمة المضافة للصناعة التحويلية للدول الإسلامية عام ١٩٩٢م :

بلغ إجمالي القيمة المضافة للصناعة التحويلية للدول الإسلامية (عددها ٤١ دولة) عام ١٩٩٢م حوالي ١٢١١٩٥ مليون دولار أمريكي، أي بمتوسط حوالي ٢٩٥٦ على مستوى الدول الإسلامية (البنك الدولي، ١٩٩٥م: ٢٢٤ - ٢٢٥) .

وهذه الدول قد حققت طفرة كبيرة في قطاع الصناعة التحويلية عام ١٩٩٣م بلغت حوالي عشرة أمثال القيمة المضافة التي كانت عليه عام ١٩٧٠م، بل إن هناك بعض الدول حدث فيها تقدم كبير بنسب كبيرة ومنها أندونيسيا، حيث زادت القيمة المضافة لها عام ١٩٩٢م بحوالي عشرين مرة عن عام ١٩٧٠م، وكذا الحال بالنسبة لتركيا، وكذلك بالنسبة لعُمان، حيث بلغت القيمة المضافة لها عام ١٩٩٢م حوالي ٤٩٥ مليون دولار بينما كانت عام ١٩٧٠م صفراً .

ويلاحظ أيضاً أن هناك سبع دول استحوذت على ٧٩,٦ ٪ من القيمة المضافة للدول الإسلامية عام ١٩٩٢م، وهي :

أندونيسيا ٢٧٨٥٢ مليون دولار أمريكي ، تركيا ٢٧٤٦٥ مليون دولار أمريكي ،
إيران ١٥٣٦٣مليون دولار أمريكي ، باكستان ٧٥٣٨ مليون دولار أمريكي ،
العراق ٧٤٠١ مليون دولار أمريكي ، مصر ٥٧٤٧ مليون دولار أمريكي ،
والمغرب ٥١١٨ مليون دولار أمريكي .

وهذه الدول قد حدث فيها تقدم كبير في مجال الصناعة التحويلية .

أما أقل الدول مساهمة في الصناعة التحويلية فهي :

جيبوتي ١٨ مليون دولار أمريكي ، تشـــاد ١٩ مليون دولار أمريكي،

غامبيا ٢١ مليون دولار أمريكي ، سيراليون ٣٤ مليون دولار أمريكي

ولذلك نستطيع القول بأن هناك دولاً إسلامية لديها القدرة على الانطلاق في مجال الصناعــة التحويلية وأنها لو ادخلت التكنولوجـيا في مجال إنتاجـها لنافست الدول الصناعية الأجنبيــة،حيث تتميز الدول الإسلامية بميزة نسـبية، وهي انخفاض تكلفة أجور العمالة لديها (الجدول رقم١١،والشكل رقم ١٠).

وتتسم الصناعة التحـويلية في معظم الدول الإسلامية بعـدة خصائص، منها ضآلة رؤوس الأموال الموظفة في القطاع الصناعي، وقلة مساهمة الصناعة في حجم الإنتاج الإجمالي .

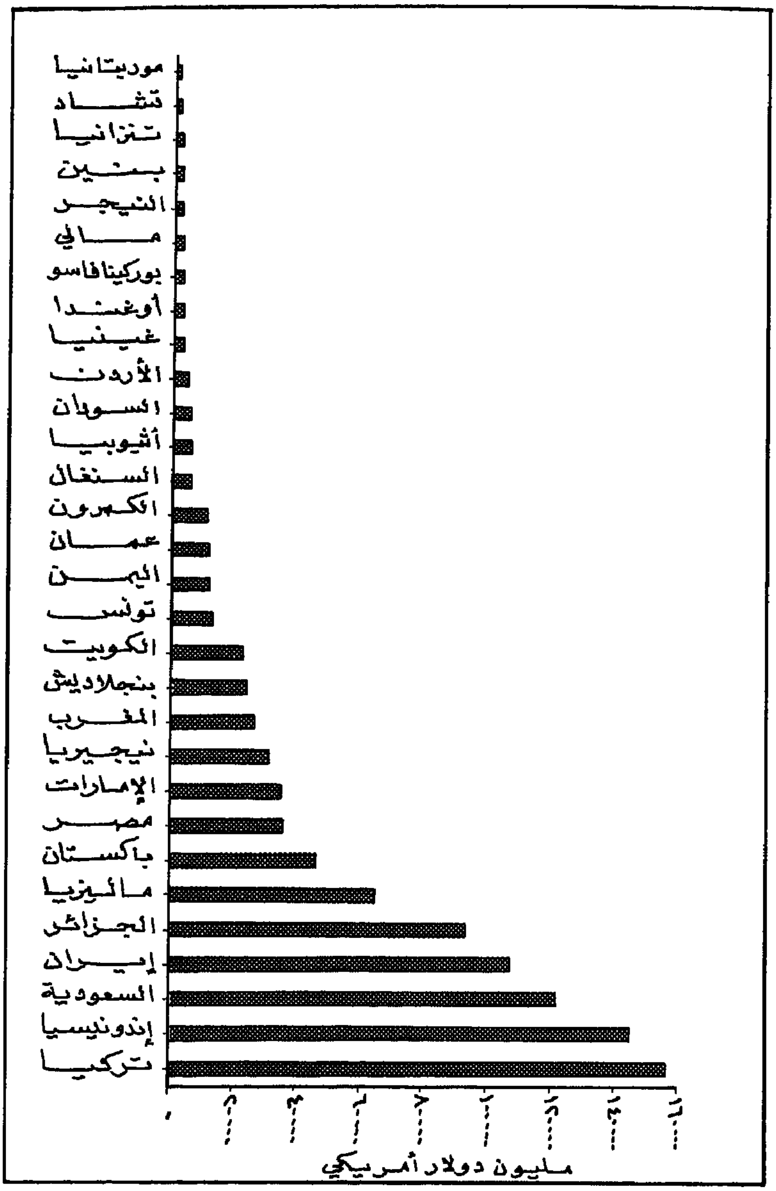
ومعظـم المؤسسات الصــناعية في الـدول الإسلاميــة تعمل في إنتــاج السلع الاستهلاكية والكمالية، وذلك يرجع إلى أنهــا تعمل لسد جزء من حاجة الاستهلاك المحلي . ويلاحظ انتشار هذه المؤسسات وبقاء مستوى الكثافة الإنتاجية محدوداً .

وصغـر حجم بعض المؤســسات الصناعيــة القائمــة والتي يبلغ متـوسط عدد العاملين في كل مصنع حوالي ٥٠ عاملاً يؤدي إلى انخفاض إنتاجية العمل، بسبب انخفاض مســتوى العاملين، وتخلف الأساليب والطرق الإنتاجية، وعـدم استخدام التكنولوجيا الحديثة، وارتفاع تكلفة الإنتــاج واعتماد بعض المؤسسات الصناعية على بعض المواد الخام أو السلع نصف المصنعة والمستوردة من الخارج، حيث يتم تصدير معظمــها للخارج في حــالتها الخام . كـما يلاحظ تخلف مسـتوى الإدارة والتنظيم الصناعي والتـخصص وتقســيم العمل والتـمركـز الإنتاجي، بالإضافـة إلى تخلف مستوى التعليم والتدريب المهني والفني اللازم للعمال، وذلك لقلة المدارس الصناعية والمعــاهد المتخـصصــة، وعدم وجـود تنسيــق أو ترابط بين التخطيط الاقـتصــادي والتخطيط التربوي والصناعة، وسوء استخدام الكوادر الفنية رغم قلتها .

(جدول رقم ١٠) : توزيع الناتج المحلي الإجمالي (٪) «١٩٩٣م»

الدولة	الناتج المحلي الإجمالي (بملايين الدولارات)	الصناعة	الصناعة التحويلية
تنزانيا	٢٠٨٦	١٤	٥
أثيوبيا	٥٧٥٠	١٠	٤
سيراليون	٦٦٠	١٦	٥
أوغندا	٣٠٣٧	١٢	٥
تشاد	١١٣٣	٢٢	١٦
بنغلاديش	٢٣٩٧٧	١٨	١٠
غينيا بيساو	٢٤١	١٩	٨
مالي	٢٦٦٢	١٥	٩
النيجر	٢٢٢٠	١٨	٧
بوركينافاسو	٢٦٩٨	١٤	١٤
نيجيريا	٣١٣٤٤	٤٣	٧
ناميبيا	٣٠٣	١٥	٧
بنين	٢١٢٥	١٣	٨
باكستان	٤٦٣٦٠	٢٥	١٧
غينيا	٣١٧٢	٣١	٥
موريتانيا	٨٥٩	٣٠	١٢
مصر	٣٥٧٨٤	٢٢	١٦
اليمن	١١٩٥٨	٢٤	١١
إندونيسيا	١٤٤٧٠٧	٣٩	٢٢
السنغال	٥٧٧٠	١٩	١٣
الكمرون	١١٠٨٢	٢٥	١١
المغرب	٢٦٦٣٥	٣٢	١٨
الأردن	٤٤٤١	٢٦	١٥
تونس	١٢٧٨٤	٣١	١٩
الجزائر	٩٣٨٣٦	٤٣	١١
تركيا	١٥٦٤١٣	٣٠	١٩
إيران	١٠٧٣٣٥	٢٩	١٤
ماليزيا	٦٤٤٥٠	٢٥	١٢
عُمان	١١٦٨٦	٥٣	٤
الجابون	٥٤٢٠	٤٥	١٢
السعودية	١٢١٥٣٠	٦٩	٩
الكويت	٢٢٤٠٢	٥٥	٩
الإمارات	٣٤٩٣٥	٥٧	٨

المصدر : البنك الدولي ١٩٩٥م ، جدول (٣) ، ص : ٢١٨-٢١٩ -(إحصائية بوكاسوملزا والسعودية عام ١٩٧م)



شكل (٩) الناتج المحلي الإجمالي (عام ١٩٩٣م)

المصدر: البنك الدولي - ١٩٩٥م

(جدول رقم ١١) : الصناعة التحويلية ١٩٩٢م

القيمة المضافة « بلايين الدولارات »

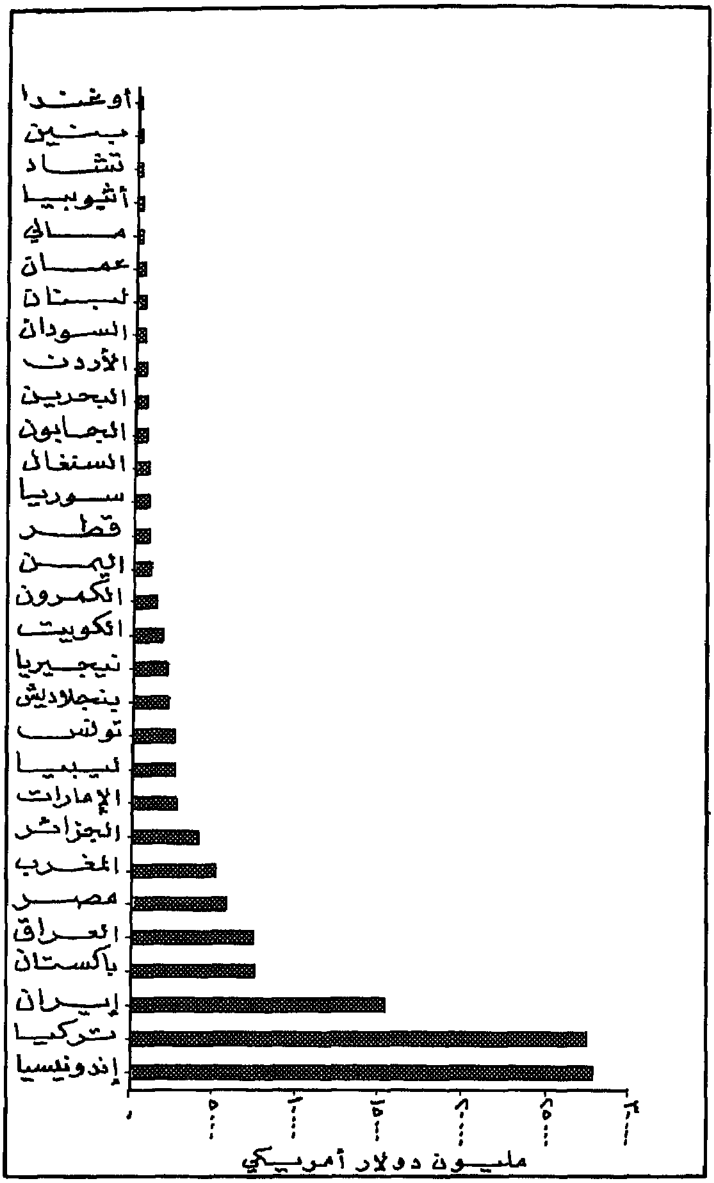
الدولة / السنة	١٩٧٠م	١٩٩٢م
تنزانيا	١١٨	١٢١
أثيوبيا	٠٠	٢١٠
سيراليون	٢٢	٣٤
أوغندا	٠٠	١٥٥
تشاد	٥١	١٩٨
بنجلاديش	٣٨٧	٢١٦٤
غينيابيساو	١٧	١٩
مالي	٢٥	٢٢٤
النيجر	٢٠	١٥١
بوركينا فاسو	٤٧	٠٠
نيجيريا	٤٢٦	٢٠١٢
غامبيا	٢	٢١
بنين	٣٨	١٧٠
باكستان	١٤٦٢	٧٥٣٨
غينيا	٠٠	١٣٥
موريتانيا	١٠	١١٥
مصر	٠٠	٥٧٤٧
اليمن	٠٠	٩٧٧
أندونيسيا	٩٩٤	٢٧٨٥٤
السنغال	١٤١	٨٠٩
الكمرون	١١٩	١٣٨٤

الدولة / السنة	١٩٧٠م	١٩٩٢م
المغرب	٦٤١	٥١١٨
الأردن	٠٠	٥٩٨
تونس	١٢١	٢٥٧٦
الجزائر	٦٨٢	٤٠١٠
تركيا	١٩٣٠	٢٧٤٦٥
إيران	٠٠	١٥٣٦٣
ماليزيا	٥٠٠	٠٠
عُمان	٠	٤٩٥
الجابون	٢٢	٦٥٣
السعودية	٤٣٥	٠٠
الكويت	١٢٠	١٧٣١
الإمارات	٠٠	٢٧٠٨
قطر		٨٨٢
البحرين		٦٥٢
العراق		٧٤٠١
لبنان		٥٠٦
سوريا		٨٤١
السودان		٥١٥
جيبوتي		١٨
ليبيا		٢٦٢٥

المصدر : البنك الدولي ١٩٩٥م – ص ٢٢٤ – ٢٢٥ .

: للدول الثمانية الأخيرة – التقرير الاقتصادي العربي الموحد ١٩٩٥م ، ص ٢٣٤ .

شكل (١٠) هيكل الصناعة التحويلية (١٩٩٢م) - القيمة المضافة



المصدر : البنك الدولي - ١٩٩٥م

نصيب الفرد من الصناعة :

يلاحظ على الرغم من النمو في ناتج الصناعة، أن نصيب الفرد بالدول الإسلامية من هذا الناتج يعتبر ضئيلاً بالمقارنة بالدول الصناعية أو بعض الدول الساعية للنمو، وقد بلغ نصيب الفرد من ناتج الصناعة لدى بعض الدول الإسلامية كالآتي (جدول رقم ١٢) :

جدول رقم ١٢) متوسط نصيب الفرد من ناتج الصناعة في بعض الدول الإسلامية للفترة ١٩٨٠ - ١٩٩٤م « دولار للفرد »

البند / السنة	١٩٨٠م	١٩٨٥م	١٩٩٢م	١٩٩٣م	١٩٩٤م
نصيب الفرد من ناتج الصناعة الاستخراجية	١	٥١٤	٤٣٥	٤٠١	٣٨٣
نصيب الفرد من ناتج الصناعة التحويلية		١٦٣	٢١٢	٢٠٩	٢٢٠
نصيب الفرد من الناتج الصناعي	١	٦٧٧	٦٤٧	٦١٠	٦٠٣
انتاجية العامل الصناعي	١٦	٨٨٥٩	٩٥٣٧	٨٩٧٨	٨٩٥٦

المصدر : التقرير العربي الاقتصادي الموحَّد، ١٩٩٥م، ملحق ٩١٣/٣، ص : ٢٣٧ .

من الجدول السابق رقم (١٢) يتبين أن نصيب الفرد من ناتج الصناعة الاستخراجية عام ١٩٨٠م كان ١١٨٠ دولاراً . وذلك في فترة ازدهار الأسعار التصديرية للنفط، وقبل الانخفاض الحاد الذي لحق بالأسعار نتيجة لانخفاض الطلب .

نجد أن نصيب الفرد هبط هبوطاً كبيراً عام ١٩٨٥م وبلغ ٥١٤ دولاراً، أي انخفض بنسبة ٥٦,٤ ٪ عما كان عليه عام ١٩٨٠م . واستمر هذا الانخفاض في الأعوام ١٩٩٢م، ١٩٩٣م، ١٩٩٤م . وبذلك نجد أن نصيب الفرد عام ١٩٩٤م انخفض بنسبة ٦٧,٥ ٪ عما كان عليه عام ١٩٨٠م .

أما نصيب الفرد من ناتج الصناعة التحـويلية، فإنه أصلاً متدنٍ للظروف التي تمر بها الدول الإسلامية وعدم دخولهـا في مجال الصناعة التحويلية إلا منذ سنوات قليلة، حيث كان التركـيز على الصناعة الاستراتيجيـة والزراعة . ولكن بعد دخول بعض الدول الإسلامية في مجال التصنيع، بدأ نصيب الفرد من ناتج الصناعة يرتفع عاماً بعد عام، حـيث بدأ عام ١٩٨٠م بحوالي ١٦٠ دولاراً وارتفع حتى بلغ ٢٢٠ دولاراً بنسبة زيادة ٣٧,٥ ٪ . ويرى البعض أن من أسـباب الانخفـاض بالدرجة الأولى عدم نمو القطاع الصناعي بمعـدلات تفوق كثيراً معـدل النمو السكاني المرتفع في كل الدول الإسلامية .

كمـا يلاحظ أيضاً انخفـاض متوسط إنتـاجية العـامل الصناعي عام ١٩٩٤م انخفاضاً كبيراً عمـا كانت عليه عام ١٩٨٠م بنسبة حوالي ٤٥ ٪، وذلك يرجع إلى عوامل انخفاض إنتاجـية الصناعة الاستراتيجية للأسبـاب سالفة الذكر، ولكن هناك فروقات كبيرة بين إنتاجية العامل الصناعي على مستوى كل دولة، فنلاحظ أن بعض الدول يصل متـوسط إنتاجيـة العامل الصناعي فـيها إلى ١٤٩ ألف دولار كـما هو الحال في قطر، ٩٢ ألف دولار في عُمان، بينما في دول أخرى تصل هذه الإنتاجية إلى ٥٣٨ دولاراً في السودان، و ١٨٦٦ دولاراً في اليمن .

النشاط التجاري

بين دول العالم الإسلامي

هيكل التجارة الخارجية للدول الإسلامية :

من المعروف تاريخياً أن التجارة من أهم الوسائل لإقامة علاقات اقتصادية وثيقة بين مختلف الدول، وهي تعتبر مصدراً مهماً للنمو الاقتصادي والتنمية ونقل المعرفة والمهارات . ويتوقع أن يزداد أثر التجارة على الاقتصاد العالمي بعد تنفيذ اتفاقيات جولة أوروجواي، ولكن هناك بعض المؤشرات التي توضح أن الدول الساعية للنمو لن تستفيد كثيراً من الاتفاقيات الجديدة، ومنها بعض الدول الإسلامية . لذلك فإن كيفية تجنب الدول الإسلامية لهذه الأخطار وكيفية الإفادة من فرص التجارة بالشروط الجديدة العامة للتجارة العالمية تكمن في قيام الدول الإسلامية باتخاذ بعض الإجراءات لتوثيق التعاون الاقتصادي بينها، سواء على المستويات الإقليمية أو على مستوى الأمة الإسلامية، ومن ثمَّ تعزيز التجارة البينية .

وتشير الإحصاءات التجارية لعام ١٩٩٤م إلى أن الدول الإسلامية كمجموعة أمامها طريق طويل لتحقيق تحسن كبير في هيكل تجارتها واتجاهاتها، حيث إن معظم هذه الدول تركز في صادراتها على السلع الأولية والتي تشكل أكثر من ٥٠ ٪ من إجمالي الصادرات، وفي بعض الحالات تشكل السلع الأولية أكثر من ٩٠ ٪ من إجمالي الصادرات .

كما أن بعض الدول ذات الصادرات المصنعة تعتمد أيضاً على سلعتين أو ثلاثة قابلة للتصدير، باستثناء أندونيسيا وتركيا وماليزيا، التي تتسع قواعدها التصديرية مع مرور الوقت . وهناك بعض الدول التي سجلت زيادة بسيطة في صادراتها المصنعة عام ١٩٩٤م، وهي تونس وباكستان، وإلى حد ما السعودية والمغرب .

أما واردات الدول الإسلامية، فيـغلب عليها السلع المصنعة الواردة من الدول الصناعـية الأجنبيـة غيـر الإسلامـية، لذا نلاحـظ أن هيكل التجـارة لدى الدول الإسلامية لايساعد على التعـاون بينها ولا على النمو الاقتصادي، وذلك لأن الدول القادرة على التصـدير غير مستـقرة ومحدودة ولاتشجع الدول المجـاورة على إقامة علاقات طويلة المدى .

لهـذا نجد أن هذه الدول تعـتمـد عادة عـلى الدول الأجنبيـة في صادراتهـا ووارداتها، لذلك فإن الدول الإسلامـية في حاجة لجهود كبـيرة وجادة لتنويع هياكل تجارتها وتعزيز إمكاناتها في مجال تجارة السلع غير التقليدية والمصنعة وتوسعة مجال التكامل التجاري بينها .

هيكل تجارة الدول الإسلامية عام ١٩٩٣م :

بالنسبة لإجمـالي التجارة عام ١٩٩٣م، فقد كان أداء الدول الإسلامـية طيباً من حيث حجـم التجارة ونصيب الدول في التـجارة العالمية . وقد ارتـفع إجمالي صـادرات الدول الإسـلامـية إلـى ٢٦٥٩٥١ مليـون دولار أمريـكي، بينمـا بلغت الواردات للعام نفسه حـوالي ٢٨٦٣٩٨ مليون دولار . والجدول رقم (١٣) يوضح نصيب كل دولة[٢٨] .

ومن الجدول رقم (١٣) يتضح لنا بعض المؤشرات المهمة، وهي :

- أن تجـارة السلع في الدول الإسلامـية عـام ١٩٩٣م قد حـققت عـجزاً بحـوالي ٢٠٤٤٧ مليـون دولار أمـريكي، أي بنسبـة تصل إلى ٧,١٤ ٪ من جملة الواردات (الصـادرات ٢٦٥٩٥١ مليـون دولار أمـريكي والواردات ٢٦٣٩٨ مليون دولار) .
- أن جملة الصادرات للدول الإسلامية تقدر بحوالي ٧,١٨ ٪ من جملة صادرات العالم عام ١٩٩٣م .
- أن جملـة الواردات للدول الإسلامـية تقدر بـحوالي ٧,٥ ٪ من جملة واردات العالم عام ١٩٩٣م .
- أن هناك ١٣ دولة إسلامية حققت فائضـاً في تجارة السلع عام ١٩٩٣م بيانها كما هو موضح في الجدول (١٤) :

(جدول رقم ١٣) : تجارة السلع « بملايين الدولارات »

١٩٩٣م

الدولة	صادرات	واردات	الدولة	صادرات	واردات
تنزانيا	٤٢٠	١٥٢٣	الجزائر	١٠٢٣٠	٧٧٧٠
أتيوبيا	٢٩٩	٧٨٧	تركيا	١٥٣٤٣	٢٩١٧٤
سيراليون	١١٨	١٤٧	ايران	١٦٧٠٠	٣٠٦٦٢
أوغندا	١٧٩	٥١٩	ماليزيا	٤٧١٢٢	٤٥٦٥٧
تشاد	١٧٦	٣٠٠	عُمان	٥٤٢٨	٤١١٤
بنجلاديش	٢٢٧٤	٤٠٠١	الجابون	٢٢٩٧	٨٣٥
غينيا بيساو	١٦	٦٢	السعودية	٤٠٨٥٨	٢٨١٩٨
مالي	٣٤٢	٤٧٧	الكويت	١٠٢٤٨	٧٠٣٦
النيجر	٢٨٣	٣٣١	الامارات	٢٠٥٠٠	١٩٥٢٠
بوركينا فاسو	١٤٥	٦٤٢	قطر	٣٠٨٩	١٨٠٨
نيجيريا	١١٨٨٦	٨٢٧٦	البحرين	٦٤٣٩	٤٧٦٦
غامبيا	٨٠	٢٣٤	العراق	٣٤	١٩١٠
بنين	١١٥	٣٦٠	فلسطين	٠٠	٠٠
باكستان	٦٦٣٦	٩٥٠٠	لبنان	٦٢٩	٤٣٧٧
غينيا	٤٤٠	٦٠٠	سوريا	٣٢٨٤	٤٣٤٥
موريتانيا	٤٥٠	٦٧٠	افغانستان	١٧٨	٤١٣
مصر	٢٢٤٤	٨١٧٥	المالديف	٦٦	٢١٨
اليمن	٦٥٠	٢٤٠٠	بروناي	٣٣٧٣	٢٦٠١
اندونيسيا	٣٣٦١٢	٢٨٠٨٦	السودان	٣٥٠	١١٤٥
السنغال	٧٤٠	١٢٦٢	ليبيا	٨٠٤٧	٥٣١٦
الكمرون	١٨١٥	١١٠٨	جيبوتي	٨٧	٤١٢
المغرب	٣٩٩١	٦٧٦٠	الصومال	١١٧	٢٠٥
الاردن	١٢٣٢	٣٥٣٩	جزر القمر	٥٤	٩٠
تونس	٣٨٠٢	٦٢١٤			

المصدر : البنك الدولي، ١٩٩٥م .

ومن الجدول رقم (١٣) يتضح لنا بعض المؤشرات المهمة، وهي :

- أن تجارة السلع في الدول الإسلامية عام ١٩٩٣م قد حققت عجزاً بحوالي ٢٠٤٤٧ مليون دولار أمريكي، أي بنسبة تصل إلى ٧,١٤ ٪ من جملة الواردات (الصادرات ٢٦٥٩٥١ مليون دولار أمريكي والواردات ٢٦٣٩٨ مليون دولار) .

- أن جملة الصادرات للدول الإسلامية تقدر بحوالي ٧,١٨ ٪ من جملة صادرات العالم عام ١٩٩٣م .

- أن جملة الواردات للدول الإسلامية تقدر بحوالي ٧,٥ ٪ من جملة واردات العالم عام ١٩٩٣م .

- أن هناك ١٣ دولة إسلامية حققت فائضاً في تجارة السلع عام ١٩٩٣م بيانها كما هو موضح في الجدول (١٤) :

(جدول رقم ١٤) : الفائض في تجارة السلع لدى بعض الدول الإسلامية عام ١٩٩٣م

الدولة	مقدار الفائض بالمليون دولار	نسبة الفائض للواردات ٪
نيجيريا	٣٦١٠	٣٤ر٦
اندونيسيا	٥٥٢٦	١٩ر٦
الكمرون	٧٠٧	٦٣ر٨
الجزائر	٢٤٦٠	٣١ر٦
ماليزيا	١٤٦٥	٣ر٢
عُمان	١٣١٤	٣١ر٩
الجابون	١٤٦٢	١٧٥ر٠
السعودية	١٢٦٦٠	٤٤ر٨٩
الكويت	٣٢١٢	٥٤ر٦
الامارات	٨٩٠	٥ر٠
قطر	١٢٨١	٧٠ر٨
البحرين	١٦٧٣	٣٥ر٠
ليبيا	٢٧٣٠	٥١ر٣

المصدر : تقرير البنك الدولي، ١٩٩٥م، جدول ١٣، ٢٣٨ .

ويتضح من هذا الجدول الأخير أن أكبر نسبة فائض حققتها الجابون (١٧٥ ٪)، فقطر (٨ ,٧٠٪)، تليها الكمرون (٦٣,٨ ٪)، فالكويت (٥٤,٦ ٪)، فليبيا (٥١,٣ ٪). ويلاحظ أن هذه الدول دول نفطية وتركز تجارتها على تصدير النفط كسلعة استراتيجية في الأسواق العالمية، كما أن مكونات تصدير هذه الدول عادة تشغل سلعة النفط معظمها وقد تصل لدى بعض هذه الدول إلى ٩٠ ٪ من جملة صادراتها. أما ماليزيا، فهي من النمور الآسيوية والتي نمت نمواً كبيراً في السنوات القليلة الماضية، وأصبحت من الدول التي قفزت قفزات كبيرة في الإنتاج والصناعة والتجارة.

ويلاحظ أيضاً أن بعض الدول النفطية لديها عجز مثل : إيران، وذلك يرجع لظروفها الخاصة، وأنها كانت في حرب طويلة مع العراق .

وبعض الدول شهدت زيادة كبيرة في صادراتها وهي : إيران والبحرين وأندونيسيا وتركيا وبنجلاديش وماليزيا وسوريا، بينما نجد أن هناك بعض الدول التي حدث انخفاض في صادراتها، مثل باكستان والإمارات والجزائر ومصر والسعودية وعُمان والمغرب .

أما باقي الدول الإسلامية وعددها ٣٤ دولة، فقد حققت عجزاً، إذ أن وارداتها أكبر بكثير من صادراتها وهذه ظاهرة غير طيبه . وقد يصل العجز في بعض هذه الدول إلى نسب كبيرة، ومثال ذلك : اليمن، حيث بلغت نسبة العجز في تجارة السلع ٧٢,٩ ٪، السودان ٦٩,٤ ٪، لبنان ٨٥,٦ ٪ . وترجع تلك الظاهرة إلى الظروف الخاصة بكل دولة، سواء من ناحية عدم الاستقرار السياسي أو ظروف التخلف في الإنتاج، وانخفاض الإنتاجية، وضعف هياكل الإنتاج .

هيكل تجارة الدول الإسلامية عام ١٩٩٣م بالمقارنة مع التجارة العالمية وبعض التكتلات الاقتصادية الأجنبية :

وإذا ما أجرينا مقارنة بين بعض التكتلات الاقتصادية وما بين الدول الإسلامية، سوف نصل إلى نتائج مهمة ومؤشر يوضح ماوصلت إليه الدول الإسلامية (جدول رقم ١٥) .

(جدول رقم ١٥) : مقارنة بين النظريات الاقتصادية الدولية وبين الدول الإسلامية (١٩٩٣م) .

اسم الكتل	عدد السكان بالملايين	المساحة بالآف الكيلو مترات المربعة	الصادرات بالمليون دولار	الواردات بالمليون دولار	نسبة السكان للعالم ٪	نسبة المساحة للعالم /	نسبة الصادرات للعالم ٪	نسبة الوردات للعالم ٪
العالم	٥٥٠١,٥	١٣٣٦٩٠	٣٦٣٤٦١٤	٣٧٢٢٤٧٢	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠
السوق الأوروبية المشتركة	٣٦٨,٦	٣٢٣٧	١٤٥٩٢٤٦	١٤٠٦٩٠١	٦,٦	٢,٤	٣٩,٢	٣٥,١
اتحاد النافتا	٣٧٦,٦	٢١٧٤٣	٦٤٠١٩٢	٧٨٣٢٦٠	٦,٨	١٦,٢	١٧,٢	٢٠,٧
الدول الإسلامية	١١٠٥,٩٤٠	٣٠٠٤٩	٢٦٥٩٥١	٢٨٦٣٩٨	٢٠,١	٢٢,٤	٧,١٠	٧,٥

المصدر : تقرير البنك الدولي، ١٩٩٥م، جدول رقم (١)، ص : ٢١٤ - ٢١٥، وجدول (١٣)، ص : ٢٣٨ - ٢٣٩ .

من الجدول السابق رقم (١٥) يتضح لنا الآتي :

أ - أن عدد سكان الدول الإسلامية يمثل ٢٠,١ ٪ من سكان العالم، أي خمس سكان العالم .

ب - أن عدد سكان دول السوق الأوروبية المشتركة يمثل ٦,٦٪ من سكان العالم .

جـ - أن عدد سكان اتحاد النافتا (الولايات المتحدة الأمريكية وكندا، المكسيك) يمثل ٦,٨ ٪ من سكان العالم .

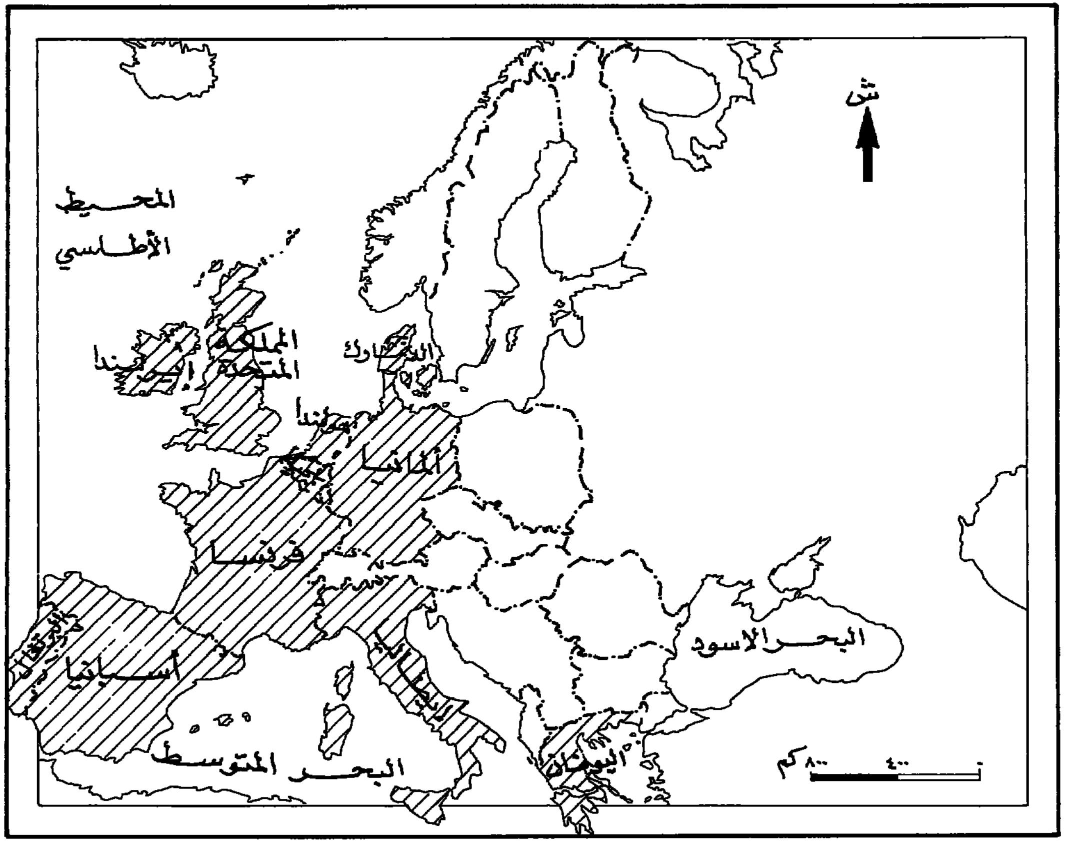
فرغم أن سكان السوق الأوروبية المشتركة يمثلون ٣٣,٣٪ من سكان الدول الإسلامية، إلا أن صادرات السوق الأوروبية المشتركة تفوق صادرات الدول الإسلامية بنسبة ٥٤٨,٦ ٪، أي حوالي خمس مرات ونصف . كما أن السوق الأوروبية تحقق فائضاً في تجارتها الخارجية يقدر بحوالي ٥٢٣٤٥ مليون دولار أمريكي، بينما التجارة الخارجية للدول الإسلامية تحقق عجزاً مقداره ٢٠٤٤٧ مليون دولار أمريكي .

ورغم أن عدد سكان اتحاد النافتا يمثل ٣٤ ٪ من سكان الدول الإسلامية، إلا أن صادراتها تفوق صادرات الدول الإسلامية بنسبة ٢٤٠,٧٪، أي حوالي مرتين ونصف مرة وهذه ظاهرة غير طيبة، ولقد أجرينا هذه المقارنة لنشير إلى أن في الاتحاد قوة ونمو وزيادة إنتاج، ومن ثمَّ زيادة صادرات وتحقيق الكثير من التقدم والنمو والرفاهية، حيث إن مستوى دول السوق الأوروبية المشتركة لم يكن كذلك قبل قيام السوق، ولكن حدثت طفرة كبيرة في نمو تجاراتها بعد قيام السوق، وهذا مايتوقع للدول الإسلامية إذا ما تمَّ التنسيق بين سياساتها الإنتاجية المختلفة، وذلك تحت مظلة التكامل الاقتصادي (الأشكال ١١، ١٢، ١٣) .

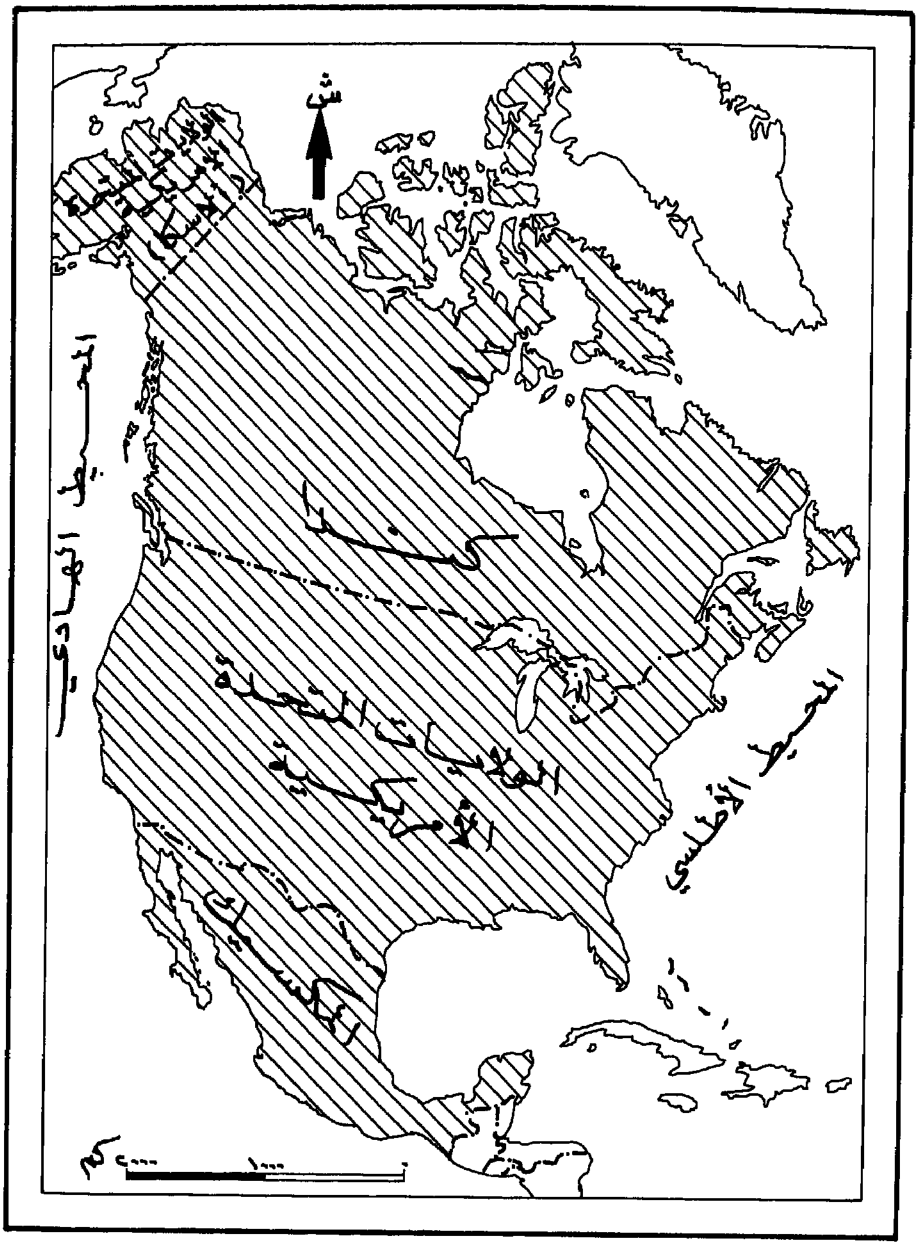
هيكل تجارة الدول الإسلامية عام ١٩٩٤م :

أما بالنسـبة لإجمالي التـجارة عام ١٩٩٤م، فـقد سجلت الدول الإسلامـية زيادة في إجمالي صادراتها للسنة الثـالثة على التوالي ارتفع هذا الإجمالي من ٢٦٥ مليـار دولار أمريكي عـام ١٩٩٣م إلى نحو ٢٨٧ مليـار دولار ١٩٩٤م، أي بزيادة ١٩٩٤م، أي بزيادة حوالي ١٠٪ . وقد حـدثت هذه الزيادة الكبيـرة في صادرات الدول الإسلامية نتـيجة لارتفاع صادرات ماليـزيا من ٤٧ بليون دولار عام ١٩٩٣م إلى ٥٩ بليون دولار عام ١٩٩٤م، أي بزيادة ٢٥ ٪ تقريباً وفي الفتـرة نفسها زادت واردات الدول الإسلامية من ٢٨٦ مليـار دولار إلى ٣٠٣ مليار دولار، أي بحوالي ٦٪ تقريباً (البنك الإسلامي للتنمية، ١٩٩٦م: ٥٢ - ٥٣) .

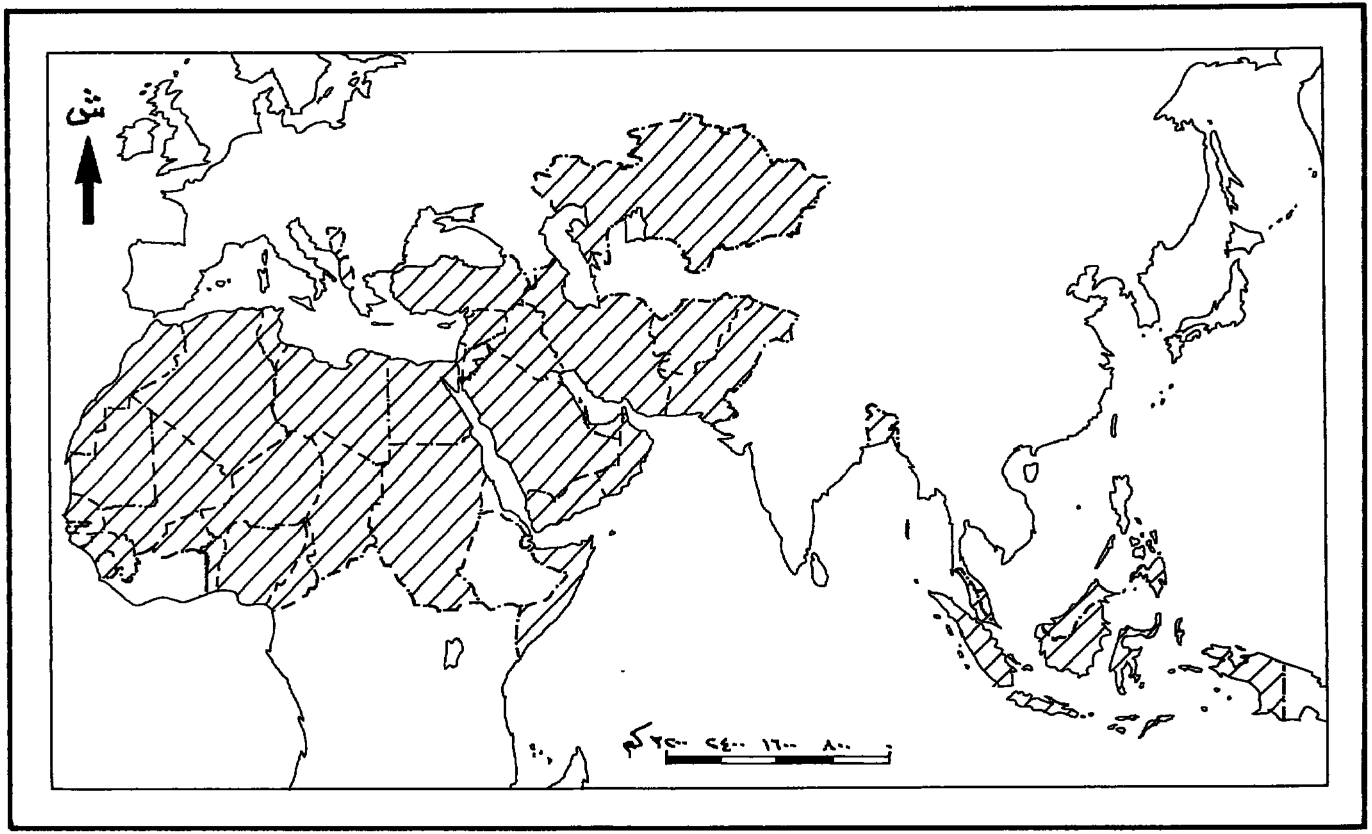
كما أن هناك بعض الدول الإسـلامية والتي حققت زيادة كبـيرة في صادراتها بالإضافـة إلى ماليزيا، وهي أندونيـسيا ومصـر والمغرب وإيران وبنجلاديش وتركـيا وتونس والكمرون والسودان والبـحرين، بينما هناك دول إسلامية أخـرى انخفضت صادراتها عام ١٩٩٤م عن عام ١٩٩٣م وهي السعودية والإمارات وبروناي وبوركينا فاسو وعُمان وغينيا والجزائر وليبيا .



شكل (١١) دول السوق الأوروبية المشتركة



شكل (١٢) دول منظمة النافتا



شكل (١٣) دول منظمة المؤتمر الإسلامي

أما عن حصة الدول الإسلامية من التجارة العالمية عام ١٩٩٤م، فقد انخفضت انخفاضاً بسيطاً عن عام ١٩٩٣م، حيث كانت ٧,١ ٪ تقريباً عام ١٩٩٣م وأصبحت ٦,٩ ٪ عام ١٩٩٤م .

هيكل صادرات الدول الإسلامية :

تشمل صادرات الدول الإسلامية عدة سلع ومواد مختلفة يأتي في مقدمتها النفط ومشتقاته والخامات المعدنية والملابس والنسيج (المركز الإسلامي لتنمية التجارة، ١٩٩٥م : ٦ - ٩) .

ويتضح من هيكل الصادرات حدوث بعض التغيرات عام ١٩٩٢م، حيث يحتل النفط ومشتقاته والخامات المعدنية المركز الأول . ولكن تراجعت حصتها بنسبة ٤٪ مابين عامي ١٩٩١م و ١٩٩٢م، حيث كانت ٦٢,٦ ٪ ثم أصبحت ٥٨,٨ ٪ . أما في المركز الثاني، فنجد المواد الأولية والزراعية والحيوانية بنسبة ١١,٣٨ ٪ . أما المركز الثالث فتحتله المواد المصنعة بنسبة ١١ ٪، وفي المركز الرابع نجد الملابس والنسيج بنسبة ٩,٨٧ ٪ . أما المركز الأخير فنجد الآلات ومعدات النقل بنسبة ٨,٩٣ ٪، لكن يلاحظ أن صادرات المواد المصنعة ازدادت عام ١٩٩٢م بنسبة ٤٪ عن عام ١٩٩١م، حيث كانت ٢٥,٤٪ عام ١٩٩١م وأصبحت ٢٩,٨٪ عام ١٩٩٢م (الجدول السابق رقم ١٣، والشكل رقم ١٤) .

مما سبق يتضح أن المواد الأولية تشكل نسبة ٧٠,٥٪ من جملة صادرات الدول الإسلامية .

هيكل واردات الدول الإسلامية :

ظل هيكل الواردات للدول الإسلامية كما هو عليه عام ١٩٩٢م وذلك على الوجه التالي :

١ - مركز الصدارة تحتلة الآلات ومعدات النقل بنسبة ٣٧,٣٨ ٪ من إجمالي واردات الدول الإسلامية وتبلغ قيمتها حوالي ١٠٥ مليار دولار أمريكي .

٢ - تأتي في المركز الثـاني المواد المصنعة مـثل : المواد الكيماوية والمـلابس والنسيج والصلب بنسبة ٣٥,٨٢ ٪، بمبلغ إجمالي ١٠١ مليار دولار أمريكي .

٣ - أما المركـز الثالث فتحـتله المواد الغذائية بنسـبة ١٣,٥٧٪ بمبلغ إجمالي قدره حوالي ٣٨ مليار دولار أمريكي .

٤ - أما المركز الرابع فتحتله الطاقة بنسبة ٧,٢٣ ٪ .

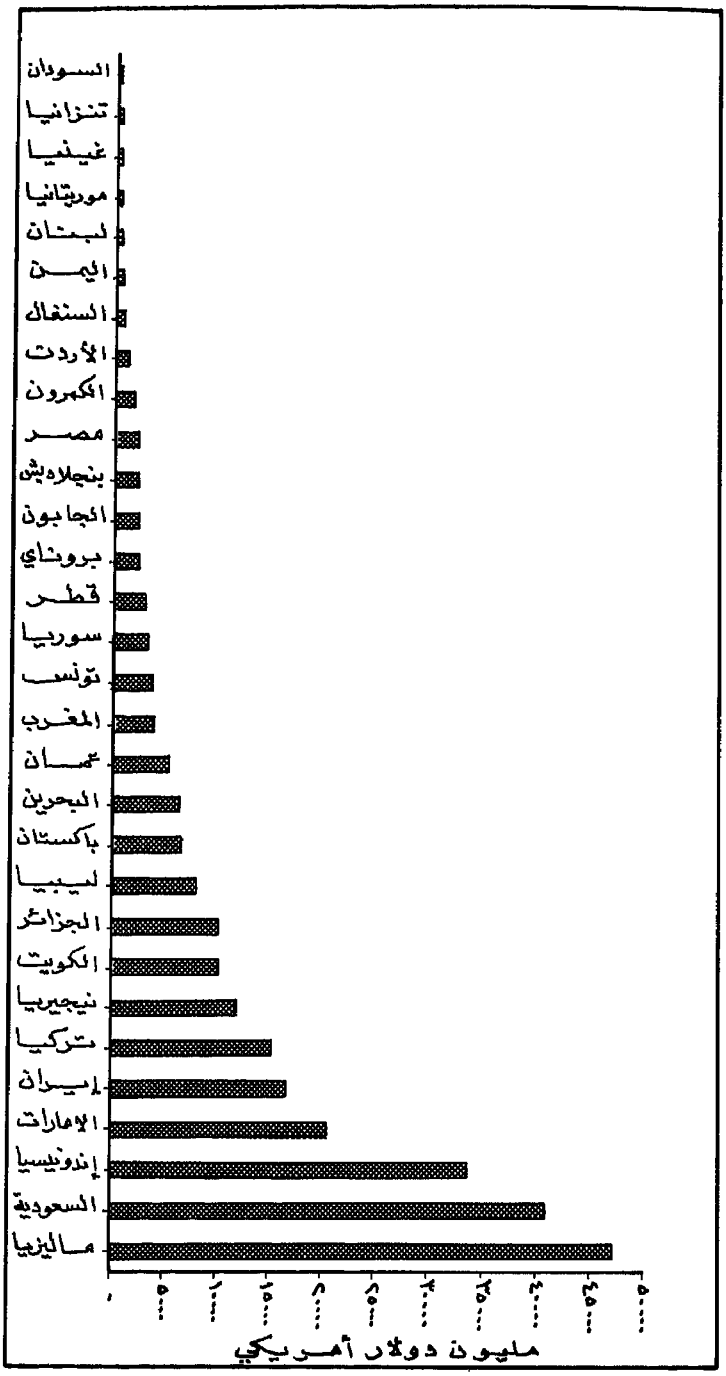
٥ - أما المركز الخامس فتحتله المواد الأولية التعدينية والزراعية بنسبة ٦٪ .

(الجدول السابق رقم ١٣ ، والشكل رقم ١٥) .

ومن البيانات السابقة يتضح لنا أن الدول الإسلامـية مازالت بعيدة عن تحقيق اكتفائها الذاتي من كثير من السلع، سواء الصناعية منها أو الغذائية أو المواد الأولية، فرغم أن معظمها دول زراعية إلا أنها مازالت تسـتورد مواد غذائية بكميات كبيرة . ويلاحظ أن أهـم وأكـبر الدولة المصـدرة للمـواد المصنعة هي من أكـبر الدول أيضـاً المستوردة لهذه المواد، بخاصة ماليزيا وإندونيسيا وتركيا .

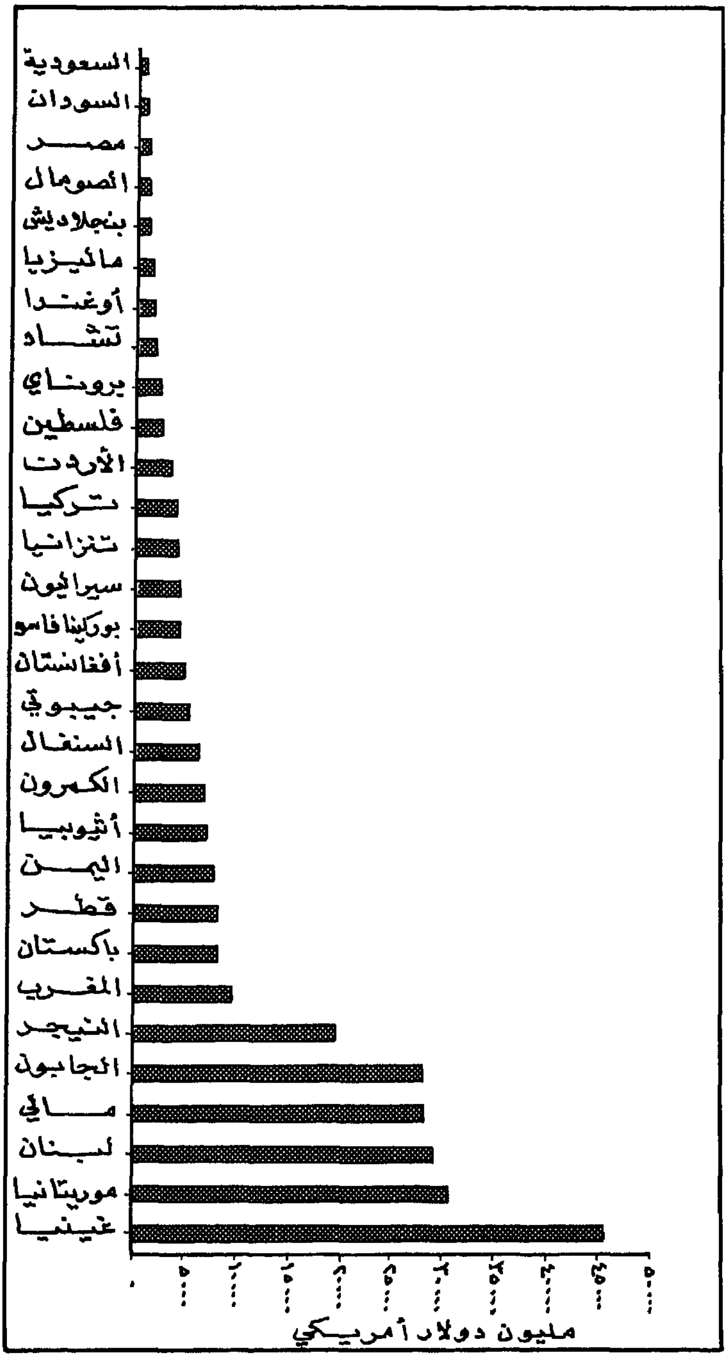
التوزيع الجغرافي للتجارة الخارجية للدول الإسلامية :

تتعـامل الدول الإسلاميـة مع جميع دول الـعالم، سواء في التـصدير أو في الاستيراد، (والجدول رقم ١٦) يوضح التوزيع الجغـرافي للتجارة الخارجية للدول الإسلامية خلال الفترة من عام ١٩٩٢م حتى عام ١٩٩٤م وذلك مع الدول الصناعية والدول النامية وباقي دول العالم .



شكل (١٤) إجمالي صادرات الدول الإسلامية لعام ١٩٩٣م

المصدر: البنك الدولي ١٩٩٥م



شكل (١٥) إجمالي واردات الدول الإسلامية لعام ١٩٩٣م

المصدر: البنك الدولي، ١٩٩٥م

(جدول رقم ١٦) : التجارة الخارجية للدول الإسلامية مع بقية العالم (١٩٩٣م، ١٩٩٤م)

الدول	الصادرات (٪)			الواردات (٪)		
	١٩٩٢م	١٩٩٤م	نسبة التغير	١٩٩٢م	١٩٩٤م	نسبة التعير
دول الغرب الصناعية	٦٢ر٩	٥٨ر٥٦	- ٦ر٩	٦٧ر٢	٦٣ر٦	-٥ر٠٤
الدول النامية	٣٥ر٤	٣٦ر٥	٣ر١	٣٠ر٢	٣٤ر٦	١٤ر٥
بقية العالم	١ر٧	٤ر٩٦	١٩١ر٧٦	٢ر٦	١ر٨٥	- ٢٨ر٨

المصدر : التقرير السنوي للمركز الإسلامي لتنمية التجارة لعام ١٩٩٥م ، ص ١٦ .

من الجدول السابق يتضح لنا أن الدول الصناعية الأوروبية تعتبر من أهم الدول التي تتعامل معها الدول الإسلامية سواء في التصدير أو الاستيراد، حيث تستوعب هذه الدول ٥٨,٥٦ ٪ من صادرات الدول الإسلامية (عام ١٩٩٤م)، وتستورد منها حوالي ٦٣,٦٠٪ من احتياجها من الواردات، وبذلك نجد أن الميزان التجاري بين الدول الإسلامية،ودول الغرب الصناعية في حالة عجز يبلغ حوالي ٥ ٪ من القيمة الإجمالية لهذا الميزان .

هذا وقد تراجعت التجارة بين الدول الإسلامية والدول الأوروبية عام ١٩٩٤م عن عام ١٩٩٢م بنسبة ٦,٩٪ من الصادرات، ٣٩,٥٪ من الواردات، وقد تم تعويض هذا الانخفاض بالزيادة من حصة التجارة مع الدول النامية، حيث زادت هذه الحصة ٣,١٪ في الصادرات، ١٤,٥٪ في الواردات .

أما بقية دول العالم - ومنها الكتلة الشرقية - فإن حصتها غير مستقرة . ففي عام ١٩٩٤م، تضاعفت حصتها على مستوى الصادرات وتراجعت تراجعاً كبيراً على مستوى الواردات بنسبة عجز ٢٩٪ (شكل رقم ١٦) .

التجارة البينية بين الدول الإسلامية :

سجلت التـجارة البـينية بين الدول الإسلامـية انخـفاضاً في الصـادرات عام ١٩٩٤م، حيث بلغ إجمالها ٢٨,٩ مليار دولار أمريكي وذلك مقابل ٢٩,٧ مليار دولار عام ١٩٩٣م، بينما كان ٢٨,٩٥ مليار دولار عـام ١٩٩٢م، وبذلك نجد أن إجمالي الصادرات في التجارة البينية بين الدول الإسلامية لإجمالي صادراتها الكلية قد انخفض من ١١,١٪ عام ١٩٩٣م إلى ١٠,٢٪ عام ١٩٩٤م .

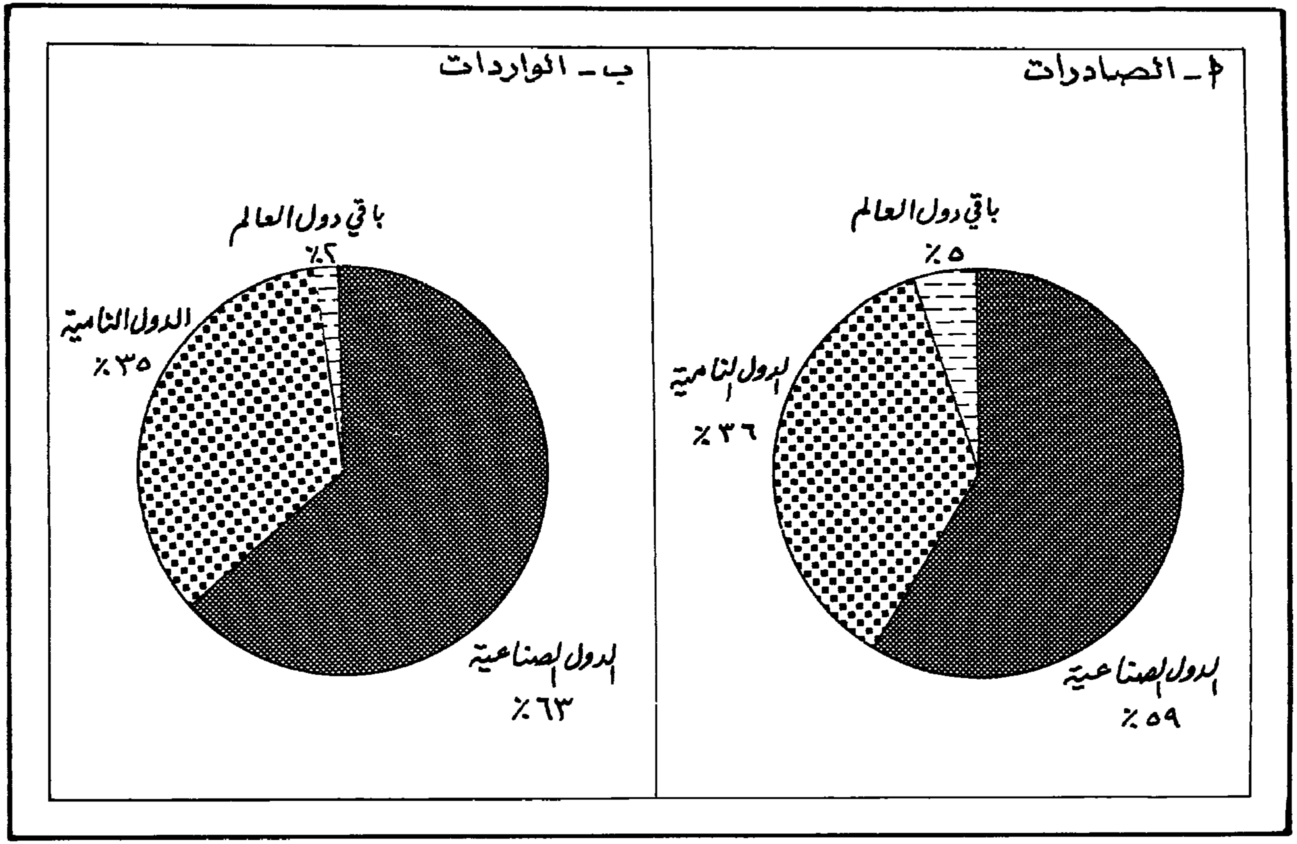
أما بالنسـبة للواردات، فنجـد أنها زادت عام ١٩٩٤م، حـيث بلغت ٢٩,٩ مليـار دولار أمريكي بـينما كـانت ٢٩ مليـار دولار عام ١٩٩٣م، وبذلك نجـد أن التجارة البينية لـلدول الإسلامية لاتمثل سوى ١٠,٤٪ من إجمالي الواردات الكلية لهـذه الدول عام ١٩٩٤م (البنـك الدولي، ١٩٩٥م، والبنك الإسلامـي للتنميـة، ١٩٩٦م : ٥٧) .

التجارة البينية للدول الإسلامية والمنظمات الإقليمية :

سنشير فيما يلي إلى التجارة البينية للدول الإسلامية لخمس منظمات إقليمية، تكاد تشمل مـعظم الدول الإسلامية (البنك الإسلامي لـلتنمية، ١٩٩٦م : ٥٨)، وهي :

١ - **مجلس التعـاون الخليجي** : يلاحظ أن دولة الإمارات زادت نسبـة صادراتها لدول المجلس عام ١٩٩٤م عن عام ١٩٩٣م، حيث كانت ٦,٩٪ من إجمالي صادراتها وزادت إلى ٧,٣ ٪، وأن أكبر الدول التي تصدر إليـها هي عُمان (١٠١٨ مليون دولار أمريكي)، فالسعودية (٢٧١ مليون دولار أمريكي) .

أما البحرين، فقد زادت أيضـاً صادراتها لدول المجلس عام ١٩٩٤م عن عام ١٩٩٣م، حيث كانت ٥,٥ ٪ من إجمالي صـادراتها وزادت إلى ٦,٢ ٪، وأكبر الدول التي تصدر إليهـا هي السعودية (١٥٣ مليون دولار أمريكي) تليـها عُمان (٦٩ مليون دولار أمريكي) .



شكل (١٦) التوزيع الجغرافي للتجارة الخارجية للدول الإسلامية

أما السعودية، فقد انخـفضت صادراتها عام ١٩٩٤م عن عام ١٩٩٣م لدول المجلس، حيث كانت ٦,٥ من إجمـالي صادراتها وأصـبحت ٥,٩٪، وأن أكبر الدول التي تصدر إليها هي البحرين (١٣٦٨ مليون دولار أمريكي) تليها الإمارات (٨٤٣ مليون دولار أمريكي) .

أما عُـمان، فزادت صـادراتها عام ١٩٩٤م زيـادة طفيفـه عن عام ١٩٩٣م، حيث كانت ٢ ٪ وأصبحت ٢,١ ٪، وأكبر الدول التي تصدر إليها هي البحرين (٥٦ مليون دولار أمريكي) تليها السعودية (٤٠ مليون دولار أمريكي) .

أمـا قطر، فقـد انخـفضت صـادراتهـا لدول المجلس عام ١٩٩٤م عن عـام ١٩٩٣م، حيث كانت ٦,٧٪ وأصبحت ٦,٣ ٪، وأكبر الدول التي تصدر إليها هي الإمـارات (١٠٩ مليون دولار أمـريكي) تليـهـا السعـودية (٦٣ مليـون دولار أمـريكي).

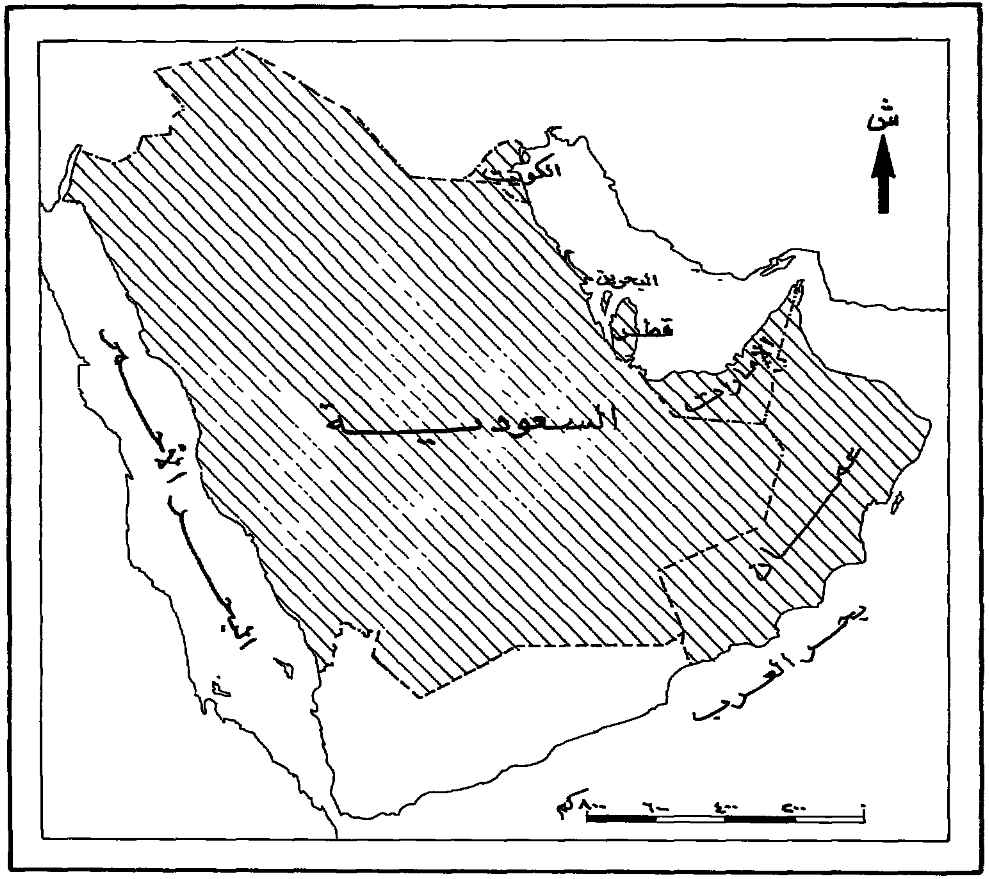
ولكن بالنظرة الشـاملة لدول مـجلس التـعاون الخليـجي، نجـد أن إجمـالي التجارة البينيـة بين دول المجلس انخفضت من ٥,٨ ٪ من إجمالي صـادراتها عام ١٩٩٣م إلى ٥,٦ ٪ عام ١٩٩٤م (الشكل رقم ١٧، والجدول رقم ١٧).

٢ – **منظمـة التعاون الاقتصادي** : يلاحظ بالنسبة لأفغانسـتان، أن نسبة صادراتها عام ١٩٩٤م انخفـضت عما كانت عليه عـام ١٩٩٣م حيث كانت ٧,١٪ من إجمالي صادراتـها وأصبحت ٦,٤ ٪ عام ١٩٩٤م وعمومـاً يلاحظ انخفاض قيمة الصادرات للدول الإسلاميـة، حيث إنها لاتتجاوز ١٨ مليون دولار منها عشرة ملايين لباكستان وسبعة ملايين لتركيا .

أما إيران، فنسبـة صادراتها عام ١٩٩٤م انخفـضت عن عام ١٩٩٣م، حيث كانت ٥,٨ ٪ من إجمـالي صادراتهـا وأصبـحت عام ١٩٩٤م ٤,٨٪، وأن أكبر الدول التي تصدر إليها هي تركيا (٦٨٩ مليون دولار أمريكي)، وباكستان (١١٨ مليون دولار أمريكي) .

أما باكستان، فنسبة صـادراتها عام ١٩٩٤م انخفضت عن عام ١٩٩٣م حيث كانت ٢,٤ ٪ من إجمـالي صادراتها وأصـبحت ١,٥٪ عام ١٩٩٤م، وأن أكـبر الدول التي تصدر إليـها تركيا (٣٦ مليـون دولار أمريكي)، وأفغانسـتان وإيران (٢٦ مليون دولار أمريكي) .

أما تركيـا، فصادراتها عام ١٩٩٤م ارتفعت عن عـام ١٩٩٣م، حيث كانت ٣,٤ ٪ من إجمالي صادراتها وأصبحت ٣ر٧ ٪ عام ١٩٩٤م، وأن أكبر الدول التي تصدر إليها هي (إيران (٢٦٧ مليون دولار أمريكي) (الشكل رقم ١٨، والجدول رقم ١٨) .

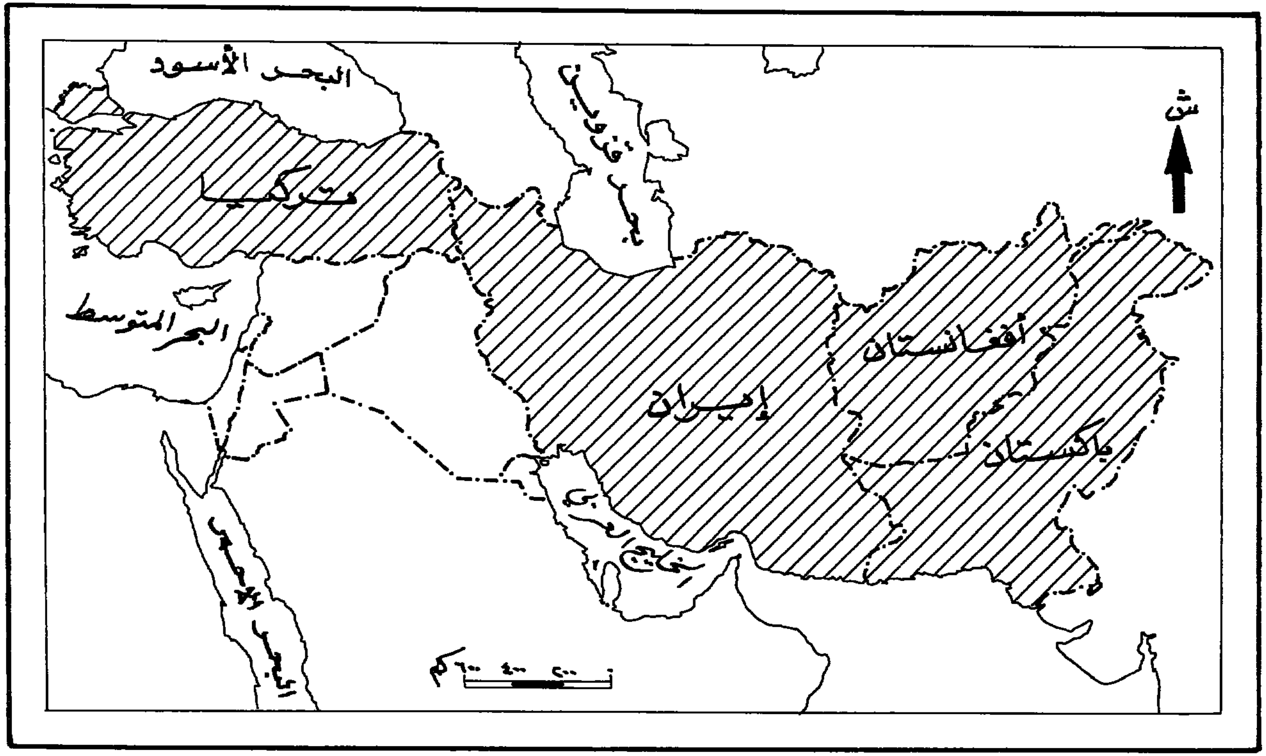


شكل (١٧) دول مجلس التعاون لدول الخليج العربي

(جدول رقم ١٧) : التجارة البينية لدول مجلس التعاون الخليجي للعامين ١٩٩٣م و ١٩٩٤م « بملايين الدولارات الأمريكية »

الدولة	االسنة	الإمارات	البحرين	السعودية	عُمان	قطر	الكويت	الصادرات الإقليمية	لمجموع الإقليمي من المجموع الكلي
الإمارات	١٩٩٤م	=	٥٩	٢٧١	١٠١٨	٦٣	١٢٣	١٥٣٤	
	١٩٩٣م	=	٥٨	٢٥٦	١٠٤٩	٦٥	=	١٤٢٨	٧٫٣٤
البحرين	١٩٩٤م	١٢٨	=	١٥٣	٦٩	٢٩	٥١	٤٣٠	٦٫٩١
	١٩٩٣م	١١٨	=	١٤٤	٦٤	٢٧	=	٣٥٣	٦٫٢٥
السعودية	١٩٩٤م	٨٤٣	١٣٦٨	=	٦٥	٨١	٣٥٠	٢٧٠٧	٥٫٥٣
	١٩٩٣م	٨٦٩	١٣٣٣	=	٦٧	٨٣	٤١٧	٢٧٦٩	٥٫٩٣
عمان	١٩٩٤م	٣	٥٦	٤٠	=	٥	=	١٠٤	٦٫٥٤
	١٩٩٣م	٢	٥٥	٣٥	=	٥	=	٩٧	٢٫١٥
قطر	١٩٩٤م	١٠٩	٧	٦٣	٧	=	=	١٨٦	٢٫٠٢
	١٩٩٣م	١٢٢	٧	٧٦	٧	=	=	٢٠٢	٦٫٣٩
الكويت	١٩٩٤م	=	=	٧٢	=	=	=	٧٢	٦٫٧١
المجموع	١٩٩٤م	٥٣	=	٦٥	٨	=	=	١٢٦	=
	١٩٩٣م					=	=	٥٠٢٣	=

المصدر: البنك الإسلامي للتنمية - عام ٩٥ - ١٩٩٦م ص ٥٩.



شكل (١٨) دول منظمة التعاون الاقتصادي

(جدول رقم ١٨) : التجارة البينية للدول الإسلامية بمنظمة التعاون الاقتصادي للعامين ١٩٩٣م و ١٩٩٤م « بملايين الدولارات الأمريكية »

الدولة	االسنة	أفغانستان	إيران	باكستان	تركيا	دول أخرى أعضاء	الصادرات الإقليمية
أفغانستان	١٩٩٤م	=	=	١٠	٧	١	١٩
	١٩٩٣م	=	=	٩	٦١٨	=	٦٢٧
إيران	١٩٩٤م	=	=	١١٨	٦٨٩	١٢٥	٩٣٢
	١٩٩٣م	=	=	١٣٥	٦٩٢	٢٥٣	١٠٨٠
باكستان	١٩٩٤م	٢٦	٢٦	=	٣٦	٢٦	١١٥
	١٩٩٣م	١٥	١٨	=	١٠٣	٢٤	١٦٠
تركيا	١٩٩٤م	١	٢٦٧	٤٥	=	٣٣٢	٦٤٥
	١٩٩٣م	=	٢٩	٤٣	=	١٩٤	٥٢٧
دول أخرى أعضاء	١٩٩٤م	٢	=	=	١٢٢	٨٦	٢١٠
	١٩٩٣م	٣	=	=	١٥١	٥	١٥٩
الإجمالي دون أعضاء	١٩٩٤م	=	=	=	=	=	١٩٢١
	١٩٩٣م	=	=	=	=	=	٢٥٥٣

المصدر: البنك الاسلامي للتنمية - عام ٩٥ - ١٩٩٦م ص٦٠.

٣ - رابطة شعوب جنوب شرقي آسيا (Asean) :

ويلاحظ أن هذه الدول بعامة قد زادت صادراتها البينية عام ١٩٩٤م عن عام ١٩٩٣م حيث كانت ١,٥٪ من إجمالي صادراتها وأصبحت عام ١٩٩٤م ١,٩٪ .

فإندونيسيا زادت عام ١٩٩٤م وأصبحت ٢,٣٪ من إجمالي صادراتها بعد أن كانت ١,٧٪ عام ١٩٩٣م، وأكبر الدول التي تصدر إليها ماليزيا (٨٥٦ مليون دولار أمريكي) . أما بروناي، فزادت أيضاً عام ١٩٩٤م عن عام ١٩٩٣م، حيث كانت ٠,١٧٪ من إجمالي صادراتها وأصبحت عام ١٩٩٤م ١,٤٪ وأكبر الدول التي تصدر إليها ماليزيا (٢٩ مليون دولار أمريكي) .

أما مـاليزيـا، فزادت أيضـاً صادراتهـا عام ١٩٩٤م (٦,١٪) من إجمـالي صادراتها عن عام ١٩٩٣م (٥,١٪)، وأكبـر الدول التي تصدر إليـها إندونيسـيا (٧١٥ مليون دولار أمريكي) (الجدول رقم ١٩، والشكل رقم ١٩).

٤ - الاتحاد المغربي العربي :

يلاحظ أن التـجـارة البـينية بـينها قـد زادت عـام ١٩٩٤م (٢٥,٣٪) من إجمالي صادراتـها عن عـام ١٩٩٣م(١٥,٣٪)وهذه تعتبر زيادة طفيفـة للغايـة.

فتونس قد انخـفضت صادراتها البينيـة عام ١٩٩٤م عن عام ١٩٩٣م، حيث كانت ٦,٧ من إجمالي صادراتها وأصبحت عام ١٩٩٤م ٣,٦٪، وأكبر الدول التي تصدر إليها هي ليبيا (١٥٨ مليون دولار أمريكي) .

أما الجزائر، فقد زادت صادراتها عام ١٩٩٤م عن عام ١٩٩٣م، حيث كانت ١,٧٥ ٪ وأصبحت ٩٢,١٪، وأكبـر الدول التي تصدر إليهـا هي المغرب (١٠٤ مليون دولار أمريكي) .

أما ليبيـا، فقد زادت صادراتها عام ١٩٩٤م عن عـام ١٩٩٣م، حيث كانت ٧٦,٠ ٪ من إجمالي صادراتـها، وأصبحت ٦٧,١٪ عام ١٩٩٤م، وأكبر الدول التي تصدر إليها تونس (١١١ مليون دولار أمريكي) .

أما المغـرب، فقد انخفـضت صادراتها عام ١٩٩٤م عن عـام ١٩٩٣م، حيث كانت ٧٪ من إجمالي الصادرات عام ١٩٩٤م، وأصبحت ٥٪ عام ١٩٩٤م، وأكبر الدول التي تصـدر إليهـا ليـبيا (١٥٣ مليـون دولار أمريكي) (الجـدول رقم ٢٠، والشكل رقم ٢٠) .

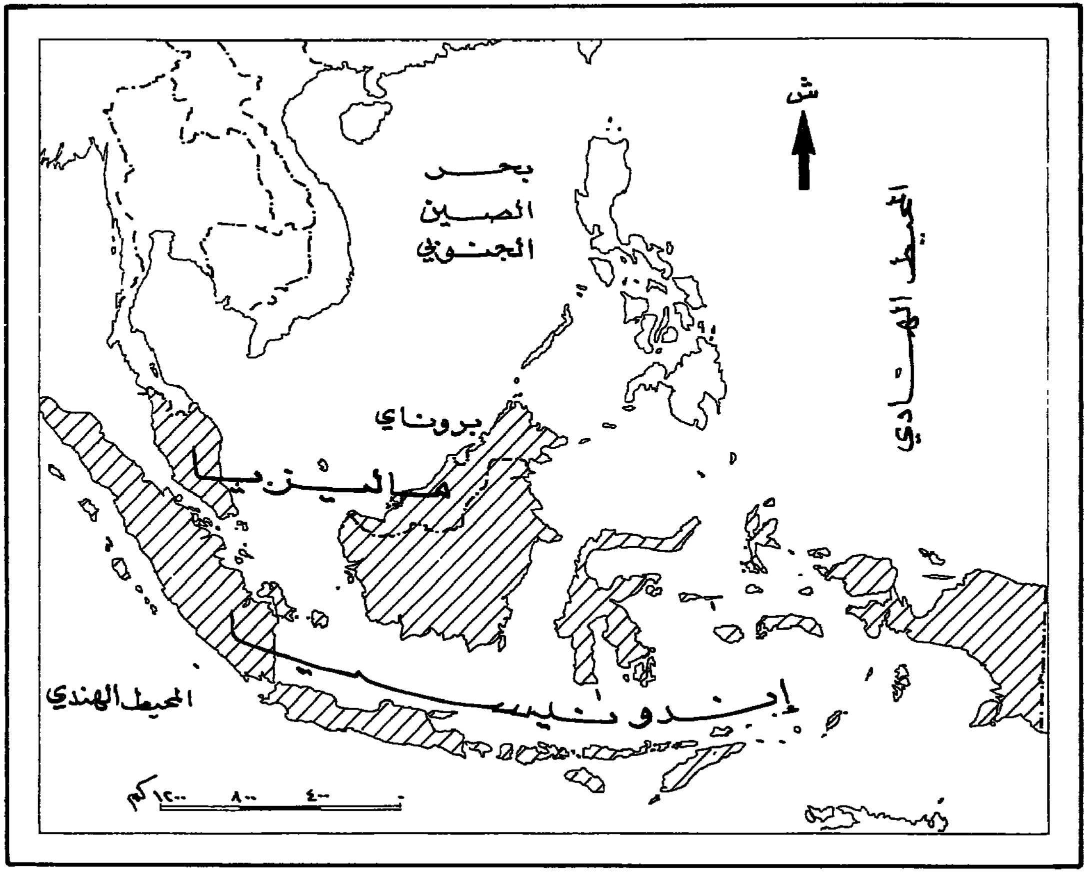
(جدول رقم ١٩) : التجارة البينية لدول رابطة شعوب جنوب شرقي آسيا الإسلامية عامي ١٩٩٣م و ١٩٩٤م « بملايين الدولارات الأمريكية »

الدولة	االسنة	إندونيسيا	ابروناي	اماليزيا	الصادرات الإقليمية
إندونيسيا	١٩٩٤م	=	٤٥	٨٥٦	٩٠١
	١٩٩٣م	=	٤٣	٥٨٦	٦٢٩
بروناي	١٩٩٤م	١	=	٢٩	٣٠
	١٩٩٣م	١	=	٣	٤
ماليزيا	١٩٩٤م	٧١٥	٢٦١	=	٩٧٦
	١٩٩٣م	٥٤٢	١٨٨	=	٧٣٠
	١٩٩٤م	=	=	=	١٩٠٧
	١٩٩٣م	=	=	=	١٣٦٣

- البيانات غير متوافرة.

بقية الأعضاء في الرابطة هم الفليبين وسنغافورة وتايلاند.

المصدر: البنك الاسلامي للتنمية ٩٥ - ١٩٩٦م ص ٦١.



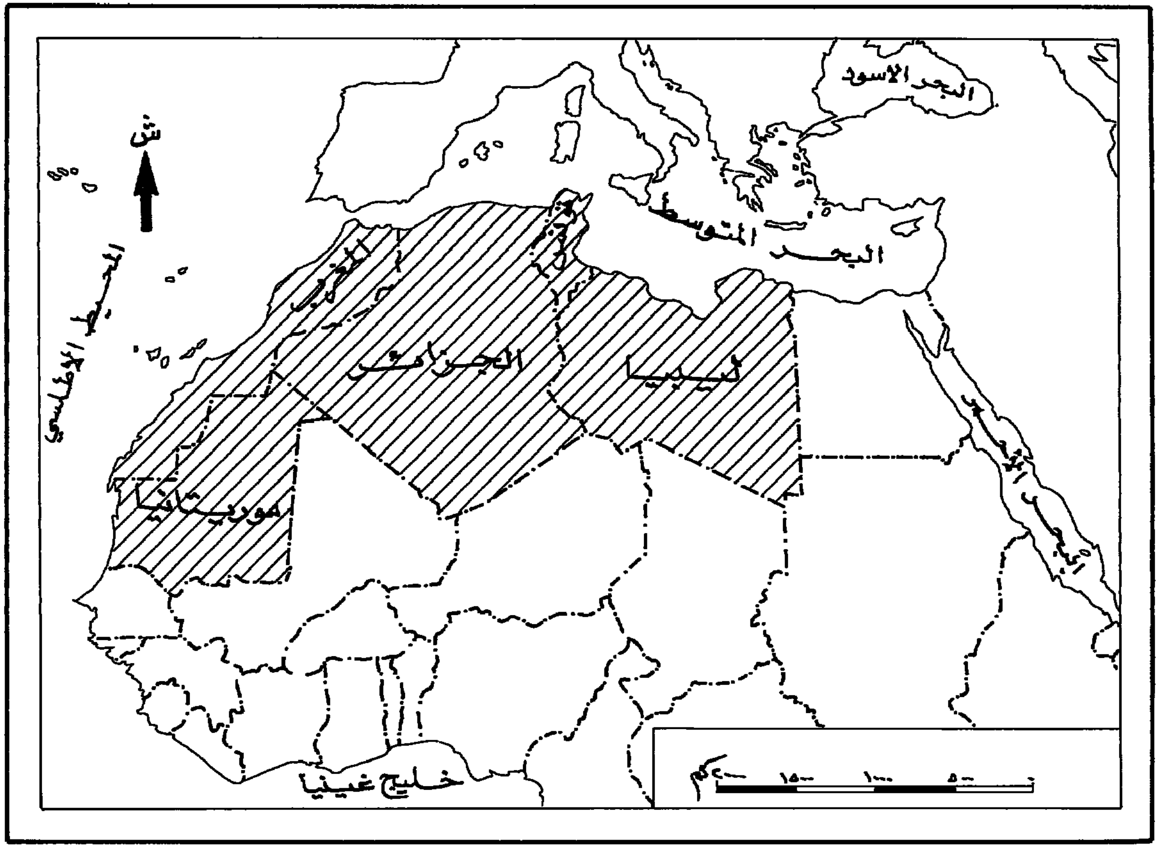
شكل (١٩) دول رابطة شعوب جنوب شرق آسيا الإسلامية

(جدول رقم ٢٠) : التجارة البينية للدول في الاتحاد المغربي العربي ١٩٩٣ و ١٩٩٤م « بملايين الدولارات الأمريكية »

الدولة	السنة	تونس	الجزائر	ليبيا	المغرب	موريتانيا	الصادرات
تونس	١٩٩٤م	=	١٧	١٥٨	٢٨	١	٢٩٤
	١٩٩٣م	=	٩٨	١٨٨	٣٥	=	٢٩٠
الجزائر	١٩٩٤م	٧٤	=	٢	١٠٤	١٨	١٧٨
	١٩٩٣م	٥٤	=	٣	١٠١	١٨	١٧٦
ليبيا	١٩٩٤م	١١١	٢	=	١٧	١	١٣١
	١٩٩٣م	٤٧	٢	=	١٦	١	٦٦
المغرب	١٩٩٤م	٤٣	٨٦	١٥٢	=	٨	٢٨٩
	١٩٩٣م	١٠	٨	١٤١	=	٧	٢٦٨
موريتانيا	١٩٩٤م	=	=	=	=	=	=
	١٩٩٣م	=	=	=	=	=	=
إجمالى	١٩٩٤م	=	=	=	=	=	٨٩٢
	١٩٩٣م	=	=	=	=	=	٨

- المعلومات غير متوافرة.

المصدر: البنك الاسلامي للتنمية ٩٥ - ١٩٩٦م ص ٦١.



شكل (٢٠) دول الاتحاد المغاربي

٥ - منظمة دول غربي أفريقيا :

يلاحظ أن التجارة البينية بين هذه الدول قد انخفضت عام ١٩٩٤م عما كانت عليه عام ١٩٩٣م، حيث كانت ٦,٥٪ من إجمالي صادراتها وأصبحت عام ١٩٩٤م، ٥٪. والمعروف أن هذه المنظمة من أنشط المنظمات شبه الإقليمية التي تضم دولاً أفريقية، وهي تبذل جهوداً طيبة في تنمية التجارة، وقد اتخذت عدداً من الخطوات لتشجيع التجارة عبر الحدود بصفة خاصة . ويتولى تسيير جزء كبير من التجارة أشخاص غير رسميين، لذلك فإن الأرقام الخاصة، بتجارة هذه المنظمة قد لاتعكس الصورة الحقيقة للتجارة البينية لهذه الدول . وتشير الأرقام لعام ١٩٩٤م إلى حدوث انخفاض طفيف في التجارة بين دول هذه المنطقة، حيث زادت الصادرات البينية الإقليمية من ١٠٥ مليون دولار أمريكي عام ١٩٩٢م إلى ١١٠ مليون دولار عام ١٩٩٣م، ثم انخفضت إلى ١٠٦ مليون دولار عام ١٩٩٤م، ولكن الوضع العام للتجارة الإقليمية يظل غير مرضٍ . فهناك عدد من دول المنطقة له معاملات تجارية بسيطه، وقد لاتوجد له تجارة مع الدول الأخرى في المنطقة، ومن بين الدول الإسلامية الأعضاء في هذه المنظمة لم تسجل سوى غامبيا والسنغال وغينيا حجماً معقولاً من التجارة البينية على مستوى الإقليم عام ١٩٩٣م، وسجلت غامبيا عام ١٩٩٤م انخفاضاً كبيراً في صادراتها للمنظمة (من ٢٠٪ إلى ٨٪)، وكذلك السنغال سجلت حصتها في التجارة البينية انخفاضاً من ١٥,٢٪ عام ١٩٩٣م إلى ١٣,٥٪ عام ١٩٩٤م، ويشير ذلك إلى أن على معظم دول المنظمة البحث عن مجالات للتكامل التجاري والأشكال الأخرى من الروابط التجارية داخل المنطقة، مع إقامة البنية الأساسية اللازمة لتنشيط التجارة البينية في الإقليم (الجدول رقم ٢١، والشكل رقم ٢١) .

وعموماً فهناك اتجاه ملموس لتنمية التجارة البينية بين الدول الإسلامية، ولكن ينبغي على المنظمات الإقليمية أن تواصل جهودها لتقطع شوطاً كبيراً من أجل إقامة روابط معقولة داخل الأقاليم التي تقع فيها، ومن ثمّ يأتي في مرحلة ارتباط هذه

الأقاليم التي تقع فيها بعضها ببعض وتنسيق سياستها التجارية، حتى تكون سوق إسلامية مشتركة (شلبي، ١٩٨٤م : ٣٢) . ومن أجل ذلك، لابد من اتخاذ خطوات على المستويات الوطنية والإقليمية ومستوى الأمة الإسلامية لتعزيز قدراتها المؤسسة، لتنفيذ برامجها الخاصة بتنمية التجارة والأشكال الأخرى من التعاون الإقليمي، ثم التعاون على مستوى الأمة الإسلامية .

هيكل التجارة الإسلامية البينية حسب المواد :

نود أن نلقي الضوء في هذه الجزئية للتعرف على ما تحتوية التجارة الإسلامية من المواد، وسوف يتم الإشارة فقط إلى نخبة من هذه الدول الإسلامية تبلغ حوالي ٢٤ دولة، ثمان منها من الدول المصدرة للنفط، وثمان أخرى من الدول الأقل نمواً، وثمانٍ من الدول متوسطة الدخل، وتبلغ جملة المبادلات بينها حوالي ٨ ٪ من إجمالي التجارة الإسلامية البينية، وسوف نشير أولاً إلى هيكل الصادرات وثانياً إلى هيكل الواردات وذلك على النحو التالي (المركز الإسلامي لتنمية التجارة، ١٩٩٥م : ٥٥ - ٦٤) :

أولاً : هيكل الصادرات للمواد في التجارة البينية :

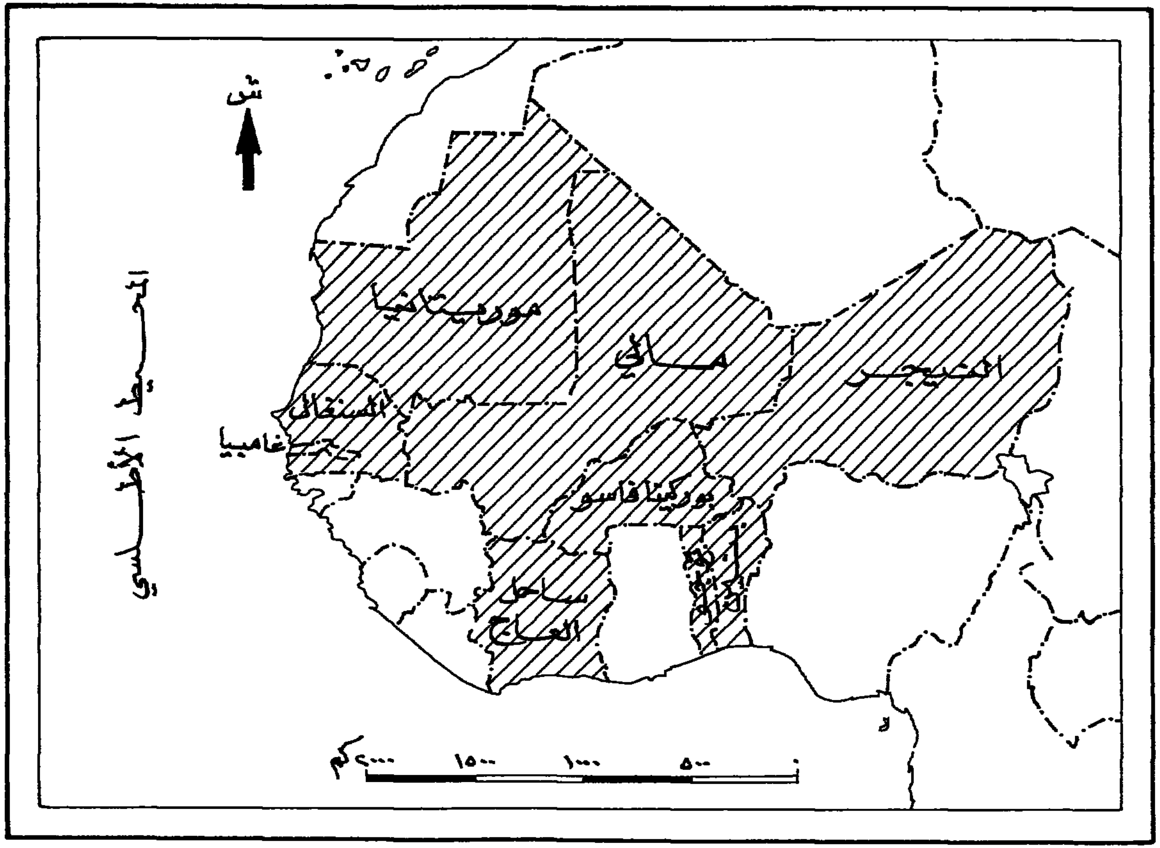
يلاحظ في هيكل الصادرات في التجارة البينية بين الدول الإسلامية، أن حصة المواد الأولية قد حظيت بالنصيب الأكبر من المواد المصنعة، حيث تراجعت الأخيرة بنسبة ٩,١٪ بين عامي ١٩٩٢م و ١٩٩٤م (من ٤٤٪ إلى ٤٠٪)، بينما حصلت المواد الأولية على ٦٠٪ من الصادرات بين الدول الإسلامية عام ١٩٩٤م مقابل ٥٦٪ عام ١٩٩٢م .

(جدول رقم ٢١) : التجارة البينية للدول الإسلامية في المنظمة الاقتصادية لدول غربي أفريقيا (١٩٩٣ و ١٩٩٤م « بملايين الدولارات الأمريكية »

الدولة	السنة	بنين	بوركينا	جامبيا	السنغال	غينيا	مالي	النيجر
بنين	١٩٩٤م	=	٢	=	=	=	=	١
	١٩٩٣م	=	٢	=	١	=	=	١
بوركينا	١٩٩٤م	=	=	=	١	=	٢	١
	١٩٩٣م	=	=	=	=	=	٦	=
نجامبيا	١٩٩٤م	=	=	=	=	١	=	=
	١٩٩٣م	=	=	=	٦	١٠	=	=
السنغال	١٩٩٤م	٨	٤	٢	٢	٢١	٥	١
	١٩٩٣م	٧	٣	١٤	=	٨١	٤٤	١
غينيا	١٩٩٤م	=	=	=	=	=	=	=
	١٩٩٣م	=	=	=	١	=	=	=
مالي	١٩٩٤م	=	٢	=	١	=	=	١
	١٩٩٣م	=	٣	=	٢	=	=	=
النيجر	١٩٩٤م	=	=	=	٢	=	=	=
	١٩٩٣م	=	=	=	=	=	=	=
المجموع	١٩٩٤م	=	=	=	=	=	=	=
	١٩٩٣م	=	=	=	=	=	=	=

- بالنسبة لغينيا بيساو وسيراليون وموريتانيا لا توجد بيانات عن التجارة البينية لعامي ١٩٦٣ و ١٩٩٤م.

المصدر: البنك الإسلامي للتنمية ٩٥-١٩٩٦م ص ٦٢.



شكل (٢١) دول المنظمة الاقتصادية لدول غربي أفريقيا

وترجع زيادة حصة المواد الأولية إلى تزايد حصة مواد الطاقة والتي كانت تمثل٣ ,٣٥٪ عام ١٩٩٢م وأصبحت تمثل ٥٦ ,٣٧٪ عام ١٩٩٤م . كما ارتفعت حصة المواد الغذائية من ٥١ ,١٥٪ عام ١٩٩٢م إلى ٧ ,١٦٪ عام ١٩٩٤م .

ويلاحظ أن أهم المواد الأولية المتبادلة بين الدول الإسلامية هي مواد الطاقة بنسبة ٥ ,٣٧٪ والمواد الغذائية بنسبة ٧ ,١٦٪، ثم باقي المواد الأولية النباتية والحيوانية بنسبة ٧ ,٥٪ .

ثانياً : هيكل الواردات في التجارة البينية :

تسود المواد الأولية الواردات في التجارة البينية بين الدول الإسلامية والتي تشكل حوالي ٥٧٪ أما المواد المصنعة فتشكل حوالي ٤٣٪ . وتحتل الطاقة ومشتقاتها - من المواد المصنعة - حوالي ٥ ,٣١٪ وباقي المواد المصنعة ٥ ,٢٢٪ من إجمالي الواردات .

فخلال الفترة ١٩٩٢م - ١٩٩٤م، تزايدت حصة المواد المصنعة، حيث كانت تمثل ١٩ ٪ ثمَّ وصلت إلى ٩ ,٢٥٪ . كما زادت حصة المواد الأولية للفترة نفسها من ١٥٪ إلى ١٩٪ . وكذلك الحالي بالنسبة للمواد الكيماوية، حيث كانت ٢ر٦ ٪ وأصبحت عام ١٩٩٤م ١ ,٨٪ . ولقد تراجعت الآلات ومعدات النقل في الفترة نفسها . حيث كانت ٦ ,١١٪ وأصبحت ٩٪ عام ١٩٩٤م .

أثر اتفاقية الجات على اقتصاديات الدول الإسلامية :

إن النظام العالمي الجديد الذي بدأ مع التوقيع على افتقيات جولة أورجواي والذي يتم اكتماله مع بدايات القرن الحادي والعشرين الميلادي سيفرض شروطه على اقتصاديات العالم، سواء كانت من أعضاء منظمة التجارة العالمية أم لا . وتشير الدراسات إلى أن هذه الاتفاقيات سترتب آثاراً متعددة وبعيدة المدى في مختلف المجالات، فضلاً عن انعكاسها على كل دول العالم باختلاف مستوياتها الاقتصادية. وتؤكد الدراسات الأولية، أن معظم الآثار السلبية ستكون من نصيب الدول النامية، التي تقع في محيطها الدول الإسلامية، ويمكن توضيح ذلك كالآتي :

أولاً : الآثار السلبية لاتفاقية الجات :

وتتمثل الآثار السلبية التي تتولد عن إعمال اتفاقية الجات ١٩٩٤م فيما يلي :

١ - صعوبة القدرة على السيطرة على حركة الواردات نتيجة ضعف القدرة على تحريك شرائح الضريبة الجمركية على الواردات أو الاتجاه إلى أسلوب الحصص أو تقييد حركة الواردات كماً ونوعاً نتيجة تشدد اتفاقية الجات في هذا الخصوص .

٢ - صعوبة الانطلاق إلى أسواق جديدة نتيجة إلغاء نظام الحصص المفروض من قِبَل الجات على الصادرات للدول الأعضاء خلال عشر سنوات انتقالية .

٣ - شدة المنافسة في الأسواق الخارجية وسط كيانات منظمة وقادرة على التنافس والاحتفاظ بالأسواق .

٤ - تزايد مخاطر الانحراف وعدم كفاية الإجراءات التي أفردتها الجات لمعالجة حالات الانحراف التي تتبعها الدول والشركات الكبرى لاقتحام الأسواق .

٥ - المصاعب التي ستواجه الدول الإسلامية في الحصول على الواردات الاستراتيجية كالقمح نتيجة إلغاء الدعم وتأثر الأسعار بالعرض والطلب.

٦ - الارتفاع المتوقع لأسعار الشحن نتيجة توقع نمو حجم التجارة الدولية، مع ثبات أسطول الشحن الدولي والناقلات، مما سيؤدي إلى ارتفاع أسعار النقل وبالتالي ارتفاع أسعار الواردات .

٧ - صعوبة إدارة العجز في ميزان المعاملات الجارية وميزان المدفوعات، نتيجة خروجها عن قبضة كل دولة إسلامية وارتهانها بأصحاب الأرصدة من المستوردين أو العالم الخارجي (زكي، ١٩٩٦م : ١٠ - ١١) .

ثانياً : الأساليب اللازمة لمواجهة الآثار السلبية لاتفاقية الجات :

إن على الدول الإسلامية التصدي لهذا التحدي الاقتصادي المعاصر واتخاذ السياسات اللازمة لإصلاح شؤونها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ويتطلب ذلك :

١ - دراسة ماجاء في هذه الوثيقة من إجراءات (اتفاقية الجات) .

٢ - دراسة وفهم ماتم إنشاؤه بنص هذه الاتفاقية من الكيانات والإطارات والهياكل والآليات وهي آليات غير مسبوقة في مجال العلاقات الاقتصادية الدولية .

٣ - دراسة جميع الفرص والإمكانات المتاحة للدول الإسلامية وطبيعة المخاطر والتحديات التي ستواجهها .

٤ - وضع الخطط الطويلة المدى لمواجهة السوق العالمية عند إتمام تحررها سنة ٢٠٠٥م، وما يعطيه ذلك من إمكانات تصحيح وتحسين وإصلاح على مستوى الهياكل الإنتاجية .

٥ - وضع الخطط اللازمة للارتفاع بنوعية العنصر البشري القائد للسيسات الجديدة في مجال الإنتاج السلعي والخدمي واتخاذ القرار .

٦ - التعرف على الفرص المتاحة في كل مجال من مجالات التجارة للتمتع بالإعفاءات الممنوحة لتطبيق بعض القواعد والاحتفاظ بالمعاملة التفصيلية في المفاوضات من خلال عمل جماعي على مستوى الدول النامية .

٧ - متابعة مدى إلتزام الدول الصناعية بتطبيق إلتزاماتها في النظام الجديد تجاه الدول النامية، بتقديم معاملة متميزة وأكثر تفصيلاً، وتقديم العون الفني والمالي الذي يساعد على تلبية متطلبات النظام الجديد .

٨ - تكوين جبهة جيدة التمثيل من الدول النامية في المجالس واللجان والهيئات المختلفة لمنظمة التجارة العالمية، لضمان زيادة المكاسب والحصول على معاملة أكثر تفصيلاً .

٩ - رفع مستوى الكفاءة الإنتاجية في مختلف القطاعات الإنتاجية، وتطوير المنتجات من حيث الجودة والمواصفات (مشهور،١٩٩٦م: ٢٠ - ٢٤) .

١٠- على الدول النامية تطوير هياكل إنتاجها المحلية، في ضوء نصوص النظام الاقتصادي العالمي الجديد، ورفع كفاءة وجودة مستوى القدرة التنافسية لمنتجاتها والتوسع في الزراعة الصحراوية وتغيير نظم الري .

١١ - تدعيم المناطق الحرة والتوسع فيها، حيث إنها تخرج عن نطاق الدولة وتتمتع بكامل الحرية في التصدير والاستيراد بعيداً عن مظلة اتفاقية الجات.

١٢- إحياء فكرة السوق الإسلامية المشتركة ووضعها على الطريق العملي كمنفذ للعبور من قيود الجات ومخرج للتعاون العربي والإسلامي من خلال قيام منظمة تجارة إسلامية حرة، يتم من خلالها إنتقال رؤوس الأموال والسلع والأفراد دون أي قيود، رداً على التكتلات الاقتصادية الكبرى في آسيا وأوروبا وأمريكا .

وبذلك تتضح أهمية وضرورة تنسيق العمل بين الدول الإسلامية لمواجهة هذا التحدي الكبير والخروج من محنة التخلف للدخول كعضو شريك في الإفادة من تحرير التجارة العالمية بأكبر قدر ممكن من المنافع .

ويتطلب دعم العمل الاقتصادي الإسلامي المشترك إحداث نهضة تنموية لكل دولة إسلامية في أسواق السلع والعمل ورأس المال، على أن يتم ذلك على أسس تضمن الإفادة المثلى من مزايا كل منها، وتعزيز القدرة التنافسية، وزيادة الثقل التجاري لهذه الدول في مواجهة التكتلات الأخرى والاتفاقيات الدولية .

وإذا كانت النمور الآسيوية قد نجحت في تحديد مكان متميز لها على الخريطة الاقتصادية العالمية إنتاجاً وتوزيعاً، عن طريق تنمية قدراتها التنافسية والإفادة من مزاياها التكاملية، فإن الدول الإسلامية تستطيع أن تحقق النجاح نفسه إذا ما أسرعت

في استيعاب أهمية الإفادة من قدراتها التكاملية والتنافسية لتتخذ مكانها المناسب في النظام الاقتصادي العالمي الجديد .

والدول الإسلامية تملك مقوِّمات النجاح في مواجهة الآثار السلبية المفروضة على اقتصادياتها من جراء تطبيق اتفاقيات جولة أوروجواي، لما تتمتع به من العديد من الموارد المهمة الاقتصادية والبشرية، التي قلما تتمتع بها اقتصاديات أخرى، مما يمكنها من إيجاد مكان متميز لها في النظام العالمي الجديد.

وسائل تنشيط التجارة الإسلامية البينية والإمكانات المستقبلية :

سبق أن ذكرنا أن الاقتصاديات الإسلامية تتمتع بدرجة عالية من التباين الطبيعي والديمقراطي والصناعي الذي يؤهلنا للتعاون القائم على التكامل، فالاقتصاد الإسلامي يتمتع بتنوع كبير في الموارد الطبيعية والموقع الجغرافي والمناخ والموارد المالية، إلا أن الواقع يؤكد ضعف مستوى التعاون الاقتصادي العربي والإسلامي وانخفاض حجم التجارة الإسلامية البينية، والذي يرجع لضعف الطاقات الإنتاجية، وعدم كفاية سياسات التفضيل التجاري بين الدول الإسلامية، وعدم تيسير خطوط النقل والمواصلات وحركة انتقال الأشخاص والأموال، واختلاف الأنظمة الاقتصادية المطبقة في الدول الإسلامية .

وفي ظل الظروف والمتغيرات الدولية والإقليمية الراهنة، ينبغي العمل على دعم التعاون والتكتل الاقتصادي بين الدول الإسلامية من خلال الآتي :

١ - دعم وتفعيل دور منظمة المؤتمر الإسلامي من خلال القمة الإسلامية التي توجه الجهود والأعمال المتعلقة بالتعاون الاقتصادي بين الدول الأعضاء . وقد عقد مؤتمر القمة الإسلامي السابع في الدار البيضاء بالمغرب في الفترة من ١٠ - ١٤ ديسمبر ١٩٩٤م حيث اتخذ عدداً من القرارات والتوصيات ذات الصلة منها :

أ - ناشد المؤتمر الدول الإسلامية للتعاون من أجل مواجهة آثار السوق الأوروبية المشتركة الموحدة .

ب - أعرب المؤتمر عن قلقه إزاء المشكلات الخطيرة التي تواجه الدول الأقل نموا والدول الحبيسة (التي ليس لها منافذ على البحر)، بخاصة في إفريقيا، وناشد البنك الإسلامي للتنمية تقديم المساعدات لهذه الدول .

جـ - ناشد المؤتمر الدول الأعضاء والبنك الإسلامي للتنمية لتقديم المساعدة الفنية والمالية والغذائية إلى الدول الإسلامية التي تأثرت بالجفاف والكوارث الطبيعية.

د - طالب المؤتمر بتقديم المساعدة الاقتصادية إلى أذربيجان وأفغانستان والبانيا وأوغندا والبوسنة والهرسك وسيراليون والصومال وقيرغزيا ولبنان.

هـ - أيد المؤتمر البنك الإسلامي للتنمية لقيامه بإنشاء المؤسسة الإسلامية لتأمين الاستثمار وائتمان الصادرات .

٢ - دعم وتفعيل دور البنك الإسلامي للتنمية الذي يتمثل هدفه الرئيس في دعم التنمية الاقتصادية والتقدم الاجتماعي للدول الأعضاء، من خلال المشاركة في رؤوس الأموال المستثمرة في المشروعات والمؤسسات الإنتاجية للدول الأعضاء، ودعم البنية الأساسية لاقتصادياتها، إلى جانب منح القروض لتمويل المشروعات والبرامج الإنتاجية في القطاعين العام والخاص في الدول الأعضاء، بالإضافة إلى إدارة صناديق خاصة لأغراض معينة، مثل صندوق معاونة الدول الإسلامية غير الأعضاء .

٣ - توسيع إطار اتفاقية الوحدة الاقتصادية العربية وجهازها الدائم المتمثل في مجلس الوحدة الاقتصادية العربية ليشمل باقي الدول الإسلامية .

٤ - توسيع إطار صندوق النقد العربي ليشمل باقي الدول الإسلامية، وتكوين صندوق النقد الإسلامي .

٥ - تنشيط دور المؤسسات المالية الإقليمية على مستوى رقعة الدول الإسلامية، مثل الصندوق العربي للإنماء الاقتصادي والاجتماعي والصندوق الكويتي للتنمية الاقتصادية والصندوق السعودي للتنمية وصندوق أبو ظبي للتنمية الاقتصادية والاجتماعية .

٦ - فتح باب المساهمة في الشركات العربية المشتركة القابضة الكبرى التي أنشأها مجلس الوحدة الاقتصادية أمام كافة الدول الإسلامية .

٧ - التنسيق بين المؤسسات المالية في مجال التجارة وزيادة التبادل التجاري بين الدول الإسلامية .

٨ - تفعيل وتوسيع نطاق برنامج تمويل التجارة العربية ليشمل الدول الإسلامية، ويهدف البرنامج إلى الإسهام في تنمية التجارة بين الدول العربية، وتعزيز القدرة التنافسية للمصدِّر العربي .

٩ - العمل على دمج البنوك في الدول الإسلامية وتكاملها وانفتاحها على بعضها البعض .

١٠- تنشيط برامج الخصخصة والتحوُّل لاقتصاديات السوق الحر، باعتبارها السبيل إلى زيادة كفاءة الوحدات الانتاجية .

١١- دراسة التجارب التكاملية في العالم والتعرف على أسباب الفشل والنجاح فيها، بخاصة تجربة الجماعة الأوروبية التي نجحت في تحقيق أول وحدة إقليمية، استطاعت أن تتطور حتى وصلت إلى تكوين الاتحاد الأوروبي، الذي كان لقيامه صدى عميقاً في العالم أجمع، ومنطقة التجارة الحرة لأمريكا الشمالية « النافتا » (Nafta) التي ضمت الولايات المتحدة وكندا والمكسيك لتكون أكبر سوق تجاري في العالم، حيث تتفوق في عدد أفرادها على سوق الجماعة الأوروبية، كما تتفوق عليها في إنتاج النفط والحبوب .

أنسب أساليب
التكامل الاقتصادي لدول العالم الإسلامي

لقد مر العالم الإسلامي (والعربي) بتجارب مختلفة من أجل العمل المشترك والبعض من هذه التجارب قد لاقى بعض النجاحات والبعض الآخر لم يحقق النجاح المطلوب وذلك لعوامل وظروف مختلفة، ويمكن تناول تلك التجارب وآفاق المستقبل على النحو التالي :

أولاً : تقييم تجارب العمل الإسلامي المشترك في الفترة السابقة (٢٩) :

بدأ العمل الإسلامي (العربي) المشترك منذ مولد الجامعة العربية عام ١٩٤٥م، حيث تلاها الكثير من الاتفاقيات الدولية العربية التي تهدف إلى تحقيق وحدة اقتصادية عربية، حيث تمَّ توقيع اتفاقية « المعاملة التفضيلية » عام ١٩٥٣م، والتي بموجبها يتم تحديد تعريفة تفضيلية لسلع الدول العربية وتعمل على تسهيل التبادل التجاري وتجارة العبور وإعفاء بعض المنتجات الزراعية والحيوانية والثروات الطبيعية إعفاءً كاملاً، وتخفيض التعريفة الجمركية لبعض المنتجات الصناعية بحوالي ٢٥٪ .

ثم أعقب ذلك، اتفاقية الوحدة الاقتصادية عام ١٩٦٢م والتي صدَّقت عليها خمس دول عربية فقط، وكانت تهدف إلى تحقيق حرية انتقال العمل ورأس المال، وحرية تبادل السلع والإقامة، وممارسة النشاط الاقتصادي . ولقد تضمنت اللائحة التنفيذية توحيد التعريفة الجمركية وسياسة التصدير والاستيراد وعقد الاتفاقيات التجارية، وتنسيق السياسات الزراعية والصناعية والمالية، وتوحيد أسس الإحصاء .

وفي عام ١٩٦٤م، وقَّعت خمس دول اتفاقية السوق العربية المشتركة وكانت تهدف إلى حرية انتقال الأفراد ورؤوس الأموال، وحرية الإقامة والعمل وممارسة النشاط الاقتصادي، وحرية تبادل السلع والنقل والعبور . وفي عام ١٩٨١م، عقدت اتفاقية تسيير التبادل التجاري بين الدول العربية والتي أنشئ بمقتضاها برنامج تمويل التجارة الخارجية .

وأثناء ذلك ظهر العديد من التكتلات الاقتصادية الإقليمية والتي حاولت تحقيق ماتهدف إليه اتفاقية الوحدة الاقتصادية، مثل دول مجلس التعاون الخليجي ودول مجلس التعاون العربي ودول الاتحاد المغربي العربي .

وفي هذه الجزئية من الدراسة، سوف نعرض تقييماً لتطور العلاقات الاقتصادية للدول العربية والإسلامية في الفترة السابقة .

ولقد مرت الدول العربية والإسلامية بعدة تجارب للعمل الاقتصادي المشترك، حيث تعددت الاتفاقيات الجماعية بينها بهدف تحقيق قدر كبير من التعاون في المجال الاقتصادي، لكن هذه الاتفاقيات لم تحقق إلا نتائج محدودة للغاية ومخيبة للآمال، رغم أن دواعي التكامل كانت تحظى بالكثير من الظروف الموضوعية التي تكفل نجاحه .

ومن عوامل عدم النجاح، أن ميثاق جامعة الدول العربية لم يشملها نصوصاً صريحة لأجل التكامل الاقتصادي أو الوحدة الاقتصادية، بل كانت هذه النصوص من العوامل المؤدية لتراخي الإجراءات والقرارات . وعلى سبيل المثال، ما تنص عليه المادة الثانية من ميثاق جامعة الدول العربية على أن تتعاون الدول العربية المشتركة فيها تعاوناً وثيقاً بحسب نظم كل دولة منها وأحوالها في الشؤون الاقتصادية والمالية .

كما تنص المادة السابعة من الميثاق، على أن مايقرره مجلس الجامعة بالإجماع يكون ملزماً لجميع الدول المشتركة في الجامعة، ومايقرره المجلس بالأكثرية يكون ملزماً لمن يقبله، وفي الحالتين تنفذ قرارات المجلس في كل دولة وفقاً لنظمها الأساسية .

كما ترك لكل دولة حرية عقد ماتشاء من اتفاقيات مع الدول الأخرى واتخاذ ماتراه من قرارات، حتى لو تعارضت مع صالح أي من الدول العربية الأخرى أو ميثاق الجامعة أو قرارات مجلس الجامعة . وقد قدمت عدة مقترحات لإجراء بعض

التعـديلات على الميثـاق، بمعرفة لجـنة شكلت عام ١٩٦٥م بقرار مـن مؤتمر الملوك والرؤساء العرب في المـغرب، تسمى لجنة دراسة ميـثاق الجامعة، ولكـن لم يتحقق النجاح الكامل لذلك حتى الآن .

ومن عـوامل ضعف التـعاون والتكامـل الاقتـصادي العـربي، الظروف التي أحاطت بالأجهزة العـاملة في هذا المجال بالجامعة العربيـة، حيث يلاحظ تعدد هذه الأجهزة وتفككهـا وتضارب اختصاصـاتها، واختلاف أنظمتـها، وضعف السلطات المخولة لها، وعدم وضـوح أهدافها، وتباين سياساتهـا، ووهن إمكاناتها، وبخاصة المجلس الاقتصادي الذي يعتبر أهم تلك الأجهزة، حيث إن دوره يقتصر على تقديم المقترحات لحكومات الدول الأعضاء بما يراه كفيلاً بتحقيق أغراضه(٣) ومن ثم، فإن المجلس ليس له دور تنفـيذي أو تخطيطي، بل إن كل اخـتصـاصه ينحـصر في أن يحاول تحقيق التعاون عن طريق تقديم المقترحات للدول الأعضاء .

كـذلك يلاحظ عدم وجـود أية رابطة أو تنسـيق مابين المجلس الاقـتصـادي والمنظمات المتعلقة بالمجلس، رغم أن المجلس هو الذي قام بالتـحضير والموافقة على المعاهدات والاتفاقيات المنشئة لتلك الهيئات والمنظمات، مما أدى إلى أن كل جهة من هذه الجهات تعمل باستقلال عن الأخرى وكذا المجلس .

وما ينطبق على قـرارات المجلس الاقتصـادي من عدم التزام الأعضـاء بها، ينطبق أيضاً على قرارات مجلس الوحدة الاقتـصادية، حيث تنص المادة الثالثة عشر من اتفـاقية الوحـدة الاقتـصادية على أن يمارس المجـلس هذه السلطات والسلطات الأخرى الموكولة إليـه بموجب هذه الاتفاقية ومـلاحقها بقرارات تصـدرهـا وتنفذها الدول الأعضـاء، وفـقاً للأصول الدستـورية المرعية لديهـا . وعلى ذلك، فالدول الأعـضـاء يمكن أن تتـحلل من تـنفـيـذ القـرارات الصـادرة من مـجلس الوحـدة الاقتصادية، بحجة أنها لاتتفق مع الأصول الدستورية المرعية لديها.

أما في مجال التطبيقات العملية للتعاون الإسلامي العربي، فإن لذلك أربعة جوانب يمكن توضيحها كالآتي :

١ - مرحلة الاتفاقيات :

تركزت جهود الدول العربية في هذه المرحلة على إزالة العقبات الجمركية والقانونية والإدارية من أجل تسهيل انتقال السلع وعناصر الإنتاج وتحقيق دور من التنسيق ومن بين هذه الاتفاقيات، اتفاقيات ثنائية وأخرى جماعية .

ولقد بدأ عقد الاتفاقيات الثنائية بين الدول العربية منذ أوائل الخمسينات الميلادية حيث عقدت بعض الدول العربية عدداً من الاتفاقيات الثنائية لتنشيط التبادل التجاري بينها، عن طريق تسوية المعاملات التجارية بالعملات الحسابية، ومن هذه الاتفاقيات :

أ - اتفاقية الأردن ومصر عام ١٩٥١م .

ب - اتفاقية الأردن والعراق عام ١٩٥٣ .

جـ - اتفاقية الأردن وسوريا عام ١٩٥٣م .

د - اتفاقية سوريا والعراق عام ١٩٦١م .

هـ - اتفاقية العراق والكويت عام ١٩٦٤ .

وكانت لهذه الاتفاقيات آثار إيجابية محدودة للغاية، لعدم وجود تنسيق وتكامل بين اقتصاديات الدول المعنية، حيث إن الأنشطة الإنتاجية في كل بلد عربي إسلامي تتشابه مع البلد الآخر، مما يؤثر على حركة التجارة وانتقال السلع، هذا بالإضافة إلى أن المناخ السياسي بين الدول المتعاقدة، كان له تأثير كبير على تنفيذ هذه الاتفاقيات .

أما فيما يتعلق بالاتفاقيات الجماعية فلقد أبرمت اتفاقيات جماعية بين دول العالم العربي والإسلامي بداية من عام ١٩٥٣م، حيث عقد المجلس الاقتصادي

بجامعة الدول العربية اتفاقيتين، إحداهما لتسهيل التبادل التجاري وتنظيم تجارة الترانزيت، والثانية لتسديد مدفوعات المعاملات الجارية وانتقال رؤوس الأموال، كما عقدت اتفاقيات جماعية أخرى، أهمها اتفاقية إنشاء مجلس الوحدة الاقتصادية والتي أسفر عنها الكثير من العمل العربي الجماعي، وكذلك اتفاقية السوق العربية المشتركة .

وكان لمرحلة الاتفاقيات بعض الجوانب الإيجابية البسيطة وجوانب سلبية، نشير إليها فيما يلي :

أ - اتفاقية تسهيل التبادل التجاري وتنظيم تجارة العبور : عملت على توسيع أفق التعاون الاقتصادي العربي وتوسيع نطاق نظام الأفضلية في التعامل التجاري، وإحداث ركيزة تمثل الحد الأدنى من التعامل الاقتصادي العربي شبه الثابت، وسارت التعديلات التي أدخلت عليها في الطريق الطبيعي وهو التوسع في الإعفاءات . أما الجانب السلبي في الاتفاقية، فإنه لم يوقع عليها سوى الأردن وسوريا ولبنان والعراق ومصر والسعودية واليمن، وعند التصديق عليها لم تصدق اليمن ثم انضمت الكويت لها فيما بعد، ومن ثمَّ نجد أن معظم الدول العربية لم تنضم لهذه الاتفاقية .

كما يلاحظ أن الاتفاقيات العربية التي عقدت بعد ذلك أعطت إعفاءات وتخفيضات جمركية أكثر من هذه الاتفاقية، هذا بالإضافة إلى أنها لاتؤدي إلى تنشيط التبادل التجاري بين البلاد العربية في الأجل الطويل، لعدم وجود تنسيق وتكامل بين اقتصادياتها، وعدم تضمنها لأية نصوص لتنسيق التعريفات الجمركية للبلاد العربية والعالم الخارجي. كما أن الدول المشتركة لم تتفق على الجدول الزمني لسريان التخفيضات المقترحة . بالإضافة إلى تغير نظم إجازات الاستيراد، بسبب خضوعها للسلطات السياسية، دون اعتبار للمصلحة العربية .

ب - أما عن اتفاقية تسديد المدفوعات للمعاملات الجارية وانتقال رؤوس الأموال بين دول الجامعة العربية : فقد تبين من التطبيق العملي لهذه الاتفاقية، عدم حدوث انتقال لرؤوس الأموال العامة، وتم انتقال محدود لرؤوس الأموال الخاصة في الاستثمارات العقارية فقط دون بقية الاستثمارات التنموية، كما لم تعمل هذه الاتفاقية على إلغاء أنظمة الرقابة على الصرف والتحويلات الخارجية المطبقة في دول الاتفاقية، مما ترتب عليه شل فاعلية الاتفاقية والحد من تأثيرها في تيسير التبادل التجاري، وتوزيع رؤوس الأموال على الاستخدامات البديلة في الوطن العربي بما يؤدي لرفع إنتاجيتها وتوسيع النشاط الاستثماري، وعدم حاجة الدول العربية إلى العون الخارجي .

جـ - أما عن السوق العربية المشتركة : فقد اقتصرت قرارات إنشائها على تكوين اتحاد جمركي بين الدول الأعضاء دون اتخاذ خطوات تحقيق الوحدة الاقتصادية العربية الشاملة، ورغم ذلك، فإن الدول الأعضاء لم تستطع أن تحقق هذا الاتحاد الجمركي، بل إن السوق رغم اكتمال جميع مراحلها لاتخرج عن كونها منطقة تجارة حرة، تعاني من القيود النقدية والاستيرادية والإدارية التي تعوق الاتجاه نحو تحقيق أهدافها، حيث إن التبادل التجاري بين الدول الأعضاء لايزال يخضع لهذه القيود الكمية والنقدية، وهو مايتعارض صراحة مع قرار إنشاء السوق . كما أن الدول الأعضاء قد أسرفت في استخدام حقها في طلب الاستثناءات من الإعفاءات الجمركية والتخفيضات التي نص عليها قرار إنشاء السوق .

كما اتسم قرار إنشاء السوق بعملية تسوية المدفوعات بين الدول الأعضاء، وفي فبراير من عام ١٩٧٠م، أقر مجلس الوحدة الاقتصادية مشروع إقامة اتحاد مدفوعات عربي بقرار رقم (٤٤٦)، إلا أن ذلك مازال متعثراً .

أما ماجـاء باتفاقية السـوق عن انتقال رؤوس الأموال، فـقد شكلت لجنة من خبـراء التمويل العـربي في الكويت أواخر عام ١٩٦٧م وقـدمت بعض المبادئ التي اعتمدها مجلس الوحدة الاقتصـادية في دورته الرابعة عشرة، وعهد للجنة محافظي المصارف المركزية للدول الأعضاء بوضع مشـروع اتفاقية في هذا الشأن، ولكن هذه الاتفاقية مازالت متعثرة .

نصت اتفاقـية السـوق العربية على حـرية انتقـال الأشخاص وحـرية ممارسة النشاط الاقتصادي، حيث أقر مجلس الوحـدة الاقتصادية بعض مبادئ تتعلق بحرية الإقامة والعمل، منهـا حق الأفضلية في العمل لرعايا دول الاتفاقـية عن غيرها من الدول . كـذلك أوصى في مارس ١٩٦٥م بـحق الإقامـة والانتـقال لرعـايا الدول الأعضاء في الاتفـاقية بجواز السفـر أو البطاقة الشخصـة الموحَّدة . وعدم المنع إلا لأسباب صحية أو أمنية، إلا أن تطبيق ذلك مازال متعثراً .

وفي مجـال حرية ممارسـة النشاط الاقـتصادي، لـم يتمكن مجـلس الوحدة الاقتصادية أن يخطو في سبيل ذلك إلا خطوات محدودة للغاية .

تضـمن قـرار إنشـاء السـوق إحالـة موضـوع التنسـيق الصـناعي والتكامل الاقتصادي بين دول السوق للجنة خاصة لدراسته وتقديم المقترحات اللازمة، إلا أن اللجنة لم تستـطيع أن تقوم بأعمـالها نظراً لعدم تلبـية الدول لطلباتهـا من بيانات، ويرجع ذلك إلى تسابق الدول الأعضاء في إقامـة عدد من الصناعات التي يوجد ما يماثلها لدى الدول الأعضـاء الأخرى قبل إجراء عملية التنسـيق، ويؤكد ذلك وجود نزعة استقلالية قوية لدى الدول الأعضاء .

ونتيجة لعدم تحقيق نتـائج ملموسة من التنسيق والتكامل الاقتصادي بين دول السوق، فقد اتجهت بعض الدول إلى إقامة الاتحاد فيما بينها، منها إنشاء هيئة دائمة للتنسـيق والتكامل الاقتـصادي عـام ١٩٧٠م بين مصـر وسوريا والعـراق، وإنشاء مجلس التـعاون الخليجي، وإنـشاء مجلس التـعاون لدول المغرب العـربي، وإنشاء مجلس التعاون العربي .

أما عن منجزات السـوق، فإنها ضعيفـة وهزيلة وقليلة الفائدة، ولاتزيد عن ٩٪ من نشاط دولها في التجارة الخـارجية الدولية، ومن ثم لم تؤد هذه النتائج إلى اتساع رقعة السوق على مستوى المنطقة العربية نفسها وذلك لعدة أسباب، منها عدم تضمن قـرارات إنشاء السـوق لقواعـد تحقيق التنـسيق بين أعضـائها وعـدم صدور التشريعـات المتعلقة بتوحيـد السياسات والإجراءات الاقـتصادية وغير الاقـتصادية، بالإضافـة لعدم البت في كـثيـر من الأمور المتـعلقة بحـرية انتقـال رؤوس الأموال والأفراد وممارسة النشـاط الاقتصادي، كذلك افـتقار السوق للدراسـات العلمية عن الهياكل الاقـتصادية والخطط وإمكانات النمو ومـشاكل التنسيق، لعدم وجـود جهاز مـتخـصص لمثل هذه الدراسات، كـما لايوجـد تنسيق بين الأنظمة النقـدية لدول السوق، وعدم مـعالجتهـا لعملية تحويل العـملات المحلية للدول المشتـركة، وتركت الأمر للدول تعرفه كيف تشاء . كما أن معظم الدول العربية مازالت مرتبطة ارتباطاً وثيقاً في تجارتها الخارجية بالدول الأجنبية المتقدمة لاعتبارات سياسية .

كما يوجـد الكثير من القيـود المفروضة على الصـادرات والواردات، كما أن قرارات مـجلس الوحدة الاقـتصـادية ليس لها صـفة الإلزام . كـما يلاحظ كـثرة الاستثناءات التي تطلبـها الدول المختلفة على تطبيق قـاعدة التعريفة الجمـركية على وارداتها، كما لاتتبع سياسة موحدة حيال الدول غير الأعضاء في الاتفاقية . يضاف إلى ذلك أن العلاقات السياسية غير المسـتقرة بين الدول العربية كان لها أثرها الكبير والمباشر على النواحي الاقتصادية والسوق .

ويلاحظ أن أسلوب السوق يكتـفي بتحرير حـركات انسيـاب السلع وعناصر الإنتاج بين الدول الأعضـاء، تاركاً تحقيق التكامل لقوى السـوق التقليدية، أي دون تدخل الدول للتنسيق بين السـياسات الاقتـصادية في أوجه الإنتاج المخـتلفة. وهذا الأسلوب لايحقق التكامل ولايمثل سوى صورة من صور التعاون الاقتصادي، حيث إن التكامل يبدأ عنـد مرحلة تدخل الحكومات للتنسـيق بين سياسـاتها الاقتـصادية وأنشطتهـا الإنتاجية، وهذا الأسلوب يتـضمن بعض العيوب منهـا، أنه إذا تفاوتت

مستويات النمو بين الدول، فإن تحرير عناصر الإنتاج سوف يؤدي لاتساع هذا التفاوت، وعلى ذلك، فالدول الأكثر تقدماً سوف تنفرد بعناصر الإنتاج الأكثر فائدة، وذلك لتمتعها بقدر أكبر من الهياكل الأساسية ومصادر الوفورات الخارجية .

لهذا فإن أسلوب السوق المشتركة يستلزم تطبيقه بين مجموعة دول أنشطتها الاقتصادية متقاربة وهياكلها الإنتاجية متقدمة، مما يتيح لها حجماً مناسباً من الحركات التجارية، ولا يعوقها سوى بعض القيود والحواجز الجمركية . فإذا ماتمكنت من إزالة هذه القيود ازداد حجم التجارة الإقليمية ونشطت القطاعات الإنتاجية .

وعلى ذلك فالاعتماد على قوى السوق في تحقيق التكامل لايتناسب مع الدول التي تتباين في مستويات التقدم والنمو .

ولهذا فقد تميزت هذه المرحلة من مراحل العمل العربي في مجال التكامل الاقتصادي بالتركيز على التبادل التجاري . وقد كان من المتصور أنه يكفي إزالة الحواجز الجمركية والإدارية حتى يتحقق الانسياب التلقائي للسلع وعناصر الإنتاج، وإن ذلك لايتأتى إلا بإبرام اتفاقيات بين الدول العربية .

وكان من الطبيعي ألا يحقق هذا التصور أهدافه بسبب أوضاع اقتصاديات الدول العربية من تخلف وتماثل وتخصص في تصدير المواد الأولية، وضعف الإنتاج الصناعي . فحرية التجارة بين البلاد العربية في ظل هذه الظروف لاتؤدي إلى إنشاء وتمويل المشروعات الاستثمارية ذات القدرة المتكاملة، وهي شروط أولى لازدياد حرية التجارة بين البلاد العربية .

هذا بالإضافة إلى أن أسلوب السوق المشتركة يصعب نجاحه وتطبيقه بين الدول الساعية للنمو، حيث إنه لايناسب الدول التي تتباين في مستويات التقدم والنمو، لكن يمكن تطبيقه بين الدول المتقاربة في أنشطتها الاقتصادية والتي تتوافر لديها هياكل إنتاجية متقدمة، وتحتاج لإزالة الحواجز الجمركية بينها حتى تتمكن من زيادة حجم التجارة الإقليمية وتنشيط القطاعات الإنتاجية .

وكان من أهم وأبرز المنظمات التي تم إنشاؤها في ظل العلاقات الاقتصادية العربية خلال هذه الفترة الآتي :

- المنظمة العربية للتنمية الزراعية (فبراير ١٩٧٠م) .
- اتفاقية استثمار رؤوس الأموال العربية (أغسطس ١٩٧٠م) .
- المؤسسة العربية لضمان الاستثمار (١٩٧٠م) .
- اتفاقية تجنب الازدواج الضريبي بين دول مجلس الوحدة الاقتصادية (ديسمبر ١٩٧٣م) .
- اتفاقية تسوية منازعات الاستثمار بين الدول العربية (١٩٧٤م) .
- الأكاديمية العربية للنقل البحري (نوفمبر ١٩٧٤م) .
- المصرف العربي للتنمية الاقتصادية (مارس ١٩٧٤م) .
- صندوق النقد العربي (إبريل ١٩٧٦م) .
- اتفاقية تجارة الترانزيت « العبور » (مارس ١٩٧٧م) .
- المنظمة العربية للسياحة (سبتمبر ١٩٧٨م) .
- الإعفاء الضريبي لمعدات الطيران (فبراير ١٩٧٩م) .

٢ - مرحلة المشروعات المشتركة :

تتعدد صور التعاون الاقتصادي الإقليمي التي تمر بها البلاد المختلفة لتحقيق التقارب أو التكامل الاقتصادي، وتندرج في المضمون ودرجة التقارب والتنسيق[٣١] ، على أن هناك بعض العقبات التي قد تواجه الدول في محاولتها لتحقيق التعاون الاقتصادي، نظراً لتباين الأوضاع الاقتصادية السائدة فيها، كاختلاف الأنظمة الاقتصادية السائدة في هذه البلاد، أو اختلاف مستويات النمو الاقتصادي، أو استعدادها لقبول بعض القيود التي تحد من حريتها في اتخاذ قرارات تتصل بسياساتها الاقتصادية أو النقدية أو التجارية (Mead , 1962 : 104) .

ويتميـز أسلوب التعاون عن طريق إنشـاء المشروعات المشتركـة بالوضوح في توزيع المزايا أو المنافع التي تعود على الشركاء فيه، نظراً لتحديد هذا التوزيع تلقائياً، مع تحديد مساهمات الشركاء في المشروع، بخـلاف الحال عندما يقتصر التعاون على اتباع أسلوب التنسيق بين السـياسات، حيث لايسهل في مثل هـذه الحالات التصور مسبقـاً لتوزيع معين للمزايا التي تعود على الدول المعنية، نتـيجة الاتفاق على إزالة العقبات التنظيمية مثلاً، أو إزالة الحواجز الجمركية، وإلى غير ذلك من الإجراءات، بل قد يتجاوز الأمر ذلك إلى الإضرار بالدول التي لـم تنل قسطاً مناسباً من التقدم، والتي تعاني من تخلف في مؤسساتها المالية، والنقدية .

ومن هنا، تبدو مزايا أسلوب التعاون عن طريق إنشـاء المشروعات المشتركة، ذلك أن اتفاق دولتين أو أكـثر على إقـامة مشـروعات تحقق لأطراف الاتفـاق مزايا اقتصادية تقتسمها فيما بينها وفـقاً لقواعد يتفق عليها مسبقاً، من شأنه أن يجعل من اختلاف انظمتها الاقتصادية مسألة ثانوية في هذا المجال .

ومن السهل أن نتبين أهمية المشروعات المشتركة كخطوة مهمة في سبيل تحرير عناصر الإنتـاج، مادامت تتضمن بصـفة دائمة انسيـاب رؤوس الأموال، من الدول ذات الفـائض للدول ذات العجـز، وهذا يعـتبـر صورة مـهـمة من صـور التكامل الجزئي.

لقـد تعددت مجـالات الدول العربية لإنشاء مشروعات تدخل تحت مدلول المشروعـات المشتركة، ويمكن أن تقسم تلك المجالات لأربع مجموعات كالآتي :

أ - **المجموعة الأولى** : وهي خاصة بالبنوك والمصارف وصناديق التمويل مثل :

- البنك العربي الأفريقي .
- المصرف العربي للتنمية الاقتصادية في أفريقيا .
- البنك الإسلامي للتنمية .

- صندوق الأوبك .
- المصرف العربي الدولي .
- اتحاد المصارف العربية الفرنسية .
- الصندوق العربي للإنماء الاقتصادي والاجتماعي .
- صندوق النقد العربي .
- الصندوق الكويتي للتنمية الاقتصادية العربية .
- صندوق أبو ظبي للتنمية الاقتصادية العربية .
- الصندوق السعودي للتنمية الخارجية .
- الصندوق العراقي للتنمية الخارجية .

ب - **المجموعة الثانية** : وهي مجموعة شركات الاستثمار، منها مايلي :

- الشركة الكويتية - السودانية - للاستثمار المحدودة .
- شركة الاستثمار الكويتية - المصرية .
- الشركة العربية للاستثمار .

جـ - **المجموعة الثالثة** : وهي شركات الإنتاج الأولى، ومنها :

- شركة البوتاس العربية المحدودة .
- الشركة العربية لتنمية الثروة الحيوانية .
- الشركة العربية للتعدين .

د - **المجموعة الرابعة** : وهي شركات الخدمات، ومنها :

- الشركة العربية لبناء السفن .
- الشركة العربية للملاحة البحرية .
- الشركة العربية لنقل البترول .
- الشركة العربية لأنابيب البترول .

ويلاحظ مما سبق، تعدد الاتفاقيات العربية في مجال إنشاء الشركات المشتركة، التي بدأت في الظهور في أواخر الستينات الميلادية .

ويلاحظ أن هذه الظاهرة لم تكن موجودة في الخمسينات الميلادية، وذلك يرجع لعدة عوامل، منها عدم وجود المناخ الاستثماري اللازم لحركة الاستثمارات من الجوانب السياسية والاقتصادية عموماً، وفقدان الثقة بين الدول العربية بعضها البعض، وعدم وجود فوائض أموال عربية بالقدر الذي وصل إليه حجمها بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣م نتيجة ارتفاع أسعار النفط، وعدم وجود الأطر التمويلية لتشجيع حركة الاستثمارات، وعدم وجود الضمانات اللازمة للاطمئنان إلى مصدر الأموال والمؤسسات التي سيتم إنشاؤها داخل الدول العربية المضيفة لها، وعدم وجود المؤسسات المتخصصة في الدراسات اللازمة لبيان مدى جدية وجدوى المشروعات قبل إنشائها، وعدم وجود القوانين والتشريعات التي تسمح بالمعاملة التفضيلية والحصانات للاستثمارات العربية (خاصة) بين الدول العربية .

ولقد حالف التوفيق مجموعة البنوك والمصارف وصناديق التمويل، نظراً لأن نوع النشاط الذي تمارسه هذه المشروعات هو أكثر النشاطات جاذبية بالنسبة للمستثمرين، حيث لايحتاج إلى خبرات وكفاءات دقيقة يصعب توافرها، كما هو الحال في الأنشطة الأخرى . كما أن الضمانات التي وضعت للمشروعات كانت كفيلة بالقضاء على التخوف، وإن كان في بعض الأعمال المصرفية شيئ من المخاطرة، إلا أنها أقل بكثير من تلك التي تحيط بالنشاطات الاستثمارية المباشرة .

لكن جانب التوفيق المشروعات الأخرى في الستينات (مجلس الوحدة الاقتصادية العربية، ١٩٧٦م)، لأن القائمين عليها كانت تؤثر فيهم اعتبارات سياسية، ولم تكن تحكم سياساتها اعتبارات اقتصادية أو روح التكامل الاقتصادي، الأمر الذي أدى إلى توقيع اتفاقيات مشروعات لم يكن من الصعب في ظروفها أو يُكتشف انتفاء المصلحة الاقتصادية المباشرة لدى بعض الأعضاء، وضعف الإمكانات التمويلية لدى البعض الآخر . هذا بالإضافة إلى التخوف الذي كان مسيطراً على جميع الأطراف من المستقبل الاقتصادي والسياسي .

أما التجارب التي لاقت شيئاً من النجاح، فقد تمّ معظمها بين مجموعة متجانسة قوية من ناحية الإمكانات المالية، ووضحت بالنسبة لها مصلحة اقتصادية مباشرة مشتركة، وأمنت نفسها بعد ذلك بالضمانات المنصوص عليها في معظم الاتفاقيات التي عقدت في السبعينات الميلادية [٣٢] .

كما بدأ دخول المال العربي الخاص ميدان المشروعات العربية المشتركة، حيث امتنع من قبل خشية المخاطر وعدم الاستقرار في المنطقة العربية، ومن هنا تبدو أهمية الضمانات التي يجب أن تمنح للمشروعات العربية المشتركة، حتى تخطو خطوات كبيرة للأمام، ومن هنا، جاءت القوة الدافعة لاستكمال مشروع المؤسسة العربية لضمان الاستثمار .

تميزت المشروعات العربية المشتركة ذات الثقل الاقتصادي، بغلبة الطابع الحكومي عليها، فبعضها قام عن طريق منظمات عربية حكومية، مثل الجامعة العربية[٣٣]، ومجلس الوحدة الاقتصادية العربية[٣٤]، واتحاد الجمهوريات العربية[٣٥]، وبعضها قام في إطار منظمات قطاعية تمثل حكومات، مثل منظمة الأقطار العربية المصدرة للبترول[٣٦]، والبعض الآخر قام في إطار شركات استثمارية - المساهمون فيها حكومات عربية - مثل الشركة العربية للاستثمار، أو في إطار شركات استثمار قُطْرية تساهم فيها الحكومات المعنية بنصيب كبير في رأسمالها[٣٧]، أو بين الحكومات مباشرة، مثل الهيئة العربية للتصنيع[٣٨]، أو بالاشتراك بين شركات حكومية تمثل قطاعاً إنتاجياً وشركات استثمارية[٣٩] .

ويعتبر غلبة الطابع الحكومي على المشروعات العربية المشتركة ظاهرة إيجابية لرفع وتطوير العمل الاقتصادي المشترك باتجاه التكامل الإنتاجي، حيث إن المشروعات ذات الطابع الحكومي تمثل إدارة رسمية لدى الدول في تطبيق سياسة اقتصادية تهدف لتحقيق التعاون وتبادل المنافع، واستغلال الإمكانات العربية بشكل يسمح بتطوير الواقع العربي نحو الأفضل .

ونتيجة لانطباع المشروعات المشتركة بالطابع الحكومي، فإن كثيراً من هذه المشروعات قد أنشئت باتفاقيات دولية، بخاصة الاتفاقيات المتعددة الأطراف، وأخذت هذه الاتفاقيات شكل « الشركة الدولية » والتي تتميز بأنها لاتخضع لأي نظام قانوني لأية دولة معينة . وهذه الصيغة تستغرق وقتاً طويلاً في إعداد ونفاذ الاتفاقية المنشئة للمشروع، حتي أن المشروع بعد إعلان قيامه وتكوين هيكله الإداري يصبح مستقلاً عن المنظمة التي قام في إطارها، مما يؤدي إلى عدم وجود أي متابعة لتقييم أعماله، وسيره على الخط الذي أنشئ من أجله .

يقتصر إسهام الدول المصدرة لرأس المال في المشروعات العربية المشتركة تقريباً على تقديم الأموال والمشاركة في الإدارة العليا للمشروع، ويرجع ذلك لعدم تمتعها بدرجة عالية من التقدم التكنولوجي . بل تكون أقل تقدماً مما هو عليه الحال للدول المستوردة لرأس المال، لذلك فإن مساهمة الدول المصدرة لرأس المال نادراً مايترتب عليها تأثيراً في سياسة العمالة في المشروع المشترك لقلة العناصر الفنية المدربة لديها، ولكنها تصر على الاحتفاظ بالدور القيادي في الإدارة العليا للمشروع، ويمكن أن يؤدي سوء الاختيار في هذا الخصوص إلى وضع سلطة إصدار القرارات اليومية اللازمة لتشغيل المشروع في أيدي عناصر غير مؤهلة لهذا العمل، مما قد تكون له نتائج وخيمة على المشروع . وغالباً ماتعتمد هذه العناصر على المستشارين الأجانب، وفي بعض الأحيان يتم التعاقد مع شركة أجنبية لإدارة المشروع بالكامل في الفترة الأولى . وقد قدرت المبالغ التي تدفع للشركات الاستثمارية الأجنبية في العالم العربي في تلك الآونة بحوالي ١,٨ بليون دولار في السنة[٤] .

ولقد تأسس كثير من المشروعات المشتركة على مبدأ المساواة في الحصص بين الشركاء أو على الأقل بين مجموعة الشركاء المحليين، ومجموعة الشركاء من الدول العربية الأخرى، ويبرز ذلك بصفة خاصة في المشروعات التي تبنتها منظمة الأوبك، وفي كثير من المشروعات الثنائية، وينعكس ذلك على طريقة تشكيل مجالس إدارات هذه المشروعات، بحيث يحصل كل طرف على نصف المقاعد .

ومن الجدير بالذكر أنه قد تم تنفيذ المشروعات العربية المشتركة التي قامت دون وجود مخطط إقليمي لتحرير عناصر الإنتاج في المنطقة العربية، ووضع نظام للأفضليات في التجارة، هذا بالإضافة إلى عدم قيامها بنشاطها في إطار تصور عام للتنمية الاقتصادية العربية على الصعيد القومي، مما يؤدي إلى بعثرة جهودها وإمكاناتها، وعدم تحقيق تقسيم للعمل في المنطقة العربية ما يتناسب مع الظروف الخاصة بالموارد الطبيعية والمالية والبشرية لكل بلد عربي .

ولقد لوحظ عدم وجود صيغة قانونية محددة لإقامة المشروعات العربية المشتركة، حيث تعددت الصيغ . كما لوحظ عدم اتجاه المشروعات العربية المشتركة للمجال الصناعي بصورة كافية، وذلك على الرغم من احتياج المنطقة العربية لإنشاء العديد من الصناعات .

هذا وينظر البعض - في مجال تقييم المشروعات المشتركة - إلى العائد والمكاسب المادية التي تحققها هذه المشروعات كمعيار لنجاحها أو فشلها، وتتفق مع هذا الرأي الأمانة العامة لمجلس الوحدة الاقتصادية فيما ذكرته عن تقييم المشروعات المشتركة، ونحن نرى أن يشمل معيار النجاح أيضاً، مدى قيام هذه المشروعات في نطاق التكامل الإنتاجي على طريق إحداث التكامل الاقتصادي بين الدول العربية، بل إننا نرى أن فشل المشروعات المشتركة في الفترة السابقة - حسب مفهومنا لها - يرجع إلى أن قيام هذه المشروعات قد تُرك لآليات السوق ولم تتضمن مع إنشائها قدراً من التنسيق بين خطط التنمية للأطراف في هذه المشروعات، هذا بالإضافة إلى أن تجارب التكتلات الاقتصادية قد كشفت عن أهمية الربط بين نموذج التكامل الاقتصادي من جهة ومرحلة التطور الاقتصادي وطبيعة النظام الاقتصادي والاجتماعي من جهة أخرى . فتجربة دول السوق الأوروبية المشتركة - ذات الأجهزة الإنتاجية المتطورة من خلال تحرر تجارتها - قد حققت نتائج إيجابية فيما يتعلق بزيادة مبادلاتها التجارية .

كذلك لوحظ أن كثيراً من المشروعات المشتركة قد أقيمت برؤوس أموال صغيرة (الملاحة البحرية - البوتاس . . . إلخ) . كما أن المشروعات التي كان رأسمالها مناسباً في بداية نشاطها أصبحت تعاني من الفجوة مابين رأسمالها الإسمي ورأسمالها المدفوع فعلياً، بسبب عدم قيام المساهمين بتنفيذ التزاماتهم المادية، بسداد رأس المال في توقيتاتها المحددة مسبقاً، مما يعرقل أنشطة هذه المشروعات .

وتتضمن اتفاقيات المشروعات العربية المشتركة الربط بين الملكية والإدارة، كما أن البعض منها، يشترط أن تربط عضوية مجلس الإدارة بقدر محدود من الأسهم (مثل مشروعات مجلس الوحدة الاقتصادية) . وقد ترتب على ذلك، حرمان عدد من المساهمين في التمثيل بمجلس إدارة المشروع مع أنه لايشترط أن تجتمع القدرة المالية مع القدرة الإدارية . وهذه قضية واضحة في الأقطار العربية، كما أن هذه الظاهرة ستؤدي إلى سيطرة مجموعة مالية قليلة العدد وليست على مستوى الكفاءة الإدارية والفنية على معظم المشروعات، مما يعرضها للمخاطر . وكان الأجدى أن يتم الفصل مابين الملكية وإدارة المشروع حتى يحقق النجاح المطلوب(رشيد، ١٩٨٠م، ١٨٦ - ٢٠٠) .

من المبادئ المهمة لأي مشروع، معرفة ووضوح أغراضه، إلا أنه لظروف معينة فرضت على بعض المنظمات العربية (بخاصة بعد تجربة المجلس الاقتصادي العربي) إقامة هذه المشروعات على مراحل، تبدأ المرحلة الأولى بإقامة المشروع وفق صيغة الشركة القابضة، ثم تعمل على إنشاء الوحدات الإنتاجية التابعة في نطاق أهدافها في مرحلة لاحقة، إلا أنه من الملاحظ، أن هذه الشركات يتضخم نشاطها في عدة مجالات مختلفة، فيحدث خلط بين الأنشطة التجارية والأنشطة الإنتاجية، كما توجد مشروعات تعمل في مجال أكثر من شركة وأكثر من منظمة عربية، بخاصة مشروعات البتروكيماويات .

ولم تعمل المشـروعات المشتركة علـى جذب مساهمة القطـاع الخاص بالجدية المطلوبة، ومن ثمَّ تحد من ظـاهرة تسرب الأموال العربيـة نحو المصارف الأجنبـية، ويرجع ذلك إلى ارتفاع قيـمة السهم الواحد في بعض هذه المشروعـات مثلاً بلغت قيـمة السـهم في مشروعـات مجلس الوحـدة عشرة آلاف دينار كـويتي، ومن ثم أصبحت القاعدة الخاصة بتمويل هذه المشروعات ضيقة للغاية، وانحصر معظمها في مـساهمـة الحكومـات، ولكن قـد لاتغطي الحكومـات رأس المـال الكامل لهـذه المشروعـات أو لاتغطي التوسـعات المطلوبة، ومن ثمَّ من الأفـضل تخفـيض قيـمة الأسهم المصدرة حتى يتسنى لرأس المال بالدخول فيها .

ولقد تضمنت اتفاقـيات هذه المشروعات العديد من الامتـيازات الممنوحة لها من الأقطار المساهمة، ولكن لوحظ في التطبـيق العملي بعض المشكلات والمعوقات التي حالت دون الحصول عليـها، وكان الأفضل منح المشروعات المشـتركة قدراً من الامتيازات المناسبة، لتسهيل ممارسة نشاطها بعيداً عن المؤثرات القطرية، كما أظهرت الحسـابات الختامـية لعـدد من هذه المشروعات توزيع جـزء من الأرباح على شكل مكافآت لأعـضاء مجلس الإدارة دون العاملـين فيها، وظهـرت بعض الحالات التي استمر فيها صرف هذه المكافآت رغم تعرض المشروع للخسارة .

من ناحية أخرى فإن اختلاف الأوضاع القانونـية للمشروعات المشتركة وتعدد أشكالهـا وصيغـها، أدى إلى خلق الصـعوبات أمـام تحديد هويتـها، بخـاصة في المجالات الدولية الـتي تتعامل معهـا، وكذا أجهزة بلد المنشـأ في بعض الحالات . لهذا يفضل أن يشـمل القانون الموحَّد والذي يجري إعداده من قـبل مجلس الوحدة على إيجاد حل لمثل هذه المشكلات والمعوقات .

ويلاحظ عدم توافر المعلومات والإحصاءات عن المشـروعات العربية المشتركة بصورة مناسبة وكـافية، بالإضافة إلى عدم قيام الأجـهزة القطرية أو الوطنية بإصدار النشرات الدورية اللازمـة عنها، ومن ثمَّ صعوبة دراسـة هذه المشروعات أو متـابعة تطورها .

ولاتقتصر النظرة القطرية القائمة في الوطن العربي على اعتبار المشروعات العربية المشتركة في المرتبة التالية للمشروعات القطرية، بل إن بعض الحكومات العربية تنظر إلى هذه المشروعات كظاهرة عرضية فرضتها بعض الظروف .

لذلك لم تكتف بمساهمتها الضئيلة فيها، بل تقوم بإنشاء مشروعات قطرية مماثلة، بل وبحجم أكبر من المشروعات العربية المشتركة، وكأنها تعمل على خلق عوامل الفشل لهذه المشروعات العربية .

ولاشك أن الخلافات السياسية بين الحكومات العربية والإسلامية تلعب دوراً سلبياً في مجالات العلاقات الاقتصادية عموماً والمشروعات المشتركة بصفة خاصة، نظراً لاستمرار ضعف هذه العلاقات . وستظل هذه الخلافات قائمة ومؤثرة، طالما أنها مرتبطة بالقرارات السياسية . ومن ثم، يجب الفصل بين القرارات السياسية والقرارات الاقتصادية، حيث إنه من المعروف لدى الدول المتقدمة أن القرارات السياسية تعمل في خدمة القرارات الاقتصادية، ولكن في الدول العربية والإسلامية، نجد أن ذلك لا يُعمل به، بل إن القرارات الاقتصادية تتأثر تأثراً كبيراً بالحالة السياسية بين الدول .

٣ - صناديق التنمية والمؤسسات المالية العربية ودورها في عملية الإنماء الاقتصادي :

لقد أدى الارتفاع المفاجئ لأسعار النفط بعد حرب ١٩٧٣م إلى تغييرات جوهرية وجذرية في جميع جوانب الحياة الاقتصادية والسياسية في الدول العربية، ومن ثمَّ فقد أدت إلى تأثير مباشر في الوضع المالي والمصرفي في الدول العربية، مما أدى إلى ظهور ونمو مؤسسات مالية عربية على شكل صناديق لتمويل التنمية في الدول العربية وسوف نشير بإيجاز إلى هذه الصناديق والمؤسسات المالية، حيث إنها من أهم العوامل المساعدة على إحداث النمو الاقتصادي في العالمين العربي والإسلامي، وذلك كالآتي :

أ - **الصندوق العربي للإنماء الاقتصادي والاجتماعي** : تم تأسيس الصندوق عام ١٩٧٣م برأس مال حوالي ١٠٢ مليون دينار كويتي، أي بنحو ٢٥٠ مليون دولار أمريكي . ويهدف الصندوق إلى المشاركة في تمويل مشروعات التنمية الاقتصادية والاجتماعية في الدول العربية، وفي بداية عام ١٩٧٧م، تقرر رفع رأس مال الصندوق إلى ٤٠٠ مليون دينار كويتي، تُسدد على ثمان سنوات، بداية من فبراير ١٩٧٧م .

وبلغت جملة قروض الصندوق حوالي ٣,٣ مليار دولار أمريكي حتى نهاية عام ١٩٨٨م، لتصل نسبة مساهمته في العمليات التمويلية إلى ١٢,٢٪ من جملة المبالغ التمويلية المقدمة من المؤسسات والهيئات المالية والمصارف وصناديق التنمية العربية، والبالغة حوالي ٢٦,٩ مليار دولار أمريكي في نهاية عام ١٩٨٨م .

وقد ارتفعت جملة قروض الصندوق إلى ٦,٩ مليار دولار أمريكي في نهاية ١٩٩٤م، لتصل نسبة مساهمته في العملات التمويلية إلى حوالي ١٧,٤٪ من إجمالي المبالغ التمويلية المقدمة من المؤسسات المالية وصناديق التنمية العربية والبالغة ٣٩,٨ مليار دولار أمريكي (التقرير الاقتصادي العربي الموحد، ١٩٩٥م: ٣٢٤) .

ولقد تبين أن التوزيع القطاعي للعمليات التمويلية التي قام بها الصندوق حتى ٣١/ ١٢/ ١٩٩٤م عبارة عن ٢٩٨ عملية، موزعة على ١٧ دولة، وفقاً للقطاعات التالية :

- قطاع النقل والمواصلات : وقد تم تمويله بمبلغ ١,٢١٧ مليون دولار أمريكي، وهو يمثل حوالي ١٧,٥٪ من إجمالي عمليات التمويل التي قام بها الصندوق.
- قطاع الطاقة (كهرباء - نفط - غاز) : وقد تم تمويله بمبلغ ٢,٠٥٥ مليون دولار أمريكي، ومن ثم تبلغ نسبته حوالي ٢٩,٦٪ من إجمالي عمليات تمويل الصندوق .

- قطاع المياه والمجاري: وقد تم تمويله بمبلغ ٧٧٤ مليون دولار أمريكي، وبذلك تبلغ نسبته حوالي ١١,١٪ من إجمالي عمليات تمويل الصندوق.

- قطاع الزراعة والثروة الحيوانية : وقد بلغ تمويل هذا القطاع مبلغ ١,٧٠٧ مليون دولار أمريكي، وبذلك تبلغ نسبته حوالي ٢٤,٥٪ من إجمالي عمليات تمويل الصندوق .

- قطاع الصناعة والتعدين : وقد بلغت جملة تمويل هذا القطاع ٨٦٩ مليون دولار أمريكي، وبذلك تبلغ نسبته حوالي ١٢,٥٪ من إجمالي عمليات الصندوق .

- عمليات أخرى :(تشمل خدمات صحية والتعليم ودعم موازين المدفوعات)، وقد بلغت جملة تمويل هذه العمليات حوالي ٣١٨ مليون دولار أمريكي، وهي تمثل حوالي ٤,٥٪ من إجمالي عمليات الصندوق.

ب **صندوق النقد العربي** : أنشيء صندوق النقد العربي عام ١٩٧٦م، ومقره أبوظبي ويهدف إلى :

- تصحيح الاختلالات الهيكلية في موازين مدفوعات الدول الأعضاء .
- استقرار الأسواق المالية العربية .
- تطوير الأسواق المالية العربية .
- إزالة القيود على المدفوعات الجارية بين الدول الأعضاء .
- دراسة سبل توسيع استعمال الدينار العربي الحالي وتهيئة الظروف لإنشاء عُملة عربية موحّدة .

ولقد بلغ رأس مال الصندوق عند الإنشاء ٢٥٠ مليون دينار عربي حسابي (حوالي ٧٥٠ مليون وحدة سحب خاصة)، وتمت زيادة رأس مال الصندوق عام ١٩٨٨م إلى ٦٠٠ مليون دينار عربي حسابي، وبلغت نسبة قروض الدول المقترضة

لرأس المال المدفوع بعملات قابلة للتحويل ١٤٤٪، ويبلغ قيمة القرض العادي (بعد التعديلات التي أضافها الصندوق) إلى نسبة ١٠٠٪ من حصة الدولة (المقترضة) المدفوعة بالعملات القابلة للتحويل .

ويمكن أن تزيد قيمة القرض إلى ١٧٥٪ إذا ماأضيف القرض التلقائي الذي يقدر بحوالي ثلاثة أرباع حصة الدولة المدفوعة بالعملات القابلة للتحويل، وتحصل الدولة المقترضة على أجل ثلاث سنوات لدعم ميزان مدفوعاتها .

بلغت جملة قروض صندوق النقد العربي حوالي ٢,٣ مليار دولار أمريكي في نهاية عام ١٩٩٤م، وهي تمثل حوالي ٥,٩٪ من إجمالي المبالغ التمويلية المقدمة من المؤسسات المالية والصناديق العربية، والبالغ قيمتها ٣٩,٨ مليار دولار أمريكي.

ولقد بلغت جملة العمليات التي قام بها الصندوق حوالي ٩٤ عملية، شملت حوالي إحدى عشرة دولة، وذلك بمبلغ إجمالي ٢,٣٥٣مليون دولار أمريكي، أي بنسبة ١٠٠٪ من إجمالي العمليات التمويلية، وكانت جميع هذه العمليات تتم لصالح الدول العربية .

جـ- **الصندوق الكويتي للتنمية الاقتصادية العربية** : تأسس الصندوق عام ١٩٦١م، ويهدف إلى مساعدة الدول العربية في تطوير اقتصادياتها وتمويل برامج التنمية بها . وفي عام ١٩٧٤م، تقرر أن تمتد خدماته للدول النامية وليست الدول العربية وحدها، ومن ثم تم زيادة رأسماله إلى ٧ مليار دولار أمريكي عام ١٩٨٨م . وقد بلغت جملة القروض الممنوحة حتى يونيو ١٩٨٩م حوالي ١,٦ مليار دينار كويتي، ثم ارتفعت في نهاية عام ١٩٩٤م إلى ١,٨ مليار دولار أمريكي، لتصل نسبة مساهمته في العمليات التمويلية إلى ٢٠,٤٪ من إجمالي عمليات التمويل التي قامت بها المؤسسات وصناديق التمويل العربية، والبالغة ٣٩,٨ مليار دولار أمريكي .

بلغ عدد العمليات التي قام بها الصندوق ٤٥٧ عملية، شملت حوالي ٦٥ دولة موزعة كالآتي :

- قطاع النقل والمواصلات : بلغ جملة ماحصل عليه ٢,٤٢٧ مليون دولار أمريكي، أي حوالي ٢٩,٨٪ من إجمالي عمليات الصندوق .
- قطاع الطاقة (الكهرباء - النفط - الغاز) : بلغ جملة ماحصل عليه ٢,٠٧١ مليون دولار أمريكي، أي حوالي ٢٥,٤٪ من إجمالي الصندوق .
- قطاع المياه والمجاري : بلغ جملة ماحصل عليه ٦٤٩ مليون دولار أمريكي، أي حوالي ٧,٩٪ من إجمالي عمليات الصندوق .
- قطاع الزراعة والثروة الحيوانية: بلغ جملة ماحصل عليه ١,٦٥٥ مليون دولار أمريكي أي حوالي٢٠,٣٪ من إجمالي عمليات الصندوق.
- قطاع الصناعة والتعدين : بلغ جملة ماحصل عليه ١,٢٥٠ مليون دولار أمريكي، أي حوالي ١٥,٣٪ من إجمالي عمليات الصندوق .
- عمليات أخرى : (تشمل خدمات الصحة والتعليم ودعم موازين المدفوعات) : وقد بلغ جملة ماحصلت عليه هذه العمليات ٩١ مليون دولار أمريكي، أي حوالي ١,١٪ من إجمالي عمليات الصندوق .

من ناحية أخرى فإن المجموع التراكمي للعمليات التمويلية للصندوق حتى ٣١/١٢/١٩٩٤م يشير إلى الآتي :

- بلغت حصة الدول العربية : ٤,٣ مليار دولار أمريكي، أي بنسبة ٥٣,٥٪ من إجمالي المجموع التراكمي الصندوق .
- مجموعة الدول الأفريقية : حصلت على حوالي ١ر٤ مليار دولار أمريكي، أي بنسبة ١٧,٥٪ من إجمالي المجموع التراكمي الصندوق .

- مجموعة الدول الآسيوية : حصلت على حوالي ١,٢ مليار دولار أمريكي، أي بنسبة ٢٦,١٪ من إجمالي المجموع التراكمي الصندوق .
- مجموعة دول أمريكا اللاتينية حصلت على حوالي ١٠٣ مليار دولار أمريكي، أي بنسبة ١,٢٪ من إجمالي المجموع التراكمي الكلي للصندوق.
- مجموعة الدول الأخرى حصلت على حوالي ١١٩مليار دولار أمريكي، أي بنسبة ١,٤٪ من إجمالي المجموع التراكمي للصندوق .

د - **صندوق أبو ظبي للتنمية الاقتصادية العربية** : أسس الصندوق عام ١٩٧١م برأس مال حوالي ٥٠٠ مليون دولار أمريكي . والهدف من تأسيسه، مساعدة الدول العربية في برامج التنمية الاقتصادية، ومنح القروض والتسهيلات للمشروعات، واتسعت دائرة تمويله لتصل إلى معظم الدول الإسلامية، وقد بلغ إجمالي العمليات التمويلية له عام ١٩٨٦م حوالي ١,٠٩ مليار دولار أمريكي، ثم ارتفعت في نهاية عام ١٩٨٨م إلى نحو ١,١١ مليار دولار أمريكي، ثم ارتفعت ثانية إلى ١,٥٩ مليار دولار أمريكي، لتصل نسبة مساهمته في العمليات التمويلية إلى ٤٪ من إجمالي المبالغ التمويلية المقدمة من المؤسسات المالية وصناديق التنمية العربية والتي بلغت ٣٩,٨ مليار دولار أمريكي في نهاية عام ١٩٩٤م .

بلغت جملة عمليات التوزيع القطاعي للصندوق حوالي ١٠٠ عملية، شملت حوالي ٤٢ دولة، أما عن التوزيع القطاعي لهذه العمليات فكان على النحو التالي :

- قطاع النقل والمواصلات : فقد بلغت جملة ماحصل عليه ١٨٢ مليون دولار أمريكي، بنسبة ١١٪ من إجمالي عمليات الصندوق .
- قطاع الطاقة : حوالي ٤٧٥ مليون دولار أمريكي، بنسبة ٢٩,٧٪ من إجمالي عمليات الصندوق .

- قطاع المياه والمجاري : حوالي ٥١ مليون دولار أمريكي، بنسبة ٣٪ من إجمالي عمليات الصندوق .

- قطاع الزراعة والثروة الحيوانية : حوالي ٣٠٥ مليون دولار أمريكي، بنسبة ١٩٪ من إجمالي عمليات الصندوق .

- قطاع الصناعة والتعدين : حوالي ٥٢٦ مليون دولار أمريكي، بنسبة ٣٣٪ من إجمالي عمليات الصندوق .

- عمليات أخرى (تشمل خدمات الصحة والتعليم ودعم موازين المدفوعات) : حوالي ٥٨ مليون دولار أمريكي، أي بنسبة ٦ ,٣٪ من إجمالي عمليات الصندوق .

أما فيما يتعلق بالمجموع التراكمي للعمليات التمويلية للصندوق : فلقد بلغت حصة الدول كالآتي :

- مجموعة الدول العربية : حوالي ١,٣١٨ مليون دولار أمريكي، بنسبة ٨٢,٥٪ من إجمالي عمليات الصندوق .

- مجموعة الدول الأفريقية : حوالي ١٠٠ مليون دولار أمريكي، بنسبة ٦,٢٪ من إجمالي عمليات الصندوق .

- مجموعة الدول الآسيوية : حوالي ١٧٢ مليون دولار أمريكي، بنسبة ١٠,٧٪ من إجمالي عمليات الصندوق .

- مجموعة الدول الأخرى : حوالي ٧ مليون دولار أمريكي، بنسبة ٠,٩ ٪ من إجمالي عمليات الصندوق .

هـ- **الصندوق السعودية للتنمية الخارجية** : أسس هذا الصندوق عام ١٩٧٤م برأس مال بلغ ٢,٨ مليار دولار أمريكي، ويهدف إلى تمويل ومساعدة الدول العربية والدول النامية، ولقد بلغت جملة عملياته الإقراضية ٥,٣ مليار دولار

أمريكي عام ١٩٨٧م، ثم ارتفعت لتصل إلى ٥,٣ مليار دولار أمريكي عام ١٩٨٨م، ثم ارتفعت مرة أخرى لتصل إلى ٦,٣ مليار أمريكي نهاية عام ١٩٩٤م، وهي تمثل ١٥,٨٪ من إجمالي المبالغ التمويلية المقدمة من المؤسسات وصناديق التنمية العربية .

ولقد بلغت جملة عمليات الصندوق حتى ١٩٩٦/١٢/٣١م، ٣١٢ عملية، شملت ٥٩ دولة . أما التوزيع القطاعي لعمليات تمويل الصندوق، فكانت على النحو التالي :

- قطاع النقل والاتصالات : حصل على حوالي ٢,٣١٩ مليون دولار أمريكي، بنسبة ٣٦,٧ ٪ من إجمالي عمليات الصندوق .
- قطاع الطاقة : حصل على ١,٢٩٨ مليون دولار أمريكي، بنسبة ٢٠,٥٪ من إجمالي عمليات الصندوق .
- قطاع المياه والمجاري : حصل على ٤٢٠ مليون دولار أمريكي، بنسبة ٦,٦٪ من إجمالي عمليات الصندوق .
- قطاع الزراعة والثروة الحيوانية : حصل على ١,٢١٩ مليون دولار أمريكي، بنسبة ١٩,٣٪ من إجمالي عمليات الصندوق .
- قطاع الصناعة والتعدين : حصل على ٤٢٧ مليون دولار أمريكي، بنسبة ٦,٧٪ من إجمالي عمليات الصندوق .
- عمليات أخرى (تشمل خدمات الصحة والتعليم ودعم موازين المدفوعات): حصلت هذه العمليات على ٦٣٢ مليون دولار، بنسبة ١٠٪ من إجمالي عمليات الصندوق .

وبلغت حصة الدول من المجـموع التراكمي لعمـليات الصندوق حتى ٣١/ ٢/ ١٩٩٤م مايلي :

- مجموعة الدول العربية : حصلت على ٢,٨٨٨ مليون دولار أمريكي، بنسبة ٤٥,٧٪ من إجمالي عمليات الصندوق .
- مجـموعة الدول الأفـريقيـة : حصلت على ١,٢٣٦ مليون دولار أمريكي، بنسبة ١٩,٥٪ من إجمالي عمليات الصندوق .
- مجـموعة الدول الآسيـوية : حصلت على ٢,٠٨٧ مليون دولار أمريكي، بنسبة ٣٣٪ من إجمالي عمليات الصندوق .
- مجـموعة الدول الأخرى : حـصلت على ٤٤ مليون دولار أمريكي، بنسـبة ٠,٦٪ من إجمالي عمليات الصندوق .

و - **الصندوق العراقي للتنميـة الخارجية** : أسس هذا الصندوق عام ١٩٧٤م برأس مـال حـوالي ٥٠ مليـون دينار عـراقي، ويهـدف إلى تمويل برامج التنمـيـة الاقتصادية في الدول العربية ومساعدة الدول النامية .

بلغـت جـملـة القـروض الممنوحـة منه حـوالي ١,٧ مليـار دولار عـام ١٩٨٢م، وقـــد توقـف نشاط الصندوق نظراً للظروف التي يمر بها العراق .

ز - **المصرف العربي للتنمية الاقتصادية في أفريقـيا (Abeda)** : تأسس المصرف العـربي عام ١٩٧٤م في الخـرطوم، برأس مـال ٢٣٠ مليون دولار أمـريكي ويهـدف المصرف إلـى تمويل برامج التنمـية الاقـتـصادية في الـدول العربيـة والإفريقية، وتوفير التكنولوجيا اللازمة لبرامج التنمية الاقتصادية، ولقد بلغت جـملة عمليـاته التـمويليـة ٧٧٢,٨ مليـون دولار أمريكي حـتى نهاية عـام ١٩٨٧م، وارتفعت هذه العمليات إلى ٨٢٤,١ مليون دولار أمريكي في نهاية ١٩٨٨م . ثم ارتفعت مرة أخرى إلى ١,٢٦٢ مليون دولار أمريكي في نهاية ١٩٩٤م، وهي تمثل ٣,١ ٪ من إجمالي عمليات التمويل لمؤسسات وصناديق التمويل العـربية، وجميع العـمليات الخاصة بالمصرف قـد تمت لصالح للدول الأفريقية .

وبلغ إجمالي عمليات المصرف حتى ٣١/١٢/١٩٩٤م، ١٩٤ عملية شملت ٣٨ من الدول الأفريقية، أما التوزيع القطاعي لعمليات المصرف فكانت على الوجه التالي :

- قطاع النقل والاتصالات : حصل على حوالي ٥٧٤ مليون دولار أمريكي، بنسبة ٤٥,٤ ٪ من إجمالي عمليات الصندوق .
- قطاع الطاقة : حصل على ١١٥ مليون دولار أمريكي، بنسبة ٩,١ ٪ من إجمالي عمليات الصندوق .
- قطاع المياه والمجاري : حصل على ١٠٥ مليون دولار أمريكي، بنسبة ٣,٨٪ من إجمالي عمليات الصندوق .
- قطاع الزراعة والثروة الحيوانية : حصل على ٣,٥ مليون دولار أمريكي، بنسبة ٢٤,٩ ٪ من إجمالي عمليات الصندوق .
- قطاع الصناعة والتعدين : حصل على ١٠٩ مليون دولار أمريكي، بنسبة ٨,٦ ٪ من إجمالي عمليات الصندوق .
- عمليات أخرى (تشمل خدمات الصحة والتعليم ودعم موازين المدفوعات): حصلت هذه العمليات على ٤٤ مليون دولار، بنسبة ٣,٤ ٪ من إجمالي عمليات الصندوق .

حـ- **صندوق الأوبك** : تأسس الصندوق عام ١٩٧٥م بمساهمة الدول العربية المصدرة للنفط وبدأ عملياته عام ١٩٧٦م، بلغ إجمالي العمليات التي وفرها الصندوق في نهاية عام ١٩٨٧م حوالي ٢,١٧ مليار دولار أمريكي ارتفعت هذه العمليات إلى ٢,٢٨ مليار دولار أمريكي في نهاية ١٩٨٨م، ثم ارتفعت مرة ثانية إلى ٣ مليار دولار أمريكي في نهاية عام ١٩٩٤م.

التوزيع القطاعي لعمليات الصندوق حتى ١٩٩٤/١٢/٣١م كان كالآتي :

- قطاع النقل والاتصالات : فقد حصل على حوالي ٤٢٠ مليون دولار أمريكي، بنسبة ١٣,٨ ٪ من إجمالي عمليات الصندوق .
- قطاع الطاقة : حصل على ٦٨٧ مليون دولار أمريكي، بنسبة ٢٢,٦٪ من إجمالي عمليات الصندوق .
- قطاع المياه والمجاري : حصل على ١١٧ مليون دولار أمريكي، بنسبة ٣,٨٪ من إجمالي عمليات الصندوق .
- قطاع الزراعة والثروة الحيوانية : حصل على ٣٩٦ مليون دولار أمريكي، بنسبة ١٣٪ من إجمالي عمليات الصندوق .
- قطاع الصناعة والتعدين : حصل على ٤٤٢ مليون دولار أمريكي، بنسبة ٧,٩ ٪ من إجمالي عمليات الصندوق .
- عمليات أخرى (تشمل خدمات الصحة والتعليم ودعم موازين المدفوعات): حصلت هذه العمليات على ١,١٨٨ مليون دولار أمريكي، وهي تمثل ٣٨,٥٪ من إجمالي عمليات الصندوق .

وبلغت حصة الدول من المجموع التراكمي لعمليات الصندوق حتى ٣١/ ١٢/ ١٩٩٤م كالآتي :

- مجموعة الدول العربية : حصلت على ٥١٨ مليون دولار أمريكي، بنسبة ١٧ ٪ من إجمالي عمليات الصندوق .
- مجموعة الدول الأفريقية : حصلت على ١,١٧٥ مليون دولار أمريكي، بنسبة ٣٨,٧٪ من إجمالي عمليات الصندوق .

- مجمــوعة الدول الآسيويــة : حصلت على ٩٨٥ مليون دولار أمريكي، بنــسبة ٣٢,٥ ٪ من إجمالي عمليات الصندوق .

- مجموعة دول أمريكا اللاتينية : حصلت على ٣٤٧ مليون دولار أمريكي، وهي تمثل ١١,٤ ٪ من إجمالي عمليات الصندوق .

- مجموعة الدول الأخرى : حصلت على ٥ مليون دولار أمريكي، بنسبة ٠,١٦ ٪ من إجمالي عمليات الصندوق .

ط – اتحاد المصـارف العربيـة الفرنسـية U B A F : تأسس الاتحاد في باريس عام ١٩٧٠م بغرض تقوية العلاقات المالية مع العالم الغربي وبخاصة فرنسا، كذلك المساهمة في تمويل المشروعات في العالم العربي وبقية الدول النامية .

بلغ رأس مال الاتحاد ١١٠ مليون فرنك فرنسي، تساهم فيه ست دول عربية إلى جانب فرنسا، ولقد ساهم الاتحاد في إنـشاء مؤسسات تابعة له في لندن وروما ولكسمبورج وهونج كونج ونيويورك .

وتشير الإحصاءات إلى وجود مؤسســات مالية وعربية في الخارج يبلغ عددها حوالي ١٢٥ وحــدة مالية عربيــة، يبلغ مجمـوع رأس مالها حـوالي ثلاثة مليارات دولار أمريكي، ومجموع أصولها حوالي ثمانية مليارات دولار أمريكي .

كما ظهرت أيضاً عدة مصــارف إسلامية بدأت من عام ١٩٧١م ببنك واحد، وبلغت حتى الآت أكثر من سـتين مصرفاً إسلامياً، قـد ارتفع حجم نشاطها إلى أن تجاوز عدة مليارات من الدولارات الأمريكية .

ي – البنك الإسـلامي للتنميـة بجدة : أسس البنك في جدة عـام ١٩٧٤م بهدف تمويل برامج التنمـيـة الاقتـصادية والاجـتـماعـية في الأقـطار والمجتـمعـات الإسلامية، طبقاً للشريعة الإسلامية، وقد بلغ رأس ماله المسمـوح به حـوالي٢ مليـار دينار إسلامي، أي حوالي ٢,٣ مليار دولار أمريكي، كما بلغ إجمالي

العمليــات التمويليــة التي شارك فيهــا نحو ٥,٩ مليار دولار أمريكــي حتى نهاية ١٩٨٧م، وارتفعت إلى ٦,٦ مليار دولار حتى نهاية عام ١٩٨٨م . وارتفعت ثانية إلى ١٠,١ مليــار دولار في نهاية عــام ١٩٩٤م، وهي تشكل نسبــة ٢٥,٥ ٪ من إجمالي عمليات التمويل للمؤسسات المالية والصناديق العربية .

تبين أن البنك قام حــتى ١٩٩٤/١٢/٣١م بعدد ١٠٥٧ عــملية داخل ٣٩ من الدول العربيــة والإسلامية، وقــد تبين أن التوزيع القطاعي لهذه العملـيات كان كالآتي :

- قطاع النقل والاتصالات : بلغت حصتــه ٥١٩ مليون دولار أمريكي، بنسبة ٥٪ من إجمالي عمليات البنك
- قطاع الطاقــة : بلغت حصــتــه ٤٠٨٧ مليون دولار أمــريكي، بنسبــة ٤٠٪ من إجمالي عمليات البنك
- قطاع المياه والمجاري : بلغــت حصته ١١٧ مليون دولار أمــريكي، بنسبة ٣,٨٪ من إجمالي عمليات البنك
- قطاع الزراعة والثــروة الحيوانية : بلغت حــصته ١,٢١١ مليون دولار أمريكي، بنسبة١١,٨ ٪ من إجمالي عمليات البنك
- قطاع الصناعة والتعدين : حصل على ٣,٦٠١ مليون دولار أمريكي، بنسبة ٣٥ ٪ من إجمالي عمليات البنك
- عمليات أخرى (تشمل خدمات الصــحة والتعليم ودعم موازين المدفوعات): وقد بلغت حصة هذه العمليات ٥٤٣ مليون دولار أمريكي، أي حوالي ٥,٣ ٪ من إجمالي عمليات البنك .

وبلغت حصة البلدان من المجموع التراكمي لعمليات الصندوق حتى ٣١/ ١٢/ ١٩٩٤م كالآتي :

- مجموعة الدول العربية : حصلت على ٥,٦٠٦ مليون دولار أمريكي، بنسبة ٥٥٪ من إجمالي عمليات البنك .

- مجموعة الدول الأفريقية : حصلت على ٨٨٠ مليون دولار أمريكي، بنسبة ٨,٦ ٪ من إجمالي عمليات البنك .

- مجموعة الدول الأسيوية : حصلت على ٣,٧٠٤ مليون دولار أمريكي، بنسبة ٣٦,٣٪ من إجمالي عمليات البنك .

ك - البنك العربي الفرنسي للاستثمار FRAB BANK INTERNATIONAL:

وقد تم تأسيسه في باريس عام ١٩٦٩م برأس مال قدره حوالي ٧٠ مليون فرنك فرنسي، بملكية مشتركة بين ست دول عربية وخمس دول أوروبية، بالإضافة إلى اليابان .

تقييم أعمال المؤسسات المالية وصناديق التنمية العربية :

بلغ المجموع التراكمي للعمليات التمويلية التي قامت بها مؤسسات وصناديق التنمية كالآتي :

مجموعة الدول العربية : حصلت على ٢٣,٩٨٧ مليون دولار أمريكي، بنسبة ٦٠٪ من مجموع الأعمال .

مجموعة الدول الأفريقية : حصلت على ٦,٠٨٠ مليون دولار أمريكي، بنسبة ١٥ ٪ من مجموع الأعمال .

مجموعة الدول الآسيوية : حصلت على ٩,٠٧٨ مليون دولار أمريكي، بنسبة ٢٣ ٪ من مجموع الأعمال .

مجموعة دول أمريكا الـلاتينية : حصلت على ٥١٠ مليون دولار أمريكي، بنسبة ١١ ٪ من مجموع الأعمال .

مجموعة الدول الأخرى : حصلت على ١٧٥ مليون دولار أمريكي، بنسبة ١,٠ ٪ من مجموع الأعمال .

من هذه الإحصائية يتبين لنا أن الدول العـربية حصلت على أكبر نصيب من أعمـال مؤسسات وصناديق التنمية العربيـة، تليها مجموعة الدول الآسيويـة، ثـم الـدول الأفريقية، ثم دول أمريكا اللاتينية، ثم مجموع الدول الأخرى .

أما التوزيع القطـاعي لعمليات مؤسسـات وصناديق التنمية العربيـة فقد تمت على الوجه التالي :

- قطاع النقل والاتصالات : حصل على ٧,٦٥٨ مليون دولار أمريكي،أي بنسبة ١٩٪ من مجموع العمليات .
- قطاع الطاقة : حصل على ١٠,٧٨٨ مليون دولار أمريكـي، أي بنسبة ٢٧٪ من مجموع العمليات .
- قطاع المياه والمجاري : حصل على ٢,٣٤٥ مليون دولار أمريكـي، أي بنسبة ٦٪ من مجموع العمليات .
- قطاع الزراعة والثروة الحيـوانية : حصل على ٦,٨٠٨ مليون دولار أمريكي، أي بنسبة ١٧ ٪ من مجموع العمليات .
- قطاع الصناعـة والتعدين : حـصل على ٧,٠٧٤ مليون دولار أمـريكي، أي بنسبة ١٨ ٪ من مجموع العمليات .
- خدمـات الصحة والتـعليم ودعم موازين المدفوعـات : حصلت على ٥,٢٠٧ مليون دولار أمريكي، أي بنسبة ١٣ ٪ من مجموع العمليات .

ويلاحظ من هذا التوزيع أن قطاعـات البنية الأساسية قـد حصلت على أقل نسب من العمليات التمويلية، حيث حصل قطاع المياه والمجاري على ٦٪، والتعليم والصحة ١٣ ٪، وهذا فيه إجحاف بقطاع أسـاسي ومهم، يُبنى عليه باقي قطاعات الدولة .

كذلك نلاحظ أن قطاع الـزراعة لم يحظ سوى بنسـبة ١٧ ٪ فقط، رغم أن معظم، إن لم يكن كل، الدول الإسلامـية دول زراعية، كما أنها مـستوردة للمواد الغذائية . كما أن قطاع الصناعة والتعدين لم يحظ كذلك إلا بنسبة ١٨٪، رغم أن هذا القطاع ذو أهمية خاصة في عملية التنمية والنمو .

القطاع الوحيد الذي حظى بأكبر نصـيب هو قطاع الطاقة، حيث حصل على ٢٧٪ من مجمـوع العمليات، وذلك يرجع إلى أن معظم الصناديق العـربية تمتلكها دول نفطية .

ومن المعـروف أن المنطقـة العـربيـة تعـاني من ظـاهرة التـخلف في مـعظم مجالاتها، ومن ثمّ فـهي في حاجة ماسة إلى إقامة العديد من المشـروعات المشتركة في المجالات المختلفة، إلا أن مشروعات التمويل العربية تشكو في معظمها من عدم وضوح مجالات الاستثمـار في الأقطار العربية وبالذات بلد المنشأ، وقد يرجع ذلك إلى عدم قيام جهات قطرية عربيـة بعمل الدراسات اللازمة للمشروعات التي تكون صالحـة للاستـثمـار، لهذا قـد يكون من الأفضل إنشـاء مؤسـسة للبـحث العلمي بأجهزتها المختلفة، لإجراء مثل هذه الدراسات .

مما يؤخذ على التعاون المالي الثنائي والاتفاقيات الحكومية والصناديق الوطنية، أنها تخضع لاعتبارات سياسـية وقرارات حكومات الدول المقرضة وإراداتها في منح القروض والمعونات المالية . مما دعا الكثيرين إلى تأييد فكرة الصناديق القومية لتكون بعيدة عن القيود والمشكلات السياسية .

وجميع الصناديق العربية تقرر زيادة رأسمالها ولكن لايتم دفع كل رأس المال، كما أن قرارات الزيادة لايصاحبها أي مدفوعات فورية من الزيادة، وقد يرجع ذلك إلى أن قرار الزيادة يحتاج لبعض الإجراءات التي يستغرق بعض الوقت، وقد يكون قرار الزيادة من قبيل الدعاية والتسابق في زيادة حجم رأس المال .

ومن أهم المشكلات التي تواجهها الصناديق العربية والمؤسسات المالية ظاهرة تضخم الأسعار، ومن ثمّ تزايد تكلفة المشروع بمعدلات مرتفعة، وهو لايزال قيد الدراسة أو تحت التنفيذ، مما يعرض تنفيذ أو استكمال المشروع للتوقف أو إنهائه، بخاصة إذا كان التمويل يتم من عدة جهات قد لايوافق البعض منها على الزيادة الطارئة لظاهرة ارتفاع الأسعار، ومن ثم يتعرض المشروع لخسائر كبيرة تؤثر على عائده الاستثماري، بخاصة إذا كان تنفيذه سيترتب عليه مشروعات أخرى ستقوم الدولة بتنفيذها .

كما يلاحظ محدودية الموارد المالية للصناديق العربية، رغم أن أصحابها هي الدول المصدرة للنفط ذات الدخل المرتفع، حسب تصنيف البنك الدولي . كما أن رؤوس أموالها ليست على مستوى حجم رؤوس أموال المؤسسات المالية والائتمانية الدولية الضخمة، هذا بالإضافة إلى انخفاض مواردها مقارنة باحتياجات الدول العربية والإسلامية .

ولهذا نرى أن مصدر تمويل الصناديق يجب ألا يقتصر على ماتقدمه الحكومات، ولكن ينبغي أن يتطور باتباع أكثر من وسيلة، كالاقتراض أو إصدار السندات .

ومن أهم المشكلات التي تواجه الصناديق العربية حالياً، ضعف قدرة الدول المقترضة على السداد، وقد بلغت المتأخرات المستحقة على الدول المستفيدة لصالح مؤسسات وصناديق التنمية حتى نهاية عام ١٩٩٤م حوالى ٢٣٦٠ مليون دولار أمريكي، يستحق على الدول العربية منها حوالي ١٦٤٣ مليون دولار، أي بنسبة ٧٠ ٪ من جملتها، وعلى الدول الأفريقية ٦٤٤ مليون دولار، أي بنسبة ٢٧ ٪ من

جملتهـا، وعلى الدول الآسيوية ٩ مليـون دولار بنسبة ٤ر٠٪ . أما بلدان أمريكا اللاتينيـة فمـدينة بحوالي ٦٤ مليـون دولار، أي بنسـبة ٢,٧ ٪ من إجمـالي هذه المتأخرات .

وتستحق هذه المتـأخرات لمؤسسات وصناديق التنمية بنسب مـتفاوتة، يخص الصندوق السعـودي منها ٢١,٤ ٪، وصندوق النقد العربي ١٩,٥٪، والصندوق الكويتي ١٦,٨٪، والصندوق العـربي للإنماء الاقـتـصـادي والاجتـمـاعي ١١,٣ ٪، والمصرف العـربي للتنمية في أفريقـيا ٩,٩٪ والبنك الإسلامي للتنمـية ٩,١٪ وصندوق الأوبك ٧,٣ ٪ وصندوق أبو ظبي٧,٤٪.

ولوحظ انتـشار المشـروعات العـربية الدولـية المشـتركـة في قطاع التمـويل والمصارف، مما يهدد باحتمال ظهور مدخل تبعي جديد معاكس للمشروعات العربية المشتركة، وما يـترتب على ذلك من امتصاص الجهود العربيـة وتقليل الاستفادة من الموارد المالية العربية، وذلك ببعض الحجج التي ترددها الأقطار العربية، منها ضمان هذه الأموال ضـد المخاطر أو فـرص الربح، أو عدم وضـوح مجالات الاسـتثـمار وغيرها من الدعاوى التي تعني اتجاهاً نحو تسرب رأس المال العربي نحو الخارج .

مما سبق يتضح لنا أن المؤسسات المالية وصناديق التنمية قامت بمجهود لا بأس به في مسـاعدة بعض الدول العـربية والإسلامـية، بمدها بـبـعض القروض، ولكن يلاحظ أن بعض القروض قد تـسربت إلى خارج نطاق الدول العربية والإسـلامية، أي إلى دول أجنبـية وغيـر إسلاميـة، بل تعدت حـدود الدول ووصلت إلى بعض المنظمات الدولية وهذه ظاهرة غير طيبة .

لهذا نرى أن المؤسسات المالية وصناديق التنمية العربية والبنوك الإسلامية التي ظهرت خلال السنوات الماضية لديهـا الإمانات المادية والكوادر الفنية التي لو أحسن استغلالـها - بخاصة بعد رفع رأس مالهـا - لتضاعفت معدلات التنمـية في العالم الإسلامي، خصوصاً إذا ماقضت على تلك المعوقات السالف ذكرها، هذا بالإضافة إلى أنه لو حـدث تنسيق بينهـا تحت مظلة بنك أو مـصرف إسـلامي مركـزي يمكن

تأسيسه أو تحت مظلة البنك الإسلامي للتنمية (بصفة مؤقتة لحين إنشاء المصرف الإسلامي المركزي) وذلك لوضع استراتيجية جماعية من أجل تنمية العالم العربي والإسلامي، والعمل على تخصص كل منها (سواء كانت مؤسسة أم صندوق أو بنك) في تمويل إحدى أنشطة العالم الإسلامي أو إحدى القطاعات المختلفة، لنتج عن ذلك آثار طيبة للتنمية، بخاصة إذا ماتم انسياب الأموال من المؤسسة (أو الصندوق أو البنك) ذات الفائض إلى مؤسسة أخرى ذات عجز والاستثمار في المشروعات المسندة إليها.

وبذلك يكون هناك وعاء ادخاري كبير يستطيع المسؤولون (البنك المركزي الإسلامي) أن يوجهوه بالإنفاق في المشروعات الإنتاجية والخدمية والبنية الأساسية، ومن ثمَّ سد حاجات الدول الإسلامية من جميع متطلباتها، مع العناية بالدول الإسلامية الفقيرة حتى نشد من أزرها، وتنمو جنباً إلى جنب باقي الدول .

٤ - التكتلات الإسلامية (العربية) الحديثة :

شهدت الدول الإسلامية (العربية) في السنوات الأخيرة عدة تكتلات اقتصادية . وقد فشل البعض منها ولم يستمر في تحقيق أهدافه، ولكن يوجد على الساحة حالياً مجلس التعاون الخليجي واتحاد المغرب العربي ويمكن إلقاء المزيد من الضوء عليهما على النحو التالي :

أ - **مجلس التعاون الخليجي** : طرحت فكرة إقامة مجلس التعاون الخليجي في قمة عُمان عام ١٩٨٠م، وتمت الموافقة عليها نظراً للظروف التي كانت تمر بها المنطقة، كالحرب بين العراق وإيران والتدخل السوفيتي في أفغانستان، وتبع ذلك عدة لقاءات ومؤتمرات وزارية للدول الست (السعودية- عُمان - الإمارات- الكويت - البحرين - قطر)، ثم تبلورت هذه الفكرة، حتى وافق عليها مؤتمر القمة الخليجي في مايو عام ١٩٨١م في أبوظبي حيث أعلن رسمياً عن قيام مجلس التعاون الخليجي.

ويجمع دول مجلس التعاون الخليجي عدة عوامل مشتركة : فالسكان المحليون من العرب المقيمين منذ آلاف السنين بالمنطقة، وكذا بعض العناصر البشرية من آسيا وأفريقيا، كما يجمعها وحدة اللغة والدين ومن ثمَّ تتحلى هذه الدول بقيم أخلاقية مشتركة نابعة من الدين الإسلامي وكذا اللغة العربية التي تسهل عملية الاتصال والمعاملات فيما بينها . كذلك تجمعها الثقافة المشتركة والموقع الجغرافي الواحد والتشابه في الظروف المناخية الواحدة، حيث إن الدول الست متجاورة ولايوجد بينها أي حواجز طبيعية تقريباً، وتطل على سواحل بحرية من الخليج العربي إلى بحر العرب ثم البحر الأحمر، الأمر الذي يسهل الاتصال البحري والبري .

كذلك نجد أن بعض الدول الست من أهم دول العالم في إنتاج وتصدير النفط، وتعتمد هذه الدول على النفط في التجارة الخارجية، وهو مورد حيوي لها . كما أن هذه الدول متقاربة في العادات والتقاليد والقيم ومتشابكة في روابط المصاهرة، بالإضافة إلى التجانس السياسي وأنظمة الحكم .

ويُشكل الهيكل التنظيمي لمجلس التعاون الخليجي من الآتي :

- **المجلس الأعلى** : ويشكل من رؤساء الدول الأعضاء ورئاسة المجلس دورية، ويختص بوضع السياسة العليا ومناقشة القوانين والتوصيات التي تعرض عليه من المجلس الوزاري أو الأمانة العامة، تمهيداً لاعتمادها .
- **هيئة فض المنازعات** : وهذه الهيئة تتبع المجلس الأعلى وتختص بفض المنازعات التي تقع بين الدول الأعضاء، كما أنها المرجع في تفسير النظام الأساس للمجلس .
- **المجلس الوزاري** : ويشكل من وزراء خارجية الدول الأعضاء أو من ينوب عنهم، ويختص المجلس الوزاري بوضع النظام الأساس للأمانة العامة، ويعد الدراسات والموضوعات واللوائح والتوصيات التي تعرض على المجلس الأعلى .

- **الأمانة العامة** : يرأسها أمين عام يتم اختياره من رعايا إحدى دول مجلس التعاون، ويعاونه أمناء مساعدون وجهاز فني إداري، وتختص الأمانة العامة بإعداد الدراسات الخاصة بالتعاون والتنسيق والتقارير التي يطلبها المجلس الوزاري، وكذا التقارير الدورية وإعداد مشروعات اللوائح المالية والإدارية، ومتابعة تنفيذ توصيات المجلس الأعلى والمجلس الوزاري .

ولقد شملت اتفاقية مجلس التعاون الخليجي عدة بنود تنظم العمل لدول المجلس، حيث نصت على إعفاء المنتجات الوطنية لدول المجلس من الرسوم الجمركية، أي نصت على حرية التجارة ونصت أيضاً على توحيد التعريفة الجمركية مع دول العالم الخارجي وفق زمن محدد، وبذلك أخذ شكل الاتحاد الجمركي. كما نصت الاتفاقية على توحيد السياسة الاقتصادية والتوحيد المؤسسي، ويشمل التوصية بتوحيد القوانين والإجراءات في القطاعات الاقتصادية وإجراءات المراجعة المحاسبية للأجهزة الحكومية، وإنشاء جهاز للمواصفات والمقاييس، وتوحيد القوانين الصناعية والتجارية والمهنية .

ونصت أيضاً على بناء وربط الهياكل الأساسية لإيجاد قاعدة للتكامل، مثل الكهرباء والطرق وشبكات نقل الغاز .

وفي فبراير ١٩٨٤م، تم وضع مشروع لسياسة زراعية مشتركة لتحقيق التكامل الزراعي بين دول المجلس، كما تم وضع المواصفات القياسية لبناء طرق الربط والطرق الرئيسة، وقد اعتمدت في مارس ١٩٨٤م، كذلك وضع وثيقة للتنمية الصناعية وأخرى لأهداف وسياسات خطط التنمية وذلك في عام ١٩٨٥م .

وتهدف سياسات خطط التنمية لدول المجلس إلى المحافظة على القيم الإسلامية والهوية العربية وتقاليدها الأصلية ، واعتماد الاقتصاد الحر أساساً للتنمية. كذلك تنمية وتهيئة المواطن اجتماعياً وثقافياً وصحياً ، وتحقيق توازن سكاني في الدول التي تعاني من خلل في التركيب السكاني ، وتحقيق الرخاء الاجتماعي ، والتأكيد على عملية التكافل الاجتماعي بين مجتمعات شعوب هذه الدول ، والتأكيد على أهمية المبادرات الفردية ودور القطاع الخاص في عملية التنمية ، ودور الحكومات في توجيه هذا القطاع ، وتنمية الموارد الاقتصادية والاستغلال الأمثل لمصادر الثروة الطبيعية وخاصة النفط .

ويمثل مجلس التعاون الخليجي تجربة جديدة في صيغ التكامل الاقتصادي الإقليمي وذلك لاتساع وشمولية أهدافه والتي برزت في اتفاقياته . ولكن يلاحظ ، أن هناك بعض التحديات أمام ممارسة النشاط الاقتصادي لهذه الدول نظراً لتشابه الموارد الطبيعية لديها ، سواء من ناحية الوفرة أو الندرة وهياكل الإنتاج ، حيث تعتمد دول المجلس أساساً على النفط ، نتيجة لندرة الموارد الطبيعية الأخرى ، بخاصة المياه العذبة ، كذلك تباين الكثافة السكانية بين دول المجلس وأحجام السكان ومساحات الدول ونصيب الفرد من الناتج الوطني الإجمالي [٤١] . ويوضح ذلك الجدول رقم (٢٢) .

جدول رقم (٢٢) : المساحة والسكان ونصيب الفرد من الناتج الوطني الإجمالي لدول مجلس التعاون الخليجي (١٩٩٣م) .

الدولة	تعداد السكان بالمليون	المساحة الكلية بالآف في كم٢	الكثافة السكانية نسمة في كم٢	نصيب الفرد من الناتج الوطني الاجمالي بالدولار	متوسط النمو السكاني في السنة
السعودية	١٧٫٤٠	٢٫١٥	٨	٧٩٤٠	٤٫٤
الإمارات	١٫٨٠	٨٤	٢٠	٢١٤٣٠	٣٫٢
الكويت	١٫٨	١٨	٨١	١٩٣٦٠	٢٫٩
عُمان	٢٫٠	٢١٢	٦	٤٨٥٠	٣٫٩
قطر	٠٫٥٢	١١	٤٧	١٥١٤٠	٥٫٣
البحرين	٠٫٥٤	٦٢٠	٨٧١	٧٨٧٠	٣٫١

المصدر : تقريـر البنك الدولي لعام ١٩٩٥م ، تقرير البنك الإسلامي للـتنمية لعام ٩٤/ ١٩٩٥م .

من الجدول السابق رقم (٢٢) يتبين الآتي :

- أن عدد سكان دول مـجلس التعاون الخليـجي (عام ١٩٩٣م) يبلغ ١٦ ,٢٣ مليون نسمة ، وتمثل السعودية وحدها ٧٥ ٪ من إجمالي مجموع السكان ، في حين أن البحرين تمثل ٢,٣ ٪ من إجمالي مجموع السكان، وقطر ٢,٢ ٪ من إجمالي مجموع السكان ، وتمثل كل من دولة الإمارات والكويت ٧,٧ ٪ من إجمالي مجمـوع السكان ، بينما يمثل سكان سلطنة عمان ، ٨,٦ ٪ من إجمالي مجموعات سكان دول المجلس.

وبيانات تعداد السكان عام ١٩٩٣م ، تبين أن هناك تبايناً كبيراً بين هذه الدول من ناحية الحجم .

تبلغ مساحات دول مـجلس التعاون الخليجي مجتـمعة حوالي ٣,٠٩٥ ألف كيلو متـر مربع ، تشغل السعـودية وحدها حوالي ٦٩,٤ ٪ من إجمالي المساحة، وهي تعتبر أكبر دولة مساحةً .

أما أصغـر هذه الدول مساحة فـهي قطر ، حيث تمثل ٣,٠ ٪ من إجمالي المساحة .

بالنسبة للكثافـة السكانية ، نجد أن أكبر الدول كثافـة هي البحرين حيث تبلغ ٨٧١ نسمة في كل كيلو متر مربع ، بينما الأقل كثافة هي عُمان (٦نسمة في الكيلو متر المربع) ، تليها السعودية (٨ نسمة في الكيلو متر المربع) .

فيما يتعلق بمتوسط النمو السكـاني ، فنجد أن جميع الدول هنا تعد من أكبر دول العالم في متوسط النمـو السكاني ، وأكبر دولة في دول المجلس هي : قطر (٥,٣ ٪) ،وتليها السعودية (٤,٤ ٪) فعُمان (٣,٩ ٪).

أمـا عن متـوسط نصـيب الفرد من الناتج الوطـني الإجمـالي ، فنلاحظ أن الإمـارات أكـبـر الدول دخـلاً للفـرد (٢١٤٣٠ دولار أمـريكي) ، يليـهـا الكويـت(١٩٣٦٠ دولار أمـريكـي)، فـقـطر (١٥١٤٠ دولار أمـريـكي)، ثم السعـودية (٧٩٤٠ دولار آمريكي)، ثم البحـرين (٧٨٧٠ دولار آمريكي)، ثم عُمان (٤٨٥٠ دولار أمريكي) . وتعتبـر الإمارات من أكبر دول العالم من حيث نصيب دخل الفرد . أما الكويت وقطر ، فالدخل فيهما فوق المتوسط وباقي الدول متوسطة الدخل طبقاً لمعايير البنك الدولي .

ومـازالت التـجارة البـينيـة لدول مـجلس التـعـاون الخليـجي تلاقي بعض الصعـوبات، منها إثبات أهلـية السلعة الوطنيـة المصدرة للإعفـاء الجمركي ، كـما يكتنف تنفيذ القرار الخاص بإعطاء الأولوية للمنتجات الوطنية الكثير من الغموض ، كما حدث تراجع في تنفيذ ماتم الاتفاق عليه بشأن الحد الأدنى للتعريفه الجمركية .

كما أن العمل المشـترك في إطار مجلس التعاون يتأثر ببـعض العوامل ، منها موضوع السيـادة وهو من أهم التحديات التي تواجه العمل الاقتـصادي المشترك في التجمعات الإقليمية .

كما أن العمل المشترك يرتب تغيرات هيكلية للمؤسسات الإنتاجية والخدمية في دول المجلس ، ومن ثمّ تحدث بعض التضحيات التي لاتقابلها مكاسب متوازنة ومباشرة في بعض الحالات .

ومن التحديات أيضاً التي تواجه تجربة المجلس ، انخفاض معدلات الأداء والإنتاجية وارتفاع نسبة الفاقد ، وذلك لغموض فلسفة الإدارة ، وعدم كفاية أنظمتها ، وضعف بناء تنظيماتها ، وتخلف التقنية المطبقة فيها ، واختلال التوازن بين أجهزة الرقابة والمشروعات ، بالإضافة إلى ذلك ، هناك محدودية المعرفة الفنية والاعتماد على استيراد التكنولوجيا الجاهزة عن طريق الشركات متعددة الجنسيات ، اعتقاداً من دول المجلس أنها قادرة على التعامل في هذا المجال بسبب حاجة العالم الصناعي إلى ما لديها من مصادر الطاقة ، إلا أن هذا الاعتقاد ثبت محدودية فاعليته ، بخاصة بعد أن نجح العالم الصناعي في تحويل سوق النفط إلى سوق مشترين ، بل أن ذلك العالم استغل هذه الرغبة في امداد المنطقة بمشروعات ثبت ضعف جدواها وبتكاليف مبالغ فيها .

كما يلاحظ الإفراط في استخدام الطاقة عند مستوى متواضع للإنتاج الصناعي. أما التجارة البينية لمجلس التعاون الخليجي ، فقد سبق الإشارة إليها وتبين أن نسبة التبادل بين هذه الدول حوالي ٦ر٥ ٪ من إجمالي تجارتها عام ١٩٩٤م ، وهذه نسبة ضعيفة وظاهرة غير طيبة .

ب – **اتحاد المغرب العربي** : بني هذا الاتحاد على عدة مبادئ وأسس محددة ، منها وحدة الدين واللغة والتاريخ والأماني والتطلعات والمصير ، وتكوّن من ليبيا ، تونس ، الجزائر ، المغرب ، وموريتانيا .

وتهدف معاهدة الاتحاد إلى تقوية أواصر الأخوة بين الدول الأعضاء ، وتحقيق تقدم ورفاهية شعوبها ، والدفاع عن حقوقها والمساهمة في صيانة السلام القائم على

العدل والإنصاف ، ونهج سياسة مشتركة في مختلف الميادين ، والعمل تدريجياً على تحقيق حرية انتقال الأشخاص والخدمات ورؤس الأموال والخدمات فيما بينها ، والعمل على الحفاظ على استقلال كل دولة من الدول الأعضاء ، وأن كل اعتداء تتعرض له إحدى دول الاتحاد يعتبر اعتداءً على باقي الدول الأعضاء .

كما تتعهد الدول الخمس أعضاء الاتحاد بعدم السماح لأي نشاط فوق أرضها يمس أمن أو حرية إحدى دول الاتحاد .

كما تهدف هذه المعاهدة إلى العمل على تحقيق التنمية الصناعية والزراعية والتجارية والاجتماعية للدول الأعضاء ، واتخاذ مايلزم من وسائل ، بخاصة إنشاء مشروعات مشتركة فضلاً عن العمل على إقامة تعاون لتنمية التنظيم والحفاظ على القيم الروحية والخلقية المستمدة من تعاليم الإسلام .

ويقضي نظام هذا الاتحاد بإلغاء تأشيرات الدخول بين مواطني الدول الخمس وبدء العمل بنظام البطاقة الموحَّدة ، والسماح للمواطنين بنقل رؤوس الأموال وحرية التجارة ، ومنحهم حق التملك والبيع والشراء دون قيود محددة كما يقضي هذا النظام بمعالجة المسائل الجمركية والضريبية والتجارة الخارجية بالشكل الذي يهدف إلى قيام سوق مشتركة، وقيام مصرف مشترك بين الدول الخمس يتولى الإسهام في تنشيط التجارة ، كذلك إنشاء مؤسسة استثمارية لتمويل المشروعات الاستثمارية أو التي تقيمها كل دولة على حده[٤٢] .

يشكل الهيكل التنظيمي للاتحاد من الآتي :

- **مجلس الرئاسة** : يتكون من رؤساء الدول ومدة رئاسة المجلس ستة أشهر بالتناوب ، ويعقد دورة عادية كل ستة أشهر، ودورات استثنائية كلما دعت الحاجة لذلك، ويختص مجلس الرئاسة باتخاذ القرارات والتي تصدر بالإجماع .

- **سكرتارية ملحقة بالرئيس** : تتكون من مندوبين من الدول الخمس وذلك كبديل عن الأمانة العامة الدائمة .

- **المجلس الوزاري** : يشكل من وزراء خارجية الدول الخمس ، ويحضر المجلس الوزاري دورات مجلس الرئاسة وينظر في ماتعرضه لجنة المتابعة واللجان الوزارية المتخصصة.

- **اللجان الوزارية المتخصصة** : تعمل لاستكشاف إمكانات التكامل بين دول الاتحاد وعرض دراستها على مجلس الرئاسة، وتستعين هذه اللجان بعدد غير محدود من اللجان الفنية .

- **مجلس شورى استشاري** : يتكوّن من ٥٠ ممثلاً عن برلمانات دول المغرب الخمس، بحيث يمثل كل برلمان عشرة أعضاء ، ويعقد مجلس الشورى دورة عادية كل سنة ، ودورات استثنائية بطلب من مجلس الرئاسة ويبدي مجلس الشورى رأيه فيما يحيله إليه مجلس الرئاسة من مشروعات قرارات ، كما أن له الحق في أن يرفع لمجلس الرئاسة مايراه من توصيات لتعزيز عمل الاتحاد وتحقيق أهدافه .

- **هيئة قضائية (مجلس تحكيمي)** : وتشكل من عشرة أعضاء «عضوين عن كل دولة» وتختص بفض المنازعات الإقليمية المتعلقة بتفسير وتطبيق المعاهدة والاتفاقيات الإقليمية المبرمة في إطار الاتحاد .

هذا ويلاحظ أن الاتحاد يفتقر إلى وجود سلطة عليا مستقلة عن الدول الأعضاء ، فهو لايتمتع بسلطة فوق سلطة الدول الأعضاء ولا يتمتع بسلطة مستقلة بين الدول . (بسيوني ، ١٩٩٢م : ١٢٠ - ١٢٣) .

كذلك يفتقر الاتحاد إلى وسائل التنفيذ ، ومن ثمّ فإن عملية تنفيذ أي قرارات أو مقترحات تظل رهن إرادة الدول الأعضاء .

- أن فترة رئاسة مجلس رئاسة الاتحاد بالتناوب وهي ستة أشهر لاتتيح لرئيس مجلس دراسة المشروعات أو القرارات التي سوف تعرض على المجلس .

كذلك هناك مشكلة صدور القرارات بإجماع الأعضاء ، وهذه إحدى مشكلات جامعة الدول العربية والتي تستلزم إجماع أعضائها في اتخاذ بعض القرارات .كما توجد عدة تناقضات بين دول الاتحاد يصعب تجاوزها ، من هذه التناقضات أن بعض الدول بالاتحاد يقوم نظامها السياسي على الاقتصاد الموجه والبعض الآخر منها يقوم نظامها على الاقتصاد الحر .

كذلك يلاحظ تشابه اقتصاديات الدول الأعضاء في الاتحاد بل وتنافس منتجاتها ، وهذا يعتبر أحد العوائق الاقتصادية المهمة على المدى القصير، كذلك اختلاف نظم التجارة الخارجية من حيث التمويل وسيطرة جهاز الدولة أو القطاع الخاص ، والحاجة إلى أتباع مبدأ التخطيط المركزي لتنسيق التعاون بشكل جذري ، بالإضافة إلى مايثار من مشكلات تتعلق بسعر الصرف وأسس التبادل التجاري .

هذا وقد سبقت الإشارة إلى التجارة البينية بين دول الاتحاد المغربي العربي، وتبين أن التجارة البينية بينها في حدود ٢٥ ,٣٪ من إجمالي تجارتها الخارجية، وهذه ظاهرة غير طيبة ، حيث إن المقصود من الاتحاد هو تشكيل تكتل اقتصادي يستطيع أن يعمل على زيادة التبادل التجاري بين أعضائه ، ومن ثمَّ إحداث تنمية اقتصادية ورفاهية لشعوبه ، والجدول رقم (٢٣) يوضح بعض المؤشرات الأساسية لدول الاتحاد .

(جدول رقم ٢٣) : بعض المؤشرات الأساسية لدول الاتحاد المغربي العربي عام ١٩٩٣م .

الدولة	تعداد السكان بالمليون	المساحة الكلية بالآف في كم٢	الكثافة السكانية نسمة في كم٢	نصيب الفرد من الناتج الوطني الاجمالي بالدولار	متوسط النمو السكاني في السنة
تونس	٨ر٦١	١٦٤	٥٣	١ر٧٨٠	٢ر١
الجزائر	٢٦ر٨٨	٢ر٣٨٢	١١	١ر٦٥٠	٢ر٦
ليبيا	٥ر٠٤	١ر٧٦٠	٣	٥ر٣١٠	٣ر٦
المغرب	٢٦ر٧٢	٤٤٧	٦٠	١ر٠٣٠	٢ر٤
موريتانيا	٢ر١٤	١ر٠٣١	٢	٥١٠	٢ر٧
المجموع	٦٩ر٣٩	٥ر٧٨٤			

من الجدول السابق رقم (٢٣) يتضح أن تعداد سكان الاتحاد حوالي ٦٩,٣٦ مليون نسمة ، وأن سكان كل من الجزائر والمغرب يمثلون ٧٧,٢٪ من إجمالي سكان الاتحاد . كذلك يلاحظ أيضاً أن هناك اختلافات كبيرة بين هذه الدول في المساحة الكلية لها ، حيث يلاحظ أن تونس مساحتها ٢,٨ ٪ من المساحة الكلية للاتحاد والمغرب حوالي ٧,٧٪ من المساحة الكلية للاتحاد ، بينما الجزائر تشكل ٤١,١ ٪ من إجمالي المساحة الكلية للاتحاد ، فإذا أضفنا إليها - أي الجزائر - كل من ليبيا وموريتانيا ، فإن هذه الدول الثلاث تمثل ٨٩,٥ ٪ من المساحة الكلية للاتحاد .

لذلك نجد أن الكثافة السكانية تتركز أساساً في المغرب (٦٠ نسمة في الكيلو متر المربع) وكذلك في تونس (٥٣ نسمة في الكيلو متر المربع) .

أما متوسط نصيب الفرد من الناتج الوطني الإجمالي لهذه الدول فيبلغ حوالي ٢٠٥٠ دولاراً وهذا يعتبر من الدخول المتوسطة ، ويلاحظ أن أقل دخل في هذه الدول يوجد في موريتانيا ، حيث يبلغ ٥١٠ دولارات وهو من أقل المتوسطات على المستوى العالمي ، بينما ليبيا يبلغ الدخل الفردي فيها حوالي ٩٣١٠ دولارات ، ويعتبر من الدخول المتوسطة .

أما عن متوسط النمو السكاني ، فهو متقارب بين دول الاتحاد ماعدا ليبيا التي ترتفع فيها ليبلغ ٣,٦ ٪ في العام .

ثانياً : أهمية التكامل الاقتصادي للدول الإسلامية :

لاشك أن هناك الكثير من المبررات الخاصة بأهمية التكامل الاقتصادي بين الدول الإسلامية ومنها مايلي :

١ - أن الدول الإسلامية تمتد جغرافياً في ثلاث قارات هي أفريقيا وآسيا وأوروبا . كما أنها تستحوذ على مناطق متنوعة الموارد الطبيعية الزراعية والاستخراجية ، وبها كفاءات بشرية متعددة في معظم مجالات النشاط الاقتصادي ، بالإضافة إلى قدرات علمية وبحثية في معظم المجالات اللازمة للتطور والتقدم التكنولوجي ، كما أن من بينها معظم الدول الرئيسة المصدرة للنفط في العالم والتي تتجمع لديها فوائض رأسمالية كبيرة والتي لاتجد لها مجالات واسعة للاستثمار داخل العالم الإسلامي لأسباب سياسية واقتصادية مختلفة(٤٣) .

ورغم ذلك ، فإن معظم الدول الإسلامية تعاني من عجز في موازينها التجارية ، وذلك لاعتمادها على استيراد المواد الغذائية ومستلزمات الإنتاج (ومعظمها صناعات استهلاكية خفيفة) وكثير من السلع الصناعية.

هذا بجانب اعتماد عدد منها على الاستعانة بالخبرات الأجنبية والركون إلى ماتسمح به (وهو محدد بأهداف الدول المتقدمة) من ثمار التقدم العلمي والجهود البحثية في الدول الغربية المتقدمة .

ولاشك أن التكامل الاقتصادي بين الدول الإسلامية يعمل على تحقيق درجة كبيرة من التنسيق بين عناصر الإنتاج وكذلك المشروعات الإنتاجية المشتركة ، كما أنه يقضي على تبعية هذه الدول للعالم الخارجي ، بزيادة قوتها التفاوضية، ومن ثمَّ التقليل من اعتمادها على الخارج في الغذاء وكثير من المنتجات الصناعية ، فضلاً

عن الحد من استنزاف وتسرب الأموال إلى خارج الأمة الإسلامية ، وتعرضها للتقلبات الاقتصادية ، واستثمارها في مضاربات البورصات والبنوك الأجنبية ، دون توافر الخبرة الكافية لهذه الأنشطة وخفاياها مما ينتج عنه ضياع الكثير من هذه الأموال(٤٤) .

٢ - تعاني الدول الإسلامية من حالة تناقض مزمنة بين حلم التجمع والوحدة وواقع التشرذم . ولاسبيل للتخلص من هذه الحالة إلا بتغييرات جوهرية في الفكر السياسي وبث روح التعاون والإخاء والتآلف بين شعوب هذه الأمة مصداقاً لقوله تعالى ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ [المائدة ٢]. ومن ثمّ يجب غرس هذه الروح وبثها في مناهج التعليم والتربية والثقافة وأجهزة الإعلام ولابد أن يعلم الجميع بأنه لا كيان ولاوجود للعالم الإسلامي إلا بالوحدة والاتحاد وأنه لامكان اليوم للدول الصغيرة أو الكيانات الصغيرة على خريطة العالم ، ويجب أن ننزع من بيننا الخلافات والفرقة ، وأن نتحد على كلمة الله وعلى كتابه وهديه ، وأن نكون أمة واحدة وأخوة متحابين متعاونين في السراء والضراء . والرسول صلى الله عليه وسلم يقول(مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)(٤٥) .

فعلى الدول الإسلامية العمل على التعاون والتنسيق فيما بينهم من أجل الوحدة ، ولاسبيل لذلك إلا بالتكامل الاقتصادي بينها ، فهو السبيل الوحيد والفعّال لتحقيق هذه المتغيرات والحلم المنشود ، على أن نتجنب تجارب الماضي والتي كانت لاتعدو اتفاقيات مكتوبة في الأوراق وليست لها فاعلية في الواقع، بخاصة وأن العالم حالياً قد دخل مرحلة جديدة من إعادة تشكيل النظام الاقتصادي والسياسي وماحدث من نتائج عن اتفاقية الجات في جولة أوروجواي . ولا تستطيع الدول الإسلامية مواجهة تلك التغيرات الدولة إلا بكيان اقتصادي كبير ، حيث تستطيع أن تواجه باقي الكيانات الاقتصادية الأخرى .

٣ - التكامل الاقتصادي بين الدول الإسلامية يعمل على القضاء على ظاهرة التناقض الاقتصادي بين هذه الدول ، حيث توجد فوائض مالية كبيرة لدى بعض الدول غير قادرة على استثمارها ، ومن ثم يتم استغلالها لدى دول أجنبية غير إسلامية ، بينما توجد دول إسلامية فقيرة لديها القدرة على استيعاب هذه الأموال في استثمارات جادة ، تعود بالخير على أصحاب رؤوس الأموال وعلى الدول المستثمرة لها وبالتالي على العالم الإسلامي أجمع ، ومن ثمَّ يزيد الإنتاج وترتفع الكفاءة الإنتاجية وتنخفض الأسعار وتحدث طفرة تنموية كبيرة ، وبذلك يُقضى على ظاهرة البطالة التي تعم معظم العالم الإسلامي ، وتستطيع هذه الدول أن تقف بندية في مواجهة التكتلات الأخرى .

٤ - كما أن التكامل الاقتصادي بين الدول الإسلامية يعمل على التنسيق بين السياسات المالية والنقدية والاقتصادية بين هذه الدول ، ومن ثم يُوحد هذه السياسات في إطار مصلحة شعوبها وأمتها ، ويقضي على ظاهرة الصناعات الاستهلاكية الخفيفة والمتنافسة بين هذه الدول ويطور صناعاتها وإنتاجها ، ويوجهها جميعاً إلى الصناعات الثقيلة المتقدمة ، وقد أنعم الله على هذه الأمة بالخير الكثير من الموارد الطبيعية والموارد البشرية والموارد المالية ، ومن ثم توجد لديها جميع مقومات وعوامل النجاح لمثل هذه الصناعات وهذا الإنتاج ولايبقى سوى النية الصادقة والعزيمة القوية والإيمان بالوحدة في ظل ديننا الحنيف والله يقول : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ... ﴾ [الأعراف: ٩٦] .

٥ - ولاشك أن التكامل الاقتصادي بين الدول الإسلامية يعتبر ضرورة حتمية ، حتى لاتضطر إلى الدخول في أسواق غير إسلامية تستفيد منها الدول الأجنبية مثل فكرة السوق الشرق أوسطية والتي تخدم مصلحة إسرائيل في المقام الأول ، هذا ولاننسى الصراع الحضاري بين إسرائيل والأمة الإسلامية ،

والفروقات الكبيرة بين تطور الإنتاج والإنتاجية وتطور التكنولوجيا والتقدم الصناعي والعلمي والثقافي ، ولايحد من هذه الفروقات سوى التكامل الاقتصادي للدول الإسلامية ، فلا يجب على الأمة الإسلامية أن تتقاعس عن العمل الجدي والبحث العلمي واستخدام التكنولوجيا الحديثة بما يلاءم حاجتها وظروفها حتى لاتستمر إسرائيل مركزاً متقدماً للحضارة الغربية داخل الأمة الإسلامية ، ويعمل على استنفاذ طاقاتها بصفة مستمرة ، وتعوقها عن السير قدماً من أجل التقدم والرخاء والرفاهية .

الأساليب المختلفة للتكامل الاقتصادي :

توجد عدة أساليب للتكامل الاقتصادي . ويتوقف اختيار الأسلوب الملائم لأية مجموعة من الدول على اتجاهات هذه الدول - رأسمالية - اشتراكية - أم هي من الدول الساعية للنمو . كما يتوقف أيضاً على حالتها الاقتصادية ، ومدى تقارب هذه الدول في مستواها الاقتصادي والإنتاجي ، ومدى توافر هياكل البنية الأساسية، وكذلك الأوضاع السياسية ومدى تقاربها اجتماعياً .

ويلاحظ أنه رغم تعدد الأساليب من الناحية النظرية ، فإنه لاتوجد واقعياً حدود فاصلة بينها ، حيث أن كل أسلوب يعمل على الاستفادة من بعض أدوات الأسلوب الآخر .

وقد اختلفت الدراسات الاقتصادية في تقسيمها لأساليب التكامل الاقتصادي، فمنها ماقسمها إلى أسلوب التكامل الكلي وأسلوب التكامل الجزئي ، ومنها ماقسمها إلى أسلوب مباشر وأسلوب غير مباشر[٤٦] ، وسوف نشير لهذه الأساليب في الفقرات التالية :

١ - أسلوب التكامل الكلي :

أسلوب التكامل الكلي يعمل على إزالة العقبات المصطنعة أمام حركة السلع وعناصر الإنتاج ، حيث يحدث تغييراً في الإطار التنظيمي للنشاط الاقتصادي. وينقسم هذا الأسلوب لأسلوبين هما :

أ - أسلوب التكامل الكلي بلا تنسيق (أسلوب السوق) .

ب - أسلوب التكامل الكلي مع التنسيق .

وأسلوب التكامل الكلي بلا تنسيق (أسلوب السوق) يكتفي بتحرير السلع وعناصر الإنتاج بين الدول المشتركة في التكامل الاقتصادي تاركاً تحقيق التكامل لقوى السوق التلقائية ، فهو لا يعمل على التنسيقات بين السياسات الاقتصادية لدول التكامل . وهذا الأسلوب لايحقق مفهوم التكامل ، حيث أن التكامل في رأينا يبدأ من مرحلة تدخل الحكومات للتنسيق بين سياساتها وأنشطتها الإنتاجية المختلفة ، أما ترك تحقيق التكامل لقوى السوق التلقائية ، فإنه يؤدي لكثير من الأضرار والمشكلات ولايحقق الفوائد التي قام التكامل من أجلها. ويؤيد هذا الأسلوب أصحاب فكرة الحرية الاقتصادية ، كما أن هذا الاتجاه يعتبر متطرفاً في العصر الحاضر، بالإضافة إلى أنه يصعب عليه مواجهة مشكلات دول التكامل (٤٧) ، حيث إنه إذا ماقام تكامل بين مجموعة من الدول تتفاوت بينها مستويات النمو والتطور ، فإنها ستواجه عدة مشكلات وصعوبات كثيرة ، منها كيفية توحيد السياسة التجارية وتنظيم حركة التبادل التجاري وعناصر الإنتاج بينها .

فالدولة الأكثر تقدماً صناعياً - داخل هذا الاتحاد - لاتحتاج لحماية جمركية بالقدر الذي تحتاجه دولة أخرى أقل نمواً وتقدماً ، حيث تتميز الدولة الأولى بما لديها من صناعات متقدمة وبذلك لاتجد منافسة من مجموعة الدول الأخرى ، ومن ثم تحصل على معظم المنافع الناتجة عن التكامل في حالة تحرير التجارة ، بينما لاتجني الدولة الأخرى إلا الشيء اليسير ، بل تقع عليها أضرار كثيرة ، نظراً لأن الميزان التجاري سيكون في صالح مجموعة الدول الأكثر تقدماً صناعياً .

ومن ثم فإن هذا الأسلوب لايصلح للدول التي تتفاوت بينها مستويات النمو والتقدم الصناعي ، نظراً لأن الدول الأكثر تقدماً سوف تستأثر بالنصيب الأكبر من عناصر الإنتاج الأكثر كفاءة ، وذلك لتوافر الهياكل الأساسية اللازمة لها .

مما سبق يتضح أن أسلوب التكامل الكلي بلا تنسيق (أسلوب السوق) يستلزم تطبيقه بين مجموعة من الدول المتقدمة ، المتساوية في أنشطتها الاقتصادية ، والمتقاربة في هياكلها الإنتاجية ، والتي ينتج عنها حجماً مناسباً من التجارة ، التي لايعوقها سوى بعض الجواجز والقيود الجمركية والتي لو أزيلت لزاد حجم التجارة الإقليمية ونشطت القطاعات الإنتاجية القائمة ، وهذا ليس حال الدول النامية ومن ثم فهذا الأسلوب لايناسبها .

أما أسلوب التكامل الكلي مع التنسيق فهو يعمل - بجانب تحرير التجارة والسلع بين دول التكامل - على التدخل والتنسيق بين مختلف السياسات الاقتصادية والاجتماعية المنظمة للنشاط الاقتصادي لدى الدول الأعضاء[٤٨] ، من أجل إيجاد ظروف متكافئة لدى دول التكامل للنشاطات الاقتصادية المختلفة لديها .

ولنجاح هذا الأسلوب ، يُشترط أن يضم التكامل مجموعة من الدول في هياكلها الاقتصادية والتنظيمية ، مثل دول السوق الأوروبية المشتركة ، حيث أنها متقاربة في نظمها الاقتصادية وفي مستويات تطورها وكبر حجم مشروعاتها الإنتاجية وكفاءتها العالية ، ومن ثمّ تتوافر سوق تجارية كبيرة بين دولها . وتتميز هذه الدول بتوافر شبكة كبيرة ومتقدمة للاتصالات السلكية واللاسلكية، والنقل بجميع أنواعه برياً وبحرياً وجوياً ، مما يساعد على تنشيط حركة التجارة بينها .

فإزالة القيود على التجارة مع التنسيق بين السياسات المختلفة يعتبر من أهم الإجراءات ذات الفعالية لتحقيق التكامل [٤٩] . ويمكن القول ، بأن تحقيق النجاح للسوق الأوروبية المشتركة قد جاء لاتباعها أسلوباً يتناسب مع ظروفها المختلفة ، وهو أسلوب التكامل الكلي مع التنسيق .

٢ - أسلوب التكامل الجزئي :

أسلوب التكامل الجزئي يقوم على تدخل الدولة في الأنشطة الاقتصادية المختلفة بالتنسيق والتخطيط ، ومن ثمّ يتلافى أسباب التمييز بين الوحدات الاقتصادية لدى دول التكامل ، ويؤدي إلى حدوث توزيع عادل للمنافع الاقتصادية والحد من الأضرار وعدم حدوث ازدواجية للمشروعات لدى دول التكامل ، وهنا يمكن التمييز بين أسلوبين :

أ - أسلوب التنسيق الشامل .

ب - أسلوب التنسيق الجزئي وهو ينقسم إلى نوعين (التنسيق على مستوى القطاع ، والتنسيق على مستوى المشروع) .

وأسلوب التنسيق الشامل : يقوم على تنسيق شامل لجميع الأنشطة الاقتصادية لدى الدول الأعضاء فيضع خطة إقليمية مشتركة واحدة تتضمن سياسة استثمارية ، وذلك حتى يُنظر لهذه الدول كوحدة واحدة . ومن ثم يشترط لنجاح هذا الأسلوب قيام اقتصاد مجموعة الدول على التخطيط الملزم، ويتطلب هذا الأسلوب عدة إجراءات تسهل العمل وتساعد على نجاحه ، منها توحيد خطط التنمية ، وعمل موازين سلعية جاهزة لمختلف الاستخدامات والموارد على المستوى الإقليمي والوطني، وتكوين هيئة عليا لها من السلطات مايعلو السلطات المحلية للدول المشتركة ، التي تقدم بعض التنازلات بالنسبة للسيادة والاستقلال الداخلي لكل دولة، لهذه الهيئة العليا .

ومن الواضح أن هذا الأسلوب لايتناسب مع الدول الساعية للنمو ومنها الدول الإسلامية ، بخاصة وأنها لايتوافر لديها متطلبات التنسيق الشامل ، وقد أخذ بهذا الأسلوب مجلس التعاون الاقتصادي المعروف بـ (الكوميكون)، حيث إن مجموعة الدول الاشتراكية · في الفترة السابقة · المشكل منها هذا المجلس كان لديها من الظروف والإمكانات ما يساعد على تطبيق مثل هذا الأسلوب.

أما أسلوب التنسيق الجزئي : فيقصد به حدوث نوع من التنسيق على مستوى قطاع معين من قطاعات الدولة ، سواء قطاع الصناعة أو قطاع الزراعة، أو يتم التنسيق على مستوى مشروع من المشروعات .

فالتنسيق الجزئي على مستوى القطاع : هو اتفاق دول التكامل على التنسيق فيما بينها على مستوى قطاع معين من القطاعات الاقتصادية لديها، سواء كان قطاع الصناعة أو قطاع الزراعة أو أي قطاع آخر ، حيث يتم إجراء دراسة تشمل إنتاج هذا القطاع ونفقاته لدى الدول المشتركة ، مع معرفة سياسات وأهداف كل دولة الخاصة بهذا القطاع ، حتى يمكن التنسيق بينها في مراحل الإنتاج والتسويق الخارجي والداخلي ، وإعادة توزيع الموارد بينها وفقاً للأهداف الإقليمية وتكاليفها النسبية ، حتى لاتضار إحدى الدول الأعضاء. ويتطلب هذا الأسلوب توافر درجة كبيرة من المرونة في القطاعات التي يتفق عليها حتى إذا ما أعيد تخصيص مواردها لاتضار إحدى الدول من جراء ذلك، وعادة ما يتم هذا التنسيق على مستوى القطاع الصناعي(٥٠) .

وقد قامت دول أمريكا الوسطى - وهي دول ساعية للنمو - بتطبيق هذا النظام في صورة تكامل صناعي ، إلا أنها ووجهت بالكثير من المشكلات والصعوبات ، نظراً لضعف هياكلها الإنتاجية وتفاوت مستوى النمو والتقدم فيما بينها ، فاضطرت لإجراء تنسيق بين القطاعات المختلفة لديها بخاصة القطاع الصناعي وعمل تنسيق بين السياسات الاقتصادية ، إلى جانب تحرير التجارة .

ومما سبق يتضح لنا أن هذا الأسلوب يتطلب وجود تنسيق بين السياسات الاقتصادية المختلفة والمتعلقة بالإنتاج بخاصة في القطاع الصناعي ، مع تحرير التجارة ، ومن ثمّ فهو لايتلاءم مع ظروف الدول الساعية للنمو ، مثل الدول الإسلامية ، حيث لايوجد لديها الإمكانات والظروف التي تساعدها على تحقيق هذا التنسيق .

من ناحية أخرى فإن التنسيق الجزئي على مستوى المشروع يعني تعاون دولتين أو أكثر لتنسيق سياسات الاستثمار في نطاق إنتاج قائم بالفعل أو إنتاج جديد . ويتميز هذا الأسلوب بأنه لايتطلب من الدول الأعضاء في التكامل التخلي عن سياستها أو أنظمتها الخاصة ، ولايتعارض مع حالة وجود اختلاف مستويات النمو والتقدم بين دول التكامل ، حيث لديه من الصيغ والنماذج ما يتلاءم مع كل دولة مهما اختلفت في مستواها أو أنظمتها الاقتصادية ودون أن يتعارض مع مصالحها ، كما لايثير الكثير من المشكلات التي تثيرها صور التكامل الأخرى ، كالاتحاد الجمركي أو السوق المشتركة . . . إلخ .

ويلاحظ أن ضعف نسب التبادل التجاري بين الدول الساعية للنمو لايرجع إلى القيود الجمركية وغيرها المفروضة عليها ، بقدر مايرجع إلى وجود قصور واختلال في الهياكل الإنتاجية . ومن ثم ، فإن هذه الدول في حاجة ملحة لإقامة البنيان الإنتاجي وتطويره ، بقدر أكبر من حاجتها لإزالة القيود الجمركية، والتي ليس لها تأثير إلا بنسبة بسيطة على حالة التجارة بين تلك الدول . ونجد أن في قيام المشروعات المشتركة في المجالات الإنتاجية مايكفي لازالة هذا القصور والاختلال .

بعد هذه الإشارة المختصرة عن تقييم التجارب السابقة للدول الإسلامية والعربية والإشارة إلى أساليب التكامل الاقتصادي فإنه يثور السؤال عن أفضل الأساليب الملائمة لقيام التكامل الاقتصادي بين الدول الإسلامية .

من دراستنا السابقة يتضح لنا مدى أهمية وضرورة قيام تكامل اقتصادي بين الدول الإسلامية ، من أجل تنميتها اقتصادياً والدفع بها إلى أرقى الدول المتقدمة ، ومن ثم إيجاد الوحدة الاقتصادية والسياسية الكاملة .

ولكن أي الأساليب تكون ملائمة لقيام هذا التكامل ونجاحه ؟ ومن التجارب السابقة للدول العربية والإسلامية وتقييمنا لهذه التجارب للفترة السابقة، يتضح أن هذه الدول قد سلكت اتجاهين أساسيين لتحقيق التكامل : الاتجاه الأول وكان يتمثل

في قيام سوق عربية مشتركة ، وتبين أن هذا الأسلوب لايتناسب مع الدول الساعية للنمو ، نظراً لأنه صورة متقدمة من صور التكامل ، ويشترط لقيامة عدة ضوابط ومواصفات يصعب توافرها لدى الدول الراغبة في التكامل ، ومن ثمَّ لم تنجح هذه الصورة لعدم انطباقها على إمكانات وسياسات وحالة هذه الدول .

أما الاتجاه الثاني ، فيتمثل في أسلوب المشروعات المشتركة ، وقد تبين أن هذا الأسلوب هو الأسلوب الملائم والمناسب والأسلوب العملي لتحقيق درجة واقعية من التكامل بين الدول العربية والإسلامية ، حيث يتحقق عن طريقه قيام تكامل جزئي، وهذا مايناسب الدول الإسلامية في الوقت الراهن لظروفها الاقتصادية والسياسية ، وما تمر به من مشكلات وخلافات وحروب مختلفة ، سواء داخلية أو خارجية .

لهذه الظروف والأسباب ، وعلى ضوء ماسبق الإشارة إليه في هذه الدراسة، فإننا نرى أن المشروعات المشتركة هي أحسن الصيغ والأساليب الملائمة حالياً لدفع عجلة التكامل الاقتصادي بين الدول الإسلامية ، حتى إذا ماصلح حال المسلمين والدول الإسلامية، واعتصموا بحبل الله جميعاً ولم يتفرقوا وتمسكوا بكتاب الله وسنة رسوله ، وعلموا علم اليقين أنه لاوجود للدول الصغرى في عصر التكتلات الاقتصادية ، وأن الدول الغنية والكبيرة والمتقدمة تعمل حالياً على إقامة التكتلات فيما بينها حتى تزداد قوة إلى قوتها وتقدماً على تقدمها ، فما بال الدول الصغيرة والفقيرة لا تسعى إلى ذلك . ففي هذه الحالة يمكن للدول الإسلامية أن تتخذ صورة أخرى أو أسلوباً آخر متقدماً من صور وأساليب التكامل الاقتصادي ، حتى تكون أمة واحدة لها قوتها الاقتصادية ، ومن ثمَّ قوتها السياسية بين الأمم الأخرى . ومقومات ذلك متوافرة لدى أمتنا والتي لاينقصها سوى أن نصلح من أنفسنا ونرجع إلى هدى الله وكتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

خاتمة

يبدو أن المشروعات المشتركة هي أفضل الأساليب والصيغ الملائمة حالياً لقيام تكامل اقتصادي بين الدول الإسلامية والمشروعات المشتركة عبارة عن مشروعات اقتصادية يتعاون في إقامتها بلدان إسلاميان أو أكثر حيث يقوم كل منها بالاشتراك في المشروع ، إما برأس المال أو العمل أو غيرها من عناصر الإنتاج ، ويتحقق من قيامها مصلحة اقتصادية للدول المشاركة في المشروع . ومن الأفضل للدول الإسلامية أن تبدأ مشروعاتها المشتركة بالمشروعات التي تتميز بشمول نفعها للأطراف المشتركة جميعاً ، والتي تحتاج لأموال تعجز الدولة الواحدة عن توفيرها .

وتتميز المشروعات المشتركة بأنها ستستفيد من مزايا الحجم الكبير لمشروعاتها واتساع السوق . . . إلخ ، ومن ثمّ فإنها تحصل على المزايا نفسها التي يمكن الحصول عليها بالصور أو الأساليب الأخرى للتكامل الاقتصادي بصفة عامة . ولكن المشروعات المشتركة تتميز عن الصور والأساليب الأخرى بميزات أخرى ، حيث لاتتطلب من أي من الدول الأعضاء أن تتخلى عن سياساتها أو أنظمتها الخاصة ، ولاتتعارض مع خاصية اختلاف مستويات النمو والتقدم بين الدول ، بل تتيح لكل دولة أياً كان نظامها أو مستواها الاقتصادي، أن تشترك وتتعاون اقتصادياً في مجال معين ، وبالأسلوب والصيغة التي لاتتعارض مع مصالحها الخاصة (شلبي، ١٩٨٨م) .

يضاف إلى ذلك أنها كصيغة مبسطة من صيغ التعاون والتكامل لاتثير من المشكلات ماتثيره الصيغ الأخرى ، حيث يتم تقدير التكاليف والأعباء المترتبة على المشروعات مقدماً وكذلك معرفة الفوائد التي ستعود من هذه المشروعات، وذلك من خلال الدراسة الاقتصادية لكل مشروع على حدة ، وبذلك يسهل الاتفاق على هذه المشروعات ، وذلك من خلال الدراسة الاقتصادية لكل مشروع على حدة ، وبذلك يسهل الإتفاق على توزيعها بين الدول المشتركة .

إن قيام المشروعات الإسلامية المشتركة في المجالات الاقتصادية والإنتاجية المختلفة لعامل مهم من عوامل الحد من اختلال وقصور الهياكل الإنتاجية ، والقضاء على ضعف نسب التبادل والتجارة البينية لهذه الدول ، كما أن انتشار المشروعات الإسلامية المشتركة سوف يكون البديل الأفضل لانتشار الشركات الأجنبية متعددة الجنسيات وذات النشاط الدولي في المنطقة الإسلامية ، وستعمل على القضاء على تبعية البلاد الإسلامية للاقتصاديات الأجنبية ، حيث تعمل على إيجاد اقتصاد متطور وإقامة جهاز إنتاجي متقدم .

إن بطء وتعثر عمليات التنمية الاقتصادية لدى دول العالم الإسلامي يرجع لعدم قيام تعاون وتكامل اقتصادي بينها ، رغم توافر الموارد الطبيعية والبشرية والإمكانات المادية .

وفي ظل سياسة تحرير التجارة بين الدول الإسلامية والتوسع في المشروعات المشتركة ، فإن ذلك سيؤدي إلى استخدام عوامل الإنتاج الاستخدام الأمثل ، بالإضافة إلى تقسيم العمل على مستوى هذه الدول والعمل على اختيار الأساليب والطرق التي تتلاءم أكثر من ظروفنا وواقعنا الإسلامي ، الذي هو في حاجة لجهاز إنتاجي متقدم .

إن قيام المشروعات المشتركة على مستوى دول العالم الإسلامي ، سيؤدي إلى استغلال التراكمات المالية لدى الدول ذات الفائض والتي لاتقدر على استثمارها في الدول ذات العجز والتي لديها القدرة على الاستيعاب ، حيث يتوافر لديها فرص الاستثمار في الجوانب الاقتصادية المختلفة .

كما أن المشروعات المشتركة تعتبر أفضل الطرق لقيام المشروعات الاقتصادية الكبيرة ، والتي قد تعجز موارد دولة واحدة على تمويلها أو تصريف منتجاتها في سوقها المحلي ، ومن ثم تحصل على مزايا الإنتاج الكبير لما للاستثمار الأولى فيها

من آثار مضاعفة على الاقتصاد الوطني ، حيث يدفع إلى موجات أخرى من الاستهلاك المولد من الاستثمار ، ومن ثم يشكل أداة فعالة لتنشيط الموارد المحلية ، وإيجاد مجموعة من رجال الأعمال والإدارة ، مما يسهم في نقل وتطويع التكنولوجيا المتقدمة واللازمة للإنتاج الحديث .

إن قيام المشروعات المشتركة يحقق عدة مصالح لأكثر من دولة ، حيث يقوم المشروع على استغلال موارد طبيعية مشتركة بين دولتين أو أكثر ، أو يعتمد على أكثر من دولة في الحصول على المنتجات الوسيطة اللازمة له ، أو لتسويق منتجاته ، أو ربط بعض البلاد بوسائل النقل والاتصالات المختلفة .

إن أسلوب تحرير التجارة وحده يعتبر من عوائق تحقيق التكامل الاقتصادي الإسلامي ، لأن القدرات الإنتاجية لكل دولة إسلامية محدودة ، بالإضافة إلى الصفة التنافسية لمنتجاتها . ويلزم لتجاوز هذه العقبات ، أن يصل حجم ونوعية السلع المنتجة للمستوى الذي يلزم لتحقيق تبادل تجاري ذي قيمة بينها ، ولايتحقق ذلك إلا بقيام المشروعات المشتركة .

لكن هل تقوم المشروعات الإسلامية المشتركة برأس مالي إسلامي كامل أم باشتراك رأس مال أجنبي معه ؟ .

يثور هذا السؤال والذي نجد أن الإجابة عليه تختلف مابين الاقتصاديين . فالبعض منهم يرون أن اشتراك رأس المال الأجنبي مع رأس المال الإسلامي فيه فائدة كبيرة تعود على الدول الإسلامية للاستفادة من الخبرات والتكنولوجيا ، التي تأتي بها الشركات المتعددة الجنسيات ، مما يعطي دفعة كبيرة لهذه المشروعات . كما أن اشتراك دول إسلامية أو عدة دول إسلامية في رأس مال المشروع مع رأس مالي أجنبي ، يحقق للدول الإسلامية نصيباً من الدخل المتولد عن المشروع أكبر مما يمكن أن تحصل عليه في صورة ضرائب على دخل المشروع المملوك ملكية كاملة لرأس مال أجنبي .

ولكن يلاحظ أنه في حالة مشاركة رأس المال الوطني مع الشركات المتعددة الجنسيات ، بخاصة لدى الدول الساعية للنمو ، فإن هذه الشركات لاتميل إلى نقل المعرفة الفنية المتقدمة للمشروع المشترك الجديد دون مقابل ، أو بيعها للمنتجات الوسيطة بأسعار ميسرة .

أما الرأي الآخر والذي نؤيده ، فإنه يرى قيام المشروعات الإسلاميةالمشتركة برأس مال إسلامي بالكامل ، حيث إن دخول رأس المال الأجنبي قد يمكنه من السيطرة واستغلال المشروع لمصلحته الخاصة ، لما له من أساليب ملتوية في إدارة هذه المشروعات ، وأن الدول الإسلامية في حالة حاجتها للتكنولوجيا ، يمكنها أن تستورد ماتحتاجه منها وما يلائمها من أجل مشروعاتها .

ولايفوتنا في هذا الصدد الإشارة لما حدث للسوق الأوروبية المشتركة في مواجهة نشاط الشركات الأمريكية الكبيرة . حيث كان الأمل من توقيع اتفاقية روما أن يؤدي التكامل الاقتصادي الأوروبي إلى إنشاء السوق الأوروبية ، وإعطاء دفعة كبيرة لنمو الشركات الأوروبية الكبيرة ، والتي يتعدى نشاطها الحدود القومية لدول السوق ، إلا أن دول السوق لم تستغل تلك الظروف التي استغلتها الشركات الأمريكية ، مما أدى إلى نموها في أوروبا بمعدل فاق بكثير معدل نمو الشركات الأوروبية نفسها[٥١] .

وإزاء هذه التجربة والتي حدثت بين أكبر كتلتين اقتصاديتين ، هل يكون ذلك مدعاة لعدم السماح بدخول رؤوس الأموال الأجنبية في المشروعات الإسلامية المشتركة ؟ .

وفي النهاية ، نود أن نشير إلى بعض الخطوط العريضة التي لو توافرت في المشروعات المشتركة الإسلامية لكانت من العوامل الرئيسة لنجاحها ، وهي مراعاة اشتراك أكبر عدد ممكن من الدول الإسلامية في المشروع الواحد ، حيث إن ذلك

مـدعاة لنجـاح المشـروع ، والعـمل على تعدد مـراكـز الإنتـاج وتعدد المدخـلات المستـخدمة من مواد أوليـة وسلع وسيطة في أكثر من بلد إسـلامي. وأنه في حالة توطن المشروع في بلد إسلامي مـعين ، يراعى استخدامه لأكبـر عدد من المدخلات في البلد المقام به، حيث إن ذلك يساعد على النجاح. كما يراعى العدالة في توزيع المنافع والأضرار في حالة التـوطن وطريقة مشاركة رأس المال . وكـذا مراعاة الدول الإسلامية الأقل نمواً . كما يراعى الترويج لـلمشروعات المشتركة ، نظراً لأن الدول الإسلامية يتـفاوت توزيع الموارد المالية بينها ، حيث إن التـرويج يعمل على تحريك رأس المال من الدول ذات الفائض للدول ذات العجز ، مع إبراز وتحديد المشروعات الاستثمارية الملائمة ، ذات الأولوية في التنمية .

ويجب أن تتضمن صيغة المشروعات الإسلامية المشتركة حداً أدنى من التنسيق بين الخطط الوطنيـة ، من أجل تحـقيق المصلـحة الإسـلاميـة الشـاملة ، ومراعـاة المشروعـات الإنمائية المتـباينة لهـذه الدول . ومدى صـلاحية كل جـزء من الوطن الإسلامي لإنتاج سلعة معينة ، وذلك بما يسمح لكافة الاقتصاديات الإسلامية بالنمو والتقدم . ولابد من إيمان الشعوب والحكومات الإسلامية ، بأن المشروعات المشتركة مـاهي إلا خطوة على طريق إقـامة الوحـدة الاقتـصاديـة الكاملة ، وإقامـة الدولة الإسلامية المتحدة .

وينعقـد الأمل على ارتفاع الدول الإسلامـية إلى مسـتوى المسؤوليـة الوطنية والتي يفرضها علينا ديننا الحنيف وروح العصر الذي نعيشه ، وأن تنسى هذه الدول خلافاتها وتوحـد صفوفها وكلمتـها وأن تلتزم بشريعة الله ، بالتضـامن والتماسك والاتحاد ، من أجل رفع كلمة الإسلام وتوحيد الأمة الإسلامية . تحت راية (**لا إله إلا الله محمد رسول الله**) .

الهوامش

١ - هذه المؤتمرات هي مؤتمر بروكسل في سبتمبر ١٩٢٠م - ثم مؤتمر جنوه في إبريل ١٩٢٢م ثم مؤتمر جنيف في مايو ١٩٢٧م ثم مؤتمر الهدنة الجمركية عام ١٩٢٩م.

٢ - هذا الموضوع يطول فيه البحث وقد كتب فيه عدة مجلدات ولكن نظراً لأنه أحد الموضوعات التي يجب الإشارة إليها بإيجاز كبير - انظر في ذلك المراجع التالية:

- أبو الأعلى المودودي - أسس الاقتصاد بين الإسلام والنظم المعاصرة ومعضلات الاقتصاد وحلها في الإسلام - الطبعة الثانية ١٣٨٧هـ (١٩٦٧م) السلام السعودي للنشر وقد نقله للعربية محمد عاصم الحداد.
- د. أحمد محمد العسال ود. فتحي أحمد عبدالكريم - النظام الاقتصادي في الإسلام - مبادئه وأهدافه - مكتبه وهبة - القاهرة- ذو الحجة ١٣٩٧هـ نوفمبر ١٩٧٧م.
- د. محمد شوقي الفنجري - ذاتية السياسة الاقتصادية الإسلامية وأهمية الاقتصاد الإسلامي - مكتبة الأنجلو المصرية - ١٩٧٨م .
- د. حسن العناني ، د. حسن الشافعي - حول الأسس العلمية والعملية للاقتصاد الإسلامي - من مطبوعات المعهد الدولي للبنوك والاقتصاد الإسلامي ١٤٠٢هـ (١٩٨٢م).
- د. محمد باقر الصدر - اقتصادنا - دار الفكر - بيروت ١٩٧٣م .
- د. يوسف القرضاوي - الخصائص العامة للإسلام - الطبعة الثانية - مكتبة وهبة - القاهرة .
- ابن تيمية (أحمد عبدالحليم) - مجموع فتاوي شيخ الإسلام ابن تيمية - جمع وترتيب عبدالرحمن بن محمد قاسم - المجلد الخامس والعشرون والمجلد التاسع والعشرون.

- أبو عبيد (القاسم بن سلام) - كتاب الأموال - تحقيق محمد خليل هراس - منشورات مكتبة الكليات الأزهرية - دار الفكر - ١٤٠١هـ (١٩٨١م)
- أبو يوسف - (القاضي يعقوب بن إبراهيم) - كتاب الخراج - تحقيق دكتور محمد إبراهيم البنا - دار الإصلاح للطبع والنشر والتوزيع.
- د. إسماعيل شلبي - التنمية الاقتصادية والإسلام - مؤتمر جامعة المنصورة- إبريل ١٩٨٣م القاهرة .
- البنوك الإسلامية والتنمية - ندوة بنك فيصل الإسلامي - ديسمبر ١٩٨٣م القاهرة - خصائص ومميزات النظام المالي في صدر الإسلام - ندوة جامعة اليرموك - الأردن إبريل ١٩٨٧م.

٣ - رواه الترمذي وقال حديث حسن .

٤ - صحيح البخاري ، بحاشية السندي - المجلد الأول - دار الفنار - باب كتاب المظالم ، ص: ٦٦ .

٥ - يقول الشاطبي إنها تختلف باختلاف الساعات والأحوال .

٦ - الدينار الإسلامي يعادل وحدة من وحدات حقوق السحب الخاصة لصندوق النقد الدولي.

٧ - أجرى خلال تلك الفترة عدة صور للتكامل منها على سبيل المثال مايلي:
- المجموعة الأوربية للفحم والصلب عام ١٩٥١م (E.C.S.C.) .
- السوق الأوربية المشتركة عام ١٩٥٧م (E.E.C.) .
- منطقة التجارة الحرة الأوروبية عام ١٩٥١م(E.F.T.A.) .

٨ - تم تجميع هذه البيانات من المرجع التالي(The Europa Year-Book 1995):
- انظر الأبحاث التالية المقدمة من مجلس الوحدة الاقتصادية لندوة فلورنسا في نوفمبر ١٩٧٧م.

- التكامل الاقتصادي كوسيلة لدعم التنمية الاقتصادية ، ص ٣-٦.

- التكامل كعلاج لاختلال التوازن الإقليمي ، ص ٣-١١

- الجوانب المؤسسة للتكامل الاقتصادي الإقليمي ، ص٢٦-٥٣.

٩ - أخرجه الطبراني في الأوسط والسيوطي في الجامع الصغير.

١٠- أخرجه أبو داود والنسائي وابن ماجة .

١١- أخرجه الشيخان البخاري ومسلم.

١٢- أخرجه الطبراني والبيهقي.

١٣- رواه البخاري - وأخرجه مسلم في صحيحه وأبو داوود .

١٤- راجع الطبري ، جـ١٠ ، ص٧١.

١٥- راجع ابن الجوزي ، المنتظم جـ٥ ، ص١٧٢ ، جـ٦ ، ص٥٠.

١٦- رواه الحاكم.

١٧- من الملاحظ أن البلاد الإسلامية النفطية أقل تعداداً للسكان. حيث إن تعداد قطر ٥٢٠ ألف نسمة ، والبحرين ٥٤٠ ألف نسمة، وجيبوتي ٥٧٠ ألف نسمة ، والكويت ٤٦ر١ مليون نسمة بينما أكبرهم السعودية ٣٩ر١٧ مليون نسمة. أما الدول غير النفطية فهي مكتظة بالسكان مثل أندونيسيا ١٥ر١٨٧ مليون نسمة، باكستان ٨٣ر١٢٢ مليون نسمة ، بنجلاديش ٧ر١١٦ مليون نسمة .

انظر : تقرير البنك الدولي للتنمية في العام (١٩٩٥م) جدول ١ ، ص ٢١٤-٢١٥.

١٨- أكبر مساحات في الدول الإسلامية: السودان ٥٠٦ر٢ ألف كيلو متر مربع - الجزائر ٢٣٨٢ ألف كيلو متر مربع - السعودية ٢١٥٠ ألف كيلو متر مربع وأصغر المساحات جزر القمر ألفين كيلو متر مربع وبروناي ٦ آلاف كيلو متر مربع .

انظر : تقرير البنك الدولي عن التنمية في العام (١٩٩٥م) ملحق ٢-٩، ص٢١٣.

١٩- يقصد بقوى العمل جميع الأفراد الذين يساهمون بجهودهم الجسمانية أو الذهنية لأداء أي عمل يتصل بالسلع أو الخدمات أو الذين يقدرون على أداء هذ اعمل ويرغبون فيه ويبحثون عنه.

ويقصد بخارج قوى العمل الأفراد القادرون على العمل ولكنهم لايعملون ولايبحثون عن العمل المثمر بسبب عدم رغبتهم فيه أو لاستغنائهم عن التكسب عن طريق العمل أو بسبب عدم إمكانهم الدخول في السوق للعمل لأسباب أخرى غير العجز مثل ربات البيوت والطلبة المتفرغون للعمل والزاهدون عن العمل ونزلاء المصحات والمستشفيات أو السجون، أما المقصود من خارج القوى العاملة فهم الأطفال دون سن العمل (١٥سنة) والشيوخ فوق ٦٥ سنة والعجزة تماماً.

تم تجميع هذه الإحصائية من The Europa Year-Book 1995 .

٢٠- التقرير السنوي لمنظمة الأقطار العربية المصدرة للبترول (أوابك) .

- المجموعة الإحصائية لدول الوطن العربي ، مرجع سابق، ص٤٥٠-٤٥١.

- التقر الاقتصادي العربي الموحد ١٩٩٥م.

٢١- انظر المراجع السابقة (بند ٢٠).

٢٢- انظر أصل ونشأة مفهوم القدرة على استيعاب رأس المال في المرجع التالي.

Guillaumont, P. "La Capacite D'absorption du Captal " These Paris, 1964.

٢٣- هذه الدول هي الكويت- البحرين- السعودية- الإمارات- قطر- بروناي- ليبيا - عمان- ماليزيا- الجابون.

٢٤- هذه الدول هي : أثيوبيا- تنزانيا- سيراليون- الصومال- أوغندا- نيجيريا- تشاد- غينيا بيساو- بنجلاديش- النيجر.

٢٥- هذه الإحصائية خاصة بعدد ٣٣ دولة إسلامية فقط متوافر عنها البيانات - انظر تقرير البنك الدولي١٩٩٥م (مؤشرات تنمية) جدول٤، ص٢٢٠-٢٢١.

٢٦- هذه الإحصائية خاصة بعدد ٣٣ دولة إسلامية فقط. انظر تقرير البنك الدولي ١٩٩٥م ، جدول٣ ، ص٢١٨-٢١٩.

٢٧- انظر تقرير البنك الدولي عن التنمية في العامل ١٩٩٥م جدول ٦ ص٢٢٤ وذلك لعدد ٣٣ دولة والتقرير الاقتصادي العربي الموحَّد ١٩٩٥م (ملحق ٣/ ١) ص ٢٣٤ لعدد ٨ دول هي . قطر- البحرين- العراق- لبنان- سوريا- السودان- جيبوتي- ليبيا.

٢٨- تقرير البنك الدولي ١٩٩٥م ، جدول ١٣ ص٢٣٨ وذلك لعدد ٣٣ دولة أما باقي الدول من تقرير البنك الإسلامي للتنمية بجدة عام ١٩٩٤-١٩٩٥م.

٢٩- انظر في تفصيلات ذلك للمراجع التالية:

- د. حسين خلاف: تقييم الخطوات التي تمت حتى الآن لتحقيق التكامل الاقتصادي بين الدول العربية- ندوة المشروعات المتشركة- القاهرة، ديسمبر ١٩٧٤م، ص: ١١٩-١١١.

- د. علي لطفي. استراتيجية التعاون الاقتصادي العربي في ضوء تجارب الماضي - مؤتمر اتحاد الاقتصاديين العرب السادس- الرباط- يونيو ١٩٧٦م.

٣٠- انظر : نص المادة ٨ من معاهدة الدفاع المشترك والتعاون الاقتصدي.

- د. إسماعيل شلبي - معوقات العمل الاقتصادي العربي المشترك- بحث مقدم للمؤتمر التاسع لاتحاد الاقتصاديين العرب المنعقد في بغداد في ديسمبر ١٩٨٥م.

٣١- انظر تفصيلات ذلك في المراجع التالية:

- د. سعيد النجار -الوحدة الاقتصادية بين البلاد النامية- مصر المعاصرة - أكتوبر ١٩٦٤م، ص: ٧.

- د. أحمد الغندور - الاندماج الاقتصادي العربي- معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٧٠م ،ص: ٩٢٨.

Ballss B., " The Theory of Economic Integration " 1961, P.2 .

٣٢- ينطبق ذلك على الشركات المصدرة للبترول وشركة أنابيب البترول والمؤسسة العربية لضمان الاستثمار وشركات الاستثمار الثلاثة (الكويتية السودانية، الكويتية المصرية، والشركة العربية للاستثمار) وعلى مشروعي شركتي مجلس الوحدة الاقتصادية (التعدين، الثروة الحيوانية).

٣٣- المشروعات التي تمت في إطار الجامعة العربية هي:

- شركات البوتاس العربية المحدودة- الصندوق العربي للمعونة الفنية للدول الأفريقية والعربية.
- الصندوق العربي لتقديم القروض للدول الأفريقية- الشركة العربية لناقلات البترول.
- الشركة العربية البحرية.

٣٤- المشروعات التي تمت في إطار مجلس الوحدة الاقتصادية هي:

- الشركة العربية للصناعات الدوائية والمستلزمات الطبية - الشركة العربية للتعدين.
- الشركة العربية لتنمية الثروة الحيوانية - الشركة العربية للاستثمارات الصناعية.

٣٥- المشروعات التي تمت في إطار اتحاد الجمهوريات العربية هي:

- مصرف الاتحاد العربي للتنمية والاستثمار - شركة الاتحاد العربي لإعادة التأمين.
- مؤسسة الإنماء العربي للتنمية الزراعية- شركة الاتحاد العربي للنقل البري.
- شركة الاتحاد العربي للنقل البحري.

٣٦- الشركات التي أنشئت في إطار المنظمة العربية المصدرة للبترول هي:

- الشركة العربية لنقل البترول، الشركة العربية لبناء وإصلاح السفن، الشركة العربية للاستثمارات البترولية، الشركة العربية للخدمات البترولية.

٣٧- مثل الشركة السودانية الكويتية للاستثمار وشركة الاستثمار الكويتية المصرية والشركة الكويتية المصرية للعقارات.

٣٨- مكونة من مساهمــات مصر والسعودية وقطر والإمارات - وهي خاصـة بتصنيع الأسلحة العربية وتطويرها.

٣٩- ومثال ذلك الشركة العربية لأنابيب البترول « سوميد ».

٤٠- ويقدر مـابين ١ر١ إلى ٢ر١ بليون دولار يغطي نفـقات الاستـشاريين الهندسـيين ومابين ٦٠٠ إلى ٧٠٠ مليـون دولار يغطي الأتعاب الإدارية والقـانونية والاسـتشـارية العـامة والخدمات المالية ودراسات السوق.

- انظر : د. إبراهيم شحاته، الدولارات البترولية والمشروعات العربية المشتركة، مجلة السياسة الدولية، العدد ٤٦ أكتوبر ١٩٧٦م ويحيل في مقاله إلى:

Citicorps : Relationship With Development Funds and Economic

٤١- برهان الدجاني - التكامل الاقتصادي لدول مجلس التعاون في المجالين العربي والدولي- ورقة قدمت لندوة التكامل الاقتصادي لدول مجلس التعاون الخليجي ، الرياض ١٧-٢٠ ديسمبر ١٩٨٣م ، ص: ٤.

- محـمد محمـود الإمام- التخطيط التكـاملي على المستوى الشـامل، ندوة التخطيط التكاملي بين دول مجلس التعاون الخليجي، دبي، ١٦فبراير١٩٨٧م.

- محـمد سـعيـد بسيوني- تحـقيق التنـمية في إطار الـتكامل الاقتصـادي بين الدول الإسلامية - رسـالة ماجستير - مقـدمة لكلية التجارة فرع بنها، جـامعة الزقازيق- ١٩٩٢م.

٤٢- انظر النظام الأساس والاتفاقية الخاصة باتحاد المغرب العربي.

٤٣- قدرت استثمارات دول مجلس التـعاون الخليجي في الخارج بحوالي ٤ر٣٤٩ مليار دولار سنة ١٩٨٩م، منهـا ٦ر٤٤ مليار دولار في الـدول الناميـة (بنسبـة٧ر١٢٪)، ٢٧ مليار دولار في صندوق النقد الدولي والبنك الدولي (بنسبة٨ر٧٪) والباقي وقدره٨ر٢٧٧مليار دولار في الدول الأوروبية والولايات المتحدة الأمريكية (بنسبة ٧٩٪).

- انظر رضا هلال -لعبة البترودولار- مؤسسة سينا للنشر - القاهرة ١٩٩٢م، ص:٤٨.

٤٤- بتاريخ ١٩/ ١٠/١٩٨٧م (وهو مايسمى بالإثنين الأسود) حدث انهيار في البورصة نتج عنه خسائر للأسهم تقدر بحوالي ٥٠٠ مليار دولار. قُدِّر نصيب الدول العربية منها بحوالي ٦٠ مليار دولار.

وانظر فتحي الخضراواي " نظرية الكارثة وانهيار الاثنين الأسود" مجلة العلوم الاجتماعية- جامعة الكويت- مجلد ١٦ العدد ٣ خريف ١٩٨٨م، ص:١٧.

كذلك تحملت الدول العربية خسائر كبيرة في انهيار بنك الاعتماد والتجارة الدولي في أواخر عام ١٩٩١م.

٤٥- أخرجه البخاري.

٤٦- Allais "Fondements Theoriques, Perspectives et Conditions D'un Marche Commun Effectif " Revue d'Economique Politique, Janvier, Fevrier 1958, P. 65.

- UNCTAD, " Main Problems of Trade Expansion and Economic Integration Among Developing Countries" Report by UNCTAD Secretariat. Third Session, Santiago de Chile, Vol May. 1972. P. 143.

٤٧- انظر المراجع السابقة نفسها.

٤٨- لا يعنى التنسيق هنا التوحيد - وحيث إن التوحيد لا يكون للسياسات المتبعة دائماً لآثارها

أنظر في ذلك.

Ballassa B., " Theory of Economic Integration " 1961, P.272 .

٤٩- وهذا لايعني عدم وجود مشكلات، حيث واجهت السوق الأوروبية المشتركة بعض المشكلات - منها مشكلة الوحدة النقدية والسياسة الزراعية ولكن استطاعت دول السوق

أن تتغلب عليها بالتنسيق والتدخل بين السياسات المختلفة لدولها .

- انظر د. إسماعيل شلبي- التكامل الاقتصادي بين الدول الإسلامية، ص : ٢٦٩ .

٥٠- معظم المشكلات الاقتصادية المعاصرة والسابقة قد أخذت بهذا الأسلوب في بداية تكتلها مثل الكوميكون في القطاع الصناعي والزراعي والنقل . ودول أوروبا الغربية وعدد من دول السوق الأوروبية المشتركة وقد أقامت مثل هذا الأسلوب في المجمع الأوروبي للفحم والصلب ، وكذا دول أمريكا اللاتينية .

انظر لتجار بهذه الدول في المرجع التالي :

N. U., Problemes Actuels d'integration economique " Repartiton des avantages et des couts I'integration entre pays en voie de developpement. TD/B394NEW York 1973.

٥١- انظر في ذلك المرجع التالي :

Kindelberger, C. R. , " European Integration and the International Corporation" in Europe and the Dollar, M. I. T. Press, Cambridge, 1966, P.88 .

المراجع

أولاً : المراجع العربية :

- القرآن الكريم .
- الأحاديث النبوية الشريفة .

أ - مراجع فقهية :

- ابن تيمية ، أحـمد بن عبدالحليم ، (د.ت) ، مجموع فـتاوي شيخ الإسلام ابن تيمية ، جمع وترتيب عبدالرحمن بن محمد ابن قاسم ، المجلد الخامس والعشرون والمجلد التاسع والعشرون.
- أبوعبيد ، القاسم بن سلام ١٤٠١هـ ، كتاب الأموال ، تحقيق محمد خليل هراس ، منشورات مكتبة الكليات الأزهرية ، دار الفكر .
- أبو يوسف ، القاضي يعقوب بن إبراهيم ، (د.ت)، كتاب الخراج، تحقيق دكتور محمد إبراهيم البنا ، دار الاصلاح للطبع والنشر والتوزيع .
- ابن الجوزي ، (د.ت)، المنتظم ج٥، ص١٧٢، ج٦، ص٥٠ .
- د. البري ، زكريا ، ١٩٧٢م ، أصول الفـقه الإسلامي ، الجزء الأول ، دار النهضة العربية القاهرة .
- الشاطبي (١٣٣١هـ) ، الموافقات ، المطبعة السلفية ، القاهرة .
- صحـيح البخـاري ، بحاشيـة السندي (د.ت)، المجلد الأول ، دار الفنار ، باب كتاب المظالم .

ب - كتب وأبحاث في الاقتصاد الإسلامي :

- د. إبراهيم يوسف (١٩٨١م)، المنهج الإسلامي في التنمية ، الاتحاد الدولي للبنوك الإسلامية ، القاهرة .
- المودودي ، أبو الأعلى (١٣٨٧هـ)، أسس الاقتصاد بين الإسلام والنظم المعاصرة ومعضلات الاقتصاد وحلها في الإسلام، الطبعة الثانية ، السلام لسعودي للنشر ، وقد نقله للعربية محمد عاصم الحداد .
- العسال ، أحمد محمد ، و عبدالكريم ، فتحي أحمد (١٣٩٧هـ)، النظام الاقتصادي في الإسلام مبادئه وأهدافه ، مكتبة وهبة القاهرة .
- العناني ، حسن صالح ، (د.ت)، خصائص إسلامية في الاقتصاد ، من منشورات المعهد العالي الدولي للبنوك والاقتصاد الإسلامية .
- العناني ، حسن ، الشافعي ، حسن (١٤٠٢هـ)، حول الأسس العلمية والعملية للاقتصاد الإسلامي ، من مطبوعات المعهد الدولي للبنوك والاقتصاد الإسلامي .
- الفنجري ، محمد شوقي ، (١٩٧٨م)، ذاتية السياسة الاقتصادية الإسلامية وأهمية الاقتصاد الإسلامي ، مكتبة الأنجلو المصرية ، الوجيز في الاقتصاد الإسلامي ، دار الصحوة للنشر والتوزيع بالقاهرة.
- الصدر ، محمد باقر (١٩٧٣م) اقتصادنا ، دار الفكر ، بيروت.
- د. شلبي ، إسماعيل (١٩٨٠م) ، التكامل الاقتصادي بين الدول الإسلامية ، من مطبوعات الاتحاد الدولي للبنوك الإسلامية، القاهرة.
- بسيوني ، محمد سعيد (١٩٩٢م)، تحقيق التنمية في إطار التكامل الاقتصادي بين الدول الإسلامية ، رسالة ماجستير ، مقدمة لكلية التجارة فرع بنها ، جامعة الزقازيق .

جـ - كتب وأبحاث في الفكر الإسلامي :

- أبو العـلا ، محمـود طه (١٩٦٦م) جغـرافيـة العالم الإسـلامي ، الطبـعة الثالثـة، القاهرة .

- القرضـاوي ، يوسف (د.ت) الخصائص العامـة للإسلام ، الطبعة الثـانية ، مكتبة وهبة ، القاهرة .

- حمدان ، جمال (١٩٩٣م) العالم الإسلامي المعاصر ، كتاب الهلال ، العدد ٥١٢ ، أغسطس ، القاهرة .

د - مؤتمرات وندوات علمية ومحاضرات :

- الدجاني ، برهان ، التكامل الاقـتصادي لدول مجلس التـعاون في المجالين العـربي والدولي ، ورقة قـدمت لندوة التكامل الاقـتـصادي لدول مـجلس التعاون الخليجي ، الرياض ، ١٧-٢٠ديسمبر .

- العربي ، محـمد عبدالله ، محـاضرة عن الاقتصاد الإسـلامي ، مطبوعات الإدارة العامة للثقافة الإسلامية بالأزهر.

- الفنجري ، مـحمد شوقي ، المـذهب الاقتصادي في الإسـلام ، من بحوث المؤتمر العالمي الأول للاقتصاد الإسلامي ، جدة ١٩٨٠م.

- الإمام ، محمـد محمود ، التخطيط التكاملي على المسـتوى الشامل ، ندوة التخـطيط التكاملي بين دول مجلس التـعاون الخليـجي ، دبي ، ١٦ فبـراير ١٩٨٧م.

- خـلاف ، حسين ، تقـييم الخطوات التي تمـت حتى الآن لتـحقـيق التكامل الاقتصادي بين الدول العـربية ، ندوة المشروعات المشتركة، القـاهرة ديسمبر ١٩٧٤م.

- زكي ، حسن عباس ، إتفاقية الجات ١٩٩٤م والحاجة إلى نموذج عمل واقعي للتعامل مؤتمر (أثر اتفاقية الجات على اقـتصاديات الدول الإسلامية) جامعة الأزهر ، مركز صالح كامل للاقتصاد الإسلامي ٢١-٢٣ مايو ١٩٩٦م.
- د. شلبي ، إسماعيل :
- حقوق الإنسان والتنمية في الإسلام ، ندوة حقوق الإنسان والتنمية ، جامعة كولومبيا بالولايات المتحدة الأمريكية ، يوليو ١٩٨٥م.
- التكامل الاقـتصادي بين دول مـجلس التعـاون لدول الخليج العربـية ، ندوة التكامل الاقـتصادي ، جـامعـة الملك سعـود بالاشتـراك مع المعهد الـعربي للتخطيط بالكويت ، الرياض ، ديسمبر ١٩٨٣م.
- الاعتمـاد على الذات لمصر في إطار الاعتماد الذاتي لـلعالم العربي ، بحث مقدم للمؤتمر العلمي السنوي للاقتصاديين المصريين ، القاهرة ٢٦-٢٨ مارس ١٩٨١م.
- مقّومات انسياب رؤوس الأموال العربية في المنطقة العربية ، معهد الدراسات المصرفية للبنك المركزي المصري ، القاهرة فبراير ١٩٧٩م.
- السوق الإسلامية المشتركة ، ندوة العـلاقات الاقتصادية بين الدول الإسلامية ، جامعة اسطنبول ، تركيا ، مايو ١٩٨٤م.
- معـوقات العمل الاقتـصادي العربي المشتـرك ، بحث مقدم للمـؤتمر التاسع لاتحاد الاقتصاديين العرب ، في بغداد ، سبتمبر ١٩٨٥م.
- التنمـية الاقتـصادية والإسـلام ، مؤتمر جـامعة المنصـورة ، إبريل ١٩٨٣م، القاهرة.
- البنوك الإسلامـية والتنمية، ندوة بنك فـيصل الإسلامي، القاهرة، ديسـمبر ١٩٨٣م.

· خصائص ومميزات النظام المالي في صدر الإسلام، ندوة جامعة اليرموك، الأردن أبريل ١٩٨٧م.

· المشروعات العربية المشتركة كإحدى صيغ التوظيف الأمثل للعوائد النفطية في الفترة القادمة ، حالة قطاع البترول في كل من مصر والكويت ، بحث مقدم لندوة مركز الدراسات الاقتصادية والسياسية ، بجامعة القاهرة ، عام ١٩٨٨م.

- لطفي ، علي ، استراتيجية التعاون الاقتصادي العربي في ضوء تجارب الماضي - مؤتمر اتحاد الاقتصاديين العرب السادس - الرباض - يونيو ١٩٧٦م .

- مشهور ، نعمت عبداللطيف - « مواجهة الدول الإسلامية لاتحاد تحرير التجارة العالمية في إطار جولة أورجواي » « مؤتمر أثر اتفاقية الجات على اقتصاديات الدول الإسلامية وجامعة الأزهر» - مركز صالح كامل للاقتصاد الإسلامي - القاهرة ٢١ -٢٣ مايو ١٩٩٦م .

هـ - دوريات ومنشورات :

- البنك الدولي : ١٩٩٥م - تقرير عن التنمية في العالم ومؤشرات التنمية الدولية .

- التقارير السنوية للبنك الإسلامي للتنمية بجدة .

- التقرير السنوي لمنظمة الأقطار العربية المصدرة للبترول " أوابك " .

- التقرير العربي الاقتصادي الموحَّد - سبتمبر ١٩٩٥م(ملحق ٢ - ٩).

- التقرير السنوي للمركز الإسلامي لتنمية التجارة ١٩٩٥م.

- الروبي ، ربيع ، الاقتصاد الإسلامي والمشكلة الاقتصادية - المجلة العلمية تجارة الأزهر - العدد الثاني عشر - أكتوبر ١٩٨٥م.

- الخضراوي ، فتحي ، « نظرية الكارثة وانـهيار الاثنين الأسود » مجلة العلوم الاجتماعـية - جامعة الكويت - مجلد ١٦ - العـدد ١٦ - العدد ٣ خريف ١٩٨٨م.
- الغندور ، أحمد ، الاندماج الاقتصادي العربي - معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٧٠م.
- منظمة الأغذية والزراعة F. A. O. Production Year-Book 1995.
- المجموعة الإحصائية للوطن العربي ٨٨-١٩٩٤م - جامعة الدول العربية .
- النجار ، سـعيد ، الوحـدة الاقتصـادية بين البلاد الناميـة ، مصر المعـاصرة أكتوبر ١٩٦٤م.
- زكي ، حسن عباس ، جريدة الأهرام - القاهرة في ١٤/٦/١٩٩٦م.
- صديقي ، محـمد نجاة الله ، مدخل إسلامي لعلم الاقتـصاد ، مجلة المسلم المعاصر العدد ٣٨ .- The Europa Year Book 1995.
- مذكرات مـجلس الوحدة الاقتـصادية - الأمانة العامـة للمشروعات العـربية والمشروعـات العربيـة الدولية المـشتركـة - تحليل وحصـر وتبويب - يـونيو ١٩٧٦م.

و - كتب وأبحاث في الاقتصاد الوضعي :

- رشيد ، عبدالوهاب حميد ، دور المشروعات المشتركة في التكامل الاقتصادي العـربي - رسالة لنيل درجـة الدكتـوراه في الفلسفـة في الاقتـصاد - كلـية الاقتصاد والعلوم السياسية - جامعة القاهرة ١٩٧٩ - ١٩٨٠م .
- هلال ، رضا ، لعبة البترو دولار - مؤسسة سينا للنشر - القاهرة .

ثانياً - المراجع الأجنبية :

- Allais, M. (1985) " Fondements Theoriques Perspectives et Conditions d'un Marche Commun Effectif". Revue d'Economic Politique, Janvier, P.65.

- Ballassa, B. (1961) " The Theory of Economic Integration " P.2.

- Deniw , J. F. (1964) Le Marche Commun , Pp. 18-9.

- Guillaumont, P. (1964) " La capacite d, obsorption du Capital ' These Paris J. F. (1964).

- Kindelberger, C. R. (1966) " European Integration and the International corporation" in Europe and the Dollar, M. I. T. Press, Cambridge, P.88.

- Mead, J. E. (1955) " Theory of Custom Union" North-Hollad Publishing Company, Amsterdam.

- Myrdal, (1956) An Internationl Economy Routhledge an Kegan Paul, London .

- N. U. (1973) Problemes actuels d'integration economique "Repartition des avantages et des coutes dans L'integration entre pays en voie de developpement. TD/B/394 New York .

- O. N. U. (1975) " Le Role des Institutions Financiaros Multilaterales dans la prentation de L'integration economique en pays en voie de developpement " N. Y. P.5.

- J. Pinder (1969) Problems of European Integration , in : Denton. G. R. Economic Integration in Europe, Weidenfeld Nicolson, London .

- Robinson E. A. G. (1960) Introduction to the Economic Consequences of the size of nations. P. xx1 .

- Robson, P. (1967) " Economie Integration in Africa ". Georges Allen an. unwin. LTD.

- Tinbergen , J. (1954) International Economic Integration, Elsevier, Amesterdam and Brussies , P. 122.

- U. N. (1975) Problemes acturls d'integration economique, rep des avantages et des coutes dans L'integration enter pays en voie de developpement, N. Y. P.12.

- U. N. UNCTAD. (1972) "main problems of trade Expansion and Economic integration Among Devolopng Countries", Report by Un CTAD Secretariat. Third Session, Santiago de Chile, May P.143.

- Viner J. (1950) " The Custom Union Lssue: cornegne Endowment for International Peace , New York .

- The Europa (1995) Year Book .

فهرس الأشكال

فهرس الجداول

« تابع » فهرس الجداول

The Deanery of Academic Research
P.O.Box 18011 Riyadh 11415
Fax. (01) 2590261
Kingdom of Saudi Arabia

Contents

Editorial Board

Advisory Board

The First Edition
1999 A.D / 1419 H

KINGDOM OF SAUDI ARABIA
MINISTRY OF HIGHER EDUCATION
Al-IMAM MUHAMMAD IBN SAUD
ISLAMIC UNIVERSITY
DEANARY OF ACADEMIC RESEARCH

K. S. A. 100 YEARS

The Geographical Encyclopedia of the Islamic World

Volume 15

THE GENERAL ASPECTS OF THE GEOGRAPHY OF THE ISLAMIC WORLD

1419 H. - 1999 A. D.

Issued on the occasion of Centennial Anniversary of
The Kingdom of Saudi Arabia Foundation

Published Under The Supervision of the
Department of Culture And Publications

THE GENERAL ASPECTS OF THE

GEOGRAPHY OF THE ISLAMIC WORLD